

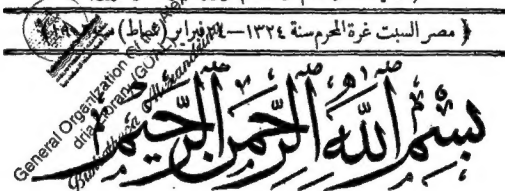
المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي ولا قطاراً، كشار الطريق)



اللهم انا نحمدك على ما آتيت من المواهب والقوى ، وأنزلت من
البيئات والهدى ، ونصلي ونسلم على نبيك المصطفى ، الذي بعثته لإصلاح
جميع الورى ، ونستمطر رحمتك ورضوانك على من صلح باتباعه واهتدى ،
ثم أصالح بحاله وقاله وهدى ، « ١٨ : ١٠ » رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهِيَ
لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ، « ولا تهلكنا بما فعل أهل السرف منا والموى ،
وأكفنا اللهم شر من ظلم من رؤسائنا وبغى ، وقتلة من ضل من
مرشديننا وغوى ، وخسر من عصى من دهيائنا واعتدى ، واجعل اللهم
لنا على أئيران هذه الحوادث هدى ، ويسرنا بفضلك اليسرى ، وانفعنا
بما أنزلت من الذكرى ، وآتتنا ما وعدتنا في الآخرة والاولى ،

هذا ما يفتح به المنار سنته التاسعة - تذكير ودعاء ، يعينها أمل

ورجاء ، على حين سحلت مرائر الآمال ، وخويت من الرجاء قلوب الرجال ، وأحاط الخطر بالمسلمين من كل جانب ، وتنازع إرث ما بقي من أرضهم الأجانب ، بين سلطان يحارب العلم وسلطان يحارب الجهل ، وأمير مفتون بالذئب ، وأمير مغبون بالفقر ، وعالم ينافس بكسوة التشریف ، وعالم يحسد على الرغيف ، ومرشد يؤيد حكومة يستغل سلطتها ، ومرشد يخادع أمة يستدر غفلتها ، في بلاد أمات الاستبداد قلوب كبرائهم وبلاد أفسدت الشهوات أخلاق أغنيائها ، دع ذكر البلاد التي نزع بين زعمائها شيطان السياسة ، فأغرام بالتنازع على الرئاسة ، والأمة من وراء هؤلاء الكبراء نذل كل يوم وتخزي ، سنة الله في القرون الأولى ، « ١٧٨:٢٠ »
 أَقْلَمَ يَهْدِيهِمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى *

نعم ان المسلمين أمسوا كالريش في مهب رياح الحوادث ، وكالغنائم في مجرى سيول الكوارث ، لا رأي لخواصهم فيما يراد منهم ، ولا شعور لعوامهم فيما يراد بهم ، وللا جانب يد في تصرف حكمانا في سياستنا ، ويد في تصريف أموالنا في مصلحتهم دون مصلحتنا ، ويد تطبع الأفكار بأخلاق وعادات تنافي آداب ملتنا ، وتودع في العقول عقائد وأفكارا تقوض بناء وحدتنا ، فأني شيء بقي في أيدينا من شؤون أمتنا ؟ اللهم انه يقل فينا من بقي له أذن تسمع وعين تبصر ، وقلب يشعر وعقل يفكر ، ويقل في هؤلاء القليلين من له ارادة تتوجه الى عمل للأمة ، وثبات فيما يحاول من كشف الغمة والرجاء بفضل الله تعالى محصور في هؤلاء الاقلين ، ومن يتصل بحزبهم حيناً بمدحهم ، والمآقية للمتقين ، « ٢٤٩:٢ » كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ

غَلَبَتْ فِيهِ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * «١٣٧:٢٠» وَأَمَّا هَٰذَا
بِالصَّلَاةِ وَأَصْبَحَ عَلَيْهَا لَسَّالُكَ رِزْقًا مِّنْ رِّزْقِكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * ١٣٣
وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى *

بلى قد جاءتنا صحف لا أولين، فكانت مثالا لما رأينا في صحف الآخرين،
انه لم تستيقظ أمة من نومتها، ولم تبعث دولة بعد موتها، الا بصيحة نهر
من أولي الألباب، ومتمني القول والآداب، الذين يغير الله ما في نفوس
أقوامهم، بما يليق به من الحكمة في ذلاقة ألسنتهم ونفحات أفلامهم،
فيستبدلون الاعتصام بالانقسام، والاتفاق بالشقاق، والوحدة بالفارقة،
والمقة والحب، بالبغضاء والمقت، وبذلك يشعر الافراد بمعنى الأمة، ويعملون
بالتعاون فيكونون أمة، «٨٥:٤٠» سَنَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
هَٰذَاكَ الْكَافِرُونَ * ٣١:٥٣ وَاللَّهُ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ
الَّذِينَ اسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى *

مال النار الا صحيفة أو صحف أنشئت لتأييد دعاة العلم للأمة والعمل لها
سواء منهم من دعا الى الاصلاح قبلها ومن يدعوا اليه معها ولتكير سواد
الدعاة الذين تعلمون للأمة، ويعملون للأمة، ويحيون للأمة، ويعموتون في
سبيل الأمة، بذلك صرحنا في فاتحة السنة الأولى وبذلك نصرح في كل سنة
من السنين، مهتدين بهدي كتاب الله المبين، وسنة خاتم النبيين والمرسلين؛
الذين هم ائمة الهداية، واتباعهم اغنوا السعادة، من تمسك بهما نجا، ومن
تركهما ضل وغوى، وخزي في الآخرة والاولى، «١٢٤:٢٠» وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * ١٢٥ قَالَ

رَبِّ لَمْ حَسْرَتْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * ١٢٦ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى * ١٢٧ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ
رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

هذه نذر الكتاب المبين، لمن ترك الاعتصام بحبله المتين، يجازى بالضيق
والضنك في معيشته الاولى، وبالعذاب في الدار الآخرة، وقد قال تعالى
وهو أقوم قِيلاً، «١٧: ٧٢» ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضلَّ سَبِيلًا، «فالدنيا مزرعة الآخرة، وسنة الله تعالى فيهما واحدة
فاذا سلكنا سبل الظلم والافساد، حتى زال عزنا وسلطاننا من البلاد، فلا
ينجينا في الآخرة لقب الاسلام، ولا الاتساع الى أولئك الساف الكرام، أما
سمع المغرور حديث الصحيحين: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت
لا أغني عنك من الله شيئاً» ٣٦: ٥٣-١، أم لم ينبأ بما في صُحُفِ مُوسَى،
وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى * أَن لَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لِّالنَّاسِ لِلْإِنسَانِ الْأَ
مَاسَى * وَأَن سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى * »

القرآن حجة على شعوب المسلمين في هذا العصر، بما أصابهم وأصاب
دولهم من الخسر، الذي جنبه الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر وبأخذ الامم والدول اياماً أخذاً وبيلاً، «٤١: ١٤» ولكن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً * نعم ان المؤمن يتلى ويفتن، ولكنه
لا يهين ولا يحزن، بل يصبر حتى تكون العاقبة للمتقين، «٣٩: ٣» ولا تنهوا ولا
تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * ٢٢: ١٩ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبدُ اللَّهََ
عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ

خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * » فما انتفع المفرورون
بهذه الذكرى ، ولا اتبعوا هذه الهداية العليا « ١٧٣: ٥٣ » إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى * » ١٧٤ مَ الْإِنْسَانِ مَا تَنَى *
٢٥ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى *

نق به ناعق أئمة الجور ، ونصير الاستبداد والظلم ، أن لانجاة
لكم من البلاء الذي أصابكم ، ولا أمن لكم من الخطر الذي يوشك أن
ينزل بكم ، الا بفناء ارادكم في ارادة حكامكم ، لا بتغيير ما في أنفسكم من
أوهام وخرافات ، وأخلاق ذميمة وعادات ، ولا بترية العقل والارادة
على الاستقلال ، والتعاون على البر والتقوى والاشتراك في الاعمال ، ولا
بجعل الشورى قاعدة الأحكام ، واقامة الشريعة في الحلال والحرام ، ولا
بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، —
وصاح بهم خطيب فتنة الوطنية ، أن لاجية لكم بالرابطة المليية ، لأنها
ممقوتة في نظر أهل المدينة الغريبة ، الذين سادوا بترك العصبية الدينية ،
فعلى أهل كل قطر إسلامي أن يعتزوا بسكان بلادهم الاولين ، ولا يحبوا من
هاجر اليهم من المؤمنين ، فضلا عن ايثارهم كما فعل الانصار مع المهاجرين ،
فما عتزه المسلمون الاولون من آداب القرآن ، قد نسخته مدينة أوروبا في هذا
الزمان ، فالوطنية الوطنية ، الزموها تكونوا من الفائزين ، والدخلاء الدخلاء
احذروهم وان خدموا الامة والدين ، ان يبعون بدعوة الوطنية الا العصبية
الجاهلية والهوى ، وكثرة العرض والغنى ، والزلفى عند أهل المراتب العليا ،
« ٢٩: ٥٣ » فَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * » ٣٠ ذَلِكَ

مِنْهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى *
 اختلفت عليكم الدعوة أيها المسلمون ، وكل حزب بما لديهم فرحون
 «٢٤:٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمِعُوا لِقَوْلِ اللَّهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»
 فله وحده دعوة الحق ، وما خالفها فهو باطل أوفسق «٢٦: ١٥٠ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا» ١٥١ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ١٥٢ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ * هَانِئْنَا أَوْلَاءُ قَدْ خَرَجْنَا عَنْ اسْتِقْلَالِنَا الْاجْتِمَاعِيِّ زَمَنًا
 طويلاً ، أطينافيه ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلاً ، وأخذنا الأُجانب من
 ناحية سلطتهم أخذاً ويلاً ، فما أغنت عنا ذلة المبودية لهم قليلاً ، «٢٩: ٧٦
 إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا .» ولا سبيل إليه الا
 باتباع هدايته ، والسير على سننه في خليقته ، «١٧: ٨٤ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ
 شَاكِلَتِهِ ، فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ١-١٠-١٠٢» والليل اذا
 يَنشَى ، والنهار اذا تجلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى *
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
 وَاسْتَفْتَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى *

فعلیکم أيها المسلمون وقد أعوزت النجاة ، واختلفت دعوة الدعاة ،
 أن تجیبوا داعي الله ، وتكونوا من حزب من أعطى العفو من ماله ، لا إعلاء
 كلمة الله ومواساة عياله ، واتقى أسباب الفتن والحزن ، والفواحش ما ظهر
 منها وما بطن ، وصدق بالشریمة الحسنی ، والخلیقة الفضلی ، تصدیق
 إذعان ، يتبعه العمل بالجنان والاركان ، والتعاون على البر والتقوى دون
 الاثم والعدوان ، فاذا فلتتم ذلك يسر الله لكم خط النجاح اليسرى ، وأقامكم

على طريق القطرة المثلّي ، وأعزكم في هذه الدنيا، ولكم في الآخرة الجزاء
الأوفى ، ولا تكونوا ممن يحل بفضل نعمته ، واستثنى بالتمركز بماله عن
الاعتزاز بأمته وملته ، وكذب في نفسه بأن الشرعة الحسنی، والخلیفة الفضلی ،
هي طريق السعادة الكبرى، فإن الله تعالى لا ييسر له بمقتضى سنته الاعسرى
الخطئين، وسوءى الطريقتين، فيكون شقيماً بماله، مضطرباً في حاله، مبغضاً إلى
قومه وآله، لا فرق في هذه السنة، بين الشخص والامة، والامر في الشعوب
أظهر لمن يرى، فأرزى شعب بهذه الثلاثة الا وقع في مهاوي الردى ٩٢: ١١-١٣
وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ، إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى، وإنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى *

هذا ضرب من ضروب هداية القرآن ، الذي دعا إلى جميع الاصول
التي فيها سعادة الانسان ، فجعل البرهان العقلي أساس العقائد ، وأقام بناء
الآداب والاحكام على قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد ، وأرشد إلى
مالشؤون البشر الاجتماعية ، من السنن الثابتة أو النواميس الطبيعية، وأثبت
أن الدين القيم الذي جاء به الاسلام ، هو اقامة سنن فطرته التي فطر عليها
الأنام ، فالاسلام عبارة عن اصلاح العقول بالعقائد اليقينية ، واصلاح
النفوس بالاخلاق المرضية ، واصلاح شؤون البشر الاجتماعية ، باقامة
العدل والسير على السنن الكونية ، فمن أقام هذه الاركان كلها كان هو
المسلم الكامل وان سمي ملحداً أو دهرياً ، ومن هدمها كلها كان ملحداً
في آيات الله وان سمي نفسه مسلماً حنيفياً ، ومن كان أقرب إليها ، كان
حظه من السعادة بمقدار سبه منها ، ومتى تنازع شعبان أو أمتان ، كان
الظفر لمن كان أقرب من هذه الاركان، وهو الاقرب إلى هداية القرآن
٥٩: ١٨ وتلك القرى اهلكتناهم لما ظلموا وجعلناهم لکم موعداً *

١٦:٧٢ وَأَنْ تَوَاسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ١٧ لَنَقْصِيَنَّهُمْ
فِيهِ وَمَنْ يُرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْنَاهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٨:٨٧ فَذَكِّرْ
أَنْ تَعْبَثَ الَّذِينَ كَرِهُوا ١٩ سَيَذَكِّرُنَا مَنْ يَشَاءُ ٢٠

أما حزب الشيطان ، وأنصار الظلم والعدوان ، فيقولون ان هذه الدعوة الى هداية القرآن ، هي اجتهاد اقل باب في هذا الزمان ، والداعي اليها عديمين لاهل الايمان ، وما علينا الا تقليد شيوخنا أهل الفقه والعرفان ، ومن هؤلاء من يلقي تبعة هلاك المسلمين وضياح الاسلام ، على عواتق أهل السلطة المتفلين على الأحكام ، ومنهم من يوجب الخضوع لكل ذي سلطان ، وان نسخ باستبداده القرآن ، وطغى بظلمه في الميزان ، ومنهم من يحيل على القضاء والقدر ، ومنهم من يقول ليس لها الا المهدي المنتظر ، ومن ورائهم قوم آخرون صرخوا من الدين ، أنكروا التقليد ولم يعرفوا الحق اليقين ، يقولون لارجاء للمسلمين بحياة مليه ، ولا أمل باقامة حكومة اسلامية ، فاذا لم يحيا حياة وطنية فلا حياة لهم ، واذا لم يتبعوا خطوات أوروبا فلا مدنية لهم ، كل هذا وذاك مما ينادي به المسلمون الجغرافيون أو السياسيون ، ولهم شهوات من دون ذلك هم لها عاملون ، ولم نر دعوة من هذه الدعوات أنكروا الرؤساء الراسيون ، والامراء المستبدون ، الا دعوة هذه الامة ، الى الاهتمام بالكتاب والسنة ، فلقد قاوموا المنار ، وأذوا الاهل والانصار ، ودمروا على الدار ، واختروا الكتب والاسفار ، وراقبوا الشيخ في عقر الدار ، حتى اختار الله له دار القرار ، وصادرونا في الوقف وتصدوا للامتار ، وهنالك العالم الاثم ، يمد يديه الحاكم الظالم ، هذا وقد كان لبلاد الحرية اصبع فيما كان في بلاد البودية ، بعد

استثناء واثمار ، بشأن الاخراج من الديار ، فكان نجاح المثبر ، بديلا من خذلان المثمر ، وطعن أشهر جرائد المسلمين اليومية ، ايماء الى تلك المقاصد الخفية أو الجلية ، وما زادنا ذلك الارجاء بالله ، وانتظاراً لروح الله ، مع العجز والتقصير ، وقد العون والنصير ، فوعده تعالى هو الحق ، وما جاء به رسوله هو الصديق « ١: ٥٣ » والنجم اذا هوى * ٢ ماضل صاحبكم وما غوى * ٢٠ : ١٣٥ قل كل مريض فترئصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى *

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

﴿ مباحث المنار الدينية ودعوته الى الاتقاد عليه ﴾

ان الغرض من مباحث المنار الدينية هو بيان ان الاسلام هو الحق الهادي الى سعادة الدنيا والآخرة ودفع شبه أعدائه عنه في عقائده وآدابه وأحكامه والدعوة الى الاهتداء به . وإنما تتوجه الشبهات الى الكتاب والسنة الى أقوال العلماء والفقهاء فن ثم كانت عمدة المدافع عن الاسلام والمحتج على حقيقته إنما هي نصوص الكتاب والسنة . فغضب الى من يسألونا عن حكم الاسلام وأحكامه أن لا يقيّدونا بمذاهبهم ومن أراد الاتقاد على المنار في أمر ديني فليؤيد انتقاده بالدليل كآية كريمة أو حديث محتج به لا بقليل وقال . الا اذا أخطأنا في نقل عن أئمة العلم الذين نستضيء بأنوار أفهامهم في الكتاب والسنة أو في الفهم أو في الاداء فللمتقدم أن يبين لنا ذلك . وانا نعيد القول كما بدأناه أول مرة بأننا ننشر كل ما ينتقده علينا العلماء والأدباء وما يشكل على عامة القراء ، فان كان المتقدم مصيبا اعترفنا وشكرنا ، وان كان مخطئا فبينا وأعذرنا ، ولا نعذر لالم يرى منا الخطأ فيسكت عليه بعد علمه بهذا . وبأن الحق يدفع الباطل وبأن الله أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبينه للناس ولا يكتمونه ، وفرض الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن ينفم المنار بعد هذا أو يقدح في صاحبه ولم يبين له خطأ فهو فاسق مقتاب ، كاتم العلم مذموم بنص الكتاب

باب العقائد

﴿ مسائل الاختيار والعلة والحكمة والحسن والقياس ﴾

نذكر ماورد السفاريني في هذه المسائل ليتم قراءة كتب الاشعرية ما في غيرها من الحقائق التي قد تحتاجها الى صواب ، وان الاختصار على مكتب طائفة معينة هو من قيود التقليد . قال في شرح قوله

﴿ وربنا يخلق باختيار من غير حاجة ولا اضطرار ﴾

﴿ لكنه لا يخلق الخلق سدى كما أتى في النص فاتبع الهدى ﴾

﴿ وربنا ﴾ تبارك وتعالى ﴿ يخلق ﴾ ما شاء ان يخلقه من مائر مخلوقاته ﴿ باختيار ﴾ منه فذهب سلف الامة واعتما أن الله تعالى لم يزل فاعلا لما يشاء وأنه تقوم بذاته الامور الاختيارية وأنه تعالى لم يزل متصفا بصفاته الذاتية والفعلية فلم يحدث له أسماء من أسمائه ولا صفة من صفاته فيخلق سبحانه المخلوقات ويحدث الحوادث بمقدار لم تكن سواء كلن

ذلك على مثال سابق أولا والابداع لاحداث الشيء بعد أن لم يكن على غير مثال سابق (من غير حاجة) منه تعالى اليه أي يخلق الخلق لا الحاجة اليه ولا (اضطرار) عليه فالحاجة المصاحبة والمنفعة والاضطرار الى الماء والاحواج والالزام والاكرام فلا حاجة باعثة له سبحانه على خلقه للخلق ولا مكروه له عليه بل خلق المخلوقات وأمر بالمأمورات لمحض المشيئة وصرف الارادة وهذا قول جمهور من ثبت القدر وينسب الى السنة من أهل الكلام والفقه وغيرهم وقال به طوائف من الحنبلية والمالكية والشافعية وغيرهم وهو قول أبي الحسن الاشعري وأصحابه وهو قول كثير من نفاة القياس في الفقه من الظاهرية كابن حزم وأمثاله وحجة هذا أنه لو خلق الخلق لعلة لكان ناقصا بدونها مستكملا بها فانه إما أن يكون وجود تلك اللة وعدمها بالنسبة اليه سواء أو يكون وجودها أولى به فان كان الاول امتنع أن يفعل لاجلها وان كان الثاني ثبت أن وجودها أولى به فيكون مستكملا بها فيكون قبلها ناقصا وأيضا فاللة ان كانت قديمة وجب قدم المعلول لان اللة الفاعلة وان كانت متقدمة على المعلول في العلم والقصد فهي متأخرة في الوجود عن المعلول كما يقال - أول الفكرة آخر العمل - وأول البنية آخر المدرك - ويقال ان اللة الفاعلة بها صار الفاعل فاعلا فن فعل فاعلا المطلوب يطلبه بذلك الفعل كان حصول المطلوب بعد الفعل فاذا قدر أن ذلك المطلوب الذي هو اللة قديما كان الفعل قديما بطريق الاولى فلو قيل انه يفعل للة قديمة لزم أن لا يحدث شيء من الحوادث وهو خلاف المشاهدة وان قيل انه فعل للة حادثة لزم محذوران (أحدهما) ان يكون محل الحوادث فان اللة ان كانت منفصلة عنه فان لم يعد اليه منها حكم امتنع أن يكون وجودها أولى به من عدمها وان قدر أنه عاد اليه منها حكم كان ذلك حادثا فتقوم به الحوادث والمحذور الثاني أن ذلك يستلزم التسلسل من وجوب أحدهما أن تلك اللة الحادثة المطلوبة بالفعل هي أيضا مما يحدثه الله تعالى بقدرته ومشيئته فان كانت لغير اللة لزم العبث كما تقدم وان كان للة عاد التقسيم فيها فاذا كان كل ما يحدثه أحدثه للة واللة ما أحدثه لزم تسلسل الحوادث (الثاني) ان تلك اللة إما أن تكون مرادة لنفسها أو للة أخرى فان كان الاول امتنع حدوثها لان ما أراده الله تعالى لذاته وهو قادر عليه لا يؤخر

أحداثه وان كان الثاني فالقول في ذلك الغير كالقول فيها و يلزم التسلسل فهذه الحجج من حجاج من ينفي تعليل أفعال الله تعالى وأحكامه (التقدير الثاني) قول من يجعل العلة الغائية قديمة كما يجعل العلة الفاعلية قديمة كما يقوله الفلاسفة القائلون بقدم العالم وأصل قول هؤلاء أن المبدع للعالم علة تامة تستلزم معلولها فلا يجوز أن يتأخر عنها معلولها وأعظم حججهم قولهم أن جميع الامور المتبصرة في كونه فاعلا ان كانت موجودة في الازل لزم وجود المفعول في الازل لان العلة التامة لا يتأخر عنها معلولها فانه لو تأخر لم تكن جميع شروط الفعل وجدت في الازل فانا لانفي بالعلة التامة الا ما تستلزم المعلول فاذا قدر أنه تخلف عنها المعلول لم تكن تامة وان لم تكن العلة التامة التي هي جميع الامور المتبصرة في الفعل وهي مقتضي التام لوجود الفعل وهي جميع شروط الفعل التي يلزم من وجودها وجود الفعل وان لم تكن جميعها في الازل فلا بد اذا وجد المفعول بعد ذلك من تجديد سبب حادث والا لزم ترجيح أحد طرفي الممكن بلا مرجح واذا كان هناك سبب حادث فالقول في حدوثه كالقول في الحادث الاول و يلزم التسلسل قالوا فالقول بانتفاء العلة التامة المستلزمة للمفعول يوجب اما التسلسل واما الترجيح بلا مرجح ثم أكثر هؤلاء يثبتون علة غائية للفعل وهي بعينها الفاعلة لكنهم متناقضون فانهم يثبتون له العلة الغائية ويثبتون لفعله العلة الغائية ويقولون مع هذا ليس له ارادة بل هو موجب بالذات لافاعل بالاختيار وقولهم باطل من وجوه كثيرة مذكورة في محالها منها ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه في كتابه (حسن الارادة) هذا القول يستلزم أن لا يحدث شيء وان كل ما حدث حدث بغير أحداث محدث ومعلوم أن بطلان هذا بين وأطال في رد ذلك وما ذكر أن يقال لهم حدوث حادث بعد حادث بلا نهاية اما أن يكون ممكنا في العقل أو ممتمنا فان كان ممتمنا لزم أن الحوادث جميعها لها أول كما يقوله أهل الحق وبطل قولهم بقديم حركات الافلاك وان كان ممكنا أمكن أن يكون حدوث ما أحدثه الله تعالى كالسموات والارض موقوف على حوادث قبل ذلك كما تقولون أنتم فيما يحدث في هذا العالم من الحيوان والنبات والمعادن والمطر والسحاب وغير ذلك فيلزم فساد حججكم على

التقديرين ثم يقال اما أن تثبتوا المبدع العالم بحكمة وغاية مطلوبة أولا فان لم تثبتوا بطل قولكم باثبات العلة الغائية وبطل ما تذكرونه من حكمة البارئ تعالى في خلق الحيوان وغير ذلك من المخلوقات وأيضا فالوجود يبطل هذا القول فان الحكمة الموجودة في الوجود أمر يفوت المد والاحصاء كاحدائه سبحانه لما يحدثه من نعمته ورحمته وقت حاجة الخلق اليه كاحداث المطر وقت الشتاء بقدر الحاجة واحداثه للانسان الآلات التي يحتاج اليها بقدر حاجته وأمثال ذلك مما هو كثير جدا وان أثبتتم له تعالى حكمة مطلوبة وهي باصطلاحكم العلة الغائية لزم أن تثبتوا له المشيئة والارادة بالضرورة فان القول بأن الفاعل فعل كذا لحكمة كذا بدون كونه مريدا لتلك الحكمة المطلوبة جمع بين التقيضين وهو لا، المتفلسفة من أكثر الناس تناقضا ولهذا يجمعون العلم هو العالم والعلم هو الارادة والارادة هي القدرة وأمثال ذلك

(التقدير الثالث) وهو انه سبحانه فعل المفعولات وأمر بالمأمورات لحكمة محدودة قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذا قول أكثر الناس من المسلمين وغيرهم وقول طوائف من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضي الله عنهم وقول طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والكرامية والمرجئة وغيرهم وقول أكثر أهل الحديث والتصوف وأهل التفسير وأكثر قدماء الفلاسفة وكثير من متأخريهم كابي البركات وأمثاله لكن هؤلاء على أقوال منهم من قال ان الحكمة المطلوبة مخلوقة ومنفصلة عنه تعالى وهم المعتزلة والشيعة ومن وافقهم قالوا الحكمة في ذلك احسانه للخلق والحكمة في الامر تعريض المكلفين للثواب قالوا فعل الاحسان الى الغير حسن محمود في العقل فخلق الخلق لهذه الحكمة من غير أن يعود اليه من ذلك حكم ولا قام به نعت ولا فعل فقال لهم الناس أنتم تناقضون في هذا القول لان الاحسان الى الغير محمود لكونه يعود منه الى فاعله حكم يحمده لاجله اما لتكميل نفسه بذلك واما لقصده الحمد والثواب بذلك واما لركة وألم يحمده في نفسه يدفع بالاحسان ذلك الالم واما لاتذاده وسروره وفرحه بالاحسان فان النفس الكريمة تفرح وتسر وتلتذ بالخير الذي يحصل منها الى غيرها فالاحسان الى الغير محمود لكون المخنن يعود اليه من فعله هذه الامور أما اذا قدر أن وجود الاحسان وعدمه بالنسبة الى الفاعل

سواء لم يعلم أن مثل هذا الفعل يحسن منه بل مثل هذا يعد عبثاً في عقول العقلاء وكل من فعل فعلاً ليس فيه لنفسه لذة ولا مصلحة ولا منفعة بوجه من الوجوه لاعاجلة ولا آجلة كان عبثاً ولم يكن محموداً على هذا وأنتم علمتم أفعاله تعالى فرارا من العبث فوقتم فيه فان العبث هو الفعل الذي لا مصلحة ولا منفعة ولا فائدة تعود على الفاعل ولهذا لم يأمر الله تعالى ولا ينهيه ولا يؤمره ولا أحد من العقلاء أحداً بالاحسان الى غيره ونفعه ونحو ذلك الا لما له في ذلك من المنفعة والمصلحة فأمر الفاعل بفعله لا يعود عليه منه لذة ولا سرور ولا منفعة ولا فرح بوجه من الوجوه لافي العاجل ولا في الآجل لا يستحسن من الأمر ومن ثم قال ﴿ لكنّه ﴾ تعالى وتقدس هذا استمراءك من مفهوم قوله انه يخلق بالأختيار أي بالذات خلافا للمعتزلة ومن وافقهم من غير حاجة اليه ولا اضطراب عليه غير أنه جل وعلا ﴿ لا يخلق الخلق سدى ﴾ أي مهابلاً أمر ولا نهى ولا حكمة ومعنى السدى المهل وأبل سدى اذا كانت ترعى حيث شئت بلا راع ﴿ كما أتى في النص ﴾ القرآني والسنة النبوية والآثار ما هو كبير جداً أن الله تبارك وتعالى لا يفعل الا بالحكمة وعلم وهو العليم الحكيم فما خلق شيئاً ولا قضاء ولا شرعه الا بحكمة بالغة وان تقاصرت عنها عقول البشر ﴿ فاتبع الهدى ﴾ باقتفاء المآثر واتباع السلف الصالح ولا تتجحد حكيمته كما لا تتجحد قدرته فهو الحكيم القدير قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونشأ من هذا الاختلاف نزاع بين المعتزلة وغيرهم ومن وافقهم في مسألة التحسين والتبجح العقلي فأثبت ذلك المعتزلة والكرامية وغيرهم ومن وافقهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأهل الحديث وغيرهم رضي الله عنهم وحكوا ذلك عن الامام أبي حنيفة نفسه رضي الله عنه ونفي ذلك الاشعرية ومن وافقهم من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم واتفق الفريقان على أن الحسن والقبح اذا فسر بكون الفعل نافعا للفاعل مآعاً له وكونه ضاراً للفاعل منافراً له انه يمكن معرفته بالعقل كما يعرف بالشرع وظن من ظن من هؤلاء وهؤلاء أن الحسن والقبح المعلوم بالشرع خارج عن هذا وليس كذلك بل جميع الافعال التي أوجبها الله تعالى ونهى اليها هي نافعة لفاعليها ومصلحة لهم وجميع الافعال التي نهى الله عنها هي

ضارة لفاعليها ومفسدة في حقهم والمحد والثواب المترتب على طاعة الشارع نافع للفاعل ومصلحة له والتم والعقاب المترتب على معصيته ضارة للفاعل مفسدة له والمعتزلة أثبتت الحسن في أفعال الله تعالى لا بمعنى حكم يعود اليه من أفعاله تعالى قال الشيخ ومنازعوهم لما اعتقدوا أن لا حسن ولا قبح في الفعل الا مانعاً الى الفاعل منه حكم نفوا ذلك وقالوا القبيح في حق الله تعالى هو الممتع لذاته وكل ما يقدر ممكننا من الافعال فهو حسن اذ لا فرق بالنسبة اليه عندهم بين مفعول ومفعول وأولئك يعني المعتزلة أثبتوا حسناً وقبحاً لا يعود الى الفاعل منه حكم يقوم بذاته وعنهم لا يقوم بذاته لا وصف ولا فعل ولا غير ذلك وإن كانوا قد يتناقضون ثم أخذوا يقيسون ذلك على ما يحسن من العبد ويقيح فجعلوا يوجبون على الله سبحانه من جنس ما يوجبون على العبد ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ويسمون ذلك العدل والحكمة مع قصور عقلمهم عن معرفة حكمته فلا يثبتون له مشيئة عامة ولا قدرة تامة فلا يجعلونه على كل شيء. قدبر ولا يقولون ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يقولون بأنه خالق كل شيء. ويثبتون له من الظلم ما نزه نفسه عنه فانه سبحانه قال (ومن يعمل من الصالحات وهو موثمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) أي لا يخاف ان يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته وقال تعالى (ما يبدل القول لدي) وما أنا بظلام للعبيد) وفي حديث البطاقة عند الترمذي وغيره «لا ظلم عليك اليوم»

والحاصل ان فعل الله تعالى وتقدس وأمره لا يكون لعله في قول مرجوح اختاره كثير من علمائنا وبعض المالكية والشافعية وقاله الظاهرية والاشعرية والجهمية والقول الثاني انهما لعله وحكمة اختاره الطوفي وهو مختار شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن قاضي الجبل وحكاه عن اجماع السلف وهو مذهب الشيعة والمعتزلة لكن المعتزلة تقول بوجود الصلاح ولهم في الاصلح قولان كما يأتي في التنظيم والمحالفون لهم يقولون بالتعليل لاعلى منهج المعتزلة قال شيخ الاسلام لا أهل السنة في تمثيل أفعال الله تعالى وأحكامه قولان والا كثرون على التعليل والحكمة وهل هي منفصلة عن الرب لا تقوم به أو قائمة مع ثبوت الحكم المنفصل ؟ لهم فيه أيضاً

قولان وهل ينسلسل الحكم أولا ينسلسل أو ينسلسل في المستقبل دون الماضي ؟
 فيه أقوال قال احتج المثبتون للحكمة والعلّة بقوله تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني
 اسرائيل) وقوله (كيلا يكون دولة) وقوله (وما جعلنا القبلّة اليّ كنت عليها الا لنعلم)
 ونظائرهما ولانه تعالى حكيم شرع الاحكام لحكمة ومصصلحة لقوله تعالى (وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين) والاجماع واقع على اشتمال الافعال على الحكم والمصالح جوازا
 عند أهل السنة ووجوبها عند المعتزلة فيفعل ما يريد بحكمته وتقدم انّ النافين
 للحكمة والعلّة احتجاجوا بما احتجوا به انه يلزم من قدم العلّة قدم المعلول وهو
 محال ومن حدودها افتقارها الى علّة أخرى وانه يلزم التسلسل قال الامام الرازي
 وهو مراد المشايخ بقولهم كل شيء صنمه ولا علّة لصنمه وما أجاب به من قال
 بالحكمة وانها قديمة لا يلزم من قدم العلّة قدم معلولها كالأرادة فانها قديمة ومتعلّقتها
 حادث وتقدمت الاشارة في أول البحث الى محصل هذا كله والحاصل ان شيخ
 الاسلام وجمعا من تلامذته أثبتوا الحكمة والعلّة في أفعال الباري جل وعلا وأقاموا
 على ذلك من البراهين ماله لا يتي في تخيلة الفطيين السالم من رتبة تقليد الاساطين
 أدنى اختلاج وأقل تخمين وأما الامام المحقق شمس الدين ابن القيم فقد أجلب
 وأجنب وأتى بما يقضي منه العجب في كتابه (شرح منازل السائرين) و (مفتاح دار
 السعادة) وغيرهما فما احتج به في مفتاح دار السعادة قوله تعالى (أم حسب الذين
 اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم
 ساء ما يحكمون) فدل على ان هذا حكم بشيء قبيح يتنزه الله عنه فأنكره من جهة
 قبحه في نفسه لا من جهة كونه انه لا يكون ومن هذا انكاره تعالى على من جوز
 ان يترك عباده سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم وان هذا الحساب
 باطل والله متعال عنه لما فاته حكمته فقال تعالى (أعجب الانسان ان يترك
 سدى) فانكر سبحانه على من زعم انه يترك سدى انكار من جمل في العقل
 استباح ذلك واستهجاناه وانه لا يليق ان ينسب ذلك الى أحكم الحاكمين ومثله
 قوله تعالى (ألحستم ان ما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون) فتعالى الله الملك
 الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) فنزه نفسه سبحانه وباعداه عن هذا

الحسبان وأنه متعال عنه فلا يلقى به لقبه ومناقاته الحكمة وهذا يدل على اثبات المعاد بالعقل كما يدل على اثباته بالسمع ثم ان ابن القيم بسط القول ووسع العبارة في أزيد من عشرة كراريس ثم قال : الكلام هنا في مقامين أحدهما في التلازم بين الحسن والقبح العقليين وبين الإيجاب والتحريم شاهداً وغائباً والثاني في انتفاء اللازم وثبوته فأما المقام الاول فلنثبت الحسن والقبح فيه طريقان أحدهما ثبوت التلازم والقول باللازم وهذا القول هو المعروف عن المعتزلة وعليه يناظرون وهو القول الذي نصب خصومهم الخلاف معهم فيه والقول الثاني اثبات الحسن والقبح وأرأباه يقولون بآبائه ويصرحون بنفي الإيجاب قبل الشرع على العبد وبني إيجاب على الله شيئاً البتة كما صرح به كثير من الحنفية والحنابلة كآبي الخطاب وغيره والشافعية كسعد بن علي الزنجاني الامام المشهور وغيره وهؤلاء في نفي الإيجاب العقلي في المعرفة بالله وثبوته خلاف قال فلا أقوال أربعة لا مزيد عليها (أحدها) نفي الحسن والقبح ونفي الإيجاب العقلي في العمليات دون العمليات كالمعرفة وهذا اختيار آبي الخطاب وغيره فعرف أنه لا تلازم بين الحسن والقبح وبين الإيجاب والتحريم العقليين فهذا أحد المقامين

(وأما المقام الثاني) وهو انتفاء اللازم وثبوته فلنأس فيه هنا ثلاث طرق أحدها التزم ذلك والقول بالوجوب والتحريم العقليين شاهداً وغائباً وهذا قول المعتزلة وهؤلاء يقولون : يترتب الوجوب شاهداً ويترتب المدح والذم عليه . وأما الصفات فلهم فيها اختلاف وتفصيل فن أثبتة منهم يقولون ان العذاب الثابت بعد الإيجاب الشرعي نوع آخر غير العذاب الثابت على الإيجاب العقلي وبذلك يجيبون عن النصوص النافية للعذاب قبل البعثة وأما الإيجاب والتحريم العقليان غائباً فهم مصرحون بهما ويفسرون ذلك باللزم الذي أوجبه حكته وأنه يستحيل عليه خلافه كما يستحيل عليه الحاجة والنوم والتعب والغوب فهذا معنى الوجوب والامتناع في حق الله تعالى عندهم فهو وجوب اقتضته ذاته وحكته وامتناع مستحيل عليه الاتصاف به لمناقاته كماله وغناه قالوا وهذا في الافعال نظير ما يقول أهل السنة في الصفات أنه يجب له كذا ويمتنع عليه

كذا فكما ان ذلك وجوب وامتناع ذاتي يستحيل عليه خلافه فهكذا ما تقتضيه حكمته وتأباه يستحيل عليه الاخلال به وان كان مقدوراً له لكنه لا يخل به لكمال حكمته وعلمه وغناه

(الفرقة الثانية) منعت ذلك جملة وأحالت القول به وجوزت على الرب تعالى كل شيء ممكن وردت الاحالة والامتناع في أفعاله تعالى الى غير الممكن من المحالات كالجمع بين التقيضين وبإياه قابلوا المعترلة أشد مقابلة واقسما طسرفي الافراط والتفريط ورد هو لاء الوجوب والتحريم الذي جاءت به النصوص الى مجرد ضدق الخبر فإ أخبر أنه يكون فهو لتصديق خبره وما أخبر أنه لا يكون فهو ممتنع لتصديق خبره والتحريم عندهم راجع الى مطابقة العلم لمعلومه والمخبر لخبره وقد يفسرون التحريم بالامتناع عقلاً كتحریم الظلم على نفسه فانهم يفسرونه بالمستحيل لذاته كالجمع بين التقيضين وليس عندهم في المقدور شيء هو ظلم يتنزه الله عنه مع قدرته عليه وحكمته وعدله فهذا قول الاشعرية ومن وافقهم

(الفرقة الثالثة) هم الوسط بين هاتين الفرقتين فان الفرقة الاولى أوجبت على الله شريعة بعقولها حرمت عليه وأوجبت ما لم يحرمه على نفسه ولم يوجه على نفسه والفرقة الثانية جوزت عليه ما تعالى ويتنزه عنه لما فاته حكمته وكاله والفرقة الوسطا أثبتت له ما أثبتته لنفسه من الايجاب والتحريم الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته الذي لا يليق نسبته الى ضده لانه موجب كاله وحكمته وعدله ولم تدخله تحت شريعة وضعها بعقولها كما فعلت الفرقة الاولى ولم تجوز عليه ما نزه نفسه عنه كما فعلت الفرقة الثانية قالت الفرقة الوسط قد أخبر الله تعالى انه حرم الظلم على نفسه كما قال على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي» وقال (ولا يظلم ربك أحدا) وقال (وما ربك بظلام للعبيد) وقال (ولا تظلمون قتيلا) فأخبر بتحريمه على نفسه ونفى عن نفسه فعله وارادته وللتاس في تفسير هذا الظلم الذي حرمه على نفسه تعالى وتنزه عن فعله وارادته ثلاثة أقوال بحسب أصولهم وقواعدهم (أحداها) انه نظير الظلم من الآدميين بعضهم لبعض فتشبهوه في الافعال ما يحسن منها وما لا يحسن بعباده فحصر واهل من قبل أنفسهم الامثال نصاروا بذلك مشبهة ممثلة في الافعال وامتنعوا من اثبات المثل

الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في أفعاله بخلقه كما أن الجهمية المعطلة امتنعت من اثبات المثل الأعلى الذي أثبتته لنفسه ثم ضربوا له الامثال ومثله في صفاته بالجدادات الناقصة بل بالمردومات وأهل السنة نزوهه عن هذا وهذا وأثبتوا ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ونزوهه فيها عن الشبيه والمثال فأثبتوا له المثل الأعلى ولم يضربوا له الامثال فكأنوا أسعد الناس بمعرفته واحقهم بولايته ومحبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ألزم أصحاب هذا التفسير عنه من اللوازم الباطلة مالا قبل لهم به فقالوا اذا أمر العبد ولم يعنه بجميع مقدوره تعالى من وجوه الاعانة فقد ظلمه وألزموا انه لا يقدر أن يهدي ضالا كما زعموا أنه لا يقدر أن يضل مهتديا وقالوا انه اذا أمر اثنين بأمر واحد وخص أحدهما بأعانتة على فعل المأمور كان ظلما وأنه اذا اشترك اثنان في ذنب وجب العقاب فمقاب به أحدهما وعفا عن الآخر كان ظلما الى غير ذلك من اللوازم الباطلة التي جملوا لاجلها ترك تسويته بين عبادته في فضله وإحسانه ظلما فعارضهم أصحاب التفسير الثاني وقالوا الظلم المنزه عنه من الامور الممتنة لذاتها فلا يجوز أن يكون مقدورا له تعالى ولا انه تركه بمشيئته واختياره وانما هو من باب الجمع بين الضدين وجعل الجسم الواحد في مكانين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما ونحو ذلك والافكل ما يقدره الفهم وكان وجوده ممكنا والرب قادر عليه فليس بظالم سواء فعله أو لم يفعله وتلقى هذا القول عنهم طوائف من أهل العلم وفسروا الحديث به وأسندوا ذلك وقوّوه بآيات وأثار زعموا أنها تدل عليه كقوله تعالى (ان تعذبهم فأنهم عبادك) يعني لم تصرف في غير ملكك بل انما عذبت من تملك وعلى هذا فجوزوا تعذيب كل عبده ولو كان محسنا ولم يروا ذلك ظلما وقوله تعالى (لا يستل عايفعل وهم يستلون) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم «ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» وباروى عن اياس بن معاوية قال: ما ناظرت بعقلي كله أحدا الا القدريّة قلت لهم ما الظلم قالوا ان تأخذ ما ليس لك وأن تصرف فيما ليس لك قلت فله كل شيء والتزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم ان الله تعالى يجوز عليه أن يعذب انبياءه ورسله وملائكته

وأولياءه وأهل طاعته ويخلد لهم في العذاب الاليم ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه وأنه يعلم أن لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار متمتعاً بإخباره أنه لا يفعله لامنفاة حكمته ولا فرق بين الأمرين بالنسبة إليه ولكن أراد هذا وأخبر به وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لأرادته وخبره وامتنع ضده لعدم إرادته وإخباره بأنه لا يكون. والتزموا أيضاً أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلاً ويخلد لهم في الجحيم وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معاً أصحاب التفسير الثالث وقالوا: الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتزعه عنه فعلاً وإرادة هو ما فسر به سلف الأمة وأمنها أنه لا يحمل عليه سيئات غيره ولا يعذب بما لا تناسب يده ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو يعرضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطائها أو اقتصاص المظلومين منها وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال السلف والمفسرون لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره ولا ينقص من حسناته فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه وأما الجمع بين التقيضين وقلب القديم محدثاً والمحدث قديماً فيما يتزعه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلماً وعن نفي خوفه عن العبد فكيف بكلام رب العالمين. قالوا وأما استدلالكم بتلك النصوص الدالة على أنه سبحانه أن عذبتهم فأنهم عباده وأنه غير ظالم لهم وأنه لا يستل عما يفعل وإن قضاءه فيهم عدل وبمناظرة إياساً للتقديرية فهذه النصوص وأمثالها كلها حق يجب القول بموجبها ولا تحرف بمعانها والكل من عند الله ولكن أي دليل فيها يدل على أنه يجوز عليه تعالى أن يعذب أهل طاعته وينم أهل معصيته ويعذب بنفير جرم ويحرم المحسن جزاء عمله ونحو ذلك بل كلها متفقة متطابقة دالة على كمال القدرة وكال العدل والحكمة فالنصوص التي ذكرناها تقتضي كمال عدله وحكمته وغناه ووضعه العقوبة والثواب مواضعها وأنه لم يعدل بهما عن مسببهما والنصوص التي ذكرتموها تقتضي كمال قدرته وانفراده بالربوبية والحكم وأنه ليس فوقه أمر ولا ناه يتعقب أفعاله بسؤال وأنه لو عذب أهل سمواته وأرضه لمكان ذلك ثمذياً لحقه.

عليهم وكانوا اذ ذاك مستحقين للعذاب لان اعمالهم لا تفي بنجاتهم كما قال صلى الله عليه وسلم «لن ينجي احدا منكم عمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله قال «ولا أنا الا ان يتغمدني الله برحمته منه وفضل» فرحمته لهم ليس في مقابلة اعمالهم ولا هي ثمن لما قامها خير منها كما قال في الحديث نفسه «ولو رحمهم لكنت رحمتهم خيرا من اعمالهم» فجميع بين الامرين في الحديث انه لو عذبهم لعذبهم باستحقاقهم ولم يكن ظالما لهم وانه لو رحمهم لكان ذلك مجرد فضله وكرمه لا بأعمالهم اذ رحمته خير لهم من اعمالهم فطاعات العبد كلها لا تكون في مقابلة نعم الله عليهم ولا مساوية لها بل ولا للقليل منها فكيف يستحقون بها على الله النجاة وطاعة المطيع لانسبة لها الى نعمة من نعم الله عليه فتبقى سائر النعم تنقضاء شكرا والعبد لا يقوم بمقدوره الذي يحب الله عليه فجميع عبادته تحت عفوه ورحمته وفضله فما نجا منهم أحد الا بعفوه ومغفرته ولا فاز بالجنة الا بفضله ورحمته واذا كانت هذه حال العباد فلو عذبهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم لان حيث كونه قادراً عليهم وهم ملك له بل لاستحقاقهم ولو رحمهم لكان ذلك بفضله لا بأعمالهم ويأتي لهذا مزيد تحرر والله أعلم اهـ

(المنار) أيها الأشعري انك ترى في هذه الجملة من القول عن أئمة الامة ما ينبئك بمحققة معنى العلة والحكمة وأن كلا من المعتزلة والأشعرية أخطأوا من جهة وأصابوا من أخرى ، وأن مذهب السنة الصحيح وسط بين المذهبين وأن أخذ العلم من كتب طائفة تؤيد مذهباً معيناً دون النظر في كتب أهل المذاهب الأخرى منك الآخذ من رقة التقليد ولا يهديه الى طريقة التمهيص والتحديد وان كتب ابن تيمية وابن القيم أنفع كتب الكلام وان هذين الشيخين هما الجديران بلقب شيخ الاسلام فقد أصاب من لقبهما به من العلماء الاعلام وخلاصة القول الحق أن العقل والكتاب يدلان على حكمة الله تعالى وعده ورحمته وفضله كما يدلان على قدرته وإرادته واختياره يستحيل عليه أضدادها فكل أفضاله حكمة ومصلحة للخلق والحكمة أو المصلحة في الفعل تسمى في اللغة علة وجاء ذلك في القرآن بحرف التعليل فاجمع بين العقل والنقل تهتد السبيل ولا تنكفر أو تضل أحدا من أهل القبلة اذا هو خالف مذهبك بالعلمة أو غير العلمة

فَتْوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، إذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده ومهله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمي إلى اسمه بالحروف إن شاء ، وأتانا ذكر الاسئلة بالتسوية غالباً وروى ما قدمنا من أسئلة السبب كعاجلة الناس إلى بيان موضوعه ورما أحيانا غير مشتركين لهذا ، ولبن يعني على سؤاله شهران أو ثلاثة إن يذكرهم مرة واحدة فإن لم يذكره كان لنا عذر صحيح لأخفائه

في الاسئلة الجاوية في سماع آلات اللهب

جاءتنا الاسئلة الآتية من جاوه فأرجأنا الجواب عنها حتى نسيناها بسقوط صحيفتنا بين الرسائل المهمة ثم رأيناها الآن فندكرها مردا ثم نجيب عنها والظاهر أنها عرضت على غيرنا ولكن لم نسع لما صدق وهي

(السؤال الاول)

ما قولكم مع الله بحياتكم وأحيا بكم معالم الدين وشريعة سيد المرسلين في نصريح الأئمة المشهورين الذين هم من حملة الشريعة المطهرة بتحريم سماع الاوتار التي هي من آلة الملاهي المحرمة كالعود المعبر عنه بالقنبوس وتصريحهم بأنها شعار شرية الخمر وبفسق مستمعها وتأنيبه وبرد شهادته (وذلك) كقول حجة الاسلام الفزالي في كتابه احيا علوم الدين ما معناه فخر ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير الى قوله فيحرم التشبه بهم لان من تشبه بقوم فهو منهم انتهى (وقوله) فيه أيضا ومنها أي المنكرات سماع الأوتار أو سماع القينات الى ان قال فكل ذلك محظور منكري يجب تغييره ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات انتهى (وقوله) أيضا يحرم السماع بخمسة عوارض الى قوله والثاني الآلة بأن تكون من شعار الشرية والخمسين وهي المزامير والأوتار انتهى (وكقول) الشيخ ابن حجر في التحفة ما ملخصه ويحرم استعمال آلة من شعار الشرية كقنبور وعود وورباب ومزمار وسائر أنواع الأوتار لأن اللذة الحاصلة منها تدعو الى فساد ولائها شعار الفسقة والتشبه بهم حرام انتهى (ومثله) في النهاية للشيخ الزملي . (وقول) الشيخ ابن حجر في كتابه

الزواج عن اقتراف الكبائر ما معناه من استمع الى شيء من هذه المجرمات فسق ووردت شهادته انتهى (وقوله) فيه أيضاً أما المزامير والاوزار والكوبة فلا يختلف في تحريم استماعها وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخور والفسوق ومهيج للشهوات والفساد والمجون وما كان كذلك لم يشك في تحريمه ولا في تفسيق فاعله وتأثيره انتهى ملخصاً . وقد أورد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كتابه النصائح الدينية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا قلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء: وذكر من جعلها اتحاد القينات والمعازف يعني الملاهي من الاوزار والمزامير (وقول) الحبيب عبد الله بن حسين في كتابه سلم التوفيق في عدد كبائر الذنوب ما لفظه: واللعب بالآلات الهوا المحرمة كالطنبور والرباب والمزمار والاوزار: وكصر يوح هو لاء الأئمة نصريح غيرهم من حملة الشريعة المحمدية بالتحريم وانفاقهم عليه حيث انفقوا على تحريم العود وهو القنبوس وما ذكر معه وعلى تفسيق فاعله وسماعه وعلى رد شهادتهم (فل) قول هو لاء الأئمة ونصريحهم بما ذكر معتمد في المذهب وممول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو اجتناب هذا المحرم المتفق عليه وعلى تفسيق فاعله أم لا

﴿السؤال الثاني﴾

وما قولكم متع الله بحياتكم وحفظ بكم الشريعة المطهرة في نصريح هو لاء الأئمة وغيرهم من المحققين موافقة للمذاهب الاربعة في الرد الشنيع على من أباح تلك الآلة المحرمة كصريح الشيخ ابن حجر في التبعة بقوله إني رأيت نهات كثيرين على كتاب لبعض من أدركنهم من صوفية الوقت تبع فيه خراف ابن حزم وأباطيل ابن طاهر وكذب الشنيع في تحليل الاوزار وغيرها ولم ينظر لكونه مذموم السيرة مردود القول عند الأئمة ووقع بعض ذلك للدافري في تأليف له في السماع وغيره وكل ذلك يجب الكف عنه واتباع ما عليه أئمة المذاهب الاربعة وغيرهم انتهى بالاختصار (ومثله) في النهاية للشيخ الرملي وغيرها (وكصريح) الشيخ ابن حجر في الزواجر بقوله وأما حكاية ابن طاهر عن صاحب التنبيه أنه كان يبيع سماع العود ويسمعه وأنه مشهور عنه ولم يكن من علماء عصره من يشكر عليه

وان حله ما أجمع عليه أهل المدينة قد دروه على ابن طاهر بأنه مجازف! باحي كذاب رجس العقيدة نجسها ومن ثم قال الأذري عقب كلامه هذا وهذه مجازفة وانما فعل ذلك بالمدينة أهل المجانة والبطالة ونسبة ذلك الى صاحب التنبية كما رأيت في كتاب له في السماع نسبة باطلة قطعاً وقد صرح في مذهبه بتحريم العود وهو قضية ما في تنبيهه ومن عرف حاله وشدة ورعه ومتين نقواه جزم ببعده عنه وطهارة ساحته منه انتهى (وكتصريح) الشيخ الباجوري في حاشيته على ابن قاسم بقوله

فاجزم على التحريم أي جزم والرأي ان لا تتبع ابن حزم

قد أبحث عنده الاوتار والعود والطنبور والمزمار

(وتصريح) الشيخ ابن حجر أيضاً في الزواجر بقوله ومن عجيب تساهل ابن حزم واتباعه لهواه أنه بلغ من التعصب الى ان حكم على هذا الحديث وكل ما ورد في الباب بالوضع وهو كذب صراح منه فلا يحل لاحد التعويل عليه في شيء من ذلك انتهى (وقوله) أيضاً في موضع آخر فقد حكيت آراء باطلة منها قول ابن حزم وقد سمعته أي العود ابن عمر وابن جعفر رضي الله عنهما وهو من جموده على ظاهر يته الشنيعة القبيحة وما زعمه من هذين الامامين ممنوع ولا يثبت ذلك عنهما وحاشاهما من ذلك لشدة ورعهما وبعدهما من اللهوانتهى ملخصاً وقول الشيخ الرملي في النهاية وما حكى عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد أنهما كانا يسمعان ذلك فكذب انتهى (فهل) تصريح هؤلاء الائمة الذين هم حلة الشريعة المطهرة بهذا الرد الشنيع على أهل الاوتار وتكذيب نقولهم معتد في المذهب ومعمول عليه يجب العمل بمقتضاه وهو عدم جواز التعويل ولا الالتفات الى من أحل الاوتار وعدم جواز نسبة سماعها الى أحد من العلماء أو الصالحاء أم لا

(السؤال الثالث)

وما قولكم مع الله بكم وشيد بكم أركان الدين في شأن سيرة السلف الصالحين من العلويين وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم في شدة مجاهدتهم واجتهادهم واستغراق أوقاتهم في تحصيل العلوم بشرائطها وآدابها ثم اجتهادهم في العبادة من دوام القيام وسرد الصيام بكال المتابعة وشدة المجاهدة للنفس ومكابدتها والورع والزهد

كما لا يخفى على من اطلع على كتب تراجمهم ومناقبهم رضي الله عنهم كالمشعر الروي والجوهر الشفاف والبرقة المشيقة وغير ذلك ان كثيرا منهم من يصلي الصبح بوضوء العشاء في عدة سنين كثيرة وختم القرآن بعدد كثير من زمن يسير وغير ذلك من الاعمال الصالحات مع غاية الزهد والورع وترك ملاذ الدنيا المباحة فضلا عن المحرمة وغير ذلك من أوصافهم الحميدة وشدة مجاهدتهم ما يحير عقل من وقف على سيرتهم ومن مخالفتهم للنفس والهوى ما يقطع يقينا على بعد ساحتهم عن الملامح ونظافة ساحتهم من المناهي (فهل) يسوغ للمؤمن بالله ان ينسب الى أحد منهم سماع العود الذي اتفق الأئمة الشرعية على تحريمه وتفسيق فاعله حتى يعتقد الغوغاء بسبب هذه النسبة والافراء حل سماع العود وأنه من شعار الصالحين أم لا يسوغ ذلك

(السؤال الرابع)

وما قولكم منع الله بكم وصان بكم شريعة سيد المرسلين فيما اذا سمع هذا القنبوس اناس من المرسمين بالعلم أو من أهل البيت النبوي يبحث يقتدي بهم الغوغاء ويحتجون بسماعهم له على جواز سماع القنبوس (فهلا) يعظم وزر المقتدي بهم ويدخلون في قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » أم لا

(السؤال الخامس)

وما قولكم منع الله بكم وذبح بكم عن شريعة سيد المرسلين من دعاوي الكاذبين في مانص به العلامة السيد مصطفى العرومي في كتابه نتائج الافكار وهو قوله: (تنبيه) ان قال قائل نحن لانسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفي الله لا بمحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله في تركيك وما وصفك من حب الشهوات وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فارق الفه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب انتهى وفي مانص به الشيخ البجيرمي على الاتباع وهو قوله وما قيل عن بعض الصوفية من جواز استماع الآلات المطربة لما فيها من التشاط على الذكر وغير ذلك فهو من تهوهم وضلالهم فلا يعول

عليه انتهى (فهل) هذه النصوص صحيحة يجب العمل بمقتضاها وهو عدم الاعتراض بخلافات الأعيان أم لا افتونا في هذه الاسئلة فان البلية الباعثة عليها قد عمت مصيبتها وطارت شررها هل الله بنور علمكم يطفئها لا زلتم ناصرين لشريعة سيد المرسلين وللمعاونة على البر والتقوى معاوين احيا الله بكم الاسلام آمين اه بنصه

﴿جواب المنار﴾

قد اختلف العلماء في سماع الفناء وآلات اللهو قديما وحديثا واكثروا القول فيه بل كتبوا فيه المصنفات ، واستقصوا الروايات ، ونحن نذكر أقوى ماورد من الاحاديث في هذا الباب ثم لمخص اختلاف العلماء وأدلهم ثم ما هو الحق الجدير بالاتباع ثم تتكلم على اسئلة السائل

﴿أحاديث الخطر﴾

(١) عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ليكون من أمي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » أخرجه البخاري بهذا الشك بصورة التعليق وابن ماجه بمن طريق ابن محيريز عن أبي مالك بالعزم ولفظه « ليس من ناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها يعرف على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » وأخرجه أبو داود وابن حبان وصححه

(٢) عن نافع ان ابن عمر سمع صوت زمارة راغ فوضع أصبعيه في أذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول يا نافع أتسمع فأقول نعم فيخفي حتى قلت لا فرفع يده وعدل راحلته الى الطريق وقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راغ فصنع مثل هذا : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه : قال أبو علي اللؤلؤي سمعت أبا داود يقول وهو حديث منكر

(٣) عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والخيبر وكل مسكر حرام » رواه أحمد وأبو داود : وفي لفظ لأحمد انه قال بعد الميسر « والمزرة والكوبة والقنين » وفي اسناد الحديث الوليد بن عبد الله واويهم

ابن عمر قال أبو حاتم الرازي هو مجهول وقال ابن يونس في تاريخ المصريين أنه روى عنه يزيد ابن أبي حبيب. وقال المنذري أن الحديث معلول، ولكنه يشهد لمحدث ابن عباس بنحوه وهو «عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر حرام»

وقد فسر بعضهم الكوبة بالطبل قاله سفيان عن علي بن بزيمة وقال ابن الاعرابي الكوبة النرد وقد اختلف في الفيء (بالضم) قال الحافظ في التلخيص فقيل الطنبور وقيل العود وقيل البربط وقيل ضر يصنع من اللدة أو من القمح وبذلك فسر في النهاية. والمزور بالكسر نبذ الشعر. والمعتمد في الفيء ما قاله في النهاية من أنها من الأشرطة والتين قبل لعبة لروم يقامرون بها وقيل الطنبور بالحشية فظهر بهذا أن الحديثين ليسا في موضوع المعازف وآلات السماع اتفاقاً

(٤) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «في هذه الأمة نخسف ومسح وقذف» فقال رجل من المسلمين ومثي ذلك يا رسول الله قال «إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر» رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب: أقول وقد أخرجه من طريق عباد بن يعقوب وكان من غلاة الروافض ورأس البدع إلا أنه صادق الحديث وقد روى له البخاري حديثاً واحداً مقروفاً بغيره وقال ابن عدين أنكروا عليه أحاديث وهو رواه عن عبد الله بن عبد القدوس وهو رافضي مثله قال يحيى بن معين ليس بشيء والنسائي ليس بثقة وضعفه الدارقطني

(٥) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا اتخذ الفتيء دولا والأمانة مغتما والزكاة مغرماً وتعلم تغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأذن صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمر ولمن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تنابح كنظام بال قطع سلكه فتتابع بعضه بعضاً» رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب أقول إن راويه عن أبي هريرة هو ربيع الجذامي قال في الميزان لا يعرف

(٦) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تبئت طائفة من أمتي على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير وتبعث على أحياء من أحيائهم ريح فتفسدهم كما نفس من كان قبلكم باستحلالهم الحمر وضربهم بالدفوف والتخاذم القينات » رواه أحمد . قال في المنثي وفي اسناده فرقة السبخي قال أحمد ليس بقوي وقال ابن معين هو ثقة وقال الترمذي تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس

(٧) عن أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين وأمرني ان أمحق المزامير والكبارات » يعني البرابط والمعازف والاوثان التي كانت تعبد في الجاهلية . رواه أحمد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن . قال البخاري عبيد الله بن زحر ثقة وعلي بن يزيد ضعيف . وقال أبو مسهر في عبيد الله بن زحر انه صاحب كل معضلة وقال يحيى بن معين انه ضعيف وقال مرة ليس بشيء . وقال ابن المديني منكر الحديث وقال ابن حبان يروي موضوعات عن الأثبات وإذا روي عن علي بن يزيد آتى بالطامات

(٨) وعنه بهذا السند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تبعوا القينات ولا تشروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام . في مثل هذا أنزلت هذه الآية ٦٠:٣١ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » الآية رواه الترمذي وأحمد بالمعنى ولم يذكر الآية والحديث سيفي مسنده بلفظ « لا يجل من المغنية ولا يمعها ولا شراؤها ولا الاستماع اليها » وهو لا يصح كما تقدم (٩) عن ابن مسعود « الفناء يثبت التفاق في القلب » رواه أبو داود ومرفوعا والبيهقي مرفوعا وموقوفا وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم وهو متفق على ضعفه كما قال النووي . وقال التزالي رضعه لا يصح ومعناه ان المعنى يتناقض لينفق . وقد زدنا هذا وما قبله إتماما للبحث

وقد رأيت أنه لا يصح من هذه الاحاديث الا الأول وستعلم مع ذلك ما قيل في إعلاله وما روي غيرها أو هي منها الا أثر عن ابن مسعود في تفسير الله قد صححه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي

﴿ أحاديث الإباحة ﴾

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى) وعندني جاريتان تغنيان ببناء بعات فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فاتهرني وقال مزماره الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد » وفي رواية يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » فلما غفل غمزتهما فخرجتا : تقول لما غفل أبو بكر . رواه البخاري في سننة العيد وفي أبواب منفرة ومسلم في العيد والنسائي في عشرة النساء وإنما أنكر أبو بكر لظنه أن النبي (ص) كان نائماً لم يسمع (١) وعنهما أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما كان معكم من هو فان الأنصار يسحبهم إليه » رواه البخاري . قال الحافظ في التتبع عند شرح قوله « ما كان معكم هو » : في رواية شريك فقال « فهل بعثتم جارية تضرب بالدف وتغني » قلت تقول ماذا قال ؟ تقول

أتيناكم أتيناكم
أغيانا وحيامكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديتكم
ولولا الخنطة السراء ما سمعت عذاريتكم

(٣) عن خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم غداة بُني عليّ فجلس علي فراشي كمجلسك مني وجواريات يضررن بالدفّ يندبن من قتل من أبائي يوم بدر حتى قالت احدها : وفينا نبي يعلم ما في غد : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقولي هكذا وقولي كما كنت تقولين » رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن إلا النسائي

(٤) عن محمد بن حاطب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فصل ما بين الحلال والحرام الدفّ والصوت في التكاح » رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم

(٥) عن عامر بن سعد قال دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جواريتان يغنيان قلت : أي صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر

يفعل هذا عندكم؟ فقالوا اجلس إن شئت فاستمع معنا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا الله عند العرس : أخرجه النسائي والحاكم وصححه

(٦) عن يزيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله أني كنت نذرت أن أدرك الله صالحا أن أضرب بين يديك الدف وأتغنى : قال لها « أن كنت نذرت فأضربي والالا » فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استنها ثم قعدت عليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إني كنت جالسا وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف » رواه أحمد الترمذي وصححه وابن حبان والبيهقي .

❦ خلاف العلماء في مسألة سماع الغناء والمعازف وأدلتهم ❦

في الباب أحاديث أخرى وما أوردنا هو أصح ما ورد فيه مما يحتاج به . وأحاديث الحظر التي تقدمت تحظر المعازف وهي آلات اللهو والدف منها قطعا وغناء القيان وهن الجوارى المغنيات وقد رأيت في أحاديث الإباحة إباحة العزف بالدف وغناء الجوارى وانقاد نذره . ومما ينبغي الالتفات إليه أن كلام أبي بكر وكلام عامر بن سعد يدل على أن الناس كانوا يتوقفون حظر السماع واللهو لاسيما أصوات النساء لولا النص الصريح بالرخصة وتكراره في الأوقات التي جرت عادة الناس بتحري السرور فيها كالعيد والعرس وقدم المسافر . فأحاديث الإباحة مرجحة بصحتها وضعف مقابلها وتكرارها ، وبكونها على الأصل في الأشياء وهو الإباحة ، وبما وقفها ليسر الشريعة وسماحها وموافقها للفطرة . وهذا لا ينافي أن الانصراف الرائد إلى اللهو والإسراف فيه ليس من شأن أهل المروءة والدين . ولهذا رأيت كثيرا من أئمة العلماء الزهاد شدد التكبر على أهل اللهو لما كثر وأسرف الناس فيه عندما عظم عمران الأمة واتسعت مذاهب الحضارة فيها حتى جاء أهل التقليد من المصنفين فرجحوا أقوال الحظر وزادوا عليها في التشديد حتى حرم بعضهم سماع الغناء مطلقا وسماع آلات اللهو جميعها الا طبل الحرب ودف العرس وزعوا

انه دف مخصوص لا يطرب وأنه غير دف أهل الطرب . وهاك أجمع كلام يحيى خلاف علماء الأمة وأدلتهم في هذه المسألة بالاختصار وهو كلام الشوكاني في نيل الاوطار قال بعد ما أورد ما تقدم من أحاديث الخطر

« قد اختلف في الفناء مع آلة من آلات الملاهي وبدونها فذهب الجمهور الى التحريم مستدلين بما سلف وذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر وجماعة من الصوفية الى الترخيص في السماع ، ولو مع العود والبراع ، وقد حكى الاستاذ ابو منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع ان عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالفناء بأسا ويصوغ الالحان لجواربه ويسمعها منهن على أوتاره وكان ذلك في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . وحكى الاستاذ المذكور مثل ذلك أيضا عن القاضي شريح وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والزهرى والشعبي . وقال امام الحرمين في النهاية وابن أبي العم : نقل الأثبات من المؤرخين ان عبد الله بن الزبير كان له جوار عوادات وان ابن عمر دخل عليه والى جنبه عود فقال ما هذا يا صاحب رسول الله فتناوله اياه فأمله ابن عمر فقال هذا ميزان شامي قال ابن الزبير يوزن به العقول

« وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالته في السماع بسنده الى ابن سيرين قال ان رجلا قدم المدينة بجوار ففرل على عبد الله بن عمر وفيه جارية تضرب نجاء رجل فساومه فلم يهو منهن شيئا قال انطلق الى رجل هو أمثل لك بيما من هذا قال من هو قال عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه فأمر جارية منهن فقال لها خذي العود فأخذته ففنت فبايعه ثم جاء الى ابن عمر الى آخر القصة وروى صاحب العقد العلامة الأديب أبو عمر الاندلسي أن عبد الله بن عمر دخل على أبي جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود ثم قال لا ين عمر هل ترى بذلك بأسا قال لا بأس بهذا : وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص انهما سمعا العود عند ابن جعفر . وروى ابو الفرج الاصبهاني ان حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الفناء بالزهر بشعر من شعره . وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك « والزهري عند أهل اللغة العود » وذكر الادفوي ان عمر بن عبد العزيز كان يسمع من

جواربه قبل الخلافة . ونقل ابن السمعاني الترخيص عن طاووس ونقله ابن قتيبة وصاحب الامتاع عن قاضي المدينة سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الزهري من التابعين ونقله أبو يعلى الخليلي في الارشاد عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون مفي المدينة . وحكى الروياني عن القفال ان مذهب مالك بن أنس إباحة الغناء بالمعازف « وحكى الاستاذ أبو منصور والفوراني عن مالك جواز العود وذكر أبو طالب الكمي في قوت القلوب عن شعبة أنه سمع طنبوراً في بيت المنهال بن عمرو المحدث المشهور . وحكى أبو الفضل بن طاهر في مؤلفه في السماع أنه لا خلاف بين أهل المدينة في إباحة العود قال ابن النحوي في العمدة قال ابن طاهر هو اجماع أهل المدينة قال ابن طاهر واليه ذهب الظاهرية قاطبة قال الادفوي لم يختلف النقلة في نسبة الضرب الى ابراهيم بن سعد المتقدم الذكر وهو ممن أخرج له الجماعة كلهم (١) وحكى الماوردي إباحة العود عن بعض الشافعية وحكاه أبو الفضل بن طاهر عن أبي اسحاق الشيرازي وحكاه الاسنوي في المهمات في الروياني والماوردي ورواه ابن النحوي عن الاستاذ أبي منصور وحكاه ابن الملقن في العمدة عن ابن طاهر وحكاه الادفوي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وحكاه صاحب الامتاع عن أبي بكر بن العربي وجزمه بالاباحة الادفوي - هوؤلاء جميعاً قالوا بتحليل السماع مع آلة من الآلات المعروفة وأما مجرد الغناء من غير آلة فقال الادفوي في الامتاع ان الغزالي في بعض تأليفه الفقهية نقل الاتفاق على حله ونقل ابن طاهر اجماع الصحابة والتابعين عليه ونقل التاج الفزاري وابن قتيبة اجماع أهل المدينة عليه وقال الماوردي لم يزل أهل الحجاز يرخصون فيه في أفضل أيام السنة المأمور فيه بالعبادة والذكر

« قال ابن النحوي في العمدة وقد روي الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمر كما رواه ابن عبد البر وغيره وعثمان كما نقله الماوردي وصاحب البيان والرافعي وعبد الرحمن بن عوف كما رواه ابن أبي شيبة وأبو عبيدة بن الجراح كما أخرجه البيهقي وبلال وعبد الله بن الارقم وأسامة بن زيد كما أخرجه

(١) يريد بالجماعة أحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن كلهم فهو ثقة عندهم

البيهقي أيضا وحجة كما في الصحيح وابن عمر كما أخرجه ابن طاهر والبراء بن مالك كما أخرجه أبو نعيم وعبد الله بن جعفر كما رواه ابن عبد البر وعبد الله بن الزبير كما نقله أبو طالب المكي وحسان كما رواه أبو الفرج الاصبهاني وعبد الله بن عمرو كما رواه الزبير بن بكار وقرظة بن كعب كما رواه ابن قتبية وخوات بن جبير ورياح المعترف كما أخرجه صاحب الأغاني والمغيرة بن شعبة كما حكاه أبو طالب المكي وعمرو بن العاص كما حكاه الماوردي وعائشة والربيع كما في صحيح البخاري وغيره .

وأما التابعون فسميد بن المسيب وسالم بن عمرو بن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسميد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبي عتيق وعطاء بن أبي رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن ابراهيم الزهري . وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عينة وجهور الشافعية انتهى كلام ابن النحوي « واختلف هؤلاء المجوزون فمنهم من قال بكرهته ومنهم من قال باستحبابه قالوا لكونه يرق القلب ويبهج الأحران والشوق الى الله قال المجوزون انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في معقولهما من القياس والاستدلال ما يقتضي تجريم مجرد الأصوات الطيبة الموزونة مع آله من الآلات .

« وأما المانعون فاستدلوا بأدلة منها حديث أبي مالك أو أبي عامر المذكور في أول الباب وأجاب المجوزون بأجوبة

(الأول) ما قاله ابن حزم وقد تقدم جوابه (*)

(*) قال المؤلف قبل ما ذكرنا في الكلام على أحاديث الخطو مانصه : « وفي الباب أحاديث كثيرة وقد وضع جماعة من أهل العلم في ذلك مصنفات ولكنه ضعفها جميعا بعض أهل العلم حتى قال ابن حزم انه لا يصح في الباب حديث أبدا وكل ما نفيه فموضوع وزعم ان حديث أبي عامر أو أبي مالك المذكور في أول الباب منقطع فيما بين البخاري . وقد واقفه على تضعيف أحاديث الباب من سياي قريبا . قال الحافظ في الفتح وأخطأ في ذلك يعني في دعوى الانقطاع من وجوه والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح والبخاري قد فعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضوع آخر من كتابه : وأطال الكلام في ذلك بما يكفي » اه كلام الشوكاني ومنه تعلم

(والثاني) انني اسنده صدقة بن خالد وقد حكى ابن الجنيدي عن يحيى بن معين انه ليس بشيء، وروى المزي عن أحمد انه ليس بمستقيم ويحجب عنه بأنه من رجال الصحيح

(والثالث) ان الحديث مضطرب سنداً ومتناً. أما الاسناد فلا ترد من الراوي في اسم الصحابي كما تقدم. وأما متناً فلا ن في بعض الالفاظ (يستحلون) وفي بعضها بدونه - وعند أحمد وابن أبي شيبة باللفظ « ليش بن أناس من أمي الحر » وفي رواية الحر بمهملتين وفي أخرى بمعجمتين كما سلف. ويحجب عن دعوى الاضطراب في السند بأنه قد رواه أحمد وابن أبي شيبة من حديث أبي مالك بن بشر شك ورواه أبو داود من حديث أبي عامر وأبي مالك وهي رواية ابن داسة عن أبي داود ورواية ابن جبان انه سمع أبا عامر وأبا مالك الأشعرين قنينا بذلك انه من روايتهما جميعاً. وأما الاضطراب في المنفق فيحجب عنه بأن مثل ذلك غير قادح في الاستدلال لأن الراوي قد يترك بعض ألفاظ الحديث ثارة ويذكرها أخرى (والرابع) ان لفظة المعازف التي هي محل الاستدلال ليست عند أبي داود ويحجب بأنه قد ذكرها غيره وثبتت في الصحيح والزيادة من العدل مقبولة -

« وأجاب المجوزون على الحديث المذكور من حيث دلالة فقالوا لا نسلم دلالة على التحريم واسندوا هذا المنع بوجوه (أحدها) ان لفظة « يستحلون » ليست نصاً في التحريم فقد ذكر أبو بكر بن العربي لذلك معنيين أحدهما ان المعنى يعتدون ان ذلك حلال. الثاني ان يكون مجازاً عن الاسترسال في استعمال تلك الأمور ويحجب بان الوعيد على الاعتقاد يشعر بتحريم الملاعبة بنحو الخطاب واما دعوى التجوز فالأصل الحقيقة ولا ملجئ الى الخروج عنها (وثانيها) ان المعازف تختلف في مدلولها كما سلف واذا كان اللفظ محتملاً لأن يكون للآلة ولنير الآلة لم ينتهض للاستدلال لأنه إما ان يكون مشتركاً والراجح التوقف فيه أو حقيقة ومجازاً

ان الحفاظ بن حجر والشوكاني يعترفان بأنه لم يصح من الاحاديث الواردة في حظرات اللهو الا الحديث الأول مما أوردنا ويقولان لا بأس باقتطاع سنده هنا. وقد علمت انه ليس فيه الالفاظ المعازف وعرفت معناه وأنه يشمل الدف الذي سمعته النبي (ص)

ولا يتعين المعنى الحقيقي ويحجب بأنه يدل على تحريم استعمال ما صدق عليه الاسم والظاهر الحقيقة في الكل من المعاني المنصوص عليها من أهل اللغة وليس من قبيل المشترك لأن اللفظ لم يوضع لكل واحد على حدة بل وضع للجميع على أن الراجح جوازا استعمال المشترك في جميع معانيه مع عدم التضاد كما تقرر في الأصول (وثالثها) أنه يجهل أن تكون المعازف المنصوص على تحريمها هي المقررة بشرب الخمر كما ثبت في رواية بلفظ « ليشربن أناس من أمتي الخمر تروح عليهم القيان وتقدو عليهم المعازف » ويحجب بأن الاقتران لا يدل على أن المحرم هو الجمع فقط والا لزم أن الزنا المصرح به في الحديث لا يحرم الا عند شرب الخمر واستعمال المعازف واللازم باطل بالاجماع فالمرموم مثله وأيضا يلزم في مثل قوله تعالى ٣٣: ٦٩ « أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ٣٤ » ولا يحض على طعام المسكين » أنه لا يحرم عدم الإيمان بالله الا عند عدم الحض على طعام المسكين فان قيل تحريم مثل هذه الامور المذكورة في الإلزام قد علم منه دليل آخر فيجيب بان تحريم المعازف قد علم من دليل آخر أيضا كما سلف على أنه لا ملجى إلى ذلك حتى يصار إليه (ورابعها) أن يكون المراد يستحلون مجموع الامور المذكورة فلا يدل على تحريم واحد منها على الانفراد وقد تقرر ان النهي عند الامور المتعددة أو الوعيد على مجموعها لا يدل على تحريم كل فرد منها ويحجب عنه بما تقدم في القى قبله

واستدلوا ثانيا بالاحاديث المذكورة في الباب التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى وأجاب عنها المجوزون بما تقدم من الكلام في اسانيدھا ويحجب بأنها تنهض بمجموعها - ولا سيما وقد حسن بعضها فأقل أحوالها أن تكون من قسم الحسن لغيره ولا سيما احاديث النهي عن بيع القينات والمغنيات فإنها ثابتة من طرق كثيرة منها ما تقدم ومنها غيره وقد استوفيت ذلك في رسالة وكذلك حديث « ان الفناء هببت النفاق » فانه ثابت من طرق قد تقدم بعضها وبعضها لم يذكر منه عن ابن عباس عن ابن صصري في اماليه ومنه عن جابر عند البيهقي ومنه عن أنس عند الديلمي وفي الباب عن عائشة وأنس عند البزار والمقدمي

وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي. بلفظ «صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة زممار عند نعمة ورنه عند مصيبة» وأخرج ابن سعد في السنن عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «أما نهيت عن صوتين أحققي فاجرين صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة وخش وجه وشق جيب ورنه شيطان» وأخرج الديلمي عن أبي أمامة مرفوعا «إن الله يبغض صوت الخلخال كما يبغض الفناء» والاحاديث في هذا كثيرة قد صنف في جمعها جماعة من العلماء كابن حزم وابن طاهر وابن أبي الدنيا وابن حمدان الإربلي والذهبي وغيرهم «وقد أجاب المجوزون عنها بأنه قد ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية وقد تقدم ما قاله ابن حزم وواجه على ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه الاحكام وقال لم يصح في التحريم شيء. وكذلك قال الغزالي وابن النحوي في العمدة وهكذا قال ابن طاهر انه لم يصح منها حرف واحد والمراد ماهو مرفوع منها والاحديث ابن مسعود في تفسير قوله تعالى ٦٠:٣١ «ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» قد تقدم أنه صحيح وقد ذكر هذا الاستثناء ابن حزم فقال انهم لو أسندوا حديثا واحدا فهو الى غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حجة في أحد دونه كما روي عن ابن عباس وابن مسعود في تفسير قوله تعالى: «ومن الناس: الآية» انهما فسرا اللهو بالفناء قال ونص الآية يطل احتجاجهم لقوله تعالى: ليضل عن سبيل الله: وهذه صفة من فعلها كان كافرا ولو أن شخصا اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذها هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى وما ذم من اشترى لهو الحديث ليروح به نفسه لا ليضل به عن سبيل الله انتهى - قال الفاكهاني اني لم أعلم في كتاب الله ولا في السنة حديثا صحيحا صريحا في تحريم الملاهي وإنما هي ظواهر وعمومات يتأنس بها لأدلة قطعية. واستدل ابن رشد بقوله تعالى ٥٥:٢٨ «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وأي دليل في ذلك على تحريم الملاهي والفناء والمفسرين فيها أربعة أقوال - الأولى انها نزلت في قوم من اليهود أسلموا فكان اليهود يلقونهم بالسب والشتم فيعرضون عنهم. والثاني ان اليهود أسلموا فكانوا اذا سمعوا ما غيره اليهود من التوراة وبدلوا

من نعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفته أعرضوا عنه وذكروا الحق . الثالث
أنهم المسلمون اذا سمعوا الباطل لم يلتفتوا اليه . الرابع أنهم ناس من أهل الكتاب
لم يكونوا هودا ولا نصارى وكانوا على دين الله كانوا ينتظرون بث محمد صلى
الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا به بمسكة أنه فرض عليهم القرآن فأسلموا وكان
الكفار من قريش يقولون لهم أف لم تتبعم غلاما كرهه قومه وهم أعلم به منكم
وهذا الأخير قاله ابن العربي في أحكامه . ولبت شمري كيف يقوم الدليل من
هذه الآية انتهى . ويجاب بأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والنفو
عام وهو في اللغة الباطل من الكلام الذي لا فائدة فيه والآن بخارجة مخرج المدح
لمن فعل ذلك وليس فيها دلالة على الوجوب

« ومن جملة ما استدلوا به حديثنا » كل هو يلهو به المؤمن فهو باطل الاثلاثة ملاعبة
الرجل أهله وتأديبه فرسه ورميه عن قوسه » قال الفزالي قلنا قوله صلى الله عليه وآله
وسلم فهو باطل لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة انتهى وهو جواب
صحيح لأن مالا فائدة فيه من قسم المباح على أن التلبي بالنظر الى الحبشة وهم
يرقصون في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كما ثبت في الصحيح خارج عن تلك
الأمر الثلاثة

« أجاب المجوزون عن حديث ابن عمر المتقدم في زمارة الراعي بما تقدم
من انه حديث منكر وأيضاً لو كان سماعه حراماً لما أباحه صلى الله عليه وآله وسلم
لابن عمر ولا ابن عمر لنافع ولنهي عنه وأمر بكسر الآلة لأن تأخير البيان
عن وقت الحاجة لا يجوز وأما سده صلى الله عليه وآله وسلم لسمعه فيحتمل انه
تجنبه كما كان يتجنب كثيراً من المباحات كما تجنب ان يبيت في بيته حرم أو
دينار وأمثال ذلك . لا يقال يحتمل ان تركه صلى الله عليه وآله وسلم للانكار
على الراعي إنما كان لعدم القدرة على التفسير لأننا نقول ابن عمر إنما صاحب النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالمدينة بعد ظهور الاسلام وقوته فترك الانكار
فيه دليل على عدم التحريم

« وقد استدلت المجوزون بأدلة منها قوله تعالى ١٥٧: ٧ » ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخبائث» ووجه التمسك ان الطليات جمع محلى باللام فيشمل كل طيب والطيب يطلق بإزاء المستلذ وهو الاكثر المتبادر الى الفهم عند التجرد عن القرائن ويطلق بإزاء الطاهر والحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العام فتدخل أفراد المعاني الثلاثة كلها ولو قصرنا العام على بعض افراده لكان قصره على المتبادر هو الظاهر وقد صرح ابن عبد السلام في دلائل الاحكام ان المراد في الآية بالطليات المستلذات . وما أستدل به المجوزون ماسيأتي في الباب الذي بعد هذا (١) وسيأتي الكلام عليه . ومن جملة ما قاله المجوزون انالو حكمتنا بتحريم اللهو لكونه لهواً لكان جميع ما في الدنيا محرماً لانه لهو لقوله تعالى ٣٦:٤٧ «أما الحياة الدنيا لعب ولهو» ويحجب بانه لاحكم على جميع ما يصدق عليه مسمى اللهو لكونه لهواً بل الحكم بتحريم لهو خاص وهو لهو الحديث المنصوص عليه في القرآن لكنه لما علل في الآية بعلّة الاضلال عن سبيل الله لم ينتهز للاستدلال به على المطلوب

« واذا تقرر ما حزنناه من حجج الفريقين فلا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ لمرضه ودينه ومن حاكم حول الحمى يوشك أن يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتتلا على ذكر القدود والحدود والجمال والدلال ، والمجر والوصال ، ومعاقره العقار ، وخلع العذار والوقار ، فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بلية وان كان من التصلب في ذات الله على حد يقصر عنه الوصف ، وكما لهذه الوسيلة الشيطانية من قتل دمه مطلول ، وأسير بهرم غرامه وهيامه مكبول ، نسأل الله السداد والثبات . ومن أراد الاستيقاظ للبحث فليبه بالرسالة التي سميتها (ابطال دعوى الاجماع . على تحريم مطلق السماع) اه كلام الامام الشوكاني (للكلام بقية)

ومعلوم أن نذر الحرام أو المكروه لا ينمقد . وهذا يبطل ما قاله الشوكاني هنا من أن أدلة المانعين تنهض شبهة وسيأتي التحقيق فيه

(١) هو حديث الجارية التي نذرت الضرب بالدف وتقديم في أحاديث الإباحة

باب المقالات

﴿ الحق والباطل والقوة ﴾

٣٤ : ٤٩ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ١٧ : ٨١ وَقُلْ
جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا * ٢١ : ١٨ بَلْ نَحْنُ
بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *

مضت السنن في المغلوبين على أمرهم ، المتهورين في أرضهم ، أن يعتدوا عن
أنفسهم ، بدعوى أن القوة هي التي غلبتهم على حقهم ، وأنهم غير مذنبين
ولا مقصرين ، ولا مسرفين ولا مضيعين ، وجرت عادة الغالبين على أمرهم ،
والقاهرين في حكمهم ، أن يحتجوا لأنفسهم بأنهم أصحاب الحق الذي يعلو ولا
يعل ، وأن الحق هو الذي جعل كلمتهم العليا وكلمة أعدائهم السفلى ، وقد يستور
الأمة الواحدة القوة والضعف والعز والذل فتدعي في طور قوتها وعزها أنها
اعتزت بالحق وغلبت ، وفي طور الضعف والذل أنها أخذت بالقوة فقهرت ، وأنها
حليفة الحق في الطورين ، لم تعد حدوده في حال من الحالين ، وتلك سنة الله
تعالى في الأفراد أيضاً يدعي الرجل الحق لنفسه ما ظفر ، ويعتدريتها بالقوة إذا هو غلب
وقهر ، وهذا الفرور من الإنسان قد أضله عن طريق الحق حتى لا يكاد يفهم معنى
كلمة (الحق) ومدلولها الصحيح . وما قللنا قول عن غالب يعتز فيه بالقوة على
الحق ، إلا تلك الكلمة المأثورة عن بسمرك « القوة تغلب الحق » وقد أرسلها
مثلاً ، وهي لا تصح إلا تأويلاً وجدلاً ، ولو غلب الحق لما كان حقاً . والحق أن
الحق قد يخفى ، وقد يترك وينسى ، ولكن ما صارع الباطل الاصرعه ، ولا قارعه
الا وقرعه ، « وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه » ، والقوة إنما تظهر إذا كانت
شعبة منه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

الحق عبارة عن الشيء أو الأمر الثابت المتحقق في الواقع والباطل هو مالا
ثبوت أو لا تحقق له في نفسه ومالا ثبوت له ولا تحقق لا يمحى ما كان ثابتاً متحققاً

كما هو الشأن في الموجود والمعدوم والمعلوم والموهوم ، وهذا مما لا مجال فيه لاختلاف العقلاء . إن يختلفون إلا في الحقوق العرفية والوضعية ، والدينية والشرعية ، وما تحكم فيه الشرائع من الأمور الاجتماعية وفي كل ذلك حق وباطل لا يتنازعان إلا ويكون الحق هو الغالب والباطل هو المغلوب واننا نبين ذلك ونذكر مواضع غلط الناس فيه ومناشئ شبهاتهم فنقول إن الحق والباطل يتنازعان في خمسة أمور كلية وهي (١) الفلسفة والنظريات العقلية ، الوجود والسنن الكونية (٢) السنن الاجتماعية (٣) القوانين والمواضعات العرفية (٤) الدين والشرعة الإلهية

الفلسفة والنظريات العقلية

اختلف الناس في الفلسفة والمسائل النظرية في القديم والحديث ومنهم الحق والمبطل فيقول من يظن أن الباطل يغلب الحق أن كثيرا من الآراء الباطلة في ذلك كانت رائجة لا ينازع فيها أحد وكثير منها كان موضوع النزاع وكان أكثر الباحثين فيه على الباطل ، ولا يزال يظهر للعلماء في كل زمن وكل جيل خطأ كثيرين من السابقين والمعاصرين فيظهر بذلك أن الباطل كان هو الغالب فإن كنت تقول لا عبرة إلا بغلب دائم ، فأنك لا تقدر أن تثبت الدوام لحق ولا لباطل ، فيكفي في إثبات قوة الباطل وظهوره على الحق أن يظهر عليه زمنا طويلا ؛ ودفع هذا الظن سهل وإن كنا نعترف بأن الحق والباطل في الآراء النظرية والفلسفية من أخفى الأمور وأغفلها في الإبهام . ذلك أن التنازع بين الحق والباطل لا يتحقق هنا ما دام كل من المتناظرين في المسألة يجادل بالنظريات ولم ينته بدلائله إلى إحدى اليقينيات التي لا نزاع فيها . ويبان ذلك أن المسألة مادامت نظرية من الجانبين فالتنازع إنما يكون بين الدليلين لا بين المدلولين والحق في الدليل هو إقادة اليقين فما دام نظريا فهو غير حق وإنما هو موقوف أو باطل بعارض مثله فإذا انتهى أحد المتناظرين إلى اليقين البديهي في المسألة فهو صاحب الحق وهو الغالب سواء أذن له مناظره أو كآبره . وما كان القلب والسلطان لتلك المسائل النظرية الباطلة في الفلسفة العليا وغير العليا ذلك الزمن الطويل إلا لأن الحق فيها كان خفيا أو غير معروف لأهلها . بل نقول إن في طرق الاستدلال نفسها حقا وباطلا فالحق هو ما وافق شروط القياس

المنطقي وأعني بكونه حقا أن النفس فطرت على الانتقال من المقدمات المرتبة على ذلك النحو من الترتيب المعروف في أشكال القياس إلى المطالب التي هي النتائج فإذا كانت المقدمات مسلمة فلا مندوحة للنفس عن التسليم بالنتيجة . وقد يكون صاحب الدعوى الحق غير قادر على نظم الدليل الحق مع كون الدعوى نفسها غير بديهية فإذا غلبه مناظره المبطل في الدعوى حينئذ فلا بد أن يكون أقرب منه إلى الحق من طريق الاحتلال وأن يكون قد أقمه ببعض المقدمات الباطلة وفي هذه الحال يكون مبطلا ومن ناحية الباطل قد أخذ - وهو ماسله من المقدمات - لامن ناحية الحق وهو أصل الدعوى التي نطق بها على غير بينة وبغير بينة . ولو شئت لجئت في هذا الأصل بالأمثلة والشواهد التي تجليهأ ككل التجلي ولكن القصدي هذا المقال إلى غيره مما ترى الناس مصرين على الخطأ فيه وفي خطأهم الضلال البعيد والخسران العظيم

الوجود وسنن الكون

كلّ وجرد حق والعدم باطل لاحقيقة له، وكل نظام في الطبيعة والحليقة فهو حق والحلل فيها باطل لا يتحقق له، والحلل الصوري الذي يعبر عنه علماء الكون بقلات الطبيعة له سنن خفية أي نواميس لم يطلعوا عليها وهم يتوقفون اكتشافها وبرجونه ٣:٦٧ « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » ٧:٣٢ « الذي أحسن كل شيء خلقه » ولا تنازع بين الوجود والعدم ولا بين النظام والحلل وإنما يقع التنازع بين الناس في فهم ذلك والعلم به فن كان أعلم بالوجود والنظام كان أعلم بالحق وأقرب إلى الحق وكانت له الغلبة بالحق . وهذا ظاهر في نفسه وسيادة العالمين بمقتائق الوجود وسنن الله في الكائنات على الجاهلين بها مشاهدة لا ينكرها السودون المغلوبون بحيلهم وباطلهم وإن كانوا يجهلون أن علم من سادهم هو الحق وأنه سبب لسيادتهم، وأنهم هم بحيلهم على باطل وبه كانوا مغلوبين على أمرهم، ومقهورين في أرضهم وديارهم ، وإن منهم المسلمين الذين يقول كتابهم ١٠: ٥ « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون » ويقول ٢٢: ٤٥ « وخلق الله

السماوات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون» وفي معناها آيات ولا ترى شعبا إسلاميا يعتقد بأن سعة العلم بالسماوات والأرض من الحق الذي تمزبه الأمم، وإن جهلت الأمة وهلكت، فقد جزيت بما كسبت، وظلمت نفسها وما ظلمت،

السنن الاجتماعية

للكون سنن في تكون الأحجار الكريمة وغير الكريمة كالصخور وفي نمو النبات وحياة الحيوان وفي اجتماع الأجسام وافتراقها وتحللها وتركيبها وهي ما عيناها بالاصل الثاني . وللبشر سنن خاصة بهم في حياتهم الاجتماعية عليها يسرون وفيها يتقبلون قوتهم وضعفهم وغناهم وفقرمهم وعزهم وذلمهم وسيادتهم وعبوديتهم وحياتهم وموتهم كل ذلك غاية لاتباع سنن الله في السبر على أحد الطرفين المتأثر اليهما بقوله تعالى في الإنسان ٩٠ : ١٠ «وهديناه النجدين» فهذه السنن حق وتنكها خروج عنه إلى الباطل . وما زال العارفون بسنن الله تعالى في الأمم ، هم الآخذين بأطراف السعادة من أمم ، ينتصرون على الجاهلين بها من المبطلين من حيث هم مبطلون وهو ما به الاختلاف وإن كان الغالب القاهر مبطلا في شيء آخر والمغلوب محق في مخالفته له فيه

لم يعرف كتاب قبل القرآن نطق بأن للأمم في قوتها وضعفها وحياتها وموتها سننا ثابتة لا تبدل ولا تتحول كقوله في سورة الانفال ٨ : ٣٨ «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يمددوا فقد مضت سنة الأولين» أي فإنه يحل بهم ما حل بمن قبلهم من عائد الحق وقاومه . وقوله في سياق الكلام على الانبياء وأحوال الأمم في سورة الحجر ١٤ : ١٣ «وقد خلقت سنة الأولين» وقوله في سياق الكلام في بذل المال والحرب ٣ : ١٣٨ «قد خلقت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين» وفي الآية الثالثة بعد هذه الآية «إن يحبسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس» الآيات

فهذه الآيات اليناث حق وما ترشد إليه من سنن الاجتماع حق فالجهل بسنن الاجتماع باطل وترك الاعتبار بها في شؤون الأمم باطل فهل وجدت أمة

على سطح هذه الارض عرفت هذه السنن وسارت عليها ثم قاومتها أمة أخرى تجهلها أولاً تعتبر ولا تهتدي بما عاهاا تعرف منها ثم كانت الجاهلة الضالة هي الغالبة فيقال ان الباطل قد يغلب الحق ؟ كلا ما كان ذلك ولن يكون . ومن العجائب والعجائب حجة ان يكون المسلمون في هذا العصر أجهل الامم كلها بسنن الله تعالى في البشر حتى أن من يدعوهم الى تعلمها وتعلم مصادرها وهي توارىخ الامم يمدده رجال الدين منهم جانبا على الدين صادراً عنه لاسيما اذا كانت دعوته موجهة الى طلاب علوم الدين في مثل مدرسة الازهر !! فأين هذا الدين الذي يعد العرفان بسنن الاجتماع صدّاً عنه وجنابة عليه من القرآن الذي هو أول كتاب ارشد الى هذه السنن ؟ واذا غلبت كل أمة مهتدية بهذه السنن في كسبها وعملها وسياستها وحروبها على الأمة الجاهلة بها الضالة عنها وسادت عليها فهل يصح ان يقال ان الباطل قد غلب الحق لان دين المسلمين هو الحق وأديان الغالبيين عليهم هي الباطلة ؟ كلا ان كل مغلوب فهو بسبب الباطل قد غلب وكل غالب فهو بسنن الحق قد غلب . أينصرون ويسودون ، وهم يفسدون في الارض ولا يصلحون ، وحكامهم يظلمون ولا يعدلون ، والله تعالى يقول في بيان سننه الحق ، ١١٦ : ١١ «فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » ففسروا الظلم هنا بالشرك والمعنى ان الله تعالى لا يهلك الامم بسبب الشرك اذا كانت مصلحة في الأعمال ولكن يهلك المفسدين الذين لا ينهون عن الفساد لاسيما اذا كان منبعه امراؤهم وملوكهم . أو المعنى ما كان ليهلكها بظلم منه لانه منزّه عن الظلم وهي لا تستحق الاهلاك لأنها مصلحة في العدل والعمران

القوانين والمواضعات العرفية

لكل أمة من أمم الحضارة قوانين تسوس بها بلادها ولكل قبيلة من القبائل البدوية عرف ومواضعات ترجع اليها في شؤونها الاجتماعية . وللدول قوانين في الحقوق العامة والمصالح الخاصة . فهذه القوانين والمواضعات حقوق

عرفية فالأخذ بشيء من هذه الحقوق يكون هو الغالب لتاركها مادامت الامة والدولة أو الدول التي جعلت القانون حقا في عرفها حاقة له فاذا رجعت الامة عن عرفها أو الدولة عن قانون لها في بلادها أو الدول عن بعض القوانين العامة لم يمس ذلك حقا لان حقيقته لم تكن لذاته وانما كانت للعرف الذي يكفله أهله الواضعون له وقد زال

مثال ذلك اعتداء دول أوربا على الممالك المشرقية وانقيادها على حكومات هذه الممالك تركيا فما دونها وقد علم من القوانين العامة انه ليس للدولة أن تقتات على أخرى في ادارتها الداخلية ولكن أوربا تفتت وتغلب فهنا يظن الجاهل بالفصل بين الحق والباطل أن الباطل قد غلب الحق بالقوة ووجه الخطأ في هذا الظن أن هذا الحق الذي ندعي أن أوربا سلبته من تركيا في مصر أو كريت مثلا ما أن يكون حقا طبيعيا يملك ويحفظ بمقتضى سنن الله في الاجتماع البشري أو حقا عرفيا يملك ويحفظ بمقتضى القوانين العامة التي تعترف بها الدول وتكفلها فان ادعى المدعي الشق الأول فانا نمنع دعواه ونقول ان سنن الاجتماع لا تتبدل ولا تتحول كما نطق الكتاب العزيز ودلت التجربة والملاحظة لأن واضعها وحافظها هو العزيم الحكيم وهي تسيطر الغلبة ودوام السيادة بالعدل والعلم بالسنن والاصلاح في الارض والمنة والتقوى والاستعداد للحماية بالقوة وأعظم القوة فيها قوة الامة المستقلة العارفة بحقوقها والقوة الآلية وذلك غير متحقق في تركيا كأوربا فلاحق طبيعي هناك. واما الحق العرفي فقد قلنا انه ليس حقا ذاتيا وانما هو حق ما كفله واضعوه المعترفون به وقد انقمت الدول الكافلة للقوانين العامة على ان لاتعامل دول المشرق بما تعامل هي به وأن تقتات عليها بحكمة حتى لا يفضي الاقتيات الى الحروب ، التي ينحسر فيها الغالب والمغلوب ، فبين بهذا أن الباطل لم يغلب الحق في هذه المسألة بل الحق هو الغالب كما أخبر الله تعالى . وذلك أن دول أوربا الغالبة عارفة بسنن الكون وسنن الاجتماع ومهتدية بها وهي الحق وبها الغلب والسيادة ، كما تقدم البيان مؤيدا بالقرآن ، فان قيل ان أوربا تغلم في البلاد التي تفتت فيها قلنا نعم ولكن غلدها دون ظلم حكام البلاد المفتات عليهم فباطلها أقل وعدلها أكثر فحقها أكبر

وهكذا غلب الحق الباطل ولكن أكثر الناس لا يعلمون
ومن هذا القبيل غلب ألمانيا وانتصارها على فرنسا فان سببه العلم بسنن الكون
وسنن الاجتماع والعمل به ولذلك قال بسمرك : غلبنا بالمدرسة : وقوله هذا حق
وأما قوله : القوة تغلب الحق : فقد لبس فيه الحق بالباطل فالقوة الباطلة لا تغلب
الحق ولكن القوة الطبيعية الاجتماعية تغلب الحق العرفي وحينئذ يكون الحق قد غلب
حقاً أضعف منه في الظاهر بل هو لم يغلب الا الباطل

يقول الظانون في الحق غير الحق ان القضية بظلمهم ووكلاء الدعاوي يحلهم
وغتلبهم كثيراً ما يؤيدون المبطّل في دعواه حتى يكون له الفلج والظفر : وتقول ان
هذا القول صحيح ولكنه لا يفيد المطلوب فان تأييد الباطل اذا كان من الحكم
فلا قانون ولا شريعة وإنما هو الهوى والظلم يتحكمان وهما من الباطل الذي
لا يغلبه الا حق من جنسه وهو السلطة العادلة فاذا تنازعت سلطة عدل مع سلطة ظلم
وغلبت الثانية الأولى تكون المعارضة صحيحة . وأما الدعوى فلبست من جنس
السلطة فيقال انه يجب أن يغلب حق الأولى على باطل الثانية . وان كان الحاكم
عادلاً والحصم المبطّل أو وكيله المحامي عنه ألحن بحجته وأقدر على البيان من الخصم
الحق أو وكيله فالغالب اذاً بين الحجة والحجة ولم تنس مآقلاه فيها عند الكلام
في الفلسفة والنظريات العقلية

ان الانسان يظلم والظلم من الباطل حتى قيل ان الظلم طبيعي في البشر ومنه
قولهم : الظلم كمين في النفس القدرة تطهره والعجز يخفيه : وقال المتنبي
والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلملة لا يظلم
وهذا قول بأن الانسان جبل على الباطل وهو على ظهور شبهته غير صحيح
وإنما الصحيح هو ما قاله الخالق الحكيم : في السورة الخامسة والتسعين ، وهو

بسم الله الرحمن الرحيم

والذين والذين ٢ وطور سينين ٣ وهذا البلد الامين ٤ ائمتد خلقنا

الانسان في أحسن تقويم ٥ ثم رددناه أسفل سافلين ٦ الا الذين آمنوا وعملوا

الصالحات فلم أجر غير ممنون ٧ فما يكذبك بعد بالدين ٨ أليس الله باحكم
الحاكمين

أكد لنا القول عز وجل بأنمخلق الانسان في أحسن تقويم اذ أقسم على ذلك بما ذكرنا بعد الفطرة ومعاهد ظهور الشريعة ذلك أنه خلقه وجعل له من الحواس ما يدرك به ما يحتاج الى ادراكه في حفظ نفسه وتوفير منافعها ودفع المضار عنها ومن العقل ما يميزه بين المدركات الحسية فيعرف صوابها وخطأها وما يحكم به على هذه المشاعر المدركة فيوجهها الى الاشتغال بالانفع والاصلاح فهو مجبول على أن يختار ما هو أفق وأصلح . ولكنه لما خلق مدنيا مستعدا للكمال الشخصي والنوعي بالعمل التدريجي والتعاون . والعمل لا يكون الا يعلم والعلم لا يكون الا بالكسب كان هذا الانسان عرضة للجهل بوجوه المصالح والمفاسد والمنافع والمضار سواء كانت للأفراد أو الأمم والشعوب والجهل من الباطل وبه رد الانسان بدخوله في طور الحياة الاجتماعية الى أسفل سافلين فكان افراده وجماعته يجنون على أنفسهم ويظلمونها من حيث يظنون أنهم يتفغنونها ويؤيدون حقوقها ففطرتهم تطلب الحق الذي فيه المصلحة والمنفعة وعقولهم تخطئ في تحديده فتقع في الباطل فكانوا محتاجين الى مساعد للفطرة وللعقل يحدد لها الحقوق النافعة ويميزها من الاباطيل الضارة وذلك هو الدين الذي نفثه روح الحق في روع كل واحد من أولئك الشارعين الذين ظهروا في معاهد منبت التين والزيتون وطور سينين وفي ذلك البلد الامين (مكة المكرمة) وغيرها فاصلاح به امر الناس وساد الحق على الباطل ما كانوا يهتدون بتلك الشرائع ايمانا وعلا صالحا كما قال عز وجل . فالباطل ليس من منزع الانسان بطبعه ولكنه من العوارض اللازمة له من حيث هو مرئيد مختار في علمه وعمله كاسب لهما بالتدريج . ولذلك أجمع الحكماء في هذا المصراع على سنة من سنن الاجتماع التي جاء بها القرآن في شأن الحق والباطل وهي ما يعبرون عنه بالانتخاب الطبيعي وقد بينا الله تعالى بقوله ٢: ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وقوله ٧١: ٣٩ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يخ وقوله ١٣: ١٧ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل

السيل زبدا رايا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاً ، وأما ما ينفع الناس الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » و بالآيات التي افتحنا بها هذا المقال . وبمثل قوله ٤٩: ١١ ان العاقبة للمتقين « وقوله في السحر الذي هو باطل لا حقيقة له ٨١: ١٠ ان الله لا يصلح عمل المفسدين * ٨٢ و بحق الحق بكلماته « وقوله بعد ارشاد للأمم منه التهي عن الفساد في الأرض بعد اصلاحها ٨٦: ٧ وانظروا كيف كانت عاقبة المفسدين * وقوله بعد بيان أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ٣٨: ٢٨ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * فاتفق الحكماء على مضمون هذه الآيات وأمثالها في هذا العصر هو اعتراف بأن للحق الغلبة والسلطان على الباطل اذاهما وجدا وتنازعا وعلى أن الانسان مفسود على تغليب الحق على الباطل لولا ما يعرض له من الخطأ في التمييز بينهما وانما يسود الباطل في غيبة الحق أو غفلة عنه

ذكرت لصديق لي هذا المبحث قبل أن أتم هذا المقال فأخبرني أنه يحفظ عن الحكيم السيد جمال الدين الافغانى تمثيلاً في مصارعة الحق للباطل معناه أن الحق كان يصارع الباطل ويضعفه فرأى الباطل ان لا طاقة له به فاستشار أعوانه فأجمعوا أمرهم وهم يمكرون على أن يكبدوا للحق كيداً فجاءوه بلقون اليه السلم ويدعونهم الى مأدبة أعدوها له فلما حضر أجلسوه على بساط جميل تحته حفرة عميقة فوقع في الحفرة فطفقوا يهيلون عليه التراب حتى دفنوه ثم جلسوا فوق الحفرة لئلا يخرج منها فيطش بصديقهم الباطل فكان ينتفض بقوته العظيمة يحاول الخروج وهم يتحاملون بأنهم عليها خوفاً منه والباطل يسرح ويمرح آمناً من رؤية الحق له لأن أولياءه حالوا بينهما ولكن الحق ما عتصم أن انتفض انتفاضة نفس بها أولئك المتناقلين وخرج الى الباطل فأوقع به ودفنه وأراح الناس من شره .

وحاصل التمثيل ان الباطل انما يسود ويثبت حيث لا يوجد من يقوم بالحق ويقاومه به وأن ذلك لا يدوم . فكل دولة أو حكومة ظالمة تخالف قوانين المدد التي في الارض وتهضم حقوق الرعية فهي انما تسود بباطلها ما دامت الرعية دافئة للحق

دائسته فيكون باطل الحكومة غالبا لبطل الرعية حتى اذا ما انتشر الظلم وتفشى وذاق آلامه الجماهير فاستصرخوا الحق واستغاثوا به لباهم مسرعا وصال على باطل الحكومة الظالمة فيجندله وربما جند لها معه فاذا استماتت الرعية وأنست بالظلم فان سنة الكون تسلط على الحكومة الظالمة حكومة أجنبية عادلة أو ظالمة تغتلك بها وتطالط ظمها ثم يكون بقاء الحكومة الثانية على سنة الله في الحكومة الاولى ٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون إلا سنة الأولين قلن تبارك اسم الله تبديلا ولن تبارك اسم الله تحويلا *

الدين والشريعة الالهية

ما قلناه آتفا ثبت أن الدين في جلته حاجة طبيعية للبشر وان كانت أحكامه التفصيلية مما يجري فيه اختيارهم فهم يحكمون فيها عقولهم وأفكارهم ويتبعون فيها قاعدة الأصلح والانعص لهم . فالحق والباطل مجريان في الدين من وجهين (أحدهما) كون عقائده صحيحة معقولة في نفسها وأحكامه في العبادات والآداب موافقة للفطرة في تهرؤم الملكات وتهذيب الاخلاق وتوثيق الروابط وشدة الاواخي بين الناس وأحكامه في القضاء والسياسة والادارة موافقة لسنن الاجتماع وقواعد العدل ، أو كونها ليست كذلك (وثانيها) كون عقائده راسخة في عقول الامة مؤثرة في قلوبها ، وآدابها حاكمة في شعورها ووجدانها ، وأحكامها محترمة عند أمرائها وجوهرها ، أو كونها ليست كذلك . فالدين سنة من سنن الاجتماع الكبرى وهو حق في الواقع أو باطل مؤيد بحق اجتماعي هو وحدة الامة في الاعتقاد والعمل ولا اله الا هو والعلب والسلطان على من ينازعهم فيه ويحاول ابطاله أو ارجاعهم عنه من المعطلين لانه إما أن يجمع نوعي القوة في سنن الاجتماع وفي الموازين والمواضع العرفية التي تسنها الامم لانفسها وتستند أن فيه خيرا وحفظ حقوقها كما تقدم وإما ان ينفرد بالثانية . وما اجتمع فيه الحقان يسود على ما اتفق له أحدهما فقط كإسعاد الاسلام في أول نشأته على سائر الاديان لانه حق من كل وجه والامة متحدة فيه . والتاريخ يؤيد ما نطق به الكتاب في ذلك بقوله ٤١ : ١٤ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * وقوله ٣٠ : ٤٧ وكان حقا علينا نصر المؤمنين * ولكن هذا النصر خاص بالمؤمنين حقيقة لا ادعاء أو جنسية كما

قال في آية أخرى ٧:٤٧ يا أيها الذين آمنوا ان تصبروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * ٨ والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم * وقال عز وجل ٥٥:٢٤ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم - الى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون * وقد فسروا الكفر هنا بكفر النعمة كالظلم والبني والافساد في الأرض

وتقول ان عمل الصالحات الذي قيد الوعد بالنصر يشمل مثل قوله تعالى في وصف المؤمنين من سورة الشورى ٢٨:٤٢ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * ٣٩ والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * ٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ٤١ ولئن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * ٤٢ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويغيثون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ٤٣ ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور * ومثل قوله ١٣٥:٤ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً * وقوله ٨ : ٥ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجر منكم شأن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون * فهو يأمرهم بالقيام بالقسط دائماً وهو العدل والشهادة لله بلا محاباة قريب ولا غنى ولا راحة فقير مبطل ويأمرهم ان لا يحملنهم شأن قوم أي عداوتهم على ترك العدل فيهم بل يحتم عليهم العدل حتى مع الذين يعادونهم

وقد أخبر تعالى في آيات كثيرة بأنه انما ينصر رسله وعباده المؤمنين الذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون على الظالمين كقوله ١٣:١٤ فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ١٤:٣ ولنسكتنكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (ي) * والآيات في هذا المعنى وهو نصر المصلحين في الأرض واهلاك الظالمين والفسدين كثيرة جداً

لا يوجد في مقابل هذه الآيات آية واحدة تدل على أن الله ينصر الذين ينتسبون إلى الإسلام وإن لم يقوموا بالقسط والاصلاح وينهوا عن الظلم والفساد فهل يجوز هذا الكتاب الحكيم لدعي الانتماء إليه بالقول دون العمل إذا رأى استيلاء الأوربيين على بلاد المسلمين والافتيات على حكاهم في سائر بلادهم التي لم يتم لهم الاستيلاء عليها أن يقول ان هؤلاء الأوربيين منهم الملحد ومنهم من يقول بالتثليث فكيف سادوا بقوتهم على المسلمين ، وأهل التوحيد وهو حق اليقين ، ؟ كلاته لا يجوز لهم هذا القول بعد ما بين لهم أنه لا يهلك الامم بالشرك إذا كانوا مصلحين في الأرض بالعدل وسائر من على سنن الله في العمران ولكنه يهلك الامم الظالمة معها كان اعتقادها كما علمت من الآيات التي أوردناها آتفا ومثلها كثير . وأعظم عبرة للناس الكسار الضعافة مع داعي الحق الأعظم (ص) في وقعة أحد لما خلفوا سنن الاجتماع في الحرب فخالفوا العقائد وتركوا حماية ظهر الجيش وفيها نزل ١٦٥:٣ أولا أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم . فكل من خالف سنن الله الحق يغلب على أمره بحق حتى يزجج وما أسرع رجوع المؤمن إلى الحق إذا زل عنه

لهذا أقول ان الوصول إلى حق اليقين في التوحيد يتأفي الاصرار على الظلم ، والنمادي في الفساد والبغي ، كما نطق القرآن وشهد العقل ، فلم يجمل الاسلام الاعمال الصالحة بعد ترك المفاصد سياجا للإيمان وعنوانا له ودليلا عليه وشرطا لاجتماع ثمراته في الدنيا والآخرة لكن العقل وحده كافيا في الدلالة على أن الموقن بعقله المذعن بقلبه لمقيدة التوحيد الخالص لا يؤثر هواه ولا هوى الرؤساء والحكام على رضوان هذا الآله العظيم الحكيم القوي العزيز وإنما رضوانه بالناس فضله من سننه في خلقه ، والوقوف عند ما حدده من الشكر والعدل في شرعه ، فهو يمضي في تعرف السنن والاحكام والعمل بها لا يخاف في ذلك وثبات الظالمين لقوله عز وجل ١٧٥: ٣ فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين * وقوله بعد ذكر سننه في الايام يداوولها بين الناس ٩٠: ٣ ولا تهنوا ولا تحزوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * فهل نطبق هذه الآيات على قوم يخافون الظالم ان ينهوه عن ظلمه ، ولا يخافون

الله تعالى ان يخرجوا عن حكمه ، وقد جعلوا دينه جنسية ، لاهداية حقيقية ، فهم يرجون سعادة الدنيا والآخرة بالانتساب اليه ، أو بالتوسل والدعاء لاشخاص ماؤوا عليه ، وهم مختلفون متفرقون ، متنازعون متواكلون ، جاهلون متكاسلون ، لا يبدلون ولا يتعاونون ، ولا ينظرون ولا يفكرون ١٢٠ : ١٠٥ وكأين من آية في السموات والارض يعبرون عليها وهم عنها معرضون * ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * ٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون *

هو لا الصادقون هم الموعودون بنصر الله وتأيدته « ولن يخلف الله وعده » فلو صدق المسلمون اليوم ما عاهدوا الله عليه باتخاذ الاسلام ديناً من العمل بكتابه والاهتداء بسننه في خلقه لما غلبهم أحد على أمرهم فلقصد صدقهم وعده بصدقهم فيما سلف حتى اذا ما فشلوا وتنازعوا في الامر وعصوه من بعد ما أرى سلفهم ما يحبون أخذهم بعدله وسلط عليهم من هم أقرب الى الاخذ بسننه منهم كما توعدهم بقوله ٦٧ : ٤٦ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ويحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » (راجع بحث الاختلاف والتنازع في باب التفسير من هذا الجزء)

طال المقال والبحث يطلب زيادة بيان لا يمكن الا تيان عليه الا في مؤلف خاص به لأن المسألة من أبكار المسائل التي لم يفرعها أحد من الكتاب فيما نعلم والشبهات فيها كثيرة وانما اهتمدنا فيها بهداية القرآن وآياته وخلاصة ما أقول في شأن المسلمين مع غيرهم في هذه الازمنة أن من يستخرج من القرآن الآيات الناطقة بسنن الله تعالى في أهل السيادة والعزة من صفاتهم وأعمالهم ، والآيات المينة لسننه في الأمم المستحقة للإهلاك والاذلال ، ويعرض كل ذلك على الأمم الغالبة السائدة والأمم المغلوبة المقهورة يتجلى له صدق قوله تعالى في سيادة الحق وغلته وازهاقه للباطل في كل أمة . وهذا النوع من أنواع علوم القرآن ينهض وحده حجة على ان ذلك النبي الأُمي الذي بعث في تلك الجاهلية العمياء كان ينطق بوحى من الله ولم يعلمه بشر بل خفيت هذه المعارف العالية عن أفهام أكثر البشر حتى بعد مجيء القرآن بها وانما يظهر صدقها آناً بعد آناً بروية آياته تعالى في الاتفاق وفي ترقى البشر

في أنفسهم كما قال ٤١: ٥٣ ستر بهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»
 فعلى المسلمين ان يعلموا أنهم أخذوا بذنوبهم، لا بقوة غلبتهم على حقهم، ٤٢: ٣٠ وما
 أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» وان معظم هذه الذنوب على عواتق رؤسائهم
 وكبرائهم، فلا يمدرون باستبدالهم واستعلائهم، وعلى العقلاء وأهل البصيرة منهم - وهم
 محل الرجاء في كل أمة استعدت للحياة - أن يعلموا أن ليس لهم امام يدعون اليه، ويجمعون
 الكلمة عليه، الا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فعليهم ان
 يجتمعوا لهذه الدعوة وان يتناصروا في سبيلها وأن لا ينتظروا نصر الحق من البطالين، ولا
 يتوانوا فيها خوفا من الظالمين، فان هذا الامر اذا خرج من أيديهم، يوشك أن لا يعود
 اليهم، ان الاسلام لا ينصر في الدنيا بالاماني والاحلام، ولا ينجي في الآخرة بالخرافات
 والأوهام، ان أهل الحق لا يُظلمون، ان الظالمين لا يسودون، ٤٠: ٧٨ فاذا جاء
 أمر الله قضي بالحق وخسر هناك المبطون ٤٦: ٣٥ كأنهم يوم يرون ما يوعدون
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فبل يهلك الا القوم الفاسقون * ٦: ٤٧
 قل ان أناكم عذاب الله بغتة أو جرة هل يهلك الا القوم الظالمون * وهذه نذره
 تعالى لقوم لا يعدلون، بل هم بربهم يعدلون، فبادروا أيها المؤمنون الصادقون،
 ٧: ٢١ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * ولا تغفروا دينكم الذي اليه
 تنسبون، ولكنكم به لا تعملون، فلقد أنزل الله ذكر على من قبلكم فسادوا وهم عاملون ١٩:
 ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أنشأوا
 أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ٤٥ قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *
 وقد أذكركم ما حل بهم لعلكم تعتبرون، ٢١: ١٠ لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه
 ذكركم أفلا تعقلون * ١١ وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بها قوما
 آخرين * ١٢ فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها بركضون ١٣ لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أنفقم فيه ومساكنكم لعلكم تستلثون * ٤١ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين * ٥١ فما
 زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين * ١٦ وما خلقنا السموات والارض
 وما بينهما الا بعين ١٧ لو أردنا ان نتخذ لهموا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين *
 ١٨ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون *

أثر علي بن أبي طالب

﴿أجابة سؤل﴾

﴿أو تقد شرح ديوان أبي تمام﴾

لاديب متكرر ، تأخرت عدة أشهر

للتقد على العلم فضل يذكر ، ومنة لا تنكر ، فهو الذي يجلو حقائقه ، ويميط عنه شوائبه ، بل هو روحه التي تنميه ، وتدني قطوفه من يد مجتنيه ، وإذا أبيع النقد في أمة واستحبه ابناؤها ، وعُرِضت عليه آثار كتابها ، كان ذلك قائدا لها الى بحايح المدنية وآبة على حياة العلم فيها ، الحياة الطيبة التي تتبعها حياة الاجتماع وسائر مقومات الحضارة والعمران . وقد بدأ مؤلفو العربية وكتابها يشعرون بفوائد النقد وما يعود عليهم من ثمراته الشبية فأخذوا يعرضون آثارهم على التقاد ويطلبون منهم تمحيصها و بيان صحتها من فاسدها وبالامس اطلمت على ديوان أبي تمام المطبوع حديثا في بيروت فوجدت شارحه الفاضل قد اقترح على المشتغلين باللغة قدما علقه عليه من تفسير غريبه وحل رموزه وأبدى من الرغبة في ذلك بحيث عيّن جائزة لمن عثر فيه على عشرة أغلاط فأكثر . فأكبرت صنيعة ، واستدلت منه على كبر نفسه ، وعلو همته ، وشدة شغفه بخدمة العلم وتقرير الحقيقة ، وأناذا قد أجبت سؤلّه ووافيت رغبته في الإشراف على ذلك الشرح ثم تقد مائتين لي أنه رمى في تفسيره الى غير معناه ، أو حمله على غير ما أرادته قائلة منه ، قال :

(ص ٢) قد كان خطب عائر فأقاله رأي الخليفة كوكب الخلفاء

(العائر الساقط والإقالة الاخذ باليد) * حقيقة العائر ان يعثر الرجل بحجر أو يذيله مثلا فيسقط وإذا عثر قيل له لعلك أي اتمعاشا ونهوضاً . قال في الاساس ومن المجاز عثر في كلامه وعثر الزمان به وجده عثوره وعثار زمان المرء وعثار جده

* نودع عبارة الشارح المتقدمة بين قوسين ونضع إزاء كل بيت عدد الصفحة التي هو فيها من الديوان .

كناية عن تحول حاله ومفاجأة النواذب له . وحقيقة الإقالة فسخ البيع وإبطاله قال في الأساس ومن المجاز أقلته المثرة صفحت عنه . ومجاز الإقالة يستعمل مع مجاز المنار . نقول شاعرنا خطب عاتر فأقاله الخ هو من المجاز في الكلمتين وكما يقال زمان عاتر أي سي . يقال خطب عاتر أي سي . فظيع منكر . ثم قال ان رأي الخليفة أقال ذلك الخطب العاتر أي أبطله وفل غربه وأزال ضرره عن الناس فالعاتر في البيت ليس المراد منه حقيقة وهي الساقط كما قال الشارح وإنما المراد مجازاً كان المراد بالإقالة مجازاً وتفسير الشارح لها بالأخذ باليد ليس من حقيقتها ولا مجازها على ان ذلك التفسير يأتي على البيت من قواعده لان الخطب اذا عثر وأخذ الخليفة يده فقد أنعشه ونشطه والشاعر يرمي الى غير هذا . وقد فسر الشارح الإقالة أيضاً في الصفحة ١٩ برفع العاتر من سقوطه وهو غير وجه لما سمعت .

(ص ٣٢) فسيحوا بأطراف البلاد وارتموا فنا خالداً من غير درب لكم دروب

(الفناء عتبة الدار) الفناء الفسحة تكون امام الدار أو حوالها أما العتبة فهي أسكفة الباب السفلى أو العليا . والوصيد الفناء والعتبة فاذا قيل الفناء هو الوصيد يريد من الوصيد أحد معنييه وهو فسحة الدار لا المعنى الآخر وهو عتبة بابها

(ص ٥٩) نسألها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأيت

(أيت أقامت) أيت تأنيث أي الاستفهامية كأنه يقول وأية بقعة تبوأها وتكرارها هنا كتكرارها في قول الشاعر * باي كتاب ام بأية سنة * وورود نأينا بمعنى توقف وتمكث لا يميز لنا استعمال أي بمعنى اقام كما لا يجوز لنا ان نقول باء بالمكان بمعنى تبوأه وإنما رسمت ناء أيت هنا مفتوحة مع ان الاصل كتابتها مر بولة ابتقاء مشاكلة القوافي مثل النجات في قوله (وأكله وصحبه الثقات السالكين سبل النجات)

(ص ٦١) وأحياسبيل المدل بمد ثوره وأنهج سبل الجود حين تفت

(أنهج قوم) أنهج السبيل أو ضحها وأظهرها بعد غائها واضمحلالها وقومها عدلها بعد اعوجاجها والرواها

(ص ٦١) به انكشفت عنا النياحة وانفرت جلايب جورعنا واضمحلت

(انفرت انقطعت) الفرع القطع يقال فريت الأديم أي قطعت وانفرت الأديم

انشق وإذا أسند الى مثل الجلابيب فسر بالانكشاف والانحسار مثلاً . ومثله
تفرّى الليل عن يياض النهار أي انكشف ومن هذا القليل جاب ومعناه قطع
كقوله تعالى « جاؤا الصخر بالواد » فاذا قيل انجابت الظلة أو انجابت الظل
فسراً بانكشفت وتقلص مثلاً .

(ص ٦٤) ان الهموم الطارقاتك موهنا منعت جفوك ان تذوق حثانا
(موهنا ضعيفاً) الوهن له معنيان (١) الضعف (٢) بعد ساعة من الليل
أونحو نصفه اما الموهن فمعناه الثاني منها . فاذا قالوا الموهن الوهن عنوا بعد ساعة من
الليل أونحو نصفه لا الضعف . والطارقات الملمات ليلاً فالموهن في البيت بالمعنى الثاني
(ص ٦٦) من كل رعبوبة تردى بثوب فيناها الأثيث

(فيناها المتفنن في نسجه) يطلق الفينان على الرجل الكثير الشعر ويطلق أيضاً
على فئس الشعر الكثير الكثيف تشبهاً له بأفنان الشجرة اذا التفت وتكاثفت
فالفينان من الفين وهو القصص والشاعر يقول ان تلك الرعبوبة لبست ثوباً من
شعرها الكثيف

(ص ٧٢) أشلى الزمان عليها كل حادثة وفرقة تظلم الدنيا لتأزحها
(أشلى دعا) أشلى اذا عدي الى مفعول واحد كان بمعنى دعا واذا عدي
الى مفعولين ثانيهما بحرف الجر (على) كان بمعنى أغرى فاذا قلت اشليت الناقة
والكلب أردت دعوتها واذا قلت اشليت الكلب على الصيد أردت اغريته
عليه . فاشلى في البيت بمعنى أغرى .

(ص ١٠٠) في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهمها من حسنها البرد
(البرد المتبادر انه جمع برده وهو ما بين المنزلين) قال في شفاء الغليل تقلاع الفائق
البريد في الاصل البغل وهي كلمة فارسية وأصلها (بریده دم) أي محذوف الذنب
لأنه يقال ان دابة البريد كانت كذلك اه ضربوا « بریده دم » وخففوها الى
بريد فالبريد كلمة معربة معناها في الاصل البغل الذي يحمل الرسائل بين البلاد
وكأوا يقطعون ذنبه ليكون ذلك كالعلامة له ثم سمي الرسول الذي يركب البريد
بريداً ومنه قول بعض العرب الحمى يريد الموت والحديث « اذا بردتّم الي بريدا

فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم» وسيت أيضاً المسافة التي يقطعها البريد بالبريد ومنه قولهم «ان البريد من الفراسخ أربع الايات وقد اراد الشاعر ان الدواب التي تحمل اخبار انتصار المدوح في غزواته تكاد تفهم ما حملته وتشعر بحسن وقعه في النفوس

(ص ١٠١) حلفت برب البيض تدمي متونها ورب القنا المناذ والمتقصد (المناذ المتحرك) أود العود اعوج وآوده واوده حناه وعطفه فتأرد واناذ انحنى وانمطف والمناذ المنحني والمعوج فالشاعر يحلف بالراح التي بوشر الطعن بها فننا ما تنكسر ومنها ما اعوج وانحنى من شدة الطعن

(ص ١٠١) اذا مادعوناه بأجلح ايمن دعاه ولم يظلم بأجلح انكك (أجلح شديد مقدم) يقولون يوم أجلح واضلع أي شديد وقالوا جُلِّح على الشيء من باب فَرَّح أي أقدم عليه اقداً ما شديداً وهو ليس بالثلاثي فلا يأتي منه التفضيل على افضل . وعليه فأجلح في البيت وصف من الجلح وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس كالصالح أو اخف منه يريد الشاعر ان المدوح الذي فكك ييا بك ان كانت جلحته مباركة علينا ودعوناه لاجل ذلك بأجلح أيمن فهي مشووة على بابك وهو جدير ان يدعوه بأجلح انكك : ونسبة اليمن والنكك الى الصلعة مهود كنسبتهم الى الوجه والطلعة (له بقية)

❖ التقریظ ❖

❖ الحصون الحميدية * لحفاظة العقائد الاسلامية ❖

طبع في هذه السنة كتاب مسمى بهذا الاسم من تأليف الشيخ حسين الجسر الشهير صاحب الرسالة الحميدية . وطريقة المؤلف في باب الإلهيات هي طريقة السنوسي التي جرى عليها المتأخرون الذين كتبوا على عقيدة السنوسي الصغرى وعلى الجوهرية وآخرهم الباجوري فهو يذكر من صفات الله تعالى ما هو سلي كالقدم والبقاء ومخالفة الحوادث وما هو وجودي وما هو في عرفهم واسطة بين الموجود والمعدوم وهو الوجود . ويعرف الصفات بما عرفوها به ويذكر لصفات المعاني من التعلق ما ذكرها حتى قولهم ان السمع والبصر يتعلقان بجميع الموجودات .

ولكنه أطال في باب النبوات أكثر مما أطالوا فذكر أشهر معجزات الانبياء واستدل على كل واحدة منها بالدليل المعروف وهو انها جائزة عقلا إذ لا يترتب على فرض وجودها محال وكل جائز في العقل فقدره الله صالحة للتعلم بإيجاده وقد أخبر الصادق ان ذلك وقع فوجب التصديق به وزاد عليه ايضا كما وردا لشبه أهل العصر . ثم انه يذكر من هذه المعجزات ما جاء به القرآن وما روي في أحاديث الآحاد حتى ما لا يرتقي منها الى درجة الصحة كحديث حبس الشمس وأوردها بدعوة نبينا صلى الله عليه وسلم وبدعوة يوشع بن نون عليه السلام . قال ان الايمان بذلك هو الموافق لشأن المسلمين والاسلم لهم في دينهم فنحن نؤمن به ونصدق :

أقول ان مسألة ردة الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المراجع ووردت في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه وهذه الرواية وثقها الطحاوي في مشكل الآثار وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعبه في الآثاء وهذا نص الرواية من حديث أسماء بنت عميس : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل (علي) العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله (ص) لعل صليت؟ قال لا قال « اللهم ان كان في طاعتك وطاعة رسولاك فاردد عليه الشمس » قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت : رواه الجوزقاني عنها وقال انه حديث مضطرب منكروا وقال ابن الجوزي موضوع وفضيل بن مرزوق المذکور في اسناده قال ابن حبان يروي الموضوعات ورواه ابن شاهين من غير طريقه وفي اسناده أحمد بن محمد بن عقدة رافضي روي بالكذب : ورواه بن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا وفي اسناده داود بن فراهيج مختلف فيه وقد وثقه قوم . أقول وما ورد في حبس الشمس لبوشع ضعيف أيضا وهو معارض لهذا فانه ورد بضيفة المحصر ولعل غرض شيخنا صاحب الحصون الحميدية من اختيار التسليم بكل ما ورد من الخوارق للأنبياء وغيرهم وان لم يتواتر بل وان لم يصح سنه في الآحاد علم فتح باب انكار الجزئيات لئلا ينفي بقوم الى انكار أصل الخوارق من المعجزات والكرامات . فهو يقول

مادمتا نوؤمن بقدرة الله تعالى على كل شيء فلا ينبغي لنا ان نتكبر شيئاً يؤثر عن أصفياء الله تعالى وان كان مغالفاً لسنة فهو واضعها وهو الذي يغيرها ان شاء الله متى شاء على يد من شاء . هذا رأيه واننا نورد عبارته في بيان دفع ما يرد على هذه الحارقة بعد التصريح بامكانها قال «ص ٩٧»

« وان قيل على فرض تسليم القول بالهيئة الجديدة وان الارض هي التي تدور لو وقفت الأرض عن حركتها أو انعكست حركتها يلزم ان يبقى ماء البحر آخذاً بحركة الاستمرار فكان يفيض على اليابسة ويفرق أهلها: قلنا ان القادر على ايقاف الأرض أو عكس حركتها هو قادر على سلب حركة الاستمرار من ماء البحر وجعله تابها للأرض في وقوفها وعكس حركتها فلا يفيض حينئذ على اليابسة ولا يلتفت الى قول بعض الملحدين انه ليس من حكمة الخالق تعالى ان يوقف ذلك الجسم الكبير المبني حركته على ناموس عظيم في الكون وهو ناموس الجاذبية كما يقول أهل الهيئة الجديدة لأجل غرض واحد من البشر (وهو محمد او يوشع) عليهما السلام . لأننا نقول لم يكن ذلك الصنع منه تعالى لأجل مجرد غرض واحد من البشر وإنما هو لحكمة بالغة وهي إظهار المعجزة الحارقة للمادة التي ينشأ عنها اعتناء أولوف من الخلق ويرجعون بذلك من الكفر الذي يهلك نفوسهم الى الإيمان الذي يحياها الحياة الأبدية وينشأ عنها تثبيت أولوف وتمكينهم بالإيمان من آمنوا قبل ذلك ويبقى ذكرها وتقلها بين الخلق يتحدث بها الجيل بعد الجيل وينتفع بنقلها من اراد الله تعالى هداها ويتصور بها عظمة قدرته تعالى وعجيب أعماله . فهذه الحكمة العظيمة توازي في المظمة حصول تلك الحارقة وتوقفها ويليق بها أن تحصل تلك الحارقة لاجلها . على أن ذلك الملحدين نظر الى مجرد عظمة تلك الحارقة ولو قابلها بعظمة قدرة الله تعالى لما وجدها شيئاً يذكر وهذه الحارقة وغرض واحد من البشر عند الباري تعالى على حد سواء في أن كلامها تحت تصرفه ومشيتته ولا يعظم شيء منها لدى عظيمته وان كان في نظرنا القاصر أننا نجد الفرق بينهما عظيماً وهما عند الله سيان في الجواز والامكان . ثم انه في بعض الروايات التي نقلت تلك المعجزة ما يفيد أن الرسول طلب وقوف الشمس أو أعادتها فلا يقال على فرض تسليم رأي الهيئة

الجديدة بدوران الارض أنه كان الصواب في حق ذلك الرسول أن يطلب وقوف الارض أو عكس حركتها عوضاً عن طلب ذلك في الشمس : لانا نقول على فرض تسليم ذلك فلا مانع من أن يكون الرسول يعلم حقيقة الامر ولكنه طلب ذلك في الشمس بناء على الظاهر والجاري في رأي الشعب والمألوف بينهم في الاستعمال والله سبحانه يعلم المقصود من طلبه ولا يكون ذلك غلطاً من الرسول وهكذا نرى أهل الهيئة الجديدة يجرون في كلامهم على ظاهر ما يبدو لأهل لغتهم ويجري في استعمالهم فيقولون طلعت الشمس وغربت وهم يعتقدون وقوفها وحركة الارض ولم نسمعهم يقولون طلعت الارض أو غربت أو وصلت الارض لمقابلة نور الشمس أو فارقت وكل ذلك منهم على حسب الشائع في الاستعمال وظاهر ما تعطيه المشاهدة اذا علمت ما قرناه ، واندفعت عنك تلك الشبه بما حررناه ، فاعلم اننا معشر المسلمين آمنّا بهذه المعجزة اذ لا مانع يمنع من وقوعها والله قادر على ايجادها معجزة مؤيدة لرسوله الكرام ، يهدي ويثبت بها الألوف من الانام ، اه بحجوه

ولا يحسن القاري أن الاستاد المؤلف يحكم بأذن أنكر هذه المعجزة كأولئك الحفاظ الاعلام بعد ملحد التعبير عن المعارض بلفظ المالحدة انه لم يقل أحد من المسلمين بكفر من ينكر أي حديث من احاديث الاحاد وان صح سنده فكيف يكفرون من ينكر حديثاً ضعيفاً أو منكراً باعتراف حفاظ الحديث أنفسهم . وانما يكون المنكر ملحد اذا كان ينكر قدرة الله تعالى على فعل تلك الحارقة أو أي ممكن من الممكنات . والمؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعتقد بشي ثبت عنه عنده ثم ينكره لمظلمته وانما أنكر الأئمة كثيراً من الاحاديث لعل في روايتها أو روايتها أو متنها ككونه لا يتفق مع الثابت القطعي فن أنكر حبس الشمس أو رجوعها لعل من ذلك لا يعد ملحد ولا مبتدع ولا عاصياً ولا منحرفاً عن سبيل المسلمين لاسيما اذا لاحظ مع ضعف الرواية أن مثلاً مما يشتهر وتتوفر الدواعي على نقله فلما لم يروها أهل النقد من المحدثين كالشيخين وأصحاب السنن ومثل مالك وأحمد ترجع عنده أن من جرح روايتها ولم يقبلها من المحدثين هو المصيب دون من قبلها . ثم ان اذ كره الاستاذ مؤلف الحصون الحميدية من الحسكة في وقوع هذه الحارقة لم تؤيده رواية

الحديث فيها اذ لم يرد أن كافراً آمن لاجلها أو ضعيف ايمان ثبت برويتها . ولا شك أن هذه الحارقة هي أعظم الخوارق الكونية التي نقلت لأنها ابطال لسنة الله تعالى في نظام العالم العلوي والسفلي فهي أعظم من احياء الميت ومن انقلاب العصا حية ونحو ذلك فلو تحدي بها لرجي أن يظهر ما قاله من الحكمة ولكن لم ينقل رواتها أنه وقع بها التحدي نعم إن واضع السنن لنظام الكون باختياره قادر على تبديلها أو تحويلها أو ازالتها اذا وافق ذلك حكمته ولكن النظام الثابت بالمشاهدة اليقينية وبالنقل اليقيني الناطق بأن سنن الله لا تبدل ولا تتحول وان الشمس والقمر بحسبان ، وأن لا تفاوت في خلق الرحمن ، لا يصدق في دعوى تغييره وتبديله قول فلان عن فلان في رواية مطعون فيها من المحدثين ، فهي لا تفيد الظن فضلاً عن اليقين ، واننا نعيد القول بأن مؤلف الحصون الحيدية لم يقصد بفتح باب التوجيه لكل ما ورد من الخوارق ومن أمور الغيب التي ذكرها في باب السمعيات . وان لم يرتق الوارد فيها الى درجة الصحة بل وان كان قولاً مشهوراً لبعض العلماء لم يرد فيه شيء عن المصوم . الا لاجل حماية القطعي الثابت من آيات الله ومن خبر الوحي الثابت عن عالم الغيب لئلا ينتقل العاصي وأمثاله من لاعلم لم بمحقق الدين من انكار ما لم يثبت باليقين الي انكار ما ثبت به وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر اذ الذي قطع به علماء العقائد أن المؤمن لا يحكم بكفره الا اذا جحد شيئاً مجمعا عليه معلوماً من الدين بالضرورة . والدليل على هذا الجحد اما القول واما الفعل الذي ينافيه كالسجود للصنم اختياراً .

والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية وعن النسخة منه أربعة قروش صحيحة

البائنة - أو بحث في الدوطة

الدوطة كلمة إفريقية مشهورة معروفة المعنى وهو ما يأخذه الرجل من المرأة التي يتزوجها كما هي عادة الافرنج ومقلدهم وقد وضع سليم أفندي عواد رسالة في هذه المسألة بين فيها ان لفظ (البائنة) العربي يؤدي معنى الكلمة عند الافرنج ثم عرف الدوطة وبين سببها وذكر تاريخها عند اليونان والروم وأحكامها في قوانين الافرنج وكيف تملك وتورث والرسالة تطلب من المؤلف في الاسكندرية

(الروايات الشهيرة) هذا اسم لقصص يصدرها يعقوب أفندي الجمال كالمجلات الشهيرة وقيمة الاشتراك السنوي فيها ٥٠ قرشاً في القطر المصري و٢٠ فرنكاً في غيره . واتهمته تناهز مثني صفحة من الشكل الثالث ونعني بالشكل الثالث ما كان دون المنار وهو الشكل الثاني . ونحن النسخة الواحدة منها ستة غروش . وهي تطلب من صاحبها في عزة الزيتون بضواحي مصر .

(رواية الملك كورش الفارسي) قصة أدبية غرامية تاريخية للكاتبة العربية المشهورة (زينب فواز) طبعت على نفقة أمين أفندي هندية وتطلب منه (الطبيب المصري) قصة أدبية أخلاقية تاريخية ألفها محمد أفندي المراهوي من عمال نظارة المعارف ولم تمكن من قراءتها ولا قراءة سابقتهما لنبي فيهاريا فاكيننا بالتعريف اعترافاً بفضل الكاتبين والمؤلفين والناشرين . ونحن النسخة من هذه القصة ثلاثة قروش

(مجلة المجلات) عادت مجلة المجلات الشهيرة الى السفور بعد احتجاب طويل شق على عاشقي فوائدها وقد صدر العدد الأول من سنتها الحاضرة (وهي السادسة) في أول يناير من هذا العام الميلادي مفتحة برسم الاستاذ الإمام ويترجمه له بعد خطبة السنة وفيه كثير من الفوائد العلمية والأدبية والصور فترجوها العمر الطويل ، وثني على صاحبها (محمود بك حسيب) الثناء ، الجميل والمجلة شهيرة يتألف العدد منها من ٦٤ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٨٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في غيرها

(الآباء) مجلة عمومية أدبية لصاحبها محمود أفندي الكاشف وكانت من قبل جريدة وهي مؤلفة من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشاً في مصر و٢٥ فرنكاً في خارجها فتعني لها الثبات ودوام الانتشار والارتقاء . (الصائح) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة محمد علي بك نصوحي الصيدلي وهي معتدلة كصاحبها فتعني لها الزواج وترجوها الثبات . (الارشاد) جريدة أسبوعية يصدرها في القاهرة الشيخ علي الجرجاوي وقد اشتهرت بالمداومة عن الاوقاف فتعني لها العمر الطويل والخدمة النافعة

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

دعوة الاسلام في اليابان

كان لما كتبناه في مسألة دعوة اليابان الى الاسلام تأثير في جميع الأقطار الاسلامية فقد نقلت ما كتبناه الجرائد الهندية وأضافت اليه ماأضافت وكتب الينا بعض أهل الفيرة من مسلمي الآفاق بالاستحسان والاستعداد لإسعاد الدعوة إن وجدت ، ومن ذلك ماكتب الينا به بعض الفضلاء من سنغافوره وهو :

« قد أسرني ما رأيت بالمنار من ذكر الدعوة الى الله بالجاپان وباطلاعنا على ما ذكرتم كتبنا لأحد المسلمين في شنغاي (بالصين) ليفيدنا عن الشيخ حسان وأحبينا أن نكاتبه ونحن بما تقدر عليه فوصلنا منه ما ترونه ضمن هذا بعد الاطلاع عليه أرجعوه الينا ان شئتم وقد أجبناه عسى أن يؤلف لجنة لجمع إعانة لهذه الغاية ففسى ولعل . ويقال ان أهل الهند جهزوا عالماً بمخسة آلاف روية ليذهب الى جابان للدعوة . وقد أطرنا ما ذكرتم في المنار بالعدد الاخير (يعني ج ٢٢) من دعوتكم العلماء للذهاب والأغنياء للمعاونة بالمال وقبلنا تلك السطور نيابة عن أنامل سطرها ولكننا لانوافقكم في أن سروات مصر لا يكتبون بالمبالغ الكبيرة ودليلنا ان القوم يكتبون سنوياً لعيد الجلوس ونحوه من الأعياد الفارغة بمبالغ غير حقيرة مع أن الأمير لا يقرأ تلك القوائم ولو قرأها لم تعلق بذهنه فضلاً عن أن يثيب على ذلك فن لا يخل بالترهات كيف لا يذلل المال في نصرة الدين ، وإقراض أحكم الحاكمين ، فلا تزيدكم توصية بالتكرار . وهنا قد أحب بعض قراء المنار المشاركة وسيقدمون ما يجتمع وهو وان كان زهيدا فأول النيث قطر » اه بنصه وهذا ما كتب اليه من شنغاي بصبارته قال الكاتب بعد رسوم الخطاب

« احاطة علمكم ما هو محرر بمجلة المنار الاسلامي عن أن رجلاً من الصين اسمه حسان قد قام بكتابه بعض عبارات في مجلة شوكي الجبانية يدعو القوم الى الديانة الاسلامية وتطلبوا الافادة عن (ادريسه) فلا آخر شرحكم فهناه كما اطلعنا عليه بالمجلة

المذكورة ونشكر غيرتكم الحمية عليه . غير أنه قد تعجبنا من ذلك لعلنا به دم وجود هكذا شخص بالصين أهلا لذلك ونأسف كما يأسف كل مسلم غيور بأن تكون أهالي الصين المسلمين محرومين من هكذا رجل وهم أحوج الناس إليه » ولدى الاستعلام عن الشخص المذكور فهمنا بأنه قد حضر من بضعة أشهر من بلدة « دلهي » بالهند رجل عالم اسمه بالانكليزي (سفراي حسين) ولعله هذا الذي يعنى عنه المنار « حسان » من طرف جمعية اسلامية بالهند لهذه الغاية الى الجبان من بعد أن أقام كام يوم هنا طرف أحد الإخوان . وقد فهمنا انه توجه الى الجبان الى أوزاكا ومنها الى ناكازاكي حيث أقام بتحرير جملة مقالات في بعض جرائد الجبان والقاء بعض خطب بهذا المعنى والآن نجهل محل اقامته كما نجهل (ادرسه) الا أنه يمكن نحرره له بالاسم المشروح أعلاه بالانكليزي الى بوكاهاما أم ناكازاكي . وغدا ان شاء الله سنحضر الى أحد الاصحاب بتلك الأطراف للاستعلام عن ذلك واليك الحقيقة بعد هذا

« أما حالة الجبان الدينية فهي كما كتب محرر المجلة المذكورة ولم يزالوا تائبين حائرين على دين يتقنوه (وان يكن منهم صار الحظ الأوفر مسيحية) ونعرف منهم اثنين قد اعتنقوا الدين الاسلامي ولا قدروا يفهموا منه الا أسماهم حيث قد صاروا بأسماء جديدة أحدهم ابراهيم والثاني اسماعيل . ونعهد ان منهم جملة قد صاروا يهودا . والحقيقة الآن فرصة ثمينة جدا وثواب عظيم . ولكن يحتاج هذا لرجل عظيم فيلسوف غيور مستعد ليس بعلم الفقه فقط على مذهب الشافعي . . وحضرتكم أعلم .

« أما حالة الصين لا تنكرو وجود جملة اسلام بعد بالملايين ومنهم العلماء الاعلام ويوجد عندهم المدارس العاليية الداخلية حيث يوجد بهم ألوف من طلبه العلم أخصه في البلاد الداخلية حيث أعلم الاسلام بهم نظير كيانسو . شانسي وهونان . ولكن من الصعب وجود شخص بالاستعداد الكافي والغيرة لما ذكر ربنا اهدنا ووفق وألف بين قلوبنا انك سميع مجيب . . » اه بحروفه ونقطه الا اسم العالم الهندي فقد رسمناه بحروف عربية وظاهرانه يريد بالجبان اليابان وبالأدريس العنوان

وكنّا قبل هذا قرأنا في جريدة «وكيل» الهندية القراء ما ترجمته :

حضر من أعيان الهند وعلمائها الاعلام (سرفواز حسين) الى مدينة نجاساكي اليابانية في ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٥ وفي ١٨ منه دخل الى أحد معابدها المسى (جوسوجي) وألقى خطبة شائقة باللغة الانكليزية موضوعها التوحيد الاسلامي ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكان عدد الحاضرين يبلغ زهاء أربع مئة من يابانيين وأوربيين ودام في خطبته ساعتين وكان من الحاضرين اللادي مس ريندلف كود الامريكانية وكانوا يسمعون بكل انتباه وإصغاء وفي اليوم التالي ليوم إلقاء الخطبة كتبت عنها الجرائد الانكليزية واليابانية مقرظة اياها أحسن تقرير وقد جاء كثيرون ليسألوا العالم الهندي بارتياح وسرّة عن التوحيد والنبوة وبعد عشرة أيام برحنا الى مدينة كوبي ومنها الى طوكيو اهـ

(المنار) نقول ان مصدر خبر الشيخ حسان الصيني هو الجرائد الألمانية ولا ندرى من أين أخذته . ولا فرق عندنا بين أن يكون الداعي للاسلام هنالك صينياً أو هندياً لأن الملة واحدة ولكن نرجو أن يكون هندياً لأن أهل الهند أعلم بها من أهل الصين ومن لنا بمن يترجم لنا خطبة أخينا سرفواز حسين لعنا نجد فيها ما يطمئن له القلب من ناحية هذا الداعي الاول للاسلام في تلك البلاد . ولا يشك عاقل في أن هذا العمل الجليل لا يكفي للقيام به عالم واحد مهما اتسعت دائرة علمه، ونفذت أشعة عقله وفهمه، فلا بد للمسلمين من جمعية للدعاة يكون لها مدرسة لتربيتهم وتعليمهم وصندوق غني للنفقة عليهم . ولكن هل بلغ استعداد المسلمين الديني والاجتماعي في جميع الممالك الى أن ينهضوا بجمعية واحدة كأصغر جمعية من جمعيات المبشرين عند النصرارى ؟ يظن صاحبنا الذي كتب الينا من سنغافوره ان المصريين وحدهم يضطلمون بهذا العمل وهو قليل على كرمهم ولكنه أيدظنه بقياس الجد على المزل ولا أزيد على هذا شيئاً في الكلام على قياسه وأقول له ان لي في المصريين لأملأ مثلاً ولكني أعتقد ان هذا العمل لا يتم الا اذا تضافر المسلمون في كل الاقطار عليه . ويرجي بعد أن تبدو ثمراته بسعي أصحاب المهم العالية والغيرة الصادقة ان تصير الثقة به عامة وأن توقف عليه الأوقاف العظيمة فإن حب

الحير وبذل المال في سبيل الله لم يمنح من نفوس المسلمين ولكن الأغنياء منهم صاروا طبقات فمنهم من عبد المال من دون الله لا يسمح بقليل منه ولا كثير وهو لا قد فسدت فطرتهم فلا رجاء فيهم ، ومنهم من لاهم له الا الاسراف والتبذير في سبيل الشهوات واللذت والنفخضة والزهو والخيلا ، وأكثر هؤلاء من عبید الشهوات الذين لم يبق للدين بصيص من التورفي قلوبهم . وقد يوجد فيهم من ترجى أوبته ، وتحسن خاتمته ، ومنهم من يحب عمل الخير ولكن يضعه في غير موضعه لجهله بما يرضي الله وينفع الناس فينبى مسجدا حيث تكثر المساجد فيزيد المسلمين نفريقا أو يوقف وقفا على ضريح بعض المشهورين بالصلاح ، ومنهم من يميز بين الصار والتافع ولكنه ضعيف لا يقدر على العمل بنفسه ولا يثق بالعاملين وأن كانوا قادرين وأما الرجاء بمثل هذا بعد ظهور ثمرة العمل . وأما الغنى السخي العاقل الشجاع الذي يرجى للشروع في الاعمال العظيمة قليل ، وهو المرجو لهذا المشروع الجليل ،

(منار السنة التاسعة - تنبيهات)

(١) انا سنزيد مادة التفسير في الاجزاء الآتية ويرى القراء أننا نراعي في كتابة الآيات الكريمة المشكولة رسم المصحف العثماني اتباعا لسلفنا وحفظا لما كانوا عليه في صدر الاسلام . ولكننا عندما ندكر هذه الآيات في أثناء التفسير نوافق جميع كتب التفسير المطبوعة في جعلها على قواعد الرسم المتبعة لأنها تكتب غير مشكولة فيخشى ان يحرف قراءها غير الماهر في التلاوة وقد نبهنا في هامش الصفحة الاولى من التفسير على اكتفائنا بعد المصحف المطبوع في الاستانة للآيات الكريمة . وقد تحررنا في هذه السنة الاشارة الى السور وعدد الآيات في جميع ما ندكر في المنار من القرآن المجيد ونفصل بين عدد السورة وعدد الآية بنقطتين هكذا ٢٥ : ٩ والمراد بهذا المثال السورة التاسعة والآية الخامسة والعشرون منها . ومن كان عنده المصحف الذي طبعه فلوجل الالماني وراجع عدد الآية فرأى غيرها فلينظر قبلها أو بعدها بآيات قليلة بمجدها لأن الفرق في مواضع الاختلاف قليل

(٢) قد جعلنا باب المقالات في هذا الجزء بعد باب الفتاوى ولكننا سنجعله في الاجزاء الآتية بعده

(٣) لا يقبل الاشتراك في المنار الا من أول السنة الهجرية أو من أول رجب منها ومن قبل الجزء الأول عد مشتركاً الى آخر السنة ولزمه اداؤه قيمتها كاملة . وهذا الشرط يلتزمه من يفي بالعقود والشروط التي رضي بها وان كان لا يبالي بها من لا قيمة لنفسه عنده وحسبنا اننا نعامل أهل الفضل والشرف ومن شذ فأخلف ظننا فحسبه ان يكون حسن الظن فيه كاذباً

(٤) نرجو من أهل الوفاء والفضل الذين لم يوفوا الى الآن أن يرسلوا الينا القيمة المتأخرة عندهم حوالة على مكتب البريد في مصر القاهرة أو على بعض التجار أو المصارف (البنوك) ونعلم مشتركى سنغافوره وجاوه والهند أن قيمة الروبية الورق (بنك نوط) في مصر ستة قروش مصرية فالعشر الرويات تنقص عن قيمة الاشتراك زيادة عن فرنكين فلملهم يكفون عن إرسال هذه الاوراق (٥) اننا نريد ان نطبع عنوانات المشتركين في القطر التونسي وسائر الاقطار فمن كان في عنوانه غلط فليصححه لنا لنطبعه على الصواب ونرجو المبادرة الى ذلك . وقد حذرنا على التونسيين في الجزء الماضي أن يدفعوا شيئاً من قيمة الاشتراك بعد وصوله اليهم الى المحصل الذي أقامه وكبل المنار في تونس واسم هذا المحصل (أحمد أبو خيطوه) فقد كتبنا اليه نسأله عن التحصيل وعن الوكيل الفاضل التليل فلم يجرب جواباً ولم له عذراً يظهر عن قريب . فنجو من فضلهم ارسال القيمة حوالة على البريد بمصر

(٦) عزمنا على ان ننشر في الاجزاء الآتية نثداً من المباحث الادبية منظومها ومثورها ونذكر في الجزء الآتي كلاماً في المغرب الاقصى ومسألة العقبة وما شاع من سلطان الجن والشياطين على بعض علماء الازهر وغير ذلك من العبر

(٧) كنا نرسل المنار الى كل طالب ونحسن الظن فيه فخاب ظننا بكثير حتى من أصحاب الاقطاب الضخمة وقد بدا لنا في ذلك فلا نرسل المنار في هذا العام الا لمن يرسل قيمة الاشتراك مع الطلب الا أن يكون الطالب لنفسه أو لغيره من أصدقائنا الموثوق بهم

عمال المطابع وأخلاق العامة

أفادنا علم الأخلاق أن العمة في ردع الناس عن الشر وتوجيههم الى الخير هو الوازع النفسي ويقول فلاسة هذا العلم ان هذا الوازع يتمكن في النفس بالاعتقاد الديني وبتربية وجدان الشرف في النفس في أمة تعرف معنى الشرف الحقيقي وتحترم من يتلوث بالخسة والدناءة . وأما عقوبة الاحكام فقد وضعت لاهل الشذوذ لاثريية العامة . فن عرف هذا وعرف حال التريية في مثل هذه البلاد لم يتمتعب من تألم الناس هنا من الصناعات والخدم وتجاوبهم بالشكوى منهم فانهم محرومون من آداب الدين ومن شعور الشرف الا من شذ . وان اكبر خدمة تقوم بها الجمعية الخيرية الاسلامية لهذه البلاد هي تربية أولاد الفقراء تربية دينية يرحى بها ان يكونوا صناعات وأجراء صالحين يوثق بهم ويؤمنون على الاموال والاعمال

كنا ظننا أن الدين والوفاء للصناعة يقرهم من حسن الخدمة والاستقامة فاذا بالقوم لا يفرقون بين الاحسان والاساءة وكمن عامل ترك العمل لان رجلاً قال له في الطريق اترك هذه المطبعة واذهب معي الى مطبعة كذا فذهب وليس له عندنا قرش واحد على أن أكثر أصحاب المطابع يسكنون من أجور العمال شيئاً بمثابة الرهن فن ترك العمل ضاع عليه وكان عوضاً لصاحب المطبعة عما يخسر به أهمل العمل الى أن يجد عاملاً بديلاً منه . وقد تبلغ البلادة والحفاة ببعضهم أن يترك العمل عدة أيام ليفيظ صاحب المطبعة وهو أحوج الى أجر هذه الأيام من صاحب المطبعة الى عمله بل الى المطبعة نفسها . ويسرع على أذكي الأذكيا وأفصح البناء أن يفتح الكثيرين منهم بأن هذا العمل ضار به وهذا نافع له كأن أقعافهم الحيطه بأدب منهم أفلاك هيئة اليونان لا تقبل الخرق والالتئام . فتبا للمتفرجين المجاهرين بالفسق ولاهل الخرافات الذين أزالوا حرمة سلطان الدين من نفوس هؤلاء العوام . حتى لم يبق لهم زمام ولا لجام ، فاستحل أكثرهم الحرام، وخزيت بهم الأنام ، — هذا وان تأخير هذا الجزء عن مواعده كان لا متنازع بعض العمال عن العمل أياما وسيأخر الثاني ولا تأخير بعد ذلك ان شاء الله تعالى

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المسحاة

فبشر جبرادي الذين ينتسبون لقول فيثيون أحسنه
أرطاك الذين هداهم الله وأرطاكهم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي ودمثارة كمنار الطريق)

(مصر الاثنين غرة صفر سنة ١٣٢٤ - ٢٦ مارس (آذار) سنة ١٩٠٦)

باب العقائد

﴿ مسألة القدر وفعل العبد بقدرته ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني بعد إبطال مذهب القدرية والجبرية وهم
الضالون في الافراط والتفريط مانصه

وأما المتوسطون فهم أهل السنة والجماعة فلم يفرطوا تفريط القدرية القناه ولم يفرطوا
افراط الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله، وهؤلاء على مذهبين مذهب
الاشعري ومن واقفه من الخلف ومذهب سلف الأمة وأئمة السنة فذهب أهل
السنة كافة ان جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقعة بقضاء الله وقدره
لا خالق سواه فاعمال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها حسنها وقبيحها والعبد غير
مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها هذا القدر باتفاق أهل السنة ثم ان الاشعري ومن واقفه
منهم أثبت للعبد كسبا ومعناه انه قادر على فعله وان كانت قدرته لا تأثير لها في ذلك كما
مر قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه هذا قول الاشعري ومن واقفه من
المثبته للقدر من الفقهاء وطوائف من أهل السنة من أصحاب مالك والشافعي
وأحمد حيث لا يثبتون في المخلوقات قوى ولا طبائع ويقولون ان الله تعالى فعل
عندها لا بها ويقولون ان قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل ويقول الاشعري ان الله

فاعل فعل العبد وان عمل العبد ليس فعلا للعبد بل كسبا له قال شيخ الاسلام وهذا قول من ينكر الاسباب والقوى التي في الاجسام وينكر تأثير القدرة التي للعبد التي يكون بها الفعل ويقول انه لا أثر لقدرة العبد أصلا في فعله لكن الاشعري يثبت للعبد قدرة محدثة واختيارا ويقول ان الفعل كسب للعبد لكنه يقول لا تأثير لقدرة العبد في إيجاد المقدور وهو مقام دقيق حتى قال بعضهم ان هذا الكسب الذي أثبتته الاشعري غير معقول قال حتى قال جمهور العقلاء ثلاثة أشياء لاحقيقة لها طرفة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري وذلك انه يلزم ان لا يكون فرق بين القادر والعاجز اذ مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة فان فعل العبد يقارن حياته وعلمه وادارته وغير ذلك من صفاته فاذا لم يكن للقدرة تأثير الا مجرد الاقتران فلا فرق بين القدرة وغيرها ومن هذه الطائفة من يقول ان قدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل لاني أصله كما يقوله القاضي أبو بكر الباقلاني من أئمة مشككة الاشعرية ومن واقعته فانه أثبت تأثيرا بدون خلق الرب فلزم ان يكون بعض الحوادث لم يخلقه الله وان جعل ذلك معلقا بخلق الرب فلا فرق بين الاصل والصفة قيل ومذهب الاشعري يقرب في هذه المسئلة من مذهب الجبرية الجهمية فانه يحكي عن الجهم بن صفوان وغلاة اتباعه انهم سلبوا العبد قدرته واختباره حتى قال بعضهم ان حركته كحركة الاشجار بالرياح كما تقدم قال شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجهم كان يقول لا أثر لحركة العبد أصلا في فعله وكان يثبت مشيئة الله تعالى وينكر ان يكون له حكمة ورحمة وينكر ان يكون للعبد فعل أو قدرة مؤثرة قال وقد حكى عنه انه كان يخرج الى الجذعي ويقول أرحم الراحمين يفعل هذا ؟ انكروا لأن يكون له تعالى رحمة يتصف بها سبحانه زعما منه انه ليس بالمشيئة محضة لاختصاصها بحكمة بل يرجع أحد المائلين بلا مرجع

ومذهب سلف الأمة وانتمها وجمهور أهل السنة المثبتة لتقدر من جميع الطوائف يقولون ان العبد فاعل لفعله حقيقة وان له قدرة حقيقة واستطاعة حقيقة ولا ينكرون تأثير الاسباب الطبيعية بل يقولون بما دل عليه الشرع والعدل

من ان الله تعالى يخلق السحاب بالرياح وينزل الماء بالسحاب وينبت النبات بالماء ولا يقولون القوى والطباع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها بل يقولون بأن لها أثراً لفظاً ومعنى لكن يقولون هذا التأثير هو تأثير الاسباب في مسبباتها والله تعالى خالق السبب والمسبب ومع أنه خالق السبب فلا بد للسبب من سبب آخر يشاركه ولا بد له من معارض يمانعه فلا يتم أثره الا مع خلق الله له بأن يخلق الله السبب الآخر ويزيل الموانع وقال شيخ الاسلام في موضع آخر الاعمال والاقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد بمعنى أنها قائمة به وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه وهي من الله بمعنى انه خلقها قائمة بالعبد وجعلها عملاً له وكسباً كما يخلق المسببات باسبابها فهي من الله مخلوقة له ومن العبد صفة قائمة به واقمة بقدرته وكسبه كما اذا قلنا هذه الشجرة من الشجرة وهذا الزرع من الارض بمعنى انه حدث منها ومن الله بمعنى انه خلقه منها لم يكن بينهما تناقض قال فالحوادث تضاف الى خالقها باعتبار والى أسبابها باعتبار كما قال تعالى (١٥:٢٨) هذا من عمل الشيطان وقال (٦٣:١٨) وما انسانيه الا الشيطان مع قوله (٧٨:٤) كل من عند الله وأخبر أن العباد يفعلون ويصنعون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويفسقون وينقون ويصدقون ويكذبون وقال في موضع آخر ان ائمة أهل السنة يقولون ان الله خالق افعال العباد كما ان الله خالق كل شيء والله تعالى خالق الاشياء بالاسباب والله تعالى خلق للعبد قدرة بها يكون فعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة فقولهم في خلق فعل العبد بارادته وقدرته كقولهم في خلق سائر الحوادث باسبابها وقد دلت الدلائل اليقينية على ان كل حادث فاعله خالق فعل العبد من جملة الحوادث وكل ممكن يقبل الوجود والعدم فان شاء الله كان وان لم يشأ لم يكن وفعل العبد من جملة الممكنات قال وجهور المسلمين وجهور طوائفهم على هذا القول الوسط الذي ليس هو قول المعتزلة ولا قول جهم بن صفوان واتباع الجبرية فمن قال ان شيئاً من الحوادث أفعال الملائكة والجن والأنس لم يخلقها الله تعالى فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع السلف والادلة العقلية ولهذا قال بعض السلف من قال ان كلام الأقدمين وأفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من يقول

ان شاء الله وارضه غير مخلوقة والحاصل ان مذهب السلف ومحققى أهل السنة ان الله تعالى خلق قدرة العبد واداته وفعله وان العبد فاعل لفعله حقيقة ومحدث لفعله والله سبحانه جملة فاعلا له محدثا له قال تعالى (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) فأثبت مشيئة العبد وأخبر انها لا تكون الا بمشيئة الله تعالى وهذا صريح قول أهل السنة في اثبات مشيئة العبد وانها لا تكون الا بمشيئة الرب قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله وروحه وهذا قول جمهور أهل السنة من جميع الطوائف وهو قول كثير من أصحاب الاشعري كأبي اسحق الاسفرايني وامام الحرمين وغيرهما فيقولون العبد فاعل لفعله حقيقة وله قدرة واختيار وقدرته مؤثرة في مقدورها كما تؤثر القوى والطبايع والاسباب كما دل على ذلك الشرع والعقل قال تعالى (فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات) وقال (فأحيا به الارض بعد موتها) وقال (ويهدي به كثيراً) وهذا كثير في الكتاب والسنة يخبر تعالى انه يحدث الحوادث بالاسباب وكذلك دل الكتاب والسنة على اثبات القوى والطبايع للحيوان وغيره كما قال تعالى (فأتقوا الله ما استطعتم) وقال (هو أشد منهم قوة) وقال في العجادات (وأخرجت الارض أنثاء لها) وقال (وأهزنت وريت) وأثبتت من كل زوج بهيج) وقال (ندبر لكل شيء بأمر ربها) وقال (وأرسلنا الرياح لواقح - وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يلقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله - وقيل يا أرض ابلمي ماءك وياسماء ألقمي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي) وقال تعالى (كرو ع أخرج شطاؤه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه) وهذا في القرآن كثير جدا

وقال السعد التتازاني في شرح المقاصد بعد ما نقل الخلاف ملخصا مانصه : ثم المشهور فيما بين القوم المذكور في كتبهم ان مذهب امام الحرمين ان فعل العبد واقع بقدرته وإرادته ايجابا كما هو رأي الحكماء مع قول الامام في الارشاد اتفق ائمة السلف قبل ظهور البدع والاهواء على ان الخالق هو الله ولا خالق سواه وان الحوادث كلها حدثت بقدره الله من غير فرق بين ما يتعلق قدرة العبد به وبين ما لا يتعلق: قال العلامة ابراهيم الكوراني في شرح منظومة شيخه

الشيخ محمد المقدسي القشاشي مانصه : مذهب الشيخ امام الحرمين الذي تفرد به فيما قيل عن الاصحاب يعني الاشعرية من ان أصل فعل العبد واقع منه بتأثير قدرته باذن الله قال وهو مذكور في غير الارشاد وهو آخر قوله كما نقله عنه النبي فلا يذبح مخالفته ما في الارشاد وبقية كتبه اتى وصلت الى التفاتاني وغيره لما هو المنقول عنه في غير الارشاد وبقية كتبه في هذا الفن المرجوع عنها في هذه المسئلة قال الكوراني وهذا الكتاب الذي ذكر فيه آخر قوله هو كتابه المترجم بالنظامية فيما وقفت على كلامه منقولاً عنه بلفظه في كتاب (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) للعلامة شمس الدين ابن القيم في الباب السابع عشر منه ولفظه : اضطربت آراء اتباع الاشعري في الكسب اضطراباً عظيماً واختلفت عباراتهم فيه اختلافاً كثيراً وقد ذكر ذلك كله أبو القاسم سلمان بن ناصر الانصاري في شرح الارشاد ثم ساق عن تلميذ امام الحرمين شارح الارشاد هذا الانصاري كلاماً فيه ان امام الحرمين ذكر لنفسه مذهباً ذكره في الكتاب المترجم بالنظامية وانفرد به عن الاصحاب ثم قال صاحب كتاب شفاء العليل في آخر كلام شارح كتاب الارشاد المذكور

قلت الذي قاله الامام في النظامية أقرب الى الحق مما قاله الاشعري وابن الباقلاني ومن تابعهما ونحن نذكر كلامه بلفظه قال يعني امام الحرمين : قد نقرر عند كل حاد بعقله متروك عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد ان الرب سبحانه وتعالى مطالب بعباده بأعمالهم ودايعهم اليها ومشيهم ومما يقبهم عليها وتبين بالنصوص التي لا تنعزض بالتأويلات انه أقدرهم على الوفاء بما طالبهم ومكتمهم من التوصل الى امثال الامر والانكفاف عن مواقع الزجر ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام ولا حاجة الى ذلك مع قطع اليبب المنصف به ومن نظر في كليات الشرائع وما فيها من الاستحاث والزواجر عن المعاصي الموبقات وما يبط بعضها من الحدود والعقوبات ثم تلفت على الوعد والوعيد وما يجب عقده من تصديق المرسلين في الانباء وقول الله لهم لم تعديتم وعصيتم وأنتم وقد أرخيت لكم الطول وفسحت لكم المهل وأرسلت الرسل وأوضحت الهجة لئلا يكون للناس

على الله سبحانه وأحاط بذلك كله ثم استراب في ان أفعال العباد واقعة على حسب
 إشارهم واختيارهم واقتدارهم فهو مصاب في عقله أو مستقر على تقليده مصمم على
 عمله ففي المصير الى انه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع والتكذيب
 بما جاء به الرسول فان زعم من لم يوفق لمنهج الرشاد انه لا أثر لقدرة العبد في
 مقدوره أصلا واذا طوبى بمتعلق طلب الله بفعل العبد تحريرا وفرضا ذهب في
 الجواب طولا وعرضا وقال الله ان يفعل ما يشاء ولا يتعرض للاعتراض عليه
 المتعرضون «لا يسأل عما يفعل وهم يسألون» قيل له ليس لما جئت به حاصل كلفه حق
 أريد بها باطل نعم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولكن يتقدس عن الخلف
 ونقيض الصدق وقد فهمنا بضروقات المعقول من الشرع المنقول انه عزت قدرته
 طالب عباده بما أخبر انهم يمكنون من الوفاء به فلم يكلفهم الا مبلغ الطاقة
 والوسع في موارد الشرع ومن زعم انه لا أثر لقدرة الحادثة في مقدورها كما لا أثر
 للعلم في معلومه فوجه مطالبة العبد بأفعاله عنده كوجه مطالبة بان يثبت في نفسه
 ألوانا وادراكات وهذا خروج عن حد الاعتدال الى التزام الباطل والحال وفيه
 ابطال الشرائع ورد ما جاء به النبيون عليهم الصلاة والسلام فاذا لزم المصير الى القول
 بأن العبد خالق أفعاله فانه فيه الخروج عما درج عليه السلف الائمة واقتحام ورطقات
 الضلال ولا سبيل الى المصير الى الوقوع في ان فعل العبد قدرته الحادثة والقدرته التقديرية
 فان الفعل الواحد يستحيل حدوثه بقادرين اذ الواحد لا ينقسم فان وقع بقدرته
 الله استقل بها وبسقط أثر القدرة الحادثة ويستحيل ان يقع بعضه بقدرته الله فان
 الفعل الواحد لا يفيض له وهذه مهواة لا يسلم من غوائلها الا مرشد موفق اذ المرء بين
 ان يدهي الاستبداد وبين ان يخرج نفسه عن كونه مطالبا بالشرائع وفيه ابطال
 دعوة المرسلين وبين ان يثبت نفسه شيكا لله في إيجاد الفعل الواحد وهذه الاقسام
 يجهلها باطلا ولا ينبغي من هذا الملتزم ذكر اسم محض ولقب مجرد من غير تحصيل
 معنى وذلك ان قائلا لو قال ان العبد يكتسب وأثر قدرته الاكتساب والرب
 تعالى مخترع خالق لما العبد مكتسب له قيل له فما الكسب وما معناه وأدبرت الاقسام
 المذكورة على هذا القائل فلا يجد غنه مهر با- ثم قال يعني امام الحرمين - فنقول

قدرة العبد مخلوقة لله تعالى باتفاق القائلين بالصانع والفعل المتدور بالقدرة الحادثة واقع بها قطعا لكنه يضاف الى الله سبحانه تقديرا وخلقا فانه وقع بفعل الله وهو القدرة وليست القدرة فعلا للعبد وانما هي صفة له وهي ملك له تعالى وخلق له فاذا كان موقع الفعل مخلوقا فالواقع به مضاف خلقا الى الله تعالى وتقديرا وقد ملك الله العبد اختيارا يصرف به القدرة فاذا وقع بالقدرة شيئا كآل الواقع الى حكم الله من حيث أنه وقع بفعل الله ولو اهتمت الى هذه الفرقة الضالة لم يكن يتناوونهم خلاف ولكنهم ادعوا استبداد بالاختراع وافراد بالخلق والابتداع فضلوا وأضلوا (قال) ونبين تميزنا عنهم بتفريع المذهبين فانما أضفنا فعل العبد الى تقدير الإله قلنا أحدثه الله القدرة في العبد على أقدار أحاط بها علمه وهيا اسباب الفعل وسلب العبد العلم بالتفاصيل وأراد من العبد ان يفعل فأحدث فيه دواعي مستحثة وخيرة وإرادة وعلم ان الافعال ستقع على قدر معلوم فوقعت بالقدرة التي اختارها العبد على حاطم وأراد فاخيارهم واتصافهم بالاقدار والقدرة خلق الله ابتداء ومقدورها مضاف اليه مشيئة وعلمها وقضاء وخلقها وفلسا من حيث انه نتيجة ما انفرد بخلقها وهو القدرة ولولم يرد وقوع مقدورها لما أقدره عليه ولما هيا أسباب وقوعه ومن هدي لهذا استبرأ الحق للملين فالعبد فاعل مختار مطالب مأمور منهى وفعله تقدير لله مراد له خلق مقضي (قال) ونحن نضرب في ذلك مثلا شرعيا يستروح اليه الناظر في ذلك فنقول العبد لا يملك أن يتصرف في مال سيده ولو استبد بالتصرف فيه لم ينفذ تصرفه فان أذنه في بيع ماله فباعه نفذ والبيع في التحقيق معزى الى السيد من حيث ان سيده اذنه ولولا اذنه لم ينفذ التصرف. ولكن العبد يترى بالتصرف وينهى ويؤرخ على مخالفة ويماقب فهذا والله الحق الذي لا غطاء دونه ولا مراعية لمن وعاه حق وعيه (وأما الفرقة الضالة) فانهم اعتقدوا افراد العبد بالخلق ثم صاروا اذا عصى قد انفرد بخلق فعله والرب كاره أفكلن العبد على هذا الرأي القاسم من احكام الرب في التدبير موقفا ما أراد إيقاعه شاء الرب أو كره.

الى هنا كلام امام الحرمين في النظامية بلغفه فيما نقله عنه كذلك الامام الحق ابن القيم في شفاء العليل ونقله العلامة ابراهيم الكوراني الأفعري في شرح منظومة شهابه

القشاشي ولا يخفى على من نظر في كلامه تصريحه في غير موضع بأن العبد له تأثير في فعله بالاختيار ومراذه أن العبد ليس مستقلاً في إيقاع أفعاله بمجرد مشيئته وإن لم توافق مشيئة الحق بل إنما تؤثر قدرته إذا شاء الله ذلك وممكنه منه وهو المعبر عنه بالأذن قال الكوراني اختار هذا شيخنا وأنت فيه سابق رسالة سماها الانتصار لإمام الحرمين فيما شنع فيه عليه بعض النظار ثم اختصرها وزاد فيها نقولا وقف عليها فيما بعد وسماه اختصار الانتصار ثم وقفنا على كتاب شفاء العليل لابن القيم المقول فيه كلام إمام الحرمين في النظامية فأعجبه ذلك وأمر بإلحاقه بآخر اختصار الانتصار ليعلم الواقف عليه أن النقل عنه بالتأثير بالأذن صحيح خلافاً لمن أنكروا ثبوته عنه من المتأخرين قال الكوراني وقال شيخنا في شرح المواهب اللدنية على قوله تعالى «وأمريت أذميت ولكن الله رضى» من غزوة بدر واعتقاد جماعة أن المراد بالآية سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم عنه وإضافته إلى الله وجعلهم ذلك أصلاً في الجبر وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد فبسط الكلام في إثبات الكسب على طريقة إمام الحرمين وتأييده بدلائل الكتاب والسنة إلى أن نقل عنه كلامه المذكور في النظامية ثم قال وفي شفاء العليل قال الأشعري رحمه الله وابن الباقلاني الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسباً دون كونه موجوداً أو محدثاً فكونه كسباً ووصف للوجود بمثابة كونه معلوماً انتهى وفهموا من ذلك أن لا تأثير لقدرة العبد يعني عند الأشعري في مقدوره كما لا تأثير للعلم في معلومه فقالوا في قدرة العبد أنها مصاحبة غير مؤثرة قصداً إلى التوسط قال وتفسير كلام الأشعري بهذا ميل عن التوسط الذي هو الحق وإنما التوسط المحصل للكسب الثاني لطرفي الإفراط والتفريط من الاستقلال والجبر هو القول بأن لقدرة العبد تأثيراً ولكن باذنت الله لأعلى الاستقلال فاللائق أن يفسر كلام الأشعري بما يتنزل على هذا التوسط وكلامه قابل للتأويل لأنه ليس نصاً في عدم التأثير فإنتأله يدل على أن الكسب واقع بالقدرة الحادثة والوقوع فرع التأثير نعم آخر كلامه يعطي أن لا تأثير لها حيث شبهه بتعلق العلم بالمعلوم على أن الأشعري نص في عامة كتبه على ما يدل على التأثير على ما نقله عنه صاحب شفاء العليل ثم خط القشاشي كلامه على أن

الكسب عند الاشعري تحصيل العبد بقدرة الموثرة باذن الله ما تعلقت به مشيئته الموافقة لمشيئة الله وتقرير كلامه على هذا الوجه موافق لما قال امام الحرمين من التوسط الذي يتحصل به موذى الامر والنهي من المكلف بلا تكلف قال الكوراني ثم رأيت من نصوص الشيخ الاشعري رحمه الله في كتابه الابانة الذي هو آخر تصانيفه - كما ذكره الامام شيخ الاسلام ابن تيمية وهو أي كتاب الابانة - المول عليه في المعتقد من بين كتبه كما دل عليه كلام الحافظ ابن عساكر - ما يدل على انه أي الاشعري انما نفي الاستقلال لأصل التأثير باذن الله وتمكينه وحينئذ يكون امام الحرمين موافقا للاشعري في التحقيق المعتقد عنده في الابانة ثم قال الكوراني وهذا قول أبي اسحق الاسفرائيني قال وهو الموافق لظاهر الكتاب والسنة قال وقول أبي اسحق الاسفرائيني وامام الحرمين هو الذي اختاره حجة الاسلام الغزالي فانه قال في كتاب الشكر من الاحياء ولا قادر الا الملك الجبار وقال في جواهر القرآن في باب المحبة لا قدس ولا قدرة ولا علم الا الواحد الحق وانما لغيره القدرة التي أعطاها الخ وقال في الاحياء - وما هو قادر عليه يعني الانسان من نفسه أو غيره فليست قدرته من نفسه وبغضه بل الله خالقه وخالق قدرته وأسبابه والممكن لمن ذلك ولوسط بعوضة على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لاهلكه فليس للعبد قدرة الابتكين مولا قال الكوراني فوقائل ان للعبد قدرة موثرة يتمكن الله لاستملا وهذا التمكن هو المعبر عنه بالاذن في قوله تعالى «وامم بضارين به من أحد الا باذن الله» انتهى لمخصا وانما ذكرت لك أقاويل هؤلاء مع ان عمدة المعتقد عندنا الغير المنتقد في عقدنا مذهب السلف المقرر على الوجه المرضي المحرر لتعلم ان محقق الاشاعرة لهم موافقة على حقيقة مذهب السلف والاعضاء عما ينسب الخلف وبالله التوفيق اهـ

(المنار)

أوردنا هذا الكلام هنا للذين لا يعرفون من كتب العقائد الا كتب متأخري الاشعرية القائلة بأن لا تأثير للاسباب في مسيبتها ولا لقدرة لانسان في عمله وأن الله يحتاج المسبب عند السبب لانه وأن العبد كاسب لعمله في الظاهر مجبور عليه في الحقيقة

وتعزو هذا إلى الأشعري وكبار أنصاره ليعلموا أن كلام الأشعري ليس نصافي ذلك وأن أكبر أنصار مذهبه وهم إمام الحرمين والأسفرائني والنزالي قالوا بخلاف ذلك فلم يبق إلا الباقلاني عليه فهل تحصر السنة فيه دون السلف وسائر أئمة الأشعرية

باب أصول الفقه

الناسخ والمنسوخ

للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي الطيب بسجن طره

أجلت الكلام في هذا الموضوع حينما كتبت مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) لضيق الوقت وكثرة الأشغال وقد رأيت الآن أن أعود إليه بإيضاح يزيل ما هذر به السفهاء من الناس الطاعنين في الإسلام . الذين يعدون النسخ في القرآن دليلاً على كونه من عند غير الله وكونه لم يحفظ كما لا يفتقد ويعلم هؤلاء المساكين أن ما يقدفونه به ليس إلا حصي لا تزحزح طوداً من مكانه . ولولا غفلة المنتمين إلى هذا الدين لما وجد القوم حصاة واحدة يرمونها بها غنائمهم أنها قوله . القول بالنسخ في القرآن ليس من عقائد الإسلام البتة وإنما هو مذهب في التفسير نشأ غالباً في العصر الأول أن صحت الروايات الأحادية الواردة في هذا الباب . والذين قالوا به منهم إنما أخذوه من ظاهر قوله تعالى ١٠٥:٢ « ما ننسخ من آية أو ننسها » الآية فكان إذا عرض لواحد منهم اشتباه في فهم بعض آيات القرآن التي بينها شبه خلاف تمسك بهذا القول لرفع ما عرض له . وليس فهم بعض الصحابة حجة في التفسير والا لما خالف جمهور المفسرين ابن عباس وهو أعلمهم بالتفسير في كثير من المسائل ولما خالف بعضهم بعضاً في نفس هذه المسألة حتى كان بعضهم كأبي مثلاً يقول أبي لأدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أنه لا يترك حكماً بدعوى أنه منسوخ وكان عمر ينكر عليه ذلك كما ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس أن عمر قال: أقرؤنا أبي وأقضنا علي وإنا لنندع من قول أبي وذلك أن أياً يقول لأدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه

وسام وقد قال الله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها » :

ولو كانت هذه المسألة من العقائد الاسلامية الواجبة لما أنكرها بعض أئمة المسلمين المتقدمين والمتأخرين كأبي مسلم الاصفهاني وغيره . على أن المتسكين بها ليس عندهم دليل يعتد به على صحة مذهبهم ومنفسر ان شاء الله الآيات التي توهوا أنها تنفيدهم في تأييد رأيهم وحسبنا أن القرآن لم يقل في موضع ما أن هذه الآية ناسخة أو منسوخة بأخرى . ولا يحمل لنا أن نترك العمل بشي . من كتاب الله تعالى لقهم فاهم أولوهم وأهم وأيضا فليس عندهم دليل قطعي على تقدم المنسوخ وتأخر الناسخ في كثير من المواضع بل ان بعض الآيات التي ادعوا أنها منسوخة تجدها في القرآن متأخرة عن الناسخة كآية العدة في سورة البقرة مثلا ولما وجدوا ذلك زعموا ولا دليل لهم أن الآية المشار اليها نزلت أولا ولم يبالوا بأن ذلك يناقض حسن ترتيب الآيات في سورها وان كان هذا الترتيب توقيفيا بالاجماع . انا لا ندرى لِمَ كانت بعض الآيات منسوخة عندهم ولم تكن ناسخة أي كيف يمكنهم تمييز ما يجب العمل به وما يجب تركه مع أنه لم يرد في الكتاب ما يرشدهم الى ذلك . وهل يعقل أن الله يترك عباده يتخبطون في أمور دينهم مع أنه يقول في شأن القرآن (٣: ٥٢) جعلناه نورا هدي به من نشاء من عبادنا) . فاذا كان مذهب النسخ صحيحا أفليس من الابهام وعدم البيان أن يكون القرآن خاليا من التنبيه على ما نسخ وعلى ما لم ينسخ ؟ أو ليس من أعجب العجب أن لا يوجد عند القائلين به حديث واحد متفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتبر نصا قاطعا صريحا على أن الآية أو الآيات النسخية نسخت بالآيات الفلانية !!! وما بالهم لم يتفقوا على عدد مخصوص من الآيات ؟ ولم يتركوا دعواهم النسخ في آية اذا تحققوا أن لا تناقض بينها وبين غيرها ؟ عسلا الناس في هذه المسئلة غلووا حتى انهم أرادوا أن يجعلوا هاهنا من الفنون التي تولف فيها الكتب ولاجل أن يجعلوا أبواب هذا الفن كاملة زعموا أن النسخ على ثلاثة أصرب (١) ما نسخ لفظه وحكمه مما (٢) ما نسخ لفظه فقط (٣) ما نسخ حكمه فقط . ثم التمسوا لكل ضرب شواهد ولو بالتمحل البعيد والخروج عن أساليب البلاغة بل اللغة حتى ليخيل للناظر اليها أن القرآن ضاع منه شيء ففتح باب واسع

اكل شيطان يريد أن يؤيد دعوى باطلة له لا يوافق عليها القرآن فيختلق ما شاء
أن يخلق ويزعّم أنه كان قرآنا ونسخ ثم يلبس لباس الصالحين والرواة الثقات ليقبل
المحدثون روايته . وقد اعترف بعض من تاب بذلك ولولا اعترافه ما عرف . فما يدرينا
أن بعض الملحدين أو بعض الفرق الغلاة ظهر بالمظهر الذي غر الناس حتى صدقوه في
دعواه . فهل بعد ذلك نثق بأي رواية لم تتواتر في مثل هذه المسائل حتى يجرنا
ذلك الى الطعن في المتواتر نفسه . فالخطوة المثلى في تحقيق الحق وازهاق الباطل عند
العقلاء أن لا يمتدوا الا على ما تواتر وبرفضوا كل ما خالفه والا لفقدوا التمييز ولما
أمكنهم التصديق بشيء . لا الا اذا أدركوه بحواسهم مع أننا مضطرون للتصديق
بأشياء كثيرة لم نحسها .

اضطرب مبدأ القائلين بالنسخ كثيرا . فبعد أن قالوا لا نسخ الا في الامر
والنهي تجدهم يسلمون بالروايات الدالة على نسخ اللفظ مع أن جلها ليس الا أخبارا
كما في رواية (لو كان لابن آدم واديا لاحب أن يكون له الثاني) الى آخره . ولو
عقل هؤلاء القوم لوجدوا أن لا مناسبة بين أسلوبها وأسلوب القرآن مطلقا بحيث
لو عرضت القرآن على ذي ذوق وهو أجنبي عن المسلمين لحكم أن قائلها لا يمكن
أن يكون واحدا بدون تردد اللهم الا فيما كان مسروقا منه كرواية « ان الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون »
على أنها لا تخلو من تكلف وتنافر بين المجلتين يدل على ان التأليف مصنوع

لهذا كله ذهب جميع المحققين من أئمة المسلمين الى أن أمثال هذه الروايات
الأحادية لا تثبت بها قرآن ولا ينفي بها . ولذلك لا يمتد أحد بالروايات الدالة على
أن الفاتحوا المعروذين ليست من كتاب الله ولو سلمنا جدلا أن أحد الصحابة أنكرها
فلا يمتد بشذوذه ومخالفته جميع من عداه منهم

نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم قبله للناس وحفظوه عنه وأمر بكتابته دون سواه
فكتبه له كتبة الوحي وكتبه غيرهم لأنفسهم على ما تيسر لهم في ذلك الوقت من جلد أو ورق
أو عظم أو جريد أو خشب الى غير ذلك مما أمكنهم الماصول عليه . ولم يمت عليه السلام
الا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات محفوظة في صدور الجماهير كتيرة في

السطور وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسمعها هو ايضا منهم . ارتقت الاحوال بعد وفاته وتيسر لهم كتابة جميعه على الورق ففعلوا ذلك ونسخوا منه مصاحف بلهجات العرب المختلفة . ولما وليَّ عثمان الخلافة أمر بالاعتصار على لغة قریش خوفا من وقوع الاختلاف في القرآن فكتبت المصاحف بهذه اللغة الواحدة بعد التحري والتدقيق فيما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ . وكان ذلك بعد وفاة النبي بسنين قليلة ثم أرسلت المصاحف الى الآفاق التي استعمرتها الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم الحفاظون للقرآن في صدورهم وفي صحفهم فوافقوا جميعا على استعمال هذه المصاحف . هذا ومن عرف طباع العرب وشدها تحقق أنه لو وجد في مصاحف عثمان عيب لرفضوها ولأثيرت حروب وأهرقت دماء ، ولقتل عثمان لهذا السبب . ولوجدت . مصاحف . مختلفة بين المسلمين اليوم ولكن لم يحصل شيء من ذلك مطلقا . فدل ذلك على أن هذه المصاحف هي عين ما تناقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذت طرق كتابتها تتحسن شيئا فشيئا حتى وصلت الى الحالة الحاضرة من النقط والشكل ولا يوجد بينها اختلاف مطلقا قديما وحديثا شرقيا وغربيا الا ما كان خطأ مطبعيا أو سهو ناسخ . ويهين على هذه المصاحف آلاف الآلاف من الحفظة في جميع الاقطار وفي جميع الأزمنة . هذا هو تاريخ القرآن كما تواترت به الاخبار وما خالف ذلك من الاخبار الأحادية يجب رفضه ولا يعا به . وهذا هو الكتاب الذي نؤمن به ونعتقد أنه لا ناسخ فيه ولا منسوخ بل جميع آياته محكمة يجب العمل بها جميعها . ومن شاء أن يعارض في ذلك فعليه بالدليل . فليس هو ككتب الأديان الأخرى حرمت قراءتها على العامة ولم يحفظها الخاصة في صدورهم فلبت بها الأهواء ، وتمددت في شأنها الآراء ، لو كان الاسلام دين عجائب وغرائب ككثيره مما نبى على حكايات رويت بالروايات اللسانية ولم تكتب الا بعد زمن وقوعها بمدة تكفي لضياعتها أو الخلط فيها أو ادخال الدخلاء فيها ما ليس منها ولما كتبت لم يكن عند أهلها فن تحقيق الأسانيد وتحريها الذي لم يعرف الا عند المسلمين — لو كان الاسلام كهذه الأديان لحق لأهلها الخوف من الطعن في أمثال هذه الروايات . ولكن

الاسلام - والله الحمد - دين عقل وعلم أسس على كتاب كتب في عهد نبيه وحفظ في الصدور . فما بال أهله قلدوا غيرهم وخافوا من رفض أمثال هذه الأحاديث الآحادية مع أنه لو رفضت جميعها بما فيها الاحاديث الدالة على صحة الاسلام كاحاديث المعجزات الكثيرة وغيرها لا الموجبة لظعن فيه فقط لما ضرنا ذلك شيئا . فإلنا اليوم أخذنا نمسك كل من فتح هذا الباب ونكفهره مع أنه لم ينكر أصلا من أصول الدين . فليق الله عقلاء المسلمين .

كم من دخيل دخل في رواية أحاديث جميع الاديان والملة ؟ كم من حق ضاع بين باطل ؟ كم من موضوعات رفضها المحققون ؟ ألم يخرج البخاري رضي الله عنه أحاديثه وهي أربعة آلاف من ست مئة ألف حديث ؟ وهو شخص واحد يجوز عليه الخطأ لأنه ليس معصوما . فاهذا الجود يأمة محمد (ص) ودينكم أرقى من ذلك . ولولا أنتم لما وجد فيه قشا يضر بنا به .

ولنرجع الى تسبيح موضوعنا فنقول أماما تمسك به هؤلاء الجامدون من القرآن الشريف على صحة مذهبهم فهو لا يفيدهم شيئا ولذلك أذكركمنا أشهر الآيات التي تمسكوا بها وأنكلم عليها واحدة فواحدة بما يشفي الغليل ويروي الغليل :

(الآية الأولى) آية السيف وهي في سورة التوبة ٩: (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية) قالوا انها نسخت جميع الآيات الامرة بالعرف والصبر والصفح ولو تأملوا قليلا لوجدوا أن أكثر هذه الآيات مشعرا بالتوقيت والغاية الى أجل كقوله تعالى (فاعفوا وأصفحوا حتى يأتي الله بأمره . فنزل عنهم حتى حين . واصبر حتى يحكم الله . فاصفح عنهم وقل سلام . فسوف يعلمون) الى غير ذلك من الآيات التي تشعر بأن ترك المداغمة والمقاتلة كان مؤقتا . ومن القواعد الاصولية المعروفة أنه اذا ورد حكم مطلق وآخر مقيد في موضوع واحد حمل المطلق على المقيد . وعليه فالآيات المطلقة الواردة في هذا الموضوع يجب أن تقيد بالتوقيت مثلا قوله تعالى (فاصفح الصفح الجميل . وقوله فاصدع بما توهم وأعرض عن المشركين) كل منهما مؤقت أي ان الأمر بالصفح والاعراض لا الى غير أجل ولم يكن داما فلما تحقق المسلمون بعد طول

الاختبار ان الصفح والاحسان لا يجدي مع العدو نفعا ولا يزيد الاطفينا واسترسالا في الاذى الى درجة أن يسفك دماءهم ويقتصب أموالهم وأعراضهم ويخربهم من ديارهم ولا يرعي لهم عهدا ولا يرقب فيهم إلا ولا ذمة . لما تحققوا ذلك وقبوا أمروا أن يردوه عن غيه ويكسروا شوكته وينتقموا منه مع مراعاة العدل في كل ذلك . والخلاصة أن الصبر على الاذى والاحسان الى المسيء مأمور بهما في القرآن كثيرا ولكن لا في كل وقت ولا الى غير حد وفضلان على الأخذ بالمثل الا اذا جرا الى الوبال وسوء الحال . ومن فهم ذلك علم أن لا تمارض بين آيات القرآن في هذا الشأن فان لكل مقام مقالا . وعليه فلا معنى للقول بالناسخ والمنسوخ هنا لاختلاف الحالين وقد أدرك ذلك كثير من علماء المسلمين كالسيوطي وغيره . وهذا لما كان الواجب علينا اقتفاء أثر النبي في كل شيء وجب علينا أن تكون خطته خطننا فنحرب أولا الذين فان لم ينجع فالثدة . الا اذا خفنا أن يضع الذين مركزنا ويمكن العدو منا . فقد وصانا الله تعالى بالخوف من العدو كثيرا فقال (يا أيها الذين آمنوا واخذوا حذركم - قال - واخذوا وحذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) ولذلك لم يهمل النبي صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه الراشدون أحدا ممن ناصبهم العداوة وترص بهم الفرص حتى يسلبهم ما حصلوا عليه من القوة ويتمكن من الفتك بهم

(الثانية) مسألة القبلة - لا يخفى على ناظر في الكتاب العزيز أن هذه المسألة ليس فيها نسخ للقرآن وإنما هي نسخ لحكم لا ندرى هل فعله النبي عليه السلام باجتهاده أم بأمر من الله تعالى غير القرآن فان الوحي غير محصور في القرآن فقد قال الله تعالى ١٠: ٥٣ (فأوحى الى عبده ما أوحى) أي في ليله المراج ولا ندرى جميع ما أوحاه الله اليه في تلك الليلة سوى ما بلغنا إياه من أمر فرض الصلوات الخمس . وأيضا فقد يوحى اليه بشيء في منامه كروياه دخول المسجد الحرام المذكورة في قوله تعالى ٢٧: ٤٨ (لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام) الآية فقد كانت هذه الرويا وحيا إليه قبل أن ينزل فيها القرآن وهي تشبه رؤيا ابراهيم أن يذبح ابنه فقد كانت وحيا له أيضا في منامه . اذا ليس كل وحي قرآنا وإنما القرآن ما يمكن

تشبيهه بما يسمى عندنا الآن بالأوامر الرسمية التحريرية وغيره بالشفهية غير الرسمية . وبناء على ذلك لم يحصل في القرآن نسخ في هذه المسألة مطلقاً

(الثالثة) قوله تعالى (٨ : ٦٥) يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون * ٦٦ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين * قال أهل النسخ إن الآية الثانية ناسخة للأولى وفاتهم أن ذلك يوجب القول بأن الحكمين الواردين في سياق واحد متناقضان ولا مخلص لهما من ذلك بدعوى آتاهما نزلاً في وقتين مختلفين لأن القرآن لم يقل ذلك ولم يفصل بينهما . وأيضاً يلزم على قولهم أن المسلمين في أول أمرهم كانوا أقوياء جداً حتى أن الواحد منهم يغلب عشرة ولما كثروا واتصروا مرات عديدة ضعفوا وصار الواحد منهم باثنين فقط . فواعجبا ما هذا القلب ؟ ويلزم أيضاً أن الله على قومه لم يكن يعلم أن الواحد منهم لا يمكنه أن يغلب العشرة إلا بعد أن جرب ذلك ولما تحقق أبطال هذا الحكم وأبدله بالآخر . وجوابهم عن هذه المسألة ركيك

واعلم أن المعنى الصحيح هو أن الآية الأولى وعدم من الله لهم بنصر الواحد على العشرة ولما كان هذا الوعد يتضمن الأمر بالثبات أمام العدو ولو بلغ عدده عشرة أمثالهم فكأن واحداً منهم شق عليه ذلك فسال : هل نمثل هذا الأمر الآن ؟ فأجاب تعالى على سبيل الاستئناف البياني (الآن خفف الله عنكم) أي لم يرد الآن أن يوجب عليكم أمثاله ثم قال (وعلم أن فيكم ضعفاً) وهذا كالتعليل لعدم الإيجاب الثبات المذكور في الوقت الحاضر لعلمه أنكم ضعفاء لا تقوون عليه ثم أمرهم بالثبات أمام مثلهم فقط موقناً إلى أن يقووا . فكأنه قال يعدمكم الله بالنصر على عدوكم الآن وإن كان مثلكم مرتين ويعدمكم بالنصر في الاستقبال ولو كان عدده عشرة أمثالكم وإنما قدم الوعد الأخير على الأول لأنه أتبع في الحظ على القتال فأتى به بعد قوله (حرض المؤمنين) وقدم لفظ

(الآن) للدلالة على القصر فكانه قال (الآن فقط) يساهل معكم ولا يوجب هذا الأمر الشاق عليكم ولكنه في المستقبل يحتم عليكم الاستماتة في القتال .
(الرابعة) قوله تعالى ٥٨ : ١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم *
١٣ أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خير بما تعملون * والمعنى أن الله نديهم إلى تقديم الصدقات لفقراء قبل مناجاة الرسول في شأن من شؤهم والدليل على أن ذلك ندب قوله (ذلك خير لكم وأطهر) وكذا ما سيأتي بعد ثم قال (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) أي إن من كان هذا شأنهم لا يؤاخذهم على ترك هذا الأمر إذ لم يجدوا ما يتصدقون به أمان تركه بلا عذر فالله يومه ويومنه ثم قال (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم وهو استغنام بمعنى النهي كقوله (أنخشونهم فالله أحق أن نخشوه) أي لا تخافوا الفقر من تقديم الصدقات فإن الله يخلفها ويجازيكم عليها بالخير في الآخرة (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة) أي إن هاونتم ولم تفعلوها والحال أن الله تاب عليكم بان لم يجعلها أمرا محتما واجبا يعاقبكم عليه إن تركتموه فلا تتهاونوا في الواجبات كاقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واطاعة الله والرسول فإن الله لا يسامحكم في ذلك . وأيضا فإن قيامكم بهذه الواجبات يكفر عنكم هاونكم في المندوبات فلا يلومكم الله على تركها على حد قوله في آية أخرى ٤ : ٣ : (ان تعذبوا كثر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم)

(الخامسة) قوله تعالى (١٠٦: ٢) مانسوخ من آية أونسهات بغير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ١٠٧ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ١٠٨ أم تريدون أن نسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم والمعنى مانسوخ من آية نقيها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها وترك تأييد نبي آخر بها

أو ننسها الناس لطول الهدى بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك تأتي بخير منها في قوة الاقتاع واثبات النبوة أو مثلها في ذلك . ومن كان هذا شأنه في قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جميع أنبيائه وهو رد على من يقترح معجزات مخصوصة . وهذا التفسير هو المناسب لقوله (إن الله على كل شيء قدير) الى قوله (أم تريدون أم تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل) الآية (السادسة) قوله تعالى (١٠١: ١٦) واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ١٠٢ قل زله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى للمسليين) والمعنى أننا اذا بدلنا حكم آية من آيات كتب الله السابقة بحكم آخر والله أعلم بما يفعل وبما له من الحكم العظيمة قالوا إنما أنت كذاب لأن الله لا ينسخ شرائعنا وذلك لجهلهم بما يترتب عليه من المنافع (قل زله) أي القرآن (روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) بتبيين حكم مانسخ من الشرائع السابقة (وهدى) لهم في أعمالهم (وبشرى للمسليين) بأنهم على الحق الثابت وأنهم مقيمون شرائع الله وحملة دينه للخلق جميعا . وقد سميت شرائع التوراة في القرآن بالآيات في قوله ٢٤: ٥ انا نزلنا التوراة - الى قوله - ولا تشرعوا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) والذي يدل على صحة تفسيرنا ورود بعض الاحكام الموسوية وبيان أنها منسوخة بعد الآية التي نحن بصدد تفسيرها بقليل حيث قال ١١٤: ١٦ (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم تعلمون ١١٥ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فنأضطرغير باع ولا عاد فإن الله غفور رحيم ١١٦ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظنلناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الى أن قال (١٢٣) إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) هذا واذا سلمنا أن المراد بقوله (واذا بدلنا آية مكان آية) آيات القرآن نفسه فلم لا يكون المراد: أننا اذا بدلنا آية في موضوع ما بآية أخرى عند تكرار هذا الموضوع في سور مختلفة كقصص القرآن ومحاجنة العرب وغيرهم توهموا أن

أن فيها تناقضاً وتضارباً وقالوا إنما أنت فطر كذاب والالما خالفت نفسك في عباراتك مرات عديدة وذلك ناشئ عن جهلهم وعدم تدبرهم في آياته (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) فلا تناقض فيه ولا اختلاف (ليثبت الذين آمنوا) بما فيه من العبر والحكم التي ان كررت واختلفت عباراتها فلا اختلاف في ما فيها وهذا يشبه قوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) ثم قال (وهدي وبشرى للمسلمين) أي هدى لهم بإرشاد الله المتضمنة في عباراته المختلفة وبشرى لهم بأن الله سينصرهم على عدوهم كما نصر أهل الحق من الأمم السابقة.

فلي هذين التفسيرين السابقين لا يبقى لمذعي النسخ حجة ما في القرآن

ومن تأمل في هذه الآية وجد أنها لا تنطبق على رأيهم . فما معنى قوله (ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشرى للمسلمين) فهل في النسخ الذي يدعونه تثبيت أم زعزعة وفي أي موضع من القرآن نص على ما نسخ وبين حكمته ؟ وما معنى الهداية والبشرى للمسلمين هنا مع أن دعواهم توجب الحيرة والضلال كما قلنا وليس فيها شيء من البشري لنا . وما مناسبة هذا الكلام هنا ؟

فهذه أعظم حجج القائلين بالنسخ وقد علمت مما كتبناه انه لم ينهض لهم شيء منها فبأي شيء بعد ذلك يتمسكون ؟ فياقوم كفاكم كفاكم ما حملتم هذا الدين التين فقد نفرتم الناس منه وصرتم أكبر الصادين عنه . هذاكم الله سواء الصراط . انتهى

(المنار) أن مسألة النسخ مثار لشبهات كثيرة يوردها قسوس النصارى ومجادلهم على القرآن وقد أطال القرو فيهما مؤلف كتاب الهداية طعنا في الاسلام والفرض الاول للدكتور محمد توفيق أفندي صدقي من هذه المقالة رد هذه الشبهات على أنه يعتد بصحة ما ذهب اليه ما نمو النسخ في القرآن كأبي مسلم المفسر الشهير . وإن لنا كلاما آخر في هذه المسألة سنشره في جزء آخر وأنه ليسرنا ان نرى من المتخرجين في المدارس العالية من يبحث في أصول الدين ويعني بفهم القرآن والاهتداء به وإن خالف جمهور الفقهاء والاصوليين في بعض المسائل التي لا يد أحد من المتخالفين فيها كافرا ونستدعا اعتقادا مؤيدا بالاختبار أن اقتناع المتخرجين في تلك المدارس بالدين لا يكون الا بهذه الطريقة لذلك قبل منهم ما حشهم واستلهم مع الاعتباط والسرور ، والله عاقبة الامور

باب المقالات

تطور الأمر وانتقالها

من حال الى حال

ان للام اجسام الحية خلايا تتغذى وتزدوج وتلد وتموت فيخلقها نسلها فيكون بها الجسم حافظا لحياته فاذا ضعفت الحياة في الجسم قلّ تولد الخلايا وكثر فيها الموت حتى يهلك الجسم فتتصل أجزاؤه بجسم آخر قوي الحياة فتكون غذاء له كما ترى في النبات والحيوان

ان الحياة مصدر النظام فهي يعمل خلايا الجسم الجزئية تكون خلقا كليا منتظما وان كان لا شعور لكل خلية في ازدواجها بمثلها وانما تنجح بان عملها ينضم الى عمل أمثالها فيكون خلقا كبيرا له في الوجود مظهر عظيم وعمل حيوي منتظم ان مدار حياة الاحياء الصغرى كالحلايا والبكبرى كالشجر والبرق على الخلق وما فيها من سنن النظام وقلم يحتاج شيء منها الى عناية مدير مختار من جنسها الا الانسان فانه في افراده وجمعيته لا يستغني بالطبيعة عن تعاود بعض افراده لبعض بالعناية والتربية الشخصية والاجتماعية

ان لهذه الاحياء الصغرى التي تتكون منها العوالم الكبرى أمراضا وهذه العوالم نفسها أمراضا وان لكل مرض علاجا ودواء وان الصلاح اذا صح يحول دون انهاك لقوة الحياة أو لذهابها مادام الجسم الحي مستعدا للحياة أي ما بقي من عمره الطبيعي بقية

ان معالجة مرض ما توقف على العلم بحال ما عرض له المرض من حيث هو حيّ له مزاج يصح باعتداله الفطري ويعرض باعراض تخرجه عن الاعتدال والعلم بما سبق عروضه له قبل المرض الاخير الذي يحاول علاجه وبحقيقة هذا المرض واسبابه والعلم بالدواء وبالطريقة المثلى في المعالجة

ان الانسان أغرب الأحياء على هذه الأرض والعوارض التي تعرض لحياة أفرادهم قبيح مرضهم أو قتلهم هي أخفى مما يتعرض لغيره من الاحياء النباتية والحيوانية على

كثرة بحثه عنها وعنايته بمعالجتها ولذلك يقل في الناس من يصل الى نهاية العمر الطبيعي ويقل فيهم من يعيش سليما من الامراض والاسقام كالشجر والحيوان الأعجم
ان حياة الانسان الاجتماعية امراضا كما أن حياته الشخصية امراضا وان
معالجة الامراض الاجتماعية أعسر ، والتحقق بشروطها أندر ، ففي كل جيل من
الاجيال ، ينبغ في الامم المشتغلة بالعلوم والفنون كثير من العلماء الإخصائيين ، والصناع
الماهرين ، وقد تمر قرون وتنطوي اجيال ، تخلق فيها أحوال وتتجدد أحوال ، ولا
يمت طبيب اجتماعي في الأمة ، يرفها من الخفيض الى القمة ،

ان حياة الامة التي ليس فيها أطباء اجتماعيون ، وهداة روحانيون ، تكون دون
حياة الخلايا في الدوح ، وحياة النجم والشجر في الروض ، لأن حياة النبات قلما يعوزها
شيء وراء الطبيعة وسننها في بلوغها غاية ما أعدتها حكمة التكوين له من النظام
والكمال الشخصي والنوعي وحياة الانسان لا بد فيها من المربي لتصل الى كمالها فاذا
قعد المربي كان الناس فوضى لا يصلح لهم شأن ولا يستقيم لهم أمر . وافراده حينئذ
يشبهون خلايا الاجسام من حيث جهل كل واحد منهم بنسبة حياته الى حياة غيره
وتأثيرها في الاجتماع وغايتها في الوجود على أن أفراد الانسان تشعر بعملها الجزئي
ولكن يقل فيهم من يشعر بتأثير عمله في الامة فيتحرى فيه مصلحتها ويعرف
اندماج مصلحته فيها

اذا تم هذا فاسمع ما ألقى عليك بشأن الامة الاسلامية في حياتها الاجتماعية .
إشارة الى بدايتها وعبارتها عما صارت اليه في هذا العصر يكون مثالا لانتقال الامم من
طور الى طور من غير تصور ولا شعور

أطوار الامة الاسلامية

كانت هذه الأمة في نشأتها الأولى تنفذ الرجل من أبنائها الى المملكة
فاتحا فيكون خير قائد في إبان الحرب ، وخير حاكم في زمان السلم ، يقيم العدل ،
ويعمر الأرض ، ويؤمن الرعية ، ويستبدل الحرية بالعبودية ، فيرى أقل رعيته ولوم
غير أهل دينه وجنسه أنه مساو له في الحقوق والحرية بحيث لونا له منه نيلا فشكاه
الى الخليفة الذي أنفذه لا فائدة منه كما حاول عمر أن يقيد ذلك الصعلوك من جيلة

بين الأيهم ملك غسان لولا أنه فر هاربا بهذا اتسع ملك الأمة وانبثت حياتها العالية في أمم كثيرة فأحييتها وجددت للناس مدنية لم يسبق لهم عهد بمثلا بل لم يكتحل ناظر الزمان بنظيرها حتى هذا اليوم الذي نرى فيه من آثار العلم والاجتماع ما لم نر من قبل فان انكسروا وهي أعدل دول أوروبا لتساوي بين آحاد أبنائها وبين أمراء الهند فضلا عن ان تساوي بين لورداتها وسلالات ملوكها وبين صعاليك مستعمراتها ، وان الخلفاء الراشدين ما كانوا يميزون لأبنائهم ان ينفقوا ألوف الألوف من بيت المال في سياحتهم لأجل ان ينفخوا في الرعية روح عظمتهم ويشعروا سكان مستعمراتهم بمكان بأسهم وقهرهم كما أجازت بريطانيا العظمى للفرنس أوف ويلس ولي عهدا في سياحته الاخيرة . فثل هذا العمل تقرير لاستعلاء المالكين واستئلال الحكوميين فهو جناية على البشر الذين لا يصلون الى الكمال الاجتماعي الا بكمال المساواة التي لا يفضل فيها أحد أحدا . الا بفضائله وأعماله كما قرر الاسلام .

هذا الروح الذي نفخه الاسلام في المعتصمين به حتى كان الرجل الامي أو شبه الامي منهم يعمل في سياسة الممالك ما يعجز عنه الفلاسفة والحكماء قد كان من شأنه أن يستولي على العالم كله فيصلحه لولا أن الملوك الظالمين وأعوانهم من الفقهاء الجامدين قد أفسدوا جسم هذه الأمة فلم يعد مستعدا لحل هذا الروح والحياة به . فاذا كان عمرو بن العاص قد فتح مصر بجيش صغير فأحيها بالعدل وحسن الادارة حتى وصل النيل بالبحر الاحمر وأخى بين هذا القطر وبين الحجاز (وهو ممن لم يدخل المدرسة الحربية ولا مدرسة الحقوق ولا مدرسة الهندسة) فقد صار القطار الاسلامي العظيم يستعبده عدد قليل من الاجانب وصار المسلم المتعلم الحامل للشهادات العالية التي يظن أنه يفضل بها عظماء سلفه كمبرو وعمر يتغذى قطرا اسلامي كالين اليوم وكالسودان بالامس فيغني في الارض ، ويغني على العرّض والعرّض ، فيترك الارض موطوءة ، والاموال مبلّوة ، والدماء مسفوكة والاعراض مهتوكة ، حتى أنت الارض من حكم كل مسلم عليها ، واستقانت السماء من سلطة كل مسلم تحتها ، وسع رب العزة أين

المظلومين وبكاء الباكين ، (١٤ : ١٣) فأوحى اليهم ربهم لتهلكن الظالمين *)
بما جاءهم على لسان النبيين ،

عم الظلم فأفسد الأخلاق وأضعف النفوس وطبع على قلوب الامة بطابع القهر
والصبودية حتى لا أمر معروف ، ولا نهي عن منكر ، ولا تعاون على بر ، ولا تناصر على
رفع ضرر ، فذهبت ريح الدولة وقوة الامة واستعد الفريقان بعملهم لنعمة الله
تعالى بدلا من سابق نعمته فكان تقلص ظل الحاكين الظالمين عن رؤوس
المظلومين الخاضعين بأيدي الاجانب لا بأيد الامة وبهذا كان الانتقام عاما
ولو كانت الامة هي التي هبت لا إزالة الظلم بأيدها وأخذ صولجان الحكم بيدها
لكان الانتقام خاصا بالظالمين وليقي للامة عزها ومجدها

دب الفساد الاجتماعي في جسم الامة فلم تشعر به فتعالجه فكان أفرادها
بمقدم الشعور بما يحل بهم وبما يكون من عاقبته في مجموعهم كخلايا الشجرة
أو الفرة يمرض الفساد بجانب منها ولا تدري حتى تفسد جميعها . ذلك أن الظالمين
بدأوا بإزهاق روح التكافل الذي يربط بعض الافراد ببعض فيكون سببا لسريان
شعور المجموع بما يطرأ على الافراد وانفعال المزاج الكلبي بذلك واندفاعه الى
دفع المرض الطاريء قبل سريانه واستشرائه فان من طينة الجسم الحي أن
ينفعل مزاجه بما يمرض لاي عضو من أعضائه فيوجه قوته لدفع المرض بإعانة ذلك
العضو عليه ألا ترى أن الدم يكثر وروده على الدماغ عند انهماكه في الفكر
والى المعدة عند اشتغالها بالهضم والى نحو اليد يصيبها برد أو ضرب . والامة الحية
كالجسم الحي توجه قوتها الى إعانة كل فرد من أفرادها يصيبه ضرر أو برهقه
ظلم حتى تدفعه عنه أو تخرج فتكون من المالكين كما اذا عجز المزاج الصحيح في
جسم الحيوان عن دفع عوارض الفساد بنفسه أو بمساعدة الطيب فان الفساد
يطلب حينئذ على الجسم فيفسده

كيف أزهد الرؤساء المفسدون روح التكافل في جسم هذه الأمة ؟ جولو
السلطة من الشورى الشرعية الى الاترة الاستبدادية ، وفرقوا بين المسلمين في
الجنسية ، فقالوا عربي وجمعي ، وفارسي وتركى ، وفي اللغة ، فقالوا لغة رسمية ولغة

دينية ، وفي المذاهب فقالوا سني وشيعي ، وحسني وشافعي ، وفي الوطن فقالوا مصري وشامي ومغربي وحجازي ، وإذا كنت تظن ان هذا الضرب الاخير من التفريق اهون ضرره بشرا فانا اذكركك كلمتين لرئيس ديني ورئيس دنيوي تعرف بهما مبلغ تسم جسم الامة الاسلامية بسم الوطنية . رأى عالم من علماء الدرجة الاولى بل شيخ من مشايخ الازهر السابقين يلقب بشيخ الاسلام خطيبا شاميا في جامع مصر فقال ان هذا الجامع حسن وموقمه عظيم «ولكن من الاسف حشوه بالشوام» وقال رئيس كبير من رؤساء الدنيا في معهد من معاهد العلم الديني — وقد رأى فيه حشرات كثيرة للطلاب من قطر غير قطره — : ماذا فعل لنا هؤلاء . . . حتى نعطيم كل هذه الحجرات وأهل البلد أحق بها منهم : أو ما هذا معناه . على انه لم يكن هو الذي أعطاهم وانما تلك أما كن وقفها عليهم أناس آخرون من غير قوم القاتل ومن غير وطنه

هناك! فساد آخر هو أشد من كل إفساد وهو الميولولة بين المسلمين وبين هداية القرآن الذي جعل أمر المسلمين شوري بينهم لاني ايدي أفراد يستبدون فيهم وفرض عليهم مقاومة الظلم والافساد في الارض بقوة الامة وغير ذلك بم يحفظ حياة الامم بل ينسحب حتى تبلغ كلها ولولا هذا الافساد لما تم نظام ولا لمفسد ما أراد

ضرت كل هذه الامراض في جسم الامة الاسلامية من حيث لا يدري الافراد ولا يشعرون كما علمت من التمثيل السابق وكان من عواقبها ان أكثر الممالك الاسلامية خرجت من أيدي المسلمين وما بقي لهم فهو في طور التزع ولكن هذا المصريمتاز على ما قبله بشعور كثير من أفراده بأن الأمة في مرض ، ودولها في حرض ، فاذا لم تبادر بالعلاج ، تم فساد المزاج ، وأجهز عليها الظالم ، فهلك المحكوم في أثر الحاكم ،

هؤلاء الافراد على قلتهم وضعفهم أنشأ المسلمون يستعدون لاستعادة ما فقدوا من مزايا الانسانية ولكن المفسدين لم يغفلوا عن مراقبتهم فمنهم يجتهدون في إماتة شعورهم بالضبط والاضطهاد تارة وبالرتب والرواتب تارة أخرى ومن ثبت على تار الفتنتين اضطر الى الفرار من ديارهم الى ديار أخرى يأمن فيها على نفسه أن

تنتال ، ويمجد فيها الحرية فكره ولوبعض المجال ، والانفوه الى بلد قفر ، أو جزيرة في البحر ، حتى لا ينتشر له فكر ، ولا يسمع له ذكر ،

وجملة القول ان المسلمين كانوا أحياء بالاسلام نفسه على بصيرة وبينه ولما عرض لهم حلم الفساد اضطرب مزاجهم فتداعوا الى ازالته فحال دون ذلك تحول السلطة الاسلامية عن صراطها ثم ضعف الشعور بفعل هذا الحلم بجسم الأمة بقوة مزاجها وضعف سائر الأمم دونها ثم خدر المرض أعصابها فكان الحلم يفعل فعله وهي لا تشمر حتى عم الفساد كل عضو من أعضائها - ونفني بالأعضاء الشعوب والفرق التي انقسمت اليها وحدة الأمة - فلا يوجد شعب إسلامي حي ولا حكومة إسلامية الا وهي تفنوا بقي من رسوم الاسلام وتجدد في إِبْسَالِ أهله الا ما يقال عن حكومة الأفغان من عنايتها بحفظ استقلالها بالقوة العسكرية الحديثة وهذا ضروري ولكنه غير كاف كما نرى في تركيا فلا بد من نشر علوم الكون في الأمة واعدادها بالحكومة المقيدة بالشورى والا كانت من الهالكين

أما ذلك الشعور الذي يحدد لأفراد من المسلمين فهو لا عمل له في مملكة من ممالكهم الا اعدادا بطيئا للانتقال الى طور آخر مجهول لعامةهم ، ومشكوك فيه عند خاصتهم ، لا يدرون أيكون مرضا مضنيا ، أم موتا مرديا ، أم يكون حياة سعيدة ، وسيادة جديدة ، أساسها العلم والعدل ، وغايتها العمران والفضل ، فمنهم اليأس يزيد في الافساد ، ومنهم الراجي يدعو الى سبيل الرشاد ، وهكذا شأن الأمم في طور الانتقال ، لا تستقر من الاضطراب على حال ،

من أسباب يأس اليائسين أن المسلمين قد خرجوا بتقسيم رؤسائهم ايام الى شعوب وأجناس ومذاهب عن كونهم أمة واحدة فلا فائدة في كثرتهم ، ولارضاء في وحدتهم ، وانما يجب الحكم عليهم بحسب حكوماتهم سواء كانت منهم أو من غيرهم فقد أعدم الظلم والاستبداد لأن يكونوا عبيدا لمن يحكمهم . وإذا نظرنا في حال حكوماتهم وجدنا الاسلامية منها أسرع في الاجهاز عليهم من الأجنبية (ونفني بالاسلامية المنسوبة الى المسلمين لاما كانت على قواعد الاسلام فان هذه لا وجود لها في الأرض) . فإذا كان من الغرور أن نرجو حياة الشعب الجاوي

تحت سلطة هولندا والمغربي تحت سلطة فرنسا مثلا فن الجئون أن نرجو حياة الشعوب العثمانية المتمزقة تحت سلطة تركيا والشعب الفارسي تحت سلطة حكاه ومجتهديه . ذلك بأن حكومات الأجانب على منها النور الحقيقي ان ينفذ الى عقول المسلمين فيحييهم بحرارة وهدايتة لاسلطة لها الاقوتها الحسية على الاجسام وأما الحكم المسلمون فان لهم سلطتين - القوة الحسية على الاجسام والقوة المعنوية في الأرواح لان المسلمين وآاروا الاعتقاد بوجود الخضوع لهم على أنه من الدين وقلما يوجد فيهم من يعلم أن من أعظم قواعد الدين انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا حكم الا لله ومن استحل الحكم بما يخالف القواعد الشرعية المنصوصة كان مارقا من الاسلام (٢٤:٥) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهؤلاء المارفون على قلتهم لا يسمح لهم الاستبداد بنشر علمهم في الأمة لئلا تنبث لإقامة الشريعة على أساس الشورى فيبطل سلطتهم الاستبدادية التي تنطوي في باطنها نزعة الألوهية .

ويقول هؤلاء اليانسون أيضا ان الأوربيين الذين استولوا على أكثر بلاد المسلمين يتر بصون يياقيها الدوائر وحكامها يمهدون لهم السبل بالظلم والقضاء بالجهل على العلم وباقتراض الاموال منهم ومنهم «الامتيازات» في بلادهم وهم يجتهدون دائما في الاتفاق على قسمتها بينهم فلا يمر عقد من السنين الا وراهم قد اكتسبوا حقا جديدا فيها أو قلصوا ظل نفوذنا عن ولاية منها ثم هم أقدر البشر على سياسة الأمم والتصرف في الشعوب فاذا دخلوا ولاية اقبض أفراد منهم على قواها المالية والعسكرية والعلمية والأدينية وذلوا الأمة لسلطانهم فهم يسخرونا لخدمتهم بقوتنا ، حتى لا يدعون لنا سبيلا الى استعمالها في منفعتنا ، وأعظم مظهر لسياستهم العليا فيأنات سلطتهم تكون أقوى وأرسخ وريعمهم يكون أكثر وأسهل في البلاد التي يتقون فيها لنا اسم السلطة ويرضون بمعناها لأنفسهم فهم يستعبدوننا بواسطة استعبادهم لحكامنا الذين أنسا بالعبودية لهم . فأين موضع الرجاء لهذه الشعوب لجاهلة المتفرقة المستبعدة مع هذه الامم العالة المستقلة المتحدة ؟؟

هذا مجمل احتجاج اليانسين من أهل الشعور بما ينذر المسلمين من الخطر . فرائهم ان طور الانتقال الذي هم فيه سينتهي بطور دخولهم تحت سلطة الاجانب وزوال استقلالهم

من الوجود زوالاً أبدياً كما زال استقلال بني إسرائيل إلا ان يحدث في العمران انقلاب كبير لا دليل عليه الآن

وأما أهل الرجاء - ونحن منهم - فأنهم يعرفون ما يحتاج به أهل اليأس ولا ينكرونه ولهم نظر آخر أبعد، ورأي أسد - ان شاء الله - وأرشد، يؤيدونه بآيات الوحي، ويستدلون عليه بطبيعة العمران وشؤون الاجتماع، ولا يتسع هذا المقال لشرح ما يجوز نشره منه، وإنا نوجز القول فيما لا مندوحة عنه .

ان المسلمين - وان اختلفوا في اللغات والمذاهب والأوطان والحكومات - يتفقون في أمر واحد تتبعه أمور جوهرية من ناحيتها يدعون الى ما يحبههم ويحبهم وأمة عزيزة تشعرها وحدة الاعتقاد بأن لها مصلحة واحدة يجب على شعوبها الاتحاد والتكافل في سبيلها وإن ظلوا على اختلافهم في تلك الأمور العظيمة حتى اذا ما انتشرت الدعوة الى الأمر المتفق عليه (وهو القرآن) استتبعت الوحدة في اللغة والوحدة في المذهب أو اتفقت الافتراق في المذاهب وصار كل شعب من شعوب المسلمين قوة للآخر وعوناً له وظهراً على بعد الفار وقربها واختلاف الحكومات والاجناس ولا تسألني عما يكون بعد ذلك وأنت لما تعلم ما يكون قبله .

الدعوة الى القرآن تستتبع الدعوة به الى جميع العلوم الكونية من طبيعية واجتماعية لأجل تكميل النفس برفقان حكم الله في صنعه وإبداعه ولأجل تعزيز دينه بآثار تلك العلوم وتستتبع طلب المزيد من نعم الله ومساهمة الأغنياء والاقوياء للفقراء والضعفاء في هذه النعم بأداء الزكاة وغيرها من الصدقات التي تقوم بها المصالح العامة والخاصة وتستتبع حكم الشورى واقامة العدل وغير ذلك من أركان السعادة . فاذا وفق الدعاة لاقتاعهم بهذا وحلومهم عليه قتل قد نفخت فيهم روح الحياة التي لاموت بعدها . نعم ان هذا الإجمال لا يقتنع القارئ بهذه الدعوى وإن التفصيل مع بيان الدليل لا يحمل له هنا على أن شريح ذلك إنما يفيد أهله الذين استعدوا للقيام به دون من يقرأ لأجل التسلي أو الانتقاد كما هو شأن أكثر الناس .

ينتا في مقالة الحياة المليئة من المجلد الثامن شيئاً من حقيقة هذه الحياة التي هي محل رجائنا وذكرنا هناك العلوم التي نحتاج اليها وكيفية تمهيد العقبات التي

نفترض في سبيلها ونحن الآن في حاجة الى بيان ان المسلمين في طور انتقال من حال الى حال وأن هذا الطور شبيه بطور النخلة من مرض تخشى عاقبته، ولا تؤمن نكسته، وانهم محتاجون فيه الى الأطباء الروحانيين العالمين بأدواء الاجتماع وطرق معالجتها والا سيقبهم الأجانب للتحويل الأئمة في هذا الطور الى حياة مذبذبة ينقطع كل رجاء للاسلام فيها

ثبت بالتجربة والاختبار أن المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون أمتهم كما ان الأمم السابقة في مضار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالتاس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا أم فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الأمة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين أيدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في أرواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بنياته وأثره . وما نشاهد من أثره أنا أكثر المتعلمين لقيمة الدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس أكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحلون ولا يحرمون وإنما هم أكثرهم التمتع بالذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة . ثم هم مع هذا مفرورون بأنفسهم يحسون أنهم أرقى من سلفهم الصالح عقولا وأرجح أحلاما وأوسع علوما وأفضل آدابا وأقدر على الأعمال الاجتماعية، فلا الدين عرفوا، ولا حب الأئمة أشربوا، وكيف وهم على جهلهم بشرية يتهايملون تاريخها الذي لم يفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منه الا بعض المسائل المتقدمة التي صوروها بغير صورتها وألبسوها غير لباسها واستنبطوا منها ما لا تدل عليه من العيوب والمساوي . وغفل متعلمونا الاذكياء عما اعترف به المنصفون من فلاسفة اسانذتهم المتصرفين في عقولهم وقلوبهم من حيث لا يشعرون من تعظيم شأن مدينة المسلمين الاولين الذي أقاموا ميزان العدل بعد ميله وأحيوا موات العلم بعد موته كما غفلوا عن أنفسهم التي لم يوجد لها في الارض أثر يحمد فلا رفعوا أمة من سقطتها ولا أحيوا دولة بعد موتها ، ومالي لأذكركم بقصص أسانذتهم لدينهم والسعي في نشره بما يبذلون من الملايين، لجمعيات الرهبان والقسيسين ،

كلا ان التمسد الى بيان حال المتعلمين في مثل مصر والاستانة وانهم كالعلامة

في جهلهم بعاقبة علمهم وعلمهم في الامة فكل واحد منهم يفكر في خويصة نفسه فهو يتعلم لغاية يجعلها نصب عينيه وهي رزق مضمون يتمتع به كما يتمتع خواص قومه. يعذر التلميذ في هذا ولا يعاب لأنه لا يتوجه الا حيث يوجه معلمه ومربيه فمن لم يكن له أم ولا أب ولا معلم ينفخ فيه روح حب الامة والملة لا يرجي ان يهتم بجعل حياته الشخصية ركنا من أركان حياة أمته الملية بئذ شي من وقته وشي من فضل ماله في خدمتها وإعلاء شأنها .

إذا كان الكمال الشخصي يتوقف على حسن تربية الشخص البدنية والنفسية فهل يمكن ان يكون الكمال الاجتماعي بالمصادفة والاتفاق أو بترك معظم نش الامة فوضى والقذف بمن يراد تعليمهم من الذكران والاناث الى الاجانب حتى الجزويت والفرير ينششون ألواح نفوسهم بما يشاءون ؟؟

هذه الحال التي نرى عليها أكثر الذين تعلموا العلوم المصرية والتي يظن أن سيكون عليها وعلى ما هو دونها من يتعلمون الآن تصلح ان تكون حجبا لياشين من اصلاح حال المسلمين ولكن أهل الرجاء يرون في اثناء هذه الظلمات المتكاثفة بصيصا من النور يوشك ان يتألق فيقشع كل ظلمة ويظهر صراط الحق للسايرين . يرى البصير في مصر والمهند نابتة على شي من استقلال الفكر ويرى في روسيا نابتة لم يعمل في أرواحها سم الاجانب عمله في غيرها وهي مع ذلك تطلب العلوم والتربية لاجل الحياة ويرى في الاساتذة نفسها على شدة الهيمنة فيها على الافكار والمراقبة على العلم نابتة تلتهب غيرة وتشعر من معنى الاستقلال بما لا يشعر به سائر المسلمين ويرى في ايران هزة جديدة وحرارة يرحى ان تكون مفيدة ، ويرى في تونس حركة أخرى حيوية تغوزها نفحة من نفحات الحرية وليس استقلال الفكر هو كل ما استغادت نابتتنا من الاجانب بل أصابتهم نفحة من نفحات الحياة الاجتماعية . فهد الخير يتنازع مع تلك الشرور في هذه النفوس الضميمة ولا يعوز الامة الآن الا الاطباء الروحانيون والزعماء الاجتماعيون الذين يشرفون على الأودية والترع والسواقي التي تجري فيها سيول الحوادث الجديدة بالامة ويقدررون على تحويلها الى حيث تكون محببة لأرض الامة مارأيت لكاتب في هذه البلاد كتابة ولا علمت لعامل عملا ينبي بمراقبته

١٣٠ عمل الفورد كرومر بمصر. الحاجة الى الزعماء والمصلحين. رأي عالم في المنار (المنار)

لتغيير الاجتماعي الذي ينتقل بالامة المصرية من حال الى حال (وحاشا من فقدنا بالامس) الا ما يكتبه الفورد كرومر في تقاريره السنوية ، وما يدبره أمور الحكومة الكلية، هو الذي ينظر في عاقبة الاعمال المالية الكبرى ويسيرها كجاري ، هو الذي قال في المحاكم الشرعية انها ستند اليها يد لا تعرف للتقديم حرمة، هو الذي توقع من زيادة الاقبال على تعليم البنات ما توقع وأشار بالنظر في مقبته ، هو الذي فهم ما يرمي اليه اعتصاب تلاميذ المدارس فاهتم به اهتماما لم يفهم سره الا الاقلون فمن لنا بمرشدين ينظرون في أمورنا الكلية بتلك العين ، ويرجعون لسيرنا بتنا خير النجدين ؟ هذا ما نحن في أشد الحاجة اليه لاصلاح شؤوننا في هذا الطور الذي نحن فيه فالزعماء المصلحون هم الذين يحولون مجاري الحوادث التي تعمل في استعداد الامة وتغييرها الى ما فيه خيرها وسنفردهم مقالا خاصا بهم

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه وتب وبلده وعمله (وخطبته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور بما قدمنا متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورعا أحيانا غير مشترك لكل هذا. ولن يفتي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة قال لم تذكره كان لنا عندنا صحيح لا نخاله

﴿ أسئلة من سنفا فوره ورأي عالم في المنار والمسلمين ﴾

(من ٦-٩) من خ ١٠٠ من في سنفا فوره

نشرفت بقاء بعض الفضلاء من علماء المسلمين فانبجرت بنا الحديث الى ذكر الاحوال الحاضرة فيما للاسلام والمسلمين فيه وعليه تجري ذكر المنار المنير فأثنى عليه بما هو أهله ثم شافني بقوله: تنبه كثير من المسلمين بدعاء المنار الى الله تعالى وتحميه لثقاتي وإني أرفع اليك هذا لرفعك الى المنار الأغر لينشره على صفحاته مؤملا منه ان يبسط لنا في الجواب على ما سأله وما ضالتنا المنشودة الا الارشاد الى الحق - وهذا ما قاله ذلك الحكيم -

ضرب الجهل أطناب خيامه في بعض البلاد الاسلامية التي كان لسلفها القدر المحلى في

العلوم والمعارف والأعمال حتى صارت الآن خلوا من كل ما يطلق عليه اسم (مجد) بل لا يبعد أن قلنا أن من فيها من الخلف ضد سلفهم وقد أهملوا كل شيء من المجد ابتكالا على مجد من سلف حتى إذا ما عرا حادث اتكلوا في دفعه على سكان الأضرحة فترام يعتقدون في صالحه أموالهم أنهم مطلعون على أي حادث عرا وأنهم إن شأوا دفعه عنهم دفعوه وإن رأوا في إبقائه صالحا أبقوه وترام يقدمون تلك البقاع التي لم يرد في الشرع تقديسها ويرون في مطلق الإقامة بها شرقا وفضلا وإن كان المقيم بها خلوا عن كل فضل وشرف

فهل أنزل الله بهذا من سلطان؟ وهل فيما يعتقدونه شيء؟ ورد به الكتاب والسنة؟ وهل فيما إذا ورد عن سلفهم شيء؟ ولم نجد له دليلا من الكتاب والسنة فعلى ماذا يكون جملة؟ وهل يجب على أحد التصديق بالولاية لشخص معين؟ وماذا يكون حكم من رد شيئا من كلامهم في نحو ما ذكر أعلاه ولم يعترف بولاية أحد معين؟ وقد جاء من نحو هذا في بعض أعداد المنار السالفة ما جاء والأمل في حضرة الاستاذ الرشيد المرشد أن لا يهيننا على ما سبق وييسر لنا في جوابه على ما ذكرناه فضلا وليكن في معلومكم سيدي أن هذا الداء قد أزم في كثير من بلدان المسلمين فيحتاج إلى معالجته بدواء فيه قوة لاستصاله - فقل ان يكون دعاء المنار إلى الحق بالحق مقبولا عند أولئك كما أنه قبل دعاء المنار كثير ممن ضلوا فأضلوا ثم اهتدوا فهدوا -

(المنار) ترجع هذه الاستئلة إلى أربع مسائل (١) الدليل على دعاء الموتى أي الناس دفع الشر وجلب الخير منهم (٢) ما يرد عن العلماء ولا يعلم له دليل (٣) حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه (٤) الاعتقاد بولاية شخص معين من الناس أي أن له مكانة عند الله خاصة به في الدنيا والآخرة . وإن كثيرا من قراء المنار قد سمعوا كثرة الكلام في مسألة التوسل بالموتى إلى قضاء الحاجات ولكن فتنة الناس بها وتجدد قراء كثيرين للمنار في كل عام لم يطلعوا على ما سبق نشره في ذلك مع حاجتهم إليه يوجب علينا مع تجديد السؤال عنها أن نبين الحق فيها فقول

﴿ مسألة دعاء الموتى والتوسل بهم ﴾

(ج ٦) لو كان الكلام مع أناس من أهل العلم والبصيرة لكان يكفي في بيان

بدعهم في ذلك أن تقول إن ماتوا تونه لم يأذن به الله في كتابه ولا على لسان رسوله ولم يأت بمثله صالحو المؤمنين من الصحابة والتابعين وهو أمر ديني محض لا مجال للرأي فيه فمن يقول به يكون منازعا لله تعالى في شرع الدين كما قال تعالى في سورة الشورى (٢١:٤٢) أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله الآية . فان ادعوا ان أحدا من السلف دعا ميتا أو طلب منه حاجة أو صلى عند قبره أو تمنع به أو قصده للدعاء أو قال إن الدعاء عنده أرجى للجاجة طالبناه بالنقل ولن يجده . وإنما قصارى احتجاجهم ان بعض مشايخ التصوف الذين اشتهروا بالصالح كانوا يتبركون بالقبور . والجواب عنه سهل لمن يعرف ما هو الاسلام فان علماء أصول الدين حصروا الحجج الشرعية في الكتاب والسنة والاجماع والقياس . ولا ينهض شيء من ذلك هنا اما الكتاب والسنة والاجماع فان طريقها النقل ولم ينقل ذلك أحد واما القياس فانه لا يأتي في الأمور التبعية ولا فيما يتعلق بشأن عالم الغيب والمسألة من هذا القبيل لأن المفتونين بها فريقان - غلاة يزعمون ان الموتى يقضون حاجاتهم بأنفسهم لأن أرواحهم مأذونة بذلك وقال بعضهم بل هي تعود الى أجسادها التي لا تفتى وتقضي الحاجة كما كان شأنها في الحياة الدنيا : وأنت ترى أن هذا نأ عن عالم الغيب وهو لا يعرف الا بالوحي كما قال تعالى (٢٦: ٧٢) عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) الآيات وفيها ان الرسول يطلعه الله تعالى على ما يريد ان يبلغه عنه من أمر عالم الغيب كالجنة والنار والملائكة والجن .

واما الآخرون فيقولون ان الله تعالى يقضي حاجة من يدعوم كرامة لهم . وهذا حكم على الله تعالى وهو أعلى أحكام عالم الغيب ولا قياس فيه فهو يتوقف على نص من الوحي وإلا كان من القول على الله بدون علم وهو من كبار الأيتم المقرونة بالكفر وهي أصول المحرمات في كل دين شرعه الله كما بينه تعالى في قوله بسورة الاعراف

(٣٢: ٧) قنل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والايثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)

على أن هذه المسألة — مسألة التماس دفع الضرر أو جلب النفع من غير الله استقلالاً أو بالوساطة والشفاعة — لم تكن لتترك فلايين حكمها في القرآن وهي أصل الوثنية وأساسها في جميع الأمم ولذلك فن بها أهل الكتاب فاتخذوا وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى غير وسطاء أجدادهم أو خلطائهم من الوثنيين فهم لم يخالفوا الوثنيين في أصل هذه العقيدة وحقيقتها، وإنما خالفهم في مظهرها وصورتها، إذ اعتقدوا الوساطة والشفاعة مثلهم وجعلوا لهم شفعاء ووسطاء من أنفسهم غير وسطاء أولئك وشفعائهم . أفرايت دين التوحيد الخالص يسكت عن هذه المسألة ويدعها للفقهاء يحكمون فيها بقياسهم وهي تتعلق بأساس الدين وركنه الركن وهو التوحيد؟

قال تعالى (١٨:١٠) ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاونا عند الله، قل اتَّبِعُوا اللَّهَ بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون *) أي أنهم باتخاذ الشفعاء يعبدون غير الله لأن هذا عين العبادة ولكنهم يقولون ان هذه شفاعة عنده فهي لا تخل بتعظيمه بل هي تعظيم له كما تعظم الملوك اذ لا يتجرأ الحقير على دعائهم الا بواسطة المقرين عندهم . وقد نفي سبحانه هذه الشفاعة في آيات كثيرة قال تعالى في سورة البقرة (٤٨:٢) ولا يقبل منها شفاعة — ١٧٣ ولا تنفعها شفاعة — ٢٥٤ ولا خلة ولا شفاعة (وقال في سورة المدثر (٤٨:٧٤) فما ننفعهم شفاعة الشافعين *) وقال في سورة الانعام (٥١:٦) وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يقولون * — ٧٠ وذو الذين اتخذوا دينهم لباً ولهووا وذَكَرْ به ان نُبَسِّلَ نَفْسٌ بما كَسَبَتْ ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع (الآية) ولمنحى تبسل تسل الى الهلاك أي ان الذين تدفعهم أعمالهم الى الهلاك لا تنجيهم من عاقبتها شفاعة أحد . والآيات في هذا كثيرة وارجع الى التفسير من هذا الجزء نجد الكلام في معناها مفصلاً

وكانوا يطلقون على هؤلاء الشفعاء لقب الاولياء كما تلوت في آيتي الانعام آنفاً ومثلها آية ألم السجدة (٤:٣٢) ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون)

وقال تعالى في سورة الزمر (٣: ٣٩) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار * لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار *) فدلّت الآية الثانية على أن من جملة هؤلاء الاولياء المسيح عليه الصلاة والسلام والملائكة أي ان الناس يقربون بأشخاصهم وذواتهم الى الله تعالى زلفى وهذا باطل اذ لا يقرب أحد الى الله تعالى بأحد انما يقرب اليه تعالى بالعمل الصالح وخالص القلب مع الايمان الصحيح . وأنت تعلم أن كل ما يعتقده المبتدعون في أصحاب القبور الصالحين هو من هذا القبيل أي ان التوسل بأشخاصهم يقرب من الله تعالى ويكون وسيلة لقضائه سبحانه وتعالى حاجة من يدعوهم ويقرب بهم . ولذلك قال تعالى في سورة الإسراء ٥٦: ١٧ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ٥٧ أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كلف وعبودا) أي ان أولئك الاولياء الذين يدعوهم لكشف الضر عنهم أو تحويله توسلا بهم كالمسيح هم أنفسهم يطلبون الوسيلة الى الله تعالى بعبادته ويرجون رحمته باتباع سنته والعمل بشريعته ويخافون عذابه اذا قصرُوا ، حتى ان أقربهم من مرضاته هو أخوفهم منه وارجاهم له . ذلك بأن عذاب الله في الدنيا والآخرة مخوف ومعدور في نفسه لأن الله فيه سنن لا تبدل يوشك ان يخالفها المرء من حيث يدري أو من حيث لا يدري وأن القلوب تتقلب وأنه لا يجب لأحد من خلقه عليه شيء . ولذلك قال (١٧: ٥) قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير *) فبمثل هذه الآية يهدينا سبحانه الى أن ملائكته وأنبياءه وأوليائه ما كانوا ليرجون رحمته الا بفضلهم عليهم اذ جعلهم معلا لطاعته وإرشاد عبادهم . فلا تلو في تعظيمهم حتى ننسى كونهم عبيد له ان شاء أن يهلكهم فعل لثلا نطلب منهم تقاضا أو ضرا . ومن ثم قرن الله خشيته بالعلم وجعله من أسبابها كما قال (٢٧: ٢٥) انما يخشى الله من عباده العلماء .) وفي حديث الصحيحين عن عائشة قالت صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فرخص فيه فنه عنه قوم قبله. ذلك خطاب لخد الله وإني عليه ثم قال « ما بال أقوام يتنزهون من الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية »

ثم إن ما يطلب من أصحاب القبور وغيرهم يسبر عنه بالدعاء كما قال في الآية السابعة « أولئك الذين يدعون » الخ وقد احتج القرآن على بطلان هذا الدعاء بقوله (١٣: ٣٥) والذين تدعون من دونه لا يملكون من قهله شيء ١٤ إن تدعوم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبتلكم مثل خير) ومثلها آيات كثيرة . وقوله في هي المؤمنين ان يكونوا مثل هؤلاء الوثنيين في طلب شيء أعوزهم نيله بسببه من غير الله تعالى (١٨: ٨٢) وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً

هذا ولما كان أكثر الوثنيين قد تقنوا برجال من ضالهم حتى اعتقدوا أنهم بعد موتهم ينفعون ويضررون وكانت هذه الفتنة قد سرت إلى أهل الكتاب فاعتقدوا أحبارهم ورجالهم أرباباً من دون الله وصاروا يبتغون عليهم الكنائس أو يلبسونها اليهم ويتوسلون بهم إلى الله تعالى ويعتقدون أن الله يقضي حاجاتهم بجاههم وأنه أعظم قوة قضائها بأنفسهم نبي النبي صلى الله عليه وسلم عن بناء المساجد على القبور وعن عمارة القبور نفسها وعن وضع السرج عليها بل ونهى عن زيارتها في أول الإسلام ولما تمكن التوحيد رخص في زيارتها بقصد الاعتبار بالموت وتذكير الآخرة ففعل المسلمون في هذه الأزمنة كل ما نهى عنه ولمن فاعله ومن ذكركم ونهاهم عن هذه البدع انكروا عليه بأنه هو المبتدع لأنه منكر لزيارة القبور كأن زيارة القبور تحمي كل تلك البدع التي هي شعار الوثنيين مع أن الصحيح في الأصول عند الجمهور أن الأمر بالشيء بعد النهي عنه إنما ينقل على إباحته لا وجوبه أو نفيه وهب أن الأمر بالزيارة يبدى حظرها للبدع أو الاستحباب أليس قد علت بطله تذكرة الآخرة فإذا فلتت لمة أخرى كدعاء الميت وطلب الاستفادة منه أو به تكون قد خرجت عن دائرة الإذن ودخلت في باب المحذور الذي لم يأذن به الله ؟ ومن عجائب لاعب الأهواء بالمبتدعين أن كل ما ررد من التشديد في بناء

القبور وتشريفها والبناء عليها ووضع السرج عندها واتخاذها مواسم وإعياداً لم يقصد به إلا سد باب الاعتقاد بأن صالحى الموتى ينفعون الأحياء ويضرهم كما كان النهي عن التصوير وعن اتخاذ الصور بصفة تشعر بالتعظيم لم يقصد به إلا المنع من تصوير من يعظمون تعظيماً دينياً كما هو شأن الوثنيين ومن تبهم من أهل الكتاب الأكران من باب واحد ولكن علماء المسلمين سكتوا للعوام على ضلالهم في القبور حتى لا تكاد ترى في مثل هذه البلاد مسجداً ليس فيه قبر مبني . شرف يقصد للتوسل به وطلب دفع الضرر وجلب الخير منه ولكنهم يشددون في التصوير واتخاذ الصور وإن لم تكن فيها شائبة الدين ولا الشبهة على الاعتقاد أو التعظيم . وانا نحم هذا الجواب بشي ما ورد في القبور

قال صلى الله عليه وسلم : قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . يحذر ما فعلوا رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة . زاد مسلم والنسائي . قالت عائشة ولولا هذا لأبرز قبره فإلساب في حجب قبره صلى الله عليه وسلم عن أعين الناس منهم من تعظيمه أو الناس المنفعة منه مع أنه هو الذي خاطبه الله تعالى بقوله (١٨٨:٧) قل لأملك لنفسي فقها ولا خيراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم النيب لا استكثرت من الخير وما مسني السوء أن أقالا نذير وبشير لقوم يؤمنون ومثلها آيات . وفي صحيح مسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس « أن من قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وفي الصحيحين أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وذكر من حسناتها وتماثيل فيها فقال « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك هم شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وفي مستد أحمد وصحيح أبي حاتم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد . وفي سنن أبي داود وغيره عنه (ص) أنه قال « لا تتخذوا قبوري عياداً » وفي موطأ مالك عنه (ص) أنه قال « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وما عبادة القبر لا تعظيمه وطلب الجوائع ممن دفن فيه ومن التعظيم الذي هو عبادة الطواف به

(المنار ٩: ٢) كيفية عبادة القبر . شجرة المباينة . قبر دانيال . خصوصية الانبياء ١٣٧

كما يظاف بالكعبة والتسبح به التماسا للبركة وللشفاء وتقبيله . فان من نهى صلى الله عليه وسلم عن مثل فعلهم كانوا يفعلون ذلك . وفي مسند أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي عن ابن عباس انه قال « لمن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي اسناده أبو صالح باذام تكلم فيه ويمضه ما تقدم .

واما آثار الصحابة في ذلك فكثيرة . ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص وغيره انه ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان في سفر فرأى قوماً يتناوبون مكاناً للصلاة فسأل عن ذلك فقالوا هذا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا إنهم اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد ، من أدر كته الصلاة فليصل والافليس : وبلغه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تجتهداً فأمر بقطعها . وأرسل اليه أبو موسى يذكر له أنه ظهر بقبر دانيال وعنده مصحف (أي كتاب) فيه أخبار ماسيكون وأنهم اذا أجذبوا كشفوا عن القبر فطروا فأرسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً يدفنه بالليل في واحد منها ثلاثا يعرفه الناس ثلاثا يقتنوا به

(قال شيخ الاسلام) فاتخاذ القبور مساجد بما حرمه الله ورسوله واذلم بين عليها مسجداً ولكن بناء المساجد عليها أعظم . وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر وإن كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك إنما يظهر اذا ظهرت صورته . واستدل على هذا الاخير بأن المسجد النبوي كان مقبرة فنبتت وسويت . وما ذكره في هدم المسجد المبني على قبر نقل نحوه ابن حجر في الزواجر وقد نقلنا عبارته في المنار من قبل

وجلة القول أن الله تعالى لم يأذن بأن يدعى غيره لدفع ضرر أو جلب نفع لاعلى أنه مستغل بذلك ولا على أنه واسطة بينه وبين عباده في الخلق والتقدير وإنما حصر الوساطة بينه وبين عباده بتبليغ دينه وشرعه اليهم على لسان رسوله وقد حصر خصوصيتهم بهذا التبليغ في آيات كثيرة وبين أنهم لا يمتازون عن سائر الناس

بشيء وراء الوحي وما يستلزمه من الصفات كالصدق والامانة وأنهم لا يقدرُونَ على قنع أحد ولا ضرر بالفعل حتى بالهداية والرشد ومن حكمته أن كان بعض آبائهم وأبنائهم وأقاربهم كفاراً ليعلم الناس أنه لو كان لهم من الأمر شيء لهدوا جميع أقاربهم وأنقذوهم من عذاب الدنيا والآخرة. أفبعد هذا كله يكون للمدعي الاسلام وجهاً ما لدعوى أن الاموات الصالحين يمكنون كشف الضرر أو تحويله عن الناس وجلب المنافع لهم وذلك من الوثنية الصريحة « سبحانك هذا بهتان عظيم » يعظمك الله ان تعودوا لملكه أبداً ان كنتم مؤمنين * ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم * (١)

﴿ أقوال العلماء بنفي دليل ﴾

(ج ٧) لاحقة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المنفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أي مردود وبذلك صرح الأئمة المشهورون قال أبو الليث السرقندي حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبي حنيفة أنه قال « لا يحمل لأحد أن يفتي بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا » وروى عن أصحابه مثل ذلك وفي رواية « ما لم يعرف دليلنا » وعن نقل عنهم ذلك الشمراني وولي الله الدهلوي . وفي روضة العلماء من كتبهم : قيل لأبي حنيفة إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لكتاب الله . قيل إذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال أتركوا قولي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيل إذا كان قول الصحابة يخالفه قال أتركوا قولي لقول الصحابة

وروى الحافظ ابن عبد البر بسنده إلى معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه : ورواه غيره أيضاً . ومن المشهور عن مالك أنه كان يقول عند التحديث في الحرم النبوي الشريف :

(١) لا نأثر من بيان عدد الآيات التي تذكر بطريق الاقتباس لبيان معناها

في الأصل ولا للاحتجاج بها كذه الآيات

كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: ويشير الى الروضة الشريفة وقال الامام الشافعي في كتابه الأم في أثناء كلام « وهذا يدل على أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال » وله أقوال في هذا المعنى كثيرة يكفينا منها هذا النص الصريح فيما نحن فيه وأتباعه من أكثر الناس أقوالا في ذلك وكذلك الحنابلة ولذلك كثر المجتهدون ممن تفقه في هذين المذهبين

وأما الامام أحمد فهو أشد الناس براءة من القول بغير دليل وقد سأله أبو داود عن الأزاعي ومالك أيهما أتبع : فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ما جاء عن النبي وأصحابه فخذ : وقال « لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » أي من الدليل . وما قاله هؤلاء الأئمة المتهنون هو ما أجمع عليه السلف ولكن القلوف تعظم الانسان لشيوخه وشيوخهم وثقت بهم من أسباب ترك الدليل الى أقوالهم بل من أسباب اتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وكم من رجل جهول قلده الجاهلون لانهم اعتقدوا صلاحه فقالوا ما كان مثله في تقواه وورعه ان يقول أو يعمل الا ما يعلم انه حق . وهذا قول مردود بلا نزاع فالصالح غير معصوم قد يخطئ جهلا وقد يخطئ سهواً ومعداً ﴿ حكم من رد كلام العلماء الذي لا دليل عليه ﴾

(ج ٨) حكم من رد كلام العلماء لأنه لا دليل عليه انه اتبع الحق واهتدى بالقرآن وسار على طريقة السلف الصالحين والأئمة المرضيين كما علمت

﴿ الاعتقاد بولاية شخص معين ﴾

(ج ٩) ان ما يعتقده عوام المسلمين في الولاية والأولياء في هذه الأزمنة لم يكن معروفاً في صدر الاسلام بالمرة فلم يكن الصحابة يدعون بعض عبادهم بالأولياء . والولي في اللغة الناصر والصديق ومتولي الأمر وجاء في القرآن ان الله أولياء للشيطان أولياء وان المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فولي الله من ينصر دينه ويقوم سنته وشريعته وولاية المؤمنين بعضهم لبعض عبارة عن

تتصارهم في إغلاء كلمته وإقامة دينه وشريعته . والله ولي الذين آمنوا بمعنى أنه هو الذي يتولى أمورهم وليس لهم من دونه ولي ولا نصير . فمن اتخذ وليا يعتقد أنه يتولى بعض أموره في غير ما يتعاون به الناس بعضهم مع بعض فقد اتخذ شريكاً كما علمت من آية الزمر التي مرت في جواب السؤال السادس . ومثلها آيات كثيرة ليس لمؤمن أن يعتقد جزماً أن أحداً من الناس بعينه قد مات وهو ولي الله تعالى مرضي عنده في دار رضوانه ما وعد به أوليائه ، لأن ذلك تعدى على علم الغيب وقول على الله بغير علم . وقد أجمع العلماء على أن الخاتمة مجهولة وأنه لا يقطع لأحد بالموت على الإيمان وبكرامة الله له بالجنة إلا بخبر عن الشارع وإنما يحسن الظن بجميع المؤمنين ومن عرفنا استقامته على الشرع كان ظننا فيه أحسن ورجاؤه ناله بفضل الله أكبر . أخرج البخاري في صحيحه عن أم العلاء - امرأة من الانصار - أنهم اتفقوا المهاجرين أول ما قدموا عليهم بالقرعة قالت فطار لنا - أي وقع في سهمنا - عثمان بن مظعون من أفضل المهاجرين وأكبرهم ومتعبد بهم ومن شهد بدرأ فاشتكى مرضه حتى إذا توفي وجلسناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله تعالى ؛ فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أن الله أكرمك » فقلت لأدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما عثمان فقد جاءه اليقين والله إني لأرجوه الخير . ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فوالله لا أركي أحداً بعده أبداً ؛ فهذا الحديث الصحيح يكفي في قطع السنة المفتاتين على الله الذين يجزمون بأن فلانا وفلانا ممن يعرف وعن لا يعرف من أولياء الله المكرمين عنده قطعاً وأن لهم فوق ذلك السلطان في عالم الغيب وعالم الشهادة وما أجملهم بالله وكتابه ويهدي رسوله وسيرة سلف الأمة الذين تقل عنهم في الخوف وعلم الجزم بأمر الآخرة ما فيه عبرة للجاهلين لو كانوا يعظون به حتى ان المبشرين بالجنة من الصحابة ما كانوا يأمنون مكر الله وكانوا يقولون ما يدرينا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشرنا بشرط الاستقامة على ما كنا عليه معه وأتينا قتيلاً من حيث لا ندرى

﴿خلق آدم وعيسى﴾

لم يكف الشيخ قاسم محمد أبو غدير بما ذكرنا في هذه المسألة التي سألت عنها فكتب إلينا في ١٤ المحرم يطلب نشر أسئلته التي كان أرسلها إلينا بنصها والجواب عنها بالتفصيل في أول جزء يصدر بعد كتابه هذه «لأهمية الموضوع» وانا لا نرى الموضوع بالعين التي رآها به وإنما يصح ان يعتنى به هذا الاعناء اذا ثبت مذهب دارون بطريق القطع الذي لا يحتمل الشك والارتياب فعند ذلك يجب علينا نحن المسلمين ان نبذل جهدنا في تأويل الآيات الواردة في خلق آدم بمثل ما تقدمت الإشارة اليه أو غيره فان لم تقدر انتصر دارون على القرآن وأثبت بطلانه (حاش لله) . أما الآن فاننا نتقدم في المسألة ما يدل عليه ظاهر الآيات من غير تأويل وأما ما ذكره الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي من التأويل فهو في باب دفع الشبهات والرد على المعارضين ولا يكلف السائل ولا غيره ان يتخذ عقيدة له لهذا نرى أن لاجابة الى التطويل الذي يطلبه إذ لا فائدة له فالسالم لا يترك الظاهر ويلجأ الى التأويل الا اذا عرضت له الشبهة أووردت عليه وما كان لنا ان نجتهد في ابطال تأويل يراد به تثبيت عقيدة مشبهة أوورد شبهة معترض فليتدبر . هذا وإن أسئلته قد جعلت في القتا من الورق بعد ذلك الجواب المجلد وقد أردنا من اجتمعا عند كتابة هذه الكلمات فلم نطفر بها

﴿تتمة أجوبة الاسئلة الجاوية في السماع﴾

(ثنيه) رأى بعض فضلاء المصريين أننا أطلنا في هذه الاسئلة أكثر مما تستحق وذلك أنه يندر ان يوجد في مصر من يتحاشى السماع ولكن الجود في كثير من البلاد على تقليد المصريين لا يابن الا بأكثر من هذا والمنار ليس خاصا بالمصريين

﴿البحث في السماع من جهة القياس الفقهي﴾

يري القارئ . المنصف ان ما قاله الشوكاني (ونشرناه في الجزء الماضي) هو صفة التحقيق الآن في إدخاله السماع على الاطلاق باب الشبهات نظرا فان ثابت في الصحيح من سماع النبي (ص) وأكابر أصحابه يدفعه فانهم أبعد الناس عن الشبهات وقد سمعوا مع تسميتهم ذلك بمزار الشيطان وباللهو . والذي يظهر من

أحاديث الإباحة التي تقدمت أن قول من قال باستحباب السماع أوندبه ينبغي أن يحمل على ما يكون في الاوقات والحالات التي يستحب فيها تحري السرور كالعرس والعيد وقدم الغائب . وأن السماع فيما عدا هذه الاوقات والحالات مباح لذاته بشرط عدم الاسراف فيه فان الاسراف ضارٌّ بالأخلاق مسقط للمروءة وهذا هو مراد الامام الشافعي رضي الله عنه بقوله في الام ان القناء هو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقوله ان صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته : وقد يقال انه يقرب أن يكون ديوثا لانه اذا لم يفر على جاريته أن تطرب الناس بصوتها فرما كان لا يفر عليها مطلقا

وقولنا مباح لذاته يتفق مع قول الغزالي ومن واقفه يمنع ما كان فيه تشبه بأهل الفسق في شعارهم الخاص بهم قال في الاحياء « ول هذه الالة تقول لواجتمع جماعة وزينوا مجلسا وأحضروا آلات الشرب وأقداحه وصبوا فيها السكنجين ونصبوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم فيأخذون من الساق ويشربون ويهيي بعضهم بعضا بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم وان كان المشروب مباحا في نفسه لأن في هذا تشبها بأهل الفساد بل لهذا نهى عن لبس القباء وعن ترك الشعر قزعا على الرأس في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد ولا ينهى عن ذلك في بلاد النهر لاعتیاد أهل الصلاح ذلك فيهم . فلهذه المعاني حرم المزمار العراقي والاولار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطباليين وكالطبل والقضيب وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالحر ولا يذكر بها ولا يشوق اليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياسا على أصوات الطيور وغيرها . بل أقول سماع الأوتار ممن يضرها على غير وزن متناسب مستلذذ حرام أيضا . وبهذا تبين أنه ليست النسلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة بل القياس تحليل الطيبات كلها الاماني تحليله فساد قال الله تعالى (٣٢:٧) قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الزينة فهذه الأصوات لا تحرم من حيث هي أصوات موزونة وانما تحرم بعارض

آخر « اه كلام الغزالي وتكلم في مكان آخر عن العوارض
فهذا القول هو أحسن ما قيل في القياس كأن القول السابق هو أحسن ما قيل
في السنة وأجمله . وأنت تعلم ان التشبه بأهل السكر والخلاعة إنما حرم لما فيه من
مهانة المؤمن وضعته فإذا سمع المؤمن الأوتار في مجلس لا يعد فيه منشئها بأهل
السكر والفسق كأن يسمعه في بيته أو بيت آخر بصفة لا تشبه فيها فلا مجال للقول
بالتحريم فالأمر في الأوتار كالأمر في لبس القباء (هو القفطان في عرف المصريين
والغياز في عرف الشاميين) فقد حرمه الغزالي في بلاد وأباحه في أخرى لعل التشبه
وعدمها وما قاله في إباحة سائر الآلات يدخل فيه آلات الموسيقى العسكرية وأمثالها
فتبين بهذا انه لا وجه في القياس الصحيح لتحريم سماع المازف على الإطلاق
كأنه لا وجه لها في كتاب ولا سنة بل الوجه ما تقدم . ومن العوارض التي لا بد من
التنبه إليها كون السماع يهيج السامع في دفعه الى المعاصي فن علم من نفسه ذلك
حرم عليه . هذا ما يليق بدين الفطرة الذي جمع لمتبعيه بين سعادة الدنيا
والآخرة والله أعلم وأحكم

الكلام على عبارات الاسئلة

أما قول السائل في السؤال الاول إن الغزالي حرم ما هو شعار أهل الشرب
الح فيقال فيه ان ما صرح به الغزالي هو أن الأصل في سماع القناء والمازف الحل
كما تقدم وتحريم سماع الأوتار لعل التشبه بالفساق يزول بزوال هذه العلة كما قال
في لبس القباء . وما ذكره فيه عن ابن حجر من العلة الأخرى وهي كون اللذة
بالسمع تدعو الى الفساد فهو محل نظر إذ السماع كما قال بعض العلماء إنما يحرك الساكن
ويستخرج الكامن فن لم يكن من أهل الفساد لا يدعوه الى الفساد وأشد السماع
تأثيراً في النفس سماع ألحان النساء وقد سمعها الشارع وكبار أصحابه وقد أطل
الغزالي في بيان اختلاف الحكم باختلاف أحوال الأشخاص وإن ذلك لا يمنع ان
الأصل فيه وفي جميع اللذات الإباحة . والحديث الذي أورده فيه عن كتاب
النصائح وهو « اذا فلتت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » وذكر منها
اتخاذ القينات والمازف وفبرها بالملاهي من الاوتار والزماير لم تذكر في أحاديث

الخطر لشدة ضعفه ولأجل الكلام عليه هنا فنقول قد رواه الترمذي عن صالح بن عبد الله عن الفرج بن فضالة الشامي عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب مرفوعا

« إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » قيل وما هي يا رسول الله قال « إذا كان المنعم دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فأرتقبوا عند ذلك رجحا حرا وخسفا أو مسخا » والفرج بن فضالة قد تكلم فيه سئل الدارقطني عنه فقال ضعيف قليل له نكتب عنه حديثه عن يحيى بن سعيد « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة » الخ؛ فقال هذا باطل : قيل من جهة الفرج قال نعم . وقال أبو داود سمعت أحمد يقول : إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحيى بن سعيد عنده مناكير؛ وقال أبو حاتم لا يحل الاحتجاج به وقال مسلم أنه منكر الحديث : ثم إن الحديث لا يدل على تحريم سماع الأوتار لأن الحاصل الذي ذكرت فيه منها ما هو فضيلة كبر الصديق ولكن مجموعها سبب للهلاك وإن لم يصح الحديث لأنهما من السرف في الترف وفساد الأخلاق وإضاعة المصالح العامة والخاصة

﴿ ابن حزم وابن طاهر الحافظان ﴾

واما ما ذكر في السؤال الثاني عن ابن حجر الميمني من الطعن في ابن حزم وفي ابن طاهر فهو مما اعتاد ابن حجر مثله وهو معدود عليه من غلو في التعصب لاقوال علماء مذهبه وابن حجر ليس من طبقة ابن حزم الحافظ الامام المجتهد ولا من طبقة ابن طاهر وإنما يعرف بقدر مثل ابن حزم الحافظ ابن حجر العسقلاني امام المحدثين في زمانه وبعد زمانه . وقد ذكره ترجمة طويلة في طبقات الحفاظ قال فيها : وكان اليه المنتهى في الذكاء والحفظ وسعة الدائرة في العلوم وكان شافيا ثم انتقل الى القول بالظاهر ونفي القول بالقياس ونسك بالعموم والبراءة الاصلية وكان صاحب فنون في دين وتورع وتزهو ونحوه للصدق . ثم قال — وقال صاعد بن

أحمد كان ابن حزم أجمع أهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر ومعرفته بالسنن والآثار . أخبرني ولده الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تحتوي على نحو من ثمانين ألف ورقة . قال الحميدي كان أبو محمد حافظاً للحديث وفقهه مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة متقناً في علوم جمة عاملاً ببله ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وكان له في الادب والشعر نفس واسع وباع طويل ما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه الخ ثم نقل الحافظ ابن حجر عن شيخ الاسلام المزين عبد السلام امام الشافعية في عصره انه قال ما رأيت في كتب الاسلام في العلم مثل المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق : ثم قال الحافظ في أواخر ترجمته قلت ابن حزم رجل من العلماء الكبار فيه أدوات الاجتهاد كاملة الخ

واما ابن طاهر فقد ذكره في طبقات الحفاظ أيضاً وبين أصل هذه الكلمة (إياحي) التي قالها فيه ابن حجر الميمني الفقيه مع ألفاظ أخرى تمد من السباب لم يقل بمثلها أحد . قال الحافظ في ترجمته : وقد ذكره الدقاق في رسالة فخط عليه وقال كان صوفياً ملامتياً سكن الري ثم همدان له كتاب صفوة التصوف وله أدنى معرفة بالحديث : قلت هو أحفظ منك بكثير يا هذا . ثم قال ذكر عنه الإباحة قلت بل الرجل مسلم معظم للآثار وإنما كان يرى إباحة السماع لا الإباحة المطلقة التي هي ضرب من الزندقة اه فهل يسلم مسلم بعد قول الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب القول الفصل والحكم العدل في الرجال ما قاله ابن حجر الفقيه الميمني من انه مجازف إياحي كذاب رجس العقيدة نجسها ؟ اللهم ألمم هؤلاء الأئمة الذين يسبهم ابن حجر الميمني المتعصب لتقليده العفو عنه يوم الدين .

واما حكاية الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي إباحته العود فاذا لم نصح عنه فقد صحت عن من أعظم منه . قال الزبيدي في شرح الاحياء بعد نقل تحريره عن المذاهب الأربعة : وذهبت طائفة إلى جوازها وحكي سماعه عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمر

بن العاص وحسان بن ثابت رضي الله عنهم وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد وقتله الأستاذ أبو منصور عن الزهري وسعيد بن المسيب وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعبد الله ابن أبي عبيد وأكثر قها المدينة . وحكاة الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون وقد منا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد وحكاة الأستاذ أبو منصور أيضا عن مالك وكذلك حكاة الفوراني في كتابه القند . وحكى الروياني عن الثقال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيع الفناء على المازف وحكاة المارودي في الحاروي عن بعض الشافعية ومال إليه الأستاذ أبو منصور . ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي اسحق الشيرازي أنه كان مذهبه وأنه كان مشهورا عنه وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره . وابن طاهر عاصر الشيخ واجتمع به وهو ثقة وحكاة عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم واليه ذهب الظاهرية حكاة ابن حزم وغيره . قال صاحب الامتاع ولم أومن تعرض لكرهه ولا لنكرها الا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال : وأكره الحب بالرد لخبر أكثر ما أكره الحب بشيء من الملاهي : فاطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه المود وغيره وقد تمسك بهذا النص من أتباعه من جعل الرد مكرها غير محرم ، وما حكاة المازري في شرح التلحين عن ابن عبد الحكم أنه قال إنه مكره ، ونقل عن المزني عبد السلام أنه سئل عنه فقال أنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا (يعني النزالي في الإحياء) اه كلام الزبيدي ومنه وما سبق عن نيل الأوطار يعلم أن النقل عن الصحابة والتابعين وغيرهم من العلماء لم ينفرد به ابن حزم وابن طاهر ولو انفردا لاحتج بنقلهما الإثبات وهما من الأثبات مالا يحتاج بنفي ابن حجر الميمني وهو ليس من الحفاظ ولم يطن في أسانيدهما لينظر في طعنه . وسقط بهذه القول ما جاء في الاستئلة من ذكر الاتفاق على تحريم المود ونحوه وتفسيره من سنده واما سؤاله عن جواز نسبة ذلك الى العلويين الاقبياء فجوابه ان النقل لا يكون بالرأي فان قل ذلك ثقة صدقناه وحلنا سمعناهم على اعتقادهم الحل كما قل ذلك ممن هم خير منهم وان كان غير ثقة لم نصدق

واما سؤاله عن بعض علماء الرسوم هل يقتدى بهم اذا مضى المود فنقول

انهم لا يقتدى بظلمهم في شيء مطلقا وانما يؤخذ بنقلهم وروايتهم في بيان حكم الله ان كانوا ثقات صادقين . كذلك يقال في الصوفية الذين ذكروا في السؤال الخامس من عرفت استقامته وتقواه منهم فلا يجوز الطعن في دينه لسماحه العود من غير ان يشبه بأهل الفسق والفجور فيأهو من شؤن فسيقم بحيث يظن انه منهم فن فعل هذا فقد جنى على نفسه وأهائها فلا يلومن من أساء الظن به

﴿ خلاصة القول في السماع ﴾

(١) لم يرد نص في الكتاب ولا في السنة في تحريم سماع الفناء أو آلات اللهو يحتاج به (٢) ورد في الصحيح ان الشارع وكبار أصحابه سمعوا أصوات الجوارح والدفوف بلا تكير (٣) إن الأصل في الأشياء الاباحة (٤) ورد نص القرآن بإحلال الطيبات والزينة وتحريم الخبائث (٥) لم يرد نص عن الأئمة الأربعة في تحريم سماع الآلات (٦) كل ضار في الدين أو العقل أو النفس أو المال أو العرض فهو من المحرم ولا يحرم غير ضار (٧) من يعلم أو يظن ان سماع غيره بمحرم حرم عليه (٨) ان الله يحب ان توتي رخصه كما يحب أن توتي عزائمه (٩) ان تتبع الرخص والاسراف فيها مذموم شرعا وعقلا (١٠) اذا وصل الاسراف في اللهو المباح الى حد التشبه بالفساق كان مكروها أو محرما

أَنَّ كَلِمَةَ الْحَبِيبَةِ

﴿ فقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الاول ﴾

(ص ١٠٤) أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكها من نحر وجيد

(سنن الفريد وجه القند) يقال امض على سننك أي على وجهك وتتح من سنن الجبل أي وجهه ولا يقصد الشاعر الى هذا هنا وانما قصد الى تشبيه قطرات الدموع بحبات القند الفريد التي عبر عنها بالسنن وهي جمع سنة كجبر جمع معبرة . والسنة الحبة من رأس الثوم وهي بيضاء مدلمسكة ملساء فيحسن تشبيه حبات

الغنى بها وإطلاق اسبغ عليها . ولا يضر التشبيه راحة السنن لانه لا يلاحظ فيه جميع عوارض المشبه به وهذا طلع النخل تشبه به الثنايا ورائحته رائحته (ص ١٠٤) وأنا شعري أرق وحزن وبقيته لدى الركب المجهود (المجهود من هجد اذا أناخ) هجد نام والركب المجهود النائم وهو ما أراده الشاعر فهو يقول ان الطيف يحاى زيارته لكونه حليف ارق وحزن والطيف انما يأوي الى الركب النائم . وقد ينيخ الركب ولا ينام (ص ١٠٩) اخوار الحرب العوان اذا أدارت رحاها بالجنود على الجنود (العوان التي قوتل فيها مرة) صوابه مرتين أي مرة بعد أخرى . وفسر الشارح العوان أيضا في ص ١٤٣ كما فسرها به هنا .

(ص ١٠٥) بنصر ابن منصور بن بسام أنفري لنا شطف الايام في عيشة رغد (أنفري انصلح) أنفري هنا بمعنى انكشف وتقلص واضمحل وزال راجع ما قلناه عن هذه الكلمة في قول الشاعر به انكشف عنا الغيابة الخ (ص ١٣٨) فعلوت هامة فطار فراشا بشهاب موت في الديق مجرد (الفراش موقع اللسان في قعر الفم) أراد الشارح ان الفراش مفرد على وزان كتاب وان معناه ما ذكره وليس كذلك فان شاعرنا أراد بقوله ما يريد اهل اللغة في قولهم أطار فراش رأسه وفراش الرأس بفتح الفاء جمع فراشة بفتحها أيضا عظام رقيقة تبلغ القحف ويقال لها فراش الدماغ والفراش أيضا كل رقيق من عظم أو حديد . (ص ١٣٩) فسوك فالتسوامد الكفاولوا جبلا يزل صفيحه بالمصعد

(بالمصعد أي وقت الطلوع) لا معنى لكون وجه الجبل وسطحه يزلق بوقت الطلوع وإنما المعنى ان من أراد بلوغ المتروة التي بلغها المدح كان كمن يحاول الرقي في جبل يزلق سطحه بالمصعد فيه فهو لا يزال في عناء وخيبة . فالمصعد اسم فاعل من أصعد اذا استقبل أرضا أرفع من الاخرى . ونظير قول شاعرنا قول الآخر « كما زلت الصفواء بالمتزل » أي كما يزل التازل على الصخرة الملساء .

(ص ١٤٥) حتى التوى من تقع قسطها على حيطان قسطنطينة اعصار (التنع رفع الصوت) القسطل ليس له صوت مرتفع وإنما المراد بالتنع هنا

الغبار وتكون إضافة النقع الى القسطل الذي معناه القبار أيضا من قبيل الإضافة اليبالية
 (ص ١٤٨) وإذا القسي العوج طارت نبلها سوم الجراد يشيح حين يطار
 (السوم العلامة) السوم هنا مصدر سامت الطير على الشيء، سوماحات وهو
 مفعول مطلق لطارت من غير لفظه يقول اذا انتثرت النبال واشبه انتثارها حومان
 ورجل الجراد الذي هيج فجدة في الطيران، وجواب الشطر البيت بعده
 (١٥١) لولا أحاديث أبقتها أوائلنا من السدى والندى لم يعرف السر
 (السدى ندى الليل) كما يطلق كل من السدى والندى على ما يسقط في
 الليل يطلق أيضا على المعروف والجود، ومنه اسدى اليه أحسن اليه والمراد منها
 هنا المعيان الاخيران قطما ولا يمكن ان يراد بالسدى ندى الليل
 (ص ١٥٨) مصفرة محمرة فكانها عصب تين في الوغى وتغضر
 (العصب صبغ ينبت في الين) العصب ضرب من برود الين ذو وشي
 وتوش وقد أراد الشاعر ان الربيع أفرغ على الارض من أزاهيره حلا ملونة
 تحاكي تلك البرود الجميلة المسماة بالعصب لأنها تحاكي الصبغ نفسه
 (ص ١٥٨) بالثامن المتخلف اتسق الهدى حتى تخير رشده التحيز
 (اتسق سار على طريقة نظام عام) اتسق واستوسق الامر أو الهدى مثلا
 اجتمع وانتظم واستوى، واتساق القمر اكماه واستواؤه، وقولهم وسق البعير أي
 ساقه لا يقتضي جواز محبي، اتسق بمعنى سار مطاوعا له.
 (ص ١٦٨) للمجد مستشرف وللادب المجف، ترب ولندى حلس
 (الحلس الكبير من التام): نعم هو من جملة معانيه لكن أر يد به هنا معنى آخر
 أصل الحلس مسح يبسط في البيت وتجلل به الدابة أو يكون تحت رحلها ثم استعير
 لمن يلزم الشيء ويعود نفسه عليه وفي الحديث كن حلس بيتك أي ملازما له
 وهم أحلاس خيل أي من أصحابها الأكفان لركوبها وفلان ليس من أحلاسها
 فاستعملت استعمال حلف وترتب في مثل قولهم زيد حلف قعر وعمر وترب ادب،
 وقرنها ترب يؤيد كون المراد بها ما ذكرناه.
 (ص ١٦٩) قالت وعي النساء كالخرس وقد يصعب الفصوص في الحلس.

(الفصوص احداق الميوت) نم لكن ليس المراد بها هنا هذا المعنى :
 اصل الفص حجر الخاتم وتجاوزوا فيه فقالوا انا آتيك بالامر من فصح أي أصله
 وحقيقته ونخرجه الذي خرج منه وقالوا أيضاً فلان حراز الفصوص اذا كان مصيباً
 في رأيه وجوابه . وهذا المعنى هو الذي قصد اليه الشاعر يقول ان النساء على
 عينهن قد يقعن على الصواب ويصبهن الرأي عرضاً ثم استشهد على قوله بما قالته
 المرأة . فالفصوص في البيت بالنصب مفعول به

(ص ١٨١) واقاح منور في بطاح هذه في الصباح روض أريض
 (البطاح الصحارى) البطاح جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق
 الحصى كالأبطح والبطيحة . والبطاح غير الصحارى فان الصحراء الارض
 المستوية الواسعة وزاد بعضهم لانيات فيها

(ص ١٨٣) لا تكن لي ولن تكون كقوم عودهم حين يعجبون رضيع
 (يعجبون يعصرون) العجم ان تعض العود بسنك لتعرف صلابته ثم قالوا
 عجبنا عود فلان أي بلوت أمره وخبرت حاله وفلان عوده صليب لانحنيك فيه
 المواجم أي لا تؤثر فيه الاسنان وقالوا في ضده فلان عوده رضيع فالعجم في
 البيت متجاوز فيه عن الامتحان والاختبار.

(ص ٢١٤) يروب الى شمائل منه ميث قليلات الاماعر والبراق
 (الاماعر الغزلان والبراق الحلان من الضأن) فاعل يروب يرجع الى السلام
 الذي أرسله الشاعر الى المدوح يعني أن سلامه يرجع الى شمائل مدوحه التي
 وصفها بقوله ميث اي لينة وأصل الميث وصف للارض يقال أرض ميثاء وارض
 ميث . ولما وصف الشاعر شمائل مدوحه بصفة الارض الحسنه ناسب ان ينفي عنها
 صفة الارض الردية فقال قليلات الاماعر والبراق الاول جمع أمعز وهي الارض الصلبة
 الكثيرة الحصى والثاني جمع برقة وهي الارض النليظة ذات الحجارة والطين والرمل
 ومعنى القلة هنا عدم كما لا يخفى فهو يقول إن شمائل المدوح وطباعه لينة وليست
 بخشنة ولا جافية

(ص ٢١٤) ونخط بزمه فرمت خلة في درج ثوب اللابس المتوق

(الحلة الشق) الحلة هنا الحاجة والفقر والخصاصة أي قد يتنوق المرء في لباسه
ويبالغ في تزينها ويكون تحتها حاجة وعدم ولا كذلك المدوح
(ص ٢٢٨) ضحك إذا خست أبطله نطقت فيه الصوارم والخطبة الذبل
(الذبل الصلبة) مادة الذبول تفيد معنى الدقة والضهور كقولهم ذبل الفرس
ضمر وهزل بل ربما كلف من معناها أيضاً اللين والفتور كقولهم ذبل النبات ذوى
ولان وتذبل في مشيه فتز فيه ثم أجروا المادة على الراح نجوزاً فقالوا قنا ذابل أي
دقيق لاصق بالبط والبط جمع ليطقة القشرة التي تكون على القصب وربما كان
اللين مراداً أيضاً في ذلك الاستعمال المجازي لأن الراح إذا لم يكن لنا لدنا تقصف
ولم يصلح للطن فالدقة واللين هما المفهومان من تلك المادة والمقصودان من
ذبول الراح . وإذا أريد وصف الراح بالصلاية قيل كما قال الحاسي
ولنا قناتة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك أورد
قوله صدقة أي صلبة مستوية لا خائرة هشة .

﴿ سماع لبعض كبار التابعين من باب الادبيات ﴾

قال شارح الاحياء عند نقل الغزالي السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين : وحسبك
منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع وهو أفضل التابعين بعد أبي إس وأحد
الفقهاء السبعة وقد سمع الفناء واستلذ سماعه : ثم ذكر عن ابن عبد البر بسنده ان
سعيداً مرّ ببعض أزقة مكة فسمع الأخضر يتغنى في دار العاص بن وائل وهو يقول
تضوّع مسكا بطن نعمان اذمشت به زينب في نسوة خفرات
فضرب سعيد برجله الأرض فقال هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد
وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكعب في الجمرات
وعلت بنان المسك وصفا مرجلا على مثل يدير لاح في ظلمات
وقاضت تراءى يوم جمع فأقنت برويتها من زاح من عرفات
وأثبت الحافظ ابن عبد البر أن هذه الايات لسعيد لا للخميري . أقول وقابل
ماعاب سعيد من توسيع جيوب النساء وابداء بناهن بحال نائنا اليوم .

جمع يوم عرفة ثم ذكر شارح الاحياء عن الحافظ ابن طاهر بسنده أن عبد العزيز بن عبد المطلب قاضي المدينة كان يتغنى بهذه الايات في مسجد الاحزاب

فما روضة بالحزن طيبة الهمى يجمع الندى جشائها وعراها (١)
 بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالندل الرطب نارها (٢)
 من الخفرات البيض لم تلق شقرة وبالحسب المكنون صاف نجارها
 فان برزت كانت لعينك قرة وان غبت عنها لم يملك عارها
 فقيل له أصلحك الله أنتمي بهذه الايات في جلالك وشر فك أما والله لا أحدثن بها ركباً نجد. قال الراوي فوالله ما أكثر بي وعاد يتغنى بهذه الايات

فما طيبة أدماء حفاقة الحشا تجوب بظلفها بطون الخنائل (٣)
 بأحسن منها اذ تقول تدللاً وأدمعها تذر ين حشوا المكاحل
 تمتع بهذا اليوم القصير فانه رهين بأيام الشهور الأطول
 قال فندمت على قولي له وقلت أصلحك الله أنحدثني في هذا بشي ؟ فقال نعم
 حدثني أبي قال دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهم) وأشعب
 عنيه بهذا الشعر :

مغيرة كالبدر سنة وجهها مطهرة الاثواب والمرض وافر
 لها حسب ذاك وعرض مهذب وعن كل مكروه من الامر زاجر
 من الخفرات البيض لم تلق ريبة ولم يستملها عن نقي الله شاعر

فقال له سالم زدني فقال :

أملت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفض القطر
 فقلت أقطار ثوى سيفي رحلنا وما احتملت ليل سوى ريمها عطر
 فقلت سالم أما والله لو لا أن تداوله الرواة لاجزلت جانزتك فلك من هذا الامر مكان اه

(١) الجشحات نبت واللفظ ثقيل والعرار بهار أصفر قيل هو النرجس البري
 (٢) موهنا وقت وهن الليل وهو حين يدبر او ما بعد نصفه أو بعد ساعة منه (٣) حفاقة
 لحشا لينته والحفاف اللحم اللين نمت الهامة

﴿ رسالتان في قراءة الفونوغراف والسكورتاه ﴾

اطلعتنا على هاتين الرسالتين اللتين كتبهما وطبعهما في هذه الايام الشيخ محمد بن حنيت الأزهري المشهور بمصر وقال أنه استنبطهما استنباطاً وقد رأينا فيهما الغريب من العلم في الكلام والطبيعة وتقوم البلدان والحديث والفقه . ذكر في الكلام من أمشاج المسائل مالا يحل له ذكره هنا ووصف الفونوغراف ووصف من لم يره ولم يعرف شيئاً من علم مخترعه . وقال في أول الرسالة الثانية مانصه : « وقد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومي الشرقي بولاية سلانيك يتضمن السؤال عما يأتي ويطلب الاجابة عنه فأجبناه لطلبه وقلت وبالله التوفيق » اهـ ويايت الاستاذ اطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على استنباطه قبل الطبع لعله ينبيه الى ان استنباط سائل مقيم في الاناضول وهو عدة ولايات في آسيا - في الرومي الشرقية من ولايات أوربا التي دخلت في إمارة بلغاريا - في ولاية سلانيك من مقدونيا - استنباط يرده كل من يعلم ان إقامة الرجل في ولايات مختلفة في قارتين مختلفتين ضرب من المحال ويتمم الشيخ المستنبط بأنه أراد استنباط حيلة تدل على أنه مشهور في البلاد بالعلم مقصود بالاستفتاء فلم ينجح لعدم إلمامه بالجغرافيا التي ما برح يذمها وينفر عنها حتى انتتمت منه نفسها وعلته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها

ومن غريب العلم بالحديث والفقه في الرسالة الثانية قول المستنبط ان الإمامة الكبرى يجوز أن يكون فيها الامام كافراً أي يجوز أن يكون خليفة المسلمين الذي يقصد القضاء ويأذن بصلاة الجمعة كافراً واستدل على ذلك بحديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه « ألا لا يروى من امرأة رجلاً ولا يوم أعرابي مهاجراً ولا يوم فاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان بخاف سيفه أو سوطه »

نقول الرواية هكذا « لا تؤمن امرأة رجلاً ولا أعرابي مهاجراً ولا يؤمن فاجر مؤمناً الا أن يقهره بسلطان بخاف سيفه أو سوطه » والحديث منكراً وموضوع فان في اسناده عبد الله بن محمد التميمي قال البخاري منكراً والحديث وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به وقال وكيع يضع الحديث وقد تابعه عبد الملك بن

حيث في الواضحة وهو متهم بسرقة الحديث وتخليط الأسانيد وقال الحافظ ابن عبد البر أنه أفسد أسناد هذا الحديث . وفيه أيضاً علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف . وكما لا يصح الاحتجاج به والاستنباط منه لفساد سند لا يصح من جهة معناه فإنه وارد في إمامة الصلاة لا في الإمامة الكبرى وهي الخلافة كما زعم المستنبط الجديد فإن المرأة والأعرابي المقيم في البادية وراء أنعامه ليسا مظنة لتقلد الإمامة الكبرى فينبى عن تقليدهما والمراد بالفاجر العاصي الفاسق لا الكافر ولذلك تكلم السلف في الصلاة وراء الظالمين كالاحتجاج وغيره ولا محل لبسط ذلك الآن .

وقد سرنا أن الشيخ سعى رأيه استنباطاً وقال في أول الرسالة الثانية : والحمد لله الذي وفق من شاء من عباده لاستنباط الأحكام من صحيح الأدلة ، ولم يخص ذلك بزمان دون زمان بل جعل ذلك دائماً مستمراً باستمرار الأئمة ، « فقد أثبت أن الاجتهاد جائز في هذا الزمان خلافاً لما في كتب مذهبه من القول بأقوال باهية ، واقتراض أربابه . وظاهر أنه لا يبنى الاجتهاد في المذهب والاستنباط منه فقد استنبط هو ما علمت من الحديث ولكنه أخطأ إذ لم ينبئ شيئاً من جهده في معرفة سنده ولا في فهمه وقد علمت أنه تنكر أو موضوع وأنه لا يدل على ما قال فحسب أن يبرى في مثل ذلك عند محاولة استنباط آخر . ورمعنا إلى انتقاد الرسالتين (مجلة جمعية الملاجىء العباسية . ومكارم الاخلاق الاسلامية)

كان لمجلة مكارم الاخلاق الاسلامية عند ابتداء ظهورها رواج عظيم وشهرة أكبر منها حتى كان يطبع منها في السنة الأولى والثانية بضعة آلاف ثم لم يلبث الناس أن انفضوا من حولها وأعرضوا عن قراءتها حتى خفت صوتها وكاد يخفى ذكرها لولا أن بادرت جمعية المكارم في الاسكندرية الى كفالتها ولكن عنايتها بها كانت ضعيفة حتى انحدت بمجموعة الملاجىء العباسية في فاتحة هذا العام صدرت المجلة بالاسم الذي رأيت في العنوان مطبوعة طبعا متقنا على ورق جيد وقد تنوعت مباحثها ومسائلها المفيدة بعد أن كان أكثر ما ينشر فيها منقولاً من الكتب والجرائد وجعلت هدية للمشتركين في جمعية الملاجىء العباسية وأما قمية الاشتراك السنوي لغيرهم فيلانون قرشاً في مصر و ١ فرنكاً في سائر الاقطار . ويقبل من طلاب العلم تصف

القنية . وكل ما يأتي من ربح المجلة - ان وجد بأرباح محيبي الخير - فهو لمساعدة الأيتام والفقراء والمجزة في تلك الملاحة . فمضى ان تصادف من الاقبال في حياتها الجديدة ما يبشر أعضاء الجمعية الفضلاء بأن داعية الخير والبر في المسلمين تقوى وتنمو عاما بعد عام بل يوما بعد يوم . ومكاثبات المجلة والجمعية تكون مع صاحب السعادة خليل حمدي باشا حماده رئيس الجمعية في الاسكندرية

(مجلة الشتاء)

صدر الجزء الرابع من هذه المجلة قبل صدور هذا الجزء من المنار و به تمت مشهنا الأولى مؤلفة صفحاتها من ٢٤٠ صفحة . وفي هذا الجزء من المقالات والمباحث الأدبية والمطالع الشعريه والتكات الفكاهية ما يكون لقراء المجلة في هجر الصيف الذي تحتجب فيه كبرد الشتاء في مصر - بردا وسلاما - يتمتعون به فلا ينسون لذته حتى تسفر عليهم حين تحتجب الشمس في أول الشتاء الآتي ، طال الله خدمة منشئها لفنون الآداب ، ولقي ما هو أهله من نضيد أولى الأبواب ،

(لفظ الملاحظة وانتقاد المنار تقرير الشيخ شاكر)

ذكرنا في انتقادنا عبارة تقرير مشيخة الاسكندرية ان لفظ « لاحظ » لا يمدى بلى وصاحب التقرير يكثر من قول « لاحظ عليه » فهو خطأ : كذا قلنا ففهم بعض الادباء ان انتقادنا هذا خاص بقوله « وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل » لأن هذه العبارة هي التي ذكرت في المنار عند الانتقاد فقال هذا الاديب ان « على » في هذه العبارة متعلق بلفظ المطلع وهو صحيح . وأقول ان عبارة المنار المشار اليها كانت موجبة بالمناسبة الى ما قلنا انه يكثر في كلامه ولكن سقط من الاصل شي . عند الطبع وأصل العبارة هكذا : « ولاحظ مغالطة من لحظ للمشاركة وهو النظر بموخر العين . وتسعمل الملاحظة مجازا بمعنى المراجعة ولا يظهر هنا المعنى الحقيقي ولا المجازي . ولاحظ لا يمدى بلى » الخ فسقط ما بين لاحظ الاولى والثانية ومنه يعلم ان الانتقاد على تمديده لاحظ بلى ذكر في السياق ولم يكن هو المقصود بالذات فينبغي تصحيح العبارة وموضعها ص ٢١ ص ٩١٨ م

بإسمه جل جلاله

بمملكة مراکش ومؤتمر الجزيرة

كتبنا في العدد الخامس عشر من سنة الثار الأولى الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦ أي منذ ثمان سنين كاملة انذارا لسلطان مراکش بأن طوقان اوربالا بد ان يفيض على بلاده فيغيرها اذا هولم يبادر الى اصلاح شأنها بالترية والتعليم الذين تقتضيها حالة العصر لاسيا تعليم الفنون العسكرية والمدنية والاقتصادية ونصحنا له بأن يستعين على ذلك بسلطان الدولة العثمانية . ثم أعدنا النذر والنصائح ولكن القوم في غمرة ساهون ، لا يتوبون ولا هم يذكرون ، وانما يعتمدون على أهل القيور في دفع الضرر أو تحويله عنهم . كما علمت من التجاهم الى قبرسيدي ادريس عندما أرادت فرنسا الاقليات عليهم وجوارهم عنده بكلمة (يا لطيف) مئة ألف مرة . وقد كان من أسباب استدراجهم في اعتقادهم ما كان من عاهل الالمات يومئذ وايضا زهالى السلطان عبد العزيز بطلب عرض اصلاح مراکش على مؤتمر أوربي فانقعد المؤتمر في الجزيرة من حواضر أسبانيا فاتفق أعضاءه على وجوب انشاء مصرف (بنك) لتلك المملكة وانشاء شرطة (بوليس) يدير أمرها ضباط أوربيون . أما المصرف فلا تلاح أموال الحكومة وأما الشرطة فلتأمن تجارة أوربا التي يتعلمون بها أموال الاهالي وتسكنون بها من ادارة البلاد ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقد طال التنازع بين فرنسا والمانيا في شأن خفض كل دولة في المصرف وفي كون ضباط الشرطة من الفرنسيين والاسبانيين أم من سائر الدول وفي رئيس هؤلاء الضباط ونحو ذلك مما لا غرض لنا في بيان جزئياته لأننا لا نكتب لأجل احصاء وقائع التاريخ ولأجل تفكيك القراء ان نكتب الا لأجل بيان طرق العبارة للمسلمين مهما اختلف القوم وتنازعوا فهم اقرب الى الاتفاق على التوفيق بين مصالحهم المتعارضة منا على مصالحنا المتحدة . وكل ما يتفقون عليه فهو اضعاف لسلطاننا بل تقليص لظلمنا عن بلادنا ولو بالتدريج التي هو خير لهم ادلا يحتاجون فيه الى بذل دماهم وأموالهم .

ومن غرب جبلنا ان نعد أنفسنا ظافرين كما طلبوا منا تجديد قودهم في بلادنا وأزالة نفوذ لنا منها فنالوا بعضه كما جرى لنا في مسألي كريت ومكدونية وكاسيجري في مرا كش بعد هذا الموت المبر الذي يجعل لهم حقاسيا في قبض على ادارة البلاد وأموالها . اذا أرجعت المسيبات الى أسبابها تبين لك ان الذي حال بين أهل مرا كش وبين الانتفاع بما ذكرناهم وذكرهم به غيرنا هو الجود على التقاليد والانتكال على أصحاب القبور فهاتان العلتان هما المانعان من فهم الحق ومن كل تغيير يدعى اليه المقلد للآباء ، المفوض أموره الى من اتخذهم اولياء ،

﴿ مسألة العقبة ﴾

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري احداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر وقال بعضهم اذا عجزنا عن ايصال السكة الى الحرمين فان ربحنا من السكة لا يكون قليلا اذا استعصنا عن ذلك بايصالها الى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهدا عظيمي اقناع السلطان بوجوب انشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليزي في بلاد العرب فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن اخضاع تلك الولاية ويمكن السلطة فيها من بعض فوائد ناشط العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتهديد العمل . فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضفاف ما كان يخاف منها السلطان على بلاد العرب . واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل الا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترا وأنه لا يبعد ان يتفق السلطان مع عاهل الألمان على الزحف على مصر بمد وصول الناشط الى العقبة فأرادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترا تمارض الدولة بأن جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها و بلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوجيها . على ان انكلترا قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين ،

البدع والخرافات

وَالْبَقَايَةُ وَالْجَنَابَاتُ

﴿سلطان الشياطين على عالم أزهرى . ومخادعة دجال غوي﴾

نشر في مصر (إعلان) مطبوع عنوانه «أشهر الحوادث وأعظم الرجال - حادثة في الأزهر» يريد ناشره أن يشهره نفسه بالولاية والقدرة على اخراج الشياطين من الاجسام والبيوت ورأى ان إعلانه لا يقرأ الا اذا افتتحه بذلك الاستاذ الامام رضي الله عنه ولو بالكذب عليه لعل به أن الامة تقرأ كل ما يكتب عنه. ومن العجائب أن بعض الجرائد نشرت هذا الإعلان الضار وأقرنه وانا ننشره ونذكره وهو باختصار «لا ريب ان الجامعة المصرية قد حضرت دروس حكم الشرق وفيلسوف الاسلام الشيخ محمد عبده اذ كان يتخذ ادحية في الأزهر وقرأ فيها جهاراً والناس من حوله من ترك وعرب وعجم فضلاء عظام ذلك من دان وشاسع وكان اذا ذاك يصبح باعلى صوته بان لا وجود للجن وكثيراً ما جاهر بهذا الإنكار على رؤوس الاسهاد والعلماء بمحاجونه بالكتب المنزلة فما استطاعوا الرداً وكان ينسب ذلك الى الخيال والتصورات والاوهام وضرب لذلك جملة امثال ولكن لكل شرب وله شرب معلوم وكثير ما كان صاحب المؤيد واللواء والظاهر خاضوا معه في هذا الموضوع وأكثر الناس واقفه على هذا الأمر على انه يوجد أكبر شاهد على وجود الجن وهومن خبرة العلماء الافاضل وعضو في ادارة الأزهر ومن رجال الشريعة وامين الكتبخانة وهو الشيخ محمد حسنين وتحير بالخبر ان هذا الشيخ اشترى من منذ سنتين منزل بأم الفلام بمحوار سيدنا الحسين فاعجبه ولكن رأى فيه في هذه الايام رجماً أحجار فظن انه من الجبر ان فصنع صور من خشب على السطوح فزاد الحال وعظم حتى ظهرت الجن في شكل قرودة وخنازير وكلاب وقطط وصاروا يتقنون الكتب والملابس والفرش والمفاتيح من جيبه ويلقونها في الشارع على ان هذا الشيخ ترك أشغاله واشتغل بهذا الحادث حتى كان لا ينام من الليل دقيقة فشاع الخبر وذاع في مصر وضواحيها وأرسلت اليه جميع الاخوان جوابات بهواتف ووصفات وكثير من اعظم مصر

ارسل عدة رجال مهمين يدعون المعرفة فاجتهد الشيخ ابراهيم الطوبى الكتيب واستحضر جملة من المغاربة والسودانية فلم تحصل فائدة وكذلك حضر الشيخ محمد الرافعي وقرأ وكتب ولكن ما أجاد وكذلك المغربي الذي في الخرفش فلم تحصل فائدة حتى يش حضره الاستاذ وصم على بيع المنزل أو هجره حتى يحكم الله وأخيراً حضر بعض الأعيان وأخبر الاستاذ بأنه يوجد رجل ٠٠٠ ساحق في الأرض وفي بلاد الهند والسودان وصاحب علوم واسرار بل هو الولي في هذا الزمان واسم هذا الشخص ٠٠٠ فتقابل معه الشيخ وقص عليه ما وقع فتوجه الى منزل الشيخ وطلب سجادة وكان موجوداً وقت ذلك ٣٠٠ نفر وفرشها وسط المنزل وطلب طشت نحاس وكتب عليه وقرأ وقال احضر يامن هو موكل بالاذى وبعد ساعة رفعت الناس الطشت فخرج من تحته طيرة تشبه النسر سوداء وصوت بصوت رفيع وتكلم معها وأشار إليها فطارت والناس تنظر إليها وكل ذلك العمل كان بعد العصر ولما جاء الليل احضر جماعة من الجن وكل من حضر سمع كلامهم بالحرف الواحد وأخبرهم ٠٠٠ بصرف الاذى عن المنزل فانصرف وكانت قد تدت أشياء من المنزل ذات قيمة فردتها الجن كما كانت وأخيراً سئل ٠٠٠ عن هذا الاذى فقال معناه ان هذا الامر يجب علي أن أضع له سور من حديد على أنه لا يمكنني ان اطعم احداً عليه مهما كان ميله الي وقربه من فؤادي اه المراد منه وليس بعد ما ذكرنا الا القلوة في شهرة صاحب الاسم المراد اشهاره بالكذب لمخادعة النساء والعوام بدعوى ان بيته مكتظ بالأمراء والأفرنج ٠٠٠ قد ادعى هذا البغال عدة دعاوي باطلة يعلم بها انه يتعمد الكذب . (أو لاها) أن الاستاذ الإمام اتخذ لنفسه أذية في الأزهر كان يقرأ فيها دروسه يعني مكاناً صغيراً كأفوص القطاة والناس يعلمون انه كان يقرأ في أعظم رواق في الأزهر (ثانياً) انه أنكر وجود الجن في دروسه جهراً . وهذا كذب وثبتان بل اعترف في دروسه وكتبه بوجود الجن كما يعلم من حضر دروسه معنا ومن قرأ تفسير جرهم من تأليفه أو تفسير النار الذي يقتبس فيه دروسه التي كان يلقيها في الأزهر (ثالثاً) ان العلماء حاجوه في ذلك (رابعاً) ان المؤيد والظاهر خاضت معني هذا الموضوع وكل ذلك كذب متبعي على كذب (خامساً) ان أكثر الناس واقفون على انكاره

الجن وهذا طعن بأكثر المسلمين وقذف لهم بالكفر والردة . وقد بلغنا عن الشيخ محمد حسين أنه يقول أن الحكاية أصلاً ولكن ما نشر في الاعلان كله كذب وبهتان صرح الاستاذ الامام في تفسير سورة الناس بأن الجن خلق خفي وقد قال الله تعالى في أبيهم إبليس (إنه براكم هو وقيله من حيث لا ترونهم) وما ورد من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم للجن كما في حديث ابن مسعود في استماعهم القرآن قالوا إنه لا يمارض الآية لأنه من الخوارق وهي تأتي على خلاف سنة الله تعالى فهي من قبيل ما يسميه الحكم بالاستثناء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن عند ما استمعوا القرآن لأنه تعالى يقول له في أول سورة الجن (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) فقد علم ذلك بالوحي لا بالرؤية . ولكن ما اختلف فيه عالمان من أعلم الصحابة — ابن مسعود وابن عباس — هل كان معجزة للنبي (ص) أم لا قد صار عند أولياء الشيطان من الأمور المعتادة بزعمهم فهم يرون الجن ويتصرفون فيهم كما شاؤوا متى شاؤوا ، وما كانوا الا خادعين وما كان الاستاذ الامام الامكراد جلهم تأييداً للقرآن ونصيحاً للعوام

استدل البجاهل ناشر «الاعلان» على وجود الجن بحكاية الشيخ محمد حسين وما هذه الحكاية الا كأمثالها من الحكايات التي لانحصى عند أهل الخرافات وعبدة الأوهام فكمن بيت كاذله شياطين الإنس من أهله أو من غير أهله فعبثوا فيه وعاثوا في خنادق الظلمات أو من وراء الحجب والاستار فتوهم السفهاء أن عيthem من عمل الجن وبلغوا من الكيد لمن أرادوا ما أرادوا

وقد اكتشف بعض أصحاب الذكاء والدهاء كثيراً من هذه الحيل الشيطانية فلم أن منها ما كان من الجيران لسبب غرامي أو لسبب مالي وهو الطمع في شراء البيت رخيصاً اذا خاف الناس من عقارته ومنها ما كان من بعض نساء الدار وخوادمها ابتغاء تركها وسكنى غيرها أو احتيالا على الرجل الشرود ليأوي إليها . وقد كان من علماء الأزهر من يحكى عنهم إخضاع الجن أو جعلهم تلاميذ لهم فهل صار للعقاريت والشياطين من السلطان على علماء الأزهر أن يسلبوا راحتهم في بيوتهم في زمن قل فيه ظهور العقاريت لتحوت العوام اذ قلت الخرافات والاهوام ؟

المسحاة

١٣١٥

فيها الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
بها كثيرا وما يدرك الا اول الالباب

فيها ما دعي الذين يستمعون القول فيقيمون أحسن
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أول الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و«منارة» كنار الطريق)

(مصر الاربعاء غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٤ - ١٢٥٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٦ هـ)

العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور وجدان الالفة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لأن قلب الشيء عندها به ومحضه وخالصه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩:٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني ٣٧:٥٠) انني ذلك لذكرى لمن كان له قلب (وقوله ٤٦:٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها (وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتعبير عن الثاني بلفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تميز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يبالغون العلم بالدين كما يبالغون بين العقل والعقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصباً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم انها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لاهيقته له فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ويرجو ما لا يرجو ويتعجم به الوجدان مواقع الهلكة فيسذل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جانر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم، ومعاداة العقل والعلم، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان القلب وأنفسه حكماً على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كل خوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فعبداً الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فعبدهم وعدّ نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مينا، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولا آخر بطلان في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال يتقاد لذلك الوجدان ولكنه يترهبه عن التعيد بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الاديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لاحقيقة له، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية، وعمده سائر الوجدانات الدينية، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخلد الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأموال المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدّين في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب ان نجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن نؤدّب الوجدان بسوط الفكر والبرهان، ونُدع لحكم العقل والحس جميع أحكام الاديان،؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يبين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يبدو واحد منها طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدهما عبثا وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جمل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والذيلة وقانون العقل هو العلم بالأمر الذي يحلّي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطلان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الاديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلو فرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون التبيين والمرسلين لانه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يشق بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقائهم ولكنه لا يكتفي قط بترك حبل شعوره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان اللهذة والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والعدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضمن له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين

لا يشكر علينا علماء المادة انه لا يوجد في الخليقة شيء من العيب وان كل شيء خلق كاملا أو كل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فانه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشدّها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آله من آلات استعداده للكمال بكسبه التدريجي بقوة العقل التي أودعت في الانسان لأجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لأجل تأديب سائر الوجدانات بما يزعجها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منهما قد وجد لحكمة تظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قوامهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤنهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الانحطاط موجبا لقول يطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعدّ خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم بطلان أحكامه وإزالة سلطانه

تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالآواهم حتى استعبدوهم وقلول اننا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمالط فكم من عالم يبعث خواص الاشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرقى عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تعرفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمعاتهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كنهة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب لخصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي مقام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كاثبات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل التراب كل أيام حياتها واثبات العهد الجديد للتثليث . (وثانيهما) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان تقول ان بعض ما في تلك الكتب مدرج من التسخار وان ما قاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وبمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولوارادوا ان يبينوا حقائق الاكوان مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لما تيسر لهم ذلك ولكن تصدبهم له خروجا عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والارواح واثارة لشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والأختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لغاية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشموهه وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سعيدا بقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والاخلاق فاذا ذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف الخاطئين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمدا من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحيوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايان بالله وبعلم النيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا التعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والردائل لأنه من باب الإنشائي الذي لا يتأتى فيه الصديق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقيحه بآثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وبما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشي . مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب والنظر فاقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابته في الآداب والوعظ لاتمد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكوراً وفاتهم ان في مواضع الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجز اكبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يعجزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أوفي الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزاً لابطال أحدهما للآخر أو مسوغاً لتركه لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعد له لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينين كبشارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من عظماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . ويعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيراً من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا قصص في بنية الدين وجسمه لا في جوهره وروحه فهو يغفر ويتسامح به

شدة الحاجة الى روح الدين التي لاغنى للبشر عنها

ونجد في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين الملتهب غير عليه كهظيم الشعوب الجرمانية (غليوم الثاني) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لنشعر بناره تأجج في أحشائنا وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حورابي لا يمنع من الاعتقاد بوحى الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل واسطه يعني ان استفادة موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي الايمان بأنه كان مؤيدا بروح الله ومظهرأ لعنايته وعظمته ولا كون كتابه أعظم صلة بين البشر وبين الله كما نطق به الماهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتب في بأن يكون النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانبياء بما لا يرضاه المسلمون بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من عبيد المادة واسرى الخواص الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه الوهمي وأنه يجب على الانسان ان يفسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها تمنى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثرت في متفرنجي المسلمين من يقدم فيها ، وان لا أولئك للتبوعين من علماء الافرنج من المذمر ما ليس هؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين أهله أولئك التبوعون من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء ولان أولئك قد أغلوا في العلوم الكونية فشغلتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو الالهة الحسية وهؤلاء لم يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً



هذا وإن للمسلمين في العقل والقلب والدين منزغاً آخر وهالك يئانه: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيمضي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقوامها سلطاناً على النفس، وتسخييراً للحبس، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وذر يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لان أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعوا اليه فيطيعه تارة ويعصيه أخرى — يطيعه اذا كانت داعية الوجدان ضعيفة ويعصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد يقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شريرة وفكرة يطغى في شريرة فيسرف، ويتراخى في قوته فيُفشل، فلا جرم أنهما في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان ممكن، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكمته، ويقفان عند نصيحته، معها ظهرت لها آيته، ورفعت فوقها رايته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعاً، وتطيعه بالاختيار سرا وجهاً، وان ارتفاع رايته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدباً لاهل البني والعدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الامتداد المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يمرض فيعرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تعتدل فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيراً ما تخطئ وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كالأغنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يمرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطئ فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن القصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الخياء والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي - يتلذذ بنيل ما يحب ويرجاء فيه ويتألم بما يكره - يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فاذا رجا ما لا يرجى أو خاف ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو كره ما لا يكره فأنما يكون في ذلك تابعا لحكم غيره اذ ليس من شأنه هو ان يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وإنما الحسن هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما حزن العقل بأن هذا الشيء - يرجى خيره ، وذلك الشيء - مما يخشى ضيره ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بنصحه ، وقلا يظن الوجدان في شيء الا ويكون الفكر هو الممدد له في طغيانه ، فكلمة أوغل العقل في التصور والتفكر ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والفكر في طغيان وجدان القلب وتسمفه في مجاهيل الازهام لو قد الانسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو لهلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفع المكروه واثاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومواخذة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئا . فاذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الانسان وكان العقل مرشدا يخطئ ويصيب فيصح بهلم أو ينشأ بهمل فليصح أن يقال أنها ضدان ، أو نطلب على حقة الأول منها البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ،

على هذه الطريقة أساء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الانسان فقد امتاز الانسان على سائر الحيوان وجدان كان هو الاصل في ارتقائه للتدريج بحسب استعدادة وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الاشياء وأسبابها فكلمة هجر عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الاذعان له والعبادة وكان اذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعداد أفراد منه للارتقاء عن التبعيد للاشياء المحدثه بمشأته تعالى فيهم من يدعو العقل الى أعلى مقام في العرفان ، ليتبعه القلب في العبادة والاذعان ، يدعو الى التوحيد القبي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحسّ ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة النبية العليا المطلقة التي لا تنتقد بشيء ولا تحلّ فيه يعلم العقل ان تصديده لم حقيقه مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله ويحير في البحث عن حقيقتها فلسان أولئك الدعاء الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وإنما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين ولكنه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستبين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نمنعك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وإنما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأكون ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والاعتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجله عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، وإلى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهديب كان محصورا في الكهنة والأخبار والتسييس ، ثم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم العذر في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الا وجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستغناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد لذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو متممى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق لحسّ والوجدان والفكر وأخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم استقلال ، واستعدادها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الجبر على العقل فلم يجعلوا له رأيا سيفه آداب النفس ولا في

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك بينائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نفس هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجعل للنبي نفسه شيئاً منها (١٢٨:٣) ليس لك من الامر شيء . ٢١:٨٨- فذكر أنما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر) حتى كان يرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ثم أنه بين العقائد بالبراهين العقلية وقرن الآداب والأخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الأحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجعله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد إلى سنن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وإرشاده ، لتكون جميع قوى الإنسان متحدة في إبلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، واعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين أن يقول فيه بتقيض ماجاء به أتباعه لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به أن يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلان من عرف هذا الدين لا يمكن أن يتركه ولكن الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، وأوضاعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حجّبهم عن محاسن هذا الدين ، وأبرزوا لهم في مكائدها جميع مساوي المتقدمين ، فصديق عليهم حديث الصمحيين « لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم الملة الكفر من كفر ، وفجور من فجور ، فمضى أن يهيئ الله للمسلمين من أهل الإصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويبيد إليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم إلى هذه الحقيقة ، ويطبقهم على هذه الطريقة ، فيتأخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وإن ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

باب العقائد

﴿ الايمان يزيد وينقص ﴾

جاء في شرح عقيدة السفاريني ان سلف الامة على القول بأن الايمان يزيد وينقص وتقل بعض الروايات والآيات في ذلك ثم أورد عن شيخ الاسلام تفصيلا لوجوه الزيادة ولأصل الخلاف في المسألة واننا نورد من ذلك ما عدا الروايات عن السلف في المسألة ثم نبين وجه العبرة في ذلك لطلاب علوم الدين قال والظاهر أنه من كلام شيخ الاسلام :

«والزيادة قد تنطق بها القرآن في عدة آيات كقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) قال شيخ الاسلام وهذا أمر يحمد المؤمن اذا تليت عليه الآيات ازداد قلبه فهم القرآن ومعرفة معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كأنه لم يسمع الآية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة في الخير والرغبة من الشر ما لم يكن فيزداد علمه بالله ومحبة لطاعته وهذا زيادة الايمان وقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) فهذه الزيادة عند تخوفهم بالعدو لم يكن عند آية نزلت فازدادوا يقينا ووكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بان لا يخافوا الخلق بل يخافون الله الخالق وحده وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول انكم زادته هذه ايمانا) وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله أنزلها بل زادتهم بحسب مقتضاها فان كانت أمرا بالجهاد أو غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال (وهم يستبشرون) والاستبشار غير مجرد التصديق وقال تعالى (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا) وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية وأصحابه فجعل السكينة موجبة لزيادة الايمان والسكينة هي طمأنينة في القلب وقوله تعالى (يهد قلبه) هداة لقلبه ز يادة في ايمانه كما قال تعالى (والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال

(انهم فنية آمنوا ببرهم وزدناهم هدى)

قال شيخ الاسلام قدس الله روحه زيادة الايمان الذي أمر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه (أحدها) الاجال والتفصيل فيها أمروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على كل امة التزام ما يأمر به رسولهم مجالا فمعلوم انه لا يجب في أول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله ولا يجب على كل عبد من الايمان المفصل بما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنة ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لم يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول باطنا وظاهرا ثم مات قبل أن يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فأمن بها وعمل بها بل ايمان هذا أكل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان أكل وما وقع منه أكل وقوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) أي في التشريع بالامر والنهي لان كل واحد من الأمة وجب عليه ما يجب على سائر الأمة وأنه فعل ذلك بل الناس متفاضلون في الايمان أعظم تفاضل

﴿ الثاني ﴾

الاجال والتفصيل في ما وقع منهم فمن طلب علم التفصيل وعمل به فإيمانه أكل ممن عرف ما يجب عليه والزمه وأقر به ولم يعمل بذلك كله وهذا المقرر المقصر في العمل ان اعترف بذنبه وكان خائفا من عقوبة ربه على ترك العمل أكل ايمانا ممن لم يطلب معرفة ما أمر به الرسول ولا يعمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكلما عمل القلب بما أخبر به الرسول فصدقه وما أمر به فالتمسه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل له ذلك وان كان معه اقار عام والزام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها فأمن بها كان ايمانه أكل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا أو عرف بعضها وكلما ازداد الانسان معرفة باسماء الله تعالى وصفاته وآياته كان ايمانه أكل

﴿الثالث﴾

ان العلم والتصديق يكون بعضه أقوى من بعض واثبت وأبعد عن الشك والريب وهذا أمر يشهده كل واحد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس الهلال وان اشتهر كوا فيها فبعضهم تكون رؤيته أتم من بعض وكذلك سماع الصوت وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة القلب وتصديقه يتفاضل أعظم من ذلك من وجوه متعددة للمعاني التي يؤمن بها من معاني اسماء الله تعالى وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها أعظم من تفاضلهم في معرفة غيرها

﴿الرابع﴾

ان التصديق المستلزم لعمل القلب أكل من التصديق الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكل من العلم الذي لا يعمل به واذا كان شخصان يعلمان ان الله حق والرسول حق والجنة حق والنار حق وهذا علمه أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والمهرب من النار والآخرة علمه لم يوجب له ذلك فلم الاول أكل فان قوة المسبب تدل على قوة السبب وقد نشأت هذه الامور عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة» فان موسى عليه السلام لما أخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الاالواح فلما رآهم قد عبدوه ألقاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله لكن الخبر وان جزم بصديق الخبر فقد لا يتصور الخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل قديكون قلبه مشغولا عن تصور الخبر به وان كان مصدقاه ومعلوم انه عند المعاينة يحصل له من تصور الخبر ما لم يكن عند الخبر فهذا التصديق أكل من ذلك التصديق

﴿الخامس﴾

ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الايمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل

الناس فيها تفاضلا ظاهرا

﴿السادس﴾

الاعمال الظاهرة مع الباطنة هي أيضاً من الايمان والناس يتفاضلون فيها

﴿السابع﴾

ذكر الانسان بقلبه ما أمر به واستحضاره بحيث لا يكون غافلا عنه أكمل
من صدق به وغفل عنه فان الغفلة تنقصه وكال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمر بن حبيب رضي الله عنه اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضعنا فلك نقصانه

﴿الثامن﴾

قد يكون الانسان مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول أخبر بها وأمر بها ولو علم
ذلك لم يكذب ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يأمر الا بماحق ثم
يسمع الآية والحديث أو يتدبر ذلك أو يفسر له معناه أو يظهر له ذلك بوجه من
الوجوه فيصدق بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا له وهذا تصديق جديد
وايمان جديد ازداد به ايمانه ولم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وان أشبه
المجهل والمفصل لكن صاحب المجهل قد يكون قلبه سليما عن تكذيب وتصديق
شيء من التفاصيل وعن معرفة وانكار شيء من ذلك فيأتيه التفصيل بعد الاجمال
على قلب ساذج وأما كثير من الناس بل من أهل العلم والعبادة فيقوم بقلوبهم
من التفصيل أمور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا
عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو
عمل عملاً أخطأ فيه وهو مؤمن بالرسول أو عرف ما قاله وآمن به لم يعدل عنه هو
من هذا الباب وكل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فن علم ما جاء به
الرسول وعمل به أكمل ممن أخطأ ذلك ومن علم الصواب بعد الخطأ وعمل به فهو
أكمل ممن لم يكن كذلك

اذا علمت هذا فاعلم أن مذهب سلف الامة وجبل الائمة أن الايمان قول

وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قال الامام ابن عبد البر في التمهيد
أجمع أهل الفقه والحديث على أن الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية قال
والايمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا
ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فانهم ذهبوا الى أن الطاعات لا تسمى ايمانا
قالوا انما الايمان التصديق والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى
أن قال وأما سائر الفقهاء من أهل الرأي والآثار بالحجاز والعراق والشام
ومصر منهم مالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري والاوزاعي
والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد القاسم بن سلام
وداود بن علي والطبري ومن سلك سبيلهم قالوا الايمان قول وعمل قول بالسان
وهو الاقرار واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة وقالوا
كل ما يطاع الله به من فريضة ونافلة فهو من الايمان قالوا والايمان يزيد
بالطاعات وينقص بالمعاصي قال وأهل الذنوب عندهم مؤمنون غير مستكلمي
الايمان من أجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان بارتكابهم الكبائر ألا ترى
الى قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث يريد
مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل الاجماع على
تورث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة واتحلوا دعوة المسلمين من
قربائهم المؤمنين الذين ليسوا بتلك الاحوال ثم قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة أهل الآثار والفقهاء أهل الفتناء في الامصار وهذا
مذهب الجماعة من أهل الحديث والمحدث

ثم رد على المرجئة وعلى الخوارج والمعتزة بالموارنة وبحديث عبادة بن الصامت «من
أصاب من ذلك شيئا فوق بغي الدنيا فهو كفارة» وقال الايمان مراتب بعضها
فوق بعض فليس ناقص الايمان ككامله قال الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تلايت عليهم آياته زاحقهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) الى قوله (حقاً)
أي هم المؤمنون حقاً ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث «أكمل المؤمنين
إيماناً» ومعلوم أن هذا لا يكون إلا كل حتى يكون غيره ناقص وقوله «أو نقي عرى

الايمان الحب في الله» وقوله «لا ايمان لمن لا امانة له» يدل على ان بعض الايمان اوثق وأكمل من بعض وكذلك ذكر أبو عمر الطنكي اجماع أهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية قال الامام شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه لما صنف الفخر الرازي مناقب الامام الشافعي رضي الله عنه ذكر قوله في الايمان انه قول باللسان وعقد بالجنان وعمل بالاركان كقول الصحابة والتابعين وقد ذكر الامام الشافعي انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن اتبعه استشكل الرازي قول الامام الشافعي جدا لانه كان انقضي نفسه شبهة أهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجمهية والكرامية وسائر المرجئة وهوان الشيء المركب اذا زال بعض أجزائه لم يزل كله لكن هو لم يترك الاظهار شبهتهم قال شيخ الاسلام والجواب عما ذكره... هل فانه يسلم له ان الهيئة الاجتماعية لم تبق بمجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء يعني كيدن الانسان اذا ذهب من أصبح أو يد أو رجل ونحوه لم يخرج عن كونه انسانا بالاتفاق وإنما يقال له انسان ناقص والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هؤلاء يعني عن الزنادي والسارق وشارب الخمر ونحوهم فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما أصله واما أكثره واما غير ذلك فيعود الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجئة تنفر من لفظ النقص أعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجمهية فهو واحد عندهم لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لاحقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب عز وجل ووحدانية صفاته عندهم أثبتوها منهم

قال شيخ الاسلام روح الله روحه ومن السجب ان الاصل الذي أوقفهم في هذا اعتقادهم انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر أو هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك أبو الحسن الاشعري وغيره ولجل اعتقادهم هذا اجماع وقصوا في ما هو بخلاف الاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الأئمة بل وصرح غير واحد بكفر من قال يقول لهم في الايمان ولهذا فظاهر متعددة يقول الانسان قولنا بخلافنا للنس

والاجماع القديم حقيقته ويكون معتقدا أنه متمسك بالنص والاجماع وهذا اذا كان مبلغ عنه واجتاده فأنه يشبه على ما أطاع الله فيه من اجتهاده ويفر له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن (قال شيخ الاسلام) وقد قال لي بعضهم مرة الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والتقصان قلت له قولك من حيث هو كقولك من حيث هو انسان ومن حيث هو حيوان ومن حيث هو وجود فثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا لاحقيقة له في الخارج وانما هو شيء يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لقديما ولا حادثا ولا قائما بنفسه ولا بغيره والماهيات من حيث هي هي شيء يقدر في الازدهان لافي الاعيان وهكذا تقدير ايمان لا يتصف به مؤمن بل هو مجرد عن كل قيد بل ماثم ايمان في الخارج الامع المؤمنين كما ماثم انسانية في الخارج الاما تتصف بها الانسان فكل انسان له انسانية تخصه وكل مؤمن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست هي والاشترك انما هو في أمر كلي مطلق يكون في الذهن ولا وجود له في الخارج الا في ضمن افراده فاذا قيل ايمان زيد مثل ايمان عمرو فايان كل واحد يخصه معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والتقصان ومن نفي التفاضل انما يتصور في نفسه ايمانا مطلقا كما يتصور انسانا مطلقا عن جميع الصفات المعينة له ثم يظن ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هؤلاء ان الامور المشتركة في شيء واحد هي واحدة في الشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة من علماءهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا ان الموجودات مشتركة في مسمى الوجود وتصوروا هذا في أنفسهم فظنوه في الخارج كما هو في أنفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فجعلوا رب العالمين هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج أبدا وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا هذا مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المشل الافلاطونية وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود ذلك في الخارج وهو لا كلهم اشتبه عليهم ما في الازدهان

بإني الايمان وتولد من هذا بدع ومفاسد كثيرة والله المستعان

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ذهب السلف الى ان الايمان يزيد وينقص وأنكر ذلك أكثر المتكلمين قال الامام النووي والظاهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوى من ايمان غيره بحيث لا تعتبره الشبهة وقال يزيد ان كل واحد يعلم ان ما في قلبه يتفاضل حتى أنه يكون في بعض الاحيان أعظم بقيتنا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها وما نقل عن السلف يعني ان الايمان يزيد وينقص صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والاوزاعي وابن جريج ومعر وغيرهم وهؤلاء قهء الامصار في عصرهم وكذا نقله أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة عن الشافعي وأحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم من الأئمة وروى بسند صحيح عن البخاري قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالامصار فما رأيت أحدا منهم يختلف ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأطلب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالاسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الاجماع من الأئمة وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السنة وقال الحاكم في مناقب الامام الشافعي ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول الايمان قول وعمل ويزيد وينقص وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي من الحلية من وجه آخر عن الربيع وزاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وتلا (وبرزاد الذين آمنوا إيماننا) الآية انتهى وقد روى الامام أحمد في المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعا «الايمان يزيد وينقص» وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أيضا والآثار عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الدين من أهل السنة والجماعة المعبرين وأئمة أهل الحديث وأعلام علماء الصوفية أكثر من أن تذكر بأن الايمان قول بالاسانيد وعقد بالجنان وعمل بالاركان يزيد بالطاعة ويضعف بالمعصيات وقد ذكرنا من ذلك ما لم يحصل به التصديق والله ولي الاحسان

* *

(المنار) من أطلع على مثل هذا البيان في المسألة يعلم ان الحق هو ما كان عليه السلف وان من يتصيد المسائل الدينية من الألفاظ من غير اطلاع على السنة النبوية التي سار عليها أهل الصدر الاول فهو عرضة للبدع والأهواء وان رواج شبهة المرجئة والجهمية وغيرهم من المبتدعة في هذه المسألة عند بعض أهل السنة من جهة النظر والفهم قد كان من أسباب هلاك المسلمين بإعراضهم عن هدي الدين ذلك أن الاعتقاد بأن الايمان الذي هو سبب النجاة والسعادة في الآخرة

هو التصديق القلبي بأن جميع ما جاء به النبي حق دون العمل وان المؤمنين فيه سواء قد جرأ الناس على الفسوق والنسيان ، ثم حلهم على التعريف المعنوي للقرآن ، اذ القرآن يصرح بأن النجاة والسعادة بالايمان والعمل الصالح معا كما ان الهلاك بالكفر والاسترسال في المظالم والمماضي وآياته في ذلك لا تخصي الا بمجهود وعناء وتري أهل هذا المذهب يترنمون أو يلها حتر صرت ترى البدهاء من المسلمين يعتقدون بان العمل ليس له شأن عظيم في النجاة من عذاب الدنيا والآخرة والتمتع بسعادتها وانما يكفي في ذلك التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجمالا ويحفلون أكثر نذر القرآن على الكفار ويجعلونها خاصة بهم كأن سنة تعالى في هذه الأمة مخالفة لسنة في أمم الانبياء قبلهم وكأن اليقين والاذعان يمكن ان يحصل بدون تأثيره الطبيعي في العمل وذلك محال

وقد نزل بهم من عذاب الله في الدنيا ما حقق نذر كتابه وصديق وعيده فبين تقض ميثاقه وهم لا يتوبون ولا يذكرون وانما ميثاقه السمع والطاعة بالفعل وقد قال فيمن قبلهم « ٥ : ١٣ » فبما تقضهم ميثاقهم لعنهم « الآية » وفسر ابن عباس اللعن فيها بالجزية أي بعقد الاستتلال ولا يعتبر أكثر المسلمين بذلك وقد فقدوا استقلالهم وصارت الام تأخذ الجزية منهم والباقيون على استقلالهم معرضة للخطر ثم ان كثيرا من كتابهم يترثرون في دأبهم ودوائهم ويحاولون ان يكونوا من أطبايهم ، وهم يحسبون الدواء والدواء لهم بالقرآن الذي هو ائشفاء والرحمة لمن اعتصم به فليعتبر بهذا أهل العلم والبصيرة لهم يكونون من المهادين المهتدين

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

تصان هذا الباب لاجابة أسئلة المتكررين خاصة ، اذ لا يصح الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
خلفه وتعبه وبلده ومهله (وظيفته) وله يسد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء وان شاء كرا لاسنة
بالتمريض فالباب وبقا قد مناهم آخر السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه ورعا أحيانا غير مشترك لكل هذا . وان
يعني على سؤاله شهر ان اذلة ان يدكر بمرقوا واحدة قل لم تذكره كان لنا طر صريح لا لعله

(الاتفاق على التعليم الاسلامي من مال الحكومة الروسية)

(س ١٠) من الشيخ أبي علي محمد نجيب بن شمس الدين التوتاري المدرس

بتوتار (روسيا) :

حدثت واقعة بين علمائنا جديرة بالاستفتاء من علمكم وهي ان جمعا من
العلماء التبصرين ذوي الحجة الدينية هموا بتأسيس المكاتب الابتدائية في
القرى بال محفوط في الخزانة الملكية التي يسمونها بالروسية « زيمسكي صوما »
ذلك انه يجمع في كل سنة قود مقدرة من أهل الزراعة من مسلم وغير مسلم وتوضع
في هذه الخزانة مختلطة الا ان مقدار ما يجمع من كل جنس معلوم ومضبوط في الدفاتر
و يصرف من هذه النقود ما يصرف من وظائف المأمورين للمكثين وسائر
مصالح الأمة الروسية كتأسيس المكاتب والمستشفيات ودور العجزة ونحوها
ويحفظ الباقي في الخزانة . وقد كان المسلمون محرومين من الاتفاع بهذه النقود -
لانزع الحكومة بل لعدم سؤلهم ذلك للأوهام التي يطول شرحها - على اشتراكهم
في دفع ما عليهم منها وشدة حاجتهم اليها فان كثيرا من القرى الاسلامية ليس
فيها مكاتب دينية لقرى الأهالي وقد التماون العمومي وعدم كفاية الاعانة
الخصوصية للجميع فعمّ الجهل بالدين أكثر الطبقة السفلى . فهذه الحالة المؤسفة
أزعجت القلوب الملوثة بالحيرة والأت إلى التشاور في هذه المصلحة المهمة فتشاوروا
وتفكروا في الوسائل اللازمة لتعميم التعليم الديني بين السواد الأعظم من الأمة
فأوجدوا سبيلا إلى هذا الاصلاح الا هذه السبيل (أي الاستمارة بمالهم في تلك
الخزانة) فسروا فيها وكتبوا عرائض إلى أولي الأمر يقولون فيها ما معصه : ان

من مقتضى العدالة تأسيس المكاتب الملكية الابتدائية في القرى الاسلامية التي لا توجد فيها مكاتب كما هو الشأن في القرى الروسية ويتوقف ذلك على تخصيص مبلغ من حصص المسلمين في القود الاميرية يكفي لتأسيسها والتفقه عليها اذ الفرض من وضع تلك الخزنة هو انتفاع المشتركين فيها على السواء وليس من العدالة تخصيص جنس دون جنس بالانتفاع بها مع المساواة في الدفع الخ وسمعت ان المحكمة الملكية (زيمسكي أو يرافا) اجابت على تلك العرائض بالقبول وعند ذلك قامت الفرقة المتمصبة تنازع في هذا الخير وتصدت عنه صدا يشوش أذهان العوام قائلين ان أخذ تلك القود وصرفها في تلك الوجوه غير جائز في الشرع متعللين تارة بأنها مال الفقراء !! ولا أدري أي فقير يرضى بصرف ماله المبروك في الخزنة في حوائج غير جنسه ولا يرضى بصرفه في مصالح جنسه ونفسه ؟ وتارة بأنها مخلوطة بنقود غير المسلمين ! وظني انه لا ضرر فيه بعد ما كان مقدار كل واحد منهم معلوما وما يؤخذ منها لمصلحتها ! نأ هو من نقود المسلمين المتعينة نوعا و بعضهم يتطل بأن فيها مال الايتام وهم لا ينظرون الى الشرع هل يرخص بترك هذا المال في الادارة الملكية تنصرف فيه كيف تشاء مع عدم التمكن من استرداده أم يسوغ أخذه وبذلك في مصلحتها فان هذا المال على كل حال لا يرد الى صاحبه والله أعلم . هذا مادار في فكري الفاتر فارجوكم أيها الاستاذ يان حكم هذه المسألة شرعا في المنار والله لا يضيع أجر المحسنين

(ج) ان هذه الواقعة هي أظهر مثال لقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ان المسلمين لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا بل هي أوضح حجة على أن المسلمين قد جُنوا بدينهم جنونا مفردا لم يشاركهم فيه أحد على أنهم قد شاركوا من قبلهم من جميع فنون جنونهم في الدين وكأني بكل مسلم غيور قد استعبر لسماح هذه المسألة وبكى ، وكل عدو للمسلمين قد أغرب لسماحها ضحكا

حققة المسألة أخذ مال من حاكم غير مسلم برضاء لصرفه في مصلحة المسلمين فهل يشترط لجواز انتفاع المسلمين به أن يكون ذلك الحاكم قد أخذه من رعيته المسلمين وغيرهم بوجه شرعي بحيث يحكم الشرع بأنه ليس له مال غير هذا الحاكم

أو يحكم بأن له صرفه في المصالح العامة ؟ لا محل لهذا السؤال ولا لهذا الاشتراط لأن الحاكم غير المسلم لا يكلف العمل بفروع الشريعة قبل الاسلام فهذا المال الذي أخذه من رعيته ماله لا نهصاحب اليد عليه والتصرف فيه بلا منازع وارجاعه الى من أخذه منهم متعذر فإذا أعطانا شيئا منه لتنفقه في مصالحنا جاز لنا أخذه حتما بل قالوا ان جميع أموال غير المسلمين في غير دارهم مباحة لهم اذا أخذوها برضى أصحابها من غير غدر ولا خيانة لا يشترط فيه غير هذا . ولو كانت وجود بعض أموال اليتامى فيه غير متميز مانعا من الانتفاع به لكان وضع درهم ليتيم في ألف ألف درهم لغيره مانعا لهذا من التصرف في ماله كما قال الفزالي في شبه هذه المسألة وذلك بديهي البطلان . على أنه لا سبيل الى العلم بأن عين المال الذي أخذه من الحاكم لا يخلو مما أخذه من اليتامى الا اذا كان ما يأخذ منهم كثيرا جدا بحيث يعلم أو يظن أنه لا يخلو طائفة من ماله من ذلك وليس الامر كذلك . وهناك وجه آخر للجواز الأخذ وهو أن المال الحرام الذي لا يعرف له مالك معين يجب صرفه في الصدقات أو المصالح والمنافع العامة ويرجع جانب المصالح في بلاد ليس لها فيها مصرف غيره كبلادكم . وما عارضتم به شبههم في محله الا تعليل عدم الضرر بكون ما يؤخذ من مال المسلمين فان ما يؤخذ من مالهم برضاهم جائز أيضا لا وجه لمنعه والله أعلم

﴿ الوصية النبوية المنامية ﴾

(س ١١) م . ر بالسويس

(ج) راجعوا ص ٦١٤ من مجلد المنار السابع ترون الكلام على هذه الوصية التي تنشر في كل بضع سنين مرة عن لسان رجل اسمه الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية . ومنه نعلمون الحق في ذلك وتعذرنا اذا لم ننشر نسخة الوصية التي أرسلتموها مع سؤالكم عنها

﴿ الذات الحسية في الجنة وجنة آدم ﴾

(س ١٢) محمد أفندي السيد قاسم في منشأة خلفه (الفيوم)

تقابلت مع أحد المتخرجين من دار العلوم قد كرت الجنة وما فيها من النعيم الدائم والتلذذ بالأكل والمشرب والمنكح وان تلك هي التي اهبط منها آدم وحواء

حين أكلنا من الشجرة فأخبرني ان الجنة ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح كاللدينا وإنما تحصل لأهل الجنة لذة الأكل والشرب والجماع عند اشتباه أنفسهم ذلك بدون فعل كالنائم يرى انه أكل كذا وكذا وفعل كذا فيلذ بذلك والحال أنه لم يفعل ذلك حقيقياً فقلت له ان في القرآن الحكيم ما يدل على ذلك نحو قوله تعالى (٧٢: ٤٣) وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون * ٧٣ لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون (وقوله تعالى (١٩: ٥٢) كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (٢٠: ٥٢) وزوجناهم بحور عين (وغير ذلك من الآيات فقال ان الله تعالى وعد المؤمنين بالتمتع في الجنة بالأكل والشرب والنكاح المعلوم لذيهم تقريبا لا فهمامهم وتشبيها اذ لو وصف لهم التمتع بنعيمها هو معلوم لهم لما كان له موقع في أنفسهم ولما فهموا معنى التمتع، وتلك الجنة ليست هي التي اهبط منها آدم وحواء، ولقصوري عن إقتناعه حررت هذا لسيادتكم راجيا الاجابة عن ذلك على صفحات النار بما يشفي الغليل ملتصقا بالاعادة اذا كان سبق توضيح ذلك في مجلد مضى من المنار لان ابتداء اشتراك في المجلد الثامن ولا زلت في عز وجه والسلام عليكم ورحمة الله

(ج) لاختلاف بين المسلمين في الإنسان يبعث في الآخرة كما كان في الدنيا أي ان حقيقته لا تتبدل فتخرج عن الانسانية الى حقيقة أخرى بيد أنه يكون في الجنة أرقى مما كان في الدنيا فتكون حياته دائمة سليمة من الملل ومضى كان الانسان انسانا فلا وجه لاستنكار أكله وشربه وغشيان أحد زوجيه للآخر حقيقة وقد جاءت الآيات صريحة في ذلك فلا وجه لاجراجها عن ظاهرها وتحريرها عن معانيها اتباعا للهوى والرأي . نعم قد دلت النصوص المأثورة من الآيات والأخبار والآثار ان جميع ما في الجنة من التمتع هو أرق مما في الدنيا وان حقيقته غيبية مارأت مثلها عين ولا سمعت بمثلها أذن ولا خطلت على قلب بشر ولكن ذلك لا يمنع ان تكون حقيقة جامعة بين اللذة البدنية واللذة الروحية لان الانسان بدن وروح . وانني لأعرف سببا لسريان شبهة فلاسفة اليونان والنصارى الى نفوس بعض المسلمين في هذه المسألة الا وهمهم ان اللذة الحسية قص في الخلقة لا يليق بال عالم الآخر . ولوعقلوا

حقوا العلموا أنه ليس في الفطرة نقص فداعية الآلة والمتع بها من كمال الخلقة ولكن لما كان الانسان قد يسرف في تمتعه وقد يسوقه كسبه واختياره الى الاعتداء على حق غيره ليمتتع به وكان ذلك ضارا بنفسه وبين يعيش معهم كل من الاسراف والاعتداء مما نهت عنه الشرائع تأديبا للانسان وايقافا لقواه عند حدود الاعتدال حتى لا يغني بعضها على بعض ولا يبغي بعض أصحابها على بعض وعد الانراف والعدوان من النقص لأنه يعوق الانسان في افراده ومجتمعه عن بلوغ الكمال الذي خلق مستعدا له وانما اذا اعتدل في استعمال جميع قواه مع مراعاة كل فرد لحقوق سواه أما قولكم ان الجنة التي وعد المتقون في الآخرة هي الجنة التي سكنها آدم في أول نشأته فلا دليل عليه والراجح المختار من القولين في ذلك أنها بستان من بساتين الدنيا اذا لم تكن القصة تمثيلا لاطوار الانسان في هذه الحياة . واذا اردتم مزيد البيان فراجع تفسير الايات في ذلك ولو في غير المنار

﴿حكم أو آنية الفضة وزكاتها﴾

(س ١٢ و ١٤) على أفندي مهيب بتفتيش التفراقات بمصر :

أرجو التفضل ببيان حكم الأواني الفضية في الشرع من حيث استعمالها هل هو محظور أو مباح وهل تجب الزكاة عنها وما هو نصابها الكامل وما مقدار الواجب عنه

(ج) أما الاستعمال فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة النهي عن الاكل والشرب في آنيها فحمل ذلك بعض العلماء على الكراهة وجهايرهم على التحريم وخصه أهل الظاهر بمورد النهي وقاس عليه غيرهم سائر أنواع الاستعمال (راجع ص ٤٢١ و ٤٢٢ م ٧) والذي أعتدده الوقوف عند النص

وأما الزكاة عن آنية الفضة ومثلها الذهب فقد قال بها الجماهير وإن كانت الزكاة الممهودة فيما يترك ويمنع بالعمل كالتقدين والانعام الساعة وغلة الأرض . ولعل الاصل في ذلك ما رووه في الحديث وأخذ به الحنفية مطلقا وقال الشافعية انما الزكاة فيما حرم استعماله من الجسلي وأعل البيهقي ما روي في زكاة الجسلي بما

لا محلّ لذكره ولا لما قيل في الجواب عنه والمعتد عندي ما قاله الترمذي من أنه لم يصح في هذا الباب شيء.

وفي نص القرآن أن الزكاة فيما يكتنز من الذهب والفضة وهو ما يجمع بعضه فوق بعض زاد بعضهم وكان مخزونا هذا معناه في اللغة وهو بمعنى الفاضل عن النفقة واصطلاح أكثر الفقهاء على جعله بمعنى ما وجبت فيه الزكاة فلم تؤد والمتبادر أن المراد به النقود المضروبة لأنها هي التي تكتنز وتنفق دون الحلي والأواني. وفي حديث علي مرفوعا «قد غفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل أربعين درهما درهما وليس في تسعين ومئة شيء» فإذا بلغت مئتين ففيها خمسة دراهم. رواه أحمد وأبو داود والترمذي وذكر الترمذي أنه روي من طريق عاصم بن ضمرة وطريق الحارث الأعور عنه وقال سألت محمدا — يعني البخاري — عن هذا الحديث فقال كلاهما عندي صحيح. والرقة هي الدراهم المضروبة. وقد أيد القائلون ليس في الحلي المباح زكاة قولهم بالقياس. قال في حاشية المقنع وقد تكلم عن روايتين في المذهب: ووجه الأولى ما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم «ليس في الحلي صدقة» ولا نه مرصد لاستعمال مباح فلم تجب فيه الزكاة كالعوامل من البقر وثياب الغنم والأحاديث التي احتجوا بها لاتناول محل التزاع لأن الرقة هي الدراهم المضروبة: اهـ وما ذكره من القياس على العوامل من البقر والثياب ظاهر جدا.

وقد علم السائل أن الذي أعتقد في المسألة أن المحذور من استعمال الذهب والفضة هو ما جاء به النص وإن ما يجب فيه الزكاة هو ما ورد به النص وقال بعض العلماء أن الاحتياط أن يزكى الحلي أي والآنية. وهو ما يوجبه إلا كثرون. وعلم أيضا أن نصاب الفضة مئتا درهم وإن فيها ربع العشر والله أعلم وأحكم.

(بيع انقضاء المسجد وتجديد بنائه بمنها)

(مس ١٠١) ب في بيتنوردغ (جاوه)

ما قولكم رضي الله عنكم في انقضاء مسجد موقوف خرب وارادوا بناءه فهل يجوز بيع تلك الانقاض التي لاتصلح للبناء وهي من خشب ولبن وقراميد

واستعمال ثمنها في بناء ذلك المسجد أم لا أقنونا مأجورين
(ج) يستأذن القاضي الشرعي في ذلك وهو يأذن ببيع ما لا يستفاد منه الأيمنة
وأما يناط مثل هذا بأمر القاضي للمصلحة اذ ليس كل ناظر وقف يقف عند
حدود الشرع فلو وكل الأمر الى النظار لباع بعضهم أوقافا كثيرة بدعوى تعذر
الارتفاع بها كذبا وعدوانا ولا حاجة الى بيان أننا لا نكلف حفظ هذه الاقراض
بغير فائدة تدينا وتعبداء ومن البديهي ان تجديد بناء المسجد في مكانه الموقوف
يتعذر مع وجود تلك الاقراض والأمر دائر بين بيع ما لا ينتفع به في بنائه وبين
تقله الى مكان آخر يحفظ فيه وهذا النقل والحفظ إنما يكونان بنفقة كأجرة الناقلين
وأجرة المكان الذي تحفظ فيه فأبي كتاب أم أية سنة تعبدنا بأن ننق المآل
سدى لنحفظ مالا فائدة فيه لوقف؟ وانا ترى الناس في مصر يبيعون أعيان الوقف
ليستبدلوا بها أعيانا آخرأ كثر ريماء والقاضي يأذن بذلك

(امتياز رجال الجنة على نساها بالحوار العيني)

(س ١٦) محمد أفندي مهدي سليمان بميت القرشي
تعلمون ان أهل الجنة يدخلونها بفضل الله ويتقاسمون بها بالاعمال فما بالـ
الرجل من أهلها يمتاز على المرأة بالحوار العيني الحسن يتمتع بهن وينعم بقربهن
فهل في ذلك من حكمة

(ج) الحوار العيني هن نساء الجنة وما من امرأة تدخل الجنة الا ويكون لها
فيها زوج فالتمتع بلذة الزوجية مشترك اذ لازوجية الا بين ذكر وأنثى ولعل سبب
السؤال هو توهم ان وصف الحوار العيني خاص بنساء الجنة وان نساء الدنيا
لا يكن حورا عينا في الجنة ولا دليل على ذلك

﴿ أسئلة من سنن فوره ﴾

من الشيخ محمد بن عوض بن عده - قال انه عرض ما يأتي من الاسئلة على
كثير من العلماء والفضلاء فأجابوه بأن أرسلها الى السيد محمد رشيد وهي هذه نذكرها
وبعض نصرف حيث تكون عبارتها سقيمة

(أفضل الناس بعد النبي ص)

(ص ١٧) من أفضل هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنص لا بالمزايا كالصلاة بالصحابة وتسلسل الخلافة وقال السائل انه يعرف وجه التفضيل بهذه المزايا منذ كان ابن عشر

(ج) لا يوجد نص قطعي في القرآن أو حديث متواتر يدل على ان فلانا أفضل الناس بعد النبيين وإنما هناك أحاديث آحاد مشتركة ولا يصح منها شيء قطعي الدلالة فحديث أبي البرداء مرفوعاً « ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر » ضعيف أخرجه أبو نعيم في الحلية وفي فضائل الصحابة وابن الجار وكذا ابن عساكر بالمعنى وكذلك حديث علي والزبير عند ابن عساكر « خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر » وحديث جابر عند الخطيب « علي خير البشر فمن أبي قد كفر » قال أنه حديث منكر وهناك أحاديث أخرى صحيحة أو حسنة إلا ساند لكنها ليست نصاً في التفضيل كحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » قاله لعل وهو في صحيح مسلم وغيره وفي الصحيحين بلفظ آخر وهو بمعنى حديث « أنت أخوتي في الدنيا والآخرة » رواه الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر . وكحديث « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » رواه أحمد والترمذي عن عتبة بن عامر وغيرهما . وكل هذا من المزايا وخير للمسلمين ان يفوضوا أمر التفضيل الى الله تعالى ولا يبحثوا فيه

(خروج معاوية على علي)

(ص ١٨) ومنه : أفدنا عن معاوية بن أبي سفيان هل هو بحق فيما ادعى به على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب الخلافة أو مخطئ . أو فاسق كما قال ابن حجر في الصواعق المحرقة أو غاص نرجو الجواب الشافي ولا نرضى بقولهم المجتهد المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد

(ج) ان سيرة معاوية نفيد بمجملتها وتفصيلها أنه كان طالباً للملك ومحبا للرياسة وإنه لا يعتقد انه قد وثب على هذا الأمر مفتاتاً وأنه لم يكن له ان يحجم عن مبايعة علي بعد أن بايحه أول الأمر أهل الحل والعقد وإن كان يستند أنه قادر

على القيام بأعباء الأمة كما يقولون فاكل معتقد بأهليته لشيء يجوز له ان ينازع فيه وقد كان علي يعتقد انه أحق بالخلافة ولما بايع الناس من قبله بايع لثلاث فرق كلمة المسلمين ويشق عصام ومعاوية لم يراع ذلك . وانه هو الذي أخرج المسلمين حتى فارقوا واقتتلوا وبه صارت الخلافة ملكا عضوا ثم أنه جعلها وراثية في قومه الذين حولوا أمر المسلمين عن القرآن بإضعاف الشورى بل بإبطالها واستبدال الاستبداد بها حتى قال قائلهم علي المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » بسد ما كان أبو بكر يقول علي المنبر « وليت عليكم ولست بخيركم فاذا استتمت فأعينوني واذا زغت قوتوني » وكان عمر يقول « من رأى منكم في أعوجاجاً فليقومه » وانهي على اعتقادي هذا لا أرى للمسلمين خيرا في الطعن في الاشخاص والنبر بالانقلاب . واللعن والسباب ، وانما عليهم أن يبحثوا عن الحقائق ليعلموا من أين جاءهم البلاء فيسموا في تلافيه مع الاتحاد والاعتصام والاقتداء بالسلف الصالح في حسن الادب لاسيما مع الصحابة الكرام

(قبر هود عليه السلام)

« س ١٩ » أفيدوني عن قبر نبي الله هود هل هو في حضر موت كما يزعم بعض الحضارمة ام لا

« ج » من خصوصيات نبينا عليه الصلاة والسلام ان قبره معروف بطريق القطع واليقين ولا يعرف قبر نبي آخر ولا بالظن الراجح وانما هي شبهات وأوهام . وأما السؤال الرابع فهو عن نبي اسمه عياد الا أن تكون قراءة العبارة قد تعذر علي ولا أعرف في الانبياء من اسمه عياد



أَنَّكَ عَلَى الْبَرِّ سَيِّدٌ

وصف الأسد

لأبي زبيد الطائي

دخل أبو زبيد الطائي على عثمان بن عفان (رض) في خلافته فقال له (أي عثمان) بلني أنك تمجد وصف الأسد فقال له : لقد رأيت منه منظرا ، وشهدت منه مخبرا ، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي . قال : هات مامر على رأسك منه . قال : خرجت يا أمير المؤمنين في صيابة من أفناء قبائل العرب (١) ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري بكسائها القزوانيات (٢) ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عتاق الخيل نريد الحارث بن أبي شمر الفسائي ملك الشام فأخروا (٣) بنا المسير في حارة القيط (٤) حتى إذا عصبت (٥) الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وشالت (٦) المياه ، واذكت الجوزاء المزاء (٧) وذاب الصيغند (٨) ، وصرّ الجندب (٩) وضايقت المصفور الضب في وجاره (١٠) ، قال قائلنا : أيها الركب غوروا بنا في

(١) الصيابة بالشديد من الناس جماعتهم ولبابهم وأفناء الناس نزاعهم من هنا وهنا .
(٢) المهاري جمع مهرية الابل المنسوبة الى مهرة وهي تسبق الخيل (٣) أخروا المسير طال وامتد . (٤) حارة القيط شدة الحر . (٥) عصبت الأفواه جف ريقها (٦) يريد بشالت قلت أو نفدت وهو من شالت الناقة إذا قل لبنها وأصله شول ذنبها للقاح وهو يكون عند قلة اللبن أو جفافه وقالوا شولت القرية والمزادة قال في التاج ولا يقال شالت (٧) المزاء الأرض الحرة ذات الحجارة الصلبة والجوزاء برج تكون الشمس فيه صيفا يريد ان شمس الجوزاء اشملت الأرض (٨) الصيغند عين الشمس وقوله ذاب مبالغة بان الحر قد بلغ نهايته (٩) صرّ صوت والجندب كدرهم أصغر الجراد يلازم أشجار الزيتون والكرم في حر الصيف وهو لا يصر الا عند ما يحمي ويطيس الحر . (١٠) وجار الضب جعره .

ضوح (١١) هذا الوادي — فاذا واد كثير الدغل (١٢) دائم الظل (١٣) شجراؤه
مفنة، وأطياره مرنة، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهيات (١٤) فأصبنا
من فضلات المزاود (١٥)، واتبعناها بالماء البارد، فإننا لنصف حرّ يومنا وبماطلته
ومطاولته، اذ صرّ (١٦) أقصى الخيل اذنيه، وفحص الارض يديه، ثم مال بث
ان جال فخمم (١٧)، وبال فهمم «١٨»، ثم فعل فعله الذي يليه واحد بعد
واحد فضعضت الخيل، وتكلمت (١٩) الابل، وتقهقرت البغال. فن نافر
بشكاله (٢٠)، وناهض بمقاله (٢١)، فعلنا ان قد أتينا وأنه السبع لاشك فيه،
ففرع كل امرئ منا الى سيفه واستله من جرابه (٢٢) ثم وقفنا له زردقا (٢٣)
فاقبل يتظالم (٢٤) في مشيته كأنه مجنوب أوفي هجار (٢٥) لصدوره نحيط (٢٦)،

واذا اشتد الحربأت العصافير الى الظل ولو في الأوجرة. (١١) قال في الاساس
أخذوا في ضوح الوادي وأضواح الأودية وهي محانيها ومكاسرها: أي حيث
الظل وفي نسخة الاساس المطبوعة ضوح بالجيم وهو موافق لمسا في القاموس
ولكن شارحه استدرك عليه الضوح في باب الحاء ناقلا عن الاساس (١٢) الدغل: الشجر
الكثيف الملتف والبت الكثير المشبك. (١٣) الظل الماء الذي يجري بين
الاشجار (١٤) الدوحة الشجرة العظيمة جمعه دوح ودوحات. وشجر كنهيل كعرجل
عظيم فهو وصف مؤكّد. (١٥) المزاود أوعية طعام المسافرين. (١٦) صرّ اذنيه نصبها
للسماع. (١٧) حمم سهل بقل «١٨» همم ردد صوته من شدة الخوف. «١٩»
تكلمت: أحجمت وتأخرت الى الورا. «٢٠» الشكال جبل تشد به قوائم
الدابة وهو خاص بالدواب. «٢١» العقال: جبل يعقل به البعير في وسط ذراعه
وهو خاص بالأباعر. «٢٢» جربان السيف غمده. «٢٣» زردق كجعفر بزاوي
فراء وبراء فزاي الصف القيام من الناس قل أبو الطيب يصف فك سيوف جيش
مددو حه بعدوهم

لقد وردوا ورد القطا شفراتها ومروا عليها زردقا بعد زردق

«٢٤» يتظالم يتغامر من الظل وهو عرج قليل والمجنوب المصاب بذات
الجنب «٢٥» الهجار جبل يشد في رسم البعير الى حقوه «٢٦» النبط الزفير

ولبلابيه (٢٧) غطيط ، ولطرفه وميض (٢٨) ولأرساغه تقيض (٢٩) ، كما ينجبط
 هشبا (٣٠) ، أو بطأ صريحا (٣١) وإذا هامة كالجن ، وخذت كالسن ، وعينان
 سجران (٣٢) كأنهما سراجان يقدان (٣٣) ، وقصرة ريلة (٣٤) ولغز مة رهلة (٣٥) ،
 وكند مغبط (٣٦) ، وزور مفرط (٣٧) ، وساعد مجدول ، وعضد مقتول ، وكف
 شنة البران (٣٨) ، الى مخالب كالمجان (٣٩) ، ثم ضرب بذنيه فارهج (٤٠) ، وكشر
 فافرج ، عن أنياب كالماول (٤١) ، مصقولة غير مفولة (٤٢) ، وفم أشدق (٤٣)
 كالغار الآخرق ، ثم تملى (٤٤) فاسرع يديه ، وحفز (٤٥) وركبه برجليه حتى

(٢٧) البلاعب مجاري الطعام في الحلق (٢٨) الوميض امان البرق الخفيف . (٢٩) الرسغ
 كقفل وبضمتين الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل
 ومفصل ما بين الساعد والعكف ، والساق والقدم ومثل ذلك من كل دابة .
 والتقيض صوت المفصل ومنها الارساغ وكذا صوت الاصابع والاضلاع والرحال
 وما في معناها . (٣٠) الهشيم النبات اليابس . (٣١) للصريم معان كثيرة أوجها
 هنا الارض المحصور زرعها فهو يشبه صوت أرساغه بصوت خابط الهشيم وواطى
 الصريم والخطب الوطء الشديد والمجن الترس والمسن ما يسن عليه يعني ان
 وجهه لالحم عليه (٣٢) سجران مشوب يياضها بحمرة . (٣٣) القصرة بكفرة
 أصل المنق اذا غلظت . (٣٤) الريلة الكثيرة اللحم (٣٥) الهزيمة (كهزيمة) بالكسر عظم
 ناثق في الهي تحت الاذن أو مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن ورهلة مسترخية . (٣٦)
 الكتد كاهل أو مجتمع الكتفين ومقبط محبوبك أو مرتفع (٣٧) الزور وسط الصدر -
 ومفرط مملي وهو مجاز والأصل فيه ان يستعمل للغدبر ونحوه فيقال غدبر مفرط أي
 ملآن ماء . (٣٨) كف شنة : غليظة - والبران جمع برثن كقفذ هي من
 السباع كالاصابع من الانسان . (٣٩) مخالب الاسد أطرافه - والمجان جمع مججن
 كبير وهو العصا المنعطفة الرأس . قوله ثم ضرب الخ عطف على قوله فاقبل يتظالم
 الخ . (٤٠) أريج : أثار الغبار (٤١) الماول الفؤوس العظيمة (٤٢) مفولة مثناة
 (٤٣) أشدق عظيم الشدين . (٤٤) تملى تمدد وتبختر (٤٥) حفز وركبه بمجليه

صار ظله مثليه ، ثم أقعى فاقشعر (٤٦) ثم مثل فاكفر ، (٤٧) ثم نهجم فازبار
 (٤٨) فلا والذي يثته في السباء ما اقبناه بأول من أخ لنا من بني فزاره ، كان
 ضخم الجزارة ، (٤٩) فوهسه ، (٥٠) ثم أقصه ، (٥١) قفضض منه ، (٥٢)
 وبقربطه ، فجعل بالغ (٥٣) في دمه . قدمرت (٥٤) أصحابي فبعد لأي (٥٥) ما
 استقدموا فكر مقشعر الزبرة (٥٦) كأن به شيها حوليا (٥٧) فاخلى (٥٨) من
 دوني رجلا أعجز ذا حوايا (٥٩) فنفضه نفضة فنزائلت أوصاله (٦٠) واقطعت
 أوداجه (٦١) ثم نهجم (٦٢) قرقرو ، ثم زفر فبربر (٦٣) ، ثم زأر فجرحر ، (٦٤) ثم
 لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه ، عن شماله ويمينه ، فارتمشت الالدي
 واصطكت (٦٥) الأرجل ، واظلت (٦٦) الأضلاع ، وارنجت الاسماع ، وجمجت (٦٧)

دفهما بهما وهما مشي ورك ككتفهم ما فوق القنخذ (٤٦) أقعى : جلس على أليته
 ونصب فخذه واقشعر ارتعد . (٤٧) اكفر كلع وعبس . (٤٨) الجهم الوجه المظليط
 السمج ونجمه قابله وجههم وازبار : تنفس ونهيا للشر . (٤٩) الجزارة كمنخالة
 أطراف الجزور وهي اليدان والرجلان والرأس . (٥٠) وهسه رماء وضرب به الأرض .
 (٥١) أقصه قتله مكانه واجز عليه (٥٢) قفضض منه كسر ظهره - وبقربطه : شقه
 (٥٣) بالغ يشرب بطرف لسانه . (٥٤) ذمره على الشيء حشه عليه لثما أو منغفا ليحدث
 فيه (٥٥) لأي : بطأ . (٥٦) مقشعر الزبرة منتصب شعر ما بين الكتفين وهي لبدته
 (٥٧) الشيم كبير القنخذ العظيم - والحولي الذي مر عليه الحول (٥٨) اخلى
 انزع واجتذب . (٥٩) الأعجز الممتلئ مجدا أو عظيم البطن - والحوايا : الامعاء
 (٦٠) نزائلت تباينت وافصلت - وأوصاله جمع وصل كنسر وهي المفاصل أو
 مجنec العظام . (٦١) الأوداج المروق التي تقطع بالذبح . (٦٢) نهجم بمعنى يحجم
 أي تحنح - وقرقر هدر وزأر . (٦٣) زفر اخرج نفسه بمدة بصوت - وبربر
 صوت (٦٤) زأر : صات من صدره - وجرجر : ردد صوته في حنجرته (٦٥) اصطكت
 اضطربت (٦٦) الاطيط صوت الرجل الجديد وما يشبهه وصوت الظفر والجوف عند
 الجرع واظت الابل أنت من التعب أو الحنين (٦٧) التحميم هو نظار الفرع المذخور
 والمتعير المبهوت فالاول يكون بدوران الحدة والثاني يكون بادامة النظر مع فتح

العيون، وانخرزت المتون، (٦٨) ولحقت الظهور بالبطون، ثم ساءت الظنون،
 عبوس شمس مصلخه خنايس (٦٩) جري، على الأرواح لقرن قاهر
 منبع وبحي كل واد يريده شديد أصول الماضين مكابر
 برائه شئن وعيناه في الدجي كجبر النضا في وجه الشر ظاهر
 يدل بأنياب حداد كأنها إذا قلص الاشتاق عنها خناجر (٧٠)
 قال عثمان (رض) : اكفف لا أم لك فلقد أرعبت قلوب المسلمين ولقد
 وصفته حتى كأنني أنظر إليه يريد يوائني.

﴿ نقد شرح ديوان أبي تمام - تابع لما في الجزء الثاني ﴾

(ص ٢٣٣) شاكي الجوانح من خلائق ظالم شاكي السلاح على الحب الاعزل
 (شاكي السلاح تام السلاح) قولهم شاكي السلاح اما ان يكون من الشوكة
 فيكون أصله شائك ومعناه حديد السلاح واما أن يكون من الشك ويكون
 أصله شاكك ومعناه حامل السلاح . فالتام ليس من معنى شاكي كما هو ظاهر
 (ص ٢٥٤) رأيتك لسفر المطرد غاية يؤمونها حتى كأنك منهل

(السفر السفر سكنت الفاء ضرورة والمطرود الطويل) السفر هنا ليس أصله
 مفتوح الفاء فسكنه وان مصدر كما يفهم من قول الشارح وانما هو بسكون الفاء
 من الاصل لأنه جمع سافر كصاحب جمع يقال نحن قوم سفراي مسافرون
 والمطرود اسم مفعول لطرده عن البلد بمعنى أبعد يقال فلان مشرد مطرد وهو
 نعت لسفر باعتبار لفظه كأن يؤمون عاد اليه باعتبار معناه . والمطرود انما يكون
 بمعنى الطويل اذا أجري على اليوم نمتا يقال يوم مطرد اي طويلا كامل تام يقول

العينين وكلاهما يصح هنا (٦٨) انخرزت المتون أي انكسرت الفاء هـ ٦٩ والمصلخه
 المنتصب قائما الشمس المنتع لا يمكن منه أحد الخنايس السكر، المظر والنوي الشديد
 الثابت وهو من أسماء الاسد (٧٠) يدل بالشيء يجترى بسببه يزال أجل بقوته وسلطانه
 وأدلت بحسنتها وجمالها والاشفاق نواحي الفم وقلصها فرجها وزواها بنحو التكشير

الشاعر ان المسافرين الذين شردم عن أوطانهم البؤس والشقاء يؤمّونك كما يؤمّ المطاش المناهل .

(ص ٢٥٤) والأتكن تلك الاماني غضة ترف تخسي ان تصادف ذبلا (ذبلا يابسة) يقول الشاعر اذا لم أصادف امانى غضة طرية فاني براضر بان تكون ذابلة لا غضة ولا يابسة وقد بينا معنى الذبول في الكلام على بيت صحيفة ٢٢٨ وتفسير الذبول هنا باليأس فضلا عن كونه لا يصح لغة لا ينطبق على قصد الشاعر ولا يلائم غرضه فان ما يريد الانسان ويتطلبه لاسميه أمنية مالم يكن فيه شيء من الفائدة والفع ولو قليلا وتلك القسوة كنى عنها شاعرنا بالذبول فلو أراد بالذبول اليأس كان كناية عن خيئته وعدم نياله لامانيه وقوله «حسي» ينافي هذا كما لا يخفى (ص ٢٦٩) قد علمت فشيتم مشية أما كذلك بحسن مشي الخيل بالجمع (قد علمت لجمتم) لعل صوابه ألجمتم لانه يقال ألجمت الفرس لاجتمه . ثم ان تفسير القدح بالالجام لا أراه صحيحا وارادة معناه الموضوع له نهاية في الحسن: القدح الكف قدعه فاقدح وقدعت الفرس اذا كففته بلجامه لتنه من حدة جريه فالشاعر يقول رد علمت عن مراكم وكفتمت عن غيكم كما تكف الخيل بلجامها فشيتم مشيتها المعهودة

(ص ٢٧١) أرض مصردة وأخرى شجم تلك التي رزقت وأخرى نحرمت (مصردة لاشجر بها) الأرض التي لاشجر بها يقال لها مصراد كفتح (مصردة اما المصردة هنا فن التصريد ومعناه التقليل وصرده له السقاء قلله وصرده السقي قطعه دون الري وشراب مصرد مقل قال النابغة

ونسي اذا ماشيت غير مصرد بصباه في حافاتها المسك كارع
وقرن الأنجم بالتصريد هنا مثل قرن الوايل بالطل في الآية الكرمة .
(ص ٢٩٤) وبالخذلة الساق المخذلة بالشوى قلأص ينجم العنبى المخذما

(المخذمة المستديرة التحجيل فوق الاشاعر) ما ذكره لا يصلح هنا لاني تفسير الكلمة الاولى «المخذمة» ولاني تفسير كلمة القافية «المخذما» لان ما ذكره من صفات التحجيل وهو للخيول . وكلمة القافية جارية على المعنى وهو التظيم من

الجمال كما قال الشارح وهي من الخدمة محركة سير غليظ يشد في رسغ العبر اما الخدمة الواقعة في الشطر الاول وفسرها الشارح بما فسر فهي وصف للقادة التي وصفها بامتلاء الساق ثم قال ان شواها أي يديها ورجليها مخدمة أي مخلخلة لان الخدمة أيضا تأتي بمعنى الخلل كما تأتي بمعنى البير المذكور ومعنى البيت ان المنزل تبدل قطينه فبعد ان كانت تمرح فيه الغواني زات الخلاخيل صارت ترتع فيه النياقي اللاندة بفحلها المشدود الرسغ بالبير .

(ص ٣٠٣) قد قلصت شفته من حفيظته فخيّل من شدة التعنيس منبسما (قلصت كدّت) الكد والكدة تغير اللون وذهاب صفائه وليس هذا المعنى من التقليص في شيء . والتقليص له معان واذا اسند الى الشفة فقل قلصت شفته أو قلصت كان بمعنى انزوت وتشمرت علوا وهذا ما أراده الشاعر (ص ٣٢٣) ويوم المصدفة حين ساموا أو شروان خطبا غير هين

(ساموا اذا قوا) سام فلانا الأمر كلفه اياه وسامه خسفا أو لاء اياه واراده عليه وهذا المعنى في السوم مجاز كافي الاساس وأصله ان يحاول صاحب السلعة بيعها بشئ ويريد مشتريها على أقل منه . فقول شاعرنا هنا من قبيل السوم المجازي أي أرادوا أو شروان على التوسط في خطب اعتدوه له وهو يحاول التفعي منه لأنهم أذاقوه اياه واذا فسرنا الكلمة هنا بالاذاقة نكون حملناها مالا طاقة لها به لاحقيقة ولا مجازا .

(ص ٣٢٤) تأمرت نكبات الدهر ترشقي بكل صائبة عن قوس غضبان (تأمرت اتفقت) تأمروا تشاوروا كآتمروا واسناد التأمر الى النكبات اسناد مجازي لطيف . وتفسير التأمر بالاتفاق عدول بالكلمة عن معناها المستعملة فيه والاتق بها هنا . واذا قيل ان التشاور على الرشق لا يقتضي الرشق بالفعل قلنا بالاتفاق عليه لا يقتضيه أيضا وإنما هو شيء يفهم من المقام (ص ٣٤٤) أميلوا العيس تنفخ في براها الى قمر البندى والندي

(البرى الرباب) البرى بضم الباء جمع برة وهي حلقة تجمل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه ومنه قول المقصورة « يرعن بالامشاج من جذب البرى »

والعيس اذا أوضعت في السير تجمل تنفخ ونفخها يمر على تلك الحلقات المعلقة في
أنوفها لالتراب الذي على الارض على انه لا معنى لإضافة التراب الى العيس
(ص ٤١٣) كالليل أو كاللوب أو كالنوب منقاد لقادر غريب
(اللوب الابل السود) اللابة الابل المجتعة السود على انه لا يمكن ان تراد
الابل السود هنا قطا لثلا يكون من قبيل تشبيه الشيء بنفسه لان الشاعر إنما يصف
الابل ويظهر من تشبيهها بالليل والزنج انها كانت سوداء فكيف يشبهها وهي
سود بالابل السود. وأما اللوب هنا جمع لوبه وهي الحرة والحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة سوداء ومنه قولهم اسود لوبي نسبة اليها وتسمى الحرة أيضا لابة
ومنه لابن المدينة .

هذا ما أردت بحادثة الشارح فيه او مؤاخذته عليه مما سبق الى الخاطر
الكليل لأول وهلة ويخيل لي انه لو بالغ منتقد في انتقاده لم يثر على أكثر مما
عدته عليه وقد أضربت عن مناقشته في كثير مما غلب على ظني تحريفه أو تصحيحه
كقول الشاعر ص ٢٧

فضربت الشتاء في أخذه ضربة غادرته قودا ركو با
فقال الشارح « القود البعير المسن » والصحيح ان القود باضاف الخيل اما
البعير المسن فيقال له القود بالعين المهملة وأظهر من ذلك قول الشاعر في ص ٤٤٩
قضيبي من الريحان في غير لونه وأم رشافي غير اكراعها الحمش
فقال الشارح (الحمش المحدثه) والصواب ان الكلمة في البيت مصححة عن الحمش
بالحاء المهملة وهي جمع أحمش الدقيق الساقين أي ضليلها وقد حشمت ساقه وهو
حش الساقين ومنه قول الحاسي يهبو امرأة
وسباق مغلظها حشة كساق الجراد أو أحمش

ومثله ما في ص ٣٥

كالاجل التطريف للاح لعينه خزر وأنت عليه مثل الاجدل
فقال الشارح (الخزر الحساء الدسم) مع ان الاجدل الذي هو العقول لا يأكل
الاطعمة الدسة ولا ينقض عليها وإنما الكلمة خزر كخرد ولا ما زاعي لاراء منها هاذن

الارانب وهو من طعام الاجادل يقول ان الشاعر على صهوة قرسه كالصقر يعلو صقرا
رأى أرنبا يجحد في أثره . ونظيره أيضا ما في ص ٢٥٦

أبا جعفر ان الجهالة أمها ولودٌ وأمُ العلم جذاء حائل

فقال الشارح (جذاء بلا ندي) فسرهما على كونهما من الجذ بالذال المعجمة
وهو القطع وانما هي جذاء بالذال المهملة وهي المرأة الصغيرة الندي والذاهبة اللين لعب
خلق في نديها وقوله حائل يريد هذا المعنى

على أن الشارح حفظه الله تساهل في تفسير كثير من الكلمات تساهلا ربما
لم يرض تقاد اللغة ولم يمت جهزوه من مثله مثل قوله (مى) جمع أمنية (جيش أرب)
متجمع (السنان) الرمح (الايكة) الشجرة (أخرج) أجبر (الحديث سرار)
سر (الصبر) الدواء المر (الفرند) السيف (الصفاة) الصوانة (تهفو خلائقه)
تضطرب (يجم) يترك (الطول) الحبل الطويل (سيديل) سينتم (المرس)
المزل (الاصطلا) الاثواب (الوايل) المطر (البناف) الاصابع (لاحب) طريق
مضجاة كاسدة (النكال) المصيبة (المئات) الامور (شكائم) اتصارات (اقضى) طلب
القرض (يختر من) يخترق - في نظائر ذلك مما كان من باب التفسير بالاعم أو
بالاخص أو باللازم وهو ما يأباه المدققون في اللغة ويرون التسامح فيه غلطا
فاحشا وجريمة لا تقتضيه.

بقي لي كلمة لا أحب ان أبلغ بالكلام آخره ، ألم أحدث بها حضرة الشارح
وهي أنني عدت عليه كلمات هي من قبيل المشترك وقد فسرهما بمعناها غير المراد
للشاعر كتفسيره للبرى بأحد معنييه وهو التراب مع ان المراد معناه الآخر كما مر آنفا
فان ذهب حضرة الشارح الى ان تفسيره للمشارك بغير المراد منه غير موضع
للاتقاد لكونه لم يخالف فيه أصل وضع اللغة وانه في ذلك لم يخرج عن كونه شارحا
لديوان أبي تمام وعدت مؤاخذتي له على تلك الكلمات مؤاخذة في غير محلها وعلى
غير الوجه الذي أعلنه في طلب الاتقاد ان زعم ذلك كان من يفسر قوله تعالى «فيها عين
جارية» بقوله المين الياصرة والجارية الفتاة يصح ان يسمى مفسر القرآن وشارحا لكلام
الله تعالى - وكنت اذ ذاك جديرا بسبب الكلام رطلت انفو والسلام الله

التقرير

(كتاب الجواب الصحيح • لمن بدل دين المسيح)

طبع منذ سنة أو أكثر هذا الكتاب النفيس لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى وهو أربعة أجزاء وقد كتبه ردا على كتاب اذاعة النصارى في عصره فعلمنا أن القوم هم الذين كانوا يمتدون في الماضي كما يمتدون في هذا العصر وما كانوا الا محجوجين في كل زمان

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه ان ذلك الكتاب ورد عليهم من قبرص وأنه مؤلف من ستة فصول (١) في ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى الجاهلية من العرب (٢) أنه أنشئ في القرآن على دينهم بما أوجب ان يثبتوا عليه (٣) ان نبوت الانبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه فوجب ثباتهم عليه (٤) ان ما هم عليه من التثليث ثابت بالعقل والنقل (٥) أنهم موحدون (٦) ان المسيح جاء بهد موسى بفاية الكمال فلا حاجة بعده الى شرع وقد أورد كلامهم في كل فصل ورد عليه بالعقل والنقل من كتبهم فدل على انه كان مطلعا عليها أتم الاطلاع وأيديان الحق في جميع المسائل بآيات الكتاب العزيز والاحاديث النبوية بما يهد في كلامه من البسط والايضاح • وفي هذا الكتاب من الفوائد النادرة في العلم والتاريخ والايضاح المشكلات الفاضة في الدين وغيره ما لا يوجد في كتاب سواه ومن أعظم مواضع العبر في الكتاب ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الرابع لبيان وجوه المدلل ومقصود العبادات وتفضيل هذه في الامة على أهل الكتاب بالعلم والعمل قال

« فأما العلوم فهم (يعني المسلمين) أحقق في جميع العلوم من جميع الامم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخزوية كعلم الطب مثلا والحساب ونحو ذلك (أي من العلوم الكونية الطبيعية ورياضية) هم أحقق فيها من الامتين ومصنفاتهم فيها أكثر من أي اهلها من الأوائل الذين كانت غاية عليهم • وقد يكون الخائق فيها من هو عند المسلمين منبوذ بنفاق وإلحاد ولا قدر له عندهم لكن

يحصل له بما يعلمه من المسلمين من العقل والبيان ما أعانه على الحق في تلك العلوم
فصار حالة المسلمين ، أحسن معرفة وبيانا لهذه العلوم من المتقدمين ،

ثم ذكر براعة المسلمين في العلوم الالهية والاخلاق والسياسة الملكية والمدنية
وانتقل من هنا الى بيان المقصود من العبادة عند المتفلسفة وغيرهم . ولا شك ان
المسلمين كانوا الى عهده أكمل الامم في علوم الدين والدنيا . فإذ أعساه يقول لو خرج
من قبره ورأى حالة المسلمين اليوم في العلم وكيف وصلوا الى درجة صاروا يحاربون
فيها العلوم باسم الدين وصارت حالة أهل الكتاب أعلم من أشهر علمائهم في هذه
العلوم التي كانت حالة المسلمين أعلم بها وأحسن بيانا من علمائهم هل اقبلت الحال
واستحالت طبيعة الاسلام ام المسلمون اليوم أوسع علما وأشد اعتصاما بالدين من سلفهم
منذ اشتغلوا بعلوم الدين في القرون الاولى الى زمن ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ولقد كانت
ظهر لهم ما لم يظهر لسلفهم من منافاة الاشتغال بالعلوم الدينية لتحصيل العلوم
الكونية ؛ لا يتجرأ أحد منهم على هذه الدعوى فليعتبر المسلمون بماضيهم وحاضرهم
وبمخالفة خلفهم الطالح لسلفهم الصالح

هذا وان الكتاب يباع عند أحد طابعيه الشيخ مصطفى القبايي بخان الخليلي
وفي مكتبة المنار وتضمن النسخة منه مجلدة اثنان وعشرون قرشا صحيحا

﴿ ضوء الصبح المسفر ﴾

أحسب الناس ان المسلمين لم يصنفوا فيما يسمى عند أهل الغرب بعلم أدب
اللغة وتاريخ اللغة ولو اطلعوا على ما ألفت عليه حوادث الزمان من كتب سلفنا في
دارنا وما جذبه مهناطيسية العلم والعراات منها الى ديار أوربا لعلوا ان القوم
ما غادروا مترد ما قد أوفوا على الكمال في بعض العلوم والفنون أو قاربوا ووضعوا
لبعضها الاسس لبنى أو بنوا لنتم ونكمل فتقصنا ما كلوا وهدمنا ما بنوا وعفونا تلك
الاسس حتى جعلنا مكلتها . هذا كتاب (صبح الاعشى في كتابة الانشا) من أنفس
الكتب المطولة في أدب اللغة وتاريخها وضمه الشيخ أحمد بن علي القلقشندي المصري
المتوفى سنة ٨٢١ وهو يدخل في سبعة أسفار عظيمة عني ناظر دار الكتب المصرية

(الكتبخانة الخديوية) بطبعها على نفقتها ولكنه لا يطبع منه الانسخة قليلة يريد حفظ بعضها في دار الكتب وتوزيع باقيها على دور الكتب في أوروبا وللكتاب مختصر للمؤلف سماه (ضوء الصبح المسفر) أودعه صفوة مسائله وخلاصة مباحثه فكان سفرين عظيمين نشده محمود أفندي سلامة فوجد جزءا منه فطبعه طبعا حسنا بحرف مثل حرف المنار على ورق أنظف من ورقه وقد ناهزت صفحاته نصف الألف وهو مشتمل على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة . وفي الأبواب فصول . أما المقدمة ففي مبادئ يجب تقديمها على الخوض في كتابة الإنشاء وفيها خمسة أبواب الرابع منها في التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه في الاسلام واستقراره بدار الخلافة وتفرقه بعد ذلك في الممالك وفيه فصلان والخامس في قوانين ديوان الإنشاء وترتيب أحواله ورتبة صاحب الديوان وصفاته الواجبة فيه وآدابه وأرباب وظائفه من الكتاب وغيرهم في القديم والحديث وفيه أربعة فصول . وأما المقالة الأولى ففي ما يحتاج اليه الكاتب وتدعو اليه ضروراته وفيها بابان . وأما الثانية ففي ما يحتاج اليه من معرفة أحوال الأرض وجهاتها ورأيا وفيه ثلاثة أبواب . ولو أردت ان أسرد للقارىء ملخص فهرس هذا الجزء على هذا النحو لقال أنه لم يترك شيئا يشاقه طالب الادب والتاريخ في هذا الموضوع الا وخاض فيه لاسما الامور الرسمية كالاسماء والكنى والالقاب والنموت ورقاع كاتب السر وقوائم الوزارة ومربعات الجيش والمناشير والاقطاعات والمستندات وكتب البيعة والعهود والتقاليد والتماويض والمراسيم والتواقيع وما يتعلق بالحرب والهدن والصلح والامان من الاصطلاحات وغير ذلك من الامور الرسمية وغير الرسمية كمكاتبات الاخوان والتهاني والتعازي والبشارات والشفاعات وكالادوات الفنية ومنها آلات الدواة وهي خمس عشرة ومنها الكلام في الورق وأشكاله . وجملة القول انه لا يستغني أديب ولا مؤرخ عن هذا الكتاب وهو يطلب من ناشره في مطبعة الواعظ بدراب الجماميز وعن النسخة منه ثلاثون قرشا صحيحا وانتقدنا على ناشره أن نشره بفهرس جدول للفهرس فوعده بجمع الفهرس وطبعه

﴿ تربية المرأة والحجاب ﴾

قد صادف هذا الكتاب من الرواج ما أفقد نسخ الطبعة الأولى منه فأعاد مؤلفه (محمد طلعت بك حرب) طبعه على نفقته إجابة لكثرة الطالبين له وقد افتتح الطبعة الثانية بمقدمة أودعها ما كتبناه في المنار تفسيراً لقوله تعالى « ولئن مثل الذي عليهن بالمعروف » مقتبساً من دروس الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وختمها بملاوة هي عدة مقالات من مقالاتنا التي نشرناها في المنار تحت عنوان (الحياة الزوجية) فكانت زيادة هذه الطبعة على الأولى بنحو ربع الكتاب فصارت صفحات الكتاب مئتي صفحة كهصفحات المنار وليرزد مع ذلك في ثمنه شيئاً فتمن النسخة من الطبعة الجديدة ستة قروش صحيحة وأجرة البريد قرش ونصف وبيع بمكتبة المنار هذا واننا نذكر ما قاله في أول مقدمة هذه الطبعة تعريفاً بالفرض من الكتاب قال سداً لبسلة والمحددات الصلية

« وبعد فقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن وقفنا لجمع هذا الكتاب، لنذي تلقاه بالقبول أولو الألباب، لدعوتهم الى تربية المرأة على أصول الديانة الاسلامية، مع مراعاة حال العصر والتروفي من ضرور المدنية الغربية، تلك المدنية التي أصلحت في الاقطار الغربية وأفسدت، ولكنها أفسدت في البلاد الشرقية وما أصلحت، إذ فن الناس بشر ما جاءت به، وطفقوا يتركون لأجلها خيراً ما كانوا عليه،

«لما رأينا كتابنا هذا (تربية المرأة) قد اقتشر في الأمصار، وتنقل في الأقطار، حتى نفذت نسخ طبعته الأولى، وتوجهت الرغبة الى طبعه مرة أخرى، رأيت ان أزيد في فوائده ومسانله، وأضف اليه شيئاً من أحسن الكلام وعقائله، وكنت قرأت في مجلة « المنار » الاسلامية، مقالات في «الحياة الزوجية»، لمنشأها الذي نعرف مع حضرة قاسم بك أمين، بأن جميع الناس يعرفون مكانه من العلم والدين، فاخترت ان أجعلها خاتمة للكتاب، لأنها في الموضوع لب الباب، ثم قرأت في باب التفسير من المنار كلاماً عالياً، وهدياً سماوياً سامياً، في تفسير قوله تعالى « ولئن مثل الذي عليهن » الآية . وهو مما كان اقتبسه

صاحب « المنار » من دروس الاستاذ الامام ، حكيم الشرق وحجة الاسلام ، الشيخ محمد عبده عليه الرحمة والسلام ، فاخترت ان اقتبسه في فاتحة هذه الطبعة وهاكه قلا عن الجزء العاشر من مجلد المنار الثامن ، (الصادر في ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣) اهـ وذكره . ففرض المؤلف ان تربي البنات تربية دينية ويعلمن ما يحتاج اليه البيوت مع الاحتراس من غوائل المدنية الغربية ، ويا نعم الغرض

﴿ بحر الآداب ﴾

هو كتاب في الآداب العربية لأحد جمعية الاخوة (الفرير) المعروف (بالاخ بلاج) مقتش اللغة العربية في مدارس الجمعية وقد أهدى الينا القسم الأول من من الجزء الخامس مطبوعا فاذا هو مفتوح بتمهيد ثليه فصول في طريقة تعليم الانشاء وتعلمه وأركانه وآدابه ويلى ذلك أبواب ومباحث في المادة التي تعين على ذلك كالكلام في العلم والعقل ومختارات من نثر الأولين وشعرهم في الجاهلية والاسلام واذا هو مختتم بمباحث في حال اللغة على عهد الدولة الاموية والعباسية . ويدل الكتاب على ان المؤلف ذو ذوق في حسن الاختيار وحقق في كيفية التأليف فكتابه هذا نافع لطالبي آداب هذه اللغة ان شاء الله تعالى

﴿ تحرير مصر ﴾

كتاب انكليزي لا يعرف مؤلفه ترجمه بالعربية وطبعه في هذا العام محمد لطفي أفندي جمعه المحرر بجريدة الظاهر وهو مؤلف من مقدمة يبين المؤلف فيها حال مصر في القرن التاسع عشر وسياسة فرنسا وانكلترا فيها ومن أربيه فصول اثنان منها في علاقة الدول بمصر والثالث في سياسة بريطانيا الاستعمارية في مصر وغيرها والاربع في « المركز الكاذب لبريطانيا العظمى في مصر » وفيه مبحث استقلال مصر لانها مملكة حية وبلوغها سن الرشد ومنعها الحرية والاستقلال . ويلى الخاتمة سيفه بيان ان أنفع حل للمسألة المصرية هو منح مصر الحرية لان مستقبل أفريقيا متعلق بتحريرها ورأي جريدة الطان في ذلك

هذا ملخص التمرير بالكتاب ومنه يعلم انه لاغنى لقارئ مصري عن

الاطلاع عليه ليعرفوا رأي القوم فيهم ولعل مؤلف هذا الكتاب هو أحسن
الاوربيين انتصارا لهم وقد كتم اسمه لتعرف قيمة كتابه لذاته فكان أقرب إلى
الاخلاص من بعض أحداث المصريين الذين لا يقولون ولا يكتبون كلمة في
ذلك الا ويقولون الوفا من الكلم في الافتخار والتبجح بها

افتتح المؤلف مقدمة كتابه بقوله: لقد صدق اللورد ملر في قوله « ان مصر بلاد
التناقض والتخالف فانه لا يوجد في العالم بلاد فيه ما في مصر من الحقائق والافكار المتناقضة
المتباينة وقد يصل هذا التناقض الى حد مدعش فيصير مضحكا » فليق إذن
يمن يرقب أمور هذه البلاد ويشاهد أحوالها ان يكون متنبها أبدا متوقيا لئلا
يلقيه حسن الفن والامراع في الحكم في الخطأ والندم : اه المراد منه . ومأظن ان
المؤلف على حذره وتوقيه قد سلم في الخطأ في بعض أحكامه . وقد أحسن مترجم
الكتاب اذ قال في مقدمة الترجمة : ويعز علينا أن نقول ان هذا الكتاب ليس
الا « كأس ملام » يتقيه الاجنبي لأفاضل مصر وعلمائها الذين أسكتهم الكسل
وقبض الخول على أقلامهم بيد من حديد : اه وأحسن من هذا ان تسقى الكأس
من أقدم الكسل والخول عن العمل لامن أسكتهم عن القول فان العمل قد ينفع
بلا قول ولا ينفع قول بغير عمل . والعمدة في تحرير مصر على حياتها بنفسها حتى
تكون بنية صحيحة قوية . فقد قال حكيمنا السيد جمال الدين « العاقل لا يظلم
لأسماء اذا كان أمة » وجملة القول انه ينبغي لكل مصري قراءة هذا الكتاب
والاعتبار به مع العلم بأنه لا ينفعنا شيء الا التربية الاستقلالية المالية والعلم والاقتصاد
وانه لا حياة لقوم لاهم للاكثرين منهم الا التمتع بالذات والاهتمام بأشخاصهم
دون أممتهم ، أولئك هم الذين اذا أعظمهم مستعبد يسترقهم مستعبد ، فليطلب
المصريون تحرير أنفسهم من أنفسهم بالعمل لامن انكثروا بقول قائل أو كتابة
كاتب مخاطب من لا يسمع وان سمع لا يملك أن يجيب كإفعل الشيخ توفيق البكري
بمخطاب ولي عهد انكثروا بالمؤيد ، فحسب انكثروا ان تبيح لهم كل عمل ومن لا يعمل
لنفسه كان من الحماقة ان يطالب أجنيا ملكه بأن يحرره . وهذا لا يمنع وجوب تذكير
لجرائد الأمة بطلب الاستقلال والاستعداد له . ونعم الكتاب عشرة قروش وأجرة

البريد قرش واحد وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجمايز

﴿ قاموس انكليزي عربي ﴾

يشتمل على ثلاثين ألف كلمة انكليزية ونيف

« وضعت إدارة المكتبة العمومية لسلیم أفندي صادر في بيروت »

سبق لنا كتابة تقرير لهذا القاموس في السنة الماضية لم ينشر بل لم يجمع
حروفه في المطبعة لأن ورقته سقطت من أيدي مرتبي الحروف كما أعلن وقد ذكرنا
بعد ذلك مذكر مناباته أخرج من بين الكتب التي يراد قريظها أو التعريف
بها ولم يكتب عنه شيء في المجلة . وما أذكر من الكتابة الأولى بيان تفسيره بعض
الكلمات العربية بمرادها العامي . وطبع الكتاب مقنن وورقة نظيف وشكله
لطيف وصفحاته ٦٢٤ وياع بالمكتبة العمومية في بيروت

﴿ تقوم المؤيد لسنة ١٣٢٤ ﴾

هذه هي السنة التاسعة لهذا التقوم فهو ترب المنار . وصاحبه محمد أفندي مسعود
يقترح في كل عام على القراء ان يرشدوه الى ما يزيد إقتانا . وقد كنا أول من
اقترح عليه وضع الفهرس للتقوم ونحن الآن نقترح عليه ثانيا ان لا يجعل الفهرس
خاصا بالأبواب بل عاما للمسائل والمباحث التي يحتاج الى مراجعتها وانني أرى انه
إذا وضع للمباحث فهرسا مرتبا على حروف المعجم يكون ذلك مزيدا في فائدته
وفي إقبال الناس عليه

(الدين في نظر العقل الصحيح)

قد طبعت هذه المقالات التي نشرت في سنة المنار الماضية على حدها وأضيف
اليها مقالة كتبها (الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي) في حكمة محريم الخنزير
أو نجاسته ونجاسة الكلب فكانت كتابا يدخل في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير
وتمن النسخة منها مع أجره البريد ثلاثة قروش وتطلب من مكتبة المنار

(مسامرات الشعب)

راجت هذه القصص التي تصدرها مكتبة الشعب واشتهرت ولا غرو فهذا الغرب

من القصص المعروف بالروايات محبوب الى جميع طبقات الناس فيجب أن تتضاعف العناية بعد الآن بحسن اختيار قصص المسامرات المترجمة وأن تولف لها قصص في انتقاد عادات البلاد الضارة لتكون جامعة بين الفكاهة والفائدة وقد كان آخر ما اهدي لنا من هذه القصص - أهواء الشيعة ، عشقة الملك ، مقتل هنري الرابع ، الفؤاد الكليم ، القاتل المتكرر ، شرف الاسم ، سرّ ولاسر ، والخنجر التركي . فأما قصة مقتل هنري الرابع فخيرها ترجمة وفائدة سياسية وأما قصته سر ولاسر وقصة الخنجر التركي الملحنة بها فخيرها ترجمة وفائدة أدبية وقد قرأنا الثلاث كلهن والاخيرة تبين لك آراء الافرنج وتخيلائهم في الترك وعاصمتهم . واننا ننصح لصاحب المسامرات ان لا يقبل قصة تصف الرذائل والشرور وتشرح أعمال الفجار الارذلين بحال من الاحوال

(خير الدين)

« مجلة اسلامية عمومية مصورة تصدر في غرة كل شهر عربي ، صاحبها محمد الجعابي مدير جريدة (الصواب) بتونس » وقد صدر العدد الاول منها في غرة صفر مطبوعاً على ورق جيد مؤلفاً من ٢٠ صفحة مصدراً بصورة محمد الهادي باشا باي تونس المعظم وفيه بعد الخطبة ان المجلة سميت بهذا الاسم لتكون كالتمثال المذكور بخير الدين باشا التونسي الوزير المصلح صاحب كتاب « أقوم المسالك في أحوال الممالك » وبعد وجه التسمية صورة هذا الوزير العظيم وترجمته تليها مقالة وجيزة في الحث على العلم ، فبينة في الشعر المصري جعلت مقدمة لقصيدة من شعر محمد امام أفندي المبدع الشاعر المصري يخاطب بها الشرق ، وغير ذلك فنحن على همة رصيفنا الفاضل صاحب الصواب ، أن جمع بين السياسة وخدمة العلم والآداب ، وتنشئ له التوفيق في خدمته ، والبلوغ بها الى خير غايته ،

❦ المذير ❦

جريدة اسبوعية عمومية حرة أصدرها في نيويورك عيد افندي ميخائيل ذيه أحد أدباء السوريين في أوائل هذا العام الميلادي وهي من دلائل ارتقاء السوريين الادبي في تلك البلاد فتشئ لها التوفيق والنجاح

بَابُ الْحَبْلِ الْإِسْكَانِيِّ

﴿مسئلة العقبة﴾

ينافى في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدت له لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى أن انكلترا تخاف عاقبة هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر بإقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لأن محاربتها في مصر إذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سوريا والحجاز إذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بإشياء ناشط من السكة الى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى أن انكلترا أغضت الجنود المصرية الى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز أن السكاكر العثمانية بالمرصاد فظهر الامر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو أن الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك الى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنبيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز أن الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى الممثلة ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسوريا لانها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بأن لا يبق فيها دينان، وان يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكليز ما توهموه من الدولة بإيهاهم من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر انشدهوب الاوربية بأن السلطان يريد تهيج التعصب الاسلامي على المدينة الاوربية وربما وجدوا لا يهاهم شبهة في ثروة أحداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضئيلة يستغلونها وان أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه الا اسمه

لولا أن الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء بآب سور يا والحجاز لما بالآ انآزید فی مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا أن انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا أنها تتوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم إذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال. فإذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا بمحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الحديدين وفي تفراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتمهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا. وقد أساءت الدولة المدخل فمسي ان نحسن المخرج

نحن نمتدآن الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال - وهي في هذه الحال - ان نرضخ على مصر أما انكلترا فلا يبعد أن تقصد إقامة الماقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعدا قائما على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية - وانما نفعي بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم . وان تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكرا ولو مصرياً فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها، وان هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (مضالحها وحكامها)

ان جميع عتلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترا على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطرا من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فأنهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها . ويعتقد رجال الاصلاح منهم انه لا يمكن الا تيان بعمل يحيى الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند بل لآ حرية للمسلمين في الدعوة الى كتاب ربهم المنزل وسنة نبيه المرسل الا في هذين القطرين

(المنار ٩:٣) الامير حسين باشارئيس الجمعية الخيرية . تنصر المسلمين بقبرص ٢٣٣

بريطانيا العظمى ان تمتد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق وعليها أن تحافظ عليه وتحمي مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعا هذه المقدسة آمنة اعتداء الاجني عليها ، أو تدخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المفرين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء ، وأما الناس بالعقلاء والفضلاء ،

﴿الامير الخادم للفقراء﴾

(صاحب الدولة البرنس حسين كامل باشا رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية) استدار الزمان، وتغيرت أحوال العمران، وتبدلت الأوضاع، وارتقت شئون الاجتماع، فصارت عظمة الأمراء والرؤساء، محصورة في خدمة الدماء ، بعد أن كانت قائمة باستعباد الفقراء، وامتصاص دماء الضعفاء، وما فتى أمراء المسلمين يرون أنهم من جنس أعلى من جنس الامة، وان شرفهم ذاتي لطيتهم لالشرف الملة، فهم يرفعون عن مشاركة الجمهور في المصالح العامة، ولو اعترف لهم في ذلك بالمزايا الخاصة، حتى في مثل هذه البلاد، التي زال منها الاستبداد، ووهن الفخر بمجد الآباء والاجداد، وصارت المعارف والأعمال هي الميزان لاقدار الرجال ، — حتى قام الامير حسين كامل باشاعم عزيز مصر بإبطال تلك التقاليد العتيقة، وسن للأمر في مصر سنة حسنة جديدة ،

أطعم أعضاء الجمعية الخيرية الاسلامية في اختبار هذا الامير رئيسا لها بعد الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ما يملونه من بره للفقراء ، وعنايته بالمساكين والضعفاء ، وما سبق له من قبول رياسة الجمعية الزراعية، فعرضوا عليه رجاءهم فيه فتابى ، فدعوه لرياسة الجمعية فلبى ، فاستبشرت نفوس العاملين، واطمأنت قلوب الفقراء والمساكين، وشكرت له ذلك أسنة المسلمين ، بل أسنة الناس أجمعين

﴿ تنصر المسلمين في قبرص ﴾

كتب الى جريدة (ترك) من قبرص أن عددا كثيرا من مسلمي قرى الجزيرة وضياها قد تنصروا على أيدي الدعاة (المبشرين أو المرسلين) الذين يجيئون من بلاد اليونان لدعوة المسلمين الى النصرانية . وقد يعجب قراء المنار لئلا

هذا الخبر اذ يمتدنون ان الاسلام في قوة حقه وجلاء تعاليمه وموافقته للعقل والفطرة لا يمكن ان يختار عليها غيرها و يهدون أن دعاة النصرانية يقضون في دعوة المسلمين السنين، وينفقون في سبيلها الألوف والملايين، ولا يكاد يجيب دعوتهم في كل بضع سنين، الا واحد أو اثنان ممن أضنام الفقر، ولم يبق لهم من الاسلام الا الاسم، وقد يزول هذا المعجب اذا علموا ان أولئك المنتصرين كانوا نصارى فأسلموا ولم يوجد فيهم من المعلمين والمرشدين من يحفظ عليهم دينهم فيمادى الجهل بخلفهم حتى جاءهم من أهل جنسهم ولقنهم من يدعوهم الى دين آخر لا يرون في اتباعه عارا اذ ليس للمسلمين هناك شأن يري في أفرادهم إحساس الشرف الملى والنعرة الجنسية

الدعوة الى الاسلام

ليس للمسلمين ان يتأسفوا لمثل هذا الخبر تأسف العجائز والزمنى أو يشفوا غيظهم بدم الحكومة التي تبيح الدعوة الى دينها الا اذا كانت لا تبيحها لدينهم أيضا بل عليهم ان يستبروا ويفكروا في حفظ الاسلام وصيانة شرفه . ولعلموا أن أكبر عار عليهم وأقوى شبهة على دينهم ان تكون حرية الاديان خطرا عليه وهم مشتركون في هذه الحرية مع غيرهم والحق يعلو ولا يعلى . وإن يتفكروا يظهر لهم أنه من الواجب المحتم عليهم انشاء جمعية للدعاة والمرشدين تجمع المال وتربي الرجال وتبشهم في بلاد المسلمين التي غلب عليها الجهل كقبرص وأفريقيا الارشاد وفي بلاد غير المسلمين للدعوة الى الاسلام نفسه . والدليل على وجوب هذا قوله تعالى (١٠٤:٢) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

نهضة مسلمي روسيا وجرائدهم

كتب اليناصديقا الشيخ محمد نجيب التوتاري في ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ م انه: (وتأخر نشرها لتأخر دور السؤال الذي ورد معها)

ان حضرة الامبراطور نيقولا الثاني منح الاهالي كثيرا من الحقوق كالحرية الدينية والوجدانية والشخصية والكلامية والاجتماعية وكثير من المكرهين (على النصرانية) اعادوا الى الاسلام رسميا بسبب ذلك وبمساعدة حرية الاجتماع

حصل بين المسلمين اجتماعات عديدة في المحال المتعددة ذكروا فيها في المسائل السياسية الحاضرة وتعميم التعليم بين الاهالي وغيرها . ويتصورون تأسيس جمعية عمومية اسلامية في الروسية فيعد هذا دورا جديدا للمسلمين يؤمل منه الانقلاب الحسن في مستقبل قريب ان شاء الله تعالى

وانه بمساعدة الحرية الكلامية ظهرت بيننا جرائد كثيرة في الاماكن المختلفة و بلدة قران . مع كثرة المسلمين فيها لم تكن فيها جريدة واحدة والآن تصدر فيها خمس جرائد (١) قران مخبري - جريدة سياسية علمية مليّة تصدر في كل أسبوع ثلاث مرات (٢) طاب (صباح) كذلك (٣) يلدز (كوكب) وهي أيضا جريدة واسعة البروغرام (٤) آزاد كذلك (٥) العلم والأدب مجلة علمية تصدر قريبا . وفي باغجه سراي جريدتان جديدتان (٦) عالم ندوان - مخصوصة بالإناث تصدر في ادارة جريدة ترجمان أسبوعية (٧) (خاخاخا) جريدة فكاهية وفي بادكو به ظهرت جريدتان إحداهما (٨) حيات يومية بالغة أذربيجان والآخرى (٩) إرشاد هي أيضا كذلك . وفي تفليس أيضا ثلاث جرائد لم أخطر أسماها وفي جايق (أروالسكي) (١٣) فكر - جريدة (١٤) المصر الجديد - مجلة كتابها أسبوعية . وفي بطرسبورج جريدتان (١٥) نور (١٦) أنمت . وفي أورنبورغ جريدة (١٧) وقت . فهذا مما يمد قالا حسنا لخيرية الاستقلال فان الجرائد أول الوسائل في الإصلاحات يمكن ان يستدل بها على أن مسلمي الروس يفتقروا بعد الرقعة الدائمة أصلحنا الله تعالى اه

❦ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ❦

كتب الينا أحد طلاب العلم في قران يقول « انا قد دخلنا في حياة جديدة منذ كنا تلاميذ لحضرتكم فصرنا نستفيد من كتاب الله بمد ما ظننا الاستفادة منه خاصة بأهل القرون الماضية ولا تقبل قول أحد بلا دليل . وأعلم يقينا ان هذه الحياة من الروح التي نفختوها بواسطة مجلتكم جزاكم الله عنا خير الجزاء . وقد ناهضت الطلبة بطلب اصلاح المدارس الاسلامية وكلفوا مديري المدرسة وأسائدتهم عدة مواد استصوبوها بالشورى بينهم لان طريق التعليم في مدارس قران وخيم

جدا لا يدرس فيها الا ما بقي من خيالات اليونان والنسفي مع شرحه التقنازاني والنحو والصرف يكتبه المروقة بشرط أن يضع من العمر خمس سنين من غير فهم ولا يدرس غير ما ذكر لا من التفسير ولا من الحديث وغيره - ولكن المدرسين ريعوا من هذه التكاليف واستقلوها لا عتيادهم أكل « بلش الحلة » - طعام من الأرز خاص بالامام - فطردوا من التلاميذ من يريد الاصلاح فأخرج من مدرسة عالم جان البارودي اثنان وثمانون طالبا من ذوي النهى وأبقوا من لا يهتم بشيء من الاصلاح وسوا الذين أخرجوا بغير حق (بالروس الجديد) واسكن الطالبين في ضلال مبعد ، فيا أهل الغيرة والحية الدينية، ما هذه البرزية في زمن المدنية، إلام نكون ضحكة للاجنيين ، وحتام نعمه في جهاتنا أجمعين ، - فاسيدي هذا حال بلادنا التي تحسن الظن بها !!! اه بنصه

هذا وقد رأينا جميع الجرائد الاسلامية الروسية التي نجي . مصر قد خاضت في هذه المسألة في العدد ٢٤ من جريدة ترجمان التي تصدر في (باغچه سراي - روسيا) ما ترجمته :

﴿ الكتاب المفتوح ﴾

من التلاميذ الذين طردوا في ٢٦ فبراير من المدرسة المحمدية (المنسوبة الى محمد جان والد عاليجان المشهور) بقران الى آبائهم
حضرات آباءنا الكرام !

نكم أسلمتمونا الى المدرسة المحمدية بقران اذ لم تجدوا مدرسة أحسن منها . وكان مقصدكم من هذا هو ان تعلم في المدرسة العلوم النافعة وتتعلّى بالاخلاق الفاضلة ونكون رجالا نعمل لمصالحنا ولمصالح الامة .

ولكننا علمنا بعد طول التجربة والاختبار ان مدارسنا اذا بقيت على هذه الحالة لا يرجى منها خير ما فضلا عن العلوم النافعة والاخلاق الفاضلة .

والعلوم التي نحصلها في مدارسنا لا تنفعنا أبدا . أما ترون أننا نخرج من المدارس وليس في يدنا شيء نكتسب به فنبقى عالة على الناس نتعجز بالدين أما نحن فلا نحتمل هذه القلة والمسكنة بعد ان تعلم عشر سنوات أو أكثر

وليس امامنا سوى التأذين والامامة. وهذان المنصبان يثول أمرهما شيئاً فشيئاً الى العتاسة والشقاء فان الأئمة والخطباء يشكون سوء حالهم. على ان العلوم التي تعلمها في مدارسنا لا تنكفي للامامة والخطابة أيضاً. ولا يملكون شيئاً من الاخلاق والثرية بل تعلم فيها الاخلاق السافلة كالجبن والطمع وظلم الفقراء والتملق للاغنياء والكل نحن لانكون بما تعلمنا في المدارس الا مصيبة للعوام وعلما سوء الذين قال فيها ليتنا عليه الصلاة والسلام مامناه (شر الحلائق علماء سوء الضالون المضلون) نبقى في المدارس عشر سنين أو أكثر وتقاسي فيها من أتعاب البدن والفكر مالا يحمله أحد ثم نخرج لتكسف الناس. وأولاد الامم المجاورة لنا يتعلمون وعقولهم سليمة وصحتهم كاملة متمتعون بكل حدة ونشاط ثم يخرجون وأدمتتهم ملأى بالعلوم والافكار السامية فيتلون الوظائف المتنوعة ونحن نمثل بين أيديهم بكل خضوع ومسكنة وكل متخرج في المدارس.

وأما أسانذتنا فيملون أدمقتنا بالحرافات والاسرائيليات، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفتازانيات، ويسومونا حفظ الحواشي والتعليقات، ويمجروننا الكوثر مرة، بمالا تعلق له بالدين بالمرّة. يمجروننا ذلك باسم العلوم الدينية ونخرج من المدارس لا بالدين تقويناً ولا بالعلوم العصرية تسليحاً. عبيد أو هام جبناء، خلوا من العقول سخفاء، ترتعد فرائص الواحد منا أمام واحد روسي أو بالاك أو يهودي من المتعلمين. نحن نرجو من قومنا أن لا يغفلوا عن حالهم ومستقبلهم واثقين بأننا هم الذين يتعلمون في المدارس الاسلامية لاننا علمنا أنه لمن يجاري المتعلمون منا في مضار تنازع البقاء للمتعلمين من الامم الاخرى. لان هؤلاء متسلحون بالعلوم الصحيحة الحقيقية ونحن عزل أنكلس ماكين.

نحن لسنا راضين عن حال مدارسنا وبذلنا جهدنا في اصلاح حالها وخافنا معلمينا ومربيننا في أمور التربية والتعليم. فانكروا فعالنا وأبغضونا ونظروا إلينا شراً ثم ستموا تكاليفنا فأنشأوا يبحثون عن طرق النجاة معنا وأخذوا يطردون الذين يشكون حال المدرسة واحداً بعد واحد.

نحن نتمتع بكثير من أن امتنا طلبت من الحكومة في السنين الاخيرة مطالب

جة ولم تخطر ببالها مدارس التي هي حياتنا وبها بقاؤنا وتركها في زوايا الاهمال والنسيان . لا بقاء لنا الا بالمدارس فكيف يجوز اهمال شأنها . نحن نقول وزرع عقيرتنا: ليعلم كل فرد من أفراد الامة ان أول درجة من درجات الاصلاح هي اصلاح المدارس والكتاتيب ثم اتنا لأنفسنا فخروجنا من هذه المدرسة ولن ندخل غيرها لانها كلها على نسق واحد والنقطة بالنقطة ونختم قولنا بكلمة نوجهها للامة من صميم أفئدتنا: « بادروا أيها الاخوان الى اصلاح المدارس والا فعليكم وعلى مدارسكم السلام » (المنار) وسنشر في الجزء الآتي مقالة مترجمة عن جريده (وقت) عنوانها (المدارس وطلبة العلوم)

﴿ قتل ابن الرشيد ﴾

اغتنم ابن الرشيد فرصة الهدنة بينه وبين ابن مسعود فقدر واعتدى فلم ابن مسعود من أربعة جواسيس قبض عليهم أن سبيته ليلا فرحف عليه الى روضة منها وبعد ملحمة شديدة قتل ابن الرشيد وأخذ خاتمه وساعته ورايته وقتل جيشه تقتيلا وقد زحف ابن مسعود على (حائل) وتلك عاقبة البغي «وما هي من الظالمين ببعيد »

﴿ تساهل المسلمين في شأن الخلافة ﴾

يتهم أهل أوروبا المسلمين بالثو في التعصب الديني ويقولون في هذه الايام ان السلطان يهيج هذا التعصب في بعض الجرائد المصرية بأنه خليفة المسلمين فالاعتقاد بالخلافة هو ركن التعصب: ولو كان المسلمون يتعصبون للخلافة ويعتصمون بالخلافة كما يظن بهم لقامت قيامتهم على الشيخ محمد بنجيت المدرس بالازهر اذ ألف رسالة قال فيها انه يجوز ان يكون خليفة المسلمين الذي ينصب القضاة ويأذن بصلاة الجمعة كافرا واستدل على ذلك بحديث منكر أو موضوع لا يدل عليه . وقد قرظت رسالته جرائد المسلمين ولم ينكر عليه أحد بل وجدني أصحاب الجرائد من ينتصر له ويدافع عنه قائلين قلوب الأوربيين فان هذه الثروة بلقب الخلافة والخليفة وسيلة للكسب لا أثر لها في التعصب ولو كان كسب مثل هذا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى لهاجت الجرائد وماجت الامراء والشيوخ وتبهم العوام بلفو الكلام لاتعصبا للخليفة وحماية للخلافة بل لان في ذلك من الكسب والشهرة ما فيه

باب الانتقاد على المنار

(السلام على آل البيت)

كتب اليناح . ح أحدالمشركين في الجبل الاسود ما يأتي
الى حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا

لقد كنت سعيداً لما وفتني الله الى الاشتراك في المنار وان كنت قليل العلم
قصير الفهم ولكن نفغني كثيرا ونهني عن كثير في هذه السنين ما آتيتم بالخطأ
الاجتم بعدة بالتصحيح الا في ثلاثة مواضع على ما أعلن فأنعجب كثيرا وأجسر
ان أكتب الى فضيلتكم لما أعلم انكم ناطقون بالحق والصواب وهي

قلم في ص ٢٩٥ من المجلد السابع « ويشكو لسيدنا الحسين عليه السلام »
وقلم في ص ٤٤٦ من المجلد الثامن « ورواية عن علي عليه السلام » وفي ص ٩٠٨
منه أيضاً « من أثر علي وفاطمة عليهما السلام » فأظن الفقير ان لا ينال بعد ذكر
أحد « عليه السلام » دون الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين

فان قلم بجواز ذلك فلم خصصتم في هذه المواضع خاصة علياً وآله دون غيره
من الصحابة الكرام وضوان الله تعالى عليهم أجمعين فأرجو من حضرتكم التصحيح
أو الجواب الشافي من غير مؤأخذني لان كلامي هذا يدل على عدم علمي كما
لا ينبغي عليكم والسلام عليكم اه

(المنار) اختلف العلماء في الصلاة على غير الانبياء فأجازها قوم مطلقاً ومنعها
آخرون مطلقاً وقال بعضهم تجوز تبهما لا استقلالاً . ومن قال بالجواز مطلقاً
البخاري واستدل كثيره بالآيات والأحاديث كحديث « اللهم صل على آل أبي
أوفي » وأجيب بأن ماورد خاص بالله ورسوله والدعاء ابتداء وقال ابن القيم ان
كانت الصلاة على آل النبي وأزواجه وذريته فهي مشروعة مع الصلاة عليه وجائزة
على الانفراد وان كانت على شخص معين أو طائفة معينة كرهت الخ ما قاله

واما السلام المنسول عنه فقل انه كالصلاة وقيل لا . قال الحافظ السخاوي
وقد اختلفوا في السلام هل هو في معنى الصلاة فيكره ان يقال « عن علي عليه

السلام » وما أشبه ذلك فكرهه طائفة منهم أبو محمد الجويني ومنع ان يقال عز علي عليه السلام وفرق آخرون بينه وبين الصلاة بأن السلام يشرع في حق كل مؤمن من حي وميت وحاضر وغائب وهو تحية أهل الاسلام بخلاف الصلاة فإنها من حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ولهذا يقول المصلي : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين : ولا يقول الصلاة علينا : فلم الفرق والله الحمد أهـ
أقول وقد جرى بعض أئمة المحدثين كالبخاري وبعض كبار الصوفية كابن عربي وبعض العلماء من غيرهم علي تخصيص السلام بآل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم أصحاب العباء علي وفاطمة والحسن والحسين ومن تبهم في ذلك من المتأخرين الامام الشوكاني والشيعة يلتزمون ذلك لسائر أئمتهم. والشاهد الثاني الشواهد التي ذكرت في الانتقاد علي المنار منقولة عن نيل الاوطار لا من كلامنا

﴿ قصة المولد لدييع ﴾

كتب اليانا من سنغافوره ان بعض الناس استأوا مما كتبناه في المنار بشأن هذه القصة وما قاله المهجمون في شأن المجلس الذي قرأ فيه رجا بالغيب وجراءة على الله ورسوله أما غوغاء العوام فلا كلام لنا معهم وأما من يرى أنه أوتي نصيبا من العلم فالعلم حكم بيننا وبينه فليكتب اليانا رايه مويدا بحجته ونحن ننشره مذعنين له ان ظهر لنا انه الحق أو ميينين ما لدينا من الرد عليه مع الأدب والاحترام لصاحبه

﴿ المنار والشيخ محمد بخيت ﴾

بلغنا ان الشيخ بخيتا يريد الرد على المنار دفاعا وهجوما وانه استعار بعض أجزاء منه لذلك . وإنه ليسرنا ذلك ونتمنى لو يتفضل علينا بما يكتبه ونحن ننشره مذعنين لما نراه صوابا باحثين فيما نراه خطأ . وكيف لانسرياجا بنا الى ما ندعو اليه العلماء في كل سنة وندعهم اليه بالانتقاد على ما نراه منتقدا منهم ليضطروا الى الانتقاد علينا ولو اتصارا لأنفسهم ودفاعا عنها . وقد وعدت بالدفاع عنه جريدة أسبوعية من الجرائد التي يعبرون عنها بالساقطة وهي مما لا ينظر في قولها ولا يرد عليها

المسحاة

١٣١٥

بذل الحكمة من بيتا ومن بيتا الحكمة قد أوتي
خيرا كثيرا وما يدكر إلا أولو الألباب

فمن جاهد الذين يستهون بالقول فليس لهم
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوره مناراته كنار الطريق

﴿ مصر الخيس غرة بيع الآخر سنة ١٣٢٤ - ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٦ ﴾

مقاتلان للاستاذ الامام (١)

(مقتبستان من دروس السيد جمال الدين وقد نشرها في العدد ٤٩ من جريدة مصر التي كانت تصدر بالاسكندرية في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٦)

المقالة الأولى - التربية

في ليلة الأحد للاضي انعقد درس الاستاذ جمال الدين الافغاني وانتظم في سلكه جم غفير من نباه طلبة العلم وفضلائهم وكثير من الافندية مستخدمى الدواوين ومحضر هؤلاء وأولئك شنف السامع بمقال جليل في شأن تربية الامة وما يلزم ان يسلك من سبلها ولما فيه من عظم الفائدة رغبت في نشره في الجرائد الوطنية نعيما للفوائد ويانا لما افطوى عليه من حسن المقاصد قال مامعناه:

اذا وجه العقل نظر الاعتبار الى الاجسام الحية بالحياة النباتية أو الحيوانية أو الانسانية علم ان قوام حياتها يتفاعل العناصر الداخلة في قوامها تفاعلا متناسبا بحيث لا يتميز أحد تلك العناصر بالقلبة على باقية غلبة تقتضي بظهور خواصه وتسلبها على خصائص البقية فبذلك التناسب يتم للبدن الحي ما يسمى بالمزاج المعتدل الحاصل لروح الحياة فان غلب أحد العناصر على سائرهما واضمحلت خواص بقيتهما فيه انحرف المزاج وخرج عن حد الاعتدال واستولى المرض على الجسم وكما يكون الاختلال وفساد البنية بتغلب بعض العناصر على ماسواه منها كذلك يكون بمقابلة المزاج للحوادث الخارجية وغلبتها عليه كالبرد الشديد المذهب لروح الحرارة الغريزية والحر الشديد الموجب للاحتراق وتحلل الرطوبة الضرورية المنتهي الى اليأس فذير الموت والفناء

ومن ثم وضوا علوم النباتات والحيوانات والطب البشري والبيطري لبحث في تلك العلوم عما به يحفظ التوازن بين البسائط التي يتركب منها الجسم وبمحترز من تسلط الحوادث الخارجية عليه ويماد به المزاج الى حالة الاعتدال ان خرج عنها لتتم حكمة الله تعالى في بقاء الأنواع الى آجالها المحددة بحكم الحكمة الأزلية فالنابتون يعينون الاراضي القابلة للزراعة والتراسة لكل نبات ومحددون الفصول الملائم هواؤها لنموه ويوضحون مواد التسميد وغير ذلك مما لا بد منه في تربية

(١) مقتولان من الجرم الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن وهما من أول ما كتبه (المنار ج ٤) ٣٤ (المجلد الحشم)

النباتات وكذلك الاطباء يبحثون عن مواد الاغذية وما ذا يجب ان يتخذ منها لكل مزاج ومضار الأهوية ومنافعها ويقفون بتجاربههم الصادقة على الادوية النافعة لرد البدن الى حالة الصحة وآلات العلاج المفيدة حتى نحفظ بذلك على البدن صحته ويرجع اليها ان انحرف عنها ولن يكون الطبيب طبياً يترتب عليه غايته حتى يكون على علم بالتاريخ الطبيعى وعلوم النباتات ليعلم خواصها، ويميز نافعها من ضارها، وعلى بصيرة من اختلاف الامزجة ومقتضياتها وما يلائم كل واحد على حسبه وخيراً بطل الامراض وأسبابها وكيفيةها من شدة وضعف وتأريخها من قدم وحدوث حتى يعالج كلاً بما يليق به فإن جهل من ذلك شيئاً كان قد علم خيراً من وجوده فإن الطبيب الجاهل رسول ملك الموت اذ يجمله يستعمل من الادوية ما عساه يهيج المرض ويعين من الاغذية ما يساعده على قسوته فيفضي ذلك الى هلاك المريض وقد كان بدونه محتمل الشفاء بمقاومة الطبيعة لولا مساعدة الجاهل وعونه. وكما يلزم للطبيب ان يكون عالماً بجميع ما قدمنا يجب ان يكون شقيقاً رحيماً صادقاً أميناً لا يكون قصارى عمله ما يناله من جعل المألجة فإنه ان كان قسياً عديم الرأفة أو كان خائفاً لم يجر بما صار آلة في أيدي اعداء المريض يستعملونه لهلاكه بل لقائه السليم في الادوية مثلاً أو اهماله في العلاج بما يقدمونه اليه من المرض الفاني وكذلك ان قصر همه على ما ينال من الدينار والدرهم فإنه ان كان على تلك الصفة لم يكتوث بحال المريض مادام يوفى أجر عمله فإن هلك فقد نال ما يزيد عن مكافأته وان امتد المرض زاد الايراد بتوارد الاوقات فعدمه أيضاً خبر من وجوده وكما ان روح الحياة البدني انما يستقر حيث تجتمع اصول متضاربة ينشأ من تقالبا مزاج معتدل كامل وبغلبة أحدها يفسد التركيب وينذهب الروح الحيوي من حيث أتى كذلك روح الكمال الانساني انما يكون حيث تجتمع أخلاق متضادة وملكات متخالفة يقوم من تضادها وتخالفها حقيقة الفضيلة المتعددة التي هي ركن لبيت سعادة الانسان وعليها مدار حياته الفاضلة فإن تغلب أحد الخلقين على الآخر فسد نظام الفضيلة واستحكمت الرذيلة وبات شقياً سيئ الحال وسقط في مهواة التمسك والعناء المضيين الى الحزن والهلاك. ألا ترى ان النفس الانسانية

لا بد لها من خلق الجرأة وخلق المحافة وهما متضادان ومن مقاومتها على وجه معتدل يبحث يستعمل كلاهما ليق به من المواقع تحقق فضيلة الشجاعة التي لو فقدت بتغلب المحافة لكان فاقدها عرضة لتعدي جميع الحيوانات عليه ولم يستطع عن نفسه دفاعا وكانت حياته تحت خطر يتهده في جميع أوقاته ولوان الجرأة تقلبت على المحافة حتى ذهب أثرها كانت تهورا وعدم اكتراث بالمهاك لحق ولنير حق بدون تبصر ولا مراعاة حكمة فليتي بروحه في مهاوي الملكة بلا طائل يعود على نفسه أو وطنه. وكذلك لابد من خلق الامساك والبذل وهما متخالفان متعارضان يقوم من تقابلها في النفس فضيلة السخاء وهي البذل في موضع الاستحقاق اذا اعتدلا ولوان الامساك تغلب على ضده حتى اضحل فيه لاسك عن قضاء لوازمه الضرورية فلا يأتي باللائق من الاغذية والالبسة مثلا فيضر يده ولم يوف بمحقوق مشاركته في المعيشة كزوجته وولده أو في التعامل كجيرانه وأهل بلده فيقع الشقاق بينهم ويتأذى به الى شقاء دائم وغير ذلك من مفاسد البخل التي لا تنحصر ولو تغلب البذل لأنفق جميع ما بيده في المفيد وغير المفيد حتى يصبح فقيرا لا يجد ما ينفع في أزم لوازمه فيهلك وهكذا جميع الملكات الفاضلة الانسانية انما هي واسطة لطرفين متضادين لابد من ظهور أثر كل منهما على نسبة معتدلة وبقلة أحدهما على الآخر يحتل نظام الفضيلة ولا محالة ينهدم بيت السعادة دنيوية كانت أو أخروية ولا يسمننا المقام لتفصيل ذلك. وكما يقع العناد بتغلب أحد الضدين على الآخر في النفس يقع أيضا بتغلب أمر خارج على مزاج الفضيلة كغلبة التربية الفاسدة المغذية للنفس الفاسد بمخالطة ذوي الملكات الرذيلة والفرار من الناقصة وافعال النفس بحركاتهم وسكناتهم وتقليدها لاعمالهم وتقليدها بماداتهم أو باستماع إغواء ذوي الاهواء وتوحيهات أرباب الاعراض الفاسدة الدنيئة المذيعين للأفكار الرديئة المؤيدين للعقائد الباطلة التي ينبعث منها سوء الاخلاق المؤدي الى فساد المعيشة فلتنفوس علل وأمراض كما للابدان ذلك

ومن ثم قد وضعت علوم التربية والتهديب لتحفظ على النفس فضائلها وتردها عليها ان اعتلت وانحرفت عنها الى جانب النقص والاعوجاج كما وضع الطب

ولوازمه لحفظ صحة البدن كما ينبتا فالحكماء العمليون القائمون بأمر التربية والارشاد وبيان مفاصل الأخلاق ومنافعها وتحويل النفوس من حالة النقص الى حالة الكمال بمنزلة الأطباء وكما لزم للطبيب أن يكون عالماً بالتاريخ الطبيعى والنباتات والحيوانات وعلل الامراض وأسبابها ودرجاتها من شدة وضعف كذلك يلزم للحكيم الروحاني طيب النفوس والأرواح اذ اذرقى منبر الارشاد ان يكون عالماً بتاريخ الامة التي قام بإرشاد أبنائها وتاريخ غيرها من الامة أيضاً وأن يكون مطلعاً على درجات ترقيا ودركات تدنيا في جميع الازمان وان يسبر أخلاقها بمسبار الحكمة ليعلم أسباب أمراضها النفسية ويقف على درجات الداء ويمكنه فيهم وأنه حديث أو قديم قوي في النفوس أو ضعيف وما هو العلاج اللائق بكل صنف. وكانه يجب على الطبيب البدني ان يكون على علم تام بمنافع الأعضاء وغاياتها كذلك على الطبيب الروحاني ان يكون عالماً بمنافع الأخلاق ومضارها على طبق ما في نفس الامر والواقع. وكما يلزم ان يكون الطبيب شفيقاً رحيماً صادقاً أميناً لا ينظر الى الدنيا ولا ينحط الى المقاصد السافله كذلك على النصحاء والمرشدين ان يكونوا من ذوي الاستقامة والفضيلة مرتفعي الهمم أولي مقاصد عالية لا يبيعون الفضيلة بمطام الدنيا ولا بالقرب والتزلف الى الامراء والكبراء

أولئك هم المرشدون الحقيقيون فان رزقت الامة بمثلهم فبشرها بالسعادة وان رزقت بمطيين لأطباء، بأن سعد على منابر النصح فيها الجهلة والاغبياء، والسفلة والادنياء، فأنذرها بالعناء والشقاء، فإن المرشد الضال والنصح الجاهل ودع النفوس رذائل الاخلاق باسم أنها فضائل وينرس فيها جرائم الشر باسم أنها أصول الخير ولربما كان مقصده حسناً ولا يريد الاخيراً ولكن جهله يعميه عن سلوك طريقه ويبعده عن اتخاذ وسائله فتقع الارواح في الجهل المركب وهو شر من الجهل البسيط فإن ذا الثاني على باب الفضيلة لا يلبث ان فتح له ان يلججه وصاحب الاول قد بعد عن المقصد بمراحل واستتر تحت نفع الرذيلة واعتقد ذلك ظلاً ظليلاً فلا يمكن المدول عما وقع فيه الا بعد مكابدة شديدة وعناء طويل فلا ريب كان عدم هؤلاء المرشدين خيراً من وجودهم وكذلك ان كان خائناً أو دنياً ينحط الى سفاسف الامور أو عديم

الشقة والانسانية فإنه يتخذ الصبغة سلماً للوصول الى اغراضه الفاسدة ومطالبه الذاتية فلا يبالي أوقع الافراد في خيبر أو شر، صفت النفوس أو تكذرت، ارتفعت الآداب أو انحطت، صحت الارواح أو اعتلت، فيكون آلة يد الاشرار وأولي الاهواء يستعملونه في فساد الامة والعشيرة لقضاء أوطارهم الا وان القائمين بأمر الارشاد يحصرون في قبيلين قليل الخطباء والوعاظ وقيل الكتبة والمصنفين ومنهم أر باب الجرائد فإن كانوا على نحو الاوصاف الكاملة اللازمة لمقامهم هذا كما تقدم فقد استحقوا التعظيم والاحترام، والتبجيل والاحلال، واستوجبوا الشكر والثناء من كل قلب مخلص وقاموا بخدمة أوطانهم وأبناء بلدتهم وإلا استحقوا الرض والطرد والاباد ووجب على من يهمهم أمر الاصلاح ان يقدفوا بهم من البلاد كي لا يفسدوها بمرضهم الو بائي الذي لا يقتصر ضرره على المتبلى به بل يمتداه بالسراية الى كل ما سواه

المقالة الثانية - الصناعة

قد عاد حضرة الاستاذ الفاضل والفيلسوف الكامل السيد جمال الدين الأفغاني الى التدريس بعد فترة تزيد مدتها عن سنة فابتدأ حفظه يقرأ شرح إشارات الرئيس ابن سينا في الحكمة العقلية وهو كتاب جليل يحتوي من هذا العلم أصولاً جلية غرست أصولها في بلاد المشرق من مدة تقرب من ألف سنة الا انها نبتت فروعها في المغرب واجتثت ثمارها لغرب غارسيا ولم تزل في بلادنا على كليتها واجمالها لم تخرج نتائجها العقلية من حد القوة الى الفعل الا أن هذا السيد الفاضل قد جمع في تدريسه بين تدقيق الشرقيين وبسط الغربيين يجمع الى الاصول فروعها والى المقدمات نتائجها والى المجملات تفاصيلها باناً جميع أقواله على البراهين الثابتة والحجج القوية ولما كانت دروسه العالية عظيمة الفوائد جمة الثمرات للعموم رأيت من الواجب قياماً بالخدمة الانسانية ان أودع بعضها قوالب العبارات الالاقية بها وانشر طيب وفدها في صف الجرنالات لنعم الفائدة والله يتولى التوفيق

يُن حفظه الله وأثبت ان الانسان نوع من أنواع الحيوانات الارضية

(لا كما يزعمه أرباب الاوهام كالصينيين وقدماء الفرس من أنهم من أبناء السماء فليترك من له فطنة) وأنه قد أتى عليه حين من الدهر وهو على مقربة منها ينشأ نشأها ويسير في عيشه سيرتها بتفياً خلال الأشجار، ويستكن في المحرة والاوكار، ليس له شعار ولا دنار، (ولكن خفيف أشعار) يقتات بنباتات وثمرات تحضرها له القدرة الآلهية، على يد القوى الطبيعية، لا تمسها يد صناعية، ولا تربية أجنبية، ليس له من المكر والتحيل الا ما لا يداني فيه الثعلب، ولا من العلم والتدبير الا ما يعشيه علي القدر لطلب قوته من الاعشاب وثمار الاشجار والرواح للاستكنان في كني يواريه عن أعين الحيوانات العادية، والفرار من المكراه الحسية، كما تفر الشاة من الذئب، والارنب من الثعلب، ولم يكن له من رفعة القدر ما يجلسه على كرسي سلطنة الوجود، ويقيمه متحكماً في كل موجود، ويدعوه للحكم بأنه خلاصة العالم ومتهمي سبر الحقائق وعماد عالم الكون وأن جميع البسائط والمركبات انما خلقت لاجله، والكواكب والسيارات انما تتحرك لخدمته، بل كان ضعيفاً عاجزاً جاهلاً حافياً عارياً يزججه كل حادث، وتستغزه كل نبتة، ويتهب من كل شكل وهيئة، والشاهد على ذلك ما تحكيه لنا احوال الامم التي كأنها قريبة عهد بالانسانية في جنوب أفريقيا والقبائل المستمرة في قم الجبال والاجم والغابات البعيدة عن العمران البشري المعروف الذين لم تضطرم الحاجات ولم تسفهم الضرورات الى الانتقال من مكان الى مكان فانهم لم يزالوا على سذاجة الحيوانية وبساطة الفطرة لا يفهمون خطاباً، ولا يحسنون جواباً، الا ما كان متعلقاً بضرورة الحياة كجلب قوت بسيط ومدافعة عادية من الحيوانات وجميع ما يمدد الانسان المتمدن كالاوانسانية فهم يعبدون الله، عارون عنه، مع بعد تاريخهم وامتداد زمن وجودهم على سطح الارض

الا أن مبدع الكون جلت قدرته لما اختص هذا النوع من بين الأنواع الحيوانية بمخاصة العجز والفقر والحاجة حيث جعل جميع لوازم حياته خارجة عنه لا يتحصل الا بالتحصيل وليس تحصيلها الا بعد الكد والعناء وبه قوة عاقلة كلية التصرف، عامة القبول، و لكل تربية هذه القوة الى تعليم مدرسة الوجود الكلي فكان لكل نبات وحيوان بل لكل موجود مشهود حق الاستاذية وسابق الفضل

على نوع الانسان فاسترشد بأعمالها. واحتدى بآثارها والتقط درر الحكم من فعلها وانفعاتها، وتدرج في ذلك شيئا فشيئا تارة بخطى وتارة يصيب، وطورا ينجلي له الحق وآخر عنه يغيب، مرة تعوقه العوائق القدرية والارادية عن ادراك الحقائق والوصول اليها، وأخرى تجذبها الجواذب اضطرارا للوقوف عليها، حتى وصل الى ما تراه من أحواله الغريبة، وآثاره العجيبة،

ثم بين حفظه الله كيف كان يتقلب الانسان في سيره هذا ويقطع عقبات المضاعف، ويخترق حجب الجهالات، متفاديا في جميع ذلك لقائد الحاجة والضرورة يا تبارك أمره، ويتبع سيره تارة يتدرج الى الكمال فيقعد مقعد رئاسة الكون، وسلطنة الوجود، بما يرشده اليه من التفنن في الفنون واختراع الصنائع، وأخرى ينحط به الى قمر جحيم الاوهام، ويقذفه في جب الخرافات، ويكبله بقيود الاعتقادات السخيفة، ويغل يديه بسلاسل العادات والافكار الرديئة، على ان جميع اعتقاداته الفاسدة الباطلة إنما نشأت له من قياس حوادث الكون وظواهره على ما يصدر عن ذاته (الشريفة) حيث جعل لها غايات تحاكي غاياته على تفصيل طويل في ذلك مستشهدا في بتيانه بشواهد أحواله الآتية المشهودة، مستدلا بجميع أعماله المنقولة المبهودة

وانه في جميع مراتبه لم يكن ليقم ظهره بين الموجودات الا بدعائمه الصنائع التي هدته الى اختراعها تلك القوة العاقلة الكلية، لتكون له عوضا عما سلبه من اللوازم الضرورية والحاجية والكالية، التي منحت لغيره من الحيوانات بأصل الفطرة، وليس ذلك بخاف على ذي شعور فإن صنعة الحياة مثلا قائمة مقام القوة السامكة للجلود الغليظة المفروزة للأشعار والابواب الواقية لما أحاطته من صولة اليد والحر بل القائمة مقام ترس بحفظ جوهر بدنه من تمزيق عادية غمره، وصناعة المدد والاسلحة منزلة منزلة القوة المولدة للمخالب والبرائن والانياب لتسبيح والتمجيد وعوادي الطيور وهكذا بقية الصنائع وما لم يقع منها مقام ضروري أو حاجي، مقام كلي على ما يتضح لك بعد

واذا كانت الصنائع هي قوام هذا النوع وتليها مدارك بقاءه في أي زمان ومكان كانت رأينا من الواجب ان نعرف الصناعة ونقسمها الى أقسامها الثلاث

ماقرره الحكماء الاقدمون، وأوضحه الفلاسفة المتأخرون، ليتين شرف كل صناعة على وجه الاجمال فنقول

الصناعة قوة فاعلة راسخة في موضوع مع فكر صحيح نحو غرض محدود الذات فالقوة منشأ الاثر مطلقا فعلا كان أو انفعالا فالعلم مثلا ذو قوة الفعل والمتعلم ذو قوة الانفعال الا ان قوة التأثير والقبول لا تعد صناعة ومن أجل ذلك قيدت بالفاعلة وليست قوة فاعلة صناعية ما لم تكن تلك القوة راسخة في موضوعها تصدر عنها أعمال مستمرة على وجه منتظم فالقوة الحالية التي تعرض آنا وآنات ثم تزول ليست منها في شيء وما لم يكن فعلها تحت سلطان الفكر فلا تدخل في مفهوم الصناعة كالأفعال الطبيعية من احراق النار وتعديد الحرارة وتجميد البرودة وما شاكل ذلك فان لم يكن الفكر صحيحا كفكر السوفسطائي المنكر لبداهيات العلوم أو كان نحو غرض غير محدود الذات كاعمال الجدلي الذي أخذ على نفسه ان لا يقر قولاً لقائل أياً كان حقا أو باطلا فليس له حد يقف عنده بل قوته متوجهة الى معارضة مقابله فان كان نافيا كان هو مثبتا وان كان مثبتا كان هو سالبا فليس بصناعة

ثم ان نظر في عالم الوجود الكلي علم اليقين انه وان وقع كثير من صورته وكالاته تحت قوى طبيعية كقوى النمو والجذب والدفع أو قوى احساسية كقوى طلب الغذاء مثلا في الحيوانات أو الحرب مما يؤلم الجئان الا ان عامة أفعاله واقعة على ترتيب عقلي محكم ونفسي بالترتيب العقلي ما يكون مبنيا على مراعات الغايات والحكم وفوائد الكمال التي تعود على نظام الكل وتبقى يبقائه فان العقل على خلاف الحس انما ينظر الكلي الباقي أولا ثم يتدرج منه الى الجزئي لا العكس

وان وازع هذا النظام العام قد خول الانسان من قوة العقل ما لم يحوله غيره وجعلها محور صلاحه وفلاحه ان وجهها صوب وجهتها الحقيقية فان استعملها لغايات طبيعية أو حسية أي قاصرة على موضوعها المودعة فيه لا تفيد سواه كأن يطلب بها تنمية بدنه أو جلب ما يلائم ذائقته أو نهامته وما يشبه ذلك فقد أضاع تلك القوة

العالية الشريفة وسلخ عنها ثمرتها وأنحط الى درجات الحيوانات بل النباتات التي لم تمنح تلك المنحة الجليلة واما من حفظ نفسه من السقوط وامسك عليها حق تلك الخاصة أعني العقل فهو الذي ينظر الى كلية العالم الكبير فيعلم ان نوع الانسان وسائر الانواع من لوازم كماله أو متماته فيتوجه نحو حفظ ذلك الكمال ويوقن ان نوع الانسان لا يحفظ بقاءه في عالم الوجود الا بحفظ أشخاصه على التعاقب كما نبأنا اللطيف الخبير بما أودعنا من القوى المولدة والمصورة ويتحقق ان حفظ أشخاصه وافراده انما يكون بالاجتماع والالتزام لما لكل فرد من كثرة الحاجات التي يضيق نطاق وسعه عن ان يأتي عليها في الازمنة المتطاولة مع اضطرابه الى جميعها في الآن الواحد كما تراه في مواد الأغذية التي لا تحصل الا بزراعة وحصاد ودرس ثم طحن ثم عجن وخبز وطبخ وهلم جراً وجميعها أيضاً يتوقف على صناعات كثيرة من حدادة ونجارة ونحوها ولوازم الاكتساء من العرى وضروريات المدافعة والمكافأة مع ضواري الحيوانات كل ذلك لا يكون الا بأعمال تستفرغ أجل الشخص الواحد في تعلمها فضلاً عن تحصيل غايته منها فكيف به ان يستقل وهو محتاج الى ثمرات جميعها يوماً بل ساعة بساعة فلا بد من التعاون في الاعمال ليعتاض كل عن ثمن عمله بشرة عمل الآخر فيكون المجموع الانساني كبذن ذي أعضاء ويعمل كل عضو منه لئلا يكون عاقبته لنفسه اذ لو طلب الاختصاص - مع انه لا بقاء له الا في ضمن المجموع - فقد طلب فقد نفسه من حيث لا يشعر فاذا علم جميع ذلك وضع نفسه عضواً حقيقياً وركناً ثابتاً يقوم بأداء عمل يعود على كلية الافراد أولاً من طريق كليتهم ويعود الى شخصيته ثانياً ومبدأ هذا العمل فيه هو الذي نسميه بالصناعة فمن لم يكن ذا عمل حقيقي يفيد المجتمع الانساني ويعين على انتظام الهيئة الكلية فهو كالمعضو الأشل لا فائدة منه على البدن الا تكلف حمل ثقله مع عدم التألم من ازالته فالاولى ابانته وقطعه بل ان كان لا يعمل ويسعى الى بقية الافراد في عدم العمل كالاباحية الذين يعتقدون انه لا ملكية لأحد في مال ولا عرض حيثما جاعوا أو كوا أو شبقوا واقموا ويشنون أفكارهم بين افراد النوع ليقتدوا بأعمالهم ويسيروا بمثل سيرهم فيتركون الأعمال اتكالا على ما يبد الغير

(المنار ٤:٤) (٣٥١) (المجلد التاسع)

حيث انه مباح لهم فان تغلبت أفكارهم بطلت الصنائع وذهب ما بيد الغير وما بأيديهم فيحتاجون الى الضروري من الاقوات وغيرها ولا يمجدون فيهلكون فأولئك كالأمراض السارية مثل الجذام والزهري لا بد من قطع العضو الموف « المصاب » بها وإلقائه في النار لئلا يتعدى ضرر مرضه الى سائر البدن ومن هذا القبيل الفساق والفجار وان لم يكونوا إباحيين فان أعمالهم قد تكون قدوة لغيرهم فيأتي من ضررهم ما أتى من أولئك فينبغي ان يعاقبوا ويؤدبوا ويحال بينهم وبين أعمالهم هذه بكل ما يمكن وان كانت بالتعذيب حتى يستقيموا أولاً يقيموا

ومن الناس من مثله مثل الأمراض الغير السارية والاعضاء الزائدة كمن أصيبوا بالآفات المانعة لهم من تعاطي الاشغال كالسكران والبله والمجانين فلا بد ان يتحمل ثقلهم ان لم يمكن استشفائهم فراراً من ألم القلب عند اختر الهلهم واقتطاعهم لما لهم من المنفعة القائمة اذ حيث ان مدبر الكون قد حرهم عطاء العقل أو عطل فيهم آلات خدمته فهو غير مطالب لهم بأداء فروضه أو قضاء حقوقه الا ان الحق الأعلى قد بث في النفوس وأودع في القلوب النفرة الكلية من هؤلاء وأولئك الذين لم يقوموا بالواجبات التي تقتضيها منهم صورة الانسانية فهم مبعوضون في النفوس مطرودون من زوايا القلوب ساقطون عن نظر الاعتبار بل هم ملعونون من أنفسهم أيضاً اذ يجد كل واحد منهم من نفسه عند ما يتخلو بها انه خسيس منحط الدرجة ردي العاقبة وان كان شقاؤه يغلب عليه فيما بعد فانظر الى حكمة ربك كيف تنبه الغافل وتؤيد العاقل ولكن أكثرهم لا يقولون

واما ذور البطالات ومن رفضوا الأسباب ووكلوا أنفسهم الى التوكل الكاذب اذ لم يتحققوا معنى التوكل وظنوا انه عبارة عن معارضة سنة الله التي قد خلت في عبادته ودعوا ذلك تبطلاً واقتطاعاً عن عالم الظاهر مع أخذهم لكشكول التكشف وخلمهم لجلباب التعفف فهم بمنزلة شعر الأبط لا ينشأ عن تكافئه سوى عناء الحلك واستجلاب بعض المغفونات ان لم يتعهد بالتنظيف ويسحب ازالتهن ونقبة الهيبة الاجتماعية من درنهم فان بلغ من أمرهم ان يتخذوا ذلك أمراً يدعى اليه

وذهبوا في الناس يحولون وجوههم عن الاعمال ويقلدون أعناقهم مسيح المكر والحيلة ويسربلونهم بسرابل التمويه والزوير ويفرونهم بتأبط هراوة الشر واقتناء قدح الطمع يودعون نفوسهم اخلاق الشيطان من حب الرثاء الكاذبة وطلب الدنيء من الدينار من كل وجه والحدق والحسد والعداوات وغير ذلك ويحبسون ذلك بأستار من التليس (الغيب المتظلم) ثم يوصونهم أن أخرجوا أيديكم من تحت تلك الاستار طالبين انتهاب أموال الناس والاستئثار بشمات اكتسابهم باسم انهم وانهم وانهم (كما ترى) وجب إلحاقهم بالاباحيين ونحتم على كل ذي شعور من بني النوع ان يسعى لقطع دابرهم واستئصال شأفتهم كيلا يفسدوا أفكار العامة وأعمالهم ويعود ويل ذلك كله على العامة والخاصة معا . وبالجمله حيث تبين ان لا قوام للانسان الا بالصنعة فنأخل بوظائفها وأورامها بالنقد فقد عمد الى هدم بنيان الانسانية فعليها ان تطلده من أبوابها وتمحو اسمه من كتابها

ثم ان الصنعة على التعريف المتقدم تنقسم الى اقسام اما نافعة ضرورية أو غير ضرورية وإما أن تكون كثيرة النفع أو قليلة أو متممة لفعل الطبيعة أو مزينة له فالقسم الاول كالحداثة لأنها ما يحتاج اليه جميع الصناعات العملية والثاني كقصر الثياب مثلا والثالث هو ما يكون الغاية منه نفع الانسان لا غير كالحسكة التي هي مقننة القوانين وموضحة السبل وواضحة جميع النظمات ومعينة جميع الحدود وشارحة حدود الفضائل والردائل وبالجمله فهي قوام الكمال العقلية والخلقية ومن هذا القسم الحكومة العادلة والرابع (أي الذي هو خير بالواسطة) كالزراعة والكتابة فإن لما غايات سوى نفس الانسان لكنها تؤل إليه والخامس (وهو الكثير النفع) كالنجارة والتجارة مثلا والسادس كصناعة الصيد وما شاكلها والسابع كعلم الطب المتمم لأفعال القوى الحيوانية المساعد لها على إتمام وظائفها والثامن كالصبغة والنقش والتلون وغير ذلك ثم ان شرف كل صناعة وكل فن بموم موضوعه وشمول غايته وان أعمم الاقسام موضوعا هو صناعة الحكمة لما بيننا من انها الباحثة عن كل ما يلزم للانسان اتخاذها في أعماله وأفكاره وأخلاقه فهي أشرف الصناعات والحداثة وان كانت عامة لكنها من الحكمة بمنزلة الخادم المتقاد من السيد الحاكم الأسراء

الشيخ محمد عبده

(هذا عنوان الفصل السابع من تقرير اللورد كرومر عن مصر والسودان لسنة ١٩٠٥ قال)

اختلطت المنية في السنة الماضية رجلا مشهورا في الهيئة السياسية والاجتماعية بمصر اريد به الشيخ محمد عبده فأحييت أن أسطر هنا رأيي الراسخ في ذهني وهو ان مصر خسرت بموته قبل وقته خسارة عظيمة

لما أُنيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده من المندوب عليهم لانه كان من كبار الزعماء في الحركة العراية . غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبعا لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضيا في المحاكم الاهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة وفي سنة ١٨٩٩ رقي الى منصب الافتاء الخطير الشأن فاصبحت مشورته ومعاوته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الاسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن واذا كر مثالا على نفع عمله الفتوى التي افتاها في ما اذا كان يحل للمسلمين تدمير مواهلهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم بابا به يحل لهم تدمير مواهلهم فيها من غير ان يخالفوا الشرع الاسلامي في شيء (١)

أما الفتنة التي ينتهي الشيخ محمد عبده اليها من رجال الاصلاح في الاسلام فمروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد

(١) قد علم قراء المنار من قبل أنه لما قال الاستاذ الامام بذلك جمع الامير طائفة من علماء المذاهب عنده فنظروا وانفقوا على الطريقة وكتبوا ما قدمه الامير للحكومة وهي عرضته على المفتي وعلمت بما أقره

أحمد الشير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكده بالهند منذ ثلاثين عاماً. والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي اصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعموا أن الدين الاسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني. فملهم شاق وقضاؤه عسير لأنهم يستهدفون دائماً لسهام نقد النافذين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء اغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين

اما مريدو الشيخ محمد عبده واتباعه الصادقون فوصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون وهم بالنظر الى النهضة المالية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسية فالمسلمون المتتبعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلال والخروج عن المعراط المستقيم فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين اليهم ويسيروا بهم في سبيلهم. والمسامون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الاسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة. فهم وسط بين طرفين وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزين آخرين غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين اذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت

ولا يدري الا الله ما يكون من أمر هذه الهيئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها فالزمان هو الذي يظهر ما اذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولاً. وعسى الهيئة الاجتماعية ان تقبل آراءها على توالي الايام اذ لرب عندي في ان السبيل القويم الذي ارشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير

منه ابني ملتهم اذا ساروا فيه . فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين

والملمهم يجدون بعض التنشيط من نقل قولاً لرجل من أهل دينهم وصف فيه المعارضة التي نقيتها مدرسة عليكده الكلية المذكورة آنفاً والطريقة التي تغلبوا بها على تلك المعارضة

بعد ما وصف السيد محمود قلة اهتمام المسلمين في الهند بتعلم العلوم منذ أربعين أو خمسين سنة قال «وكان هؤلاء السادة المسلمون مستائين من قلة تقدم المسلمين في تعلم العلوم العالية غير أنهم كانوا مستائين من أنفسهم أيضاً ومتحسرين على العلوم التي أهملوا تعلمها . ولكنهم لم يكونوا ممن يكتفي بالتشكي والتدمير ويقتصر على اللوم والتعنيف بل انهم لما علموا علة الشر وأصل البلوى عقدوا النية على اكتشاف علاجها أيضاً فأنشأوا جمعية شيخها السيد أحمد خان الذي قضى العمر مجاهداً في سبيل تهذيب العقول بالعلوم والمعارف وجعلوا غايتها المظى البحث عن وجوه الاعتراض التي يعترض بها المسلمون على التعليم الذي تعلمه حكومة الهند في مدارسها ومعرفته التعليم الذي يرجون استبداله به . فأتضح لهم ان الرجوع الى أساليب التعليم التي كانت متبعة في الشرق قديماً أضحي ضرباً من المحال . ورأوا على ما بهم من الاكرام والاحترام لتقاليد السلف والاستعظام لكنوز العلوم والآداب التي توارثوها عن آبائهم ان التعليم الذي يرقى قومهم الى درجة تلائم التمدن المحيط بهم ويردهم الى مقام يشعر فيه بثقوتهم وتأثيرهم انما هو التعليم المبني على الاعتراف بتقدم العلوم الواسع الابواب ، الدقيق الدروس ، المحبب الى المتعلم كل أمر بدعي عجيب في علوم البلدان الأخرى وآدابها

وفلسفتها فكانت هذه السمة منهم في العقل والاصالة في الرأي اعظم خطر على مشروعهم في بادية الامر لانهم لو دعوا جموع المسلمين الى قبول رأيهم المبني على مبادئ لا تخالف الدين الاسلامي بالذات بل تخالف التفاسير التي يفسر بها أكثر المتدينين به لاستفزت الدعوة جموع المسلمين الى المعارضة واقامت على الجمعية القيامة . وكانت الجمعية تعلم ذلك وتصابر عليه لا تظارها الفوز في النهاية فبقيت مدة وليس من يؤيدها عن طيب نفس حتى ضعفت المعارضة شيئا فشيئا امام شجاعة المصاحين وثباتهم . ثم أيدهم رجال خطيرو الشأن مثل المرحوم السرسار جنك تأييدا ماديا من جهة ومعنويا من أخرى في اعتبار الذين يعدون الاسم العظيم ضمانا عظيما . وكان أعضاء هذه الجمعية متخلفين بأخلاق مجملهم وتزهمهم عن كل غاية شخصية فزالت الأوهام بعد ادراك حقيقة بدعتهم الرهيبة وانقلب بعض الذين كانوا أعداء خصومهم الى أشد الأنصار غير عليهم . وقد مضى ثلاثة عشر عاما (١) على اجتماع الجمعية لوضع مشروعها وظني أن الذين كانوا أقوى أعضائها آمالا في نجاح مسعاها لم يكونوا يتصورون انها تنجح النجاح السريع الذي عاشوا حتى شاهدوه « انتهى اهـ

أقول في تلك المدرسة الآن ٧٠٠ طالب ولو كانت تسع غيرهم لكان فيها أكثر منهم ومعظم الذين فيها من الهند ومنهم طلبة من بلاد الصومال وفارس وبلو خستان وبلاد العرب وأوغندة ومويتيوس ومستعمرة الرأس ويثيني انه لو قصدوا الطلاب من مصر لاستقبلوا فيها بالسرور والبشاشة وأُترلوا على الرحب والسعة

(وقال في أواخر الفصل الذي تكلم فيه على الحاكم الشرعية (ص ١٣٢) ما نصه:
 « هذا واني أوافق السر ملكوم مكرث على ما قاله عن الضربة
 الثقيلة التي أصابت الإصلاح من هذا القليل بموت المرحوم الشيخ محمد
 عبده فقد اشترت الى خدمات ذلك الرجل الجليل في فصل آخر من هذا
 التقرير وأعود فأبسط الرجاء أيضا ان الذين كانوا يشاركونه في آرائه
 لا تخور عزائمهم بفقد بل يظهرون احترامهم لذكراه أحسن اظهار بترقية
 المقاصد التي كان يرمي اليها في حياته » اهـ

أما ما أشار اليه من كلام السر ملكوم مكرث المستشار القضائي في تقريره
 عن الحاكم فما هو بنصه

ولا يستغني ختم ملاحظاتي على سير الحاكم الشرعية في العام الماضي بغير أن
 أتكلم عن وفاة مفتي الديار المصرية الجليل المرحوم الشيخ محمد عبده في
 شهر يولييه الفائت وأنا أبدي شديد أسفي على الخسارة العظيمة التي أصابت
 هذه النظارة بفقدته فقد كان خير مرشد لنا في كل ما يتعلق بالشرعية
 الإسلامية والحاكم الشرعية وكنا نرجع اليه كثيرا للتزود من صائب آرائه
 والاستئناس بمساعدته الثمينة وكانت آراؤه على الدوام في المسائل الدينية أو
 الشبهية بالدينية سديدة صادرة عن سعة في الفكر كثيرا ما كانت خير معوان
 لهذه النظارة في عملها. وفوق ذلك فقد قام لنا بخدمة جزيلة لا تقدر في مجلس
 شوري القوانين في معظم ما أحدثناه أخيرا من الإصلاحات المتعلقة بالمواد
 الجنائية وغير هامن الإصلاحات القضائية إذ كان يشرح للمجلس آراء النظارة
 ونياتنا وناضل عنها ويبحث عن حل يرضي الفريقين كلما اقتضى الحال ذلك
 وأنه ليس بمتوهم ما خسرناه بموته نظرا لسمو مداركه وسعة اطلاعه

وميله لكل ضروب الإصلاح والخبرة الخصوصية التي اكتسبها أثناء توظيفه في محكمة الاستئناف وسياحاته الى مدن أوروبا ومعاهد العلم . وكانت النظارة تريد ان تكل اليه أمر تنظيم مدرسة القضاة الشرعيين المزمع انشاؤها ومراقبتها مراقبة فعلية . أما الآن فانه يتمتع بوجود أحد غيره حازر للصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة ولو بدرجة تقرب من درجته فلكل هذه الاسباب اخشى ان نظارة الحقاينة ستظل زمناً طويلاً تشعر بخسارتها بفقد هه كلام المستشار

العبرة في كلام اللورد كرومر

من تأمل كلام اللورد في هذا الفصل وتلك الشدة استفاد منه ضروباً من العبرة والحكم تدل على ان هذا الرجل الاجتماعي الكبير قد علم من شؤون المسلمين — وهو أجنبي — ما لم يعلمه الرؤساء من علمائهم وأمرائهم ، فضلاً عن أوساطهم ودعائهم ، فإني أن نبين ذلك مع شيء من الشرح والرأي

العبرة الأولى بآيانه لخال المسلمين

ذلك انه قسم المسلمين الى ثلاثة اقسام — (الأول) المتعلمون المحافظون على كل قديم جروا عليه وهم السواد الأعظم وتقول انه قد بلغ من تنطعمهم في جودهم على ما ألفوا ان كان من أشد الصعوبات التي لاقتها الدولة العلية في سبيل التعليم العسكري في طرابلس الغرب محافظة الأهالي على زيهم المعروف وحسبانه من أمور الدين وإن أهل مراکش لأشد تنطماً وجوداً على ذلك ولا يخفى على من شاهدوا حركات العساكر في الحرب أوفي التعليم أن لبس البرنس والرداء المعروف بالحرام من عوائق خفة الحركة وموانع اتمان كثير من الأعمال التي تتوقف عليها البراعة العسكرية . ولا يختلف عاقلان في كون البراعة في الأعمال العسكرية ومن أهمها خفة الحركات والنظام في النقل والانتقال هي أعظم اسباب الفوز والظفر . فهذه

عادة ليست مما توجبها عقائد الدين ولا عباداته ولا فضائله وآدابه قد صارت عقبة كؤدا في طريق رقي المسلمين ، وعزة الاسلام وحماية الدين ، فما بالك بغيرها من العادات ، التي تقوم على إلحاقها بالدين بمض الشبهات ، وهذا القسم من المسلمين تابع في صلاحه وفساده لشيوخ المعلم الديني وشيوخ الطريق الذين ينتمون إلى الصوفية فهو لا يصلح الا اذا صلحوا وأصلحوا أو زال اعتقاده بزعامتهم الدينية وقبض له بعد ذلك مصلحون آخرون .

(القسم الثاني) المتفرنجون الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه والله دره مآدق فكره اذ عرف أنهم مارقون من الدين ساقطون من نظر الاعتبار لاقية لهم في أنفسهم ، ولا صوت لهم في أمتهم ، وسنعود الى ذكر ذلك

(القسم الثالث) المصلحون الذين يريدون إصلاح حال المسلمين الاجتماعية مع المحافظة على الدين لعلهم ان كل فساد طرأ عليهم فنصم عن مجازاة الام في أسباب العزة والقوة انما هو من العادات والبدع لا من جوهر الدين .

وقد ادرك اللورد بصائب فكره ان هذا القسم هو الوسط الذي يرجي خيره بين المتطمين في جودهم والمتشككين في تفرنجهم . قال ان هذا الحزب معروف في الهند أكثر مما هو معروف في مصر وان منه السيد أحمد خان مؤسس مدرسة عليكه الكلية منذ ثلاثين عاما . وتقول ان الزمن الذي قام فيه أحمد خان بعمله هذا هو الزمن الذي كان السيد جمال الدين الافغاني يئذ في بذور الإصلاح في مصر بمساعدة الشيخ محمد عبده الذي تلقى عنه وتخرج على يديه (وترى في هذا الجزء مقالاتين من المقالات الإصلاحية التي تلقاها عنه ونشرها في جريدة مصر التي كانت أنشئت بإرشاده) وكان السيد جمال الدين فيما نظن أقدر من السيد أحمد خان على الإصلاح لولا أنه فطن بالسياسة فحالت دون إتمام عمله في مصر ولم يتمكن من عمل يذكري غير هاسوي ما كان يكتبه في أوروبا من المقالات الموقظة . لذلك كان الاستاذ الإمام جازما بأن مسألة السياسة واتقاءها شرط للتمكن من الإصلاح كما يينا في ترجمته . وغرضنا من هذه الكلمات بيان أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر الى الاشتغال بالاصلاح وانما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية التي أسسها أحمد خان وقد عزم الاستاذ

الامام أن يؤسس في مصر مدرسة خيرا منها لكن النية عاجلته قبل ذلك فقدمات قبل وقته كما قال اللورد وقال كل عاقل عرفه

وليعلم مسلمو مصر أن مدرسة العلوم في عليكمه لم تنجح الا لأن مؤسسيها كانوا من عهد زعيمهم السيد أحمد خان الى الآن على وفاق مع السلطة الانكليزية وتحسين للظن بها فكانوا خيرا للثمة ممن جعلهم سوء الظن والكراهية بين معاد لعلوم الافرنج النافعة وبين خائف من كل عمل نافع للثمة، وأن الاستاذ الامام كان على هذا الرأي أي أنه لا بد لنا من العمل النافع للإسلام والمسلمين مع تحسين الظن بأن الانكليز لا يمارسوننا في ذلك ولا يمنعونا مما ينبغي الا اذا أدخلنا فيه السياسة وقصدنا مضارهم ومقاومتهم وحينئذ نكون أضرب على أنفسنا وأنفع لهم كما هي سنة الله تعالى في كل جاهل ضعيف يقاوم عالما قويا . وسأوضح هذه المسألة في موضع آخر

اماما أشار اليه اللورد من معارضة المسلمين للسيد أحمد خان وحزبه فلا يتوقع نظيره من مسلمي مصر فإن أولئك كانوا يعادون جميع العلوم التي يصفونها بالبدنية أو بالأوربية ويعدونها آفة الدين والمصريون ليسوا كذلك وإنما كان المتطعون من أهل الجود يخافون الاستاذ الامام على الدين من جهة تعليمه للدين اذ كانوا يظنون انه ينصر مذهب الفلاسفة أو المعتزلة على مذهب أهل السنة فلما قرأ العقائد والتفسير في الأزهر زال ذلك الظن بتماذي السنين وعلم أهل الأزهر كافة أنه ينصر مذهب السلف على كل مذهب يخالفه ولا يقدم على ما نطق به الكتاب ومضت به السنة النبوية قولاً لقائل . فأنحصرت بعد ذلك معارضة الاصلاح الذي كان يحاوله فيمن يعرف اللورد وغيره من أهل البصيرة أنهم إنما يعارضونه لاسباب شخصية بل صرح اللورد بذلك . لهذا كان كل شيء يخبر عنه للظن فيه يكون سببا لزيادة عرفان الناس بفضله حتى ان السواد الاعظم من الأمة المصرية صار معه في اواخر مدته . ولا يخفى هذا قول اللورد ان مريدي الشيخ واتباعه الصادقين قليلون فانه يعني بهذا الصادقين في طلب الاصلاح والعارفين بطرقه وهم قليلون بالطبع ولكن الذين يوافقونهم ويحسنون الظن في طريقهم كثيرون جدا بل هم الاكثرون . فمسي أن يوقعهم الله المضي في العمل الذي كان امامهم متوجها اليه وعند ذلك يظهر

صدق قولنا لاسيا اذا علم الناس ان الحكومة وما وراءها من القوة راضية أو غير
ساخطة على عملهم

بلغ من مقاومة السيد أحمد خان ان كان يطعن فيه على المناظر واستغنى بعض
علماء الحرمين في أمره فأنفوا بكفره ولم تبلغ مناهضة الاستاذ الامام في شدتها هذا
البلغ. ذلك بأنه كان أقدر على الاحتجاج بالدين لا يدعو اليه وأبعد من السيد
أحمد خان عن الشذوذ وأن مناهضه أقل غباوة وأضعف ارادة والأمة انبه منهم
وأقرب الى قبول الاصلاح من أهل الهند

العبرة الثانية ثناءه على الامام

صفوة العبرة الاولى ان اللورد عارف من أحوال المسلمين مالا يبرفهم وأمرهم
وعلماءهم فيعتقد بقوله فيهم. واما العبرة الثانية فيريد بها ما في ثناءه على الرجل وحزبه
من الانصاف وعرفان الفضل لأهله وما في تشييطه لهذا الحزب من قصد الخير وقد زاد
هذا الثناء قيمة صدوره بعد نشر كتاب (مصر الحديثة) الذي وضعه كاتب افرنجي
اسمه (غورفيل) وطبعه بالفتن الانكليزية والفرنسية وقد اشترى الكتاب بفصل فيه
معزوا الى فقيدنا المرحوم فيه انتقاد شديد على الحكومة المصرية والمحتلين الذين
يدبرون أمرها ويدبرون دفتها وقد رجته أكثر الجرائد اليومية ولكن الرجال
العظام تبني أحكامها على الصفات والأعمال لا يصدها عن مقاصدها قيل وقال ،
واللورد ونظار الحكومة ومستشاروها قد تعودوا من فقيدنا المرحوم قول الحق الذي
يعتقده في كل ما يخاطبهم به خطابا رسميا أو غير رسمي وناهيك بتقريره عن الحاكم
الشرعية وبما ناقشته لناظر المعارف في مجلس الشورى في انتقاد التعليم بمدارس
الحكومة. وقد كان اللورد العظيم يصح آراءه غير الرسمية موضع الاعتبار كراية في ضرر
إلغاء النيابة العمومية وكانت الحكومة قد عزمت على ذلك وكادت تنفذه فرجعت عنه
فهل يعتبر بهذا رجالنا الذين يمنهم الجبن ان يقولوا لكبراء المحتلين ما يعتقدون
في المصالح والأعمال ؟ ألا يكفهم ثناء اللورد والمستشار القضائي على الاستاذ
الامام بما أنثيا به بعد موته واحترامها وسائر كبراء المحتلين له في حياته برهانا على
أن القوم رجال جدد يجلسون من يقول الحق في السر والجهر ويدمل بالاخلاص

في الخفية والعلن سواء وافق رأيهم أو خالفه ما لم يكن حربا لهم، وأنه لا قيمة لأهل الدهان والرياء في أنفسهم وحسبنا هذا لا يمتاز في هذا المقام هذا ولعلم الذين يقولون ان اللورد لم يكتب في الرجل أكثر مما يجب أو ينتظر أولم يوفه حقه ان تقرير اللورد ليس تاريخا لمصر ولا كتابا في مناقب العلماء والحكام وإنما هو تقرير رسمي عن مالية مصر والسودان وإدارتهما وحالتهم العمومية والذي ينتظر ان يقال فيه عن مفتي الديار المصرية أنه رجل جليل مصلح قد قام بأعماله في الحكومة خير قيام، أو ما في معنى هذا الكلام، ولكن اللورد قد زاد على ذلك ما رأيت في الكلام عن حرب الرجل وتفضيله على سائر المسلمين وتنشيطه وحشه على ترقية المقاصد التي كان يرمي إليها إمامه وإتي رأيت مريدي الاستاذ الامام شاكرين اللورد ما كتبه قادرين إياه قدره راجين ان يصدق عليهم ظنه الحسن

المبرة الثالثة حثه الاوروبيين على تنشيط هذا الحزب

اتي لأعلم ان من الناس من يعجب لقول اللورد « فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الاوربيين » وبعضهم يضمه موضع الظنة لاعتقاد المسلمين أن الاوربيين أعداء لهم لا يريدون لهم اصلاحا ولا خيرا مآثما ما يريدون الخير لقومهم خاصة فكيف يحث اللورد أهل أوربا كافة على تنشيط حزب مصلح ينفع المسلمين بل لا يفهم غيره كما قال والجواب عن هذا الاشكال لا يفهمه الا من عرف كنه الفتح أو الاستعمار الاوربي وقد سبق لنا فيه قول وقول هنا كلمة وجيزة فيه .

ان غرض الاوربيين من كل بلاد يدخلونها بالفتح أو باسم الحماية أو الاحتلال الموقت أو غير ذلك من الاسماء هو الكسب ولا ينمو الكسب الا بالعمران مهم يحبون عمران البلاد التي يفتوونها ومن ثم سموا ذلك استعمارا . وعمران كل بلاد انما ينمو ويظم على قدر اتفاق أهلها مع المستعمرين عليه وهذا الاتفاق يتوقف على أمور أولها في المرتبة معرفة كل من الفريقين للآخر ليكون في وفاقه وخلافه على بصيرة ومن كان أعلم بالآخر كان أجدر بالفوز عند التنازع مع تساوي القوة

فكيف اذا كان الأعم هو الأقوى . ولكن الأوربيين لا يحبون ان ينازعوا ويقاوموا وان كانوا واثقين بالظفر لان ذلك يقتل من كسبهم . ومنى قبضوا على ناصية السلطة في بلاد أمنوا من مقاومتها بالقوة وانحصر حذرهم في مقاومة الأمة لهم بالفن فأن كل عمل يراد في البلاد يعسر تنفيذه اذا كان سواد العامة مقاوما له فاذا كان هذا السواد بحيث يخشى خروجه على السلطة كانت موارد الكسب على خطر ثم ان الاوربيين يرون أن أعظم مثار للفن التي ربما تنفضي الى الخطر على موارد كسبهم الذي يطلبونه بنشر مدينتهم وباستعمارهم للأرض هو ما عليه عوام المسلمين من الاستعداد للتهيج باسم الدين ورب هيجة شومى يقوم بها بعض الدجالين الذين تعتقد العامة صلاحهم أو بعض زعماء السياسة تذهب بعمل سنين طويلة - لهذا كله كان من مصلحة الأوربيين في بلاد المشرق ان يوجد حزب نير الفكر محب للاصلاح الذي يترف العامة بقدر أنفسهم وبنسبتهم الى الاجانب الذين يعيشون معهم ويزلزل التعصب الاعمى في نفوسهم حتى لا يفرم الفارون ويدعوهم الى أعمال إن أضررت بالاجانب قليلا فهي تضرهم كثيرا . فالاجانب العقلاء المارفون بكنهه المشرق كالورد كرومر واضرا به من ساسة الانكليز يحبون هذا النوع من الاصلاح الذي ينفع المسلمين لانه ينفعهم هم ايضا لانهم يحبون ان يكسبوا يهدو وطأ نية كما قال المنازع غير مرة ولكن قلما يذهب بهم الميل الى السعي في ايجاده أو الحث عليه لان مصلحتهم قائمة بدونه، قائمة بقوة العلم والحكمة، وقوة السلاح والوحدة، فاذا وجد فيهم من يحث عليه كانت السياسة منه تابعة للفضيلة الشخصية وما أجدر الورد كرومر بذلك

مثل هذا الاصلاح لا يأتي من جانب المتفرنجين لانهم لا قيمة لهم في نفوس السواد الأعظم لبعدهم عن الدين فلا بد من حزب وسط بين العامة وبين المتفرنجين يكون له جانب الى النظام والمدنية وجانب الى الدين النقي السالم من الحرافات التي هي مثار للفن والآفات . ولا شك ان الحزب الذي كان يرأسه الاستاذ الامام لاغرض له الا ازالة البدع والأوهام التي ألصقت بالدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا . ومن أركان الاصلاح الذي يرمي اليه أخذ كل ما ينفعنا ولا يمارض ديننا من علوم أوربا ومدنيتها . اما العلوم الحقيقية فلا شيء منها يخالف الدين

الحق وأما أعمال المدينة فنحن النافع لنا كالجسميات الخيرية والعلمية والدينية والأدبية والشركات المشروعة ومنها الضار كالحزب والميسر والفجور. ويعتقد هذا الحزب أنه لا يمكن لنا القيام بهذا الإصلاح إلا باتقاء السياسة فيه واجتناب مقاومة السلطة به ويجعل مداره على ترقية النفوس بالدين وترقية شأن البلاد الاجتماعي والاقتصادي وترك السياسة لأهلها. ذلك أن سياسة هذه البلاد هي عبارة عن مسألة الاحتلال وقد سألت الأستاذ الامام عن رأيه فيه عند ما زار طرابلس منذ بضع عشرة سنة فقال أنها مسألة أوربية لأشأن لنا فيها وإنما الشأن فيها لدول أوربا ذات المصالح في مصر مع السلطان فإذا اتفقت هذه الدول على الجلاء كان، وهو ما لا دليل عليه الآن، هذا رأي إمامنا رحمه الله في المسألة المصرية وقد قالت أوربا كلمتها فيها بلسان اتفاق برل سنة ١٩٠٤ فلماذا لا نشغل بما يمتينا وهو في استطاعتنا من ترقية أمتنا بالثروة والتعليم ونترك ما لا طاقه لنا به ولا يأتي منه إلا الضرر وأقل هذا الضرر تحويل قلوب الأمة عما فيه خيرها وفلاحها في دينها وديارها وضغطاً أوربياً عليها

هنا يقول المعارض سلمنا أن طريقة هذا الحزب هي المثل في إصلاح حال المسلمين، وإن منتهى الحكمة فيها مسألة الأوربيين، لكن مثل اللورد كرومر في بعد نظره وثاقب رأيه لا يعرب عنه أن المسلمين إذا ساروا على هذه الطريقة ارتقوا حقيقياً بحول دون دوام السلطة الانكليزية فيهم فكيف يركب هذا الصعب، أو يكون حادياً لهذا الركب هذا الحزب، والجواب عن هذا سهل وهو أن طريقة هذا الحزب الجامعة بين الفائدتين في الحال قد تكون جامعة بينهما في المستقبل، فإن الأمة إذا سارت في طريق الترقى مع المسألة وحسن التفاهم بينهما وبين هؤلاء القوم ولقيت منهم التنشيط والمساعدة على رقيها في إبان ضعفها وعجزها فهي لا تترك صداقته في طور قوتها وهم لا يترك صداقتها ويمكنهم أن يربحوا منها في طور القوة والاستقلال، أكثر مما يربحون في طور الضعف والاختلال والانكسار هم القوم الذين لا يماندون الطبيعة وإنما يسابرونها ويستفيدون من كل طور من أطوارها بحسبه. ولعل لا أكون وأما إذا قلت أن فرنسا لو وجدت في الجزائر حزبا يعمل لترقية شأن المسلمين، مع التوفيق بين مصالحهم ومصالح

الفرنسيين ، لا باحت له العمل ان لم تنشطه وتساعدته . على أن الانكليز لم يساعدوا طلاب الاصلاح في مصر كما أنهم لم يقاومهم . وما كتبه اللورد في تقريره الاخير هو أول قول رسمي سمعناه منه يدلنا على ميله الى هذا الاصلاح فأحيينا ان نزيل ارتياب المرتابين فيه لأن سوء ظننا بالقوم يضرننا ولا يضرهم ومن انباوة أن يظن أن القوي يصانع الضعيف وان مثل اللورد كرومر يكتب مثل هذه الكتابة لدولته ، ويرمي فيها عن غير قوس عقيدته ، وهو يعلم أن أوربا كلها تحل آراءه محل الاعتبار ، لاسيما ما كان منها أثر التجربة والاختبار ، وقد سمعنا عنه منذ سنين أنه قال لبعض الكبراء وقد رغب اليه في عمل ينفع المسلمين ويرقيهم ان من لا يعمل لنفسه لا يعمل له أحد فاعلموا ونحن نساعدكم أو قال وحسبكم ان لا نعارضكم ، فقال الراغب أنه ليس عندنا رجال يهتمون بالخدمة العامة فقال اللورد بل عندكم رجالان الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدوها بالمال وهما يعملان للمسلمين ما يرقىهم ويرفع شأنهم

الاميرة الاربعة رأيه في المتفرجين

يظن هؤلاء المتفرجون أن لهم مكانة عالية في نفوس الأوروبيين لتشبههم بهم في عاداتهم وتزلفهم اليهم وإفراغ أموال البلاد في أكياسهم وقد علم بما ذكرنا عن اللورد أنه لا يقيم لهم وزنا وقد علمنا مثل هذا بل ما هو شر منه عن كثير من كبراء الأوروبيين -- علمنا أنهم يحتقرون هؤلاء المتفرجين وفي ذلك من العبرة ما لا محمل لشرحه في هذا المقام ولليب من تكفيه الإشارة وأين اللبيب فيهم وقد أفسدت الخور ألبابهم ، وأضاع القهار صوابهم ، فقصروا في حصرة على مثل الذي يمتع شهوته ، وموسرهم في حيرة لا يدري كيف يفتي ثروته ، ومنتهى الفجر سدوم كتاب غريب يسير في الطرقات ، ونوع جديد من المركبات ، وفنائة أوربية تخافس في المتزهات ، وتقيح ، عليه قومهم من الآداب والعادات ، وتصرف الأمر في التفتن في المآلات ، وان أذاقت الأمة ضعف الحياة وضعف المآلات ،



فَتَاوَى الْمَلَبَاتِ

فتحت هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسهل الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
سنة ولقبه وبلده ومهله (وطبخته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان تاند كرا لاسئلة
بالتدريج غالباً ورماعده متماخراً السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ورماعاً جيناً غير مشترك لثقل هذا ، ولين
يعطى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(طريقة ابراهيم الرشيدى - من اسئلة سنغافوره)

(س ٢٠) من أحد المشتركين في سنغافوره

نبعث بهذه الاسطر لحضرة فذلكة العلوم والمعارف صاحب المنار الأغر

لازال منار الدين به مشيدا وهو

انه نحم سيفه هذه الاطراف طائفة تزعم أنها على طريقة الشيخ ابراهيم
الرشيدى ويقومون في المساجد اذ كالأربل بلطف الجلالة برفع صوت جدا ويشوشون
على من هناك من المصلين ويلقبون أنفسهم بمجاذيب وينشدون خلال ذلك اشعارا
من كلام الصوفية لا يعرفون معناها وفي يوم الجمعة في اثناء صلاتها تحصل منهم
زعقات هائلة بلطف (الله الله) ويجيب بعضهم بعضا بذلك بحيث اذا زرع أحدهم
تلاذ الباكون بهذه الزعقات الشديدة المزعجة لمن في المسجد في وقت صلاتهم
الجمعة ويحصل للمصلين تشوش منهم واذا نهوا عن ذلك أجابوا بأن الناهي لهم
من فريق يريدون ان يطفئوا نوار الله بأفواههم وبأنهم انما يزعمون في حالة
الغيب مستندين الى ما في كتب الصوفية من ان المرید اذا غلب على قلبه ذكر الباطن
وضاقت انفاسه منه بما خرج على ظاهره فبزعم بلطف (الله) واذا قاموا لذكر
ليلا وارتفعت أصواتهم بذلك بما سقط بعضهم مغشيا عليه ذكر كان أو أنى
وذلك بعد ان يشير الخليفة عليهم بخرقه في يديه ويقول لهم (أش) ثم يخر أحدهم
مغشيا عليه فيبقى بعد ذلك ويقول شاهدت في غيبتي أحدين ادر بس وشاهدت
الى الملائكة بل ذكره فل هذا مما عهد في أحد القرون الثلاثة المدحوة أو هو ما
أمر به الشارع أو السلف الصالح وهل يجب على ولاية الامور المنع من مثل هذا

(الجلد الخامس)

(٣٧)

(المنار ٤٩)

اذ ولي الامر هنا لم يقدم على منعهم فلنا منه انه مطلوب شرعا واذا نشر في المنار حكم ذلك شرعا فولي الامر لا يتأخر عن حملهم على ما يحكم به الاستاذ في المنار من المنع أو الامرار فأذكر كوننا بما فيه حياة الدين والدنيا لازم عدة لنفع المسلمين والله يحفظكم لنا أقدم

(ج) في هذا السؤال مسائل (أحدها) الذكر باسماء الله تعالى مفردة كما عليه أهل الطريق في هذا العصر كقولهم الله الله ... حي حي ... أو بالضمير كقولهم هو هو ... وهذا من البدع التي حدثت بعد الصدر الأول . قال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالة البودية مانصه بعد أن أورد ما ورد في الحديث من أن أفضل الذكر لا إله الا الله كما رواه الترمذي وغيره أولا إله الا الله وحده لا شريك له الله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كما رواه مالك في الموطأ :

« ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله (٩١ : ٦) قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون) من أين غلط هؤلاء ؟ فان الاسم هو مذكور في الامر بحجواب الاستفهام وهو قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال : من جاء ؟ فنقول : زيد : وأما الاسم المفرد مظهر أو مضمر فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به ايمان ولا كفر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الامة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وإنما يعطيه قصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا اثبات فان لم يقتصر به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه والا لم يكن فيه فائدة والشرعية إنما تشرع من الاذاكر ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره . وقد وقع من واظب على هذا الذكر في فنون من الاحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع . وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال : أخاف ان أموت بين النبي والإثبات : حال لا يقتدى فيها بصاحبها فان في ذلك من الغلط مالا يخفى فيه اذ لو مات العبد في هذه الحال لم تمت الاعلى ما قصده ونواه اذ الاعمال بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى

الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت (يعني المحتضر) لا آله الا الله وقال «من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة» ولم كان مذكوره محذورا لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في اثناها موتا غير محمود بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد.

«والذكر بالاسم المفرد المضمر أسعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب الى اضلال الشيطان فاذ من قال ياهو ياهو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا الا الى ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد يصف صاحب الفصوص كتابا سماه (الهو) وزعم بعضهم ان قوله (٧: ٣) وما يعلم تأويله الا الله (معناه وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الا الله) وقيل هذا وان كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء (صوابا) حتى قلت مرة لبعض من قال بشي من ذلك لو كان هذا كما قلته لكتبت «وما يعلم تأويل هو» منفصلة

«ثم كثيرا ما يذكره بعض الشيوخ انه يحتاج على قول القائل (الله) بقوله سبحانه (قل الله ثم ذرم) ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد وهذا غلط باتفاق أهل العلم فان قوله (قل الله) معناه : الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى : وهذا جواب لقوله (٩١: ٦) قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يحملونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انهم ولا آباؤكم، قل الله (أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى رد بذلك قول من قال (ما أنزل الله على بشر من شيء) (٥) فقال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ثم قال قل الله أنزله ثم ذر هؤلاء المكذبين في خوضهم يلعبون

«وما بين ما تقدم مذكوره سبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به الا كلام تام جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون «إن» اذا جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم. والله تعالى لم يأمر أحدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين امما مفردا مجردا والاسم المفرد المجرد لا يفيد الايمان باتفاق أهل الاسلام ولا يؤمن

«أول الآية» «وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء» الح

به في شيء من العبادات ولا في شيء من الحظايات . ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الاعراب مر بموذن يقول : أشهد أن محمداً رسول الله : بالنصب فقال ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم فأمن الخبر عنه الذي به يتم الكلام ؟

« وما في القرآن من قوله (٨: ٧٣) واذكر اسم ربك وتبلى اليه تتبلا) وقوله (١٥٦: ١) سبح اسم ربك الأعلى) وقوله (١٤: ٨٧) قد أفلح من تزكى ١٥ واذكر اسم ربه فصل) وقوله (٩٦: ٥٦) فسبح باسم ربك العظيم) ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في السنن أله لما نزل قوله فسبح باسم ربك العظيم قال « اجملوها في ركوعكم » ولما نزل قوله (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجملوها في سجودكم » (١) فشرع لهم ان يقولوا في الركوع سبحان ربك العظيم وفي السجود سبحان ربك الأعلى . وفي الصحيح (٢) أنه كان يقول في ركوعه سبحان ربك العظيم وفي سجوده سبحان ربك الأعلى وهذا معنى اجملوها في ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين » - الخ ما أطال به رحمه الله تعالى

(المسألة الثانية) التشويش على المصلين محظور عند جميع العلماء سواء كان يذكروا ثلاثة قرآن أو قراءة علم أو غير ذلك فإن المساجد ما بنى للصلاة فهي المقصودة بالذات فيجب منع التشويش على المصلين وإن كان بمشروع فكيف اذا كان بأمر غير مشروع مما يطلب منه لذاته وإن لم يشوش على مصل . ولا أراني محتاجا في هذه المسألة الى نقل لانه لا ينازع فيها احد ومن اراد القول فليرجع الى الجزء الاول من المجلد السادس ومعه حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود وأقوال الفقهاء في ترميظ كتاب اصابة السهام (٣٤: ٦)

(المسألة الثالثة المجاذيب) اعلم أن ما يسميه الصوفية بالجذب هو من الاحوال التي لا يعرف منها أهل الطريق في هذا العصر الا أنها ضرب من البله أو التباله والخروج عن الآداب الشرعية والعرفية . الجذب في الحقيقة حال تطرأ على لسان

(١) الحديث رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه واذا كم في المستدرک وابن حبان في صحيحه عن عقبة بن عامر (٢) قوله في الصحيح يعني صحيح مسلم ورواه ايضا احمد واصحاب السنن وصححه الترمذي من حديث حذيفة

وهو متوجه الى الله بالذكروالفكر فتأخذه عن نفسه وتبطل ميزان العقل في الاقوال والافعال فهو فن من فنون الجنون يحدث في حال مخصوصة وقد يحدث من غير سبق الأعمال الاختيارية التي تؤدي اليه غالباً اذا كان من يأتيها مستعداً له وهي الخلوة وكثرة الذكر فيها مع الجوع وقلة النوم لاسيما اذا كان الذكر بالاسماء المفردة . وهذا الفن من الجنون كغيره يكون متقطعاً مجيئاً نوبة بعد نوبة ويكون طبقاً ويكون قويا وضعيفا وصاحبه غير مكلف مادام مأخوذاً عن عقله فاذا كان يأتي بأقوال أو أفعال تشوش على المصلين وجبان يمنع من دخول المسجد وقد جاء في الحديث «جنبوا مساجدنا» وفي رواية مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الخ رواه ابن ماجه من حديث وثالة وكذلك ابن عدي والطبراني والبيهقي وابن عساکر عنه وعن غيره . واذا كان التشوش على المصلين بنحو رفع الصوت كان مما يمنع منه الماقل فكيف يباح لغيره ممن يشوش بقاله وحاله

(المسألة الرابعة الزعقات) هذه الزعقات والصيحات عند الذكر أو التلاوة ليست من الدين في شيء لم يأذن بها الله ولا رسوله ولم تعرف عن الصحابة ولكن من الناس من يكون رقيق الوجدان شديد التأثير بما يهيم نفسه فاذا كان عابداً وسمع آية انذار أو موعظة مؤثرة أو عيرة يغلبه وجدانه ويظهر عليه أثر الانفعال في وجهه وربما صرخ وبكى واذا كان عاشقاً وسمع غناء أو شعراً بليناً يظهر عليه مثل ذلك التأثر وقد حكي عن بعض الصوفية الصادقين شيء من ذلك فلما ذهب التصوف وجاء هؤلاء المقلدون الاغبياء الجبهلاء بأسرار النفوس المحرومون من الوجدان الرقيق، الذي يتأثر بالمعنى الدقيق، جعلوا كل همهم التقليد في الاشارات والمبارات والكتلمات كما بين ذلك حجة الاسلام وصاحب العوارف غيرهما من متصوفة قرون الوسطى فما بالك بأهل الطريق في عصرنا هذا . قال الامام الغزالي في بيان أصناف المغترين من الاحياء

(الصف الثالث) انتصوفة وما أغلب الغرور عليهم والمغتررون منهم فرق كثيرة (ففرقة منهم) وهم متصوفة أهل الزمان الا من عصمه الله اغترروا بالزني والهيأة والمنطق فساعدوا الصادقين من الصوفية في زهم وهياتهم وفي أعاظهم وفي

آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع أطراق الرأس وادخاله في الجيب كالتفكير وفي نفس الصمدا وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشائيل والهيآت. فلما تكلفوا هذه الامور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب ونظير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من أوائل منازل التصوف ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحرموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة ويتحاسدون على النعير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض بعضهما خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ثم ضرب لهم مثل العجوز تلبس لباس الشجمان وتبرز الى الميدان ثم ذكر فرقة المتشبهين بهم في الزي وقال بعد ذلك:

(وفرقة أخرى) ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجازاة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالأسامي والألفاظ الا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كالت فهو يردد هاويظن ان ذلك أعلى من علم الأولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين بعين الازدراء فضلاً عن العوام حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ولا يهتم أياً ما معدودة وتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيردد ها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحق بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد أنهم أجراء متعبون ، ويقول في العلماء أنهم بالحديث عن الله محجوبون ، ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وأنه من المقربين ، وهو عند الله من الفجار المنافقين ، وعند أرباب القلوب من الحق الجاهلين ، ولم يحكم قط علماً ولم يهذب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف المذيان وحفظه :

(ثم قال بعد ذكر الفرقة التي وقعت في الإباحة)

(وفرقة أخرى) جاوزت حد هؤلاء واجتبت الاعمال وطلبت الحلال

واشتغلت بتفقد اقلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتهما (فإنهم) من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه والله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته ثم أنه لا يخلو عن مقارنة ما يكره الله عز وجل وعن إبتار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب : الخ ما ذكره في ذلك

أقول اذا تدبر السائل هذا القليل من كثير ما كتب أئمة هذا الشأن في ذلك علم أن المسؤل عنهم لم يلقوا في التصوف بعض مدي هؤلاء الذين أثبت الامام الغزالي غرورهم . ولعلم ان الوجد وما يتبعه من مثل الزعقات ببعض الناس انما يكون بعد الحب والحب لا يكون الا بعد المعرفة والمعرفة بالله لا تكون الا بالعلم بما جاء في كتابه وما مضت به سنة نبيه مع الاذعان والعمل النفسي والبدني هذه هي طريقة الصوفية ومن علامة الصادق فيها ان لا يدعيها ولا يدافع عن نفسه اذا أنكر عليه لاسيما اذا كان الانكار انتصارا للدين وحماية للشرع فكل مدّع كذاب وقد دخلنا في هذه الامور وجربناها وكنا نذكر الذاكر الباطن مع النقشبندية ومنهم من كان يزعم وكنت أقدم ولكنني علمت ان كل ذلك من وسائل الشهرة الباطلة ولو شاء هؤلاء ان لا يزعموا لما زعموا وكم من نائب منهم قد اعترف بما كان اقترف والله الموفق (المسألة الخامسة القبية ومشاهدة الارواح) قد شرحنا حقيقة مسألة رتبة

الارواح التي عدوها من أعظم الكرامات في المجلد السادس فلانسيدها وانما نقول ان المدعين كاذبون مراون باغون للشهرة وان دعاويهم هذه ان صحت لا تكون من الدين في شيء اذ لم يرد بها كتاب ولا سنة ومن أكثر من تدكّر ميت وتخله يوشك أن يتشبه به وليس ذلك بأمر كبير . ومن علامة كذب المدعي في دعواه أن يكون في حضوره وغيبته وصحوه وسكرته تابعا لإشارة من الخليفة يديها أو كلمة يقولها وجملة القول ان ما حكيتكم عن هذه الفرقة ما تصان عنه المساجد فان صدقوا في دعوى ان تصوف فليعلم ان يخضعوا لأداب الشرع ويصدقوا في الاتباع من

غير انتصار لأنفسهم وإن أبوا كان على المستطيع أن يمتنعهم من كل فعل في المسجد
يشوش على المصابين ويشغلهم عن الخشوع في الصلاة ولو استعان على ذلك بقوة
الحكومة والله أعلم وأحكم

غية العلماء . والعالم الذي لا يعمل بعلمه

(س ٢١) مستفيد من (سنا فوره)

ما يقول المنار المنير في رجل أطرى عالماً بسعة اطلاعه وجودة مدركه ونحو
ذات فقال آخر حسداً لذلك العالم وجهلا منه بتحقيق العلم دعني من علم أولئك الناس
ثنتين ظهروا اليوم وفسق وكذب . . . - الى أن استشهد بييت ابن رسلان :
وعالم بعلمه لم يعمل - معذب من قبل عابد الوثن
فقال له المطري : هلا فانك تعلم ان الغيبة حرام قاليت يصدق عليك فامك
تعمل . فكيف الحكم في ذلك المغتاب الخ

(ج) تحريم الغيبة معلوم من الدين بالضرورة لله في القرآن وتبيين
حال أهلها وغية العلماء أشد الغيبة ضرراً لأنها تنفي عن تنفير الجاهلين عن
الاستفادة منهم وذلك صد عن سبيل الله ثم ان في قول ذلك الطاعن في العلماء
حرارة أخرى وهي انه يحكم في أمر من علم الغيب بييت من الشر وذلك من
القول على الله تعالى بغير علم وهو محرم بنص القرآن بل ذكر تحريمه معروفاً بتحريم
الشرك بالله . وقد قيل ان لعن البيت أصلاً في الحديث لكن الطاعن لم يعرفه اذ لو عرفه
لاحتج به لا يقول من لاجحة في كلامه . روى مسلم عن حديث أبي هريرة مرفوعاً
« ان أول الناس يقضي عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به ففرقه نعمته ففرقه
وقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت : قال كذبت ولكنك قاتلت
لأن يقال جري . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار -
رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به ففرقه نعمه ففرقه قال فما عملت فيها
قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم
ليقال انك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارى . فقد قيل ثم أمر به فسحب على
وجهه حتى ألقي في النار - ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله

فأتي به فعرفه نعمه فعرّفها فقال فما علمت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن
ينفق فيها إلا أنفقت فيها ذلك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد
قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار » فمن هذا الحديث أخذوا
أن هؤلاء الثلاثة أول من يحاسب ويعذب ولكن ما يدرينا أن الأولية بالنسبة
إلى المسلمين لا إلى المشركين وعباد الاوثان أو أن أفضل ليس على باب . ثم إن
الحديث في العالم الراثي لافي تارك العمل بعلمه فهذا الحكم غير صواب وإن
اشتهر وتلقاه القتلون بالقبول . وإذا جاز أن يقتاب العالم الذي ينهم بالرياء
ويخاض في عرضه لأجل هذا الحديث جاز أيضا أن يقتاب الشهيد والمحسن
المتفق في سبيل الله وهؤلاء خيار الناس وخبرهم العالم العلم فامعنى تحريم القبية
إذا حازت غيبتهم ؟ الرياء أمر خفي لا يجوز أن تحكم به على عالم ولا جاهل نعم
إن مواخذة العالم بتحريم الشيء إذا هو فعله أشد من مواخذة من يفعل
الذنب جاهلا بكونه ذنبا من حيث الجراءة على الله ولكن المذنب الجاهل يأخذ
على الذنب وعلى الجهل معا قال الجهل ليس بعذر إلا ما يكون في دقائق الشبهات
وخصيات الأحكام . ومن الأحاديث التي تلوكها السنة كثير من العامة فتجرحهم
على إهانة العلماء حديث « ويل للجاهل مرة وويل للعالم ألف مرة » ولا أعرف
له أصلا وما أراه إلا من وضع المتأخرين وقد روى سعيد بن منصور عن جبلة مرسل
« ويل لمن لا يعلم ولو شاء لعلم واحد من الويل وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع من
الويل » وهو على إرساله لا يصح وعبارته تدل على أنه ليس من كلام الرسول صلى
الله عليه وسلم . وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة وويل لمن لا يعلم ولو شاء
الله لعلمه وويل لمن علم ثم لا يعمل » وهو ضعيف وإن كان معناه صحيحا

﴿ اختيار مسجد للصلاة أو الصلاة بأجرة ﴾

(س ۲۳) ع ۱۰۶ بستانافوره

سیدی : فی (جوہر) الاسلامیہ مسجد یصلون فیہ الجمعة فقط و یكون فی
خاتر الایام مہجورا لایصلی فیہ الاخدمتہ وفي شهر رمضان من الستہ الماضیۃ
طلب أحد وزراء تلك البلاد من أهل البلد ان یصلوا فیہ صلاۃ العشاء والتراویح وجعل
(البیروت ۱۴۰۰) (۳۸) (المجلد الثامن)

لكل من واظب على ذلك مدة الشهر كله ستقر بالالت والإمام ثلاثين ريالا فأجاب
طالبه جم غفير من مدعي العلم وأنكر هذه الصلاة واحد قال أنها غير صحيحة
ولم يجوز أخذ الدرام بل قال ان هذا هو الشرك في العبادة . والخير من جملة
الذين حضروا هذه الصلاة ولم أخذ الأجرة وقد جعلني المنكر في جملة
من أشركوا فهل قوله صحيح أم لا فاحكم ياسيدي فأت الحكم الذي نرضى
حكومتكم والسلام .

(ج) ان من صلى لأجل أخذ الجمل بحيث لو لم يكن هناك جعل لما صلى
بالمرة فلاشك أن صلاته غير صحيحة وأخذ الدرام عليها غير جائز ومن سعى ذلك
شركا في العبادة فقد أعطى هذه الصلاة أكثر من حقها فلا شيء فيها لله في الحقيقة
وانما الشرك أن يقصد مع الله غيبه فمن قصد بالصلاة الأمرين معا - الثواب
والمال - فهو المشرك في هذه العبادة ومثله من قصد مرضاة الوزير والتقرب اليه . ومن لم
يقصد المال بالمرة ولم يأخذه ولا رياء الوزير أو مرضاته وانما صلى في ذلك المسجد
بعد نداء الوزير بالجمل لأن الجماعة قامت في المسجد فصار قصده اليه كقصده
الي غيره فلا يعد مشركا ولا مرأيا ولا يكون آمنا

وقد اختلف العلماء فيمن يقصد بعمله الثواب والرياء معا أيثاب على قصد الثواب
بقدره ويثاقب على قصد الرياء بقدره أم يستحق العقاب دون الثواب ؟ قال الفزالي
بالأول محتجا بقوله تعالى ٧:٩٩ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ٨ ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وقال الفزاري من عبد السلام بالثاني محتجا بالأحاديث الصريحة
في ذلك كحديث مسلم وابن ماجه « قال الله تعالى انا أغنى الشركاء عن الشرك
من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه - اذا كان يوم القيامة آتي
بصحف مخنث فتصيب بين يدي الله عز وجل فيقول للملائكة اقبوا هذا وانفوا هذا
فتقول الملائكة وعزناك ما رأينا الا خيرا فيقول نعم لكن كان لتبيري ولا أقبل
الا ما ابغيتي به وجبي » أقول وما ابغيتي به غير وجهه تعالى قسان ما ابغيتي به
المال وما ابغيتي به الجاه كما يستفاد من قوله تعالى (٩:٧٦) انما نطعمكم لوجه الله
لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

وفي مسألة المسجد المشلول عنه دقيقة وهي أن الجزاء فيها على كون الصلاة فيه لاعلى الصلاة نفسها فمن كان يصلي لوجه الله لا يريد جزاء ولا شكورا على صلاته ولولم يصل في ذلك المسجد لصلى في غيره قطعا ولكنه اختاره لاجل الجزاء الذي ذكره الوزير كانت صلاته صحيحة خالصة لله وينحصر السؤال في قصده الى المسجد وهو عبادة أخرى وقد علم حكم ذلك والله أعلم

(الذي يذهب القاسق وإذهاب الرجس عن أهل البيت)

(ص ٢٤) الشيخ عبد الله الحضري في سنن آفوره

ملخص السؤال أن رجلا قاسقا يدعي أنه من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر من فسقه ما يثزه المآثر عن نشره وقال اذا سلطنا بدعواه فما معنى قوله عز وجل (٣٣: ٢٢) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (ج) اعلم أن بعض الناس قد تكلموا في هذه الآية بالرأي فرغموا أن المراد بالآية جميع ذرية فاطمة عليها السلام والرضوان ما تناسلوا وان ارادة الله تعالى هي مشيئة المطلقة التي بها الخلق والتكوين ومن ثم بحثوا في عصمة الشرفاء أو حفظهم من الذنوب فقال بعضهم ان معاصيهم صورية لاحقية فيجب تأويلها كلامي التي نسبت الى بعض الانبياء وبهذا قال بعض الصوفية . وبحث ابن حجر الفقيه في ذلك بأنه مخالف للمشاهدة واختار هو حفظهم من الكفر دون المعاصي وقال انه يكاد يقطع بذلك . وقال بعضهم انها خاصة بعلي وفاطمة وولديهما ولم في هذا روايات وبعضهم انها تشمل معهم بقية الأئمة الاثني عشر فهم المعصومون

والحق الذي لا محيد عنه الا الى الهوى أن المراد بالبيت في الآية بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يسكنه وهو جنس والمراد باهله هو ونسائه وذكر ضمير الجمع المذكور تقليبا للاشرف ايذانا بأن العناية به ثم بين تبعاله أو رعاية للفظ الال والعرب تستعمله ومنه (٧: ٢٧) اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا سا تيكمن منها يتيس (وقوله (٢٨: ٢٩) قال لاهله امكثوا) ونحو هذه الآية قوله تعالى (١١: ٧٣) قالوا أصعجين من أمر الله رحمة الله وبركائه عليكم أهل البيت (والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام هذا ما يقتضيه السياق ويترأ من كل ما يخالفه فان المباركة جاءت في

آية معطوفة على عدة آيات فين بالنص الذي لا يحتمل التأويل . والمراد بالإرادة فيها ما يقصد ويراد من شرع تلك الأحكام الخاصة بهم لإرادة الخلق والتكوين ابتداءً . فقله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) ألخ هو كقوله عز وجل في آخر آية الوضوء والنسل والتيمم من سورة المائدة (٦:٥) ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم تشكرون) وقوله بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخصة (١٨٥:٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) كل ذلك يبان لحكمته تعالى في تلك الأحكام ، وما فيها من الفائدة لأنهم إذا هم عملوا بها لا يفهم منها إرادة الخلق والتكوين ابتداءً . وقد سألتني عن هذه الآية الأخيرة الشيخ التميمي مفتي الحليل عند زيارتي له ببلده في عاشر المحرم سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف قال رحمه الله إن الله تعالى في إرادة العسر بنا واثبت إرادة اليسر وما يريد الله تعالى لا بد من وقوعه ومالا يريد يستحيل أن يقع وإنما نرى العسر قد يقع كثيرا فيذهب باليسر فأجبت على البدهة بمثل ما تقدم آتفا ولم أكن رأيت له لأحد وإنما هو يدهي في نفسه

من فهم هذا ولا تحمل الآية سواء الابتحر يفها عن موضعها علم أن ما ورد من الروايات في تخصيصها بفاطمة وعلي وولديهما ما يترأ منه سياق الآية إذ يصير معنى الآيات يأنساء النبي لا تفعلن كذا ومن يفعل منكن كذا فجراؤه مضاعف ضعفين يأنساء النبي أفعلن كذا وكذا إن الله لا يريد بهذه الأوامر والنواهي إلا إذهاب الرجس عن علي وزوجه وولديه وتطهيرهم من كل ما يفضي إلى اللائمة تطهيرا كاملا . وإن رواية قضى إلى هذا ما يقطع ببطلانها وإن صحح بعض المحدثين سندها بل أقول أنه لا معنى لإدخالهم في عموم الآية فضلا عن تخصيصها بهم ولا مزية في ذلك لهم وهم غير مخاطبين بتلك الأحكام التي شرعت لأجل إذهاب الرجس بالعمل بها وإنما كان يكون في ذلك مزية لو كانت الإرادة للتكوين وكان الأخبار بها ابتدائيا غير معلق بشيء

أقول هذا وأنا علوي فاطمي حسيني الاب حسني الأم عالم بالأخبار والآثار الواردة في ذلك وأصل فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام على أزواجه أمهات

المؤمنين بأنما بضعة منه لكن كتاب الله فوق كل شيء وحكمه فوق كل حكم وهو قد خص أزواج نبيه بأحكام فمنها ممتازات على بناءه وعلى جميع النساء أو الناس وإن فضلهن بعض الناس بمزية أو مزايا أخرى كما يفضل أبو بكر وعمر عائشة وحفصة وإنني لأعجب أشد العجب كيف عظم افتتان الناس بالرواية في الصدر الأول وإن كانت مخالفة لمصرح القرآن حتى قال من قال في هذه الآية إنها خاصة بأهل الكساء أو عامة لبني هاشم وبني المطلب لحديث الترمذي والحاكم في الأول وحديث الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الثاني ولا يصح في ذلك شيء خلافاً للترمذي والحاكم وقدر عكرمة إذ كان يقول من شاء باهله أنها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما كان يرويه عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كإرواء ابن أبي حاتم وابن عساكر وروى ابن جرير إن عكرمة كان ينادي في السوق إن قوله تعالى «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحتاج إلى شيء من الروايات في فهم الآية فإنها في سياقها لا تحتل غير ما قلنا كما هو ظاهر لكل قارئ له معرفة بالآفة وقد علمت أن الآية لا تدل على عصمة أهل البيت وإنما معناها أن الله تعالى شرع لمن تلك الأحكام التي منها أن جزاء من على الفاحشة وعلى الطاعة يضاعف ضعفين لأجل إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم تطهيراً إذا هم امتثلن وأطعن الله ورسوله ولا معنى لوعيد المعصوم من الذنب بمضاعفة عذابه عليه . فإذا فرضنا أن ذرية فاطمة داخلة في أهل البيت هنا لم يكن معنى ذلك أن يستحيل عليهم الفسق فإذا هم كفiram من البشر فيما يجوز عليهم ويمتنع وهو ما تؤيده المشاهدة التي لا مكابرة فيها فإن لم نقل بهذا كنا بين أمرين تكذيب الحس أو قذف الكثيرين من الشرفاء بأنهم أولاد زنا والأول جنون والثاني حرام

﴿العمل بالبيع والشراء بالعمولة العرفية﴾

(ص ٢٥) السيد حسن بن علوي شهاب من علماء العرب يستنفقوه :

ما قول المنار فيما هو الجاري الآن بين المسلمين - يمت أحدهم إلى آخر
بمروض تجارة فيأمره يبيعها بقيمة الوقت هناك أو بدرهم ليشترى له بها عروض

تجارة . وكذلك الوصي يبيع مال موصيه والوكيل يقبض لموكله ذلة عقارة ويجري كل منهم لنفسه معلوما في مقابل عمله خمسا في المئة أو أقل أو أكثر فهل ما يأخذونه جائز لهم شرعا ؟ ان قلم لافواضح وان قلم نعم فما وجه ذلك المأخوذ في الشرع لانا نرى أنهم انما يعملون مجانا كما هو مقرر في محله . أفيدونا بارك الله فيكم ولكم آمين

(ج) قال الله تعالى في أول سورة المائدة (١:٥) يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فكل ما يتعاقده عليه المسلمون يجب عليهم الوفاء به الا اذا كان على مصيبة كالاستئجار على الزنا مثلا فاذا اتفق تاجران على ان يبيع أحدهما أو كل منهما للآخر ما يرسله اليه من العروض ويشترى له بئنه أو بمال آخر عروضاً معينة بالجنس أو النوع أو غير ذلك من أنواع التعيين كما هو المتعارف ويأخذ على البيع والمشتري أجرا يقدر بنسبة قيمته كخمس في المئة كان هذا الاتفاق عقدا صحيحا يجب الوفاء به لأنه لم يحل حراما ولم يحرم حلالا

فان قيل إن هذه الاجرة مجهولة بشرط في الاجرة أن تكون معلومة وغير متوقفة على العمل كما قال كثير من الفقهاء (تقول) بل هي معلومة معينة فان البائع والمشتري لغيره يعرف عند الاتفاق أجر عمله في الجملة وعند تعيين الثمن قبل عقد البيع أو الشراء ما يستحقه بالتفصيل وهذه الاجرة لا تتوقف على العمل ككون أجرة الطحن من الطحين . على أننا نقول إن ما يشترطه الفقهاء في العقود مما لم يرد به نص عن الشارع وإنما يملأ بالمصلحة يمكن ان يختلف فيه المصلحة باختلاف الزمان والمكان فعلى الفقهاء ليست ديننا يتبعه باتباعه سواء قامت به المصلحة أو ترتبت عليه مفسدة ولا شك ان التجارة قد دخلت في طور يتسرعه النجاح مع التزام جميع أقوال فقهاء أي مذهب من المذاهب . واذا تمسكنا بأصول الاباحة والبراءة والمحافظة على ما أحله الله وحرمه ولم نرد في عقودنا شروطا ليست في كتاب الله تعالى فانه يمكننا ان نسايق جميع الامم في الاعمال المالية وتنمية الثروة التي عليها مدار قوة الامة وعزة الملة في هذا العصر

فان قيل ورد في حديث أبي سعيد عند الدارقطني والبيهقي «نهى عن عسب

الفحل وعن قفيز الطحان « وفسروا قفيز الطحان بطحن الحب بجزء منه مطحونا واستنبطوا من ذلك أنه لا يجوز أن تكون الأجرة بعض المعمل بعد العمل كقال الأئمة الثلاثة دون أحمد، وفي حديثه عند أحمد وغيره «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استئجار الأجير حتى يبين له أجره» ومنه أخذ الشافعي وأبو حنيفة وجوب كون الأجرة معلومة خلافاً للمالك وأحمد فانهما حكما العرف في ذلك فما تقول في الشروط المأخوذة من هذين الحديثين

والجواب ان أمثال هذه الروايات ينظر في سندها ثم في معناها وعللة الحكم فيها . فاما حديث أبي سعيد الاول ففي اسناده هشام أبو كليب قال ابن القطان لا يعرف وزاد الذهبي ان حديثه منكر ووثقه مغلطاي وابن حبان والجرح مقدم على التعديل . ثم ان ما فسروا به قفيز الطحان غير متفق عليه بل قل بعضهم انه قفيز كان يؤخذ زائدا على الأجرة وهذا هو المتبادر وهو المعهود في بلادنا فنهى عنه لانه من الباطل الذي لا مقابل له في العمل وإنما هو من قبيل ما يسمى الآن بالبخشيش . واما حديث الآخر فرجال أحمد في سنده رجال الصحيح الا ان ابراهيم التيمي رواه عن أبي سعيد لم يسمع من أبي سعيد كما قال في مجمع الزوائد ذكره أبو داود في المراسيل والنسائي غير مرفوع وفي بعض النسخ «من استأجرته» فهو على الخلاف في الاحتجاج بمثله لا ينافي ان يكون بيان الأجرة أو تسميتها بكونها جزءا من كذا جزءا مما يبيعه أو يشتريه أو يحصله فانه بذلك يكون على بصيرة لا يتطرق اليها التهميش والعش . ولا تعرف حديثا غير هذين الحديثين يمكن ان يستدل به على تحريم أخذ كذا في المنفعة ما يباع أو يشتري أو يحصل أجره أو عمولة وهو لا يدلان على ذلك . وللاوصي حكمة فيما عوقد عليه

نعم اذا جرى العرف بين التجار أو غيرهم بأن عمل كذا لا يؤخذ عليه شيء وأراد من عمله أن يأخذ عليه أجرا أو عمولة من غير عقد يستحق به ذلك ولا عرف يميزه لانه لا يجوز له أخذه واذا أخذه بدون علم صاحب المال كان سارقا . ولا أدري أهذا ما يرى السائل بقوله «لانا نرى أنهم إنما يملون مجانا» أم يريد أنه يجب أن تكون هذه الاعمال مجانا وقد علمت ما نمتد في الامرين والله أعلم وأحكم

(تقبيل أيدي الشرفاء وغيرهم)

(س ٢٧) مستفيد من ستافوره

ما يقول المنار المنير في تقبيل اليد فاني أرى سادات اليمن وحضر موت المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكرون على من لم يقبل أيديهم ويزعمون أنهم مستحقون لتقبيل اليد فهل لهذا أصل في السنة أفيدونا

(ج) ان زعموا ان هذا حق شرعي لهم ثبت في السنة فمن ترك تقبيل أيديهم يكون مخالفا للسنة ومرتكباً محرماً أو مكروهاً فقد زادوا في شريعة الله ما ليس منها وهذا من أعظم الكبائر وان كانوا يريدون أنه قد استحسن في الآداب العادية ان يقبل أيديهم فصارت ترك بعض الناس لذلك في بلاد جرت عادتها به لا يخلو من إشعار بعدم الاحترام فالامر سهل . والسنة في التحية السلام والمصافحة أقول هذا وأنا أعلم بما قال النووي في ذلك والسنة الصحيحة تعرف بعمل الناس في الصدر الاول وبقول ذلك ولا يكتفى فيها بمحدث الآحاد اذ لا يمكن ان يشرع شيء لا يعمل به أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين ولا يمكن ان يعمل المسلمون به و يبقى مجهولاً لا يعرفه الا الآحاد من المتأخرين . وقد قال صاحب المدخل عند ذكر تقبيل اليد بعمل المصافحة مانعه «وقد وقع انكار العلماء لذلك فان كان القبل يده عالماً أو صالحاً أوهما معا فأنكره مالك في المشهور عنه وأجازه غيره وأما تقبيل يد غير هذين فلا يعرف أحد يقول بمجوازه لاسيما اذا انضاف إلى ذلك ان يكون القبل يده ظالماً أو بدعياً أو بمن يريد تقبيل يده ويختاره فهو الهداء المضال الواقع بالفاعل والمفعول به وبمن أعجبه ذلك منها لا وروى في ذلك من الوعيد الشديد ينفوذ بالله من مخالفة وترك الامثال كل هذا سببه ترك السنة والتهاون بشيء منها»

فأنت ترى انه قد شدد في المسألة جداً لانه عدها بدعة دينية وله الحق في التشديد في ذلك اذا فعل التقبيل على انه مطلوب شرعاً أو ترتب عليه مفسدة كإعانة المبتدعين والغالين على بدعتهم وظلمهم . وأما ما فعل بمقتضى المادة لا باسم الدين فهو مباح الا اذا ترتبت عليه مفسدة ومنها أن يعتقد انه من الدين كما يزعم سادة حضر موت

باب التربية والتعليم في روسيا

﴿ اصلاح التعليم والمدارس الاسلامية في روسيا ﴾

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً في هذا الموضوع وكان موسى أفندي عبد الله أحد مجاوري الروس في الأزهر ترجم لنا مقالة من جريدة (وقت) الروسية التي تصدر في أورنبورغ كتبت بقلم رجل من أعقل السليين وأفضلهم في روسيا فضاقت ذلك الجزء عن نشرها فقرأنا نشرها هنا لما فيها من الفائدة وهي

﴿ المدارس وطلبة العلوم ﴾

ظهرت بيننا في هذه الأيام مسألة اصلاح المدارس . مسألة خاضت فيها الجرائد وتحدث بها الناس في كل مجتمع وكتب فيها ما كتب من المقالات والرسائل وكثر فيها القيل والقال، وطال أمد النزاع والجدال، الى ان سئم البعض من المقال، بيد اننا مع هذه الافاضة في الكلام ماخطونا الى الامام الاخطوة واحدة والمقصد شاسع لا ينال الا بعد قطع مسافة طويلة

المسئلة مهمة وجديرة بأن نعي بها لان حياة الامم وبقاؤها انما يكونان بالمدارس التي هي روح الامم ومدار سعادتها وارقياتها في العلوم والمعارف . ولا يحصل الارتقاء في العلوم الا بالتدريج . وكما من أمة وضعت أساساً للعلم والمدنية ثم انقرضت وورثتها أمة أخرى وبنت على انقاض ما تركت الاولى وأكلت نواقيصها ثم ودعت الدنيا خلفتها نائلة ونظرت في مآثره من الآثار وزادت عليها وظفرت بما لم يخطر ببال الثانية وهكذا الى ان بلغت العلوم والحضارة ماأراه اليوم من الرقي والكمال

ووظيفة كل أمة في كل عصر هي ان تكل ماورثته من الآباء وتتركه للأبناء وإذا أهملت أمة هذه الوظيفة فقد جنت جنات لا تنفتر على اخلائها بل على النوع البشري بأسره

وإذا أجبنا الطرف في مدارسنا ترى الفوضى سائدة في أركانها : لانظام ،

ولا ترتيب ولا نظارة ولا محاسبة كاملة يت طرحت الى الشارع وقت الحريق !
ومن اراد ان يكتب شيئا فيما يتعلق بها يحار في اختيار نقطة يتندى منها . فليس
اصلاح هذه المدارس وتنظيم دروسها أمرا هينا بل هو أمر في غاية الصعوبة
ولكن الأمة اذا تصدت لهذا الامر بمجد واخلاص ذلكته مهما كان صعبا اذ لا يوجد
في الدنيا شيء أشد قوة من أمة متحدة افرادها وملتزمة اعضاؤها . ومان غاية
قاصية الا وادركها الأمة المتحدة ومان مصلك وعرا الا وعبرته الأمة المتحدة
والمسائل التي تتعلق بمدارسنا كثيرة لا تحصى ومضارها واسع جدا لانهاية
له . فلا خبر في التعبير في اختيار نقطة الكلام فأقول :

هل تقتقر مدارسنا الى الاصلاح ؟

ان مشكلة اصلاح المدارس مشكلة جديدة يتنا . اذا رجعتنا البصر الى
ما وراءنا قبل عشرين سنة لم نشر على أفكار مكتوبة تتعلق بالمدارس الا قليلا
واذ كان هذا اقليل لم يطبع ولم ينتشر بين الأمة لم يكن له أثر بالمره . ولكن
الفرق عظيم بين ذلك الزمان وبين اليوم . فانه لا يكاد يوجد اليوم من لا يبحث
عن أحوال المدارس وطلبة العلوم . وان كان بعضنا يشكر اصلاح المدارس ويحترم
تنظيم الدروس ويدعي ان وراء اصلاح المدارس ضررا جسبا يرجع الى الأمة
بالخسار فهو لا المنكرون لا يزالون يتباحثون مع غيرهم في شأن المدارس والطلبة . والبحث
عن شيء ولو بانكار الحقيقة خير من إهمال البحث لان الناس لا يهتمون الى الحق
الا بعد نزاع وجدال وبحث وتنقيب والبحث يجلو الحقيقة ويطلع الكثيرين على مواضع
خطأهم وينقذهم من التيه في غمرات الضلال .

انا أصلحتنا بيوتنا التي نسكنها والمربات التي نركبها وحوانيتنا التي نتجرفها
ومزارعنا التي نحرثها ، والاخذية التي نحتذيها ، والاردية والفراء التي نلبسها بل
وأوراقنا التي نطبع عليها كتبنا وقرأنا ، وحروف مطالبنا وغيرها أفلا تكون ديار
البرية والتعليم والمدارس والمكاتب التي يربي فيها رجال المستقبل وقادة الأمة
مفتقرة الى الاصلاح ؟

كل من تعلم في مدارسنا يكون إمام مدرسا في مدرسة أو عالما في مكتب أو

اماماً وخطيباً في مسجد أو عالماً ذا نفوذ عظيم في الأمة أو رئيساً لبيت من البيوت ؛
ولا أرى أن وجوب اتصاف هؤلاء بالفضائل الجملة وتحققهم بالاخلاق الفاضلة
يحتاج في اثباته الى دليل ؛

وإذا لم يكن المعلم والمدرس والامام والخطيب مثالا في الاخلاق الفاضلة
والآداب فلا يرجي منهم خير للأمة قطعاً . وليست وظائف من يكون زوجا لامرأة
أقل من وظائف من يكون معلما في مكتب . لان رئيس العائلة معلم في عائلته
كيف ندعي عدم اهتمام مدارسنا الى الاصلاح ولا يدرس فيها «علم التزينة»
وعلم الاخلاق وعلم السياسة والاجتماع . مع أن هذه العلوم لا بد منها لكل من
يرشح للتدريس ، أو التعليم ، والخطابة ، أو الكتابة ؛

أم كيف تحسب المدارس التي لا تسمع طلبتها فضيلة من الفضائل الانسانية
ولا تدري ماهي الفلسفة الدينية مسموعة غير مفتقرة الى الاصلاح ؛ وكيف ترحي الخدمة
للمسلمين من طلبة هذه المدارس ؟

كل ما يدرس في مدارسنا عبارة عن عدة حواش وشروح و بضعة كتب من
علم الكلام ألفت بعد ابتلاء المسلمين بالخلاف والجدل . اتكفينا هذه الدروس في
هذا الزمان ؛

إذا قال لنا الذين يصدقون أقوال الكهان ويحكون بما في كتب الطلاسم
والجفر ويحرمون ركوب السكة الحديدية ، ويمتنعون من السفر تطيرا بمحياوات
مخصوصة : ان مدارسنا أفاضت العلوم منذ قرون ولا تبرح فنيض وستفيض بعد
الآن . والقارئون منا أكثر من قارئ الروس . لانهم عندنا خمسة وعشرون في المئة
وعند الروس لا يزيد عن عشرين في المئة على ان مدارسهم منتظمة ودروسها على نسق
جديد والحكومة تؤيدها بمبالغ طائلة فالذي يضطرنا الى اصلاح مدارسنا ؟ قلنا لهم :
كلن الذين يقرءون في عهد آبائنا قليلين جدا في المدن فما بالك بأهري وما كان
المقصد من الكتابة يومئذ الا كتابة الكتب (الخطابات) وقراءتها أو كتابة أسماء
الموالي في سجل النفوس اذا كان القارئ اماما في مسجد . ولا شك ان هذه الحاجة
حاجة قليلة . وكانت مدارسنا في ذلك العهد تقضي هذه الحاجة . مضت الايام وتغيرت

لايمان، وكثرت الحاجات ونجحت بين الامم المنافسة في الحياة، أو تنازع البقاء، وكانت الثانية من التعلم في المدارس قبل اليوم بنصف قرن الالام بشي من الدين وتعلم الكتابة. اما اليوم فقد صارت مدارس الامم الحية دور حياة تخرج فيها هداة الامة وقادتها. وهؤلاء القادة يقودون اقوامهم الى ما فيه صلاحهم. ويسوقونهم الى مستقبل عظيم:

اذا بقي هداةنا حيارى اذ تقود هداة الامم الاخرى اقوامهم الى مصالحهم فقد خسروا خسرانا ميئنا!

فلتكن مدارسنا بحيث تربي لنا هداة يقودون الامة ويكونون لماخير قدوة. وان كان هذا الامر مما كان يمد قبل اليوم بثلاث سنين خيالا صرفا قد صارت الآن حقيقة جليلة كالشمس في وسط السماء.

هل كان يخطر ببالنا ان نسلمي الروس يضعون نظاما في حاجاتهم الدينية والدنيوية ويرفضونه الى الحكومة وانهم يجتمعون في عوامم البلاد ويأجرون في شؤونهم المختلفة كما رأينا اليوم باعيننا؟ فلا غرو اذا رأينا بعدهم وكلاء المسلمين يجلسون متكافئين مع وكلاء الامم الأخرى في مجالس عالية. وبالجملة اننا نضطر بعد اليوم الى ان نعيش مع أهل وطننا المتقدمين في العلوم مشتركين في المصالح. واذا لم نستطع ان نمشي معهم داسوا باقدامهم وبقينا اذلاء صاغرين.

ليست الغاية اليوم من التعلم في المدارس هي تعلم الكتابة قط بل الغاية كما قلنا سابقا هو ان يخرج فيها رجال يكونون أنه للامة.

المتعلمون من الزوس أكثرهم يعملون أعمالا نهار فيها عقولنا وأما المتعلمون منا فلا يقدر أحدهم على ان يتكلم بالعربية الفصحى بصدان يكون أضاع جل عمره في تعلم لسان العرب الذي يحتاج اليه كل عالم اسلامي ديني. أيها الاخوان! نحن في احتياج شديد الى مدارس منظمة تهبي لنا رجالا تحفظ امتنا من الزلازل والزلازل، والامواج والزواجر، ومن أنكر هذا فقد أنكر ما أتت به البرهان والبيان.

(رضاء الدين بن غر الدين)

(المنار) انزلنا رجاء كبير! مسلمي روسيا لا يرزله ما نسمعه عن جهود الكثيرين

من أسانئدهم وشيوخهم ونفورهم من الإصلاح الذي قضت به ضرورات الزمان
فإن طلاب الإصلاح كثيرون وهم الغالبون حتماً ولو بعد حين . ولعلنا نعود الى
الموضوع ونذكر ما يصل البناء عن مؤتمر التلاميذ الذي عقده في قزان وبعض ما نراه
واجباً في اصلاح تلك المدارس

أَنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ

التعريف

﴿الحقيقة الباهرة﴾ في أسرار الشريعة الطاهرة ﴿﴾

كتاب وجيز للشيخ أبي الهدى أفندي الصيادي الشهير بين فيه شعب الإيمان
الواردة في الحديث بحسب فهمه وهذا الكتاب أحسن ما أطلعنا عليه من كتبه
فقد تصفحنا منه أوراقاً متفرقة فرأينا كلاماً معتدلاً ينفع العامة وقلماً ينكر الخاصة
منه شيئاً ضاراً بعد مفرداً به فإثباته روية كثير من الناس للجن قد تبع فيه كثيراً من
المؤلفين وهو مما ينكره الخاصة ويعدون اشاعته ضارة وقد سبق للمنازل دليل ذلك .
وأما ما ينكرونه أو ينتقدونه عليه مما انفرد به فلم أر فيه ما يضر القارىء مثاله قوله

«والعلم بالله على ثلاثة أقسام الاوامر الشرعية والنواهي الشرعية والمباحات الدنيوية
ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية - فلم الامر هو علم الفرائض والسنن
والفضائل وعلم النهي هو علم الحلال والكره والتزني وعلم المباحات هو العلم بالدنيا
وأهلها وكيفية آداب المعاملة واكتساب المعيشة وصيانة المجد وحفظ حقوق المقادير
وأبهة الحياة المجتمعة وهذه الاقسام الثلاثة تتعلم من الشرع وطريقها السمع . وأما
مدارك الحواس والعلوم الضرورية فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا تحتاج الى
اكتساب . وبعد هذا فالهدي هو العلم لا يستغني القلب عن العلم طرفة عين
والمقل أيضاً محتاج الى العلم النبوي لا يستغني عنه بنفسه أنا أبداً وكل علم مد شرعه
في الاكوان افتقر رتقه بهمم الانبياء وباشرته العقول فسلكت فيه فجاجة»

فالعامي يفهم من هذا الكلام أنه يطالب بالعلم الدني والديني والخاصي لا يقول

ان فيه شيئا صاراً بقيدة القارىء أو آدابه وأما ينكر هذا التقسيم وهذا البيان للأقسام - ينكر على المؤلف أنه قال إن الأقسام ثلاثة وسرد أكثر من ثلاثة معطوفاً بعضها على بعض، ينكر عليه أنه جعل كيفية الكسب وصيانة المجد والعلم بجميع المباحات من العلم بالله ولم يذكر أن من العلم بالله العلم بصفاته وأسمائه وسننه وحكمه في خلقه وأما العلم بالله في الحقيقة هو العلم بهذه الأشياء ولا يصح أن يسمى غير ذلك علماً بالله إلا بتأويل. فان قيل انه طوى هذا في العلم بالاوامر أي بالفرائض والسنة - وهو مالا يتبادر من لفظها - يقول المنكر ان سلطنا ان هذا مما يفهم منها فأتانا ننكر على المؤلف سكوته عن أهم أركان العلم بالله ونقطه بما لا يد من أركانه أو لا يعدمه الا بتكلف من التأويل

- وينكر عليه قوله ان المباحات تتعلم من الشرع وطريقها السمع بأنه لا حاجة الى ان تتعلم المباحات تعلموا ولا تتوقف معرفتها على السمع فاتها هي الاصل وأما يتعلم من الشرع القسمان الاولان - الاوامر والنواهي - فيعلم ان ماسواها مباح على الاصل فما سكت عنه الشرع فلم يأمر به ولم ينه عنه فهو مباح وفي الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم «أنتم أعلم بأمور دينكم» - وينكر عليه قوله في مدارك الحواس والعلوم الضرورية وسكوته عن العلوم النظرية ولا حاجة لشرح ذلك ولا لبيان سائر ما ينتقد في تلك الجملة. وما ينكر عليه من هذا القليل ترتيب الشعب وخط مسائل الايمان منها ومسائل الاسلام ومسائل الاحسان بعضها ببعض. ان اريد الايمان ان ما ينكر على هذا الكتاب لا يكاد يتجاوز حسن البيان وتحرير المسائل الى كون ما كتبه صاراً بمقائد القارئ أو آدابهم كما يوجد في كثير من الكتب فالكتاب اذاً نافع

وقد أعجبني ما ذكره في شعبة الزكاة وهو «واذا تدبر اليب يرى أن الوجود كله يمتد لله بالزكاة عملاً بشرية الاسلام - هذه الارض التي هي اقرب الاشياء الينا تعطي جميع زكاتها من منافها ونباتها ولا تبخل على من على ظهرها بشيء مما عندها في فصول العام وكذلك النبات والاشجار والحيوان والبحر والسموات والافلاك والشمس والقمر والنجوم الكل لا يدخر شيئاً من منافع جوهرية

وفوائد مآذنه متعارف بعضها مع البعض في طاعة الله فباع الزكاة بخلاف لجميع الموجودات بل وللأرضين والسماوات ولذلك وجب شرعا قتاله وقهره واجباره على ايتاء الزكاة فتدبر سر هذا الحكم وحكمته يظهر لك شي من جليل معاني الشريعة فيها البلاغ اه وهو كلام ظاهره شعري وباطنه فيه حقيقة دقيقة وباليت المؤلف توسل الى السلطان بالزام المسلمين باداء الزكاة لعله يجاب كما يجاب الى كثير من الامور الدنيوية التي يطلبها منه

وقد طبع الكتاب على ورق جيد وهو يطلب من مكتبة أمين أفندي هندية

(خلاصة السيرة المحمدية)

يجب على كل مسلم ان يعرف رسوله الذي هداه الله تعالى على يديه معرفة تفصي ايمانه به وتنمي حبه في قلبه وترغبه في التأسي به فقد قال تعالى في كتابه (٣٣:٢) قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة تتوقف على معرفة سيرة من تأسي به في أخلاقه وشماله وأعماله وسائر شؤونه. وقد كان يصعب على كل مسلم ان يقف على السيرة النبوية اذ لم يسكن ألف فيها الا الكتب المطولة التي تصعب الاستفادة منها على غير العلماء. ومن محاسن هذا المصغر أن ألفت فيه المختصرات السهلة في كثير من العلوم ومنها (خلاصة السيرة النبوية) لشيخ عطية محمد البشاري مدرس الفقه المروية في مدرسة العقاد بن الاميرية. كتاب لا تبلغ صفحاته عقد المئة ولكنه جامع لأم مسائل السيرة النبوية بالاختصار، مع الاشارة الى شيء من وجوه الاعتبار، وللخص سيرة الخلفاء الراشدين. فأصبح لجميع نظار المدارس الاهلية ان يجملوه من أول دروس الدين ثم ينتقلون منه الى كتاب (نور البقين في سيرة سيد المرسلين) برأيتي لويم نشر هذين الكتابين وقرآن اهتمام في المحدث والقرى. ولو كنا عارفين بطرق النشر لادررنا بعض ما تمنى من مثل ذلك. هذا ما ترى التنويه به ناغيا بالاجمال ولا حاجة الى الكلام عن جزئياته بالتفصيل

(اعلام البعيد والقریب . بجز من ظن انه رد على السؤال المجيب)

لشيخ أحمد المايجي الكتبي مناظرات مع دة النصرانية بعبع وردود

عليهم منظومة ومنشورة ومنها (السؤال العجيب) وهو سؤال منظوم وجه اليهم فنظم بعضهم ردًا عليه فعاد الشيخ أحمد إلى رد الرد في كتاب منظوم منشور بلغت صفحاته ٦٨٠ والظاهر ان هذه الردود تتسلسل فلا تنقطع واذا كان الجدل مكروها وضارًا في الاجتماع فما يصح للمسلمين أن يفخروا به انهم لا يمتدون ، واذا اعتدي عليهم ينتصرون فلا يُغلبون ،

﴿ كتاب الموسيقى الشرقي ﴾

يكثر المصنفون في هذه البلاد سنة بعد سنة ولكن يقل فيهم من يأتي بشيء مبتكر ، يعرف به المنكر ، أو يحرر ما ليس محررًا ، أو يبيح به فثامات ، أو يقيم به رسماً درس ، وقد أهدي اليّنا في هذه الايام كتاب (الموسيقى الشرقي) فاذا نحن بمؤلفه (كامل أفندي الحلبي) يحاول فيه احياء هذا الفن الجميل — فن الموسيقى — باللغة العربية بعد أن ذهبت به السنون ، وتناولت عليه القرون ، ولم يقدم على هذا الا بعد أن أخذ له أهبة ، وأعد له عدة ، بممارسة الفن علماً وعملًا على أيدي اساتذة المصنفين كالرحوم الشيخ أحمد أبي خليل القباني الدمشقي استاذ الأول والشيخ عثمان الوصلي وغيرهما ثم بمراجعة أدريس بك راضب الشهير بجاء سفر احاط الرّي ، كامل الروي ، يدخل في مئتي صفحة كبيرة أو يزيد ، ذا طبع جميل ، على ورق صقيل ، ويزين بصور أشهر الموسيقيين المعاصرين مع تراجمهم واختار من ألحانهم فكان ذلك ذا شجون وفنون ، جديرًا بأن يكثر فيه الراغبون ،

بدأ المؤلف مقدمة كتابه بتعريف الموسيقى والنغم والصوت والصوت والاصول التي هي موازين الألحان ثم تكلم على الفناء وآلات العرب والسماع وجاء بأحوال الحكماء والفقهاء فيه ونقل كلام ابن خلدون في الموضوع ثم عقد للصوت فصلاً خاصاً فاطال الكلام في مباحثه الطبيعية والفنية فصلاً للآلات فصلاً لما يعرف عندهم بالتصوير وعند الافرنج بقلب القارور وفيها من الرسوم والجداول ، ما يجلي ما اشتتلا عليه من المسائل ، وجاء بعدها بفصول في آلات العرب — العود والقانون والكنجة الافرنجية والحربية والثاني في التصوير والمبروف — وقد

وضع في الكتاب رسوم هذه الآلات وشرحها وبين طرق العزف بها ثم عقد فصلا مطولا للاوزان والاصول بين فيه أقسام الواحدة والاوزان المصرية وهي سبعة عشر وأوضح كل ذلك بالإشارات الى غير ذلك من الفوائد وهذه الفصول كلها في مباحث الكتاب الفنية. ثم ذكر فصولا أكثر مباحثها أدبية كآداب المغني والسامع وغناء الحشاشين وملاهيهم وكيفية تعليم الفن وصفة المغني واسماء ملحن افناء بمصر وتفضيل الفناء القديم على الحديث. وجاء بعد ذلك يدائع الموشحات ثم تراجم اساتذة الفن وتلاميذهم المختارة. وقد وضع في آخره تلاحين له عربية على العلامات الافرنجية المعروفة بالنوتة وهو مالم يسبقه اليه أحد من أهل لفتنا فيما نعلم

أنفق كامل أفندي على تأليف هذا الكتاب وطبعه عدة سنين في ربيع عمره وذهرة حياته فهو جدير بأن يكافأ بالثناء والشكر ومن الشكر الاقبال على الكتاب وترويضه ونمن النسخة منه عشرة قرشا وهي قليلة على حسن طبعه وورقه وصوره ورسومه فهي الجزء المادي لمادة الكتاب، و يبقى لصاحبه حق الجزاء الأدبي لمن يعرف مكن هذا الفن من الترية والآداب،

﴿أبداع مانظم في الاخلاق والحكم﴾

جمع السيد يوسف أفندي بن عبد الفتي سنو الحسيني البيروتي صاحب مكتبة البدائع بمصر قصائد ومقاطع في الاخلاق والحكم من نظم الأوائل والواخر ومزجها بمنظومات لها أكثرها في الاقتباس وطبعها فكانت ديوانا جليلا وقد وضع في ذيل الصفحات تمريضا وجيزا بكل شاعر عند ذكره لأول مرة يذكر ماعرف من نسبه وتاريخ ولادته ووفاته. وهاك هذه القصيدة مما اختاره لاحد المجاهدين قال

﴿ومن قصيدة لعدي بن زيد﴾

وعاذلة هبت بلبيل ثلومي فلما غلت في الوم قلت لها اقصدي
أعاذل ان الوم في غير كنهه عليّ ثنى من غيرك المتردد
أعاذل ان الجبل من قمة الفقى وان المناسبا للرجال بمصرصد

أعاذل ما أدنى الرشاد من الفتى
أعاذل من تكتب له البار بقها
أعاذل قد لا قيت ما يزع الفتى
أعاذل ما يدريك أن منيبي
ذربي فاني أعما لي ماضي
وحُصِّت ليقاني الي منيبي
ولوارث الباقي من المال فانركي
أعاذل من لا يصلح النفس خاليا
كفى زاجراً لهم أيتام دهره
بليت وأبليت الرجال وأصبحت
فلا أنا بدع من حوادث تعري
فنفك فاحفظها عن الفتى والردى
وان كانت النعماء عندك لا مرى
إذا ما أمر ولم برج منك هودة
وعد سواه القول وأعلم بأنه
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
إذا أنت فاكهت الرجال بمجلس
إذا أنت طالبت الرجال نوالهم
ستدرك من ذي الفحش حثك كله
وسائس أمر لم يسه أب له
وراجي أمور جرة لن بناها
ووارث مجد لم ينله وما جد
فلا تقصرن عن سعي ما قد ورثته
وبالعدل فانطق ان نطقت ولا تلم
ولا تلح الامن الام ولا تلم

وأبعده منه اذا لم يسدد
كفاحا ومن يكتب له الفوز يسعد
وطاقت في الحجلين مشي المقيد
الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغدير
أماي من مالي اذا خف عودي
وغودرت ان وسدت أولم أوسد
عناي فاني مصلح غير مفسد
عن الحى لا يرشد لقول المفند
تروح له بالوعظات وتعتدي
سنون طوال قد أنت قبل مولتي
رجلا عرت من بعد بوسى وأسمد
مى تفوها يفو الذي بك يقتدي
فثلا بها فاجر الطالب وازدد
فلا ترجها منه ولا دفع مشهد
مى لا يزن في اليوم بصرمك في القند
فكل قرين بالمقارن يقتدي
قتل مثل ما قالوا ولا تغزى
ففت ولا تأتي بمجد فتجد
بملك في رفق ولا تشدد
وراثم أسباب الذي لم يعود
ستشبه عنها شعرب للمحد
أصاب بمجد طارف غير متلد
وما سطعت من خير لنفسك فازدد
وذا النثم فاذممه وذا الحمد فاحمد
وبالبدل من شكوى صديقك فافتد

عسى سائل ذو حاجة ان منته
من اليوم سولاً ان ييسر في غد
والخلق اذلال لمن كان باخلا
ضينا ومن يدخل بذل ويُرْزَد
وأبدت لي الايام والدهر أنه
ولو حب من لا يصلح المال يفسد
ولاقت لذات النفي وأصابني
قوارع من يصبر عليها يجسد
اذا ما تكرهت الخليفة لامرئ
فلا تنشأ واخذ سواها بمخذ
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه
يغلب عليه ذو التصير ويغهد
وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر
اذا حضرت أيدي الرجال بعهد
وللأمر ذو الميسر خير منية
من الأمري المصورة المردد
سا كسب مجدا أو تقوم نواحا
علي بليل تدباني وعمودي
نحن على ميت وأعلن رقة
تورق عيني كل بالكم ومسعد

وقد اخترنا المثال من شعر الرب لذكر الناس وعرف الجاهل بما أووه
في جاهليتهم من الحكمة التي أعدتهم لفهم الاسلام وقبوله والسيادة على العالم به
لهم يذكرون فيوازنون بين ماضينا وحاضرنا بل بين جاهلينا قبيل الاسلام
وبين حالنا الآن في علو الفكر وعزة النفس ومكارم الاخلاق ليروا أي الفريقين
أرجح — ليروا هل يوجد في علمائهم من ينطق بالحكمة التي كان ينطق بها الجاهلي ؟
هل يوجد في أغنيائهم من يبذل ماله لوقاية ماله وأمنه من الخطر كما كان يبذل الجاهلي كل
ما يملك ولو احتاج واحد هل يوجد في دعاتهم من يبذل روحه لوقاية نفسه وقومه من القتل
وحمايتهم من الظلم والكتاب يباع بأربعة قروش بمكتبة البدائم بشارع محمد علي

حديث الآداب

جمع ابراهيم دسوقي أفندي أباطه نجل ابراهيم بك أباطه وهو الآن تلميذ
في المدرسة الخديوية ما استحسنه من كراسات الانشاء التي كتبها في المدرسة
باقتراح المعلمين وما نقله من الشعر وما كتبه من الرسائل وما خطبه في بعض
الجمعات الادبية التي يخطب فيها مثله وطبع ذلك كله في كتاب سماه حديث الآداب
وقد أحسن في هذا العمل لان ابراز صورته الثقلة والتضيق للناس قبل أن يبلغ
أشدّه ويتم تعليمه جذر بأن يبحث همته في كل سنة الى الارتقاء عما عرفه الناس

منه ارتقاء يعرفه الناس ومن كانت حقيقة الادب له بداية يرجى ان يكون
قيل الادب له خير نهاية

(اظهار المكنون . من الرسالة الجديدة لابن زيدون)

رسالة ابن زيدون أشهر في عالم الادب من نار على علم ومن طلاب العلم من
يحفظ الرسالة الجديدة عن ظهر قلب لما فيها من الحكم والامثال، والحاسن والتكات
والاشارات التاريخية، والمختارات الشعرية، فهي خلاصة أدب رائع، وإطلاع
واسع، لا يفهمها على سلاسة عبارتها الا من ضرب في تلك المسائل بسهم، وكان
له ما تومي اليه نصيب من العلم، ومن ثم كانت الطلاب وكثير من وصفون
بالتحصيل والاستاذية في قصور عن فهمها بفهم معونه الشرح أو تكرار المراجعة لذلك
الشرح بعض محبي الادب على الشيخ مصطفى النائي أحد مساعدي التفتيش بوزارة
المعارف ان يشرحها «شرحاً جريزاً يتكفل بحل المفردات، ويبين مقاصد الكتاب
من العبارات، ويذكر مضارب الامثال»، قائلًا انه لم يسبق لها شرح على هذا
النوال، فأجابها إلى ذلك وقد وضع الشرح في أدنى الصفحة والاصل في أعلاها
وطبعا على ذلك فكانت نحو أربعين صفحة وجعل منها قرشاً ونصف قرش

(نتيجة الاملاء)

رسالة وجيزة في قواعد الاملاء للشيخ مصطفى النائي وهي على ايجازها
مفيدة جداً في هذا الفن حتى تكاد تكون محببة للضروي من قواعده وقد طبعت
في القلع الصغير وثمن النسخة منها نصف قرش

(حبيب الامة) جريدة جديدة أنشأها في تونس أحد كتّابها البارعين (عبد
الرزاق النحاس) وقد عاهد الامة على الحرية والاستقلال في بيان الحقائق وإسقاط
التصحيحة من غير عناية بالحكومة ولا مراعاة أهواء العامة أو ما همها متوافها
تذكر - وقد اختزل العدد الاول دوناً - ولم يري ان هذه الطريقة هي الطريقة
الحققة وقتنا الله وإياه الى الاستقامة عليها فانه لاخير في سواها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿مؤتمر الأديان في اليابان﴾

كتبنا في الجزء الثامن عشر من السنة الماضية (الصادر في ١٦ رمضان سنة ١٣٧٣) مقالة في دعوة اليابان الى الاسلام وكتبنا بعد هانذا أخرى في ذلك (راجع ص ٧٠٥ و ٧٩٦ و ٩٨٧ م ٨٠٥ و ٧٥٩) وقد أشرنا في الجزء الاول من هذه السنة الى ما كان لذلك الكتاب من التأثير في بلاد الاسلام شرقيا وغربيا حتى ان بعض أهل الغيرة وعد يبذل المال في هذه السبيل عند ما تظهر الدعوة الى ذلك في المنار وبعضهم قد أرسل اليها حوالة مالية للإغانة على ذلك ووعد بتأليف جمعية تجمع المال من المومنين اذا نحن شرعنا في العمل . وقد أشرنا في بعض ما كتبنا الى ان مثل هذا العمل لا يأتي الا من جمعية تقوم به لان ما يأتي من الافراد يكون ضعيفا غير ثابت ولا دائم . وكان خطر لنا من بضعة أشهر ان نسي في تأليف جمعية للدعوة الى الاسلام تكون لها مدرسة خاصة لتعليم الدعاة ما يعدم لاقامة هذه الفريضة المحترمة فاستشرنا بعض أهل الرأي والغيرة في ذلك بهذا كره الحاضر ومكانة الغائب فأجمعت الآراء على استحسان المشروع ولكن ظهر لنا ان بعض الكبراء منهم لا يثق بقدرة الجمعية التي يراد تأليفها على جمع ائمال الذي يكفي للقيام بهذا العمل خلافا لنا في اعتقادنا أن هذا المشروع يقع أحسن الوقع من نفوس جميع طبقات المسلمين ويرجى تمضيده من جميع البلاد الاسلامية اذا كان القائمون به ممن يوثق بهم في استقامتهم وكفائهم . وانما كتبنا ما كتبنا في ذلك لاجل تحريك الهم وتوجيه النفوس الى العمل

وفق الله بعض أهل الفضل للاجتماع والمشاورة في ذلك وألفوا لجنة اجتمعت عدة مرات وبُحثت في المشروع ثم لما أقبل الصيف بحره وتفرقه اختاروا أن يرجئوا الاجتماع والسعي الى ان ينتهي الصيف

وكان من اقترح بعضهم ان تعجل الجمعية باعداد ثلاثة أو خمسة نفر يستمدون

بالمطالعة والمدارسة لسفر الى اليابان فاستحسن اقتراحه ولكنهم لم يشعروا في شيء بالفعل وماسكتوا عن ذلك الا وأنطق الناس كلهم به خبر المؤتمر الديني الذي قرب وقت انعقاده في عاصمة اليابان

سبق للدولة اليابانية عقد مؤتمر ديني منذ سنين وقد دعت أهل الملل في هذا العام لعقد مؤتمر آخر يحضره الراسخون من أهل كل ملة يظهرون فيه حقائق دينهم وحججهم على كونه حقا مفيدا للبشر والعمران ويقال ان أولي الامر في الامة اليابانية سيدخلون في الدين الذي يظهر لهم بعد البحث الطويل انه خير الاديان ، وأعوها على ارتقاء الاجتماع والعمران ،

ذكرت « الجرائد المحلية » وهذا الخبر فشفل الناس به عن كل خبر حتى كان حديث المحاور والمسامر ، في كل ناد وسامر ، بل تجد الناس يتحدثون به في مواضع أعمالهم — عمال الحكومة في دواوينهم والقضاة في محاكمهم والتجار في دكاكينهم والفلة في مواضع الحرث والبناء وغيرها من الاعمال وكل مسلم مقيم في مصر يقول انه يجب ان يكون لمصر أعضاء في هذا المؤتمر وقلما يذكر أحد منهم البأس من قيام الحكومة بذلك والرجاء في الامة الا ويفصح بارتياحه الى البذل في هذه السبيل بقدر ما تسمح له سمته ومنهم من يشترط في ذلك ان يكون من مختارون للإرسال أهلا ببيان ما يمتاز به دين الاسلام على جميع الاديان . ومن شروط ذلك معرفة حقائق الدين الاسلامي وحكمته أو فلسفته كما يقولون ومعرفة الاديان الشهيرة الاخرى كالبودية والبرهمية واليهودية والنصرانية . وترى المارقين بأحوال الزمان والمكان يكادون يجمعون على انه لا يوجد في شيوخ الازهر من هم أهل لذلك على انه قد يرشح نفسه لمثل هذا العمل من هودون شيوخ الازهر علما ومعرفة ومن الناس من يرشح من يهوى يظهر للناس غيره وغيره من يحب ما أجدر تلك اللجنة التي جمعها غير مرة هذا الرجاء ، قبل ان تتنازع الاهواء ، بالبحث في هذا الامر فان رأته متيسرا قامت به وان رأته متعذرا أظهرت رأيها للناس فيه لعلمهم يقنعون ،

أما الدولة العلية فقد أرسلت الى المؤتمر من قبلها ثلاثة نفر بأمر السلطان

و بلغنا ان بعض مسلمي الهند وروسيا قد ذهبوا من قبل أنفسهم وأول مسلم انتدب لذلك رجل انكليزي قريب عهد بالإسلام، وان في ذلك لعلبة لأولي الاحلام،

مسألة العقبة

رجونا ان نحسن الدولة العلية المخرج من مسألة العقبة اذا كانت لم تحسن المدخل فلم يقض لنا مارجوننا وذلك أنها لم ترض بان تحمل عقدة الخلاف بالمذاكرة بينها وبين الخديوي وحكومته فاضطرت انكلترا الى أن تضرب للدولة أجلا عشرة أيام تخرج فيها جنودها من قطعة الخلاف ونحيب الى تعيين لجنة بمحدد الحدود على اوجه المألوف وتنذرنا الويل والثبور اذا هي لم تفعل فأجابت انكلترا الى ما طلبت في اليوم العاشر فكان هذا الفشل كسابقه في مكذوبة وغير مكذوبة اذ تنال أوروبا منا كل ما تريد في تركيا ومراكش وكل مكان ونحن مصرون على ذنوبنا التي تؤخذ بها كما قال ربنا (وما أصابكم من مصيبة فبما كبت أيديكم) لاملو كنا يتوبون عن استبدادهم بالامر ولأمتنا تتوب عن غرورها ومكابرتها واسترسالها في أهوائها وجهالتها . والعجب الذي لا ينقضي أن أكثر الذين يوصفون بالفهم منا يرون أنه يجب علينا إظهار القوة من الضعف ووضع السور على عيوبنا وذنوبنا التي حل بنا البلاء باقترافها لكيلا يشمت بنا اعداؤنا ولذلك يوهمون الامة بأن كل خذلان نصاب به هو عين الفوز والظفر وسنين الحق في هذه المسألة في مقال خاص

الشيخ علي الجبري

رغب شيخ الجامع الأزهر الى الامير أن يجعل الشيخ علي الجبري مدرسا واعظا في المساجد المصرية . وبين لمراتبنا من الاوقاف الخيرية يستعين به على عمله فأجاب الامير الى ذلك وكتب من ديوانه الى مدير الاوقاف بعد رسم الخطاب ما يأتي (بناء على التماس صاحب الفضيلة شيخ الجامع الأزهر قد سمعت انك انكسرت السنية بترتيب ستة جنبات شهر با لحضرة الشيخ علي أبي النور الجبري بحسبه على الاوقاف الخيرية اعتبارا من ٢٦ مارس نظرا لقيامه بالوعظ وبث العلم وارشاد المسلمين الى حقائق الدين الاسلامي واقضى تعمره لمساعدتك ببلغ الامر أقدم)

ميز الشيخ علي على سائر الوعاظ بجعله واعظاً في جميع المساجد له ان يعلم
 يعظ حيث وجد وأنما بين الوعاظ عادة في مسجد واحد وذلك أن الشيخ عليا
 جوال وأولئك قاعدون أو متقاعدون . وما يميز عليهم في التمييز الا وهو ممتاز
 بالذات فانك ترى العالم الأزهرى من أصحاب المدرجات الرسمية إن وعظ لا يحضر
 مجلسه الا الآحاد وترى الجري - وهو ليس بصاحب درجة رسمية - يعظ
 فيحضر مجلسه العشرات والمئات . ترى غيره يعظ في كتاب يقرأ ويرب كتابه
 ويبين العامة ما فيها من نكات البلاغة فلا يبلغ شي من معاني الكلام قلوبهم وترى
 الجري يعظ بغير كتاب فيفهم الناس حتى يبلغ مواقع التأثير من قلوبهم ولم يذكر
 كلمة واحدة من اصطلاحات فنون البلاغة . رأيت أحد علماء الأزهر يقرأ درساً
 للعامة في مسجد عينته فيه جمعية مكالم الاخلاق فاذا هو يفسر لهم حديث
 «العلماء سرج الدنيا ومصاييح الآخرة» فكثرت في المسجد ساعة لم يُعبد بكلامه
 فيها البحث في المصاييح هل هي عين السرج والسراج والمصباح والمصاييح . فانظر ما ذا
 يختارون لتقنين الناس وكيف يشرحونه لهم والجري لا يفعل مثل ذلك وإنما يتكلم
 على الناس بما يستدلونه به في عقائدهم وأخلاقيهم وآدابهم وعبادتهم ومعاملاتهم
 وقتنا لله وإياه الى السداد والاخلص آمين

﴿جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية﴾

ان تقرير هذه الجمعية عن السنة الفراضية الماضية ينبغي أن يعالجها وثباتها وفيه
 أنها انفتحت على التعليم في هذه السنة نحو ٥٥٣٦ جنياً منها ٤٣٤١ جنياً وكسور
 من الأجور التي تؤخذ من التلاميذ فتذكر لأعضائها الفيورين سميم زادهم الله توفيقاً
 (تصحيح) في ص ١٥٩ من الجزء الثاني « كأفحوص القطة » وصوابه « كأدحية
 الثعامة » وهو مبني في الرمل وسبب سبق الدهن الى الأفحوص ما ورد في الحديث
 من تشبيه المسجد الصغير به . وفي ص ٢١٧ من الجزء الثالث « فلا والذي يتنفي
 السماء » والصواب وضع « ذو » مكان (الذي) كما هي الرواية وذو عند طي بمعنى الذي

المسحاة

١٣١٥

بذلها الحكمة من ينشأ من يؤت الحكمة فقد أوتي
شراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

بشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي وده مناراة كمنار الطريق

﴿ مصر الخميس غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٤ - ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٦ ﴾

حال المسلمين في العالمين

﴿ودعوة العلماء الى نسيخة الامراء والسلاطين﴾

الشمس مشرقة تطوق بأشعتها الارض كل يوم ، والا بصار محدقة تحيط بما ينزل فيها من كل أمر ، يكاد كل انسان يعرف اليوم من أخبار الارض ما تعرفه الشمس ان كانت ترى الاشياء كما نراها فانيس لانه جعلها بتصرفه في قوى الطبيعة كالمدنية الواحدة يسهل على من يشاهد أمرا في رجا منها ان يقضي به الى من في سائر الارحاء . فالبرق الخافق ما بين الحافقين ، يقضي الى المترين بأخبار المشرقين ، وبني المشرقين بأعمال المترين ، فطرق السيرة معبدة ، ورواحل الحجرة مذلّة ، وجنى العلوم والعرفان دون تقناوله الأيدي من كل مكان ،

هذا التواصل في المكان ، والتقارب في الزمان ، لم يدعاعذرا لشعب أو جنس من الناس ، اذا لم يجارو يثار سائر الشعوب والأجناس ، قد عهدنا من طبيعة أطفال هذا النوع ان يقلدوا كبار الذين ينشئون بينهم في كل ما يرونهم عليه حتى يكونوا رجالا مثلهم في أعوام معدودة ، وعهدنا من طبيعة رجاله أن يستقلوا دون من تربوا معهم بأمور تكون لهم مزايا مشهودة ، فالقليد والاستقلال في الأعمال الكسبية ، كالتوارث والتباين في النواميس الطبيعية ، هما يحفظ الانسان أحسن ما وجب ، وهما يتدع ما لم يجد ، فهما جناحان اللذان يطير بهما البشر في جواء العلوم والأعمال ، حتى يصلوا الى ما استعدوا له من الكمال

ارجع الطرف الى ما رأيت من أحوال شعوب هذا العصر ، وأصنع الاذن الى ما نسمع من أخبارهم في كل يوم ، تعلم أن جميع الشعوب والاجناس قد سارت على طريق الفطرة البشرية التي أومأنا اليها آتفا ماعدا المسلمين فاتهم كادوا يكونون في هذا العصر من طبيعة غير طبيعة البشر لكنك ادونها بعد ان كانوا قد فاقوا سائر البشر وسادهم فكانوا قومهم أجمعين ان أرقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان أحدا منهم سوى شعبا من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد اتفقت من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا وهو الآن أرقى من مسلمي هذه الدولة تركها وعربها وكردها - أرقى منهم في الحكومة

والمدينة أرقى منهم في العلوم والفنون ، أرقى منهم في الصنائع والأعمال ، أرقى منهم في الآداب والادبائع ، ولك ان تستغني عن ذلك كله بأن تقول أنهم أرقى منهم في جميع شؤون الحياة . وان تعجب فأعجب من هذا ان يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة أرقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على أنهم أقل منهم عددا ، ولا حقوقا في مناصب الدولة . فإذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا وألمانيا واتكبرا . وسائر دول أوربا القواني أصبحن مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كن منذ قرنين أو ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها والخوف منها .

ماذا فعل مسلو مصر بعد الاشتغال بالثروة والتعليم على الطريقة الأوروبية قرنا كاملا ؟ انهم لم يجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفين ولا محررون لشيء من العلوم بل لم تسم مهمهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف ألف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والارادة لا يهابون في الحق حاكما ولا مخافون فيه لثام ، قد خرج حكم بلادهم من أيديهم وهذه رقيتها تكاد تخرج أيضا عما يملك أفراد الانجانب وشركتهم من أطماعها في كل عام وما يبتزون من أموالها في كل يوم . ولا غليل في وصف حالهم فجرائهم اليومية تقتضي عن ذلك بما تنهب فيه آنا بعد ان كيف يكون حكمنا عليهم اذا قسمناهم بنصارى أوربا أو وثني اليابان .

وهؤلاء مسلو الهند يعيشون بين أمم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن الخيوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد أمسوا وراء هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والثروة والثروة فلم تسم مهمهم لمساوقة من هم أكثر منهم عددا كالهندوس ، ولم ينجحوا ان يسبقهم من هم أقل منهم كالخيوس .

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت الجيوس أرقى شعوب الهند علما وعملا وأخلاقا وآدابا وأكثرهم برا واحسانا لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكثروا يفتنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين ، سمعت خطيبا منهم بخطب في محفل حافل فادهشي بسمو أفكاره ، وسعة عرفانه ، فقارنت بينه وبين شيخ مسلم سمعته بخطب الناس في مجتمع عام في بمباي يشبه ميدان

الازبكية في مصر وقد أحرق به الناس ، من جميع الملل والأجناس ، فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيما . سمعت المسلم يذكر في خطابه من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى أنه اذا اختطف غراب عظاما من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقعت منه في مقبرة للكفار فإن الله تعالى ينفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعه يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبه وخلصها ان مريدا له مات فحمل أهله الشيخ على أحيائه فطار في الجو ليدرك ملك الموت فيستعيد منه روح المريد فامتنع عليه ملك الموت قائلا لا يمكن أن أعيد روحا قبضتها باذن الله الا باذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي أودع ملك الموت فيه الأرواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الأرواح منها فطار كل روح الى جسدها فحي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ ولا تجرأ على ذكر ما قبل في شكوى ملك لربه وما أحجب به السواد الأعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الأقوال ومن ينكرها منهم في نفسه لا ينكرها بلسانه وانما ينكر الأكترون كل دعوة الى الإصلاح بالعلم الصحيح والبرية القويمة كما حاج أرباب العمام في بمباي على خطيب المسجد ذي المنارات أن قال في خطبته «أخوانا الشيعة» وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وأنهم لا يبذلون في مولد الشيخ من القنقات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لوفى به

في الهند حركة اسلامية جديدة يرحي خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب أصحابها أحداً من أهل الملل الاخرى في سمعهم وجدهم فاذا جرى للمسلمين ، وما الذي دفع بهم من عليين الى أسفل سافلين ؟؟

لينا غير مرة أن بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فشاور غروهم بدينهم أو ابتداعهم في دينهم أو جعلهم بدينهم أو لبسهم لدينهم كما يلبس افرو ومقلوبا . قبلوا كل داهية عرضها عليهم رؤسائهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على راسه ، أو نافسة له من أساسه ، وأعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لم رؤسائهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين أو من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين أو بقاء الدين .

ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين ، وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خوبت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الآلوف منهم واحدا يحكم ما يعتقد من الدين في أهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكة دون ما يعتقد الإبرهان، أو يعرف به لانه منصوص في القرآن ،

لا نطيل في شرح هذه المسأ ولا ندع التمثيل لما بما فعل المسلمون بأساسيات لديني والديني أو الروحاني والجهاني - أساس الاسلام الروحاني وتوحيد الله تعالى وإسلام الوجه اليه وحده فجميع العبادات انما شرعت للتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه أن لا يلتصق الانسان شيئاً مما لا امن الله تعالى أي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالاسباب ومن الشرك بالله أن يطلب الانسان شيئاً ما من غير سببه العام ، المبذول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام ، فان جهل السبب أو تعذر عليه توجه الى الله وحده اعله يهديه الى سبب آخر أو يسهل له الحزن ويذل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا أبعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية ، وما نخلوه بعض الناس من السلطة لآهية الفئدة ، وبهذا صار غيرهم أقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل ، وإن كانوا هم أصحاب القول والدعوى

وأساس الاسلام الديني جعل أمر المسلمين في حكومتهم شوري بينهم لا يستبد بها الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم أجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيه ولا سلطان لغير الله تعالى على أهله وان أحكامه شوري بين أولي الأمر وهم أهل العلم بالمصلحة العامة والرأسيين الذين تخرجهم الأمة وتتق بهم وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم في زمنه في الشؤون الدينية تربية للمسلمين بالعمل على ما أرشد اليه الكتاب العزيز وكان خلفاؤه من بعده يعملون برأيهم أيضا . فهذا الاساس في التسليم الديني من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منه فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظه شرعت الاحكام المدنية والقضائية وفوض غير المنصوص منها الى جماعة

أولي الأمر لتدعم الشورى التي هي أساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الأساس شرا مما فعلوا بالاساس الأول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة لجميع المسلمين ولكن الرضى يحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناه القرآن وأجمع عليه الصحابة من حكم الشورى قدرضي به جميع المسلمين في بلاد لم فيها سلطة الا مالا يخلو عنه الزمان من أفراد ينكرون هذه السلطة بالسنتهم دون أن يؤلفوا جماعات قوتها . على ان الانكار باللسان ، لم يفسر لم في كل زمان ، ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي سماه الرسول أضعف الإيمان ،

للاسلام أصول وفروع فن حفظ الأصول وقصر في بعض الفروع لا يقطع رجاءه من مغفرة الله تعالى ومن ترك الأصول كان تاركا للدين بالمرّة غير معدود من أهله ولا رجاء له مع تركها . وأهم أصول الاسلام ما ذكرنا من التوحيد في القسم الروحاني وحكم الشورى في القسم الجسماني فحق يرجو النجاة في دينه من ترك الأصل الأول فبمثل سنن الله تعالى وعلق قلبه ببعض عبيده الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضررا كما قال القرآن في شأن خير الخلق من النبيين والمرسلين . وكيف يرجو النجاة في دينه من رضي بحكم الافراد الاستبدادي وجعل لنفسه رئيسا من البشر مقدسا غير مسؤول أي ان له في ملكه ما أثبت الله تعالى لنفسه خاصة بقوله (٢٣١:٢٣٢) لا يستل عا يضل وم يستلون) بل كيف يتنجو في آخرته من خالف نص القرآن وإجماع المسلمين في المصدر الاول وهو يسلم بقول الفقهاء عامة ان من ترك أو رضي بترك نص القرآن ومخالفة الاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فهو كافر خالف في التارك كباد الاصنام طال الزمان على احوال القرآن وترك الاجماع حتى صار أكثر المسلمين يجهلون حقيقة السلطة في الاسلام بل صار الكثيرون من عامتهم يعتقدون ان سلطان ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد بتفويض من الشرع كأن الشرع جعل له سلطانا على الشرع ينسخ منه ما يشاء ويحكم ما يشاء وينفذ من أحكامه ما يشاء ويلغي منها ما يشاء فله من التصرف فيه ما لم يكن له ان جاء به إذ قال صلى الله عليه وسلم «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري . بل منهم من يعتقد أنه غير مسؤول لسانه المسلمين في الاحكام الشرعية وما امتاز به عند بعضهم أنه اذا نظر الى امرأة

متزوجة واشتهاها فانها تحرم على زوجها وتحل له !! وهذا كفر صريح
وحدثني محمود باشا داماد ان الفلاحين في الاناطول يعتقدون أن السلطان
يخالف فيشر في صورته ومن ذلك ان شعر لحية أخضر
أما أهل العلم والفهم فهم يدعون أنهم أخذوا بالقهر وغلبوا على أمرهم فإذا
نطقوا بالحق عمل سيف الباطل عمله في رقابهم فلم يبق لهم الا الرضى بأضف
الايمان وهو الانكار بقلوبهم . هل يصدق بهذه الدعوى - دعوى أضف
الايمان - من يمدح المستبدين ويدهن لهم ويدافع عنهم ؟ هل يصدق بهامن
يسلم لهم ويقبل وظائفهم ورتبهم وشارات الشرف التي ابتدعوها لأعوانهم ؟
هل يصدق بها من لم ينفذ جهده في دعوة أمثاله الى الاجتماع سراً ، لتأليف
جمعية تطالبهم بحكم الشورى جهراً ، وتقرهم عليه بقوة الأمة قسراً ، فان الله تعالى
ما فرض القيام بالدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة أي جمعية تكون من
الأمة الا لتكون بأمر من المستبدين ، مسيطرة عليهم باسم الدين ، فإذا ضل هؤلاء
العلماء بقوله تعالى (٣: ١٠٤) ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وبقوله عليه الصلاة والسلام «من رأى
منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليأسه فان لم يستطع فليقلبه وذلك أضف الایمان»
اذا ادعى هؤلاء السجزع عن ذلك فإذا يقول العلماء الذين لا يمنهم مانع من
الاستبداد ولان غيره عن دعوة الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر للحكام
في غير بلادهم . اذا كان علماء كل بلاد يخافون بأس حكامهم فإذا يمنهم ان
يطالبوا بحكام سائر بلاد المسلمين بإقامة العدل على أساسه الذي وضعه القرآن
(٤٢: ٣٨ وأمرهم شورى بينهم) ؟ اذا كتب علماء الازهر أو علماء الهند بذلك الى
سلطاني الترك والفرس وسلاطان المغرب وأعلنوا نصيحتهم في الجرائد فهل يخشون ان
يتكلموا أو يصلبوا أو ينفوا من الارض ؟ أم يحسبون ان كتابتهم لا تنفع ولا تنفع ؟ كيف
وهم يعلمون ان بعض السلاطين يهتم لكلمة يقولها في ذلك أحد أصحاب الطرايش
الذين لا قيمة لأقوالهم عند السواد الأعظم من المسلمين ؟ ادعوه فأرضوه ، وأخذوه فغلوهم ؛
لا شك عندنا ان كتابة علماء مصر وعلماء الهند الى السلطان العماني بطلب الإصلاح

تفعل في هذه الدولة التي يمتنى الجميع صلاح حالها مالا تفعله الثورات التي تجري فيها أتهار الدماء طلباً للإصلاح وإزالة الاستبداد في سائر الممالك

علماء مصر أبعد عن فهم السياسة والوقوف على المسائل العامة من علماء الهند ولم يتعودوا من الاجتماع للمشاورة في مصالح المسلمين ما تعودوا علماء الهند الذين أسسوا جمعية (ندوة العلماء) وغيرهم فعلماء الهند أولى بأن يبدؤوا بهذه النصيحة وعليهم أن يجعلوا بها فان نذر الدول الأوربية نذر الدولة العثمانية يجعل سائر ولاياتها تحت مراقبة دول أوربا الكبرى على الطريقة التي حرين عليها في كريت ومكدونية واذا تحقق ذلك - والعياذ بالله - فقد زالت سلطة المسلمين اذ لا يعقل أن يقضين على تركيا ويقتن على إيران، ومراكش كادت تكون منذ الآن في خبر كان،

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم - وكان إفساد رؤساء الدنيا لم يتم إلا بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين - وكان طول الامد على هذا الافساد قد أضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي - وكانت عزة الأمم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال - وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة - وكانت الشعوب الاسلامية لم تسم للنهوض بإكراه حكاهم على العدل والشورى كأنهضت الشعوب المسيحية واحداً بعد آخر كما أنبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكان شاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا - وكان الذي يمكن للحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق - وكان الحق المجسم عليه انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق - اذا كان ما ذكر كما ذكر فالواجب على العلماء الأحرار في مثل الهند ومصر ان يبينوا الملوك المسلمين ولعالمتهم الحق في ذلك مادام في القوس منزع - أن يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعصوا عليهم بالعامه والجرائد بسد أن يبينوا العامة في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة أو السلطان والأمير المتقيد بالشريعة والشورى المشلول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الإله الذي يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد الذي لا يسل عما يفعل وهم يستلون

لعل علماء الهند لا يعرفون كنه الخطر القريب الذي تتهاوت عليه الدولة العثمانية لأن أكثر جرائدهم كجرائد مسلمي مصر تكتم عنهم ما تعرف من مساوئها - على أنها لا تعرف إلا العز واليسير - وتحلها بالفضائل والقواضل المنتحلة التي ترى أنها تشد أواخي الآمال بها وتمثل عدوان أوربا عليها بأقبح المثل وأشنع الصور فتخلق لها من ذلك كهيئة الاعذار عن اصلاح أمورها الداخلية ، وتجذب به إليها قلوب الشعوب الاسلامية ، وهي تظن أنها لا تفعل بذلك الا خيرا

والحق الذي عرفناه بمد البحث الدقيق والنظر الطويل ان ضرر هذه الخطوة يرجع بجميع حسنات الجرائد واذا كان أكثر الناس يجهل هذا الضرر فان بعض أصحاب الجرائد المصرية يعرفه ولا يتسع هذا المقال لبيانه ولكننا نلفت الأفتكار الى البحث في مسألتين منه (إحداهما خارجية) وهي أن دعوة المسلمين في البلاد التي وقعت تحت نفوذ أوربا الى الاعتصام بعروة الدولة العلية هي التي كادت نجح كلمة الدول العظمى على الايقاع بها والقضاء عليها من غير فائدة لها ولا لهم وهذا ما أعني بالخطر القريب وقد رأينا بوادره ونفوذ بالله من أواخره (والثانية - اخلية) وهي مناصبة الدولة للعلم والتعليم والكتب والاجتماع والتعاون لاسيما في سوريا وفلسطين وكثرة المكوس والضرائب والمظالم مع قلة وسائل العمران . فلينظر المحب المنصف في عاقبة أمة تعد حكومتها أحسن كتب العلم الدينية والدنيوية من أكبر الجرائم والجنائيات وتشد في العقوبة عليها مالا تشدد على إزهاق الأرواح وسلب الاموال حتى صار الناس يحرقون كتبهم الموروثة !!

اذا سلمنا ما يقوله بعض أصحاب الجرائد وما يعتقده بعض المخلصين من مسلمي مصر وغيرهم ان انتقاد جرائد المسلمين لادارة الدولة ومطالبتها بالاصلاح تشبه ضار فهل يمكن أن يسلم عاقل لجاهل يقول بلا فهم ان نصيحة يكتب بها علماء المسلمين لاسطان قيا بما أوجبه الله تعالى تعد تشهيرا ضاراً ؟ ما أعلن ان الجاهل النبي الذي يخطر له مثل هذا قد خلق ولئن كان مثله مخلوقا فهو من الديدان التي لا صوت لها أيها العلماء الاعلام اذا كان الدين عندكم كل شيء فلن تقيموه حتى تعملوا بقول من جاءكم به (عليه الصلاة والسلام) : الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتاباه

ولا تمتع المسلمين وعامتهم: (رواه مسلم) فأى لجنة (ندوة العلماء) توجه هذا التذكير ثم ندعو من يقرأه من سائر العلماء أن يذكر به إخوانه . ومن أحب منهم أن يراجعنا في موضوع النصيحة بالتفصيل وفي كيفية الاجتماع لها وطريق أدائها فإننا مستعدون لبيان ما نشتل عنه ونضرع الى الله تعالى أن يجعل الله هذه الأمانة على أيدي علمائنا وأن يصلح الراعي والرعية بإرشادهم والسلام على من أجاب داعي الله في كل مكان وزمان .

باب المراسلة والمناظرة

﴿ دفاع الشيخ محمد بغيث عن رساليته والرد عليه ﴾

كتب الشيخ محمد بغيث رسالة سماها (إزاحة الوم والاشباه ، عن رساليته الفونوغراف والسكوتات) أورد فيها ما انتقدناه عليه في الجزء الثاني من المنار ورد عليه . وقد اطلعنا على الرد فكنا كلما قرأنا جملة من أوائله ورأينا ما فيها من المكابرة والتناقض والتهاوت قول في نفسنا ان الرجل ما كتب هذا الا ليغالط الناس لاعتقاده بأنهم لا يفهمون ما يقال وإنما يأخذون من جملة الأقوال أنه قد دافع عن نفسه وفند كلام المتعرض عليه ولما أوغلنا في القراءة ترجيح عندنا أنه هو نفسه لم يفهم ما كتب إذ لو فهمه لكزّم نفسه أن ينسب ذلك إليها وكنا اعتقدنا فيه مثل هذا الاعتقاد عندنا ثم رده الأول في بعض الجرائد الساقطة منسوباً إليها وإثنائين بعض تهافت بما فيه العبرة للقارئين

﴿ أدب الشيخ بغيث في رده ﴾

قال الشيخ في أواخر (ص ٢٩) من رساليته « وأنا قلنا عبارة المتعرض بطولها ليعلم الناظر فيها مقدار ما عليه من الأدب والاخلاق ويلبس المطلع عليها برودا من تسبيح خيوطها » أه نصه البليغ !!
أقول اتى أعترف بأن في عبارة قد اثار لرساليته يوسقواشرت الى السبب العام لذلك . ذلك اتى كتبت تلك البارة وانا متأم الروح لقوله بجواز كون امام المسلمين كافرا وابندلاله على ذلك بحديث لا يصح الاحتجاج به مع عدم الحاجة الى ذلك في

موضوع الرسالة . وقد تلمست له عذراً في نشر هذا المسألة في رسالة طبعها في وقت اشتد فيه الخلاف بين الفولة العثمانية وجولة غير مسلمة فأعوزني العذرونم أجدي في قوله ولا حاله متفقاً لنور الاخلاص فكنت «تحت عامل التأثير» كما قول الانرنج خجالت الصارة شديدة اللهجة كما يقول كنا بناولسكنها بحمد الله سالمة من مثل ما في كلام الشيخ من التيز بالالقاء، ومجاوزة حدود الاداب، والتشدد بالقصر والاعجاب، واليك نموذج ذلك من كلامه

قال بعد ان ذكر ان مستفيدا كتب يسأله عن عبارات أشكلت عليه في الرسالة «وقد رأينا أيضاً بعض الناس قد اعترض على الرسالتين مما ونشر اعتراضه في إحدى المجلات التي تطبع في مصر فوجدناه كلاما عليه صفة الحق (١) والحسد (٢) وملوءة ثقتان الثقتان (كذا) في القعد (٣) نستعيز منه رب الفلق (٤) كما نستعيز رب الفلق من شر ما خلق (٥) ولا نجاري هذا المعارض على مثل هذا القول !! بل نستعين عليه بذي القوة والحول، وقهوض أمرنا اليه، وتوكل في جميع شؤوننا عليه، فانه سبحانه وحده هو الذي يهب لمن يشاء من عباده من العلم والحلم ما يشاء، وينهبها أو يسلبها ممن يشاء (٦) ويتبلى بغض العلم والعلماء (٧) فيخلق ما شاء ان يخلق عليهم (٨) وينسب كذباً ما شاء ان ينسب اليهم (٩) وأن لم يكن منهم في شيء (١٠) ولا شخص له فيهم ولا في (١١) فرائت من الحكمة والصواب، ان أجيب عما جاء في الخطاب، وعما اعترض به ذلك السباب (١٢) اه بنصه التزمه

فأنت ترى أنه لم يخل سطر من هذه الاسطر من السب والشتم والتيز والعز والعجب والفخرواته ليس فيها وراء الشتم والسباب التي دخلت في جمع الكثرة غير دعوى العلم والحلم والتوكل على الله وعلو الاداب، والترفع عن مجازاة المعارض عليه بالسباب «هذا وما فكيف لو»

ووصف المعارض عند ابتداء الرد عليه في (ص ٢٥) بالمتعنت النريد وقال في (ص ٢٦) إنه عاب الكلام لانه لم يفهمه وتمثل بيت (وكم من غائب الخ وقص منه لفظ (هيمحا) و(السقيم) نزاهة وقتنا في البديع ولا ينتزه عما رأيت وسترى من ألقابه في مباحه . وقال في (ص ٢٩) : جرت عادة المعارض وأمثاله ممن كادوا يتميزون من القبط حسدا على أن يحتجوا علينا بالأبطل، ثم ادعى أنه في ردة مقامه لا يخطر أحد من هؤلاء الخاسدين على جناحه، ولا يجري ذكره على لسانه، قال : ولكن الحسد يعني ويصم . وقال في (ص ٥٢) عند قول المعارض أن الاعراب هم المقيمون

في البادية: فهي مسألة خلافة بين الله تعالى وبين هذا المعترض ونحن ممن يقول بقول الله تعالى ولا قول بقول هذا المعترض الخالف لكتاب الله: فانظر الى أدب هذا الاستاذ مع الله تعالى ويعني بمخالفة كتاب الله ان كتاب الله ذكر ان من الاعراب المؤمن والكافر والمتناقض واستنبط هو اجتهاده الجديد ان هذا التقسيم يتأني كون الاعراب هم سكان البادية وباليته راجع كتب اللغة وكتب التفسير بل كتابة ما كتب لعله يعلم ان المعترض عليهم يقل الالباب قال القويون والمفسرون أجمعون ولكنه اذا علم ذلك ولم يعلم انه لا يتأني التقسيم المين في كتاب الله فانه لا يستفيد ما ينسبه من القول بأن المسألة خلافة بين تعالى الله عما قال هذا الشيخ علوا كبيرا . وقال عن قول المعترض ان حديث جابر منكر أو موضوع انه جرائع على الاحاديث لا فرق بينها وبين الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم وستعلم مكان علمه بهذا كما علمت مكان أدبه فيه . وقد دعا على المعترض في آخر (ص ٥٧) ونسبه الى الاختلاق والافتراء في أول (٥٨) وعرض بعد ذلك بما عرض به . وقال في أوائل ص (٦٠): وأما قول المعترض أن المرأة والأعرابي المقيم بالبادية وراء انعامه ليسا مظنة (الخلاف) التي فهو قول من لم يؤته الله فهما ، ولم يذق للكلام طعما : وله كثير من مثل هذا التعبير الذي يمد في الذروة العليا من التزاهة والادب فلا نستقصيه . وقال في أواخر الرسالة ما قال من قبل في افتاد المعترض وأمثاله حسدا له وتمثل بقول الشاعر

ان يحسدوني فاني غير لائهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرهم غيظا بما يجد
انا الذي يحسدوني في صدورهم لا ارتقي صدرا منها ولا أرد

وقال بعد ذلك في خاتمة الرسالة « وأما مقاله المعترض من سوء الأدب في العبارة فانتا نسأله فيه ونرجو الله أن يسأله حيث كان من نفسه الامارة ومع ذلك إن عادت عدنا لها مع عدم مجاراته في سوء الذي هو غاية ما يفيقه وقف عند رد ما يديده من الشبهات بالحجج والبراهين وان لم يكن من فرسان ميدان المناظرة » فيا ليت شعري لولم تكن أرحمة الحلم والكرم والتزاهة والادب هزت الاستاذ الفاضل للغو والسماح عن المعترض ماذا كان يقول فيه ، ولولم يلبا تواضع والخشوع والاعتصام والتوكل ماذا كان يقول عن نفسه . هذا نموذج حلمه وأدبه وتواضعه وهضم نفسه وسيرد على القارئ نموذج علمه واجتهاده في الجزء الاكبر ان شاء الله تعالى



﴿الاختلاف في عداي القرآن﴾

كتب من مدينة بانجهانور الهندي ٢٧ - ٥ - ١٩٠٦ بالانكليزية ما ترجمته
سيدي العزيز

أكتب اليك أسطراً قليلة راجيا ان تعبرها التفاتك وان تتكرم بالكلام أو
باحاطي علما برأبك فيما يأتي

اني أرى اختلافا عظيما في عدد آيات القرآن الاقدس وانه عند مراجعة
مواضيع هذا الكتاب الكريم قد تنالنا مشقة عظيمة وقد يكون الامر شاقا عليكم أيضا
وقد اختلف قراء الكوفة والبصرة والشام ومكة والمدينة اختلافا مماثل لذلك
في (راكواز) (*) فانهم يختلفون اختلافا عظيما في عدد الآيات التي تشمل عليها
أليس من الممكن عقد اجتماع سرى بحضرة مسلمون من مصر وتركيا
ومراكش وبلاد العرب والمهند لاجل تمحيص المسألة

وأرى ان يكون مكان الاجتماع مكة أو المدينة في أيام الحج ومع أن هذا
الاختلاف لا يترتب عليه شيء في الكتاب الاقدس نفسه الا انه مما يوجب الاسف
ان لا يتفق المسلمون في الآيات والسور لكتاب صغير الحجم

واني لآسف على اني لا أحصل على مناركم كما اني آسف على عدم قدرتي
أعلى توضيح أفكارني باللغة العربية حتى أستطيع ان أكتب في جريدتكم ولكنني
رجو ان نوفق لحدمة نافعة بواسطة جريدتكم الدينية كما أرجو ان تكون ممنا

صديقك الخالص

بالصحة والعافية

م. كريم بكش

(المنار) من آيات الحياة في الأمة ان يوجد فيها أفراد متمون بالكاليات والتحصينات
من كل شيء. تتلاقى فيها أفكارهم على بعد ديارهم فينتا كان اخونا الهندي يفكر في
مسألة ضبط عدد الآي كان اخونا أحمد أفندي أمين الديك المصري يكتب فيها
رسائله (البرهان القويم) التي تراها في الأوراق التالية وقد جاءنا بها قبل مجيء
رسالة الاقتراح من الهند فرأينا أن ننشرها برمتها ثم نقب عليها بمجلة وجيزة

(*) يقول مترجم الكتاب أنه لم يجد في المعجمات الانكليزية معنى لهذه الكلمة

البرهان القوي

في

« الحاجة الى عد أي القرآن الكريم »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وجميع المرسلين (وبعد) فإن لنا مشعر المسلمين كتابا كريما أرغمت لفصاحته أنوف الفصحاء وخرت لمعانيه سجدا أر باب المعاني وذلك الكتاب هو القرآن الكريم الذي حاولت أساطين العلم ومصاييح الهدى علماء الأمة الإسلامية في كل عصر ان تلبس بخدشته تاج الشرف فأمضوا في ذلك اعواما من آجالهم وانضوا في تحرير أعمالهم مرهفات أقلامهم حتى أشرفت على النجوم ثم اختفت تلك الاشباح وعليها ذلك التاج الفاخر وبقيت تلك الكنوز الثمينة نذكرنا بلسان حالها قولهم :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

من أهم ما قام به ذلك السلف الصالح خدمة القرآن الكريم بتفسيره وجمع أوجه قراءاته وعد آياته وحصرها وعمل المعجمات المتنوعة للاعتداء به . ثم تلازم في الوجود ذلك الخلف فبرهن بجملة على امتزاجه بنوع من الوهن والضعف عن انتاج مساك الآباء وتنذية النفوس بما تنفذ به أرواحهم فقلبت قيمة ما ورثوه في انظارهم ومقتوا المذاكرة في شأنه مقتا إلا بقية لا تزيد على عد الأصابع في هذا الجمع الحافل أردت أن أمثلي يدي مع أيديهم وأحشر نفسي في زميرهم بفضل خدمة للقرآن الكريم وهي (دليل للاعتداء به) فأعددت للعمل عذتي وشرت عن ساعد

الجد فسرت بالعمل شوطا بعيدا قاربت ممة الوصول الى ما أرغضيه من الفائدة ثم وقفت مفكرا في طريق تعميم النفع بتلك الخدمة فوجدته عد آيات السور في جميع المصاحف والتفسير التي تتبادلها الايدي عدا خاليا من المباشرة والخلاف ولاجل تنبيه فكرة اخواني من المسلمين وأهل العلم تلك النقطة أخذت اشتغل لها بنفسي مع تحقيق وتدقيق حتى وصلت بها الى ما شاء الله ان أصل من الثقة بالنتيجة وعلى أثر الفراغ من ذلك دعيت عوامل الاخلاص الى وضع هذه الاسطر اليسيرة أبدأ بها لاصحاب الرأي من رجال الدين وأولياء الحل والعقد وأرباب الاقلام ثمودجا من على في تحقيق عد الآيات وبيان ما هو الأولى بالاختيار لتعميم المد بموجبه مؤملا من حضراتهم تقدير الفكرة حق قدرها والمناقشة في الموضوع وتلقيحه بما عس الحاجة اليه ثم المساعدة في تنفيذ المقترح بالاشارة الى وجوب عد آيات المصاحف والتفسير بالمد الذي يقر عليه الرأي ويشار اليه بالاختيار طلبا لتوحيدهم ومنعا من تعدد العدود رغبة في افراد طريقة الاستهداء بآيات كتاب الله الكريم في مشارق الارض ومغاربها والله الهادي الى سواء السبيل



١- القرآن الكريم ١١٤ سورة الاولى منها سورة الفاتحة والثانية سورة البقرة والاخيرة سورة الناس والسورة عبارة عن عدد محدود من الآيات والآية عبارة عن مقدار معين من الكلمات الشريفة كان النبي عليه الصلاة والسلام يوقف الحفظ والصحابة عليه عند التبليغ ويسمى أول كلمة في الآية قرأ الآية وآخر كلمة فيها بالفاصلة

٢- كانت الحفظ من الصحابة تجتمع حفظ القرآن معرفة عدد آياته وعدد آيات كل سورة من سورة وعدد كل آية من سورتها وبذلك كل اذا قرأ القارئ منهم بضا من سورة قدر ما قرأ بما فيه من الآيات وكان اذا أراد أحد ان يستفيد منهم ما نزل من القرآن في قوم أو حادثة عينوا له السورة التي ذكرت الحادثة فيها ومقدار الآيات الخاصة بذلك وأشاروا الى أول تلك الآيات بمددها الخاص بها والى الأخيرة منها كذلك وما يشهد لهم بهذا أولا ما جاء في الكتاب الساج والستين من صحيح البخاري (كتاب المغازي) بالباب السادس

والسبعين من أبوابه (باب قدوم الاشعرين) وهو حديث عن علقمة قال فيه (كنا جلوسا مع ابن مسعود فجاء ختّاب فقال يا أبا عبد الرحمن أيستطيع هؤلاء الشبان ان يقرأوا كما تقرأ؟ قال أما إنك لو شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك قال أجل. قال اقرأ يا علقمة. فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير أنا مرقع علقمة وليس باقرئنا. أما إنك ان شئت أخبرتك بما قال النبي في قومك وقومه فقرأت خمسين آية من سورة مريم فقال عبد الله كيف ترى قال قد أحسن ٠٠٠ الح) والشاهد فيه تقدير علقمة ما قرأه من السورة بما فيه من الآيات. وثانيا ما جاء في الكتاب الثامن والسبعين من صحيح البخاري أيضاً (كتاب التفسير) بالباب السابع والخمسين من أبوابه (باب ربنا إننا سمعنا متناديا ينادي للإيمان ٠٠ الح) وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن ميثم النخعي صلى الله عليه وسلم عند خاله ميمونة. وقد ذكره الامام مؤلف الصحيح في كثير من المواضع وجاء في هذا الموضع زيادة قوله (ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام الى شن ٠٠٠ الح) وفيه الاشارة الى عدد الآيات الخاصة بحالة معينة مع تعيين السورة التي اشتملت عليها وعدد أول آية فيها وكذلك الاخيرة. ومن قبيله ما نقله المفسرون في أسباب نزول أوائل آل عمران عن الربيع بن أنس من قوله (نزل أوائل السورة الى نيف وثمانين آية في وفد نجران ٠٠٠ الح) وكذلك ما ذكره صاحب لباب القول في أسباب النزول عن المسور بن مخرمة من قوله (قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصصكم يوم أحد فقال اقرأ بعد العشرين ومائة من سورة آل عمران تجد قصتنا يوم أحد «واذ غدوت من أهلك» ٠٠٠ الح).

**

٣- جاء بعد ذلك الزمن الذي رأيت فيه من عناية الصحابة بالقرآن ما سمعناك به زمن بدت فيه ظواهر قضت على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بنسخ المصاحف وارسالها الى الامصار الاسلامية المشهورة اتقاء الخلاف في ذلك الكتاب الكريم وعلى أثر ذلك قام حفاظ كل مصر من الصحابة والتابعين تيث معارفها عن آياته بتقدير آيات كل سورة من سورة وتعين حدود كل آية صيانة

للتوقيف الذي لقنه النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولما جاء عصر تدوين العلوم جمع ما قيل عن ذلك في كل مصر وإذا به ستة أقوال دونت جملة وتفصيلا في مؤلفات جعل اسم موضوعها علم فواصل الآي وبواسطة هذا العلم تبين ان اثنين من تلك الأقوال الستة نقلا عن أهل المدينة عن الامامين الجليلين أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح ويعرف أولهما بالمدني الأول وجملة الآيات فيه ٦٢١٠ مع خلاف فيه بين الامامين في ستة مواضع . ويعرف الثاني بالمدني الأخير وجملة الآيات فيه ٦٢١٤ بلا خلاف فيه بينهما رحمهما الله ورضى عنهما . والقول الثالث من الستة منقول عن أهل مكة ويعرف بالمكي وفيه روايتان احدهما عن أبي بن كعب وجملة الآيات فيها ٦٢١٠ والثانية عن غير أبي بلا تعيين وجملة الآيات فيها ٦٢١٩ . والقول الرابع منقول عن أهل الشام عن أبي الدرداء وقيل عن عثمان بن عفان ويعرف بالشامي وجملة الآيات فيه ٦٢٢٦ وفي رواية ٦٢٢٥ والأولى أرجح . والخامس منقول عن أهل الكوفة عن علي كرم الله وجهه ويعرف بالكوفي وجملة الآيات فيه ٦٢٣٦ . والسادس منقول عن أهل البصرة عن عطاء بن يسار وعاصم الجحدري ويعرف بالبصري وجملة الآيات فيه ٦٢٠٤ واليك يأنها ملخصة

اسم القول	عدد	ملحوظات
المدني الأول	٦٢١٠	وفيه خلاف بين قائله في ستة مواضع
المدني الأخير	٦٢١٤	ولا خلاف فيه
المكي	٦٢١٠	قول أبي في ذلك
	٦٢١٩	قول غير أبي ممن عد الآيات بمكة ولم يعين من هو
الشامي	٦٢٢٦	الرواية الراجعة
الكوفي	٦٢٣٦	لا خلاف فيها
البصري	٦٢٠٤	لا خلاف فيها

السلف من الصحابة والتابعين في استهداثهم من الكتاب الكريم بالإشارة الى آياته ببددها كما بينا منه شطرا فبما تقدم يرقم -٢- وأخيرا قامت من احتياجات المفكرين داعية الرجوع الى الاستهداء من الكتاب العزيز بما يشبه أساليب السلف في ذلك فقدت آيات السور أو أواخر القرن الثالث عشر من الهجرة الموافق للقرن التاسع عشر من الميلاد في مصنفين أحدهما طبع في الأستانة سنة ١٢٩٨ هجرية ويعصرف بالمصحف العثماني والثاني عده بأوروبا مستشرق ألماني اسمه (فلوجل) وطبع بالمانيا وعمل عليه فلوجل نفسه مؤلفا سماه (نجوم الفرقان في أطراف القرآن) جمع فيه ألفاظ الكتاب العزيز كلمة كلمة وأشار الى جميع مواضع كل كلمة في جميع السور بالأرقام التي وضعها على رؤس الآي في المصحف المذكور وبذلك استفاد من قرأنا الكريم مرة الغريين في البحث والتتقيب عن المعارف العربية عالم يحصل عليه أكثر المتعلمين من أبناء الأمة العربية وأتباع ذلك الكتاب العزيز

وبالتأمل في عد المصنفين المذكورين وجدتهما يتفقان في عدد ٣٤ سورة ويختلفان في عدد الباقي وبإحصاء الآيات في كل منهما تبين أن جملة آيات المصحف العثماني ٦٣٤٤ وجملة آيات المصحف الألماني ٦٣٣٨ ولم يطابق أحد المديين المذكورين واحدا من الأعداد المنقولة عن السلف ولأجل استكشاف ما به نتج ذلك الخلاف أخذت أتتبع أولا من صحة كل قول مما نقل عن السلف في جملة آيات القرآن وجملة آيات كل سورة من سورته وبعد الفراغ من ذلك راجعت ما وثقت به على كل من المصنفين فوجدت أغلاطا في كل منهما فأحصيتها مشيرا بالصواب أمام كل غلطة مؤملا نجاحي في تصحيحها وفي توحيد عدد آيات المصاحف والتفاسير لتقريب وتوحيد وسيلة الاستهداء من ذلك الكتاب والله المعين واليك بيان النتائج التي وصلت اليها

-٥- جاء اختلاف عد السلف لجملة آيات القرآن من قطعة واحدة وهي أن بعضهم اعتمد في عده من الفواصل ما لم يتمدها الآخر فواصل في عده وعلى هذا يكون من بين فواصل الكتاب الكريم ما لم يختلف فيها أحد من السلف ومنها ما وقع فيها اختلافهم وتسمى الفواصل التي من الصنف الأول بالفواصل المتفق عليها والتي من

الصف الثاني بالفواصل الخلافية وهذه الفواصل الخلافية نوعان نوع لم يرد عده الا في قول واحد من الستة والثاني جاء عده في قولين فأكثر وأسي فواصل النوع الاول بالفواصل الافرادية وفواصل النوع الثاني بالفواصل المشتركة
٦- في القرآن الكريم من الفواصل المتفق عليها ٦١٠١ ومن الفواصل الخلافية ٢٤٨ منها ٨١ فاصله افرادية واليك جدولاً في تقسيم السور الى طوائف بحسب ما فيها من الفواصل الخلافية وجملة ما في كل طائفة من الفواصل المتفق عليها والمختلف فيها

جدة المتفق عليه	جملة المختلف فيه	عدد السور	عدد الطوائف	جنس الطائفة من السور
عدد	عدد	عدد	عدد	
١١٧٦	٠٠	٣٩	١	سور لا خلاف في فواصلها بين الماديين
٨١٨	٢٢	٢٢	٢	« الخلاف في فواصل كل منها في موضع واحد
١١٣٧	٤٠	٢٠	٣	« « « « « « موضعين
٨٤٩	٣٦	١٢	٤	« « « « « « ثلاثة مواضع
٥٧٤	٢٨	٧	٥	« « « « « « أربعة مواضع
٣٩٤	٢٠	٤	٦	« « « « « « خمسة
٤٧٥	٣٥	٥	٧	« « « « « « سبعة
٠٨٠	٠٩	١	٨	« « « « « « تسعة
١٠١	١١	١	٩	« « « « « « احد عشر موضعاً
٢٨١	١٢	١	١٠	« « « « « « اثني عشر
٩٠	١٤	١	١١	« « « « « « أربعة عشر
١٢٦	٢١	١	١٢	« « « « « « احد وعشرين
٦١٠١	٢٤٨	١١٤		

ولأجل معرفة جملة الآيات في كل قول من أقوال السلف ينبغي فرز الفواصل الخلافية التي جاء عدها في كل قول من تلك الأقوال على حدها وإضافة

المفروز منها الى الفواصل المتفق عليها فتحصل جملة الآيات في ذلك القول . وباجراء
الفرز والحصر بالفعل ينتج البيان الآتي

مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١	٦١٠١
٣	٤	٥	١٠	٤٣	٨
١١٤	١٠٩	١١٥	١٠٧	٩٢	٩٥
٦٢١٨	٦٢١٤	٦٢٢١	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٦٢١٠	٦٢١٤	٦٢١٩	٦٢٢٦	٦٢٢٦	٦٢٠٤
٠٠٠٨	٠٠٠٠	٠٠٠٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠

وبالتأمل في هذا البيان نجد خلافا بين ما حققناه وما جاء به القول عن المدني
الاول والمكي ومنشأ ذلك وجود خلاف للمدني الاول في ستة مواضع ورود
اضطراب في مواضع محصورة من فواصله الخلافية لم نعتمد اسقاطها وأمان المكي
فلسبب ورود روايتين في جملة الآيات فيه ولاهال الراوي نسبة الاضطراب في
الموضع المضطربة الى احدي الراويين . (انظر الى قول الثالث من رقم -٣-
-٨- توصلنا الى البيان الاجمالي المذكور في رقم -٧- بعمل تفصيلي مثله لكل سورة
من السور التي جاء خلاف في فواصلها وذلك بارشاد الكتب المؤلفة في الفواصل
و بعض التفاسير ولأننا هنا بمثال لسورة يوضح ذلك وليكن لسورة آل عمران فنقول:

جاء في الكتب المؤلفة في الفواصل ان سورة آل عمران مدنية وآياتها ماثان
باتفاق في الاجمال (أي في جملة الآيات) وخلافها سبعة مواضع (أي فواصلها
الخلافية سبع) وقد بينت كل ما يختص بكل موضع خلافي بمحورها
« (الم) عده الكوفي (الإنجيل) الأولى عده ماعدا الشامي ١٠٠٠ الح » ثم سردت
الفواصل المتفق عليها . فلما فهمنا منها ذلك قمنا بإحصاء المواضع المتفق عليها أولا واذا بها
في هذه السورة ١٩٧ موضعا ثم عمدا جدولا على الصورة الآتية للمواضع الخلافية

جدول - أ -

نمره سلسله	اسماء المواضع الخلافية	مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري
١	آلهم	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٢	الإنجيل الأولى	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠١
٣	الفرقان	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠١
٤	الإنجيل الثانية	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠
٥	اسرائيل	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٦	مما نحبون	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٠	٠٠
٧	مقام ابراهيم	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠
		٣	٣	٣	٣	٣	٣

وبه تبين ان كل قول من أقوال السلف عد من الفواصل الخلافية ثلاثة مواضع بلغت معها جملة الآيات في كل منها مائتي آية وعلى أثر مطابقة ما يسطيه هذا البيان من جملة الآيات للمذكور عن جملة آيات السورة في كتب الفواصل نضع للسورة الجدول الآتي مجلا

جدول - ب -

نمرة السورة في المصحف	اسم السورة	الفواصل المتفق عليها	مواضع الخلاف
٣	آل عمران	١٩٧	٧

ماعد من مواضع الخلاف في كل قول						
مدني أول	مدني أخير	مكي	شامي	كوفي	بصري	
٣	٣	٣	٣	٣	٣	٣

وذلك لاجل أن يعرف منه جملة آيات السورة في أي قول بضم المدد وفيه من الفواصل الخلافية الي الفواصل المتفق عليها . وبعد الفراغ من العمل على هذا النمط لثقة بالمتقول عن السلف في كتب الفواصل أخذت في مراجعة ما تمحقت

فيه المطابقة ونمت به الثقة على عد المصحف العثماني والمصحف الذي عده (فلوجل)
فكانت النتيجة ماسأذكره والله المبين

٩- قد علمنا ما ذكر برقم ٦- أن جملة الفواصل المتفق عليها بين السلف ٦١٠١
وبالتأمل في المصحف العثماني وجدناه أهل منها سبعة ووافقهم في عد ٦٠٩٤ فاصله
ثم وجدناه عد من مواضع الخلاف البالغة ٢٤٨ (راجع رقم ٦) ١٤٥ موضعا
وانفرد بعد خمسة مواضع لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف وعمرجة دقيقة
مثل هذه المراجعة في المصحف الذي عده (فلوجل) وجدناه أهل من الفواصل المتفق
عليها ٨٩ موضعا ووافقهم في الباقي ومقداره ٦٠١٢ موضعا ورأيناه عد من الفواصل
الخلافية ١٠٨ مواضع وعد ١١٨ موضعا لم يقل بكونها فواصل أحد من السلف
وبذلك بلغت جملة الآيات في الأول ٦٢٤٤ وفي الثاني ٦٢٣٨
واليك بيان اجمالي لذلك في الجدول الآتي جدول -١-

المصحف العثماني	المصحف عد فلوجل	
عدد	عدد	
٦١٠١	٦١٠١	الفواصل المتفق عليها بين السلف
٧	٨٩	ما أهمله كل منهما من الفواصل المتفق عليها عند العد
٦٠٩٤	٦٠١٢	الباقي الذي عد في كل منهما من الفواصل المتفق عليها
١٤٥	١٠٨	ما عده كل منهما من الفواصل الخلافية
٥	١١٨	ما انفرد بعده كلاهما ولم يكن من الفواصل بل عد خطأ
٦٢٤٤	٦٢٣٨	جملة آيات القرآن في كل منهما

والنتائج المذكورة إنما حصلت من عمل تفصيلي لكل سورة مما فيها خلاف
على النسخ الآتي وليكن التمثيل على سورة آل عمران أيضا

فانظر أعانتني الله وإياك وراجع هذا التحري ان استطعت وسمعت لك
الفرص ونهني على ما تبيينه موجبا للتنبيه بداعية الاخلاص الاخوى

١٠ - رأيتني أيها القارئ الكريم أقترح في فاتحة هذه الاسطر وجوب عد آيات
القرآن في المصاحف والتفسير عدا موحدا خاليا من الخلاف والخطأ . ووجدتني بينت
لك فيما تقدم (برقم ٣ - ٣) ان للسلف ستة أقوال في حصر جملة آيات الكتاب
العزيز ولكنها غير متطابقة وكأني بك الآن تطالني بما أجيب به اذا سئلت
عن تبيين ذلك المد وتحديدته ولذلك أراني لازما بمكاشفة القارئ الكريم عن
رأبي في ذلك وعرضه على محك النظر لاختباره والحكم عليه بما يؤدي اليه النقد
فأقول: قد جعلت أول الفكرة اختيار عدد من عدود السلف الستة للفرص الذي تسكلم
في شأنه ولأجل فرزه من بينها استخرجت من مجموع الصفات التي تبينت لي في
تلك الاقوال الستة خمس مرجحات قلت اذا توفرت كلها أوأكثرها في واحد
منها وقع الاختيار عليه أو صار ذلك القول أحق بالاختيار من غيره وتلك
المرجحات الخمس هي ما يأتي

الاول - ترجيح الاقوال المنقولة عن أهل الاماكن التي يرل الوحي بها على
غيرها لصيانة التوقيف فيها بكثرة الحفاظ والمقتنين منهم في غيرها من البقاع
الثاني - ترجيح الم اضطرب الروايات في عدم مواضعه على غيره لان الاضطراب
في موضع يؤدي الى الشك فيه (والاضطراب شك يقع من الراوي بسبب التسيان
أو ضعف الذاكرة أو ما شاكل ذلك)

الثالث - ترجيح ما قلت فيه المدودات الافرادية من القواصل الخلافية على غيره
لان الموضع الذي يأتي عنه في قولين فأكثر أقرب الى الثقة بسده مما لم يحمي
عده الا في قول واحد

الرابع - ترجيح المد الذي يحزم في جملة آياته وتفصيلها برواية واحدة مقطوع
بها على غيره مما ليس كذلك وسببه ين

الخامس - ترجيح ما انعدمت منه مواضع الخلف على غيره لان الخلف في موضع

موجب لشك فيه كالاضطراب بل أكثر والخلف في موضع معين من قول معين هو انقسام عادي ذلك القول في عد ذلك الموضع الى قسمين أحدهما يقول بعده والاخر لا يقول به (الخلف يقع من الماديين أنفسهم وأما الاضطراب فإنه يقع من الرواة فتأمل)

و بمرض هذه المرجحات الحس على كل قول من أقوال السلف الستة وجدت المدني الاخير قد فاز منها بحظ لم يكمل مثله لغيره كما تبينه من الجدول الآتي ولذلك وقع عليه اختياري فهذا ما أُجيب به ولك أيها القارئ الكريم الشأن فيما تبين فيه الاولوية والارجحية لاني ماقلت الا ما وصل اليه مبلغ علمي والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

وها هو الجدول الذي أشرت اليك بالنظر فيه قريبا

اسم القول	العدد	مواضع الخلف	جلس الرواية	معدوداته	عدد المواضع المضطربة	اسم بقعة التي نقل القول من اهلها
المدني الاول	١	٦	١ مجزومها	٣	١	المدينة المنورة
» »	٢	٠٠	١ » »	٤	٠٠	» »
المكي	٣	لم تحدد	٢ المجزوم بواحدة منها	٥	٤	مكة المكرمة
الشامي	٤	١	٢ مجزوم بكتبيهما	١٨	١	بلاد الشام
الكوفي	٥	٠٠	١ مجزومها	٤٣	٠٠	الكوئنة
البصري	٦	١	٢ مجزوم بكتبيهما	٠٨	٠٠	البصرة

ولست تجيد في هذا الجدول هذا أجرى في بقعة نزل الوحي بها مع خلوه من المواضع المضطربة وقلة المعدودات الافرادية عن غيره مع الثبوت في روايته والخلو من الخلف الا المدني الأخير كما ذكرت لك فيما تقدم

-١١- بيان الحاجة الى عد آيات القرآن الكريم بالأرقام

(ومن ألف في ذلك)

من يقف على أن آيات القرآن غير معدودة في المصاحف والتفاسير بالأرقام وأن طلاب العلم بمعاني ذلك الكتاب المحكم من المسلمين غير قليلين . وان كان عددهم بالنسبة الى المجموع أقل من الواجب بكثير وأن أكثرهم ممن لا يحفظون القرآن يعرف الاسباب التي دعت أرباب الفكر الى تأليف (دليل الميراث في الكشف عن آيات القرآن)* (١) و (نجوم الفرقان في أطراف القرآن)* (٢) و (مفتاح كنوز القرآن)* (٣) و (مرآة القرآن)* (٤) و (تحليل القرآن)* (٥) ومن ينظر في هذه المؤلفات وفي طريقة الانتفاع بها يتضح له في كل منها تقصير عما يجب من جهة ويتبين فوق ذلك اسبابا خارجية تمنع من تعميم الانتفاع بها وليان ذلك في كل منها أقول

(١) دليل الميراث - هذا المؤلف أعده مؤلفه للبحث عن مواضع الآيات في سور القرآن متى علت أو نزلت ويشير الى الآية بعددها من السورة التي هي منها وينعم من تعميم الانتفاع به ان من لم يعرف أول الآية لا يمكنه الكشف بواسطته وأن المصاحف والتفاسير المتداولة لم تكن معدودة الآيات وما كان منها معدودا فأرقامه لا تتفق مع أرقامها

(٢) نجوم الفرقان - يشير هذا المؤلف الى مواضع كل كلمة من كلمات القرآن في جميع آياته بوضع أرقام أفرنيكية كبيرة لترتيب السور في المصحف وأرقام أفرنيكية صغيرة لترتيب الآيات في السور وعوائق تعميم الانتفاع به هي أن أرقامه أفرنيكية وجوهرا المسلمين لا يعرفون تلك الأرقام لوجود أرقام خاصة لهم وأن أرقامه لا تتفق الا مع المصحف الذي عده (فلوجل) المطبوع بالمانيا وأغلب مصاحف المسلمين

(١) تأليف الحاج صالح ناظم وطبع بمطبعة التمدن بمصر (٢) تأليف (جوستافوس فلوجل) طبع بالمانيا (٣) تأليف كاظم بك طبع أولا بمدينة بيرسبورج من روسيا على الحجر ثم بالحروف في مصر (٤) تأليف عاكف أفندي تشريفاتي وهو خط بالكاتبخانه الخديوية المصرية (٥) تأليف الموسيو (لابوم) وطبع بباريس من فرانس

غير معدودة والمعدود منها لا تتفق أرقامه مع أرقامها وأن سر مد مواضع الكلمة الواحدة من كلمات القرآن بالأرقام جملة واحدة لا يسمح لطالب الكشف بالشور على مطلوبه دفعة واحدة وهو سبب ربما يقضي بإهمال المؤلف

(٣) مفتاح كنوز القرآن - وضع هذا المؤلف على شكل متزج إمام من نجوم الفرقان مع نوع من التحسين وإما على مثال (مرآة القرآن) الآتي وصفه فيما يلي فتكفل بذكر مواضع كل كلمة من كلمات القرآن فيه بحيث يذكر الكلمة بين ما يسبقها وما يلحقها من الالفاظ القرآنية وهو شكل يتم به تمييز الموضع المراد البحث عنه غير أنه لا يحدد الموضع تماماً ولكنه يحصره في عشر آيات فقوله مثلاً ٦٢٥ - بقره - الله لا اله الا هو (الحق) (القبوم) معناه ان كلمة (الحق) التي يسبقها (الله لا اله الا هو) ويلحقها (القبوم) توجد في العشرة السادسة والعشرين من آيات البقرة أي بين الآية رقم ٢٥١ والآية رقم ٢٦٠ وبما ان المصاحف والتفسير غير معدودة بالمشرات ولا بغيرها صار من السر تعميم الاتقاع بهذا المؤلف في الكشف بواسطة

تبيينه - اذا عدت آيات المصاحف والتفسير بعد موحداً بالأرقام يكون مفتاح كنوز القرآن امثال الصالح لأدلة الكشف - لكن نستبدل الأرقام الدالة على عدد الآيات بنفس أرقام المشرات وبهذه وضع الالفاظ على ترتيبها الطبيعي ويزاد فيه قسم الحروف التي من قبيل إن الشرطية وما ولا الخ

(٤) مرآة القرآن - يشير هذا المؤلف الى موضع الكلمة من السورة بعد ترتيب أحزاب القرآن بعد ان يحصرها بين ما يسبقها وما يلحقها من الكلمات الشريفة ويقترب مكان الموضع من الحزب باستعماله حرف (الاف) للإشارة الى أول الحزب وحرف (الواو) للإشارة الى وسطه وحرف (الراء) للإشارة الى آخره - وبما ان تقسيم القرآن الى أحزاب غير مألوف كان قصور تعميم الاتقاع به للكشف واضحاً

(٥) تحليل الآيات القرآنية - أعد هذا المؤلف لجميع الآيات بحسب المعاني ففيه مثلاً آيات الميراث مجموعة تحت عنوان الميراث والآيات التي تذكر أخبار سيدنا موسى عليه السلام تحت عنوان موسى عليه السلام ولكون هذا المؤلف ترجمة للآيات بالفرنسية تعبر عن معاني القرآن بقدر الامكان وأكثر المسلمين لا يعرفون هذه

اللغة فنغمته اذن خاصة بمن يعرفها وأرقام آياته تتفق مع المصحف عدد (فلوجل) للطبوع بالانبا وهو في وضعه لم يكن دقيقا وإنما يوجب الثناء على واضعه الاجنبى عن العربية وأهلها

تنبيه — مما رأيناه في مؤلفات العرب من قبيل تحليل الآيات القرآنية كتاب (حجج القرآن) وهو قاصر على سرد الادلة القرآنية التي يستدل بها كل فريق من الفرق الاسلامية على مذهبه. وبما أن أغلب المستبرين من المسلمين لا يحفظون القرآن كما قلنا في أول هذا الفصل فهم اذن في حاجة الى دليل يبين على الكشف في المصاحف والتفاسير بمجرد معرفة لفظ معين من الآية المطلوب معرفة موضعها والى مصنف يضم الآيات بحسب المعاني والى معجم لغوى ينقسم الى قسمين يذكر في الاول منها الالفاظ اللغوية بحسب ترتيبها في السور وفي الثاني تلك الالفاظ مرتبة بحسب أوائلها. وبما أننا تحققنا في المؤلفات التي وضعت لهذه الاغراض قبل زماننا هذا نقصرها بمنع تعميم الانتفاع بها بسهولة كما بيناه فيما تقدم وتيقنا بما ذكرناه آنفا ان أساس ذلك التقصير اهمال اختيار عدد موحد تعد به الآيات في المصحف

والتفاسير التي تبادلها الايدى أصبحنا من غير شك في حاجة الى تعميم عا الآيات في المصاحف والتفاسير قبل عمل كل شيء

وبما أن السلف الصالح عد آيات القرآن قلنا ونقل عنهم في ذلك ستة أقوال

ذكرناها برقم -- ٣ — أصبح من الضروري اختيار واحد منها

هذا ما أوقفني عن تهذيب دليلي لتبييضه ودعاني الى عرض هذا الفكر على السادة العلماء والاخوان الكرام أرباب الآراء الصائبة والافكار الثابتة ليرأوا في رأيهم وفي الحتام أقدم شكري لكل من يأتي الى هذا الموضوع بالمطالعة من اقراء الكرام و بشاركتي في الاهتمام بهذا الغرض السامي فيؤمن فيه نظره ويسرّح فيه فكرته ويدقق في تأمله ثم يعرض بعد ذلك على الاخوان المسلمين ماعن له ويشير بما يترأى له قاصدا في ذلك وجه الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين

(أحمد أمين الديك)

(المنار) ان علماء السلف قد عدوا آي القرآن وكلأه وحروفه وكتبوا في ذلك صفات، ونظموا فيه المنظومات، كما بينوا مواضع الوقف في أثناء الآيات ، وفي الاحاديث والآثار كثير من ذكر الآيات بملحها وقد أشار الى ذلك أحمد أفندي وتقدم في التفسير من هذا الجزء شاهد منه . وفي الاثنان أن سبب اختلاف السلف في عدد الآي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف على رؤوس الآي لتتويف فاذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة والخلاف مع هذا قليل وليس بضارنا شيئاً . وأي عدد من الأعداد اعتمدنا وضبطناه بالأرقام حصل المقصود الذي نحتاج اليه في هذا المعسر لسهولة المراجعة ولم يكن علماء السلف يحسون بهذه الحاجة لحسن حفظهم للقرآن واستحضارهم للآي عند إرادتها وانتي لأراجع الآية بفتح كنوز القرآن في دقيقة واحدة أو فيهاو أقل من دقيقة فأستخرجها من المصحف المبين عدد آياته بالأرقام . والسبب في عناية أحمد أفندي أمين بتحرير الخلاف في العدد والعمل بما يظهر أنه أقرب للصواب هو استمداده الفطري للأمور التحسينية وان كان في أمة لم تتن الامور الضرورية والحاجية . ولذلك رأيناه أول من ألف في عصرنا في الموسيقى العربية والافرنجية وأول من اجتهد في مراجعة عد الآي وضبطها وعد احاديث البخاري وعمل جدول لأبوابه ولاغرو فقد كان والده ميالاً لمثل ذلك اذ كان هو الساعي بطبع لسان العرب فكان خير خلف له فلا زال موقفاً

﴿المدرسة المحمدية بقرآن (روسيا)﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٢٤ هـ

من أحمد جان بن محمد رحيم المصطفوي المدرس الثاني في المدرسة المحمدية بقرآن الى صاحب مجلة المنار حضرة الاستاذ السيد رشيد رضا أرشده الله الى ما يرضى سيدي أيدي اليك المدر لعدم مكاتبتني بعد مفارقتكم مع مرور سبع سنين من شرفي بجالسكم لعدر يطول يانه والمدر عند كرام الناس مقبول أما بعد فيا سيدي : اننا قرأنا في العدد الثالث من المنار رسالة مكتوبة من

قران مشحونة بالكذب والافراء على المدرسة المحمدية التي خرج منها من طلبها من غير اخراج تنصرا على من اخرج منها من سيئي الخلق ، وهم أربعة ، وترجمة الكتاب المفتوح كذلك . فاضطررنا الى ان نرسل اليكم بروجرام المدرسة المحمدية المتبع اليه في التدريس بها لتعرفوا بالمقاييس اليه كذبيهم وافترائهم

المدرسة المحمدية أقسام : الابتدائية -- والرشدية -- والاعدادية -- والعالية .
ومدة التحصيل في الابتدائية ثلاث سنوات ، وفي الرشدية أربع ، وفي الاعدادية أربع أيضا ، وفي العالية ثلاث سنوات أيضا

فالمتزمن في القسم الابتدائي من الدروس : القراءة والكتابة على لسان الامهات مطابقا على قواعد اللسان - وصحيح الاملاء - وحسن الخط - وقراءة القرآن الشريف مع التطبيق على قواعد التجويد - واخضروريات الدينية من الاعتقادات والمبادئ والمعاملات والاخلاق - وتوسيع الفكر بالمعلومات المختلفة من أحوال الطبيعيات والامثال الحكمة ، ومن الحساب قواعد الجمع والطرح والضرب والتقسيم ، وحفظ الاذكار الصلواتية وبعض السور اقرائية التي لا بد منها للصلاة وشي قليل من التاريخ .

ويلتزم في القسم الرشدي : القراءة العربية مع التطبيق على قواعد الصرف والنحو والمطالعة الصحيحة مهما أمكن وتقرير ما فهم باللغة العربية وصحيح الاملاء والانشاء ، وقراءة القرآن في الاسبوع مرة أو مرتين ، وبقية قواعد لسان الامهات من صرفها ونحوها ، وتعمير اتمرة البركة الثمانية ، ومن الحساب تمرين القواعد (الأربع) بملياتها ، وشي من الجغرافيا العمومية والوطنية ، وشي من تاريخ الاسلام والملة ، واللغة الفارسية بقرائنها وقواعدها وتقريرها وتوسيع الافكار بالمعلومات المختلفة أيضا . ونحسين الخط . ونخطيط الاشكال الهندسية لتعليم الرسم . وكتاب من (الفقه) الحنفية وكتاب من الحديث ،

ويلتزم في القسم الاعدادي المنطق (الرسالة الشمسية) ، والمعاني والبيان والبدیع ، والعروض ، وأصول الفقه ، وسيرة النبي (نور اليقين) ، والمسائل الاعتقادية حسبما اكتفى به السلف (عقائد الطحاوي) ، والاخلاق النظرية والعملية (الطريقة

المحمدية) ، والادبيات العربية والعثمانية، والجغرافيا العمومية، والتاريخ العمومي، والتفسير (لجلالين) والحديث (للامام البخاري) ، والهداية (في الفقه الحنفية) ، ومن الطبعيات الكيا . ومسائل الحساب كالكسور الاربعة المتناسبة والفائض وغيرها ويلتزم في القسم المالي : التفسير - والحديث - وفقه أبي حنيفة - والادبيات العربية . والعقائد المدونة مطابقا لحالة الامة الحاضرة (كذا) ، والتاريخ مع التقيد ، والجغرافيا مع تاريخها ، والطبيعات ، والبيداوجيا (لحضرة الشيخ حسن توفيق المرحوم) هذا . ولحكم أهل الانصاف بما يحصل لهم في تطبيق أقوال السفهاء لهذا البروجرام من الصحة والفساد والصدق والكذب والحق والاختلاق . أعني هل يصح بعد هذا قولهم : ان مدارسنا لا يدرس فيها إلا ما بقي من خيالات اليونان والتفازاني . وقولهم : ولا يدرس فيها غير ما ذكر لامن التفسير ولا من الحديث وغيره . وقولهم فأخرج من مدرسة عالهمان اثنان وتماون طالبا من ذوي النهى وابقوا (أو بقي) من لا يهتم بشيء من الاصلاح (والمترعربين الذين خرجوا من المدرسة جلهم من الصنف الرشدي وغيرهم من طلبة السنة الاولى للصنف الإعدادي ، وهل يمكن لهم ان يكونوا من أهل النهى دون الباقيين مع انطربق التعليم فيها وخيم (كما قالوا) . وهل يصح أيضا قولهم : والعلوم التي نحصها في مدارسنا لا تكفي للإمامة والخطابة أيضا . وقولهم : ولا يعطوننا فيها من الاخلاق والربية . وقولهم : نحن لانكون بما تعلمنا فيها الامصيبة للعوام وعلاء السوء . وقولهم : اما اساتذتنا فيملون آدمفتنا بالحسرافات والاسرائيليات ، ويشوشون عقائدنا باليونانيات والتفازانيات ، ويسوموننا حفظ الحواشي والتعليقات . وقولهم وقولهم . فخرجوا من جنابكم أن تنشروا هذا البروجرام في المنار وان لاتندسوا وجه المنار بمثل هذه الاقوال السافلة والمختلقات الباطلة .

ثم يسألنا قراء المنار ، فما سبب انتصار هؤلاء الرعا على الباطل ؟ والجواب : ان ناسا من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وان لم يقرؤوا بالسنتهم يظنون أن الدين والعلوم الدينية مانع من الترفي والتمدن الحقيقي (كما يظنه أمثالهم من أهل الغرب) ويرون جل المسلمين في روسيا متمسكين على

الدين ومعتدين على أهلها والمدارس الدينية . ويستخرجون من هذا وذاك ان تمدن المسلمين في روسيا (بل وفي غيرها) موقوف على حل هذه العقدة أعني تفرق المسلمين من العلماء والمدارس الدينية، ولوصول هذا المقصود طريق واحد وهي (كذا) إلقاء العداوة والبغضاء فيما بين العوام والعلماء وتشتيت المدارس الحاضرة أيدي سبائهم جمعها على الاساس الصحيح كمدارس أوروبا . فصاروا يتخذون لهذا الإلقاء والتشتيت واسطة كل ما يتيسر لهم من الأقوال والأفعال . منها اغواء الطلبة بان حالهم ليست حالة مرضية لامن جهة الدروس ولا من جهة المدرسة ولا من جهة المدرسين ولا من جهة الادارة والقوانين المدرسية ولا من جهة المعيشة ولا من جهة الحال ولا من جهة المآكل . ولیدرس في المدارس الدينية الفنون العصرية واللغة الروسية وما يتعلق بها أصلا والعلوم الدينية تبعاً وليحول المدارس الدينية مدارس دنيوية وهكذا . لأنهم لا يحسون الاحتياج الى المدارس الدينية كما كثر أهل فرانساً ويقولون : ان هذه المدارس مهما تكمل يلزم ان تدرس وتفي بنفسها بعد ما تأسس المدارس الدنيوية بين الامة، فيلزم عليكم أن تعجلوا الامر ولو بسنة .

ونحن نقول : لانسوا مدارس الحاضرة ولتصلحها بالتدريج ، لئلا يكون حالنا كحال حنين ، وابنوا أنتم وأبناؤكم والمدارس المحتاج إليها لامة بجميع أنواعها من متوسطها وعاليها ولتدرس المدارس بعدها بنفسها (على ما نزعون) ، ونحن لا ننكر احتياج الامة لمثل تلك المدارس والى تعلم اللغة الروسية والعلوم الرسمية ، بل نحن نحس هذا الاحتياج كحساسكم بل أشد، وندعو الناس إليها ومع ذلك نحس الاحتياج الى المدارس الدينية ولا نرضى انقراضها ولا نخيل كما تخيلون وسندخل اللغة الرسمية الى المدارس الدينية أيضا بشرط ان يتخذ العلوم الدينية أساساً لما يشتمل فيها ولكن هذا يقتضي شيئا من التأني ولا يستقيم بالعجلة ولا تفصلت انقراض الدينية عند انتشار المعارف ، ويؤيد هذا قيام المدارس الدينية في الممالك الغربية والأميريكية مع ارتفاع المعارف فيها غاية

ثم بعد برهة من الزمان وضعنا قبح هذه الحركة على علم الطلبة من الصنوف العالية فاتبه المتبصرون منهم ولم يساعدوهم بعده في حركاتهم فنفروا فقتل

فصاروا يسون الطلبة الذين لا يتحركون بتحريكهم فمعجزوا .
ثم أخذوا طريقاً آخر يخفون فيها مرادهم من تحريكهم . وصاروا يدعون أن
مرادهم من التحريك إصلاح هذه المدارس مدارس دينية . وهم أيضاً يهتمون
للعلم الدينية كما نهم بل أشد ، ولكن العلوم الدينية ليس مانسبها علوماً دينية
بل غيرها وهكذا . اهتبه وفيه غلط قليل أشير إلى بعضه ولعله لم يراجع
(المار) نشرنا رسالة هذا الاستاذ برمتها لأن الوقوف على حقيقة حال مسلمي
روسيا في التعليم والثرية مهمنا جداً . لانا فبهم من الرجاء وحسن الظن وصاحبنا
الاستاذ كاتب الرسالة أدرى بتلك الحال . وما ذكره من ترتيبات تعليم في المدرسة
المحمدية لا ينطبق على ما كتبنا بعض التلاميذ ولا يخلو على إجماله من انتقاد
وحاجة إلى الإصلاح وباليته يتفضل فيرسل إلينا نسخة من البروغرام لبدي رأينا
في ذلك على بصيرة نامة وقد اطعنا على ما كتب رضا الدين أفندي الشهير في
إصلاح التعليم في المدرسة الحسينية في أودنبورغ وودنا نشر خلاصته في هذا الجزء
والقاء دلونا مع دلوه لولا أن جاءت هذه الرسالة فحلت دون ذلك وفتحت لنا
باباً جديداً من التروبي في الحكم على تعليم مسلمي روسيا .

علمنا من هذه الرسالة أنهم يتعلمون لغة الأمهات ويظهرون أنهم اللغة التتارية
ويتعلمون اللغة العثمانية واللغة الفارسية واللغة العربية وهم في أشد الحاجة إلى اللغة
الروسية ولا يستغني أهل التعليم العالي عن لغة أوربية عامة كالفرنسية أو الانكليزية
وهذا عبء ثقيل فقلل صديقي كاتب الرسالة يعرقي وجه الحاجة إلى تعلم لغة
الأمهات في المدارس وليست لغة علم ولا دين ووجه الحاجة إلى اللغة الفارسية
والتركية أي جعل تعلم ذلك إلزامياً عاماً . وعلمنا أنهم يقرأون معاملات الفقه في كل
قسم من الابتدائي إلى العالي ولم يذكروا مصطلح الحديث . وذكر من المصطلح الشمسية
فقط وكل ذلك منتقد كما سنبينه بعد

واما ما ذكره في سبب انتقاد المدارس الاسلامية فألصاقه ببعض المبتدئين
من المدرسة المحمدية محل نظر واعتبار ، وهمنا ان نعرف مشار هذه الأفكار .
وكيف السبيل إلى تلافياها ، وما يجب على العلماء فيها ، وسنعود إلى البحث في ذلك

فَتْوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسهل الناس عامة ، ونشرت على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويبلده وعمله (وطنيته) وله بعد ذلك ان يرمي الى اسمه بالحروف ان شاء ، واذا نكح الايسة بالتدريج غالبا ورعا قد منما غرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أحيانا غير مشترك لثقل هذا ، ولن يعفى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا نخالاه

﴿ اشتراط القبول في الوقف عتب الا : يجب عدم جواز بيعه ﴾

(س ٢٦) أرسل النينا أحد العلما في بمباي (الهند) ما يأتي

الحمد لله وحده

سيدي متع الله الانام بطول بقائكم
وقعت عندنا مسألة يظهر لفضيلتكم أهميتها من سياق عبارة السؤال الآتي
الذي تقدمه الى حضرتكم راجين من فضلكم أن تبيينوا فيه الحكم على مذهب
الامام الشافعي والله يدبكم ويتولاكم

رجل وقف وقفا مؤبداً على أولاده وهم ابناؤه الثلاثة وبنته وعلى زوجته
وأخته بأه لا يباع ولا يرهن ولا يوهب ولا يتصرف فيه تصرف الملكية وشرط
لهذا الوقف شروطاً منها ان يكون النظر لنفسه مادام حياً ثم من بعد موته يكون
النظر لولده فلان ثم لا كبر أولاد بنيه وهلم جرا فان لم يوجد من شرط له النظر أو
وجد ولكن تقدم فيه الرشد فالنظر ان شرط له بعده فان لم يبق أحد من
المشروط لهم النظر فالنظر لناظر مسجد فلان (أي وان كان ابن الواقف الذي
لم يشترط له النظر موجودا مثلاً) ومنها ان يأخذ الناظر الواقف من غلة
الوقف كل شهر قدراً معيناً في مقابلة نظره مادام حياً . ومنها ان يصرف من غلة
الوقف على ما لا بد منه لمصلحة الوقف الحالية وان يحفظ كل شهر من الغلة قدراً
معلوماً لما يحتاج اليه صرفه لمصلحة الوقف في المستقبل كالبناء وغيره ثم يقسم باقي
الغلة على الموقوف عليهم المذكورين لئلا كرم مثل حظ الاثني عشر . ومنها انه اذا
ماتت أخت الواقف أو زوجته فسهم كل منها يرجع الى أصل الغلة وكذا ما يأخذه

الواقف في مقابلة نظره يرجع الى الفلة بعد موته . ومنها ان هذا الوقف يبقى دائماً وأبدياً في ابناء أولاده ما تناسلوا . فكذا كمثل حظ الاثني عشر وليس لاولاد البنات شيء في هذا الوقف وان سهم كل بنت بعد موتها يرجع الى اخوتها . فكذا كمثل حظ الاثني عشر . ومنها انه اذا كان ولد الابن في درجة لا يرث من قبل جده وفق فرائض الله ليس له سهم في الوقف وإنما يتبرع له الناظر بنصر يسير ومقدار معين قليل لا يزيد عليه . ومنها انه اذا مات أحد الموقوف عليهم ولم يترك ولداً صلياً فإنه ينتقل سهمه الى اخوته . فكذا كمثل حظ الاثني عشر فان لم تكن له اخوة فالى اقرب عصبائه . ولم يجز احتج اذا اقترضوا عن آخرهم تصرف الفلة في جهة البر وقد بينها وحيث ان يكون الناظر ومتولي مسجد فلان . وشرط أيضاً شروطاً أخر منها ان تقسم الفلة في آخر الشهر الثالث . ومنها انه اذا أراد أحد الموقوف عليهم السكنى في بيت معتد للسكنى من بيوت الوقف فإنه يسلم الكرى كل شهر قدر ما يسبغ عليه الناظر وان للناظر ان يقطع قدر الكرى من سهم من يسكن في هذا البيت قبل ان يسلم له سهمه فان لم يستوف الكرى من سهمه يطالب به وان للناظر ان يأمر كل من أراد من سكن في هذا البيت بتخليته ولو من غير تقصير منه . ومنها انه ليس لأحد من الموقوف عليهم ان يطالب الناظر في حساب ما حصل من الفلة بل يقبل كلاً يقدمه له الناظر . ومن أمثاله شروط كثيرة مما لا حاجة الى ذكرها الا شرطاً واحداً هو ان رتبة الوقف اذا جرى عليها شيء مما يوجب من الحرق والانهدام ولم يستطع بناؤه ثانياً فللناظر ان يقتصر لأجل البناء فان لم يقترض بضمائه فليبيع رتبة الوقف وليشتر بضمنها عوضاً عنها

فلما بلغ الخبر الى الموقوف عليهم الذين هم البطن الاول ردوه ولم يقبلوه الا أن الولد الذي شرط له النظر بعد الواقف قبله ثم أكره الذين لم يقبلوه على امضاءهم في ورقة التسليم ليستعملوا ما يستحقونه من الوقف فقال أحد الزادين ان هذا الوقف بعد ردنا إياه صار منقطع الاول وبطل لما في المنهاج وشروحه وغيرها من كتب الشافعية حيث صرحوا بما معناه ان الوقف يرتد برد الموقوف عليهم الميعين فان كانوا البطن الاول يطل بردهم ومن قبل بعد الرد لم يعد له فلي هذا ابقاء هذا

الوقف على الوقفية واجراؤه بحسب شروطه لا يميده وقفنا واكرهنا على الامضاء مما لا فائدة فيه . فلم يسمع قول هذا القائل . وجرى الناظر الوقف شروط . لوقف وجعل يسلم سهم الموقوف عليهم بعد كل ثلاثة أشهر و يأخذ منهم امضاءهم على ورقة التسليم وجعل الكرى على من سكنوا في البيت الممتد للسكنى وجعل يقطع من سهامهم قدر الكرى عند تسليم سهمهم اليهم واستمر هذا الحال مدة وفي خلالها توفي أحد أبناء الواقف وكان من الذين لم يقبلوا الوقف ثم توفيت أخت الواقف فجعل يعطي سهم الاول لاختوته الموجودين للذ كرمثل حظ الاثنين وجعل سهم الاخت في أصل الغلة ثم توفي الواقف وانتقل النظر بحسب شرطه لولده فلان المذكور فجعل يحذو حذو والده في اجراء هذا الوقف فسأله باقي الموقوف عليهم أن يسلم لهم من عين هذا الوقف قدر سهمهم ليتصرفوا فيه مطلقا . يكون الوقف قد بطل بردهم كما علم فاني هذا الناظر وامتنع عن تسليم ما طلبوه من سهمهم في عين هذا الوقف اليهم وقال الوقف لازم على الموقوف عليهم كلهم وليس لاحد في عين الموقوف حق ما

فأقام بعض الموقوف عليهم الدعوى على الناظر الموجود عندنا كم البلد الذي يرى ابطال مثل هذا الوقف مطلقا بحسب قوانينه الجارية والحكم منتظر وباقي الموقوف عليهم كذلك تبعوا الاول في الدعوى على الناظر المذكور ثم ان هذا الناظر احتج في جوابه دفعا للدعوى عليه (حسب ما يقتضيه قانون المحكة وذلك ان المدعي يقدم دعواه مكتوبة في ورقة ويحلف أن ما كتبه فيها هو دعواه ثم يجيب المدعى عليه كذلك بتقديم ورقة مكتوبة ويرد الدعوى عليه ويحلف ان ما كتبه فيها هو جواب الدعوى) ان الموقوف عليهم قد اطلوا حقهم في عين هذا الوقف لكونهم كتبوا امضاءهم في ورقة التقسيم هذه هي الحالة والمسئول من فضيلتكم ان تبيينوا حكم المسئلة على مذهب الامام الشافعي

أولاً - هل يلزم هذا الوقف الموقوف عليهم المعينين الذين ردوه عند ما علموا
هـ من غير تراخ

ثانيك هل يكفي في القبول امضاء الرادين في ورقة التقسيم من غير ان يتلفظوا بالقبول مع ان التلفظ بالصيغة شرط في العتود

ثالثاً - هل يؤثر القبول بعد الرد ان قلتم بكفاية الامضاء في ورقة التقسيم رابعاً - ان قلتم بطلان الوقف بالرد فهل يحل كله أو بعضه فان قلتم بالثاني

فماذا يبقى وفقاً

خامساً - ماذا حكم الذي بطل هل هو ملك للواقف على ما كان قبل الوقف أم ملك للموقوف عليهم نظراً الى ان الواقف أخرج الملك عن نفسه وكان يملكهم 'المنفعة مدة حياته أم لا يملكه أحد وعلى هذا فامعنى بطلان الوقف بالرد المستفاد من صريح عباراتهم

سادساً - هل يأنم الذي أقام الدعوى ومن تبعه عند من يرى بالقانون بطلان كل وقف على الميعنين فيحكم بطلان هذا الوقف بأسره وبجمعه من تركه الواقف وتقسيمه بين الورثة الموجودين وفق فرائض الله أم لا ثم عليهم لان النظر الموجود أبى ان يعلم لهم حقهم الذي طلبوا منه من عين هذا الوقف ولانه لم يتم الدعوى من أقامها الا بدليل ان الوقف قد بطل في حقه حينما رده اذ دخول عين أو منفعة في ملكه قهراً بغير الارث بعيد كما هو ظاهره وذكركه الرمي في نهاية المحتاج بشرح المنهاج اقترنا ما جودين

(ج) هذا الوقف باطل عند الشافعية لاشتماله على بعض الشروط الفاسدة وهو تفويض بيع الموقوف الى اناظر على الوجه المذكور في السؤال قال في المنهاج وشرحه فشمس الرمي مانعه : (ولو وقف) شيئاً بشرط الخيار له في الرجوع عنه أو في يعه أو في تغيير شيء منه بوصف أو زيادة أو نقص أو نحو ذلك (بطل) الوقف (على الصحيح) 'هـ ولا فرق بين تفويض البيع اليه متى شاء وبين تفويضه اليه بشرط كالتد كور في السؤال اذ لا يجوز ذلك يمه بمحل . واذا كان الوقف باطلا من أصله سقطت تلك الاسئلة الا اننا نحبب عنها بالايحياز

اماجواب السؤال الأول فهو ان الوقف على معين يشترط فيه قبوله كما صرح به في المنهاج وصرح الرمي في شرحه باشتراط القبول عقب الانجاب أو بلوغ الخبر

أي فإن تأخر بطل في حقه

واما جواب الثاني فالظاهر أنه يصح مع ائنة اذا لم يترتب عليه التراخي كأن يعرض عليه كتاب الوقف قبل العلم به فيكتب عليه فورا أنه قبله وأما الامضاء على أوراق تسميم العلة فعوايس من القبول على الفور وان استأنز الرضا بالوقف مع القرينة واما جواب الثالث فهو أن القبول بعد الرد لا تأثير له قال في نهاية المحتاج «فان رد الأثر بطل الوقف ولو رجع بعد الرد لم يعدله» وقال ابن حجر في شرحه للمهاج (التحفة) أنه لا تأثير لرد بعد القبول كملكه، فلورجع الراد وقبل لم يستحق شيئا ولكنه قيد بحكم الحاكم على وجهه وعقبه ابن القاسم في حاشيته رد كعبارة في شرح الروض وهي: فلورجع بعد الرد لم يعدله وقول الروياني يعود له ان رجوع قبل حكم الحاكم به انيره مردود كما ينه الاذري اه
واما جواب الرابع فهو أنه اذا رد بعض الموقوف عليهم بطل حقهم منه خاصة دون سائرهم كما مر حوا به وفي حاشية الشبر الملسي على النهاية «فلو وقف على جمع قبل بعضهم دون البعض بطل فيما يخص من لم يقبل عملا بتفريق الصفة» أقول وفي القول بتفريق الصفة مقال سيأتي على أن الاصل فيه ان يكون في البيع أو ما هو بمناء كالصالح والوقف ليس كذلك إذ لا معاوضة فيه. وترتب على تفريق الصفة هنا ان يرث من قبل الوقف من الباقي فيكون حظه من تركة المورث أكثر. فاذا قيل يبطلان الوقف كله برد من رده فهو أقرب للمذهب والعدل مما
واما جواب الخامس فهو ان ما بال وقفه يكون ملكا للواقف بل هو لم يخرج عن ملكه كالوصية التي لم تقبل

واما الجواب عن السادس فهو ان من أقام الدعوى لا يبطل الوقف لا اعتقاده أنه باطل في نفسه لا شمله على الشرط الفاسد فلا يتم عليه لأنه توسل بذلك إلى إعطاء كل ذي حق حقه وكذلك اذا اعتقد بطلان رد البعض ترجيحاً للقول الثاني في تفريق الصفة فلا صل في المذهب أن صحا الوقف تتوقف على الإيجاب والقبول على الفور وان رد جمع الموقوف عليهم يبطله لأنه يكون منقوع الأول ورد بعضهم يأتي فيه تفريق الصفة عندهم والذي جروا عليه القول بجوازه وقال في المنهاج أنه الاظهر أي من قولي الشافعي ولكن قل الرمي في شرحه «ومقابل الاظهر البطلان في الجميع تغليبا للحرام على الحلال قال

الربيع واليهرج الشافعي آخره ثم رد الرأى قول الربيع باحتمال كون الرجوع في الذكر لاني الفتوى وهو الذي جروا عليه وهو احتمال بعيد فمن لم يطمئن له واعتقد ان الحق في فريق الحققة البطالان في الجميع فلا حرج عليه اذا سعى في ابطال الباطل وأما من اعتقد أن هذا الوقف صحيح في حق بعض الموقوف عليهم دون بعض وأن هذه الاعيان التي وقفت بعضها ملك للدولة وبعضها وقف على من قبل في لاقدام على دعوى تبطل الوقف منها وتجعلها كلها ملكا نظرا ترجيح أحد الأمرين فيه دقيق فقد يقال إن لصاحب الملك ان يطلب ملكه وإن أدى ذلك الى ابطال حق غيره من الوقف وابطال ما يؤهل اليه من جهة البر الدائمة لان هذا غير مقصود له وإنما يجيء بالتبع وهو الاقيس. وقد يقال ليس له ترجيح نفسه وابطال جهة البر الدائمة لاجل منفعتها العاجلة وهو الاورع. والمسألة دينية يستغنى فيها القلب والله اعلم

﴿ التريظ من باب الآثار العلمية الادبية ﴾

(الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه)

السل الرئوي أخطر الأعداء للبشر حتى قال أهل الاحصاء انه يقتل في كل عام نحو ستة آلاف ألف (٦ ملايين) منهم وهو بأجماع الأطباء يمتثل بالعدوى ولا أعون لمدواه وفتكه بالمصابين به من الجهل بحقيقته وطرق انتقاله وكيفية توقيه ومعالجته وقد ألف الدكتور خليل بك سعادة كتابا حافلا فيما يجب ان يعرفه الجمهور من ذلك سماه (الوقاية من السل) الخ بدأه بمقدمة في خطر هذا الداء وتاريخ طبه ثم جاء بفصول في حده وأسباب حدوثه وطرق العدوى والوقاية وأعراض المصاب به وتشخيصه ودرجاته وأثره وكيفية معالجته بالهواء والرياضة والتقاير والأدوية وخته بالكلام في زواج السلوان. وعندى انه ينبغي نكل قارى وقارئة الاطلاع على هذا الكتاب وهو سهل المباشرة فصيحا يستفيد منه كل قارى وقد طبع طبعاً متقناً بمطبعة المعارف ويطلب من مكتبتها بالفجالة ومن مكتبة المنار ثمنه ١٠ قروش وأجرة البريده ١ مائلاً

(أسرار الثورة الروسية) ذكرنا كتاب السل بهذه القصة مؤلفه وهي قصة تاريخية عصرية تمثل لقارى كيف يقوم الظلم الفاحش مع الدهاء والنظام وكيف يقاوم من الجمعيات السرية بالدهاء والنظام فإن في القصة من غرائب القصة في الظلم من

الحكومة الروسية وغرائب الكيد لها من جمعة النهلست السرية ما يرغب كل قارىء في الاطلاع عليه ولكن لا يعتبره الا الأحياء الفضلاء ولا حياة لأمة مظلومة ليس فيها جمعيات سرية لمقاومة الظلم والتكيد بزعمائه المستبدين فجمعة النهلست هي التي دبرت أمر الثورة الروسية التي ستكون منشأ سعادة الأمة وارتقاء الدولة كما نراه مفضل في هذه القصة وعبارة القصة فصيحة، ومنها خمسة قروش صحيحة

(وقاية الاسنان) لو علم الناس أن الاسنان يمكن ان تبقى سليمة الى سن الشيخوخة اذا وقيت من أسباب التلف والفساد لبذلوا جهدهم في وقايتها لانهاركن من أركان الصحة وركن من أركان اللذة وركن من أركان الجمال وهذه الثلاثة أهم ما يهتم الناس في هذه الحياة ولكن أكثرهم لا يعطون أنه يمكن وقايتها قبل للقارئين منهم ان يقرأوا كتاب (وقاية الاسنان) للدكتور علي بك البقالي ويعملوا بنصيحته

(نيل المراد) في نشطير الهدية والبردة وبانت سعاد) هذه القصائد أشهر ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم وقد شطرها الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي الطرابلسي فصار شريكا لنا ظميا في المدح وبيان السيرة النبوية والشمائل القدسية وهو جدير بذلك في مكانه من بيت العلم والأدب وقد طبعا مع تفسير ما قد يخفى من كلماتها وهي تطلب من مكتبة نجمة الشيخ محمد سعيد بالسكة الجديدة

(المجلة الألمانية) مجلة أدبية علمية يصدرها في القاهرة فتحي أفندي عزمي كل شهر مرتين والعدد منها مؤلف من ١٦ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٥٠ قرشا في القطر المصري و٦٥ في سائر الاقطار . وقد صدر منها بضعة أعداد

(الأقلام) مجلة شهرية عمومية تبحث في كل فن ومطلب أنشأها في القاهرة جورج أفندي طوس أحد المحررين لجريدة الوطن ومحمود أفندي أبو حسين وكتب عليها «ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمثقفين» والعدد مؤلف من ٤٨ صفحة وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا في القطر المصري و١٥ فرنكا في غيره تدفع عند الاشتراك وقد ظهر الجزء الاول حافلا بالمقالات الادبية والقصائد العصرية



بَابُ الْحَبِيبِ الْأَكْبَرِ

نادي المدارس العليا - مال لطفولية الأمة

نبينا القراء في بعض السنين السالفة الى أمثلة من طفولية الأمة في حياتها لاجتماعية التي ولدت فيها الأمة ولادة جديدة ، بعد أن أمانها الاستبداد قرونا عديدة ، وهي لا تزال في طور الطفولية ، بما تقلد فيه الشواب والكهول من الامم الحية ، ومما تلحزت له القاهرة من لذائذ التقليد إنشاء الأندية ، أنشأ قوم ناديا فاقام الاوسقط ثم قويت الرغبة فكتب في ذلك الكتاتيون ، وأظهر الرغبة فيه الراغبون ، حتى كان منذ سنين ، أن جمعت أموال ووضعت قوانين ، ولكن أعيد الدل الى أربابها ، قبل ان يخرج الامر من اهابها ، وقد أعيدت الكرة في المام الماضي فكان الاستعداد اتم ، والداعون أنهمض بالعمل ، وأعلم ، وما الداعون الا بعض المتخرجين في المدارس العالية بمصر وأوربا وما المدعون الأمثالهم بالفعل أو بالقوة .

تمخضت الدعوة فولدت نادي المدارس العليا (وخصوصا العليا بالطلب والحقوق والمهندسة وقسم المعلمين المالي أي الافرنجيسي وأخرجوا منها قسم المعلمين العربي « دار العلوم » والأزهر . وقد دارت المناظرة في هذا الإخراج بين الباحثين وفهم مما سمع وكتب في الجرائد أن المؤسسين يرون المتخرجين في هاتين المدرستين دون المتخرجين في تلك المدارس الأربع وأدنى منهم !!

قرأنا وسمعنا كثيرا من المقالات التي كتبت والمباحث التي دارت في الدعوة الى تأسيس النادي وما يتصل بالدعوة ككونه خاصا بالمسلمين لأن لكل الطوائف الأخرى أندية في مصر خاصة بهم حتى القبط ونصارى سوريا أو عموما لكل أهل الملل فرارا من التعصب ، وكخطر الخوض في المباحث الدينية والمسائل السياسية على أهل النادي ما كانوا في النادي ، قرأنا وسمعنا ولكننا لم نكتب في ذلك كلمة واحدة لا نأرأنا التيارات مندفة الى قرارة لا بد أن يصل اليها وكذلك كان

كان مما سرنا من مواد قانون النادي حظر الخمر والميسر على اهله فيه وإن قرن ذلك بحظر المباحث الدينية والسياسية . واكتنا لم نلبث أن رأينا ان مجلس ادارة النادي قد نسخ حظر المشكر وهو الخمر فأباحه وأحكم حظر المعروف وهو المباحث الدينية والسياسية وأصر على تحريمه فساءنا ذلك وأحزننا اذ صار النادي شراً من بيوت الاله المعروفة بالقهاوي والبير (البير كمال والبارات مواضع شرب البيرا وغيرها من الخمر) لأن هذه البيوت لا يحظر فيها المعروف من المباحث الدينية والسياسية التي هي أرقى المباحث وأعلاها . وبما زاد في أسفنا وغنا لتعليهم إباحة الخمر يكون أكثر المشتركين لا يصبرون عنها وما توقعه من إفساد التلاميذ المشتركين في النادي بسوء القدوة فانهم اذا رأوا من يعدونهم أرقى الامة علما وأدبا يأتون في ناديتهم المشكر فانهم يقتدون بهم في ذلك طبعاً فكان أغنى التلاميذ عن هذا النادي لوتبصر أولياؤهم

يتنا نحن في ألم خيبة الأمل في النادي واذا بمجلة المجلات العربية قد واقتنا باثنتين وعشرين صفحة عن النادي فيها من الاغراق في الإطراء ما كان حاملاً لنا على كتابة هذا الفصل، وانه لنقول فصل وما هو بالمرل،

قالت مجلة المجلات في فاتحة كلامها : « اذا ذكرنا الأعوام الاخيرة فأتنا نذكرها بهيجين جذلانيين لاننا شاهدنا فيها قبسا ما عثم أن بات أخيراً نار هدى ونعمي بذلك هذه النهضة العلمية الأدبية التي بدت مطالها منذ أعوام وظهرت اليوم في كبد سماء المجد بدراً كاملاً يرسل ضياءه اللامع الى جميع الأنحاء فتسر به النواظر، وتقرله الحواطر، وانا لا نريد اليوم ان نشرح لقارئين تفاصيل هذه النهضة السامية فليس هنا مقامها الآن ولكننا بدأنا بها تمهيداً لما سنورده من الكلام عن الناشئة المصرية التي يأنف منها شبان اليوم وزهرة مصر في هذا العصر

« لقد قام شبان اليوم بأعمال جمة دلت على ذكائهم واقتدارهم، أعمال يؤخذ من مجموعها أن في سواد وادي النيل رجالاً أكفاء اكمل عمل مجيد وان ساء مصر يستغل بها كثيرون من الذين نبغوا في العلم والفن والذكاء »

ثم ذكر مسألة انشاء الاندية وقل لها « إحدى كبريات المسائل » وذكر

ناديا أنشىء . وكان عمره قصيرا وما كان من حركة الفكر في ذلك بعد وقد أيدت الناشئة المصرية هذا الأمر الطبيعي ونفت من الأذهان ذلك الاعتقاد الذي يبدوه الكثيرون حجة مسلة لاجدال فيها وهي أن المصريين شعب مكال لاحياة أذية له وأنهم قوم صدق فيهم قول القائلين « قد انتقموا على أن لا يتفقوا واتحدوا على أن لا يتحدوا » ولكننا نحمد الله لأن شبانا قد ضربوا ذلك الاعتقاد ضربة جملته هباء مشورا وأثرا بعدعين

« ولقد يتساءل الناس عن العمل الذي قام به شبانا حتى صح ان يقال فيهم ما قلناه اليوم . سؤال لازى جواباً عليه أبلغ من انقول ليقصد كل امرئ نادى المدارس العليا ليشاهد بينه اتحاد الكلمة وقوة الاتحاد والزهرة البانئة التي تملأ القلوب غبطة وسرورا . ذلك النادي الكائن في أعظم احياء العاصمة بجوار فندق (سافوا) والذي يحق اليوم لكل واحد من المصريين أن يفاخر به ويترنم بذكره ذلك النادي الذي خصصنا للكتابة منه غالب صفحات هذا العدد . ولا بدع في ذلك لأنه غرس أيدي شباب في مستقبل العمر في حين أنه كان المنظور أن لا يقوم به الا الكبراء وسراة الاغنياء ولكن ناشتتنا برهنت على أنها قوة عظمى تحطم في سبيل ارادتها كل عقبة كؤود ، وتدوس بقدمها الشوك الذي يمترض وصولها الى زاهي الورود ،»

ثم أفاض في الكلام عن كيفية تأسيس النادي وفوائده وذكركما كان من مساعدة الحكومة وكبار المختلين له ومن ارتباح الامير له اذ جعل ولي عمره مشركا فيه ونشر قانونه برمته وقال في خاتمة الفصل

« ومسك الختام لهذه المجلة المطرلة اليوم هو الاستبشار بظهور هذا النادي الى عالم الوجود لأن ظهوره جاء حجة دائمة ودليلا قاطعا على أن المصريين ليسوا بذلك الشعب المكسال كما يصفهم البعض من الناس بل اننا أمة حية لا ينقصنا القيام بكبير الأعمال الا الارادة وطرح الضعف جانبا فتى اعتمدنا على عزيمتنا تمكنا من الوصول الى كل غاية نطلبها بلقنا الله ما نشتهي من طيب الآمال بمنه وكرمه اه الله أكبر . ما هذا النادي الذي كبرته مجلة المجالات هذا التكمير ، ولختت

هذا التفخيم ، وجملة البرهان القاطع ، والدليل الساطع ، على قوة كبرى ، ومهمة عليا ، قد ذلت بهما نائتنا كل صعب ، واستهانت بكل خطب ، وانتاشت الأمة من أسفل السافلين ، ففرجت بها الى أعلى عليين ، حتى سامت الامم العزيزة أوسمتها ، فان لم تكن سمتها فقد ساءتها ، ا كان هذا النادي فتحا مينا ، أم كان استقلالا للبلاد عزيزا ، أم رأى صاحب المجلة أن النادي أصبح مهجورا ، وخشي أن يأتي عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، فأراد أن يجذب اليه المهاجرين له بإعلاؤ كرهه ، وتعظيم قدره بقدره ، اذ لا يجهل مثله أنه ناد قد خلت من قبله الاندية فمأملأ منشؤها مواضعهم فخرا ، ولادعوا أنهم تجاوزوا السما كبن عزا وقسدا ، ولعل هذا هو الأقرب فانا لم نكد تم قراءة ما كتبه في مجلته حتى واقانا المؤيد الصادر في ٢٦ ربيع الآخر وفيه ما يأتي مؤيدا لما سمعنا من بعض المشتركين

(الى صفوة الشبيبة المصرية)

جاءنا هذا الكتاب يوجه كاتبه الفاضل فيه الخطاب الى حضرات أعضاء نادي المدارس العليا وهو بعد اللدياجة

قامت قياة الصحف والكتاب وغيرهم قبل انشاء نادي المدارس العليا وقد انشئ بعدا ككتاب المكتبتين واشترك المشتركين لكن يظهر ان القوم لم يألفوا الاجتماع بعد . فهم مشغولون على القهاوي والبارات ولا يرجع على النادي من المتخرجين ما يزيد عددهم على أصابع اليد الواحدة ومن الطلبة ما يزيد على أصابع اليدين ويحتاج بعضهم بعيد المكان عن وسط البلدة والبعض بحمراته . والبعض الآخر بوجود أصعاب مهم لا يسمح قانونه بوجودهم فيه

وقد قال بعضهم ان الاشتراك السنوي كبير . وبما أن فوائد الاجتماع عديدة جئت أستلفت أنظار حضرات القائمين بادارة النادي لتلاني ذلك على قدر الامكان خصوصا فيما يتعلق بعيد الثقة وقيمة الاشتراك وأرجو من سعادتك نشر هذا بالجريدة (دكتور . ر) مصر في ١٦ يونيو سنة ٩٠٦

(المرار) علم مما تقدم اننا نتقدم من هذا النادي عدة أمور

(١) وجود التلاميذ فيه ولا يسع هذا الفصل بيان ذلك بدلائله

(٢) أنهم لم يعتبروا مدرسة المعلمين العربية (دار المعلم) كدروس المعلمين
الافرنجية ولم يدعوا المتخرجين فيها الى الاشتراك في النادي فان هذا غرض المعلمين
العربية ومامن متخرج في مدرسة من المدارس العليا الا هو تلميذ للاستفادة المتخرجين
في دار العلوم وان قوما يفسدون لغتهم وأسائدها لا يرجى اللجوء خير في اجتماعهم
بل أقول انه كان ينبغي لهم دعوة علماء الأزهر الى هذا النادي لان اكبر فوائد
الاجتماع في الاندية تقرب طبقات الامة بعضها من بعض لاسيما الطبقات العالية
المحررة وعلماء الأزهر في مقدمتهم ولا محمل هنا لشرح ذلك ولا شك ان علماء
الأزهر وأسائده دار العلوم أبعد في مجموعهم عن المنكر وأقرب من الاستقامة والأدب
من مجموع المتخرجين في المدارس العليا فوجودهم في النادي مزيد كمال في آدابه

(٣) منع المباحث الدينية والسياسية من النادي وكل من ينبغي منع البحث في ما طعن
بالأديان وكل ما ياتي العداوة بين أهلها والبحث في مسألة الاحتلال أو مقاومة
المحتلين أو الحكومة وإباحة البحث في فلسفة الدين وآدابه وفي فلسفة السياسة
ومسائلها العامة والخاصة بغير مقاومة الحكومة المحلية

(٤) إباحة الخمر بعد منعهما وهذا أكبر عار على النادي من وجهين ظاهرين

(٥) سرعة ملل المشتركين من الاجتماع فيه وتفرقهم في القهاري والبارات
المؤذن بقلة الثبات ، — فلهذا لا وركاها من دلائل طفوليته في الحياة الاجتماعية
ولا يتاني هذا ان في النادي أفرادا تحترم مزاياهم الفاضلة ويرجى ثباتهم ومن هؤلاء
نرجو تلافى كل خلل والاستعانة على ذلك بنقد الناقدين ، وإطراء المادحين ، واننا
لا نريد بهذا الا النصيح والاصلاح والله الموفق والمعين

(خطبة الامير على العلماء في الاسكندرية)

ظفرنا بنص هذه الخطبة التي نوهت بها الجرائد في وقتها وقد ضاق هذا
الجزء عن نشرها مع فوائد أخرى. نها مقالة من أوائل القرن التاسع عشر وقصيدة أبي
طالب مشروحة ونبذة في الثورة الروسية ونقاريط متعددة وموعظنا الجزء السادس

المسحاة

١٣١٥

فبشر عادي، الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بإني الحكيم من يشاء من يشاء الحكيم فهدأني
غيرا كبيرا وما يدركه إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوي و«مناواة كشار الطريق

(مصر - جهازي الثانية سنة ١٣٢٤ - أوله ٢٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦)

هدي السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

دعونا العلماء في الجزء الماضي الى نصيحة السلاطين واننا نذكرهم في هذا الجزء ببعض ما يروى عن علماء السلف في ذلك

جعل الامام الغزالي الباب الرابع من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصا بأمر الامراء والسلاطين ونهيههم وقال في أوله مانصه: «قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وإن أوله التعريف وثانيه الوعظ وثالثه التخشين في القول ورابعه المنع بالهجر في الحل على الحق بالضرب والعقوبة. والجانز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتيان الاوليان وهما التعريف والوعظ وأما المنع واقتراح القيس لآحاد الرعية مع السلاطين فإن ذلك يحرك يهيج الشر ويكون ما يتولد عنه من المهدور أكثر. وأما التخشين في القول كقولهم: يا ظالم يا من لا يخاف الله: وما يجري مجراه فذلك إن كان يحرك فتنه بتعدى شرها الى غيره لم يجز وإن كان لا يخاف الا على نفسه فهو جائز بل مندوب اليه فقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذاك شهادة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» (٢) ووصف النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال «قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ماله من صديق» (٣) ولما علم المتصلبون في الدين ان أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر ولن صاحب ذلك اذا قتل فهو شهيد كما وردت به الاخبار قدموا على ذلك

(١) الحديث قال المافظ العراقي في تمزيج أحاديث الأحياء رواه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وذكر له شارح الأحياء روايات أخرى (٢) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد وله ألفاظ وطرق ذكرها الشارح

موطين أنفسهم على الهلاك محتلمين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسين لما يبدلونه من مذهبهم عند الله . وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين من كتاب الحلال والحرام ه ما كتبه الغزالي في مقدمة الباب

أقول قوله أنه ليس لأحد الرعية التصدي لمنع السلطان عن المنكر بالقرع صحيح لا لما يترتب عليه من الفتنة فقط بل هناك علة أخرى هي أظهر وأولى بالتقديم وهي أن إكراه الآحاد من الرعية للسلاطين محال وطلبه عبث لا يأتي من عاقل ولهذا المعنى فرض الله تعالى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أمة تتألف وتستعد لذلك كما ينأ في الجزء الماضي والأمة تستعد لكل شيء بقدره وقوة الأمة أشد بالانحد والاجتماع من قوة السلطان لأن قوته منها وقوتها من ذاتها ويد الله مع الجماعة . وسنعود في فرصة أخرى إلى التفصيل في هذه المسألة . فإنا إنما نقصد الآن إلى بيان شيء من هدي السلف في نصيحة الأمراء والسلاطين تذكريا للعلماء وكشفاً للقراء عن الفرق بين حالنا اليوم وحال سلفنا أيام كانت الأمة عزيزة قوية والدين راسخاً معمولاً به

ندع مما أوردناه الغزالي من هدي السلف في هذا الباب آثاراً الصحابة لئلا يقال انهم لا يقياس عليهم في بذل أرواحهم في سبيل الحق وإن من كان يغلظ على عمر بن الخطاب في الحق كان آمناً عقوبته ليقينه ببدله ودينه وقد ذكر شيئاً مما أوردناه عن بعدهم قال « وعن الأصمعي قال دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت حجه في خلافته فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرمة رسوله فتصاهده بالعمار ، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فأنك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين ، وتنفذ أمور المسلمين فأنك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق

يا بك دونهم فقال له أجل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد إنما سألنا حاجة لفيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال مالي الى مخلوق حاجة ثم خرج فقال عبد الملك هذا وأيك الشرف »

أقول هذا نصيح علماء الدين لمثل عبد الملك الذي كان أول معلن للاستبداد في الاسلام حتى قال على المنبر : من قل لي اتق الله ضربت عنقه : وابن ملوك زماننا من عبد الملك في سياسته وقنوحاته ألا انهم احق بالنصيحة منه ولكن أين الناصحون ! قال الترمذي

« وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوما قف على الباب فاذا مر بك رجل فأدخله علي ليحدثني فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال يا شيخ ادخل الى أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك فدخل عطاء على عبد الملك وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال السلام عليك يا وليد قال فنضب الوليد على حاجبه وقال له وياك أمرتك أن تدخل الي رجل يحدثني ويسامرتني فأدخلت الي رجلا لم يرض أن يسمني بالامم الذي اختاره الله لي (يعني أمير المؤمنين) فقال له حاجبه مامر بي أحد غيره ثم قال لعطاء اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له بلغنا ان في جهنم واديا يقال له هيب أعدده الله لكل امام جائر في حكمه فضعق الوليد من قوله وكان جالسا بين يدي عتبة المجلس فوقع على قفاه الى جوف المجلس مغشيا عليه . فقال عمر لعطاء قتل أمير المؤمنين . فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له يا عمر ان الامر جد فجد ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز انه قال مكثت سنة أجد ألم غمزه في ذراعي

« وروى عن ابن أبي عائشة ان الحجاج دعا بفتاء البصرة وفتاء الكوفة فدخلنا عليه ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل فقال الحجاج مرحبا بأبي سعيد اليّ اليّ ثم دعا بكرمي فوضع الي جنب سريره فقمع عليه فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال منه

وثلثا منه مقاربة له وفراقاً (أي خوفاً) من شره والحسن ساكت عاضاً على إبهامه فقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكناً قال ما عسيت أن أقول قل اخبرني برأيك في أبي تراب قال سمعت الله جل ذكره يقول (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذي هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) فلي من هدى الله من أهل الإيمان فأقول ابن عم رسول الله وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله أن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا أن يحول يده وبينها وأقول إن كانت ليلي هناة فأنه حسيبه ، والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مضطرباً فدخل بيثنا خلفه وخرجنا

« قال عامر الشعبي فأخذت بيد الحسن فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأُمير وأوغرت صدره فقال إليك غني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت أن تسئل فصدقت أو سكت فقلت . قال عامر يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن فذاك أعظم في المحجة عليك وأشد في التبعة .

« قال وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال أنت الذي تقول قائلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال نعم قل ما حلك على هذا ؟ قل — ما أخذ الله على العلماء من الموائيق « لبيته للناس ولا يكتُمونه » قال يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك إن يلفني عنك ما أسكره فأفرق بين رأسك وجسدك . »

أقول وقد ساق المصنف هذه الحكاية في كتاب ذم الجاه والرياء مطولة بما هو أبلغ في العبارة والفرق بين علماء الدين الذين لا يخافون في الله لومة لائم وعلماء الدنيا الذين يتقربون إلى الأمراء والسلطانين بما يرضيهم من سخط الله تعالى قال « روي عن سعيد بن أبي مرزوق قال كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحارس وهو على برذون أصفر فدخل

المسجد على برذونه (١) فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها ثم ثنى وركه فبذل وشى نحو الحسن فلما رآه الحسن متوجهاً اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قل سعيد وتجايفت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم (٢) فما قطع الحسن كلامه . قل سعيد فقلت في نفسي لأبكون الحسن اليوم ولا نظرن هبل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه أو يحمل الحسن هية الحجاج ان يتص من كلامه . فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحواً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى آخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على مكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبرّ فعلكم بهذه المجالس وأشباعها فانخذوها خلقاً وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجالس الله كرياض الجنة ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمرقتنا بفضلها . قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق ققام . فجاء رجل من أهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين ألا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني أغزو فأكلف فرساً وبطلاً وأكلف فسطاطاً وان لي ثلاث مئة درهم من البطاء وان لي سبع بنات من العمال : فشكا من حاله حتى رق له الحسن وأصعبه راحلته مكب ذلك فرغ الرجل من كلامه ورفع الحسن رأسه فقال ما لهم قتلهم الله انخذوا عباد الله خولاً وما لله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فإذا غزا عدو الله غزاه في الفاسطيط الهابطة (أي العالية اشترعة) وعلى البغال السباقة وإذا أغرى أخاه أغراه طاولياً راجلاً : فما فتر الحسن حتي ذكرهم بأفصح العيب وأشدّه ققام رجل من أهل الشام كذا جالساً

(١) لعل المسجد كان لا يزال مفروشاً بالرمل على طريقة الصدر الأول أو لعل الحجاج دخل بالبرذون الى صحنه دون موضع الصلاة (٢) يريد بقوله يتكلم به في كل يوم انه يتكلم بمثله في الوعظ وبيان الحق كما يعلم من لاحق الكلام

الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه الذي تكلم به (١) فلم يلبث الحسن أن أته رسل الحجاج فقالوا أجب الأمير فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن أن رجع الى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغراه بضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال إنما تجالسون بالأمانة (٢) كأنكم تظنون أن الحياة ليست الا في الدينار والدرهم ان الحياة أشد الحياة ان يجالس الرجل فطمئن الى جانبه ثم يطلق فيسمى بنا الى شرارة من نار ، اني أتيت هذا الرجل فقال أقصر عليك لسانك وتوكل اذا غزا عدو الله كذا وكذا واذا غزا أخاه أغزاه كذا لأبالك فعرض علينا الناس أما آت على ذلك لانهم نصيحتك فأقصر عليك من لسانك قال فدفعه الله عني . وركب الحسن حمرا يريد المعزل فيينا هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد

قال القرطبي بعد ايراد هذا الاثر: فهذه الملامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن ومما رأيت العلماء يتفايرون ويتحاسدون ولا يتوانون ولا ينعادون فاعلم انهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون اللهم ارحمنا بلطفك بأرحم الراحمين . اهـ

أقول وان حاجتهم الى التعاون في هذا العصر أشد منها في عصر الحجاج فإن المسلمين اليوم على خطر وأمرؤهم وملوكهم لا يذكرون مع ملوك بني أمية وأمرؤهم حتى الحجاج فأولئك قد فتحوا الممالك وهولاء أضاعوها وأولئك حفظوا من الشريعة ما عدا جمل أمر المسلمين شأري بينهم فأنهم جعلوه ملكا قوامه العصية وهولاء أضاعوا الشريعة الا قليلا هو على خطر من حملوه وسوء ادارتهم ، وأولئك

(١) يشك ان يكون الحجاج هو الذي أوعز الى الشاميين بمثل ما فعل لابللم هل تدفع مجاملته للحسن شيئا من كلامه فيه وفي حكومته (٢) الجملة حديث رواه العسكري وابن المبارك والحرثي هذا اللفظ عن ابن عباس ورواه غيره بألفاظ أخرى

كانوا يعدلون في الاحكام ويساوون الناس في الحقوق فلا يظلمون الا من نازعهم في أصل سلطنتهم وهؤلاء يظلمون في كل شيء ويبيعون الحقوق بالرشوة . وقد رأيت أن من علماء السلف من كان يفظ لهم وينفر الناس من أصل سلطنتهم ويغيظ أشدم سفكا لدماء كاللحاج أفلنا أحوج لأن الى ذلك . الخلاصة أنه لا بد من اجتماع الملأ وتعاونهم على فريضة النصيحة مادام في القوس منزع وفي السلطة الاسلامي مرق .

(للا تار بقية)

التعصب وأوروبا والاسلام

لكلام دول تحالف دول الحقائق نارة وتحالفها نارة ، ورب خلاف يجر الى خلاف وحلاف ينهي بخلاف . قديتهم الخلي بالشق حتى نجمله التهمة عشتا ، وقد ينكر الكذب والكذب حتى يكون صادقا ، مرت على الشرق الاحقاب والقرون ، ودرجت فيه الأجيال والقرون ، وهو كما تعلم مشرق الاديان ، ومنبت جميع أصناف الانسان ، ولم يقع فيه بين المختلفين في الدين المناجورين في البيئة من الغلو في التعصب بشر معشار ما وقع من أهل أوروبا الذين اتحدوا باسم الصليب على اباداة المسلمين أو ما وقع من تعصب نصارى هذه القارة على الوثنيين فيها بل ولا عشر معشار ما وقع من أهل المذاهب النصرانية بعضهم مع بعض فأوربامثار بركان التعصب الديني في الأرض كما بينا ذلك في مقالات نشرت في أعداد السنة الاولى

لما رجعت دول أريا المتحدة من حرب الصليب في الشرق مغلوبة على أمرها عاجزة عن بلوغ متنى ما حده لها تعصبها عالم أنها دون المسلمين في القوة الحربية والقوة العلمية والادبية أخذت تستمد في العلم والعمل فكان خذلانها في تلك الحرب مبدأ حياة جديدة لها على حين كانت حياة المسلمين السابقة أخذت بالضعف والتهول فاستفادت من الانكسار ، ما لم تستفد من الانتصار ، وما زالوا يرتقون فيها تركناه لهم من علم وصناعة واجتماع واعتصام ، ونحن نتدلى بالجل والكسل والفرق والانفصام ، حتى دالت لهم الدولة ، وعادت لهم الكرة ، فسادوا علينا واستولوا على أكثر بلادنا وقد عاملنا أكثرهم بالشدة والقسوة حتى ضبظت بعض دولهم

أوقافنا وهدمت أكثر مساجدنا ومنعتنا من التعليم الديني والديني وسلطت علينا قسوسها يحقرون ديننا في بلادنا. وإن أكثر أراحي أحسن استعماراً وأقربهم إلى الدين والملة لم تبلغ بعض شأ والخلفاء الراشدين في العدل والمساواة بل ولا غير الراشدين من أكثر ملوك الأمويين والعباسيين كما يدنا ذلك غير مرة

نحتاج أوروبا على هذه القسوة بأن الشرقيين أو المسلمين متمصبون لا يؤمن شرم أن يقع على الخلف لهم الأبل أيديهم وتقييد أرجلهم ووضع الورك في أسماهم والفاشاة على أبصارهم ولكن أنزالها الشر المحقق عليهم خوفاً من الشر المتوهم منهم لا يعد تمصباً !! لماذا ؟ لأنها تقول : أنهم متمصبون للدين وإننا غير متمصبين له ، الشرقيون متمصبون لأن الشرق لا يعرف جامعة غير الدين ، الغربيون غير متمصبين لأن الغرب لا يعرف غير الجامعة الجنسية أو الوطنية ، المسلمون متمصبون انتصاري غير متمصبين ، التمسب الاسلامي خطر على المدنية المسيحية ، مادام هذا القرآن معتقداً أو محترماً فلا إنسانية على خطر ، ما يأخذه الصليب من الهلال لا يعود اليه وما يأخذه الهلال من الصليب يجب ان يسرد منه ، :

أمثال هذا الكلام الذي يرددونه قد فتق آذان المظلمين من المسلمين على كتب أوروبا وجرائدها وفتح أعينهم ونبه أفكارهم فاعتقدوا أن أوروبا متمصب على يوم نحاول محو ملكهم ووجودهم إلى من الأرض وأنهم يحاربهم بهذا التمسب و بما كانت نتائجهم بالتمصب فكادوا يحققون التهمة ويدعون إلى تحقيقها ولكن روح الاسلام لا يزال غالباً على مجموع الأمة الإسلامية وهو السنيته في هذا المقال

يخفت صوت القوم في اتهام المسلمين بالتمصب حينما من الله بهم ثم لا تلبث السياسة ان ترفع به عقيرتها وقد قار في هذا الايام وزير خارجية انكسرا في مجلس العموم كلمة فيه سارت بها الركبان قال — والهدية على ترجمة الجرائد — ان روح التمسب قد زادت في القطر المصري في هذه الايام زيادة يخشى معها على مستقبل البلاد . قل كلمته في مقام الدفاع والاعتذار عن عمل أنه السياسة الاكليزية في مصر فأنكره عليها بعض النواب في المجلس وطلب من الوزير ان يبين عند الحكومة في ارتكاب

ذلك المذكر وهو القسوة في معاقبة طائفة من الفلاحين في حادثة دنشواي التي سارت بخبرها أركبان وترى مجمل خبرها في باب الاخبار من هذا الجزء

عندي بصوت المعتذر في مقام الدفاع ان يكون خافتا ليس له صدى ولكن صوت هذا المدافع ، قد كان أشد من دوي المدافع ، خشعت له في المجلس الابصار ، وخفنت له الاصوات ، ولم يلبث ان حمله البرق الى الارجاج ، فكان مع البرق رعداً قاصماً في جميع الجواء ، رددت صدها الاقطار ، وكان الشغل انشغال لصحف الاخبار ، فأم الجرائد الاوربية فقد صرقت الوزير في قوله ، وواقفته على ما يريد به ، جاريه في ذلك على نهجها المعبود ، وتقاليدها المتبعة ، وتبها من الجرائد الافرنجية والمترجمة في مصر من يرى أصعابها لهم فائدة من تقيظ انكثرتا من المسلمين . وأما جرائد المسلمين في مصر ومن أنصف المسلمين في المسألة من أصحاب الجرائد الافرنجية والسورية فقد أنكروا القول على الوزير وما كل منكر يعرف كيف يذكر .

وجل مسلو مصر وأصحاب الجرائد منهم خاصة من قول الوزير وحسبوا لما قبلته ألف حساب وهب الكتاب منهم لدفع تهمة التعصب عن أنفسهم فجاءوا بنتهى ما ينول بين الذرة والوجل ، من فنون الحجاج والجدل ، وربما كان في دفاعهم ما يمدح المتهمون لهم مثبتا لتهمة عليهم ، ولم أر منهم من شرح ما يريد الوزير من التعصب كما اعتقدتم احتج على بطلانه بما يرجي ان يكون مقنعاً للمنصف ، بل رأيت كثيراً من الناس يعتقدون أن الوزير قال مالا يعتقد كقول له أتوبد كروم وهو أيضاً لا يعتقد ما قال . أما أنا فإني أقول انها عيان بالتعصب غير ما فسر به هؤلاء المدافعون من الوجوه التي يقيمون الدلائل على ردها .

هل يعني الافرنج بالتعصب الاسلامي تحاب المسلمين وتعاونهم على مسابقة غيرهم في طرق الكمال الصوري والمنوي فنقول لهم انكم تساعدون أننا أصبحنا أضعف الأمم اتحاداً وتصاراً : وأشدّها تفرقاً وتنافراً ، هل يعنون به بضنا وكرهنا للمخالف لنا في ديننا وعدم ثقتنا به بحيث يصعب عليه ان يعيش بيننا فنقول لهم اذاً كيف اصاب هذه القروة الواسعة منا جالية اليهود والنصارى منكم ومن

السوريين والأرمن وسائر الملل وكيف صار منكم رئيس الخاصة الخديوية وكثير من مستخدميهما ورؤساء دوائر كثير من أمرائنا وأغنيائنا ؛ بل كيف عاش بيتنا المبشرون بالنصرانية آمنين وهم يطعمون بديننا وكما بنا ونبيتنا ؛ هل يدنون به محافضتنا على شربتنا من جهة الاحكام القضائية فنقول لهم هذه المحاكم الالهية والمختلطة ومدسة الحقوق ونظارة المحفانية نفسها حاجة عليكم فانتا تركنا معظم شربتنا الالهية الى قوانينكم الوضعية ولم يعارض حكامنا الذين فعلوا ذلك أحد من علاننا ولا من وجاننا ؛ هل يريدون به اعتصامنا بعروة الدين في أعمالنا الشخصية فقول لهم ولماذا راحت نخوركم حتى عمت المدن والقرى وربحت تجارة بورصكم وبغاياكم حتى أهلكت الحرث والنسل ولماذا كان عدد اغنيائنا الذين يزورون بيوت الفسق في بلادكم كل عام ، أضغاف الذين يزورون بيت الله الحرام ، ولماذا ولماذا ولماذا ١٠٠٠ هل يبنون به ان مصر تريد ان تتبع سائر الأقطار الاسلامية ، بالاتحاد على الامنية التي يعبر عنها بالجامعة الدينية ، فقول أخبرونا عن قطرين اسلاميين اتحدت حكومتاهما وتحالفت على دولة غير اسلامية كما تفعل دولكم في ناطقها وتهاطلها . ما كانت حكومتان لتاتحالفتين لإعلاء كلمة الله لاسيما في هذه الأزمان ، إنهم الا متخالفون لوجه الشيطان ، بالأأس قامت دولكم على دولة مراكش الاسلامية فاتحدت على ماشاات من السيطرة عليها ولم تطلب دولة الترك ولا دولة الفرس ان يكون لهما معكم سهم ولا قلت واحدة منهما كلمة نشر بالهيرة عليها أو المساعدة لها بل هما الآن متاوتان كل منهما تحشد الجيوش على الحدود كأنهما متحدتان على إيقاعنا ما يقي المسلمين من قرعة واستقلال بملك كل منهما بالأخرى . على أن الحكومات هي التي تمقد المحلفات وزمام الحكومة المصرية في أيديكم وليس للأمة في أعمالها رأي ، بل ليس للحكومة نفسها من دونكم أمر ولا نهى ؛ بل نقول لهم لو كان المصريون الذين تشكون من تعصبهم رأي لما اتفقوا على الاعتصام بالجامعة الاسلامية وإيمانهم بما أرشدتهم اليه من العصبة الوطنية ، فلو وجد فيهم كثير من يصدون المسلم غير المصري فيهم دخيلاو يابون الاشتراك مع في أي عمل يرتفعون بمعاملة الاجنبي غير المسلم

إذا ما ذابروا يدون بهذا التعصب المصطنع، التحفز لمواثبة الدول، المحرّيق لبيع،
 المحرّج لمزليد الباع، المترصص لقتال الثروة، لأروية، النوثب ليمحوآية المدينة،
 ألا أنهم يعنون أن المسلمين حريصون على أن يكون حكمهم منهم وأشد
 ما يذكرون من ذلك أن الاسلام قد جعل من حرق الخليفة على المسلمين،
 أن يستجيروا له إذا دعاهم إلى استنصار الخلفين لهم في الدين، ويستقدون أن
 السلطان عبد الحميد ما أحيا لقب الخلافة لنفسه وعني باقتناع الشعوب الاسلامية
 بالاعتراف به باستخدام الجرائد وغير ذلك من الوسائل الا ليمتج نفسه بهذه
 القوة المعنوية الهائلة التي يستطيع أن يهدد بها أوربا في مستعمراتها متى شاء بل
 هو يهددها بالقوة والفعل ولولا ما يحدث له من التواغل والبراقيل في كل وقت
 وما تعلوي عليه جوانحه من الخوف والحذر لما أمنت دعاهه وقد أعطي هذه
 السلطة الدينية الخيمة . هذا ما يعتقد الأوروبيون في التعصب الاسلامي وهذا
 ما يخافون منه . ولما كانت مسألة العقبة ورأى القورد كرومر أن السلطان قد ظهر
 فيها بظهور الشدة والحزم وألا ورأى أثره بعض جرائد المسلمين فيها بحق الخلافة
 والمقصود بخليفة واستنادها في بعض ما كتبت على مختار باشا الذي أنيطت به
 هذه المسألة خلافا للعادة وقرأ ما كتب اليه في ذلك اعتقد أن السلطان قد نجح
 بإيجاز امير طور ألمانيا المتهور على استعمال تلك السلطة الدينية في هذه المسألة فكتب
 الى دولته بذلك فهو قد كتب عن المنصب في مصر ما يعتقد وتبعه وزير الخارجية
 في ذلك إذ لا مصدر له في المسائل المصرية سواء . فهل يفتأ الكثيرون يقولون
 ان القورد قل ما لا يعتقد وكذلك الوزير؟ وهل تظن الجرائد بما أكثرت من
 الكتابة في التعصب انها فلتت في القدرة والتأرب، وأقامت الحجة على القورد
 والوزير وسائر الاجانب،

الحجة الهاضة على تبرئة الاسلام نفسه من هذا التعصب المزعوم هي آي
 القرآن، الطائفة بتحريم العدوان، وبأن القتال الديني خاص بمن يقاتلوننا في
 الدين أي يقاتلوننا لأجل منعنا من الدعوة الى ديننا أو من إقامته واحياء شعائره .
 وهذا الآيات كثيرة جدا وقد تقدم تفسير أكثرها في المنار وحسب المنصف

منها قوله تعالى (١٩٠:٢) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعدوا ان الله
 لا يحب المعتدين) وقوله عز وجل (٨:٦٠) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
 الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبوءهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين *
 ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا
 على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

لوقته الاوربيون هذه الآيات الثلاث لأذعن المنصفون منهم بأنه لو لم يفضل
 الاسلام جميع الملل الا بها لكانت كافية في تفضيله عليها ولو دوا لو أقام المسلمون
 هذه القرآن واعتدوا به الآية الأولى تأذن للمسلمين قتال من يقاتلهم خاصة ونحرم
 عليهم أن يقاتلواهم المعتدين ومن فروع هذا التحريم ما جرى عليه المسلمون في
 حروبهم من عدم التعرض للرهبان والعباد والنساء في بلاد الحرب لأنهم ليسوا بمن يحاربون.
 وأما الذمي والمأهذ والمستأمن فيجب على المسلمين حمايتهم عن محاولة الاعتداء
 عليهم فلم يجوز امتك من نجب حمايته من عدوه ؟ أما الآيتان الاخريان فقد
 نزلتا في التمييز بين الحارين لثاني الدين الذين نهاها عن موالاتهم في أول السورة
 وفي سور أخرى وبين غيرهم . قال في أول هذه السورة (١:٩٠) يا أيها الذين آمنوا
 لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء . تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من
 الحق ، يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) الآيات وفيها بعد وصف
 هؤلاء الأعداء بأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من وطنهم (مكة) لأنهم يؤمنون
 بالله أنهم إن ظفروا بهم بعد هذا الذي والإخراج يكونوا لهم أعداء . ويودوا لو
 يكفروا مثلهم ويسلطوا اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء أي إنهم لم يكفروا بعد
 الإخراج والذي في عداوتهم . بعد هذا قال سبحانه (٦) عسى الله ان يجعل بينكم وبين
 الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم * ٧ لا ينهاكم الله (الى آخر
 الآيتين . فهو بعد طاع المؤمنين في تحويل العداوة بينهم وبين أولئك الأعداء
 الى مودة قال ان النهي عن اتخاذهم أولياء لا يعم كل مشرك منهم حتى الذين لم
 يقاتلوا المسلمين لأجل الدين ولم يخرجوهم من ديارهم هؤلاء . وان كانوا كفارا
 لا ينهى عن برهم والاحسان اليهم وعن معاملتهم بالعدل وانما النهي خاص بالذين

قاتلوهم في الدين لتحول يلهم عنه ومنعهم من الدعوة اليه وأخرجهم من ديارهم أو
ساعدوا المخرجين لهم على نفيهم وليس نهيًا عن معاملتهم بالعدل بل هو نهي عن
ولايتهم ومحاقتهم ومناصرتهم لأن هذا ظلم بين المسلمين .
هذا ملخص معنى الآيات فهل وجد في العالم نبي أو حكيم أو أديب أمر بمعاملة
أعدائه وأعداء قومه بمثل هذه المعاملة التي جمعت بين العدل والرحمة على أكمل وجه؟
أليس من أقبح الظلم وأشنع الكذب والزور أو من أشد فضائح الجبل أن يقال
في دين جاء بهذا الكمالات الأعلى أنه خطر على البشر لانه يأمر بإبادة المخالفين له وإن
كانوا مسلمين لاهله ونافعين لهم كأي قول بعض الافرنجى بلى ولكن أكثر الافرنج
يحكمون على الاسلام بما يحكيه عنه افراد من غلاتهم في التعصب أو من بعض جهال
المسلمين وغوغائهم أو الذين يتحلون بالسياسة ويجعلون الدين آلة لها وهم به جاهلون
إذا كان الاسلام نفسه بريئا من هذه التهمة التي ياصتها به الاوروبيون
ويسمونها تعصبا فانني لا أبرئ كثير من عوام المسلمين الجاهلين من اعتقاد وجوب
طاعة السطان اذا أمر بقتل المخالفين في الدين . إن كانت الامة الاسلامية قد
أجمعت على انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق ومن اكبر المعاصي الاعتداء على
غير المعتدي . وما جاء هذا الاعتقاد من الدين بل جاء من السياسة ولا نعرف تاريخ
حدوثه ولعله كان في أيام حرب الصليب وقد اشتهر ان السلطان سليمان استفتى شيخ
الاسلام ابا السعود في إزام نصارى الروم على الاسلام أو ابادتهم لان بقاى متمتعين
بمحرقتهم في الدين واللغة وجميع الشؤون الاجتماعية خطر على الدولة لانهم تعصبهم
لا بد ان يتهموا فرصة ضعف في الدولة أو تورط في حرب شاغلة فيخرجوا عليها فلم
يفقه ابوالسعود بذلك ولعله لو وجد دليلا في الكتاب أو السنة أو أقول المجتهدين
أو الفقهاء المرجحين يسمح له باسقاط سياسة السلطان في ذلك لآخذ به وأبقى
وكانت القضية

إذا صدق قلنا في كون حرب الصليب هي مبدأ هذه الفكرة وجوب طاعة
السلطان اذا أمر بقتل المخالفين فهي غرس الاوربيين الدين اثاروا تلك الحرب
بتعصبهم وهم الذين يسقون هذا الفرس وينشونه بزعمهم انه من أصول الاسلام ثم
(المنار ٩٠٦) (٥٥) (المجلد التاسع)

بدعوة بعض دولهم بعضا الى الاتحاد على المسلمين ومعاملتهم بالقوة ليؤمن شر تعصبهم هذا
لا أدري أي الرأيين أفضل ، وأية السياسيين شر ، أراي مسلم يظن ان اعتقاد
الاوربيين بأن السلطان العثماني قادر على تهيج المسلمين على النصارى موشاء من
عوامل القوة التي ترهبهم فمن السياسة ان ندمهم في اعتقادهم هذا وان كان خطأ
عسي ان يخفف ضغطهم عن تحت سلطتهم من المسلمين ويقل نهماهم على الدولة
العثمانية ، أم رأي أوربي أو نصراني شرقي يتهم المسلمين بالتعصب وانتهاز الفرص
للإيقاع بالخالفين عامة أو بالنصارى خاصة ويظن ان هذا من السياسة التي
تعود على اصحابها بالفائدة الكبرى ويمكن لهم في الارض ، فيلنوا ما أرادوا من
سيادة وكسب ، ألا يجوز ان تأتي كل من السياسيين بتعصب ما يرايها فيكون ايهام
المسلمين للاوربيين بأنهم مستعدون للقتال بهم عند انحر كم ارادة السلطان جاء ما
لكلمة أوربا على ابتسار اثمة قبل اطلابها . أو يحدث الثجرة قبل أن تستوي
على ساقها ، أو يكون اتهام الاوربيين للمسلمين بالتعصب هو الذي يجمع كلمة
المغربي منهم بالنشقي ، والمغربي بالجهلي ، وولف منهم عصبية تجعل الظن
يقينا ، والاماني منونا ، ولو بعد حين ؟

أليس مما يذعن له كل منصف محب لخير البشر أن انامة ائمن خير من
إيقاظها ، وأن إزالة الاخن خير من إثارتها ، فمن أعظم ممن علم هذا فأعرض عنه
واستبدل الفرق بئنا أليف ، واغرى القوي بالضعيف ، أو شغل الضعيف عن
قوته الذاتية ، وحمله على معاداة حكومته الحقيقية ، أولئك المفرقون فر يقان -- هذا
يقول لاور بالان المسلمين متعصبون ، فخذيم بالعذاب لعلمهم يرجعوا ، وهذا يشغل
من تسوسهم أو تسودهم أوربا عن قوتهم الذاتية ، ويملق أمانيتهم بالدولة العثمانية ،
ومحمد الله انه لم يوجد في جرائدنا من ينفر المسلمين من انصارى كلمة كما يوجد
في الجرائد الافرنجية والمنفرجة من ينفر النصارى من المسلمين كلمة بدعوى ان
المسلمين متعصبون عليهم ، إذا وقعت واقعة ، فكانت خافضة رافعة

أما ميل المصريين الى الدولة العثمانية في مسألة العقبة وفي غيرها من المسائل

فليس من العدل ان يجعل بمجرد من التعصب الديني الذين يخشى منه على غير المسلمين عامة وعلى الاربين خاصة لان الدولة دولتهم باذتراف انكثرا وسائر دول أوروبا على أنهم لا يرضون ترك استتلاهم لها ولا هي تطمع بذلك، ثم ان موضع العتبة من جزيرة العرب وكونه سيكون ابا المحرمين الشريفين بحاله محطه لسكة الحديد والحجازية واعتقادهم الديني في الحرمين معروف اذا كانوا لا يرضون بأن يكون الحرمان وما هو حرم لها من الجزيرة تحت سلطة أجنبية فهم معذرون لأن هذه الارض المقدسة بمنزلة المسجد عندهم وأي متدين في العالم يرضى بأن تكون معايدته ومعاهده المقدسة تحت سلطة الخلف له في دينه ؟ وليس القابل بأن هذا من التعصب هو أشد الناس غلوا في التعصب وأجدرهم بمثل « رمتي بدائها وانسلت » ؟

ان أكثر الذين يرمون المسلمين بالتعصب يظنون بلسان السياسة والسياسة سريرة لا تعلم، ولما لا نكاد نفهم، فهي ككتيب الجفر لا يعلم ما تطبق أو تنطبق عليه الا بعد وقوعه فاذا كانت السياسة ترد عملا يتوقف على رعي المسلمين بالتعصب فهي ترميهم به تمهيدا لذلك العمل فلا كلام لنا مع أهلها في ذلك لاننا لسنا من أهل الشورى في سياستهم ننزل هذا ضاربنا أو بكم وهذا نافع لنا أو لكم أو نحن فيه سواء اذ ربما كانوا في هذه الحال يشكون من التعصب ظاهرا و ييقنون في الباطن ايجاده ان لم يكن موجودا وحينئذ ادع للمستقبل خطابهم فهو أقدر على اقناعهم . وان كانوا يقولون ذلك معتقدين له ومعتبرين منه فانتا تقول لهم بلسان الصدق كلمة ربما كانت مزيدا في علمهم الواسع لا يستغنى عنه :

انتا لا تذكر انتا نحب ان يكون حكمانا متافان هذا من خصائص البشر مهما انحطوا ولا تراكم تعييننا وتماقيوننا على كوننا من البشر، ان تريدون بسمية هذا تعصبا الا انتا نرى بعض الدوائر بمن يحكمنا من غيرنا لنشور عليه وهو لا مسلم وروسيا حجة عليكم تشاهدونها الا أنهم لم يفعلوا بحكومتهم المستبدة عند الفرصة ما فعل غيرهم ولا تنسون ما فعل بعض نصايي البلقان من قيا وما فعلون الآن في مكسونية، ان نحن ان بشر مثلكم نحب مصلحتنا ونا مار على حقيقتنا على انتا أصغر أهل الملل قلوبا وأسلم عاقبة ان كنتم تودون الوفاق والجمع بين مصلحتنا ومصلحتكم فان ذلك ممكن لا يجوز

دونه تعصب ديني ولا غيره ونحن مستعدون لبيان أقرب الطرق اليه إن شئتم .
 وإن كنتم تبغون الاثرة فينا والافتيات علينا وتعدون عدم الرضى بذلك سرا
 وجها من التعصب فاعلموا اننا منعصون لأن طاعة البشر قد جبلت على النفرة
 من المستطاع الذي يستأثر بالمصالح والمنافع فلا يسمح مختاراً بشيء منها المستطاع
 عليهم الا اذا كان انتفاعه يتوقف على ذلك السماح وإن كان متفقاً معهم في الجنس
 والالنة والدين والوطن فكيف اذا كان مخالفاً لهم في كل شيء ؟ اذاً لا علاج
 لهذه النفرة الا العدل والمساواة والتوفيق بين المصالح وهذه الزايات ساد الاسلام
 اكثر شعوب الارض في أقل من قرن واحد ونراكم لا ترضون بمساواتنا في بلادنا
 التي نحكمها بآلة بلادنا التي وقعت في حكمكم ثم تقولون ان ديننا جاء بالتعصب
 على انه كان يساوي أحسن رجل من المخالفين بأعظم سيد في المسلمين كعلي بن أبي
 طالب ، واننا منعصون لانه لا نرقص طر بالامتيازكم علينا وترفعكم عن مساواتنا !!!

(ذلك شأن القوة تقول ما نشاء وتعمل ما تشاء ولا تخشى معارضا فجازى
 الله رؤساء الذين أذلونا بظلمهم وجهالم واستبدادهم وأضعفوا حججنا كما أضعفوا
 سلطتنا حتى صار بعض الا جانب أرحم لنا منهم فهو يدل علينا ببدله الاضافي
 ولولا ذلك الاذلال لما كان هذا الادلال)

وجملة القول - ان الاسلام اعدل للادين وأرحمها بالمخالف فوصف الافرنج
 ومقلديهم اياه بالتعصب المذموم ظلم منهم المعتد له سياسة ومنهم المتولد لاقسوس
 والسياسيين فيه - وإن المسلمين اذا كانوا لا يدلون من التعصب فهم أقل تعصبا لاسيما
 في هذه البلاد من جميع أهل الملل العاشين معهم - وإن الافرنج والمتفرغين
 هم الذين أبقتوا شعور التعصب فيهم بأقوالهم وأفعالهم ولذلك ترى المعارفين
 بلغة من لغات أوربا والمتعلمين في مدارسها أقرب الى التعصب من المتعلمين في
 الأزهر - وإن هذا التعصب لا يخشى منه على أحد من غير المسلمين في مصر ولا
 في غيرها الا اذا اتحد النصارى كلهم على محاربة المسلمين وازالة ملكهم - وإن
 السلطان نفسه لا يقدر على الأمر بالتغير العام في غير هذه الحالة إذ لا يقبته شيخ
 الاسلام ولا غيره من العلماء بمجاوز اعتداء المسلم على من لم يعتد عليه لأن هذا مخالف

لنص القرآن - وان وزير الانكليز قد غنى بالتعصب ما ذكرنا تبعا للورد كرومر
وهما يعتمدان أنه قد تبيح في مصر ايام حادثة العقبة وأنه كان يخشى من الفتن
لو اشدت النزاع وطال أمده فاحتياط انكليترا كان من العقل والسياسة - وانا
نعتقد انه لم يكن هناك خطر على الأوربيين - وان حادثة دنشواي لاعلاقة لها
بتمصب الفلاحين ولا بمسألة العقبة وانما كانت جراءتهم على الضباط احناء مجردا
من كل شائبة ماعدا خشونة القوم المهودة في دفاعهم عن حقيقتهم ، وان انكليترا
قست في عقوبتهم لكيلا يتجراً غيرهم على مثل فعلهم - وانما خدعت بهذه القسوة
معظم ماربخته في السنين الطويلة من الميل اليها والانس بحكمها الا انها خسارة نزول
وقسوة تنسى اذا حسنت الحال بعدها - وانما اصريرين أشد المسلمين تساهلا وأقربهم
للمخالف في الدين مودة

هذا وإن المسلمين ثلاثة اصناف المشتغلون بلم الدين كاهل الازهر والمشتغلون بعلوم
أوربا والعوام فأما الصنف الاول فيعتقدون أن الدمي والمعاهد وهو من بيننا وبين
دولته عهدسلي كأهل أوربا الآن والمستامن وهومن دخل من الحربيين بلادنا
بأمن -نا- وان شئت قلت يعتقدون ان جميع المخالفين لنا في الدين غير المحاربين -
يحرّم الاعتداء عليهم وايدأوهم بل يجب علينا حمايتهم ممن يريد الاعتداء عليهم
ولو بمقاتلته والنفقة عليهم عند الاضطرار وتستحب النفقة عليهم اذا كانوا فقراء ،
ومنتهى ما عندهم لا يمار بما يؤخذ عليهم في هذا العصر هو عدم الائتلاف والانسباط
مع المخالف لعدم العادة وأما العوام وهم الصنف الثالث فانهم كما قلنا يقدرون ان السلطان
اذا أمر بالاعتداء على كل مخالف وجبت طاعته لاسيما اذا حمل راية الرسول صلى الله عليه
وسلم وهم فيما عدا هذا الاعتماد اقرب الى سلامة القلب وأبعد عن عداوة المخالف
من عوام سائر الملل . وهذا الاعتقاد لا يخشى ضرره وجعله مثارا للفتن الا في
الحالة التي أشرنا اليها وهي قيام التنصاري كافة على المسلمين ولن يكون ذلك فان
كان فان تعصب هو المعتدي والعوام يتبعون علماء الدين فاذا حدثت أمور يخشى
معا اعتداء العوام على غيرهم فان علماء الدين يقدرّون على دفع كل مخشي بالخطب
في الجوامع وفي الجرائد مثل هذم البلاد فاذا كتب كبار علماء الازهر في الصحف

المنشورة ان العدوان حرام امتنع المدولن وكان ذلك اقل من كثرة الشرط والجند
وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاولية فأكثرهم لا يمتازون
عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على
السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع
الاوربيين ، ومما عهم لا قولهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب بسياسة
لاتدينا ولكن روح ناسهل الاسلام غلب عليهم حتى لا يلم منه المارق منهم ،
وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومته سطيتهم يقولون : انهم يهتموننا
بالتعصب بآلته كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من
الدين ، وأدنا من أجعلنا بالدين وأعرفنا بأهل أوربا في علومهم ومدنيتهم لاسيا من
ذائق حفظها منا فعتار التعصب أوربا لا الاسلام نفسه واذا ظنت أوربا على انهما
والافنيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يحجب يوم يكون فيه الشك قبنا وهو ما
نسأل الله أن يقي البشر شره والافان في استلاعتها ان نجتمع بين مصلحتها ومصلحتنا
ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعتقون ،
ويسرون ويألمون ، وثمة في خلقه شؤون ، وهو يعلم ما لا نعلم ولا يفهمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بحيت ﴾

(٢ - وصفه الفونفراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونفراف وصف من لم يره ولم يعرف
شيئا من علم مختبريه فجاء في رسالة (رفع الهم والاشتيا) يرد على قولنا بأنه وصفه
بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قل (كما في ص ٢٦) : وقد أخذنا وصفنا
عن أهل الخبرة وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المتكلف
بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المتكلف في ص ٧ و ٨ و ٩ ويحي
بمطابقة وصفه لوصف المتكلف في النتيجة اتفاهما على ان الفونفراف آلة ناطقة !!

ألا هل من قارىء فيفهم ! الأهل من متفكر فيعجب ! الأهل من عاقل منصف ، يفقه كنه هذا المصنف ، أننا انتقدنا عليه وصفه الفوتنراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعي أن الوصف غير مطابق للموصوف . فإذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لاني تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المنتطف وصف وصفا آخر نتيجته أنه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف وأننا أصبنا في الانتقاد عليه ؟ إذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للانتقال فقد كرا أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للانتقال فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؟ فهل يصح الرد على من يتتد وصف الخطي بأنه أي الخطي - موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ وإذا كان قوله أنه موافق للمنتطف في كون الفوتنراف آلة ناطقة فقط اعترافا بأنه مخالف له في وصفها وأننا صيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المنتطف وهي حجة عليه ولا حاجة في إثبات كون الفوتنراف آلة ناطقة الى إيرادها إذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال أنه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا صراحا على دعوى الأصا في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطأ وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على أنه حجة له ، هل يعلم العاقل المصنف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند أمثاله عبارة عن إيراد القول ، وقول وتقول ، وإن لم تصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، سيعلم القارىء مما يأتي ما يدل مع ما علمه هذا على أنه كتب بغير فهم وإن التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراء من مظاهرها أي من المواضيع التي يظن أنها توجد فيها من الكتب وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على أن هذه القول موافقة لما يدعي وإن كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

أنما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفوتنراف وفي قوله أن المسائل التي سأله مقبم في الاتاضول في الرومالي الشرقي بولاية سلاطيك للتنبه على أن العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فإن المسائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصنائعهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فإذا كان الفقيه يجهل ذلك لعذر أو تعمس عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون إلى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصفه للاحتقار والازدراء . ولم ينبه هذا الفرض اعتماداً على اكتفاء القريب بالإشارة ولكنه لفروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام برميها بقلة الأدب معه كما علم القارى من الجزء الماضي

الاثنان لم قصد تنبيه وحده لما ذكر وأما اقترعنا خطأ أحد المشهورين من علماء الأزهر بمعارضة الإصلاح وذم العلوم التي يسمونها المصرية لتنبيه جميع من على شاكلته إلى الحاجة إليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . وأما والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة إلا بعد أن سمعنا الناس في بعض سمارهم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالتين ما لا ينبغي أن يكتب

وأنا بعد تردد أنه لا حاجة إلى ذكر عبارته في وصف الفونوفراف وعبارة المتخلف التي قال أنها موافقة لما في النتيجة وبين الفرق بينهما لأن هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونوفراف صندوق وأنه له مخارج كمخارج الحروف وشي . يشبه حنجرة الإنسان وأن الفرض من إدارة الزبلك ادخال الهواء في الصندوق لأجل أن يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وإن ذلك الصندوق في مجموع أسطواناته يشبه الإنسان في استعداده لأن يصدر منه ويسمع منه كلام . وأن الفرق بينه وبين الإنسان من وجهين أحدهما أن مخارج الإنسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل أسطوانة من . طوانات الصندوق مستعدة وقابلة لأن يتوارد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها المتكلم . وثانيهما أن الإنسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فإنه لا بدع في خطئه إذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في إصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وأما العبارة في استباحته الكلام فيما لا يعلم وأصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولة إيهام الناس أنه أصاب . وهذه العبارة تكون أكل في المسائل التي من شأن مثله أن يكون عارفاً بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخت في أول رسالة السكوتاه : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية يتضمن: كذا الخ فانتقدنا عليه ذلك وبيننا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الرومالي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدرلة في أوربا دخلت في امارة البلغار وان سلانيك ولاية عاصمة من مكسونية لا تزال في حكم الدولة ، وعمينا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يشلمون في المدارس على رسالة قبل طبها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نهبنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لاسيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالطبعة المسكينة فقل مانصه وفيه عبرتان احدهما في العبارة والثانية في البراعة :

«ان ماجاء في الرسالة الثانية في بيان عمل اقامة السائل على وجهه ماذ كر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جرى فيه الطبع بالطبع ماجاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما لفظه (محل الحادثة ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي) » اهـ ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا

أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جراه على كتابته وهو يديهي البطلان ارادته ابهام القارىء ان مثل هذه المسألة لا يخفى عليه والابهام دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا - ذلك أنه كان ينظر في قضية بالحكمة الشرعية قبل عزله برمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فأله الشيخ بخت عن بلده فقال خانيه فقال أنه ابن خانية قال في كريت سأله ألت من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخت وصدقه حسن بك صبري وكان

محامياً في القضية فلم يقبل الشيخ بخت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مصر على كربت إذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته . ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة : ان حسن بك صبري يد عالماً اختصاصياً بعلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خير في مسألة تملق بالبلاد ومواقفها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لاتصدق: فقال الشيخ بخت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشعاذين !!

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحضور مراده بقوله هذا علم الشعاذين لانهم يعلمون ان أوسع الناس علماً بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على أنه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشعاذون ولله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراوش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا بعد العلم مبتذلاً لاغضافة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الأزهر يجيئون جغرافياً بلادهم نفسها الامن تعلمها في هذه السنين

(- ثانياً) قوله « وقد جرى فيه الطبع بالطبع » الخ من القو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله « على وجه ما ذكر » فانه ليس له وجه وجيه

(- ثالثاً) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا « المقيمين ببلدة دراما بولاية سلانيك في رومالي الشرقي) فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم « المقيمين بالاناضول بالرومالي الشرقي بولاية سلانيك الثمانية » فن مثل هذا الابدال واقلب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بخت بعد ما تقدم « وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعده ولذلك لم ننم له حين ما كتبنا اليه بعد الطبع » نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب تبعاً للخطأ في معرفة المكان كيف وقد غلب

على ظننا أنه لا سؤال ولا مسائل اذ لا يمكن ان يوجد سائل مقبى في أمكنة مختلفة فما هذه المراءغات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه اننا نحن ندم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطللة عاطلة » الى ان قال اتنا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . وتقول هل ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بمضام. (ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن صاحب المؤيد لم ينس فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم من الكالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النفاص لهم لانها تضعف عقولهم عن ادراك علوم الشرع، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت لأمرا ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟

أما ما أكثر القول فيه من اتنا بحسد فجوا بنا عنه اتنا نراه أجدر بان يرحم منه بأن يحسد واتنا ندعو الله ان لا يطينا بمثل علمه وتأليفه وأن يباهيه هو من الابلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله لا يختص بكون السائل في مكان دون مكان ولكن الحسد يسمي ويصم والياد بالله تعالى » اه وأقول ان من له ذوق يدرك به مراحي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا « اتقمت منه نفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الأجتهاد الجزئي ولو فيها علاقة له بالبلاد والمواقع ، وأما فهم صاحب الذوق أنها من باب الكناية أو التمرىض . على ان الاجتهاد المطلق الذى يتكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام في كل موضوع يكون لمن تمامه الوقوف على هذا العلم لاسباب في هذا الزمان الذى صارت مسائل الحدود فيه بين المالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق ويترتب عليها كثير من المسائل الفقية في زمن الحرب والسلام . وقد يتنا مسائل

أخرى توقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقوم البلدان فيها كتبناه في المرید والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ بخيت وغيره من علماء الأزهر في أواخر سنة ١٣١٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار)

ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافراً من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شوط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستعاذ منها وبالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد فتاة مصر) لجبرأفتنى ضوط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت ومؤلف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فأبنا ان نفصل منه رأيه في الانتقاد القوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثا الانتقاد القوي ﴾

« وكثيرون من متقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبيكات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا معا . والقریب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا مانص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على احتار مثلا ولاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء وائمةاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرق استعمال بعضهم « احتار » مع معرفة ان قد استعملها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضيق هاته الفئة كل هذا التضيق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه الحطة التي أخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم بامتدادها على القياس وبمناسبة اوضاعها له حتى في الحركات والسكات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إجمال العوام فترجع لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاءوا عليه امكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى قياسهم هذا لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او قلا ويان ذلك

« انورد في السنة ألفاظ في حق البارئ سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد والعين والاستواء والتزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم واستغفروا بها العامة وبعض الخاصة يزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام الرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف (٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الابراد والاعراب والتصرف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحرى بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليه فانه مما تتناول اليه الاعتناق وتطمح الى مثله الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فسموا الامساك في كل ألفاظ الفئة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محذور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالقرابة

« الفهم والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الا أنهم يأتون كل لفظ قاسمه العامة أو استعملته على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوع القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك خايره في مسألة كذا أو تخايره فاتهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نابأد في مسألة كذا وتنبأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبأ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأتون استعمال تكافؤوا على كذا من الكف ولا يرون أنها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكف للكف في التعاون أقرب لفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . وبعضهم يشدد التكبير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله العامة مع أنها (كهاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأثمهم أو من عال الشيء فلانا أهمه وفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهملون ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديد على الدارج . والخارج . والخاص . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى اقوم من اقواء الموضوع لتعزبه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألمنا اليه . فيا لله منى نمدل عن هذا النخرج الذي يقضي القتل والنقل بتركه

« ولا يعني المتام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقنطف الاغر مجالا بين صفحاته ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكتاب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه - ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتأنشه الناس من كل جهة - فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحا كانت لفظة - يتأنشه - فيها شيء من العامة وعندي ان هذه الدامية هي في منهي الفصاحة وبألت الكتاب جاء في روايته بثلاث من أمثال هذه اللفظة

فانما لم يخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغير حتى عن العامة هـ
 (لنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالثنائية والجمع الصحيح وما
 هو غير قياسي وهو ما يعبرون عنه بالسامعي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن
 أبنية الأفعال سماعية لا يصح أن تأتي من كل مادة بكل بناء ونسمع مثله من مادة
 أخرى فذا علمنا أنهم استعملوا من مادة الحيرة جاور وحيروا وتحيروا واستحاروا فقط كنفينا بها
 ولم نزد عليها أحارا حارة وجارحارة واحترار اختيارا وتحيار تحييرا وحيروا وحيروا
 تحييرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه
 القواعد فجاء بشي كثير مسموع وهو مما لا يصح فيه التباس وإذعان المخالف
 للمعتد لا أن يكون في المسألة خلاف في كونه مقيدة أو غير مقيدة فيذهب
 كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أدس يرون أنه يجب أن يتصرف كل
 كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فدخل فيها من العامي والتخترع والمخيل ما يستحسنه
 بلا قيد ولا شرط إلا مراعاة أفهام القارئین . ولو جرى الدس على هذا الرأي
 في جميع الاقطار العربية لأصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب
 العراقي ، والحجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية
 المدونة في الكتب ولا احتجنا إلى معجمات جديدة وإلى نحو وصرف وبيان أيضا
 لكل قطر

• رأيت المنتصرين لهذا الرأي ثلاثة أصناف - الأول قوم قليلوا البضاعة
 في هذه المهنة وفنونها وقد نصبوا أنفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو
 نشاء لأرينا كم فلفرفلهم بجامم • ولتعرفهم في لحن القول) والثاني أدس يودون
 إفساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر الالفاظ العظيمة شأن
 المعاني وهم على سعة في العلم وقوة في الفهم وجبر أقدي ضومط من هذا الصنف
 ولذلك يوجد في كتابه من الاغلاط اللفظية ما لا نجد مثله في كلام من لا يدانيه
 في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر
 أفندي حتى ضيقوا أبواب المجاز والنقل والقياس ولكنني لا أعلن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يتول في اللغة كلها مثل ما قال الامام الغزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلاً يتبع ثنيته وجمعه كلفظ عين قدورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عيني الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المتقدم احداهما بمن يصنفهم بالجمود يقول لا يجوز ثنية شي من ألفاظ العربية ولا جمعه الا ينقل عن العرب؟ اني اجزم جزماً بأن رأي الغزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لاسيما البصريين منهم وأنه ينبغي لنا ان نملك في اللغة مملك أهلها في الاشتقاق من الجوامد والذريع والتبجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجد فيها الا ما يحتاج اليه ولا نجد في كتبها والا كانت الزيادة تكثراً يقتل علينا احتمالها بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الماحصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلاً لا حاجة اليها لأنه ورد بمعناها حار وتحير وكتب هذه السطور يدى هذا الرأي ولكنه لا يطلق العنان فيه للأفراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فائحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويعملون له نظاماً وينشرون ما يرونه صواباً في الصحف ليعم الاستعمال، ويؤمن الاختلال، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام المأخوذ في مملكة اللغة الا بعد اجماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاماً جديداً بعد استشارة المذاهب الكثرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحياناً من الحاجة الى كلمة رقلاً يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعالي لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الاسم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام التكبير أيضاً على من ينتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورامهم بأشنع الجبل فالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجيحهم بذلك . وسند كرفي الجزء الآتي شيئاً مما خالف فيه القياس لتساهله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعلم مدرّس بجامع الزيتونة

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أحييك أيها المصلح المحلّص التصوُّح التميُّز منشئ مجلة المنار الفراء الأستاذ السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، نحية عرب عما في الضمير من الشرّ الى سدتك العليا ، وحضرتك الشّما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك حق قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين ومحمّلوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من هيج رعا مع كل ربيع يملون ، ضلّوا وأضلّوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن - والمنة لله - لم يشبّ ذلك عزائهم فأوهنوا لمسا أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض سبيلهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتثبّت بأهداب العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون ولو صحيحا ، بزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوز حده اتباع لغير سبيل المؤمنين ولولان من الله على الامة التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الأستاذ . . .

لم تبرح في أدوية الضلال تهيم حتى تخرجت من جامعا (الزيتونة) نشأة هذب الأستاذ إيمان الله أخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجرورة الارسان تركض في مبادي الحرية واني لتقصّر في أداء ما يجب من شكره على ما أسداه الى امتناعهما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن استقصائها ، وبكل البراع اذا كف باحصائها وحسي ما أثقل به عاتقي من منة التمرّيف بذلك الأستاذ الامام قدس الله روحه فلت والحمد لله من قوم زعموا ان ذلك الفاضل قد ضلّ ضلالا ميّنا . . بل أقول : والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ولكن من لم يكن بمنزلة من العقل ، لم

بذلك مذاقك من الفضل ، ولعمرك ان من مروح بصره فيما نشرته مجتلك القراء في ترجمة هذا الفقيد علم مصيبة رزته على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . لا يرح مناوك يبعث من أشته ما بهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطني منها ما يفيظه من مساعيك المشكورة ، وبأنى الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالمهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشي . جديد في العلم برجي خيره ونشكر لهذا التيه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب أنه قد عهد الينا بأن نكتب اسمه دون اسم استاذ المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندرى أنسي ام هو يعلم ان استاذ قوري الزيمة ، شديد الشكبة ، لا يروعه جهل الجاهلين ، ولا ييالي عدل الناذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطاً ونسأل الله التوفيق . والتصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

✽ حال المسلمين في حضرموت والاصلاح ✽

رسالة أرسلها لادبب صاحب الامضاء من حضرموت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرموت يدعوبها الى الخير (فرأين ان تنشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادنية وهي :
كتابي الى حضرة الماخذ الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماء اقدامه ، والروح الى وسيم طلعت شيمه ، والمبرة لما منيت به من البين مفرقة ، والقلب مطبوع على الودله وانمة ، وقد اكنظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ؛ ولم ازل اكنه وانا منه في عنا ، حتى احتج على بقول أبي الطيب * وألذشكرى عاشق ما علنا * ويقول الآخر * فصرح بمن هوى ودغي من الكى * فحينئذ فضضت ختمه ، ودفضت كنه ، وبشت هذه البطاقة منية لكم ما لدي من الشوق المبرح ، والين المطوح ، فاني اذا تصورت بحالكم

القائقة ، ونحلت مناداةكم الزائفة ، استخفي الطرب ، وهزتي اريحية الادب ،
ولولا ان جناحي كبير ، لأوشكت ان أطير ، لا قفي حق قرابته التي لا تنجد ،
ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد
ان يفترق نسب يولف بيننا أدب أقنائه مقام الوالد
وأيدده الآخر بقوله

وقرابة الادبا . يتصر دونها عند الكريم قرابة الارحام
ومما يزيدني كفا ، ويحشو حشاي شفا ، عدم أنيس أنسلي به ، وانزه بملحه
وأدبه ، لأجد الا من يسخن الدين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتمب الروح
مقامه ، وذلك السبع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف نطلي .
اذا جئت في استغماها بمن . وعلى كل حال فالحر حينا كان مصاب يبله ، كالصصف
في حانة خمار أو بيت بفيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكانتيكم أثنيتم فيه
على الایام ، وشكوتهم مقامكم هناك رعى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،
واذا تأملت البلاد رأيتها نشق كأنشقي الرجال وتسد
وقد وقفت على رسالتك التي رقتها ، وبوشي البديع بمنمتها ، فوجدتها بارعة
المبني ، رائحة المعنى ،

اذا سمع الناس ألفاظها خلقت لها في القلوب الحسد
غاية غيبة عن الاطراء والمدح ، ممرضة عما يرميها به الناقصون من القدح ،
ولا بد للحسنة من ذام ، وانما ينشأ ذم المسك من الزكلم
وكم من عائب قولوا صحيحا وأقسه من الفهم السقيم
ولقد ثلت الكناية ، ونفضت الجمبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ،
وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسنات لعينين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سوا علينا
أوعظت أم لم تكن من الوعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظلة قفورا ، ومتهم
أنفسهم غرورا ، فلودعوتهم ليلا ونهارا ، لم يذم دعارك الا فرارا ، نعم لو غيرك
قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتمارجوا لشفتة عمر فوها
عن أبي زيد ، لثمرت ظاهرها بطائل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الإحالة

على الاماني الحاذية ، والمحرقة بالقصص والباطل الكاذبة ، وقد استنسر بأرضنا
بشاههم ، وكثر لافرائهم تراهم ، قاله الناس من خدامهم ومكرم ، قدضات
الحزام عن الطيبين .

اما ما طلبته من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القتاد ،
كيف وقد أدرجوه في لفائف الاغراض ، وبرقموا بحياه بنقاب المداينة ، وجعلوه
ذريعة لاستجلاب الأبيض والاحمر ، هيات هيات لذلك أعز من مخ البعوض
فلا تبيح صوتك بشده الجداد ، ولا تضع ففحك في رمد ، قائما شت خلبا ،
ووأيت سرايا ، واستطرت جهاما ، فازجج البصر ، لا تفر نك الشيات والبصر ،
انما كل من ترى بصر ، ودونك فالتمس لنصحك أناسا غيرهم ، اما هم فما أمهروا
نحكك الا بالاعراض ، ولا قرضوها الا بلساني المفراض ، وبالجملة فالمرء يعرف بينهم
زمن ، وجدير بان يشمله بيت اخي خراعة ، وقن وقد اخولق ان يدفن في
الرمس ، وينهار في الطمس ، ويصير كأن لم يكن بالأمس ، غير اني لا اقنط من
رحمة الله ولا أياس ، وأترجى من الدهر ان ينسم ويتنفس ،

فلا نجم من بعد الرجوع استقامة ولابد من بعد المنيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رساله في تزييف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء
واظهار السرور فيه ، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها الا سفيه ، وهي
واصلكم في طي هذا . فانظروها بعين الرضا الكلية ، وما وجدتم من خطأ
فاجعلوا الصواب بديله ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشهم النبيل ، محمد بن عقيل ،
وان رأيتم حذف شيء منها أو زيادة فلکم الرأي الأعلى والمأمول منكم طبعها
ليحصل الانجاز بها أو إرسالها للاستاذ الحكيم منشيء مجلة النوار لتشرها في مجله
وقد ارتضاها من رآها وما لعماند حجة الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا
على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاهلا بانه يفضي الى الهلاك ساحلا ،
ودنم والسلام م

عبد الرحمن بن عبيد الله

بن محسن السقاف

﴿رسائل سنغافورة﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافورة تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا نألم له النفس ويضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوثام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿رسالة أحد أعضاء الجمعية الخيرية﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اهلنا فاما لمن تديره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد بنوق . « سهام اللوم على مسلمي سنغافورة وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقهم ويرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافورة عموما وعربها خصوصا استشهدوا واشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسير على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقاتلين» ثم أهد كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) «توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه ويجب اقيامه في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عزمته على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاء الله خيرا) - وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافورة من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية - وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في اتلافهم - وانها انشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات - وانها تدير الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح وفتتح مدرسة كبيرة

هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العباس لاطل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخلطة الجمعية - فهذا ملخص الرسالة
 نشكر الجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير مما عملت
 وتقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو
 اصلاح ذات البين ولكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن
 اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن
 المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالنيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع
 السيد العباس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أمجوز ان يهجرهما سائر أعضاء
 الجمعية لانتادها على مسلي سناغوره تقصيرهم فيما يرقهم وعلى الجمعية نفسها
 تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأمرء المسلمين وأمثالهم
 ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف
 (جزاه الله خيرا) ترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم
 والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول ؟ أين وسائل
 هذه العلوم من فنون العربية ؟ أين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي يثير
 العقل ؟ أين العلوم العصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل
 أعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم ويعودون الى الاعتصام والتعاون على
 المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشرقة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فأريناها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الساس فيها فريقان كل يؤيد رأيه ويفند رأي الآخر عن اعتناء أو تحيز فن نشرنا هذه الرسائل كلها ولا قائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء الماز . فان قال قائل إنك أفتيت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها وبين ما يظهر بعد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السوال على لا حسب الواقع الذي لم نعلم

عليه . ونكتفي بأن نقول لقراء المنار هناك اننا لانرجح قول أحد في هذه المسألة
فليكن مانشر في السؤال وغيره كأن لم ينشر

رسالة ذي اذن واعية

ملخص هذه الرسالة ان شيخنا معما بمقت المنار لان تعليمه يقلل من كسبه
واكله بدنه جمع زعقة لمقاومة محبيه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم عقد اجتماعا
دعا اليه بعض هؤلاء المحبين للمنار وبعد ان اسعهم من الطعن ما ظن انه أظفرو
بهم قام عالم منهم فحمد الله واثني عليه ثم قال : ان كنتم تحبون شأن المؤمنين
فقد قال رب العالمين (انما كنتم قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك
لا يؤمنون) الآية فلهذا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فالهاكم
الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب : فبهتوا وعلما انهم عاجزون
عن حرب الحق من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها
بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن هؤلاء المتضرعين وذمهم ونحن
ندعوا الله تعالى ان يلهنا وياهم الادب والصواب ، وبمحسن لنا ولهم المرجع والمآب ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المكتوب السادس - الترية الدينية والفلسفية - (٥)

﴿ من أراسم الى أميل ﴾

قد حرزت يا ولدهم مقاصدي في تربيتك الدينية فاني أردت ان أخلي بينك
وبين عقائدك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة تامة لما يجري عليه الامور عادة
ذلك ان الطفل لا يكاد يولد حتى ينسب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة
الدنيا فيتكفل والداه بتقليده ديناً محتجين فيه بدم أهليته (وهو أمر بين البدهة)
لأن بحكم نفسه ويسبق عرف بلاده وعوائد قومه وتقاليده بيته الى تحديد الدين

(٥) تابع ترجمة كتاب أميل اقمرنا التاسع عشر (رابع « أميل » في فهرس م ٨)

الذي يجب اتسابه اليه وهو الاستيلاء على نفسه وقد يقول قائل ان الوالدين اذا فضلا ذلك لانهما يعتبران أنفسهما نائنين عن الامة في القيام عن المولود قبل أن يعرف نفسه بنفسه فأجيبه : اسلم لك ذلك ولكني اقول ان كان من حق الامة ان تؤدى الى المولود ديناً كان حقاً عليها أيضاً ان تختار له حرفة او عملاً من أعمال الحكومة واذاً نصير في حكومة دينية اشتراكية

لا ينبغي ان يجعل ولادة المولود سبباً لسلب حرمة فان اقسام الوالدين في ضروب الوجدان واختلافها في الافكار حتى في أيامنا هذه يجعل ولايتها عليه مشكلة مربكة ذلك انه لا حرب الا حرب البيوت فان شأن الوالدين في الدين غالباً ان يكون الاب كافراً والام مؤمنة فكيف يكون الولد اذا تنازعه هذان المؤمنان ؟ اقول انه يكون كأهل زمانه حيران عاجزاً فانما كثيراً ما نلاقي في الناس شيئاً فامشغلون بترقيم سرائرهم يفرق من مذاهب المتدينين ، يخطبونها مع آراء الاحرار من المفكرين ، ونصادف آخرين شاكين حائزين ، مع بقاء استمساكهم بأوهام الواهين ، وقد فشا في الناس التباين والتناقض وعميتهم التشوش والاختلاط وأما أنت فانك والمحمد لله لم تبذل بشيء من هذه المحن لأنني وأنت لم نعتقد ان من حقنا ان نفترق فرصة نوم غفلك فندعوك الى اتباع ما نحن عليه بدون ان يكون فيه رضاك . واعلم ان لي ككل انسان غيري رأياً في المذاهب الدينية والحكمية التي يختلف الناس فيها وهو لا يلزمك شيئاً ولا ينبغي ان تجعل . « أكرم اباك وامك » ولكن لا تطع الا قبلك فأنت حر ومن حقك ان تسعى وراء معرفة الحق مستعيناً في ذلك بالهمة والبسالة والنزاهة وقد كان هذا السعي الى اليوم خارجاً عن وسعك وبيدا عن مقدورك فيجب الآن أن يكون هو عملك في جميع حياتك

ومن المفروض عليك قبل أن تفتتح بشيء في مثل هذه المسائل الخطيرة ان تبحث فيها وتدرسها فان مثل من يرفض المذاهب الدينية أو الحكيمية على غير علم بها كمثل من يتبناها بدون بحث فيها ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه ، غير مسدد في رأيه ، ولا شيء في الحقيقة أدعى الى الضحك من

وقاحة احداث اذكارة الدين يجاهرون بأن المباحث النظرية التي ارتاض بها امثال ديكارت (١) واسبينوزا (٢) وباسكال (٣) ولايتنز (٤) وهيجل (٥) ليست خليقة بانفائهم وميلهم للاجالة الاغبياء منهم كمن يطعنون بها في هذه الايام وهي قول اقدم وهو لم يفتح في حينه صحيفه من كتاب الكون : « مالي ولاضاعة وقبي في حل ما لا يبر غوده من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسم أو تفايرها فحسي الاشتغال بالعلم »

اقالا شك في أن العلم الآن مشتغل باستشاف عمل الديانات سالكا فيه طرقا اخرى مغيرة لطرقها كل المغايرة فانه يرجو من البحث في الحوادث بحثا تجريبييا ومراقبتها مراقبة قريبة أن يصل الى حق اليقين الذي كان أهل الدين يرجون بلوغه من طريق الداية الإلهية واني لجازم بأنه قد سلك أقوم المناهج بلوغ الحق وان كان من المتسر معرفة النتائج التي يؤدي اليها بحثه واذا فقها حالة المعارف على ما هي عليه الآن وجدنا شأنه المطرد أنه لم يندنا في بعض ما قد بهمنا استقصاؤه من المسائل الاشياء من المرة قليلا جدا فانا اذا استثنينا علم تركيب الحيوان لأنه قد امكنه ان يؤدي اليها من معنى الانسان على ما فيه من الماداهب المتعارضة والآراء المتناقضة وعلم طبقات الارض لأنه قد فتح لعقلنا منافذ نلح منها على بعد منتأ الحياة رأينا أن العلوم الصحيحة لم تكشف لنا الساتر حتى

(١) . يكارث هو عالم رياضي - فزياسي طبيعي واخص ما يعرف به انه فيلسوف فرنسي شهير يدعونه أبا الحكمة الحديثة لكلامه عن طريقة تبحث عن الحق ولد سنة ١٥٩٦ ومات سنة ١٦٥٠

(٢) اسبينوزا فيلسوف ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ ومات سنة ١٦٧٧
(٣) باسكال هو مهندس كبير وكاتب شهير ولد في كابر مونت فرانس سنة ١٦٢٣ ومات سنة ١٦٦٢ اثبت ثقل الهواء في سنة ١٦٤٨ وفي سنة ١٦٥٤ اعتزل في بورديو بالدي شان حيث كتب اقليدياته وفكاهه

(٤) لايتنز هو عالم شهير ولد في لاينبرج وهو مخترع حساب الفروق الدقيقة

(٥) هيجل فيلسوف ألماني وللسنة ١٧٧٠ ومات سنة ١٨٥١

الساعة عن علة ما من العلة الاولى التي هي اهييج اشوق العقل من سواها ولكن قد يجيني مجيب بأن هذه المال لا ينبغي الاشتغال بها قطعاً لأنها ليست من متناول العقل فأقول له ماهي غاية علمك في هذا أقطن ان ما حصل من تجارب الانسان في بضعة آلاف من السنين يسوغ تحديد قواه وملكوته المتزايدة أم تريد انه يكفيه على كل حال أن يسدل الحجاب على ما يحمله بينيم طمع عقله ويخمد شوق ادراكه؟ اما لا أعتقد من هذا شيئ بل أقول ان الانسان لا يسهل عليه الاستخذاء للجهل والاستكثار له أما لشرف في طبعه أو لحسة فيه

ولو انه كان يكفي للتخلص من المآثر اخيرة أن وصف بانها مضلة لاحتلها لكان التعضي منها في غاية السهولة . كل حي يطلب النمو لجسمه ما عدا الانسان فإنه هو الذي يختص من بين سائر الكائنات المضوية بطب الارتقاء بفكره الى ما وراء حاجاته المادية فطائفة الارتقاء العسكري موحود فيه سواء سمي خيالا أو غريزة دينية واست أدري مطلقاً ما عسى ان يعود على العالمين على إزاله من العائدة بشكف احتقاره والزياء عليه ومن ذا الذي في وسعه منهم أن يتترسخ من النفوس الشعرية فان تطلعه الانسان الى ما وراء حدود عقله من مقتضيات خالقه وليس من حقنا ان نعتبر بعض الامور التي يطلبها الفكر خادعة أو وهمية لمجرد انها تخير عقولنا أو تنوع ادراكنا فأما ان كان قصدهم تجير يد ما يتصوره العدل من منتهى غايات الكمال مما يقارن تصوره من مروات الوساوس والاهام والاعمال المنبئة عن النفاق والرياء فيها ونعمت وأما مدركات العقل التي شغلت من التاريخ مكانا كبيرا فلا ينبغي التعرض لها بل لابد ان يكون لها أيضا محل في تربية الناشئين ومن هذا نرى انه لا يزال من حق الحكمة ان توجد مع العلم وأنه يعمد عليهما كل البعد التنافر والتنافي لأن من شأنهما التضافر والتوافي

ان كثيرا ممن يميلون الى محو دراسة المذهب الدينية والحكمية متناذون في هذا الى حاجة طبيعية للانتقام وهم لا يشعرون فانهم قد رأوا الحكماء ورؤساء الاديان اقرروا في ايامهم بانهم من تعاطيهم لفظهم وتاجرهم بالسرائر وقارفتهم لفظهم مبلغاً نجاً بالعقل في اشتمالهم من سيرهم الى الجحود المطلق فالقيسون

م دعة الاتحاد لاثلا ديون .

ومن القو تجسيم امر الاتحاد فانه ذنب ضعيف في ذاته يتزلزل مدعورا امام وجدان الانسان وانما الاكثام الميعة والجرأتم القوية الحقيقة بأن تدافع فور الهداية والعرفان هي التي يجرأ أصحابها عند اقترافها على التستر برداء المدين نعم تلك الاكثام هي التي تمتاز بذلك الامتياز المائل وهو قلب شؤن الدنيا وتشويش أحوالها فمن ذا الذي لا يبحر حين ارتكابها من الابهة الباطلة التي تسري من عتاند مرتكبها الى بعض ما يمتصه بونه من ضرور البطالة والقوة تسمع بعض المتعكرين اذا راعهم تدب الشر على الخير يصيحون قائلين لأن لا يكون لنا اله خير من وجود اله ظالم (١).

ويجب آخرون على المذاهب الدينية والحكمية أنها لم تبين للناس باماً مقعاً شيئاً من المسائل المتعلقة بنظام العالم وتنازع الخير والشر والاضطراب ولاختيار وأنا أعلم لهم ذلك غير اني أقول ان كلا منها قد سما بفكر الانسان الى العلى وغير أحوال الامم وهدى الناس الى طرائف الفنون وأحياناً الى الطرف والملاح مألوه لظل محجوباً في مجاهل العدم ولم نرى ممن يودون محو الدين المسيحي من تعليم الاشئين من لم يحسن التفكير فما كان لهذا الدين من التأثير في آداب لغتنا وأخلاقنا وعوائدنا فهم يقولون أنه رؤيا خيثة رآها النوع الانساني في منامه وأنه ينشأ في طور التدلي والمهمجية حبس روح الشعوب في ظلمات الجهل وكل ذلك محل للنظر والبحث ولكن هيأت أن يقتنوا واحداً من الناس بأن التيار الفكري الذي جاء به ذلك الدين فغير كل ما في الدنيا لم يكن ثم موجب لوجوده .

انا أدعوك الى دراسة هذا الدين الذي أنشأ مدينتنا الحاضرة لإنشاء حسناً أوسياً خلافاً لاثنا تالين باطلها وأحلك على ان تأخذ فيه بالجد وترجع فيها الى أصوله لأن

(١) اجدر بمثل هؤلاء النظار ان يسووا جميعاً فانهم هموا عن سنن الله تعالى في الكون وجعلوا ان الشر الذي يضجون منه انما نتج من مخالفة الناس لتلك السنن فهم الذين جلبوه على أنفسهم « وما ربك بظلام للعبيد » وما ظلامهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » تعالى الله عن الظلم علواً كبيراً هـ من هـ امش اترجمة

٩٥ تعليم المسيح وكونه النصراني على قضيته الاستقلال وترك التقليد (المنار ٩٠٦)

ما يخص إليك من مطالعة الانجيل لاشبه بينه وبين ما يؤخذ عن رجال الدين بحال من الاحوال فانت ترى في الانجيل مثلا ان المسيح كان يأتي دائما امثال أي عمل من الاعمال الظاهرة وكان يستهدف لزيارة اليهود عليه ولوهم له بمخالفته لهم كل وقت في السبت والصوم وغسل اليدين قبل تناول الطعام وغير ذلك من الاعمال المشروعة واذا كان القلب يتزلسع بعض المواضع الانجيلية فليس ذلك يدع فان المسيح انما جاء ليعلن للناس شرف صفاتهم وسمو المستضعفين منهم ووجوب تكريم الطفل والمنوع على المرأة الخاطئة وانك لا تعبد في غير كتابه أكثر مما تعبد فيه من الميل العاطف الى كل مكروب والرحمة لكل مهان ومحقر ولا أكثر من ضرر الحمران للتكبرين المستأثرين الذين يبتغون المال على غيرهم من الخلقين وقد كان له لطف لفقراء ولكونه نفسه فقيرا يتبع الاغنياء على الدوام دون غيرهم بنذره وأمثلة الرائعة ولا شك ان تمكن الصراية مع مثل هذا الادب الذي جاء به المسيح من قوة امتياز الدرجات في الامم الحالية وبأيدي مزايا الانساب وفرط التقدير في انتمى لم يحصل الا يلوغ رجالها في المكر حد الاعجاز فلك الامم التي تسمي نفسها مسيحية وتعتقد انها على دين المسيح لم يدخل الايمان في قلوبها قط

اعلم ان معرفة الشيء في وقت مامن أوقات وجوده لاتعد معرفة وانما يعرف اذا عرف أصله وتاريخه ومصيره وقد نتج من اتباع البحث في الحوادث الكونية على هذا الترتيب علوم كلها جديدة كعلم تكون الارض وعلم الاجنة فطرق البحث هذه هي التي ينبغي عليك تطبيقها على دراسة المذاهب الدينية والحكومية وليس علي ان أتمرض بالتصويب أو التخبط للنتائج التي يؤدك اليها بمحك اذا حسنت فيه فينتك وصحت عزيمتك وغاية ما أبتنيه منك ان لا تقبل من الاصول على أنه صحيح الا ما تكون قد عرفت الحق فيه بنفسك

أقول ذلك وأنا أعلم اني أطلب اليك أمرا عظيما ولكن ماحبلي ولا وسيلة غيره لتتویر عقلك وهدايتك نعم ان في الدنيا كثيرا من العلماء اتقوا المشهود لهم قد عهد اليهم تحديد العقائد الصحيحة في الدين والحكمة والسياسة والاخلاق

فهم يعرفون كل شيء ، ويعلمون الناس كل شيء ، وهذا هو السبب في ان نصف المتعلمين من الناشئين يتحدون على ان يفكروا بمخاض بعض افراد من الناس - ان صح لي التعبير على هذا النحو - على انثة امرأ ان تتعلمه قطعاً في مدرستهم ألا وهو علم الحرية فذا كنت تطلب الحرية فمليك ان تطلب الحق في نفسك مستعيناً في طلبه بجميع مالدك من عدد الاستدلال والنظر وانك سيحصل لك غير مرة مع احتراسك وتيقفك ان تعتقد ان آراء غيرك هي آراؤك وتخطئ في كثير من المسائل قبل ان تدف أغاليطك ولكن لا تنس ان قوت العقل كقوت الجسم لا يكسب الا بمرق الجين وان من أخلص سيفه البحث عن الهدى فقد أظهر بهذا البحث نفسه انه جدير بالاهتداء

وسيفي ختام مكتوبي أقول لك من صميم قلبي اني وليك الحميم

(المنار) لقد نطق هذا الفيلسوف بالحكمة اذ أبان ان من غريزة الانسان ان يبحث عما وراء حاجته المادية وان هذا الارتقاء الفكري مما يمتاز به وهو مبدأ الدين في نفسه وانه مادفع الناس الى الجحود الاسوء حال رجال الدين في انجارهم بالدين وان وجدان الدين يزول الالحاد لانه ذنب ضعيف في نفسه وانما الذنوب القوية التي يبرز زلاها هي التي تقرف على انها من الدين وهي ذاهبة بنور هدايته ومنفرة عنه حتى يقول العاقل ان عدم الدين خير من هذا الدين . نعم انه أخطأ في موافقة القائلين : لم تبين شيئاً من نظام العالم وننازع الخير والشر والاختيار والاضطراب ، وعنده انه لم يطاع على نهاية ارتقاء الدين لجعله بالاسلام . على انه أحسن في الرد على القائلين بترك دراسة الدين وفي استخراج محاسن الاناجيل وتصريحه بأن النصارى غير مسيحيين . ومن أراد تفصيل هذه المسائل فليرجع الى مقالة (العقل والقلب والدين) من المنار . وأحسن في دعوة إميل الى الاستقلال وترك التقليد وتقدير الحرية العقلية قدرها

أَنَّكَ كَلِمَةُ الْحَقِّ

لامية أبي طالب في الشعب

لما أنظر النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الاسلام عظم ذلك على قريش فتصدت له ومن آمن به بالأيذاء بل اتهموا به وأزعموا على قتله فدفعه قومه بقرهاتهم وبنو المطلب فباذلتهم قريش وأخرجوهم من مكة إلى ثعب (وهو بالكسر الوادي) شعب أبي يوسف فأمر النبي من كان بمكة من المؤمنين أن يهاجروا إلى الحبشة وكان يثني على النجاشي بأنه لا يظلم عنده أحد ودخل هو وقومه الشعب فقطعت قريش عنهم الاسواق ومنعتهم الرزق وأجمعت على أن لا تناكحهم ولا تقبل منهم صلحاً ولا أخذها بهم رافعة حتى يسأوه للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعقوها في الكعبة وتنادوا على ذلك ثلاث سنين فاشتد البلاء على بني هاشم في الشعب وأنذر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب أن الأرض لحست صحيفة قريش إلا ما كان اسم الله قال أربك أخـ برك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني قط إن هذه الصحيفة التي في أيديكم قد سلط الله عليها دابة فلعست ما فيها فإن كان كما يقول فأفبقوا فوالله لا نسله حتى تموت وإن كان يقول باطلاً رفمنا إليكم قتالوا رضيتما ففتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر فإن زادهم إلا بغياً وقالوا هذا سحر ابن أخيك . فقال يا معشر قريش علام نجس ونحصر وقد بان الأمر وتبين أنكم أهل الظلم والطغيان

ثم دخل وأصحابه بين استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا ثم انصرف إلى الشعب وقال هذه القصيدة . قال البغدادي في الخزانة قال ابن كثير هي قصيدة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهي أنحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى : اه ونحن نذكر منها ما ذكر في الخزانة وقيل هي أكثر من ذلك وهو

- خالي لي ما نذني لأول نازل بصغواء في حق ولا عند باطل (١)
 خليلي إن الرأي ليس بشركة ولا تنهه عند الأمور البلال (٢)
 ولما رأيت القوم لا ودعهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل (٣)

(١) الصغواء كالخمراء وصف من الصغو وهو الميل ينال صفوت إليه واصفيت يقول إن أذنه ليست بذات صفو إلى حديث أول نازل أي لا تسمع قوله سماع قبول . وأذا كان لرحمته ورويته لا يقبل قول اللائم الأول — وهو الذي من شأنه أن يسترعي السمع ويستخف النفس للمفاجأة بما يأتي من القول — فهو أجدر بأن لا يصفو لما نال الثاني ومن بعده

(٢) آلهه كـبـغـفر الثوب الرقيق يشف عا وراءه فاستناره للرأي المنير الذي يظهر ما وراء الأمور من العواقب . والبلال كالزلازل الهوم والوساوس جمع بليلة أو بلال كزلزلة وزلال . ولله يعني بالرأي رأي قریش الذي يشرحه في الآيات التالية يقول أنه ليس بالرأي الحيد الذي أثمره اشتراك العقلاء فيعولا بالتبشير الذي يكشف خبايا الأمور للمهمة وعواقبها . أو يريد أن الرأي الصواب في نفسه لا يكون عند الشدائد مشتركاً مقبهاً ولا رقيقاً يدرك الحصم مفبته ويجوز أن يريد بآلهه الضعيف . والمراذلان الرأي عندئذ يجب أن يستقل به الماقل ويكتمه أو ينهض به

(٣) العرى بالضم جمع عروة وهي كل ما يمسك به والوسائل جمع وسيلة وهي كل ما يتقرب به يريد أنهم قطعوا الروابط التي كانت تربطهم في الماضي والوسائل التي يمكن أن تقرب بعضهم من بعض ليرتبطوا بها في المستقبل

- وقد صار حونا بالعداوة والأذى وقد طأ وعاو أمر العدو المزابل (٤)
 وقد حالتوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا حلفنا بالأمان (٥)
 صبرت لهم نفسي بسراء سمحة وأيض عضب من تراث المنازل (٦)
 وأحضرت عند البيت رهطي وأخوتي وأمكت من أثوابه بالوصائل (٧)
 قياما معا مستقبلي رتاجه لدى حيث يتضي خلفه كل نافل (٨)
 أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ماح ياطل (٩)
 ومن كاشح يسمى لنا بحية ومن ماحق في الدين مالم نحاول (١٠)
 وثور ومن أرسى ثيرا مكانه وراق لبره في حراء ونازل (١١)

(٤) صار حونا بالعداوة جاهدونا بها حتى صارت صريحة خلسة من شوائب التأويل . والمزابل المفارق المبين والعدو المزابل تصب مصاحته وموادته ولواء الاعداء قد يذهب بالعداء

(٥) التحالف التعاهد والتناهد بين فريقين على النصرة والحماية . وأظنة جمع ضاعي لظنين وهو المتهم من الظنة وهي بالكسر التهمة

(٦) صبر قسمه حبسها والسراء السمحة النماء المنددة تسمح طامها بالهز والطنن والايض العضب السيف العاطم والتراث الارث والمنازل جمع مقول كبير وهو الرئيس دون الملك ومثله القيل وقيل يطلق على الملك وهو حينئذ مستعارا إذا يكن من آبائهم ملك (٧) رهط الرجل قومه والوصائل ثياب مخططة بيانية كانت الكعبة تنكس بها

(٨) الرتاج الباب العظيم ويطلق أيضاً على الباب الصغير فيه . والنافل مؤدي النافقة وهي التطوع بالبادق يعني بحيث يقضي الخ مقام ابراهيم

(٩) الماح بالشيء المواظب عليه وأصل معنى المادنا الصوق

(١٠) الكاشح العدو الباطن الداوة كأنه يدوي كشحه عليها في ثلبه وقالوا حاول الأمر أراحه وهو تفسير بالانتم وقال في الأساس طلبه بحية وهو الصواب

(١١) ثور وثير وحراء حبال بكمة والراقي في حراء لاجل البر والنازل هو من يصعد فيه لتعبد زمنا ثم ينزل . وثور معطوف على رب الناس مقسم به

- وباليت حق البيت من بطن مكة وبالله ان الله ليس بنافل (١٢)
 وبالحجر الاسود اذ يحسونه اذا كنفوه بالبحر والاصائل (١٣)
 وموطى ابراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير نائل (١٤)
 واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيها من صورة وتمائل (١٥)
 ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (١٦)
 فهل بعد هذا من معاذ لعائد وهل من معيد يتي الله عائد (١٧)
 يطاع بنا العدى وودوا لو انا تسد بنا ابواب ترك وكابل (١٨)

(١٢) البيت الكعبة وقد يطلق ويراد به بلده كما في قوله تعالى (هديا بالغ الكعبة) فقله حق البيت يزول هذا التجوز ويعين ان مراده الكعبة نفسها وقوى ذلك بقوله من بطن مكة

(١٣) ا كنفوه اخطرا به والاصائل جمع اصيل لثة في الاصيل وهو ما بعد الصرا الى القروب وجمع اصيل آجال وفي قوله الاسود حذف يبيب مثله المولدون

(١٤) موطى ابراهيم في الصخر: مكان معروف فيه أثر قدم تناقلت العربان ابراهيم ووطى هناك حذبا نأثرت قدمه فيه واتنازل لابس اتعسل ورطبة حل من الصخر ولا يريدانها كانت رطبة يدانها بل كرامة له

(١٥) اشواط بين المروتين هي مرات السبي بينهما واحدها شوط وهو الجري الى الناية ويطلق لفظة على الناية والمراد بالمروتين الصفا والمروة على التثنية وهما علان بمكة يسمى بينهما تسكاً وقوله الى الصفا منتهية هذه الاشواط الى الصفا اذ به يحتم السبي وتمائل اصله تمايل جمع تمايل شذف اليه ليستقيم الوزن ليس فيه قول غريب

(١٦) الاشارة راجعة الى ملاطذه وهو رب الناس وتلك الامكن المقدسة والاعمال الشريفة والاملون اناسكون وهم الحاج فهو يقول ليس يده هذا لاشياء ما يوذون يا اية البائس نهل يوجد معيد نادل ويجير منصف يعيذي تعظيما عذته به (١٨) العدى بالكسر والضم اسم جمع يمدون وفي رواية الاعداء وهو بالمد جمع عدو وتصر بوزن وفي اناج بالمد وحذف حرف العطف من ودوا والتروك وكابل

كذبتهم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلايل (١٩)
 كذبتهم وبيت الله نُبزى محمدا ولما نطاعن دونه وتناضل (٢٠)
 ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل (٢١)
 وينهض قوم في الحديد اليكم نهوض الروابيات تحت ذات الصلاصل (٢٢)
 وحتى ترى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الأُنكب المتحامل (٢٣)

(بضم الباء) صفان من العجم . كنا في الخزانة وفي القاموس «وكابل كامل من ثور صخارستان» أقول كابل عاصمة أفغانستان وهي ليست ثغراً . والمراد بـ «أبواب ترك وكابلهم» أن لا يقبلهم العجم أن تصدوا إليهم فضلاً عن العرب وأن ينقوا إليها فلا يودوا (١٩) قوله ترك مكة ونظعن جواب القسم بتقدير (لا) التافية أي لا تركها ولا نظعن لكن أمركم في بلايل ووساوس وروي ثلاث وهو جمع ثلثة بمعنى الاضطراب (٢٠) يقال أبزى فلان فلان إذا غلبه وقهره فقوله : نبزى محمداً : بني القمل فيه للمفعول ونزعت الباء من لفظ محمد والأصل نبزى بمحمد وهو جواب القسم بتقدير النبي كذاذي قبله قاله في الخزانة . وذكر البيضاوي في تفسير «تقوُّ تذكر بوسف» أن القسم إذا لم يكن معه علامة للآيات كان على النبي . واستشهد قبل ذلك على تقدير النبي في الآية بقوله

قللت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي اليك وأوصالي

ومعنى بيت أبي طالب والله لا قلب وقهر بمحمد والحال أننا لما نطاعن أمامه بالرمح وتناضل خصومه بالسهم

(٢١) نسلمه معطوف على نبزى أي ولا نسلمه حتى نصرع حوله أي حتى نطرح حوله مقتولين والتصرع الصرع الشديد يقال صرعه إذا ألقاه على الأرض والذهول التسيان العارض والحلائل جمع حليّة وهن الأزواج

(٢٢) الروايا جمع راوية وهو ما يستقى عليه عن بئر وغيره وذات الصلاصل القرب فيها بقايا الماء واحدها صلاصة بضم الصادين وهي بقية الماء في الأداود والثريّة . يعني وحتى ينهض قوم اليكم مثقلين بالحديد تسمع له قعقة كصلاصة الماء في المزادات والقرب . (٢٣) الضغن بالكسر الحقد . والردع بالفتح اللطمخ والأثر من الدم وركب رده

وإنا لعمر الله ان جدد ما أرى لتلبس أسيافاً بالأمان (٢٤)

بكفي فتى مثل الشهاب سيمدح اخي ثقة حامي الحقيقة (٢٥)
وما ترك قوم لا أبالك سيداً يحوط الله ما غير ذرب موكل (٢٦)
وأبيض يستقى الثمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٢٧)

خرّ لوجهه على دمه والآنكب المائل الى جهة والمتحامل اسم فاعل من تحامل عليه
اذا قل عليه وجار. يعني وحتى يخرّ الخفود على محمد مطعوناً يركب ردعه يفعل فعل
الآنكب أي ذي النكب وهو بالفتح داء يأخذ الابل في منابها فتقطع وتمشي منحرفة
(٢٤) جدّ الأمر اشتد وعظم. والتبس الشيء بالشيء اختلط به في ملاسته إياه
والأمانل الاشراف يقسم أنه إن اشتد أمر قريش الذي رآه منها ولم ترجع عن غيها
فإن أسيافهم ستخالط رقاب أشرافها

(٢٥) الشهاب شملة النار والسيدع بفتح السين واللام المهملتين السيد الموطأ
الأنكاف أي المهد الجواب التي تأتي اليها العفاة والقصاد. والحقيقة ما يحق للرجل
ان يحميه والبأسل الشجاع الشديد. يعني بصاحب الصفات النبي صلى الله عليه وسلم
(٢٦) يحوط برعى ويحمي النمار ما يذمر له اذا نيل ويقولون حامي الذمار وحامي
الحقيقة لمن يمنع حرمه وقومه وكل ما يجب عليه ان يحميه. والذرب بفتح فسكون
الفاحش البذيء اللسان وسكن الراء هنا للضرورة والمواكل من يكل أمره الى غيره
على سبيل المشاركة في الوكل. والوكل بالتحريك من يكل أمره الى غيره مجزأً أي
كيف يترك قوم كرام يعرفون قيم الرجال مثل هذا الفتى الكامل ولا يتفانون في نصره

(٢٧) وأبيض معطوف على سيداً في البيت قبله وفسروه هنا بالكرم في الخزانة
قال السمين في عمدة الحفاظ عبر عن الكرم بالبياض فيقال له عندني يد بيضاء أي
معروف وأورد هذا البيت: والتمام السحاب والبال بالكسر الفيات والمعلج أي فيث قومه
ويطعمهم عند الحاجة والعصمة ما يستصم به ويستمسك. والارامل جمع أرملة وهي من
مات زوجها وهي قبرة وتطلق على كل محتاجة لا تجد عاتلاً. وقال ابن السكيت الارامل
المساكين رجالاً ونساء وقيل لإطلاق الأرملة على الرجل غير قياسي. وأصله من

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل (٢٨)

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل (٢٩)
 بميزان قسط لا يخسر شمرة له شاهد من نفسه غير عائل (٣٠)
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب والأوائل (٣١)
 وكل صديق وابن أخت نعمة لعمرى وجدنا غبه غير طائل (٣٢)

أرمل القوم إذا قد زادهم وانتقروا وهو مشتق من ارمَلَ كأنه لم يعد له ملجأ
 سواء كما يقال رب فلان وأرب انا انتقروا كما يقال قمر مدقم من الدقواء وهي الأرض
 لأنبات فيها والتراب. حمل قوله يستحق النعام بوجهه على الحقيقة وقالوا إنما تابست
 على قريش السنون استسقى عبد المطلب النبي صلى الله عليه وسلم وكان غلاماً فسقوا رواه
 الطبراني وابن سعد. ولولا الرواية لكان المتبادران الكلام كناية عن كونه صلى الله عليه وسلم
 مصدراً للخبر والبركة وهذا المعنى شائع في الناس وكثيراً ما سمعت العامة يقولون في ذي الوجه
 الحسن لاسيما إذا كان مهذباً أن رؤيته تكفي الرزق وفي ذي الوجه القبيح ان رؤيته قطع
 الرزق وربما قالوا ونجبه فيها

(٢٨) الهلاك بالتشديد جمع هالك وهو الممور والصلوك التي الحال يطلب فضل ذوي
 المال. والفواضل التم العظيمة تغدق على الناس واحداها فاضلة

(٢٩) عبد شمس شقيق هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم ويقال لهم ما ولدنا وأمين وكان
 ولدا معاداة بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ونوفل هو ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن
 قصي قال في الحزاة وكان من شياطين قريش قتله علي بن أبي طالب يوم بدر
 (٣٠) القسط العدل ونحس بنقص والنائل المائل أي جزى الله آل عبد شمس ونوفلا
 الذين يبادوننا ويؤذوننا بميزان العدل الذي لا ينقص حبة شعير وصف هذا الميزان بأنه
 يشهد لنفسه بالقسط أي إن القسط نفسه يشهد له وإن هذا الشاهد لا يبيل ولا يجور. وما طلب
 أبو طالب جزاء القسط لعدائهم إلا وهو يعلم أنهم ظالمون

(٣١) الصميم الحالك من كل شيء والذؤابة الأشراف مستعارة من ذؤابة الشر وهي
 الحصلة من شعر الرأس

(٣٢) النيب بالكسر العاقبة أي خاب أملنا في هؤلاء فابس لنا فيهم غناه

- سوى ان رهطامن كلاب بن مرة براه الينامن معقة خاذل (٣٣)
 وزم ابن أخت القوم غير مكذب زهير حساما مفردا من حائل (٣٤)
 أشم من الشم البهليل ينسجي الى حسب في حومة المجد فاضل (٣٥)

- لمعري لقد كلات وجدا بأحمد وأخوته دأب المحب المواصل (٣٦)
 فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣٧)
 فمن مثله في الناس أي مؤمل اذا قامه الحكام عند التفاضل (٣٨)

(٣٣) المقة الغوق وبراء بالكسر جمع بري ككريم وكرام وبالفتح مصدر يستوي فيه الذليل والكثير تقول انني براء من كذا وهم براء منه وبالضم مخفف من براء ككرماء ووزنه فماء

(٣٤) زهير هو ابن أبي أمية بن الميرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب أخت أبي طالب. والحسام السيف الطاع والخمائل ما يحمل به السيف جمع حائلة وهي الملافة وقيل لاجمع له من لفظه والمفرد المجرد. وقوله غير مكذب حال بن أخت القوم أي لا يكذب في صدقه وولائه وحساماً منصوب على المدح

(٣٥) الأشم ذو الشم والسيد الكرم ذو الألفة. وكانوا تمدحون بشم الألف وهو ارتفاع في قصته مع استواء أعلاه. والبهليل جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع للخير والضحاك وقال ابن عباس هو الحي الكريم وحومته التي معظمه وجهه

(٣٦) كلفت بالتشديد والبناء للمفعول مبالغة كلفت بالشيء (كفرحت) إذا أحبت وأولت به. وقوله وجد آمناء كلف وجد وفسروا الوجد بالخزن وهو أعم لانه يشمل كل ما تجده في قلبك من التأثير الباطن ويضر في كل مام بما يناسبه. ويعني بأخوة أحمد أولاده الذين ضمه اليهم بكفاله إياه وهم جعفر وعقيل وعلي عليهم الرضوان والسلام وقالوا ان الم أب فأولاده أخوة. وقوله دأب المحب المواصل يعني به انه دأب في ذلك أي جد فيه واستمر عليه كما فعل المحب المواصل لرسوخه في الحب وتمكنه في الوفاء

(٣٧) ذب المشاكل دفعها والمشكل ما يلبس وجه الصواب فيه أو طريق تلافيه

(٣٨) قوله أي مؤمل معناه هو مؤمل عظيم قاي هذه هي الدالة على الكمال

حليم رشيد عادل غير طائش	يوالي إلها ليس عنه ينافل (٣٩)
فأيده رب العباد بنصره	وأظهر ديننا حقه غير ناصل (٤٠)
فوالله لولا ان أجيء بسبة	تجرت على أشياخنا في القبائل (٤١)
لكنا اتبعناه على كل حالة	من الدهر جدا غير قول التهازل (٤٢)
لقد علموا أن أبنا لا مكذب	لدينا ولا يمتنى بقول الأباطل (٤٣)
فأصبح فينا أحمد في أرومة	يقصر عنها سورة المتطاوّل (٤٤)

والتفاضل التعالي في الفضل وبه يظهر الأفضل

(٣٩) الطيش التزق والحقة وهو ضد الخلم وموالاة الآلة انحاذه ولياً وناصراً
(٤٠) قوله حقه غير ناصل معناه غير خارج من مقره ولا زائل ولا متغير
يقال فصلت اللحية من الحضاب إذا زال وعادت بيضاء ويقال سهم ناصل إذا خرج
منه لصله أي حديدته

(٤١) السبة بالضم العار الذي يسب به صاحبه وتجر من الجريرة وهي الجريمة والخباية
(٤٢) التهازل بمعنى الهزل فان تفاعل قد يأتي بمعنى فعل كتوانت بمعنى ونبت لكنه
أبلغ من المجرد: كذا قال صاحب الخزانة وأقول ان التفاعل هنا على أصله قائم يريد أنه لا يخاطب
قريباً بالهزل ليقابله بمثله أي أنه ليس ممازحاً لهم ومتهازل معهم في قوله وإنما يقول ذلك على
سبيل الجد . وهذا البيت هو جواب القسم في الذي قبله

(٤٣) قوله يمتنى بالبناء للمفعول يقال عني به إذا اشتغل به مهتماً ومعنياً واستعمل قلباً بالبناء
للفاعل فقالوا عني كرضي والأباطل جمع الباطل وأصلها الأباطيل

(٤٤) نون أحمد لضرورة الشعر والأرومة بفتح فضم الأصل المتطاوّل في الأصل هو
الذي يتجدد ويطلق قامته لينظر إلى شيء بعيد أو مرتفع واستعمل بمعنى الترفع والتكبر
وبمعنى الاعتداء لأن المترفع والمعتدي على غيره يحاول أن يزيد في طوله (بالفتح) كما يحاول
الذي يمد قامته وينصبها أن يزيد في طوله (بالضم) وسورة الشعي بالفتح الزيادة فيه بحسبه فقالوا
سورة الشعر بمعنى حسنها وسورة المجد بمعنى ارتقاعه وأثره وعلايته وسورة السلطان بمعنى
سطوته: والسورة بالضم المنزلة والرفعة والشرف والفضل وأصله ما طال وحسن من البناء
وكل هذا لما نبي للضبطين تظهر هنا فالتبني صلى الله عليه وسلم هو الذي قصّر عن رفعة أرومته

حدثت بنفسى دونه وحيمته ودافعت عنه بالذرى والكلال كل (٥١)

﴿تقاريط﴾

(هدية الابن) رسالة كتبها بشارة افندى الياس عيد الحاج بطرس التاجر السوري بيلدة (أفارة) بالبرازيل وطبعها وجعلها هدية باسم والده المقيم في (بكفيا) بلبنان . وهي تعريف بيلدة أفارة خاصة وبلاد البرازيل عامة وبحال المهاجرين السوريين في تلك المملكة . ومن فوائد الرسالة انه كان فيمن ارسلت حكومة البرتغال لاستعمار البرازيل عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية لكي تنظف بلاها من النسل العربي . اذا قد كان العرب من المستعمرين الاولين لهذه البلاد وجرى السوريون على آثارهم فهم من خيرة المهاجرين الى تلك البلاد

(تربية النفس بالنفيس) خطاب القاها الدكتور محمود بك ليب محرم في نادي المدارس العليا بالقاهرة . امام موضوع الخطاب فيعرف من عنوانه وأما أسلوبه فيمثل لك أسلوب بعض المتصوفة الذين كتبوا الاحجار ، والمصنفات في علوم الاسرار في مزجهم اصطلاحات العلوم الكونية ، بما يضعونه من الاصطلاحات التنبؤية المملوكة بل هو اغرب في مفرداته وجمله ، ومثاله ومثله ، واليك مثالا منه

وان الحقيقة فردية لاتعجزاً ، وان الكون جوهر لا يتداعى ، هو لا لا ينشون عن بواطن الاشياء ، ويكتفون بعلم ظواهرها العاملة ، هو لا لا يعرفون للكون في الكون الاقط (ضبطت في الاصل كقفل) واحد نفسه المركز لاهل الكرة الارضية ، ودعاهم كمر السما لاهل السموات العلية ، وأطلق عليه قلب الفلك للسموات والارضين

وشرف أصله ما للمترفعين والمتدين من رفعة وشرف وسطوة وحدة

(٤٥) حدثت بنفسى دونه أي خفيت نفسي امامه كالأحدب لا يمنع عنه الاذى يقال حذب عليه وتحدب بمعنى عطف وتعطف وأصله ما ذكرنا . والذرى أعالي التي جمع ذروة والكلال كل الصدور أي دافعت بأشرف الاشياء وأعظمها . ولقد صدق أبو طالب في قوله وكان مؤمناً بالله تعالى ونيباً ولكنهم لم يدعوا له بالافعل ولم يلزم شريسته بالعمل ولكن فضله في حماية الاسلام ومن جابه لاهدائها خدمة أحد في ذلك الوقت وقت الجز والضعف جزاء الله خير الجزاء

السبية والدفنية، وسه الطبيعة ان كنت من يصبح بأن «المادة لا تتجدد ولا تعلم»
وقل عنه الروح (بالفتح) ان سألك أحد طلبة «تناسخ الارواح»؛ وصفه بالمجرىمة
(الميكروب) ان تهبورت في فطرك القدرت؟ وعرفها بالتخلق ان درست علوم
النشوء وتايمت (داروين)، وسها الصوت ان كان لك ميلا في تعرف النغات
الموسيقا وقنونها، ونادها صورا متحركة وثابتة ان كنت تهوى الاحسن والابل
من الفنون والافتن، وقل عنها الروح ان سئلت من آل مذهب «تناسخ الاشباح»
وصفا بالقدرة ان كنت ممن يستعين على رؤية دقائق الاشياء بالمناظر المهبورة
«الميكرو سكوبات» واصطلاح عليها سياسة لاقتصاد للجامة الانسانية ان
وددت تسير الامم الى طريق الهدى والسلام، وعمار الكون بمن تخلق ونشأ فيه،
واضتها «الكربة» ان درست معلومات هارفي ومن اتبعه، وأقرأها الحرف في
كلم القويين . وسها الصوت ان كان لك شوقا الى «سفينة الشيخ شهاب»
او محب استماع مناغات الطيور على اوكارها . أو تمل الى تمنن انصار بين على
الاوتار والطر بين بأصواتهم الرخيمة . وارسها اشكالا متحركة وثابتة ان كانت
جبتك تهوى الجميل من الفنون والاحسن من الاشكال والالوان المصورة وغير
المصورة . وسيرها سفينة تجري في الفلك بأمر مدبرتها . ومبخر مائها ومحرق
قلبا ان تعالبت العلم ولو في الصين . واجرها سيارة بارودة قائدها وقوة جاذبتها
ورافقتها ان كنت تبغي حرية الحركة والسكون المطلق فدعها كما شئت بما شئت
وفي أي مكان وزمان شئت . لاسماع بين التصويت والتسكيت لارؤية بين الظلمات
والنور . لانمو بين الموع والشبع . لا انتقال بين الحركة والسكون لافرق بين
الابيض والاسود . لا تجزئة بين الكل والفرد . لاهيولة بين الجوهر والمرض .
لاشفاء بين المرض والمرض ولا تمليل بين البيت والحد . ولا روح بين القلب
والجسد . ولا شك بين القاتم والاتم . لاصوم بين الشك والرؤية . لادافين
الماء والتار . ولا يمم بين البطلان والرجحان . له المثال بنصه وضبطه
حسب القارى . هذا قد مل أو كاد اذ لم يقرأ في حياه كلاما بهذا الكلام .
الفاظ من اصطلاحات العلوم الطبيعية والدفنية والصوفية والجبرية تشبه خرزا من

أنواع شتى وضع في علبة وخضع حتى اختلط بعضه ببعض ثم استخرج فظلم نظا غير مألوف ولا معروف . فيألت شعري ماذا كان من أمراء أعضاء النادي عندما ألقاه عليهم الدكتور ؟ ماذا فهموا منه ؟ هل قابله بتصفيق الاستحسان ، أم بصغير الاستهجان ، ؟

(الزنامة التونسية لسنة ١٣٢٤)

كتاب كبير يصدر في كل عام تزيد صفحاته على أربع مئة صفحة كبيرة فيها من الفوائد الفلكية والتاريخية والادبية والسياسية والادارية واتجارية ما لا يستغني عنه قراء العربية في تونس وغيرها ومولها سيدي محمد بن الخوجة من أفضل الكتب في تونس وأوسعهم علما واطلاعا على الكتب العربية والافرنجية ومن فوائد اقسام التاريخي في زنامة هذا العام كلام مسهب لاجد علماء جامع الزيتونة الاعلام في بيان اختلاق ما كان نشر في جريدة القواء المصرية منسوباً الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو كتاب عهد كتبه للأومن بزعمهم ولم أر هذا العهد الا في الزنامة ولم أسمع بذلكه ايام نشرته جريدة القواء ومنها تاريخ صيد المرجان بمياه تونس وتاريخ شركات الاخبار التلفزيونية وتاريخ خسائر الحرب بين روسيا واليابان وتاريخ الحسامات المعدنية بتونس . ومن فوائد اقسام الادبي معجم لاسماء الاعلام الاسرائيلية ومقابر الكلاب يباريس ومعدة التماسح . وأما القسم السياسي فهو خاص بحكومة تونس والحماية لفرنسية فيها وكذلك القسم الاداري وفيهما كل ماتهم معرفته عن ذلك القطر . وفي هذا الجزء رسوم وصور كثيرة منها رسوم بعض الماماهد الحجازية الشريفة وقبر حواء أم البشر وصورة للرئيس ابن سينا مع ترجمته . وغير ذلك . ونحن النسخة من هذا الكتاب ١٥ فرنكا وهو يطلب من ادارة جريدة المنبر ومن محل الحساب في القاهرة

(طوابع الملوك) ومجلة فلكية جغرافية برزخية علمية تصدر في كل شهر عربي مرة لمنشئها السيد محمود انعام . قيمة الاشتراك في مصر ٥٠ قرشا أميريا . وكنا كتبنا تقریظا مطولا لهذه المجلة الثرية في هذا المعمر فضاق عنه الجزء الماضي ولما لم يرد الينا بعد الجزء الاول منها شي . وقد مضت أشهرنا اكتفينا بهذه الإشارة

(المنهل الصافي) مجلة علمية أدبية تهذيبية تصدر مرة في الشهر لصاحبها ومحررها محمد أفندي نجيب الخازني وكنا كتبنا لما تقرظا جميع ولم ينشر ثم فقد وهي لا تزال تصدر بانتظام فتتجى لما طول البنا- والرواج بالتوفيق لخدمة الالفة (المنبر) جريدة يومية أنشأها في القاهرة محمد أفندي مسمود وحافظ أفندي عوض الغنيان عن لوصف والتعريف لشهرتهما بتحريرهما في المؤبد السنين الطوال وباشتغال الاول منها بالصحافة مستقلا (وتقريب المؤيد) وبهذا كانا جديرين بأن تكون بدايتهما كنهاية غيرهما في هذا العمل الجليل وان يكونا مستقلين خيرا منهما متهدين برأي غيرهما ومما يوي الرجاؤ ونجاح المنبر رغبة كثير من السكاكين في أن يكونا من خطبائه . فنسأل الله تحقيق الامل ، مع اتوفيق خير العمل ،

(أبو الهول) جريدة عربية أنشأها شكري أفندي الحوري في سان باولو (البرازيل) تصدر كل ١٥ يوم مرة . وشكري أفندي الحوري جدير بأن يفيد السور بين بحر بدنه ويستفيد من اقبالهم حتى تكون أسبوعية فيومية لان أسلوبه الفكه في انكسابة يشوق القارئ لاسيما اذا كان سوريا فانه يمزج اللغة العامية بالعربية مزجا ألف من مزج الماء بالراح كما يمزج المنزل بالجد فيجمع لقارئه بين الفذة والفائدة وعنايته بالمسائل الصحية والادبية أنفع للناس من عناية غيره بالمسائل السياسية والمذهبية

بَابُ الْخَبَرِ الْأَخْبَرِ

﴿ زيارة الامير لطلاب العلم في مسجد المرسى ﴾

أظهر الامير لشيخ علماء الاسكندرية رغبت في زيارة مسجد أبي العباس المرمي لروية طلاب العلم الديني وعين لذلك يوم ١٤ ربيع الآخرفظيم الشيخ حلقات الدروس في ذلك اليوم وأمر المعلمين بتلقيب أفراد من كل فرقة مسائل يسر الامير سماعها وزينت مصالحة الاوقاف المسجد والطريق اليه زينة جميلة وبانت حاشية الامير (المعية)

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وغيرهما من كبار الازهر رغبته في حضورهم هذا الاحتفال وبعد الزيارة ذهب العلماء الى قصر رأس التين وسعدوا من الامير النصائح التي تتعلق بشؤونهم وقد بيده الشيخ شاكراً الوسام المجدي الثاني وهم ينظرون فيمن لهم بالقول والفعل رضا عن عمله في ادارة التعليم

لمج الناس تباً للجرائد بهذه الزيارة والنصائح الاميرية ومما قيل وكتب ان الامير اعزه الله واعزبه العلم أظهر الارتياح التام للعلوم التي يسمنها الجديدة كتنويم البلدان والحساب والهندسة وأنه ذم التقليد في نصائحه وأخطابه ففرحنا بذلك وسررنا لأن هذه ضالتنا المنشودة . وقد تمنى بعض أصحاب الجرائد يومئذ لو يحفظون بنص خطاب الامير لعمامة . ونحن أحق بالحرص منهم على ذلك وقد طلبنا فحفظنا ذلك ان أحد العلماء الذين حضروا ذلك المحفل المهيّب كتب ما سمعه بعد الخروج ونحري فيه الإلتفاظ بقدر الطاقة وهذا نص ما كتبه

(خطاب الامير)

« الامة اذا اتحدت وثقت بأفرادها وكانت مبالاة الى تبادل الآراء النافعة والسعي وراء الصالح العام

« انه كان في مدأ الامر اذا قدمت أو سافرت من الاسكندرية وحصلت زيارات رسمية لأرى الا رؤساء الروحيين وبعض من مستخدمي المحكمة الشرعية حتى ظننت أنه ليس في البلد علماء فكنت أسأل عن العلماء فيقال لي إنهم في غاية الخمول ومن ذلك الوقت عزمت على رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم وفرتيب مرتبات تقوم بمحاجتهم وكان نتيجة ذلك المعاهد العلمية في الاسكندرية . وعند ذلك احتجنا الى بعض العلماء من الازهر تنجياً للواد العلمية (المصرية) فحضر البعض وكان بينهم وبين الاسكندريين غاية الوثام حتى داخلهم بعض الدسائس التي أوجبت زيادة النفرة فيما بينهم وقامى فيها الشيخ شاكر بعض المقاساة كما قامى في المدة الاولى من الحساد فوجدنا أن هذا أمر شاق جداً فزمننا على معاملة علماء الاسكندرية بالقسوة الشديدة وارجاعهم الى الحياة الاولى لولا اننا أملاً اصلاح الحال ومثابة العمل النافع

«غير ان مازال يوجد (الاصل «في» بدل يوجد) بعض افراد يحبون أن يستملوا «الفنسة» لانهم لاقدرة لهم على العمل لانه ليس كل متعم شيخ فان بعض الناس يظهرون بمظهر العلماء ولا يحسنون شيئا من العمل مع ان العمل قد وضعنا له البر وجرامات حتى مشى على (الكسرة) وصار الاخلال به مضر جدا

«وانا وصيت الشيخ شاكر ان يعامل كل واحد بحسب ما يمكنه من العمل فمن له قدرة على درسين يقرأها كذلك من قدوة على الاكثر أو الاقل . فيزوم كل واحد السكينة ويلزم الكبير يرحم الصغير والصغير يعتبر الكبير وان يترك «الفنسة» فاني ان شاء الله لدينا الميزانيات ولنا الامل في ان تزيد الماهيات والمرتبات حتى يعم النفع وكل ميزانية تظهر فيها من الخيرات ما فيه الكفاية

«انا اشتد على الشيخ شاكر بيني وبينه وداء أقول له عامل هؤلاء الناس بما فيه الراحة ولي امل شديد في حصول المطلوب كما اني سررت جدا من حالة ابي العباس والطلبة ورأيت نجاحا باهرا ولي امل ان شاء الله ان يكون الازهر كذلك (وهنا ضجة من كبار مشايخ الازهر تقول - وفي رواية قولية ان بعضهم قال - نعم نعم يا أفندينا نجاح باهر جدا امتحانهم فوجدنا الامر فوق المرام بركة أفندينا) « الحمد لله لنا أمل قريب يظهر علماء من الاسكندرية يدفعون وطهم واذا خطب أحدهم لا يخشى الانسان من سماع خطابه ولكن هذا لا يكون الا بالمحافظة على النظام وترك الفساد والحسد كما اننا مستعدون لسماع أي شكوى فأبواننا مفتوحة لسماع أي شكوى ولكن لانحب الماهرة والتموغاء بين الناس (وهنا التفت الى شيخ الازهر وقال له) أحب أن يكون الازهر متحداه شيخ شاكر حتى يحصل نجاح عظيم فان حالة اسكندرية تسر جدا وأرغب أن يكون الازهر كذلك . ثم اني أحب جدا لزوم السكينة وان لا يحصل شيء ابداحي اذا جئنا من السفر لانسمع الا ما يسرنا »

قال الكاتب انه لم يترك شيئا مما قاله الامير الا كلمة أشار بها الى أن بعض المشايخ جاءه لاجل الفنسة والوشاية فمرزكي اشافكرشه (أي طرده) ولم يأذن له في الدخول : أقول وهذا عين الحكمة ولا أحد أقدر على تأديب صفار العقول من

المشايخ من الأمير وقتله الله. وهذه النصائح صريحة في استيائه من حال الأزهر وكون هذه المشيخة الجديدة لم تأت على ما يرغب وبرجو ولم ينس الناس هنا خطبته عند إلباس الكسوة لشيخ الأزهر الحاضر

﴿ الجريدة ﴾

انتدب جماعة من أعضاء مجلس شورى القوانين وغيرهم ممن كان ذا كرم الاستاذ الامام في مسألة اثناء جريدة يومية على الوجه الذي ذكرناه في ترجمته الى تنفيذ هذا المشروع فدعوا غير واحد من وجهاء الاغنياء للاكتتاب فاكثبوا في مجلس واحد بشعر آلاف جنيه ونيف ثم وضمو قاتونا لشركة المساهمة وعينوا مديراً للجريدة وأعضاء للمجلس الادارة الذي يدير العمل وسموها « الجريدة » وهم الآن يسعون في تأسيس المطبعة والبحث عن العمال والكتاب

رأيت أكثر من سمعهم يذكرون الجريدة حتى بعض المكتتبين يقولون نخشى ان نكون مقطعا ثانياً ومن الناس من يجزم بذلك ويستدلون بأن وجهاء الاعضاء استشاروا اللورد كرومر في أمرها وقد أيد بعض الجرائد اليومية هذا الرأي فزاد انتشارا ولا ريب عندنا في حسن نية أهل الرأي من القائمين بهذا العمل وقصدهم فيه الى خدمة هذه البلاد وعدم ايثار مصلحة على مصالحها، وأنهم يعلمون كما يعلم كل عاقل أن ايتت مصلحة البلاد في اتخاذ حكومتها خصما لها والمحتلين أعداء لاهلها وأن ليس من الخدمة النافعة ان تهيب الجرائد عند كل عمل منتقد للحكومة صانحة ان هذا من سوء نية الحكومة أو المحتلين، وأنهم يريدون به هضم حقوق الوطنيين عامدين متعددين، كما يعلمون أن من الحياة للبلاد السكوت عن انتقاد مايجب انتقاده من أعمال الحكومة ومشروعاتها بالدليل والبرهان، مع أدب القلم واللسان، وذلك هي الطريقة المثلى، في هذه الخدمة الفضلى، وسبرى أكثر الناس ان الجريدة خير مما كانوا يظنون فأعضاء مجلس ادارة الجريدة خمسة وعشرون رجلا ليس فيهم من يمداهر كتمانهم لشيئ ولا رفعت كما هو شأن سائر أصحاب الجرائد فالرجاء في إخلاص هذه الجماعة أقوى من الرجاء في إخلاص أولئك الافراد

على ان الفائدة الحقيقية للجبريدة موقوفة على حسن اختيار المدين يتولون كتابتها
وتحريها فاذا خُلف مجلس ادارتها بالكتائين المحررين القادرين على الاجادة في مسائل
الاجتماع والاخلاق والاقتصاد والافتقار والزراعة والتجارة والآداب والشرعية
والقوانين فمن لا ينسب أيدي أصحاب الجرائد الاخرى الى استعمال أمثالهم تسفى
لها ان تكون أرقى من كل ما عداها وبذلك تكون قدوة صالحة للجرائد كما هو المرجو
وإذا هي ظهرت مثل أرقى الجرائد الخافضة وآها الناس دونها لانهم ينظرون أن
تكون أكثر اتقانا فهم يزنونها بهذا الميزان

— حادثة دنشواي —

في ١٣ يونيو ذهب بعض ضباط جيش الاحتلال لصيد الحمام الداجن في
جهة دنشواي التابعة لكرشين الكوم. كانوا المواب في سيرهم بفرقتهم الى الاسكندرية
ولما شرعوا في الصيد استاء أصحاب الحمام واتفقوا ان تشتعل النار في جرن (بيدر)
بالقرب منهم فانهم بعض الفلاحين لصدمهم عن صيدها منهم حرصا عليه وخوفا على
أجران غشهم. اشتد حريق من زرايتندق وفي ثلثاء المتأخرة أصيبت إحدى نساء الفلاحين
بإرنادق الضباط وقلن أنها قتلت فمادت المتأخرة ملاكمة وضربا بالعصي ولطوب
فجرح غير واحد وأمر الرئيس أحد الضباط المضرويين بالسير الى المعسكر لطلب
النجدة فمات في حريق محرق فأصيب بضربة الشمس على رأسه المشجوج فمات
في الطريق. وأثبت المختبِق ان الضباط مالوا الى المسالمة وسلوا أساجتهم
للفلاحين فإزادهم ذلك الاخشوة وعدوانا وقد سلوا من انما باط ساعة وسلسلة مفاتيح
وصفارة وأخذوا سلاحهم كما هي عادة بعضهم مع بعض في مثل هذه الحال.

هذا وقد عظم أمر الحادثة على المحتالين لأن العز يزبد الإهانة للصغيرة كبيرة
ومن يهمل الهوان عليه فأجتمعا أمرهم على محاكمة الفلاحين في المحكمة
المخصوصة بمن يعتدي على أحد من جيش الاحتلال فاجتمعت هيئة المحكمة في
شبين الكوم (في ٥ ج ١) وحكمت حكما لا يقبل الطعن ولا الاستئناف على أربعة
من الفلاحين بالسحق وعلى اثنين بالاشغال الشاقة المؤبدية وعلى واحد بالاشغال الشاقة
١٥ سنة وعلى أربعة بالاشغال الشاقة ٧ سنين وعلى ثلاثة بخمسين جلدة ثم بالمحبس

مع الشغل منه وعلى خمسة بمخمين جلدة فقط
وقد نفذ هذا الحكم علنا على جميع المحكوم عليهم في قرية دنشواي وبمنهم
ينظر الى بعض والاهل والاقربون ينظرون وعسكر الاحتلال يحيط بالمكان
وكان الجلد في نظر الناس أشد من الشنق فكان لذلك أشد تأثير المزعج الناظرين
ثم لجميع أهل القطر فهبت الجرائد للانتقاد والشكوى وكثر لقط الناس يظلم
الانكليز وقال المتقدمون منهم إنما كان ذلك الابن السابق قبل تمام التمكن في
البلاد ثم روعوا بزيادة جيش الاحتلال وبما قالوا نظر خارجية انكلترا في العصب
وقد اشترنا اليه في مقالة العصب من هذا الجرح حتى قصرت السنة الذين كانوا يشتون
على اعمال الانكليز النافعة ويفضلونهم على جميع الدول

يقول بعض المتقدمين على الاحتلال ان هذا الحكم سيامي ويقول من ينتصر
للانكليز في كل شيء بل هو قضا في عادل وعندي أن الأوان هم المنتصرون لأن القوم
إذا كانوا يعتقدون أن الحكم القضائي العادل الذي هو انقصاص المساواة في مثل هذه
الواقعة يجرى الفلاحين على جيش الاحتلال لعصبهم أو لحشوتهم وان هذا الجيش اذا
لم يكن مما لا تطيح النفوس الى الجراة عليه فإنه لا يمكن للمخاضين ان يقيموا في البلاد وكانوا
قد قسوا في الحكم للإهاب وإقال هذا الباب فإن السياسة المتبعة في كل زمان
تقول لم أصبتم في التكيل بضمه رجال وعقابهم باكثر مما يحكم به العدل في
القصاص المادي لمنع حدوث قتل ربما أدت الى قتل من لا يحمى من الرجال
وافساد كثير من الأعمال. واذا نحن قلنا ان هذا الحكم قضائي لاسياني يقوله
لنا المتقدمين القانون أو الشرع الذي نبي عليه الحكم ومتى كان الرأي المجرد
قضاء عادلا وكيف يكون من العدل قتل كثيرين بواحد وجلد كثيرين وتعذيبهم
طول الحياة لجرح بعضهم من يكفي لشفاة أيام معدودات ؟

فاللائق بمقام الانكليز في الوجود ان يكون الحكم سياسيا وان كانت السياسة
مجهولة للفلاحين ونسأل الله ان يوفق الحكومة والمسيطرين عليها الى الطريقة المثلى لحفظ
الأمن وتهذيب الفلاحين ليسع العدوان الذي أصل في البلاد بضعف الدين وقوة الجبل
وزوال هيبة الحكومة وان لا يعود مثل هذا الخطأ في الفهم بين المحتلين والمصريين آمين

﴿ وفد الشريف الى اليمن والثورة ﴾

بلغنا ان الشريف أمير مكة المكرمة أرسل وفدا من أحد الاشراف وأحد العلماء وثلاثة قراةيين لما الى زعيم الثورة في اليمن ليقمعه بالمضوع لدولة الطيلة . والدولة لا تزال ترسل الجيوش الى اليمن تباعا والثورة تزيد قوة وامتدادا وان قليلا من العدل والحكمة خبر من ذلك كله وأتى لنا بهما

﴿ لدولة ومؤتمر الاديان في اليابان ﴾

بلغنا ان ما شاع في مصر وكتبنا في جزء سابق من ان السلطان أرسل وفدا الى مؤتمر الاديان في اليابان غير صحيح واليابان طالبت من ذلك فلي يجب وقد كتب من الاساتذة الى بعض الناس هنا بذلك قال الكاتب وانني قبل ان أكتب هذا قد اجتمعت بأحد مدحت أفندي الذي ذكرت الجرائد المصرية انه أحد أعضاء الوفد

(الى وكيل المنار الصدقي في تونس)

قد بسطنا رجاءنا لو كبل المنار القاضل في الجزء لآخر من السنة الماضية والجزء الاول من هذه السنة بأن يتفضل علينا بالحساب عن الدين اني نكرم بقبول الوكالة فيها فلم يجر جوابا ولكن صدقه الحميم الذي من علينا بأن نهد اليه بالوكالة وكنه القبول كتب الينا فيما كتب بأنه قد بادى الى محاسبة المحصل وانه أرسل طائفة من النفود الى حاسبه عليها وانه لا يلبث أن يكتب الينا بياناً بنصفية الحساب عن مدة وكالة صدقه . ولما طال الهد بالوعد كتبنا اليه نذكره فلم يرجع الينا قولاً ولكن جاءتنا طائفة من النفود في حوالة من المحصل على البريد فاضطررنا الى التذكير بلسان المجلة . ولا يعزب عن فهم الصديقين الاديبين اننا أوجع الى بيان الحساب منا الى ما أرسل من النقد لان سنة المنار التاسعة قد انتهت بهذا الجزء ونحن لانعرف ممن سدد قيمة الاشتراك الا من جرت عادتهم بارسال ما عليهم الينا ولمهم لا يبلغون عشرة في المئة من مشتركى تونس ولهذا يتعذر علينا ان نطالب أحدا منهم بشيء . ما لم نطلع على نتيجة أعمال الوكيل ، وما كان من أمر التحصيل ، فسي أن يتفضل الصديقان بالبيان المنتظر لئلا نرى لاعران ما هناك من حقوق المنار ، ونسريح من ألم الانتظار ، ونشكو لها الشكر الصميم ، وانما الاعمال بالخواتيم ،

المسحاة

١٣١٥

بشر عادي الذي يستعمل القول فيقول أحسن
أولئك الذين هم أروا الألباب

بشر عادي الذي يستعمل القول فيقول أحسن
أولئك الذين هم أروا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام سوى و « مناراة كثار الطريق

(مصر - رجب الحرام سنة ١٣٣٤ - أوله ٢٣ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٦)

سيرة السلف الصالحين . في نصيحة السلاطين

﴿ نابع لما قل عن الأحياء ﴾

« وحكي أن حطيطة الزيات جيء به إلى المحاجج فلما دخل عليه قال أنت حطيطة ؟ قال نعم سل عما بدا لك فأنى عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال أن ستلت لأصدقن وإن ابتليت لأصبرن وإن عوقبت لأشكرن . قال فما تقول في ؟ قال أقول أنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالفتنة . قال فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟ قال أقول أنه أعظم جرمائك وإنما أنت خطيئة من خطاياهم . قال فقال المحاجج ضموا عليه العذاب قال فأتني به العذاب إلى أن شق له القصب ثم جملوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون أنصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً . قال فقيل للمحاجج أنه في آخر ريق فقال أخرجه فارموا به في السوق . قال جعفر (أي راوي الحكاية) فأتنيته أنا وصاحب له فقلنا له حطيطة ألك حاجة فقال شرية ماء فألوه بشرية ثم مات وكان ابن ثمان عشرة رحمه الله تعالى

وروي أن عمر بن هيرة (والي العراق لأمير بني أمية) دعا بقضاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرأها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً بالشعبى فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال ما هذا؟ - هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبى وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبى والحسن فأقبل على الشعبى فقال يا أبا عمرو أتني أمير المؤمنين على العراق وعامله علياً ورجل مأمور على الطاعة أبليت بالريّة وزميتهم فانا أحب حفظهم وتهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم وقد يلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجده عليهم فيه فأقبض طائفة من عطايتهم فأضمه في بيت المال ومن ثبني أن أردّه عليهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضت على ذلك النحر فيكتب إلي أن لا تردّه فلا أستطيع رد أمره ولا اتفاد كتابه وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل عليّ في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور واثية فيها على ما ذكرت قال الشعبى قلت أصلح الله الأمير اتما السلطان والله يضلّي. ويصيب قال فسر بقولي وأعجبه ورأيت البشر في وجهه وقال فله الحمد ثم أقبل على الحسن فقال ما تقول يا أبا سعيد قال قد سمعت قول الأمير يقول أنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله علياً ورجل مأمور على الطاعة أبليت بالريّة وزميتهم والنصيحة لهم والتهد لما يصلحهم وحق الريّة لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وأنّي سمعت عبد الرحمن بن سيرة القرشي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن استرحى رعية فلم يسلها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة (١) ويقول إنّي قد قبضت من عطايتهم ارادة صلاحهم واستصلاحهم وإن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين أني قبضت على ذلك النحر فيكتب إلي أن لا تردّه فلا أستطيع رد أمره ولا أستطيع اتفاد كتابه وحق الله أني من حق أمير المؤمنين والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فله عرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدت موافقا لكتاب الله فخذ به وإن وجدت مخالفاً لكتاب الله فانبذ يا ابن هيرة اتق الله فإنه

(١) رواه البيهقي بإسناد ابن والشيخان وغيرهما بالمعنى

يوشك ان يأتيك رسول من رب العالمين يزلك عن سريرك ويخرجك من
سعة قصرك الى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودياك خلف ظهرك وتقدم على ربك
وتنزل على علمك يا ابن هيرة ان الله ليمعك من يزيد وان يزيد لا يملك من
الله وان امر الله فوق كل أمر وانه لا طاعة في معصية الله واني أحذرك بأسه
الذي لا يرد عن القوم المهزومين: فقال ابن هيرة اربع على ظلمك أيها الشيخ وأعرض
عن ذكر أمير المؤمنين فان أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب
الفعل وإنما الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الامة لعل به وما يعلمه مما فضله
ونيته: فقال الحسن يا ابن هيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب
والله بالمرصاد يا ابن هيرة انك ان تلقى من ينصح لك في دينك ويحملك على
أمر آخرتك خير من ان تلقى رجلا يفرح ويمتلك بتمام ابن هيرة وقد سر وجهه
وتغير لونه قل الشعبي قتل يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا
مروفته وصلته فقال اليك عني يا عامر قال فخرجت الى الحسن التحف والطرף
وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا فكان أهلا لا أدي اليه وكنا أهلا أن
يفعل ذلك بنا فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء الا مثل الفرس العربي
بين المقارب (١) وما شهدنا مشهدا الا برز علينا وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم
قال عامر الشعبي وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطانا بعد هذا المجلس فأحايه

وعن الشافعي رضي الله عنه قال حدثني عمي محمد بن علي قال اتي لحاضر مجلس أمير
المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد قال فأتى
النفار يوشكو الى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد فقال الحسن يا أمير المؤمنين
سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال فسأله فقال ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب فقال أشهد
انهم أهل تحطم في اعراض الناس كثيرا والاذى لهم فقال أبو جعفر قد سمعت فقال
النفار يوشكو يا أمير المؤمنين صلهم عن الحسن بن زيد فقال أشهد عليه انه يحكم بغير
الحق ويتبع هواه فقال قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح

(١) وفي نسخة المقارب وكلاهما جمع مقرف كحسن وهو ما كان ابو ذؤيب

عربي ويقال له الهجين

فقال يا أمير المؤمنين أسأله عن نفسك فقال ما تقول في قال تعني يا أمير المؤمنين قال أسألك بالله ألا أخبرني قال تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك قال والله لتخبرني قال انك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله وأشهد ان الظلم يبابك فاش قال فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب قبض عليه ثم قال له أما والله لولا اني جالس ههنا لأخذت فارس والروم وللدلم والترك بهذا المكان منك قال فقال ابن أبي ذؤيب يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذوا الحق وقسما بالسوية وأخذوا بأفقاء فارس والروم وأصغروا آذانهم قال فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال والله لولا اني أعلم انك صادق لتقتلك فقال ابن أبي ذؤيب والله يا أمير المؤمنين اني لأنصح لك من ابنك المهدي قل فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف في مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له يا أبا الحرث لقد سررتني ما خاطبت به هذا الجبار ولكن ساءني قولك له انك المهدي قال ينفر الله لك يا أبا عبد الله كلنا مهدي كلنا كان في المهدي

وعن الازاعي عبد الرحمن بن عمرو قال بعث الي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالاحل فأتيته فلما وصلت اليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي ما الذي أبغاك عنيا يا اوزاعي قل قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين قال أريد ألا خذ عنكم والاقباس منكم قال فقلت فانظر يا أمير المؤمنين انك لا تجهل شيأ مما أقول لك قال وكيف لأجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت اليك واقدمنتك لله قال قلت أخاف ان تسمه ثم لا تعمل به قال فصاح بي الربيع وأهوى يده إلى السيف فاستبره المنصور وقال هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت أنفسي وانبسطت في الكلام فقلت يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايا عبد جماعة موعظة من الله في دينه فانها نعمة من الله سبقت اليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها اتعا ويزداد الله بها سخطا عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما وال مات غاشا

رعيته حرم الله عليه الجنة (١) يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله ان الله هو الحق المبين ان الذي لبن قلوب امثلكم حبن ولا كم أمورهم لقرا بكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بهم رؤفا رحيا مواسيا لهم بنفسه في ذات بده محمودا عند الله وعند الناس فحقيق بك ان تقوم له فيهم بالحق وان تكون بالقسط له فيهم قائما ولعورائهم سائرا لا تطلق عليك دونهم الابواب ولا تقم دونهم الحجاب تتهيج بالنعمة عندهم وتبتسبب باصابعهم من سوء يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم أحرهم واسودهم مسلمهم وكافرهم وكل له عليك نصيب من العدل فكيف بك اذا انبث منهم فقام وراءهم وليس منهم احد الا وهو يشكو بلية 'دخلها عليه ، أو ظلامة سقتها اليه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال كانت يدرس رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويرزع بها المنافقين فأنه جبرائيل عليه السلام فقال له يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب امثلك وملأت قلوبهم رعبا فكيف بمن شقق ايشارهم وسفك دماهم وخرّب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيرهم الخوف منه يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرايا لم يتعمده فأنه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله لم ييسلك جبارا ولا منكبرا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الاعرابي فقال اقتصص مني فقال الاعرابي قد أحلتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك ابدا ولوعلى نفسي فدعا له بنجر (٢) يا أمير المؤمنين قد سألت جندك العباس النبي صلى الله عليه وسلم اماراة مكة أو الطائف أو اليمن فقال له النبي عليه السلام « يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من اماراة لا تحييها » (٣) نصيحة من لعمه وشقيقة عليه وأخبره انه لا يغني عنه من الله شيئا اذ أوحى الله اليه (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال يا عباس يا صفيّة

- (١) رواه وما قبله وكذا حديث الجريدة الآتي ابن ابى الدنيا في مواظف الخلفاء وابونعيم وابن عساكر والبيهقي في الشعب (٢) رواه من ذكر وابوداود والنسائي (٣) رواه ابن ابى الدنيا والبيهقي وابونعيم وابن عساكر

عبي النبي وبإفاطة بنت محمد أني لست أغني عنكم من الله شيئاً إن لي علي
واسك عملاً (١) وتدقل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقيم أمر الناس إلا حنيف
العمل أرب امتد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله
لومة لائم وقال الأمراء أربعة فأمير قوي ظف (أي منه) نفسه وعمله فذلك كالمجاهد
في سبيل الله بدالله بأربعة مائة الرحمة وأمير فيه ضف ظف نفسه وأرتع عماله للضعفه
فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله وأمير ظف عماله وأرتع نفسه فذلك المعاملة
الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « شر الرعاة المظلمة » فعو الهالك
وحده (٢) وأمير أرتع نفسه وعماله فلم يكو أجيباً :

وبعد أن أحال في وعظه بإحذفا بهمه اختصاراً قل

« يا أمير المؤمنين من أشد أشدة اقيام لله بحقه ون أكرم الكرم عند الله
انتقوى وأنه من طالب البر بطاعة الله وفه الله وأعزه ومن طلبه بهمهية الله أذله
الله ورضه فهذه نصيحتي اليك والسلام عليك : ثم نهضت فقل لي الى اين تقلت
الى الولد والوطن باذن أمير المؤمنين ان شاء الله فقل قد اذنت لك وشكرت لك
نصيحتك وقبلتها والله الموفق الخبير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو
حسبي ونعم الوكيل فلا تخاني من مطالعتك أباي بمثل هذا فانك المقبول القول
غير المتهم في النصيحة : قلت أفعل ان شاء الله تعالى قال محمد بن معصب فامر
له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال أنا في غنى عنه وما كنت لأيسع
نصيحتي برض من الدنيا . وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك

« وعن ان المهاجر قل قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجا
فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يلم به .
فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه واقامت الصلاة
ليصلي بالناس فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينما هو يطوف اذ سمع رجلا عند
الملتزم وهو يقول : اللهم اني أشكو اليك ظور النبي والفساد في الارض وما يحول

(١) رواه البخاري وغيره على خلاف في اللفظ

(٢) رواه نخرجو الاجاديت السابقة وسلم وغيرهم

بين الحق وأهله من الظلم والطمع: فأسرع التصور في مشيئته حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له أجب أمير المؤمنين ففعل ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه فقال له النصور ما هذا الذي سمعته تقول من ظلم ووربني والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والظلم فوالله لقد حشوت مسامي ما أمرضني وأقلقني . فقال يا أمير المؤمنين إن أمتني على نفسي أنبأك بالأمر من أصولها والاقتصرت على نفسي ففينا لي شغل شاغل . فقال أنت آمن على نفسك فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق واصلاح ماظهر من البني والفساد في الأرض أنت: قل لي وبحك وكيف يدخلني الطمع والصغراء واليئس في بدي والخلو والحماض في قبضتي: قال وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله استرعك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم وهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الحصن والأجر وأبوابا من الحديد وحجة معهم السلاح ثم سجدت نفسك فيها عنهم وبشت عمالك في جمع الاموال وجبايتها واتخذت وزراء واعوانا ظالمة ان نسيت لم يذكروك ، وان ذكرت لم يعينوك ، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراع والسلاح ، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان فخرسيتهم ، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا أحدا لا وله في هذا المال حق ، فلما رأك هؤلاء انفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت ان لا يججوا عنك تجي اليك الاموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله فالا لانخونه وقد سخرنا فاشتمروا على ان لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمر الا أفصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره فلما اتشردك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابهم وكان أول من صانهم عمالك بالهدايا والا وال لينقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لئلا يواظم من دونه من الرعية فتملأت بلاد الله بالطمع بنيا وفادا وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانتك وانت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك وان أراد رفع صوته أو قصته اليك هند ظهرك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم فنجا ذلك

الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم ان لا يرفع مقلته وان كانت للتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستثيث وهو يدفعه ويعتل عليه فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرا بامبر حال يكون نكالا لغيره وانت ذفر ولا تنكر ولا تغير فابقاء الاسلام وأهله على هذا . ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت غلاته اليهم فينصف ولقد كان الرجل يأتي الى أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي يا أهل الاسلام فيبتدرونه : مالك مالك ؟ فيرفعون . ظلمته الى سلطانهم فيتنصف . ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر الى أرض الصين وجمالك قد قدمتهامرة وقد ذهب سمع ملكهم فعمل بيكي فقال له وزراؤه مالك ثبكي لا بكت عينك فقال أما اني لا أنكي على النصيحة التي نزلت بي ولكن أبكي لظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قل امان كان قد ذهب سمعي فان بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوبا احمر الا مظلوم فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوما فينصفه هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغفلك راحة بالمسلمين ورقتك على شح نفسك »

وهذان أطال في موعظته وخوفه من اذ وعذاب الآخرة بما حذف بعضه للاختصار بكى المنصور بكاء شديدا حتى نحب وارفع صوته ثم قال يا ليتني لم اخلق ولم أك شيئا ثم قال كيف احتيا لي فيها خولت ولم أرمن الناس الا خائنا فقال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام المرشدين قال ومن هم قال العلماء قال قد فروا مني قال هو بوامتك مخافة ان نعلمهم على . اظهر من طريقتك من قبل عمالك ولكن اتخا الابواب وسهل الحجاب واتصرت لظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ هذا الشيء مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل . وانا ضامن على ان من هرب منك أن يأتيك فيما ونك على اصلاح أمرك ورعيك . فقال المنصور اللهم وفقني ان أعمل بما قال هذا الرجل

(الشار) ليس ملوكنا الآن أحوج الى مثل هذه النصيحة من المنصور وهم غير منصورين ليس حالهم شرا من حاله وملكهم دون ملكه وهروب الخيار منهم أكثر من هروبهم منه والخطر عليهم من الظلم أشد من خطره عليه في زمنه ؟ بلى ولكن أين العلماء الناصحون ؟

﴿ المعارف في عصر قبل الثورة العراقية ﴾

كانت الحكومة المصرية قد دخلت في أول عهد ولاية توفيق باشا في طور جديد من الإصلاح الحقيقي وكان الفضل الأول في تنفيذ ذلك لياض باشا وكان الأستاذ الامام رحمه الله تعالى في تلك الوزارة الرياضية عقلاء مفكرا وروحاً مدبراً اذ كان برياسة قلم المطبوعات وتحرير الجريدة الرسمية كما سيطر على جميع أعمال الحكومة كما يبا في ترجمته من المجلد الثامن . ومن ذلك عنايته بانتقاد نظارة المعارف انتقاداً كان له شأن عظيم في اصلاح شأنها واننا نورد هنا بعض مقالاته قلا عن الجزء الثاني من تاريخ حياتها (الذي يطبع الآن) وهي وكتب في العدد ٩٩٠ منها الصادر في ١٨ المحرم سنة ١٢٩٧ - ٢٠

ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

كثير تحدث الناس في شأنها في هذه الاوقات وكانهم لما فرغوا من الافكار المتعلقة بالامور المالية والادارية وما كان فيها من الاضطراب وتنوع الاحوال وتقلب الاشكال اذ كففتهم الحكومة أمر ذلك كله بشائنها وتبصر رجالها العقلاء أخذوا يلتفتون الى ما به حياتهم الحقيقية ونمو هيتهم الاجتماعية وظهور شأنهم بين الناس وحسبانهم في عداد أهل العالم وهو العلم النافع الذي رأينا جبرائلاً من من الممالك نالوا به السيادة على غيرهم وطفقوا يتذاكرون فيما به يكون تقدمه والوسائل الموصلة الى انتشاره في أقطاره موجهين آمالهم الى نظارة المعارف العمومية لانها ذات الشأن فيه فقالوا كلاماً كثيراً اذ كره كما قيل

قالوا ان المدارس ينبوع هذا الخير الجليل (العلم) وليس له من وسيلة سواها ولكن نحت شروط لا بد من استيفائها (ولنا الآن بصدد بيانها) وقد افتتحت المدارس في ديارنا من عهد المرحوم محمد علي باشا لكن كان اسمها غريباً على الآذان وحشياً عن القلوب يساق الناس اليها (كأنما يساقون الى الموت) اذ كانوا يظنون ان الدخول في المدارس هو الانتظام في العسكرية والدخول في العسكرية

(المجلد التاسع)

(٦٤)

(للتاريخ ٧)

هو الشقاء الدائم والبلاء الحتم و بعض الناس بعد التنبه كانوا لا يرون خطية أرفع من حطة الكتابة في ديوان أو مصلحة لما يرون للكتاب من المكانة عند الحكام والتصرف في الحقوق فاكثفوا بإرسال ابنائهم الى الكتبة يعلمونهم حتى اذا كبروا انتظموا في سلكهم وكانت لهم المنزلة المطلوبة بدون حاجة الى مدرسة ولا مكتب منتظم وبعض الناس ربما كان يعلم فائدة المدارس ولكن كانت ترجله أسباب تمنعه من ثرية أبنائه في أولكتنا لا نبديها وأما في أيامنا هذه فقد تنبت العقول ووقفوا على فوائد العلم وثمراته حتى الوقوف غير أن ذلك يقضي على الآباء بترية أبنائهم من الآن فصاعداً على الطريقة المنتظمة أما الشبان الذين فاتهم زمن التعليم في تلك الجهالة السابقة واشتغلوا بتحصيل مادة المعاش إما بالتوظيف في الخدمات الميرية أو طلب الكسب من وجوه آخر ولم شوق تام الى كسب فضيلة العلم فلا تساعد أحوالهم بالضرورة على الرجوع الى التعليم في مكاتب الاطفال وتطيل اسباب معاشهم فيود الكثير منهم ان تكون في البلاد مدارس ليلية يتداركون فيها بعض ما فاتهم في الازمنة السابقة أزمنة جعل آبائهم ملهم بذلك يتفنون أنفسهم وبلادهم بأكثر مما يقدرون عليه الآن حتى اهمم بعض من الشبان من مدة نحو سنتين بتأليف جمعية لفتح مدرسة ليلية ثم عارضتهم بعض الموانع فلم تساعد المقادير على النجاح وكأوا في انتظار توفيق آلهي يسوق اليهم ذلك الخبر حتى سمعوا بان نظارة المعارف تروم افتتاح مدرسة ليلية ففرحوا واستبشروا وقالوا نعمة من الله سقت البنا نودي له مزيد الشكر عليها ثم انقبضت نفوسهم عند ما سمعوا من شروط تلك المدرسة ان تكون دروسها باللغة الفرنسية ولا يقبل فيها الا من كانت عنده مبادئ الرياضيات والطبيعات وله تقدم في اللغة الفرنسية وقالوا يا سبحان الله ان المدارس الليلية في البلاد المتقدمة تقرأ فيها العلوم الابتدائية باللغة العامية مع التزام التسهيل في التعبير والتعاشي عن ذكر الالفاظ الاصطلاحية الغريبة أو العسرة التفهيم وذلك لفائدتين (الاولى) ان كل من يعرف القراءة والكتابة يمكنه أن يفهم مبادئ العلوم بهذه الطريقة فلا تقتصر همة الذين لم يتالوا حظ التعليم في صغرهم وينتشر العلم حقيقة اذ لا يكون في فهمه صعوبة ولا يمنع الشخص عن أشغاله النهارية (والثانية) انه اذا

كان التعليم على هذا النمط تكون المسائل العلمية لقربها الى الفهم كاحداثات تسيل بها النفس بل أقدم ذلك إذ لا يدخل الرجل محفل العلم الا ويخرج بنور جديد فتجذب نفوس الناس الى مستلحات العلم فبدل صرف أوقات ليقيم الطويل في مضاجعهم يتقبلون من جانب الى جانب أو في بيوتهم بمحادثات لا طائل تحتها أو في أما كن أخرى تتحاشى عن ذكرها يهرعون الى مهبط العلم ليفقدوا عقولهم ويروحوا قلوبهم ولم نسمع أن أمة متقدمة افتتحت مدرسة عالية وجعلتها ليلية فلم عدل عن هذه الطريقة الجلية في بلادنا واختبرت طريقة جديدة وهو جعل التدريس في المدرسة الليلية بلسان أجنبي عن لسان البلد بالكلية لا يفهمه المتفني منهم ولا العامي والعلوم التي يقرأ بها عالية لا ابتدائية حتى يحرم الناس الذين هم أخرج الى التعليم وأولى به وهم الخدمة وأرباب الكسب المحبون لنيل فضيلة العلم ولا يستطيعون، ويثلهفون على ذلك ولا يجودون، وهو ما يوجب الاسف خصوصاً وقد تواتر على الألسنة أن غالب من قبلوا فيها أجنب (وإن كان ذلك غير صحيح فنندي علم اليقين بأن الأكثر وطنيون لكن من الذين تعلوا في مدارس الفرير ونحوها) فهل يقال باننا تقدمنا عن تلك الممالك فزقنا حتى صارت مدارسنا الليلية أعلى من مدارسهم أو أقننا بأن العامة منا والكتاب لا يستفيدون من ذلك شيئاً أولاً حظت نظارة المعارف أنها بذلك تستحصل في زمن قريب على أساتذة نجعلهم معلمين في مدارسها ومكاتبها فإن كان هذا الوجه الأخير قلنا أنها ستجعل (مدرسة الخوجات) نهارة قلنا أن تزيد في عدد تلامذتها مائتاً لهذا الفرض على أنه لو سلك في المدرسة الليلية مسلك البلاد المتقدمة ثلثنا الوصول الى بعض هذا المقصد فكثير من أهل العلم كان يود أن ينظم في تلك المدرسة ليتعلم العلوم التي فاته تحصيلاً لكن منعه كون التدريس بلغة أجنبية وكون الدروس فوق البدايات وإن كان الثاني قلنا أن الاستعداد والشوق موجدان في كثير من الناس ولهم رغبة تامة في التعليم فكيف يصح اساءة الظن بجميع شباننا الى هذا الحد وإن كان الاول قلنا الاول ان لا تكلم واننا وحق الحق لفي حاجة كلية الى ان يكون التعليم الليلي عندنا مستنداً بما آخذ من البدايات سهل الوسائل ميسر الاسباب

بلغة بلادنا عامة أو خاصة حتي تنقطع حجة الجاهل ويبطل برهان المكاسل وتنبعث الفيرة في الكل اذا أقبل البعض على التعليم ويقع التنافس في الفضائل ويحمد الشبان الذين استرسلوا مع هوى الشباب شغلا وتوهمهم الذمة وتلعنهم ضارهم اذا نركوه اذ لا يمجدون لهم علة يتعللون بها اذ ذاك بل نرى انه لا بد أن يكون هذا التعليم القلمي اجباريا عاما لكل مستخدم وقارىء لم يتعلم تمام ما يجب عليه في وظائفه الا لضرورة تمنحه من مرض ونحوه خصوصا بعد ما أعلنت الحكومة ان جميع المستخدمين في الادارات أو التحصيلات لا بد ان يكونوا من الدراية بحيث يقدر على تحقيق القضايا وحل المشكلات بأنفسهم في مواد الجنائيات والحقوق والحسابات ونحو ذلك وهذا لا ريب يستدعي أن يكون جميعهم على بصيرة تامة وذوي عقل وافر وهذا لا يمكن الا بعد تحلية العقل بالعلوم الابتدائية التي لا بد منها لكل من يريد الاستقلال في سيره

هذا حاصل أقوال الناس في شأن المدرسة القليلة التي افتحتها نظارة المعارف قريبا وربما كانت تلك الاقوال صحيحة لكن ان صح ما قالوا فليعلم بتقديم آرائهم لسعادة ناظر المعارف ليتروى فيها ثم يجهيهم الى مطلوبهم ان رآه موافقا وخاليا من الموانع والمخاطر والافتقار بأن تعمم النفع غير ممكن فحينئذ يعلمون الحق ويربحون أنفسهم من الجدال ولمس أقوال في مواضع شتى يمنعنا من ذكرها في هذا العدد ضيق المقام وربما نذكرها غدا ان شاء الله

وكتب في العدد ٩٩٣ الصادر في ٢١ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

مقالات الناس فيها وأفكارهم العمومية متنوعة ذكرنا بعضها في عدد سابق ونذكر بعضا منها في هذا العدد حفظا لمتفرقات الاقوال لعل شيئا منها يقرن صحة فيصادف قبولاً وليكون ذلك دليلاً على تنبيه الافكار والتذات اذ هان الناس الى النافع الحقيقي قالوا نشرت نظارة المعارف الى جميع فروعها منشورا مبسوط العبارة مشحونا بالمعاني الريفية قاصيا على نظار المدارس والمكاتب ومعلميها بوجوب التفاهم لوظائفهم وقيامهم

واجبا عليهم مبدئيا لهم أن الامتحانات في العام الماضي على الطريقة الجديدة قد أظهرت ان في بعض المدارس قصورا في التعليم وفي بعضها كالا وزيادة فاستوجب موظفو الاولى التوبيخ والانذار وموظفو الثانية الشكر والثناء فطلى الجميع من الآن فصاعدا بذل الجهد في ارتقاء درجة التعليم بحيث تكون الاستفادة نقلا وتبصرا لاحظا ولقائمة و بين في هذا المنشور كيفية التعليم وطرق التفهم وانذر من لم يحذ حذوها بوقوعه تحت مسؤولية الديوان

فانشرحت صدور العامة والخاصة بهذه التنبيهات الاكيدة والتعليمات المفيدة ودلوا العمل بهذا المنشور لا طمأننت نفوس الكافة الى تربية بناتهم في مدارسنا التي يصرف بها آلاف من الجنيهات على خزينة الحكومة ليتربى بها على توالي الازمنة رجال يكونون فخر البلاد وحماة زمارها فقد كانت النفوس في ريب من نجاح التعليم فيها قبل اليوم ولذلك كانت مدارس الغرب والانكليز والامريكان والبروسيان وغيرها عامرة بأبناء آلهالي مسلمين ومسيحيين ومدارسنا ليس فيها منعم العدد اللائق بشأنها ولم يكن ذلك الا لما أظهرته التجربة من نجاح التعليم في تلك وقصوره في هذه مع مراعاة الآداب التي يفرح بها الوالدان والاقارب في المدارس الاجنبية واغناؤها في مدارسنا لكن (الحمد لله) تلك أيام قد خلت فان الثقات سعادة ناظر المعارف الى كيفية التعليم ونشديده في ان تكون على وجهها الحقيقي مما يعيد الآمال ويقومها

الا أنهم يتساءلون فيما بينهم بسؤالات كثيرة منها قولهم هل حصلت المكافأة الحقيقية لمن أظهر الامتحان اجتهدا من النظار والمدرسين وهي مكافأة الدينار والدرهم فان مكافأة الشكر والثناء وان كانت واجبة وهي من أجل المكافأة وأجملها ولها تأثير في جلب الرغبات وتهوية العزائم لكننا لانلتصق بالقلب التصاق النقود والمساعدة المباشرة فان من ضاق عليه العيش وكانت حاجاته أكثر من ابراده لانفك عنه الوسواس ولا يبارح ذهنه الاضطراب وتقلب منقصات الحاجة وآلامها على الفرح الذي أنفسه عند ماسمع كلمة الثناء عليه ثم ذلك ينقص من اجتهدا ويحبط من همته بل ربما أوردت خلافا في كيفية تأديته لوظائفه خصمرا اذا

رأى غير المجتهد مماثلاً له في الرزق وأوفر راتباً منه ولقد صدق القائل النقص من الرواتب نقص من الاعمال: لكن المنشور لم يذكر فيه حصول تلك المكافأة مع أن المسوعان ميزانية المدارس كانت قابلة لذلك ونظارة المالية تسمح باستغراقها بل ثود لو يزداد فيها

وقولهم هل جميع من نشر عليهم هذا المنشور الجليل يدركون الفرض منه حق الإدراك وإذا أدركوه فهل يوجد عندهم من اقوة العملية والتدريب على الطرق الجديدة ما يؤهلهم لاجرائه والسير بمقتضاه بحيث تحصل اتمامه منه بمجرد نشره أو ان الكثير منهم يحتاج لأن يتعلم تلك الطرق ويتعرف عليها والبعض ربما لا يمكنه ذلك حتى ولا بالتعليم؟ وهل امتحن المعلمون والنظار كما امتحنت التلامذة وعلم المستعد منهم وغير المستعد بوجه الدقة والضبط حتى اذا وجد منهم من لا يليق لوظيفة أنزل عنها ورزقه على الله ومن يليق لأعلى منها رفع الى ما يستحق لتوجد الرغبة الحقيقية أولاً وتحشى عواقب الجبل والاهمال ويتوفر على المعارف زمان نجرب فيه المعلمين مرة أخرى ويكون كله خساراً على التلامذة المساكين. ولا نقصد بالامتحان الا السؤال في الفن الذي يعلمه فاذا تبين أنه يمكنه الاحاطة بمسائله ولو بمراجعة الكتب على وجه السهولة عدت عارفاً ثم طالب الالتقاء والتدريس وكيفية التفهيم قرب عالم لا يستطيع البيان

يقول الناس إنه يوجد بين المعلمين أشخاص فضلاء نجباء عارفين بعلومهم قادرين على تأديتها بالوجه اللائق لكن يوجد بينهم آخرون ألفوا بعض الطرق العتيقة وتعودوا عليها فلا يستطيعون بعد طول الزمن التحول عنها وان كانوا علماء بعلومهم والبعض منهم يستطيع تأدية القواعد علماً ويمجيز عن تمرين المتعلم عليها عملاً والبعض يوجد خالياً من الأمهين يهزأ به التلامذة ولا يوقرون أستاذيته كل ذلك يزعمون مشاهدته بالبيان ويوجد بين المعلمين صنف من النبهاء لا يجب ان يجهد نفسه في التعليم ويكتفي في درسه بمحاكاة بعض ما وقع له في يومه أو ليلته ثم ينصرف فهل تعينت هذه الاوصاف في أربابها واعترف للفاضل بفضلته وعرف الناقص مقدار نفسه وأنزل كل منزلته؟ هل اختارت نظارة المعارف لاجراء هذا المنشور أشخاصاً

من العرفاء كل في فن مخصوص ليطوفوا على المكاتب الابتدائية والمدارس الخصوصية ولا يكون لهم عمل سوى هذا ليفنوا على أحوال تلامذة جميع المدارس في كل أسبوع أو خمسة عشر يوماً مثلاً ويقدموا جميع ما يرونه من الملاحظات على وجه الدقة التامة فإن رأوا نقصاً عرفوا سببه ومن أي الجهات منبهه وإن كان عامه جازاً في طريق التعليم ارشدوا المعلم بأنفسهم وبنوا له الطريق مرة بعد أخرى فإن اعتدل والا اعتزل ويكون أولئك الأشخاص تحت مسؤولية شديدة إذا ظهر فيها بعد نقص ولم يكونوا نبهوا عليه فإن ذلك يبعث الفكرة وينشط الاجتهاد في المعلمين وغيرهم وتكون حركة المدارس في خط مستقيم يوصل الى المقصود باقرب الطرق المؤدية اليه ويسهل تدارك الخلل اذا ظهر وازالة النقص اذا طرأ هل دقت نظارة المعارف في معرفة أخلاق النظار والاساتذة الذين وضع الاطفال في كفالتهم بدبرون أمورهم ويرشدونهم الى كمالهم وفصلت بين صاحب الاخلاق الفاضلة والافكار المستقيمة والعفة والنزاهة والغيرة على نفع من وكل أمرهم اليه وأداء ما وجب في ذمته حتى يكون حاله وكاله درساً آخر يعطى للتلامذة في كل يوم فتتطبع هذه السمكالات في نفوسهم باشد من انطباع صور المعلومات في عقولهم وهو المعنى المقصود من التربية وبين من لا اخلاق له بأن يكون أحق أو دينياً أو عديم الغيرة والذمة أو ردي الافكار ونحو ذلك من الذين تكون معاشرته التلامذة لهم موجبة لتلوهم بالذائل وتكون كلمته في الدرس ممزوجة بسم الفساد فتثبت أذهانهم وتكون عاقبة أمرهم إما جهلاً وقد ضاع الزمان وولى الشباب وأما علما صناعاً مصحوباً بشروط تعود على صاحبها بالشقاء وياليتها تكون قاصرة عليه ولكن تمتد إلى غيره بحكم العادة المستمرة وعند الفصل بين الفريقين بإرشاد الرقاب النبهاء ذوي الفراسة والخبرة بأحوال العالم وأخلاقهم والامانة في الخير والصدق فيه يميز الخبيث من الطيب ويبعث عن المستقيمين على قدر الطاقة في انحاء البلاد لتفوض اليهم تربية الاطفال والشبان ليكونوا رجالاً ينفعون أنفسهم وحكومتهم التي تصرف عليهم المصاريف الكثيرة أصلاً بمحصولها على رجال تقيمهم في وظائفها الكثيرة يودون واجباتها بالضبط والامانة

يقولون انه لاشك في كون الكتب الموجودة في العلوم العربية مثلاً ليست أساليبها سهلة المأخذ على التلامذة ولا موافقة لطريقة التعليم في المدارس من اشتغال التلميذ بفنون كثيرة في زمان واحد وأنه يلزم إيجاد طريقة جديدة في التأليف وإزالة كثير من الصعوبات التي عاقت كثيراً من الناس عن التعليم فهل حصلت العناية بتصنيف تلك الكتب وإن حصلت فبمن أنيط تصنيفها وهلا شكل مجلس للنظر في مثل تلك التسهيلات ودعي إليه أعضاء ممن لهم سعة في الفكر والاطلاع على الطرق القديمة والجديدة ويكون لهذا المجلس حق في تعيين الكتب التي ينبغي تدريسها في أي الفنون حتى يأتى إجراء ذلك المنشور السابق على وجه الكمال

من المحقق ان سعادة عبد الله باشا فكري وكيل عموم المدارس في سفره الى الجهات البحرية قد رأى أموراً كثيرة تستحق الالتفات وطلب من نظارة المعارف أشياء مهمة لابد من تقريرها والاسعاف بها فهل أجيب طلبه وحصلت المذكرة في تلك الآراء القوية التي أبداهها حتى يفرغ من تنفيذ مقتضاها الى البحث في غيرها من الجهات القبلية

هذه جملة من سوء الاتهم سردناها للاحاطة بها ولا نأجيب عن ذلك بأن نظارة المعارف هي أعلم بما يجب عليها من جميع ذلك وأنها لا تغفل شيئاً مما تعلمه نافعاً ومفيداً ومن اليقين أنها لا تشرع في شيء ثم تتركه يتم بنفسه بدون مراقبة فالبشة قد أعدت لمقاصدها وسائل اذ تعلم ان زماننا هذا لا يرى فيه الا الأثر الظاهر ولا يؤثر عن رجاله الا الاعمال الحقيقية أما صدور الأوامر والنطق بالالفاظ العالية بدون ترتب فائدة عليها فقد مضى وقته وان الآمال متعلقة برجال تلك النظارة العرفاء الاجلاء كسعادة فاضلها الا كرم المريض على تقدم العلم والغيور الرفيع الهمة سعادة وكيلها عبد الله باشا فكري والبصير الخادق وكيل المسكنات الاحدية حاضرة على بك فهي وسنرى من أعمالهم ما يرفع جميع هذه الاوهام ويفتح للمعارف في عصرنا هذا تاريخاً جديداً فهذه هي الفرصة التي نرى فيها الحكومة اليه مساعدة على نشر المعارف وتأييدها فليتنا ان لانضيقها

وكتب في العدد ٩٩٧ الصادر في ٢٦ المحرم سنة ١٢٩٨ - ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٨٠

المعارف

من المحقق ان نظارة المعارف قد اهتمت وعزمت على فتح مدرسة ليلية تقرأ فيها العلوم الابتدائية لتكون عامة النفع شاملة الفوائد يذهب اليها الرجال الذين شغلهم الكسب والضرورات المعاشية نهاراً عن التعليم مع رغبتهم فيه وميلهم اليه ولهم من أوقات الليل الطويل فرصة لا يضيعونها اذا افتتح مثل هذه المدرسة الا في تعلم ما ينفعهم ويزيدهم نورا وبصيرة وسيكون التدريس فيها باللغة العربية التي هي لغة بلادنا وقرأ فيها درس باللغة الفرنسية يكون قاصرا على تعليم اللغة لا غير مبتدأ فيه من المهاجاء الفرنسي الى نهاية ما يلزم ان يتعلم في تلك اللغة أما دروس اللغة العربية فمنها ما هو خاص بتعليم قواعد اللغة ومنها ما يكون في بعض علوم آخر نافعة من آداب وتاريخ أحوال الأمم وتاريخ طبيعي وبعض مبادئ الرياضة (فيما سمعت) بحيث لا تنقص عن تلك المدرسة التي سبق منا الكلام عليها المسماة (بمدرسة الخرجات البلية) في جوهر ما يقرأ بها وان كانت تختلف عنها بأن هذه تكون لغة التعليم فيها وطنية وتلك أجنبية وهذه أخلفة من البدايات وتلك آتية من النهايات وهذه يكون معظم نفعها بل كله للوطنيين وتلك لا تنوسم فيها ذلك الا يبرهان وهذه الاختلافات وان كانت عظيمة لكنها لا تنصرف في المقصود ومما ينبغي ذكره انه ثبت في اذهان بعض الناس ان مجرد تعلم اللغات الاجنبية يعد فضيلة يسعى اليها ويهتم بشأنها مع ان اللغة في ذاتها لا فضيلة فيها ولا يصح أن تجعل غاية قصد وأما هي وسيلة لا احتوت عليه تلك اللغة من العلوم والآداب والافكار التي ربما لا تكون مبسولة في اللغة الوطنية كما هي واضحة في اللغة الاجنبية فطالب تعلم اللغة الفرنسية مثلا اذا لم تكن عنده مبادئ علوم ومملكة ادراك في بعض الفنون التي يطلب التفنن فيها لا يعد معيبا في طلبه الا اذا طلب معها تعلم تلك المبادئ حتى انه عند بلوغه الى حد الاقتدار على فهم اللغة يتيسر له الوصول الى الفائدة المقصودة فلا يصح بناء على ذلك أن يكون

التعلم والتعليم اهلين قاصرين على اللغات فقط بل يلزم أن يكون منها بعض مبادئ العلوم كما عزمت عليه نظارة المعارف الجليلة التي لانزال نرى مساعيها في تقدم أبناء البلاد وبث روح العلم فيهم تأتي من النجاح بما يخلد لسعادة ناظرها ووكيلها طيب الذكر والثناء

وبافتتاح هذه المدرسة يفهم المجادلون وتبطل حجة اللائمين الذين انصبوا الى البحث في المدرسة البلية وفوائدها وما يعود على البلاد منها ونشرنا وجوه انظارهم فيها في بعض أعدادنا السابقة فكان هذا العمل من نظارة المعارف برهانا فليلا لاجديا يفتح الناظرين ويفهم المحاصمين ويذهب بتعللات المتعطلين ومطالبها لأصحاب تلك الافكار بالبرهان الفعلي أيضا وهو توجه الهمم الى التعلم وافراغ الجهد في تحصيل ثمرات العلم حتى تظهر فوائد هذا الاثر وانا على يقين من أن المستنصرين وغيرهم من ذوي الكسب الذين يعرفون قدر المعارف ويقدرونها حق قدرها يجيئون نظارة المعارف الى طلبها كما أجابتهم لى طلبهم ويكون لجر بدة الوقائع المصرية شرف الإخبار بخير الأخبار وأجر التنبيه على الامر وما فيه اه

(المنار) هذه المقالات وامثالها كانت مبدأ نهضة جديدة في المعارف فهي سبب انشاء المدرسة البلية العربية وسبب اشاء المجلس الاعلى لنظارة المعارف كما علم من ترجمة فقيدنا في المجلد الثامن بالاجمال وسيعلم من الجزء الاول من تاريخه بالتفصيل . وله مقالات أخرى في انتقاد أعمال الحكومة والامة كانت حاديي الاصلاح ومرشده في سائر المصالح والاعمال . وقد كان من الحكمة اسناد الانتقاد إلى حديث الناس لان الكتاب يكتب في جريدة الحكومة ولأن انتقاد الناس أشد تأثيرا من انتقاد واحد وما الناس الباحثون المنتقدون يومئذ الا ذلك الحزب الذي كان العقيد واستاذ الحكيم عقله الفكر ولسانه الناطق . أما عبارته رحمه فانك تراها على قرب العهد بالازهر واسلوب السجع في غاية السلاسة وله مقالات أبلغ منها عبارة لأنها أرقى موضوعا وفكرا وسنورد قراءا نموذجاً منها

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿آراء وأفكار﴾

للككتور محمد توفيق افندي صديق الطيب بسجن طه

هذا عنوان مقال لي جديد ، أريد أنه أفصح فيه عن رأي أئديه لعلماء المسلمين ، المحققين منهم لا المقلدين ، حتى إذا ما كنت غططاً أرشدوني ، وإذا ما كنت مصيياً أبودني ، وبشي من علمهم أمدوني ، فاني لست ممن يهوي الاقامة على الضلال ، ولا ممن يلتذ بمحدث مع الجهال ، فلنا أجهد النفس في تحقيق الحق ونصحيه ، والاسراع إليه إذا بداني بارق من بصيصه ، وهأنذا أشرع في إيضاح المقصود بالتدقيق ، راجياً من الله التوفيق ، للهداية إلى أقوم طريق فأقول : —

لاخلاف بين أحد من المسلمين ، في أن متن القرآن الشريف مقطوع به ، لانه منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم باللفظ بدون زيادة ولاقصان ، ومكتوب في عصره بأمر منه عليه السلام ، بخلاف الأحاديث النبوية فلم يكتب منها شيء مطلقاً إلا بعد عهده بمدة تكفي لأن يحصل فيها من التلاعب والفساد ما قد حصل ، ومن ذلك فلم أن النبي عليه السلام لم يرد أن يبلغ عنه للعالمين شيء بالكتابة سوى القرآن الشريف الذي تكفل الله تعالى بحفظه في قوله جل شأنه (إننا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) . فلو كان غير القرآن ضرورياً في الدين لأمر النبي بتقييده كتابة وتكفل الله تعالى بحفظه ولاجاز لأحد روايته أحياء على حسب ما أذا ماله فيه .

فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لتلايته بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الا تيان بمتله ولم يضمن ما في الاحاديث من الواجبات كاضمن ما في القرآن حتى نأمن عليه من التفسير والتحرير والاختلاف ؟ ولم كان بعض الدين قرآناً والبعض الآخر حديثاً وما الحكمة في ذلك وما الفرق بين الواجب بالقرآن والواجب بالسنّة ؟ فهذه بعض أسئلة ألقيا على الباحثين ليجيبوا عنها إن كان ثم جواب .

سأل بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم (هل يجب الوضوء من التي ؟) فأجاب عليه السلام (لو كان واجباً لوجدته في كتاب الله تعالى) فهنا الحديث صريح وألم يصح فالعقل يشهد له ويوافق عليه وكان يجب أن يكون مبدأ المسلمين لا يحدون عنه . ولكن وبالألف

لحق المسلمين ما لحق غيرهم من الاثم قد دفعهم في ظلمات في بحر لحي يفشاه موج من فوقه موج من فوقه صاحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج أحد منهم يده لا يكاد يراها ومن لم يجعل الله له من كتابه نوراً فإنه من نور

ولع الناس في العصر الأول بالروايات القولية ولو عاينوا بها بكرة جمعها جموعاً حتى ملأت الأحاديث الآفاق وكثر فيها التضارب والاختلافات وصار من المستحيل أن يعمل الإنسان بدونه بدون أن يقلد غيره ممن أقوا أعمارهم في عمل مذهب لهم فأصبح التقليد من أوجب الواجبات في دين المسلمين بعد أن كان من الدأ عداة القرآن المجيد . تنوعت المذاهب واختلفت المشارب وتعددت الآراء في كل فرع من فروع الفقه حتى تجد في كل مسألة أن كل ممكن من الممكنات العقلية قد صار مذهباً لا حداثة ووجوب على المقلدين القول (بأن السك على الحق) فأصبح القول باجماع الضدين بل التقيضين عقيدة من عقائد الدين بين المسلمين فحق عليهم القول بأن سيتبعون من قبلهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه . أراد بعضهم أن يزيل عن العين الرمى فقال بسبب الاجتهاد . وبذلك شفى الرمى بالاعفاء . فصار كل من أراد أن يستعمل عقله في الدين 'رموه بأنه من المارقين' وهكذا ضاع الحق بين الأباطيل . ولولا عناية الله لأزهقت روحاً لا تأليل

نظر المجتهدون في الأحاديث نظراً فعملوا ما فيها من الاختلاف . وتحققوا أن أكثرها موضوعات . ولما أراد كل منهم أن يستخرج مذهباً اضطروا أن يرفض منها ما صح عند غيره . فهل يقل أن الله يدين العالمين بشيء لا يمكن لأحد أن يميز حقه من باطله ؟ وهل يعذر المسلمون في تركهم القرآن خلف ظهورهم والاشتغال عنه بهذه المذاهب وصرف الوقت في مراجعة الروايات التي لا تخصي لظلمهم ان القرآن غير واف بالدين كله . والله تعالى يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) . وإذا محنت مذاهبهم فأني قريط أكبر من ترك القرآن لا أكثر واجباتهم في الصلاة والصوم والحج وإن كانوا غير ذلك ؟

دين الله سهل مبسور . والتقليد فيه محظور . فلو كان العمل بما في الأحاديث واجباً للزم كل مكلف أن يترك أي شغل آخر ويهضي الليالي الطويلة . في مطالعة المجلدات الضخمة من كتب الحديث : ليعرف الضيف والصحيح والموضوع : والحسن والموقوف والمرفوع ، والتاسخ والنسوخ

فهل في شرع الانصاف أني أكلف خطة لا تستطيع ؟
يحتج السنيون على صحة قولهم نحو قوله تعالى (يأيا الذين آمنوا أطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ولكننا نحن القرآنين قول إن طاعة الرسول لا نزاع فيها ولكن النزاع في مسألة أخرى وهي: هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه كتاب الله؟ فإذا كان ذلك صحيحاً فهل لا ولاء الأمر أن يفرضوا علينا صلوات سبع بدل الخمس أو صيام شهرين بدل الشهر ونحن مأمورون بطاعتهم مثل طاعة الرسول؟؟ وإذا كان الأمر كذلك فما بال جميع أصحاب المذاهب معزواً بين أمر الله وأمر الرسول أو بين الواجب والسنة وبين المفروض والمنسذوب؟ أليس ذلك إقراراً منهم بالفرق الهائل بين الكتاب والسنة؟

نحن لا نجهل أن كل مذهب منها يقول ببعض فرائض لا أثر لها في الكتاب، ولكن الذي نلاحظه على أصحابها ونشكرهم عليه أنهم كانوا دائماً يجتهدون أن يأخذوا دليلهم على القرضية من الكتاب إن أمكنهم حتى أن كثيراً منهم قال بسدم وجوب أشياء كان النبي عليه السلام يواظب عليها ويأمر أصحابها بها إذ لم يجد دليلاً عليها من القرآن. فأبو حنيفة مثلاً قال بأن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بواجبة لأنه لم يجد أمراً بذلك في كتاب الله وكذلك قال في الاستنجاء. وذهب الجميع إلى القول بأن المضمضة والاستنشاق ليست من فرائض الوضوء وغير ذلك كثير حتى أنك تجدهم يستنبطون كل ما قالوا بأنه فرض من الآية الواردة فيه. وبعد ذلك يقولون بأن ما زاد عليه فهو سنة ولو لم يثبت أن النبي تركه مرة واحدة. أليس ذلك أثر من آثار القطار السليبة الباقية في نفوسهم؟

إذا نظرناظر في جميع المذاهب المعروفة واستخرج منها جميع ما أجمعوا على وجوبه وجد أنه كله مستنبط من القرآن الشريف إلا مسائل قليلة جداً أذكر منها بعضها لأهميتها كعدد ركعات الصلاة. ومقادير الزكاة وما يتعلق بها

لا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محل النزاع. ولكن محل النزاع هو هل كل ما تواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجباً على الأمة الإسلامية في جميع الأزمنة والأمكنة وإن لم يرد له ذكر في القرآن رأيي أنه لا يجب. وربما كان ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم هو مندوب إليه ندباً شديداً أو أنه تطبيق لأوامر القرآن السابقة على أحوال الأمة العربية بحيث أن غير هاتين الأئمة لما أن تستنبط من الكتاب ما يوافق أُمورها وأحوالها كما سنين ذلك في مسألة الزكاة ولنبداً الآن بالبحث في مسألة ركعات الصلاة. قال الله تعالى (وإننا خبرتهم في الأرض

فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا وإن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً* ولذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إلى آخر الآية . فيتضح من هذا الآيات الكريمة . أن قصر الصلاة مباح في السفر إذا خفنا العدو . وأن صلاة الخوف للإمام ركعتان فقط والمؤمنين واحدة يصلي نصفهم الركعة الأولى معه ثم يصلي النصف الآخر الركعة الثانية . وهذا هو المتبادر من القرآن الشريف وما ذهب إليه ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد فإذا كانت صلاة الخوف ركعة واحدة للمؤمن وظاهر من السياق أن هذا قصر أي دون الواجب فيكون القرض في أوقات عدم الخوف هو أكثر من ركعة أي إن القرآن يفرض على المسلم أن يصلي في كل وقت من أوقات الصلاة أكثر من ركعة ولم يحدد له عدداً مخصوصاً وتركه يتصرف كما يشاء ، وبعبارة أخرى إن الإنسان يجب عليه أن يصلي ركعتين على الأقل وله أن يزيد عن ذلك ما شاء أن يزيد بحيث لا يخرج عن الاعتدال والقصد فإن القل في الدين مذموم وكذا في كل شيء (إن الله لا يحب المفسرين) ومن ذلك تعلم أن عدد ركعات الصلاة غير معين إلا بهذا القدر فقط وهو أن لا تنقص عن اثنتين ولا تزيد إلى درجة الإفراط وبعد ذلك فلهتم الاختيار فيما يفعل على حسب ما يجده من نفسه ومن وقته ، ولا يجوز له القصر عن الركعتين إلا فيما ذكره القرآن الشريف . والذي يدل ذلك من السنة على أن هاتين الركعتين هما الشان الأكبر في الدين ما يأتي : -

(١) أول ما فرضت الصلاة كان النبي عليه السلام يصلي دائماً ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزاً من إقامته بالمدينة . فان قيل لعل ذلك كان في أول الأمر لحدوث عهد المسلمين بالاسلام فناسب أن يكون التكليف حينذاك خفيفاً قلنا إن اليهود في طابع البشر أن يكونوا غشواً في دين جديد شديد الرغبة في القيام بجميع واجباتهم الدينية ويطالبون المزيد . وكما طال عليهم العهد أخذوا في التهاون فيها . ولذلك كان المسلمون في أول الاسلام يقومون الليل بعضه إن لم يكن كله . وكما ازداد اضطهاد المشركين لهم كما ازدادوا رغبة في الصلاة فلو كفوا بأكثر من ركعتين في أول الأمر لوجدوا في أنفسهم من الرغبة الشديدة في العمل ما لا يجدونه فيما بعد وخصوصاً لأنهم كانوا غير مكلفين بالجهاد ولا بغيره كالصوم والحج وغيرها . ثم لو سلمنا أن التخفيف في الصدر الأول كان لمراعاة جانب المسلمين الحديثي العهد بالدين وهم إذ ذاك قفر قليل فلماذا

لا يراعى جانب من دخل في الدين فيما بعد وقد كانوا يمدون بالملايين؟ فلهذه الاسباب نحن نخذ هذه المسألة دليلاً على أن النبي ما كان يكتفي بالركعتين في ذلك الوقت إلا لبيان أنها أقل الواجب ثم زاد عليهما فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى .

(٢) إن النبي لما زاد عدد ركعات الصلاة كان يقتصر على ركعتين في سفره ولو لم يكن هناك خوف من العدو . ولو كان السفر قصيراً جداً . ولو أقام بالحجة التي سافر إليها بضعة عشر يوماً وزال عنه التعب . ولو كانت الزيادة واجبة لمدتها تهاوناً وخصوصاً لأن القرآن لم يبيح القصر الا عند الخوف من العدو ولكنهم يقولون تحكماً إن هذا هو القصر المراد في القرآن ولا يبالون بمخالفة الظاهر منه ونحن نسمي ذلك (اكتفاء بالواجب) محافظة على مقام القرآن الشريف ولا نقول في قوله تعالى (إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أن هذا القيد في الآية المذكورة آتياً لا مفهوم له كما يقولون اتباعاً لمذاهبهم .

(٣) كان عليه السلام لا يجبر بالقراءة في الركعتين الاخيرتين وإن جبر في الاولين ولا يقرأ فيهما بعد الفاتحة شيئاً من القرآن فهل يدل ذلك على أن منزلتهما أقل من الركعتين الاوليين

(٤) إنا إذا نظرنا الى عدد الركعات التي كان يصليها النبي في أوقات الصلاة مع قطع النظر عما سماه المجتهدون سنة وما سموه فرضاً نجد أنه لم يحافظ على عدد مخصوص فكان تارة يزيد وتارة ينقص ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السن وفي التدوير والمستحب والرغبة الى غير ذلك من التقسيمات والاماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه ولا أحبابه ثم إن عدد الركعات التي كان يصليها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مختلف أيضاً فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات والظهر عشر ركعات أو اثنتا عشرة ركعة . ولكن النبي المطرد الذي نلاحظ أنه ماضى وقفاً أقل من ركعتين ولا قيد بعدد مخصوص وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه كل التأييد .

وأما كونه كان يصلي بعض هذه الركعات في الجماعة ومواظب على ذلك وإذا كانت الصلاة رباعية أو ثلاثية لم يسلم الا مرة واحدة وإذا ترك سهواً بعضها أعاده وسجد لسهو فكل هذه أشياء لا يصح أن يرد بها علينا . أما صلاة الجماعة فهي غير

﴿مبحث الزكاة﴾

نذكر أولا مقدار النصاب من الذهب والفضة والماشية وما يجب في كل من الزكاة حسب ما ورد في السنة المتواترة (١):

النصاب	ما يخرج من الزكاة
(١) من الذهب ٢٠ ديناراً (أي ١٠ جنيهات تقريباً)	نصف دينار
(٢) « الفضة »	٢٠٠ درهم ٥ دراهم
(٣) « الأبل »	٥ جمال شاة واحدة
(٤) « البقر »	٣٠ بقرة عجل قبيح
(٥) « الغنم »	٤٠ شاة شاة واحدة

فالذي يكاد يجزم به العقل أن قيمة النصاب من كل لا بد أنها كانت عند العرب متساوية أي إن من كان عنده ٢٠ ديناراً كان كمن عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جمال أو ٤٠ شاة ولذلك تؤخذ شاة واحدة من عنده ٤٠ شاة وكذا من عنده ٥ جمال. ولو لم تكن جميع هذه المقادير متساوية لكان هناك ظلم ظاهر لبعض الناس دون الآخرين. وبما يرجح أن هذه المقادير إن لم تكن متساوية فهي متقاربة جداً أن المالكا رضي الله عنه جعل القطع ليد السارق مشروطة بسرقة ربع دينار أو ثلاثة دراهم تساوي هذين القدرين وعليه يكون نصف الدينار يساوي ٦ دراهم. وإذا لاحظنا أن ما يؤخذ من نصاب الذهب هو نصف دينار وما يؤخذ من نصاب الفضة هو ٥ دراهم أدركنا أن ما يؤخذ من كل هو متقارب جداً إن لم نقل إنه كان متساوياً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وإذا كان الأمر كذلك كان ثمن الشاة والعجل التبيع هو ٥ دراهم أو نصف دينار أي نحو ٢٥ غرنا جافاً مصرى بالتقريب. وذلك في جسد الإسلام وهي قيمة زهيدة جداً ولا شك أن هذه القيمة تختلف اختلافاً كبيراً بحسب البلاد وبحسب الإزمنة ومن ذلك نعلم أن ما يمتته السنة للعرب في ذلك الزمن لا يصلح لجميع الأمم في الأوقات المختلفة ولذلك لم يرد شيء من ذلك في القرآن مطلقاً لأنه هو الكتاب الوحيد الذي أمر النبي أصحابه بجميع جميع العالمين وبركت أمثال هذه التفاصيل فيه لتصرف كل أمة في الأمور بما يناسب حالها فيجب على أولياء الأمر بعد الشورى ومراجعة نصوص

(١) قوله السنة المتواترة فيه نظر

الكتاب أن يضمو للامة نظاما في هذه المسألة وفي غيرها تسير عليه . ولا يصح أن نحمد على ماوضع للعرب في ذلك الزمن جهودا يبعدنا عن العقل والصواب فان الذي عنده عشرة جنيهاً أو خمسة جمال مثلاً إذ عد غنياً عند قوم فلا يلزم أن يكون غنياً عند الآخرين ثم إن ربع العشر إذ قام باصلاح حال الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والفارين وبالتفقه منه على العاملين على الزكاة والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وفي تحرير الرقاب إذا قام بكل هذه الشؤون في زمن أو بلد فليس ضرورياً أن يكون كافياً كذلك في زمن آخر أو في بلدة أخرى . ومن ذلك تعلم حكمة الله في عدم تعيين شيء من ذلك في كتابه تعالى . وغاية ما ذكر فيه الحث على إعطاء الزكاة وأنها تؤخذ من أصحاب الاموال وأن تعطى من ثمر التخل والزيتون والرمان يوم حصاده ولنا أن قيس على ذلك أن زكاة الاموال تؤخذ سنوياً من أربابها وذكر فيه أيضاً مصارفها التي أشرنا اليها سابقاً

وخلاصة القول في هذا الموضوع أننا يجب علينا الاقتصار على كتاب الله تعالى مع استعمال العقل والتصرف أو ببارة أخرى (والكتاب والقياس) وأما السنة فزاد منها عن الكتاب إن شئتاً علمنا به وإن شئتاً تركناه . وما فيها من الحكم الكثيرة نقبلها على العين والرأس . وكذلك أي حكم من أي مصدر آخر

❖ كلمة في الصوم والحج ❖

أما الصوم فجميع ما اتفق على وجوبه المجتهدون هو واضح في القرآن وكذلك جميع أركان الحج وهنا يناسب أن أذكر شيئاً عن قبيل الحجر الاسود رداً على أعداء الاسلام فأقول

هذا الحجر موضوع في أحد أركان الكعبة وأصله علامة وضمها ابراهيم عليه السلام ليعرف به الركن الذي يتبدأ منه بالطواف والظاهر أنه قطعة أخذها ابراهيم من جبل هناك يسمى أباقيس كما يستخلص من هذه الرواية (إن الله استودع الحجر أباقيس حين أغرق الله الارض زمن نوح عليه السلام وقال اذا رأيت خليلي بيني يتي فآخذه له فلما انتهى ابراهيم لحل الحجر نادى أبو قيس ابراهيم فآخذه عنه فجعله في البيت) فهذه الرواية على ما فيها من الاوهام وكذا غيرها يدلنا على مأخذ هذا الحجر وتاريخه . وقد شوهد أن النبي قبل هذا الحجر وكذا الركن اليماني ولم يقبل الركنين الآخرين لانهما ليسا على قواعد ابراهيم . وهذا العمل هو ضرب

من ضروب العبادة والتذلل لله تعالى وحده كوضع الساجد وجهه على الارض خضوعاً لله وانكساراً مع العلم بأن الحجر والارض لاقية لهما بالرة ولولا سقوط منزلتهما لما كان هناك تعبد في وضع الوجه عليهما . ولم يأت معنى التعبد إلا لوضع أشرف عضوي الانسان على هذين الشئتين الحقييرين تعظيماً لله كمن يقبل أعتاب الملوك أو ذيل ثيابهم ولذلك قال عمر رضي الله عنه (والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) ومع كل ذلك فليس التقييل ركناً من أركان الحج ولم يقل أحد بوجوده ولم يرد للحجر الاسود ذكر في القرآن الشريف مطلقاً ولا لبشر زمزم ولا للشرب منها فلتدع مليهذي به الاغبياء الجاهلون من الطاعنين في الاسلام

بقي علي لايافه موضوعنا حقه أن أتكلم على مسألتين أخريين لورود شيء كثير عنها في السنة وعدم ورود شيء في الكتاب

(المسألة الاولى - قتل المرتد) إنه لم يرد أمر بذلك في القرآن فلا يجوز لنا قتله لجرد الارتداد بل الانسان حر في أن يتقدم ماشاء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأما ما حصل من ذلك في صدر الاسلام فقد كان لضيف المسلمين وقلة عددهم بالنسبة لاعدائهم والخوف من افشاء أسرارهم وإغاة العدو عليهم وتمكينه منهم وتشكيك ضفاف المسلمين في دينهم أو لأن المرتد كان ممن آثاهم وأبيع لهم دمه فلما تظاهر بالاسلام كفوا أيديهم عنه ثم لما عاد عادوا اليه فهذه أسباب قتل المرتد في العصر الاول . أما الآن فإن وجدت ظروف مثل تلك وحصل مثل ما كان يحصل جاز لنا قتله لانه صار ممن حارب الله ورسوله وسمى في الارض بالقساد . قال الله تعالى (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية

وأما قتل المرتد لجرد ترك العقيدة فهذا مما يخالف القرآن الشريف (لا اكره في الدين قديتين الرشد من النقي) وورد في الحديث ما مناه « اناروي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه »

(المسألة الثانية - رجم الزاني المحصن) حدد الزاني في القرآن الجلد . وقد أنكر بعض المعتزلة الرجم وكذا جميع الخواارج واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (فان أنين باخسة فظلمن نصف ما على المحصنات من العذاب) أي ان الاما فأنزنت بعد الا حصيان فاقب نصف

عقاب المحصنة من الحرائر أي تجلد خمسين جلدة . فقالوا لو كان عقاب المحصنات الرجم لكان حد الاماء نصف الرجم والرجم لاصف له . ثم ان القرآن تكلم عن الزنا وحده وعن رمي المحصنات به وعقوبته وعن العان وكل ذلك بايضاح تام فلو كان الرجم واجباله ذكره الله تعالى في القرآن فهذه حجة هؤلاء القوم . والذي هو له نحن ان الامام لنا وجد ان الامة قاسية غليظة القلوب منتشرة فيها الفسق والفجور ولا يردعهم الجلد ولا يؤثر فيهم خشوتهم وشدهم وخاف على الامة الضعف والانحلال والتساذجazole والحالة هذه ان يقر الرجم عقوبة للنزنا وان يعتبر من اقدم عليه وهو محصن مفسدا في الارض عاصيا لله عاربالله ولدينه عملا بالآية السابقة . وعذر من لم يكن محصنا . وان تكر منه الذنب ولم يردع الجلد جازل لامام ان يقدر الرجم على غير المحصن أيضاً بعد عدد مخصوص من وقوعه في الالم . والخلاصة ان المسألة تركت ليتصرف فيها اولوالامر وليتشاوروا فيها فان كان الفساد في الامة قليلا ويردعها الجلد فيه وان كان المفسدون كثيرين ولا يبالون بالجلد ولا بالدين اوجبوا تهليلهم .

وكذلك ترك القرآن كثير من الحدود واطلق الكلام في قطع يد السارق والظاهر منه ان القطع لا يجب لاول مرة بل يستتاب السارق فان تاب واصبح ولا تقطعت يده .
فهذه افكار في هذه المواضع امرضا على عقلاء المسلمين وعلمائهم وأرجو من يعتقد اني في ضلال ان يرشدني إلى الحق والاكاف عند الله آمنا

الخلاصة

اذا قرر ذلك المذهب فعلى المسلم الآن مطالع كتاب الله تعالى مطالعة إمعان وتدقيق وعمل فكر وان يستنتج جميع ما يجب عليه في دينه ودينه من اعتقادات وعبادات وأخلاق ومعاملات فان في هذا الكتاب الهداية والكفاية وسامعنا لذيها والآخرة
ومن اقتصر عليه علم سخافة من عابا لاسلام بأشياء ألصقت به وليس منه . قالهم اهدنا بكتابتك . وأنهم من أسراذك . واقترح عيتنا وأثر بصارتنا . انك هادي الضالين مرشد الحائرين آمين . اهـ

(الار) قد سبق للكاتب الى هذا الموضوع غير واحد من المسلمين الباحثين من أشهرهم ميرزا باقر الشهير الذي كان تنصر وصار دعية لمذهب البروتستنت ثم عني بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذهب اليهود ثم عاد الى لاسلام باجتهاد جديد ودعا اليه في انكثرا بشيرة وعزم شدة . وقد ذكرني الكاتب في هذا الموضوع مرارا وكذلك رفيقه الدكتور عبد افندي ابراهيم فأشرت عليه بعد البحث في كثير

من جزئياته ان يكتب ما يراه تعرضه في المنار على العلماء والباحثين فننظر ماذا يقولون ثم نقف عليه بما تقدمه فنحن ندعو علماء الأزهر وغيرهم لبيان الحق في هذه المسألة بالدلائل ودفع ما عرض دونه من الشبهات فان المحافظة على الدين في هذا العصر لا تكون بالنظر في شبهات الفلاس اليونانية او شذوذ الفرق الاسلامية التي اقرضت منها بها وانما تكون باقتناع المتعلمين من أهله بحجة الدين ودفع ما يعرض لهم من الشبهات على أصوله وفروعه الثابتة وأهونها ما يعرض للمعتدين المستسكين كتاب هذه المقالة فاني أفرضه سليم العقيدة مؤمن بالالوهية والرسالة على وفق ما عليه جماعة المسلمين مؤدبا لفریضة وانما كان إقتناع مثله أهون على علماء الدين لأنه يعد النص الشرعي حجة فلا يحتاج مناظره لاقتناعه بالالوهية والرسالة ليحتج عليه بنصوص الوحي

وانني أعجل بأن أقول ان أظهر الشذوذ في كلامه ما قاله في مسألة الصلاة فان النبي صلى الله عليه وسلم حين لا تنزل بقوله وفعله كما ثبت بنص القرآن وقد تواتر عنه ما يفيد القطع بأن الصلاة المفروضة هي ما بعده جميع المسلمين اليوم فرضا والكتاب لم يستثن عن السنة في بيان دعواه ان الفريضة ركعتان وغير ذلك ولا طيل في المسألة الآن وانما ذكرتها لثلاث تلحق شبهتها بأذهان بعض القراء فيطول عليهم العهد باجواب عنها ومنفصل القول في الموضوع بعد أن ننظر ما يكتبه العلماء من بيان ما يجب عليهم او السكوت عنه ونحب أن يكون معظم ما يكتب في أصل المسألة لافي الامثلة التي اوردتها والله الموفق

رد على الشيخ نجيت

وعبائنا ثلاثة قرأنا نكف عن الرد على الشيخ نجيت أحدهم صديق لنا في القاهرة يرى ان كل ما يكتب في المنار أوقع من هذا الرد فيني اختيار الأضعف وتقديمه على ما دونه. والثاني أحمد أفندي وجدي أحد طلاب مدرسة الحقوق كتب اليامن السويس كتابا اتنى فيه على المناوذة كمن قاعده ما ذكر ورأى ان هذا الرد من المسائل الشخصية التي لا تليق به ولا ترتاب في اخلاص هذين التامحين الثالث مجهول أرسل الينا رقبا من الاسكندرية كله سباب وشتم وحكم على قلبنا وسريرتنا ومما قاله ان الشيخ نجيت اعترف في رسالته الثانية بأنه أخطأ ولكنه أعان أن يدري خطأ من هو عفا كان يجوز بعد هذا ان نعي داله

بيان فضيحتة أو ما هذا معناه ولو لا هذا المعنى لم نذكر هذا الكتاب الجبان السباب قبيحاً بالجواب عن هذه الكلمة وإن لم يستحق كاتبها جواباً فنقول لو أن الشيخ نجيت اعترف بخطئته في قوله أن خليفة المسلمين يجوز أن يكون كافراً أو بأن حديث ابن ماجه الذي احتج به لا يحتاج به لأن سنده لا يصح ومنته لا يدل على ما قاله في رسالة السكوت رآه لكفنا عن الرد عليه وإن نزلنا بالقباح الجبل والحسد و... فالتسنا من يتصرف لنفسه دون الحق وقد سبنا كثير من السفهاء في الجرائد وسمى كثير من المفسدين في أيدينا ولم يقل في أحد منهم كلمة سوء أو تصاروا أو تقاماً وقد هضم أناس حقوقنا المعنوية وكل آخرون ما لنا بالباطل فلم يقل في أحد منهم كلمة ولكننا قد اتقدنا غير مرة على اصداقنا وفي هذا الجزء وما قبله شيء من ذلك

وفي مقابلة هؤلاء الثلاثة نرى كثيرين من أهل الأزهر وغيرهم من أهل الرأي والفضل قد استحسنوا هذا الرد وعده من أفضل طرق الإصلاح وخدمة العلم في زمان كثير فيه التهمج على التأليف واعتادت الجرائد مدح كل تصنيف لا سيما إذا كان لصاحبه حظ من الشهرة وكفل من الجاه في ذلك من النش للامة ما فيه وما زال المشتغلون بالعلم يرد بعضهم على بعض ونحن الآن أحوج إلى هذا منا في الزمن الماضي لما في نشر المصنفات الضارة بالطبع من عموم الضرر والاقتصاد

ثمود الناس عندنا قراءة رد بعض الجرائد على بعض في مسائل السياسة والأخبار ولا يرون مجرد الرد دليلاً على الصداقة الشخصية ولم يتعودوا مثل هذا في مسائل العلم والدين وإن كان ضرر الخطأ في هذا أشد لذلك توهم بعض الناس أن بيننا وبين الشيخ نجيت عداوة لا سيما بعد نشر ما نشر في المؤيد فاسرع اليانا بعض مبغضيه يذكر ونلنا من السيئات ما لا نحب أن نسمعه ان صدقناهم فيه فكيف نرضى ان نذكر في المنار ومنه ما يتعلق بالمعاملات والمال وليس من شأن المنار الخوض في ذلك

ثم ان المنار لم ينشأ للبحث في الدين فقط كما نسمع تارة بعد تارة من المفتائين علينا بأهوائهم ولكن باب الأخبار الذي فتح فيه من أول نشأته لا يدخل فيه الا ما كان فيه عبرة وموعظة للامة

فليعلم القاصي والداني أنه لا عداوة بيننا وبين الشيخ نجيت وانا لا نحب ان نسمع عنه شيئاً مكروهاً وأن ما يتفق لنا سماعه نطويه ولا ننشره الا أن يكون مما يؤيد حجتنا في المسائل العلمية والدينية التي تناظره فيها اذ لا محاباة في العلم والدين هذا وقد سبق إلى فهم صاحب المؤيد ان ما كتبنا من في الجزء الماضي يشعر بأنه هو الذي

أخبرنا بأن الشيخ نجيتا هو الكاتب لما كان نشر في المؤيد بمضاء (ثابت بن منصور) فكتبنا اليه ميينين اتنا لم نقصد ذلك وأن العبارة لا تدل عليه بل فيها ما يدل على أن ذلك كان معروفاً لغير واحد . وأزيد لأن أنه كان في المقالة التي نشرت يومئذ في المؤيد رداً على ثابت بن منصور إشارة إلى أن الشيخ نجيتا هو الكاتب لها لا أزال أذكرها وهي :
لوان الشيخ ثابت بن منصور ركب مركبة لتنقله من الخرقةش إلى الأزهر وكان سائقها لا يعرف جغرافية القاهرة فسار به إلى جهة باب الحديد ما كان يقوته الدرس : أو ما هذا مصناه فذكر خروجه من الخرقةش كان إشارة من الكاتب إلى أن ثابت بن منصور هو الشيخ نجيت . وانا نعرف كثيرين كانوا يعلمون ذلك ومنهم بعض اساتذة المدارس الأميرية كان المقصود من كتابي إلى المؤيد أن أبرأ من اتهام صاحبه بأنه هو الذي أخبرني بأن ثابت بن منصور هو الشيخ نجيت وليس فيه كلمة تشير بانتقاد الشيخ نجيت وانظر ما كتبه هو إلى المؤيد فانا ننشره لمأقيه من العبارة في اللفظ والقوى ' وكثرنا الأدب وقلة الدعوى ' ولقائده تذكرة بعد وهو

♦ بيان حقيقة ♦

صاحب المؤيد الأغر سعادتلوا أفندم حضرتاري
وهدفاني أرجو نشر ما يلي بجرادة المؤيد إظهاراً للحقيقة ودحضاً لما افترى به علينا ونشرعوه بها
قد رأيت بعد ديسمبر ١٩٥٦ و ١٩٥٧ من جريدة المؤيد أن صاحب مجلة المنار قد ادعى أنني كتبت رسالة لجريدة المؤيد ونشرت بها سابقاً تحت امضاء (ثابت بن منصور)

وحيث أن هذه الدعوى باطلة عاطلة وتضاف إلى غيرها من دعاويه علينا وعلى غيرنا ولا يستطيع أن يأتي بواحد يزعم أنني خبرته بأنني كاتب الرسالة المذكورة ولا أن يقيم حجة ولو أوهى من بيت المنكوت على ذلك
وحيث أنه يجوز أن يكون المبعضين إليا قد افترى ذلك علينا لبشوه وجهه الحقيقة الساطعة يربدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأنني الله إلا أن يتم نوره ويمكن المؤيد أن يراجع الحقيقة ليعلم أنني لم أكتب له هذه الرسالة كما أنه لم يسبق لي أني كتبت المؤيد ولا غيره من الجرائد في شيء ما أصلاً فقد جئت

الى جر يدتكم الفراء بهذه السطور الوجيزة لنشرها بها دحفا تلك المقتريات . ولو اني
كتبت أو اكتب الى جر يدة لكتبت باضافتي وحاشا أن أكتب بامضاء مجهول مستعار
فاني ممن يعتقد أن التجمل جمالة لا يرضاها لنفسه عاقل ولا يقدم عليها الاخائف أو جاحل
ولكن الدعاء في المختلفة على الناس قد صحت بها البلوى سلفا وخلفا حتى قال الشاعر قديما

لي حيلة فيمن ينم وليس في الكذاب حيلة

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليلة

وقتنا الله لصدق في القول والاحلاص في العمل ووقانا شر الخطأ والخطل فانه سبحانه

بيده العصاة وتمام المنه والنصحة كتبه محمد بن محبت المطيعي

الحنفى بالازهر

(المناظر) كنت أتمنى لو يعلم الشيخ بنحيت موقع كتابته هذه عند أهل الفهم
والمعرفة بالكتابة وما ذا قالوا في فقد بعض المفردات والاسلوب الذي اكتبه
من المحكمة ولكنهم لم يبتدوا الى متعلق «وحيث وحيث» في كلامه . ونقول اذا
كان الشيخ نفسه يجهز أن يكون بعض المبغضين له أو (اليه) قد افترى عليه ذلك
وأخبرنا وصدقناه فلماذا جزم باننا نحن الذين افترينا عليه هذه الفرية

هذا مالا ينبغي ان نطيل فيه وأهم ما أقصد بنشر رسالته هذه بيان أنها تدل
على رجوعه عما كان يقوله في دروسه ومحالسه في شأن الكتابة في الجرائد فقد بلغنا
من طرق كثيرة أنه يقول بأن الكتابة في الجرائد محرمة لأن الجرائد عرضة للاهانة
واهانة ما يكتب فيها محرم لاسيما اذا كان فيه اسم من أسماء الله تعالى أو أسماء
أنبيائه وملائكته أو شيء من القرآن أو الاحاديث . وها نحن أولاء نراه كتب
في جر يدة كتابة مشتملة مع اسم الله تعالى على شيء من كتابه العزيز . فإن كان
ينكر أنه قال بتحريم الكتابة في الجرائد حتى فيما هو دفاع عن الاسلام وتأيد
له كالرد على هاتون (مثلا) فاننا نسلم له انكاره وحسب الناقلين ذلك عنه أن
يمروا أيها الصادق كما عرف الناقلون عنه أنه هو الذي كتب بامضاء ثابت بن
منصور أيها الصادق . وان ادعى ان رأيه واعتقاده قد تغير فاننا نسلم ذلك ونشكره له .
هذا وقد ضاق هذا الجزء عن بقية الرد عليه في مسألة الامامة وموعدها بالاجزاء الاكثية

﴿ رأي في اللغة العربية . وأغلاط الكتاب ﴾

وعدنا في الجزء الماضي ان نبين شيئا مما خالف القياس فيه جبرأفندي ضومط
 تساهلا في القياس وحبا في سمته لاجهلا ولا ضعفا في اللغة وفونها واننا نقول قبل
 ان نورد مالا مندوحة لنا عن ابراده ان مثل هذه المخالفة والحطأ مما نراه في كلام
 جميع كتاب العصر الذي نطلع عليه ولا أستثني التقادين الذين بذلوا جل عنايتهم في
 في التحرير والتصحيح وانا أقر بأنني كثيرا ما أراجع بعض مباحث المناظر السابقة
 فأجد فيها من الغلط ما أعلم ان علته السهو العارض أو الجهل السابق لا مجرد تحريف
 الطبع واكثر ما يقع لنا من ذلك استعمال كلمة عامة أو جمع غير قياسي أو تعدية فعل
 بما لم تعد به السرب ونحو ذلك مما يكثر في الجرائد والمطبوعات المصرية ونقرأه
 كل يوم فيعلق منه باذهانا ما يعلق على انتقادنا له فيسبق الى أقلنا . اعتذر
 بهذا عن نفسي وعن غيري من العارفين باللغة وأنى لمثلي أن يسلم من مثل هذه الاغلاط
 الفاشية وهو ممن يكتب المقال فيلقيه الى عمال المطبعة ورقة ورقة من غير ان يبد
 اليه النظر أو يقرأ منه سطرا ابتغاء التصحيح والتحرير وأما تصحيح الطبع فانه
 يشغل صاحبه عن كل ماعداء حتى لا يكاد المصحح يفهم ما يقرأ كأن قوة ذهنه
 كلها توجهت الى النظر في صور الكلام ومحاولة تطبيقها على الاصل الذي طبع المثال
 الذي يراد تصحيحه عنه

أقول اتى لم أسلم من الغلط ولم أر أحدا من كتاب العصر سلم منه ولكن
 أصحاب الملكات القوية والاطلاع الواسع في اللغة يقل غلطهم جدا حتى ان العالم
 النقاد ليقرأ لاحدم عدة فصول لا يجد فيها غلطة وهو لا يقلون في كتابنا اليوم
 وأكثرتهم من لا تقرأ لاحدم بضعة أسطر الا ويسر ذهنك بغلطة ويرتبك فهمك عند
 جملة ولا أرى من الصواب اضاءة الوقت في الانتقاد على هؤلاء ولكن الانتقاد على هفوات
 الكتاب البارعين والعلماء الراغبين ، وعلى المتوسطين بينهم وبين أولئك المتطولين ،
 هو الذي يحجب اللغة ويرقى بها الى أعلى عليين ، وإعلاء شأن اللغة واجب في نفسه
 لا ينسخه وجوب انتقاد المصنفات من جهة موضوعها ومائلها فاذا قام بهذا قوم
 وبهذا آخرون رجب لنا ان نرتقي في العلوم وفي اللغة التي تؤدي بها العلوم ولكن جبر
 (المجلد التاسع) (٦٧) (المناظر ٧)

أفندي لا يحفل بانتقاد اللغة بل يكتفي بأن يكون ما يكتب مما يفهمه القارئ وإن مزج بالالفاظ العامية التي ليست من اللغة وبالأغلاط النحوية وأبق من أساليب العرب وهذا هو ما انتقده عليه وقول أنه يجب على كل كاتب أن ينبس أئمة اللغة وفنونها فيما قرره فلا يقيس على السماعي ولا يخرج في القياس عن حدوده ولا يدخل الكلمات العامية المحضة في كتابه ولا بأس بغير المحضة وهو ما كان عربي الاصل وهو أكثر كلامهم على تعريف فيه سهل نصحيحة ذلك ان التساهل وترك الامر فوضى للكاتبين بدعوى العناية بالمعاني مما يفسد اللغة بما يجري الجهلاء والضعفاء على التأليف مع كثرة غلطهم ودخيلهم ويثني همسة غيرهم عن التحصيل والاتقان

يرى جبر أفندي ضومط ان هذا التساهل ما نحتاج اليه ونحن نمنع ذلك على اطلاقه كما علم من الجزء الماضي وإنما تريد ايراد بعض ما وقع له من الخطأ وإن كان لا يهكاد يسلم منه أحد منا لتبين أنه لا حاجة اليه فيقال ينبغي أن نجيزه للحاجة وإن في الصواب الذي لا نزاع فيه مندوحة عنه وليعلم الذين ينتقدون بعض عباراته في كتبه ان جل ما يرونه فيها خطأ براه هو صواباً فهو لم يأنه عن جهل (حاشاء من ذلك) فلا أريد بما أوردته من الامثلة تحرير مسائلها والجزم بأنه لا يمكن تأويل شيء منها ان أريد الا أنه خالف القياس المعروف لمحض التساهل من غير حاجة اليه

أول ما خطر في بالي ما انتقد عليه في كتبه قاعدته التي بنى عليها كتاب فلسفة البلاغة وهي على ما أذكر (الاقتصاد على فهم السامع) فالإقتصاد لا يتعدى بعلي والمعنى المراد من القاعدة لا يفهم منها بذاتها بل بما شرحها به ولو قال التوفير بدل الاقتصاد لكانت العبارة صحيحة اذ يقال وفر عليه وإن لم تخل من توسع في افادة المعنى المراد هو بما يعهد في المواضع بل لو قال (القصص في كد ذهن السامع) لم له ما أراد ولم يعد الفعل بما لا يتعدى اليه في لغة العرب فكل عالم باللغة يفهم هذه العبارة لأول وهلة من غير كد للذهن ولكن عبارته لا تنكاد فهم مع كد الذهن الا بعد الوقوف على ما فسر بها به فما لا خطأ

فيه هو الذي يتفق مع القاعدة ومثله من يعلم ان اقتصد لا يتعدى بلى ولكنه الساحل الذي اتخذ مذهباً

ومن مخالفة القياس في مقالته (انتقاد فتاة مصر) قوله (كما في ص ٥٤٥ من المتكطف) : والتحم فيها على الخراب : لا يقال في اللغة تقيم عليه كما يقال هجم عليه وإنما قالوا تقيم الفرس يصاحبه اذا ند به فلم يضبط رأسه واذا ألقاه راكبه فكان ينبغي ان يقول : وتقمعا أو تقيمها بنا في الخراب :

ومنها قوله في ابتداء كلام (أولا الانتقاد النحوي) ثم قوله (ثانياً الانتقاد البياني) الخ وهو يكثر من مثل هذا في كتبه تساهلاً في مجازاة كتاب الجرائد وأمثالهم وهذا غير مهود في الكلام العربي الصحيح أو الفصيح ولا يمكن اعرابه الا بتكلف لا حاجة اليه لمكان الاستغناء عنه بقولنا (الاول كذا . الثاني كذا) وقد استعمله في أثناء الكلام كما يستعملونه ومنه قوله (في ص ٥٤٥) وفيه مثال آخر : وأنها أجدر كتاب لحد الآن يحسن بنا أن نضعه بين أيدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأونه أولاً لمسا فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير : الخ وتأتي أجزم بأنه لولا رأيه الذي ذكرت لما سقط من قلمه مثل هذه الجملة التي لا تنكاد تنطبق على قاعدته فيما أرى ولا أظن ان العالم بالعربية في الهند وبنجاري وروسيا وتركيا يفهمها كما يفهمها من أنف هذا الاسلوب واعتاد قراءة مثله من سوري ومصري

ومنها ابتداءه الكلام بالمعطف كقوله « واكثر كتابنا » وادخال قد على الفعل المنفي كقوله : قد لا يعد ، قد لا يعقل ، قد لا نخلو ، وكان يمكن ان يستغني عن الواو ويستبدل ربما بقدر لا فائدة التقليل ولكنه يكتفي باستعمال الناس مجوزاً وقد استعمل المنطقة قد مع النفي في القضايا الشرطية السالبة وهو يحتاج بمن دونهم في الاستعمال كابن الفارض وابن عابدين

ومن المفردات قوله (في ص ٥٤٧) « صيف الاحرف » وكلمة صيف لم يتفق عليها عمال المطابع فنقول انه اتبع العرف وان كان عامياً ولا هي من الكلمات التي لا يوجد في العربية ما يفني عنها اذ يمكن ان يقال مرتب الحروف أو جامع الحروف — وعامة المصريين يقولون جسيم ومنهم من يكتبها جامع بصيغة المبالغة —

ومنها قوله (في ص ٥٥٢) «مقاسة» والصواب مقيسة ولعل هذا من السهو أو غلط الطبع ومثله قوله (ص ٥٥٤) يصوغ بالصاد
وأما الالفاظ التي صححها وتمحل لجعلها قياسية فلاحاجة الى استعمال تلكا نفوا
منها مع كثرة ماورد في معناها وقوله في تعليل قياسها على تظاهروا : إن وضع
الكثف للكثف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر
للظهر : فيه نظر اذ لانسلم ان معنى تظاهروا في الاصل وضع كل ظهره الى ظهر
الآخر والاظهر ان معناه كان كل منهم ظهيرا للآخر أي معينا والظهير المعين والقوي
الظهر ولعل هذا هو الاصل ولما كان قوي الظهر من الابل والدواب مما يعتمد
عليه في الاعانة سمي المعين ظهيراً . ويجوز ان يكون من المظاهرة بين الثوبين
ونحوها أي المطابقة بينهما لان المظاهرين يكونان كشيء واحد أو هو من حماية
الظهر وهو معهود عندهم فعاونك يمنع عنك من ورائك وانت تمنع عنه من الامام
من حيث يمنع كل منكاعن نفسه وهذا نحو جملة من وضع الظهر لالظهر ولكنه أظهر في
التعاون . ومن ماشاك كتفا الى كتف لا يفهم من مماشاته لك انه يمنع عنك
ويعاونك كما يفهم ما تقدم .

وما قاله أيضا في تصحيح استعمال لفظ العائلة بمعنى الأكل أو العشرة غير
ظاهر فان العائلة وصف لمحدوف معروف أي الجماعة التي تمقل ابل الدية عن
القاتل من عشيرتها فاذا كانت العائلة من عال عياله بمعنى كفاهم معاشهم ومأنتهم
يكون معنى الكلمة : الجماعة العائلة أي المنفقة : وأما المنفق هنا واحد وهو العائل
والمنفق عليهم هم الجماعة أي البهال ومثل هذا يقال في تعليله الآخر ولو قيل ان
الكلمة محرفة عن العائلة بابدال القاف همزة كدأب العوام لم يكن بعيدا

هذا ما يأتي به التساهل وهو اذا كان سهلا في نفسه ويمكن تأويل بعضه
فهو عظيم من عالم يعد من أوسع علماء اللغة اطلاعا في هذا العصر فاذا نقول في
كتابة جماهير المعاصرين الذين لانكاد نفهم كلامهم لولا معرفتنا باللغة العامية
على ان منه ما لا يفهم منه القرض المجمل الا بمعونة القرائن . فاذا كان صديقنا
يجعل المعيار في جيد الكتابة ورديتها فهم القارئ فليبه ان لا ينسى ان العبرة

بالقارىء العارف بالعربية الصحيحة المدونة المقروءة دون العامية التي تختلف باختلاف البلاد. فإذا كان فهم المصري لا يقف في فهم قول بعض الكتاب في بعض الصحف « المرأة التي عندها أطول شعر من غيرها » فإن فهم الحجازي والتجدي والعراقي وكذا الاناطولي والقوقاسي ونحوهما من الاعاجم الذين تعلموا اللغة من الكتب لا يدرك المراد منه مهما كد ذهنه ولعل أقرب ما يخطر لامثال هؤلاء بعد طول التأمل ان معنى الجملة « المرأة التي يوجد عندها في الدار مثلاً أطول شعر هو من شعور غيرها لا من شعرها هي » وانما أراد الكاتب أن يقول « أطول النساء شعراً » فمن تأمل هذا جزم بأنه لا يجوز لنا ان نخالف القواعد والنقل في اللغة - مفرداتها وجملها وأساليبها - الا لضرورة يقدرها علماء هذا الشأن بقهرها . واثني أميل الى مخالفة المتقدمين في بعض ما قالوا انه سماعي ولكنني لأجيز لنفسى الانفراد بذلك واستعماله لغير ضرورة حتى يوفق الله علماء هذه اللغة تأليف جمعية تهض بهذا العمل وعسى أن يكون ذلك قريباً

— كتاب مرجليوث في النبي صلى الله عليه وسلم —

ألف الدكتور مرجليوث لانكليزي المستشرق كتاباً بلغته في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قال في مقدمته انه يعد النبي محمداً من أعظم الرجال وأنه حل معضلة سياسية هي تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب وأنه يحله وبودي له ما يستحقه من التعظيم والتبجيل ولا يقصد بتأليف كتابه الدفاع عنه ولا ادانته كأفضل غيره من كتاب المسلمين أو النصراني فليس من غرضه تفضيل الدين الاسلامي على غيره ولا تقييحه والطمع فيه . ومن علم ان هذا المؤلف عرف اللغة العربية معرفة قلما يساويه أحد من الفرنج فيها واطلع على كثير من كتب المسلمين يظن ان فهمه للاسلام وتاريخه أدق من أفهامهم فهو أجدر بالقدرة على بيان الحقيقة ولكن قراءة بعض ما كتب تكفي للذهاب بهذا الظن

يحول بين الافرنج وفهم الاسلام وتاريخه أمور اذا سلم بعضهم من بعضها فيندر ان يسلم منها كلها أحد (منها) تأثير ما نربوا عليه ونشئوا فيه من كراهية

الاسلام واحتقار المسلمين تعصبا لدينهم . ومن ختم على شعوره ووجدانه من أول نشأته بخاتم نمر عليه فضة فان هو فضه تعسر عليه محو أثره وان هو نزع ربة التقليد ، وأوى الى ركن الاستقلال الشديد ، وناهيك اذا كانت حياته الاستقلالية .
تؤيد ذلك الشيء اصلحة سياسية ، وهذا هو الامر الثاني ويانه أن حرص الأوربيين على الفتوح والغلب وشربهم في الكسب من الشرق وماتكن صدورهم من الضغن والحقد على جيرانهم من أهله كل ذلك مما يصرف أبصارهم عن محاسن الاسلام حتى لا يكاد يقع بها الا على ما يمكن انتقاده ، الا أهل الانصاف الكامل الذين انسلخوا من تأثير التقاليد والسياسة ووجهوا ككل عنايتهم الى معرفة الحقائق وقليل ما هم

(ومنها) وهو الامر الثالث سوء حال المسلمين في هذه القرون التي ارفع فيها شأن أوربا في السياسة والعلم والعمران قد أمسى المسلمون حجة على أنفسهم وعلى دينهم كما بينا ذلك مراراً

(ومنها) ما تعودوه من الجراءة على الحكم في المسائل التاريخية وكل ما هو غير محسوس بالقرائن الضعيفة واستنباط الامر الكلي من أمر جزئي واحد واختراع العالل والاسباب للحوادث بمجرد الرأي والتحكم (ومنها) عدم اتقانهم لفهم اللغة العربية وفنونها اللغوية والشرعية لانهم لا يتلقون كل فن عن الاساتذة الماهرين فيه . وقد ينبغ المحصل لبعض العلوم باجتهاده دون التلقي عن الاساتذة المهرة حتى يبرز على كثير من تلقى ذلك العلم ويظهر فضله عليهم ثم هو يخطئ فيما لا يخطئ فيه من هو دونه في التحصيل من أهل التلقي . وقد سمعت رجلا من أعلم المستشرقين بالمريية وأدقهم فيها لما يقول ان المسلمين يقدمون الحديث على القرآن فاذكرت عليه ذلك فاحتج بكلام علي لابن عباس (رضي الله عنها) لما بعثه للاحتجاج على الخوارج وهو : لانخاصهم بالقرآن فان القرآن حال ذر وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محبسا : اه فقلت له ليس المراد بالسنة هنا ما اصطلاح عليه المحدثون والفقهاء وإنما المراد بالسنة الطريقة التي جرى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العمل فلهذه هي التي لا محيص

عنها لانها لا تحتل التأويل ولا القال والقيل وأما الاحاديث القوية فان التأويل ينال منها كما ينال من القرآن أو يكون أشد نيلا ومن ذلك تأويل عمرو بن العاص الحديث الناطق بأن عمار بن ياسر قتلته الفئة الباغية بقوله : إنما قتله من أخرجه ! يعني عليا فقال علي إذا ما قتل حمزة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الذي أخرجه . ولم نعلم أن أحدا من المسلمين قوبهم وضعيفهم وتبعهم ومبتدعهم فهم من كلمة علي كرم الله وجهه ما فهم هذا العالم المستشرق

وجملة القول ان المنصف من الأوربيين يعسر عليه ان يفهم الاسلام حق فهمه بمجرد الوقوف على فنون العربية والاطلاع على كتبها فبالك بغير المنصف وغير المتقن . وسرى فيما ننتقده على الدكتور مرجليوث أن السبب في أكثر غلطه وخطاه في هذه السيرة هو اتحكم في الاستنباط والقياس الجزئي وبيان أسباب الحوادث كما هو شأنهم في أخذ تاريخ الاقدمين من الآثار المكتشفة واللغات المنسية وأقله عدم فهم اللغة والافهم من أعلمهم ومحبي الاعتدال فيهم واننا نبدأ بتجريح قوله وأقربه من الصواب

ذكرنا ما قال في مقدمة الكتاب من أنه يعد النبي محمدا من أعظم الرجال النخ وما عده له من المآثر غير تكوين دولة عظيمة من قبائل العرب أمرا عظيما أحدهما وجوب حسم المسائل التي تتعلق بسفك الدماء بغير الحرب والثاني أنه اذا ثارت الحرب يجب الحصول بسرعة على النتيجة لأن تعاد الحرب وتكرر بدون جدوى (راجع ص ٥٥) منه

ومما اعترف به ان النبي كان صادق الكره للشعر والسجع قال ولعل السبب في ذلك أنه لم يتعلمهما ولم يكن للعرب من أساليب الانشاء سواهما : قال هذا في ص ٦٠ وفيه رد على ما نقله في ص ٥٥ عن ما يور في قوله ان أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان في التعبير وأنه ان صح ذلك فلا يبعد ان النبي مارس هذا الفن حتى نبغ فيه : أقول ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم غني بذلك أو مارسه لعرف ذلك عنه ولظهر أثره في لسانه في سن الشباب ولكن لم ينقل عنه قبل النبوة شيء من ذلك قط ولم يكن يوصف بالفصاحة

والبلاغة بل كان يوصف بالصدق والامانة وأحاسن الاخلاق فقول المؤلف هو الصواب

وما خلط فيه الثناء بالاتقاد قوله (في ص ٦٣) ان النبي بين لقومه بيانا مؤكدا ان الكسوف والخسوف لا يكونان لأجل امرئ مهما علا قدره ولكنه مع ذلك عددها أمرا ذا بال وأنشأ لهما صلاة مخصوصة : ونقول ان في بيانه هذا منقبة غير مجرد بيان الحقيقة وتطهير العقول من الوهم وهي أنه لم يرض ان يعظم شأنه بالإطل فقد قال ذلك يوم مات ولده ابراهيم عليه السلام وكسفت الشمس فظن الناس انها كسفت لأجل موته فأخبرهم صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله أي من دلائل حكمته وقدرته كما يبين ذلك في آيات من كتابه كقوله (٣:٥٥) الشمس والقمر بحسبان) وأنها لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة والحديث في البخاري وغيره . وأما أمره بذكر الله والصلاة عند الخسوف والكسوف فذاك لان أهم أغراض الدين التذكير بقدرة الله تعالى وحكمته وتوجيه القلوب اليه بالشكر والدعاء وتأثر القلوب بذلك عند حدوث مظاهر القدرة والحكمة والنظام أقوى وأكمل ولذلك كانت مواقيت الصلوات الخمس متعلقة بما يحدث من التغير في الطبيعة كل يوم ليلة كطلوع الفجر وزوال الشمس وميائها وغروبها وزوال أثر ضوءها بمغيب الشفق . ولذلك شرع الذكر والدعاء ايضا عند نزول المطر فالدين يرشد الناس الى ذكر الله تعالى عند كل حادث يذكر بقدرة وحكمته كيلا ينسوه فغلب عليهم حيواتهم فيفترون بعضهم بعضا

وما اعترف به من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم وحار في تعليقه على اتساع دائرة التعليل عنده كما ستعلم ما قاله في ص ٦٣ ايضا وهو : انه كان له وسائل لمعرفة الاسرار نعجز عن ادراك حقيقتها وان الطبيعة دون الخنكة أعطته موهبة يحسد عليها ألا وهي معرفة طبائع البشر قلبا أخطأ في معرفة أحد بل لم يخطئ قط : ونحن نقول ان الله الطبيعة هو الذي فضله بذلك ليستعين به على هداية البشر وقد كان ذلك وما النبوة الا تخصيص السهي غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات الى النور فما هذه الحيرة في التعليل ، والا تقطع في وسط السبيل

ومما حار في تعليله وهو من هذا القبيل سبب شروع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة فقد قال (في ص ٧٢) : يستفاد من تاريخ اشهر الرجال أن بدأهم بالأعمال العظيمة كان لأسباب معروفة تدعو الى ذلك أما النبي فلا يعلم سبب لبذنه في دعوى الرسالة: ونقول لو كان هذا الامر من قبيل تأسيس الممالك لكان يستحيل أن يقدم عليه العاقل من غير أسباب طبيعية تفيد اليقين أو الفان بالنجاح ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قام بهذا الامر العام العظيم الذي هو أكبر من تأسيس مملكة من غير أسباب طبيعية تمهد له النجاح ككثرة المال والمواطاة مع الزعماء والاعوان وسائر أسباب القوة ولا عجب في ذلك فإنه كان معتمدا على خالق الاسباب والمسببات ، وقاطر الارض والسماوات ، الذي يسي أمره بالدعوة والتذكير ، على أنه هو الولي له والنصير ،

وقال (في ص ٧٤) : ان عظمة النبي كانت في أمرين أحدهما معرفة ان الامة العربية تحتاج الى نبي وثانيهما جعل هذه المعرفة ذات أثر : ونقول ان أمر النبوة لم يكن يمثل هذا العمل والتدبير والعمل والتدبير اذ لو كان كذلك لكان الاعتماد فيه على الاسباب الطبيعية وقد تقدم أننا انه لم يكن هناك أسباب اذ لو كانت له رقت لان الاسباب التي تأتي بأعظم المسببات لا تخفى

وقال في (ص ٨٠) سؤالا لا يمكن الاجابة عنهما (الاول) كيف أتت فكرة النبوة لمحمد (ص) ذلك الرجل العربي دون سواء (الثاني) كيف صادفت فيه من الصبر والعزيمة وقوة العارضة ما محققت به ؟ ولكن نقول كما كان يقول كارليل من أيام « تيوبال كين » كان الماء يصل الى درجة التليان وكان الحديد موجودا ولم يوجد من تلك الروايات من الناس من يخترع الآلات البخارية : ونقول نحن انه ذهل عن الفرق العظيم بين اختراع الآلات البخارية وبين النبوة فان أول من لاحظ أن البخار الماء قوة يمكن استخدامها لرفع والدفع مثلام يهتد الى استخدامها في تسيير المراكب البحرية والبحرية ونحو ذلك وأما وصل الناس الى هذه الغاية بتدرج بطيء يفي فيه اللاحقون على ما وضع السابقون والنبي ادعى النبوة وجاء بالشريعة فقررها بالكتاب والعمل وجذب الناس فم له تكوين دين

وشريعة وأمة أحدثت بهدايته دولة قوية ومدنية تراقية
وقال (في ص ١٤٤) ان النبي كان يعتقد في نفسه أنه كاحد أنبياء بني
اسرائيل : ونقول ان هذا ينافي مازعم في غير موضع من أنه قام بهذا الامر عن
فكر وتدبير وانه كان يتعلم ويستفيد ويدعي ان ما استفاده من الناس وحي من الله
ومما أعياه تعليله فأحاله على التيب ما تراه (في ص ٣٦٨) من قوله لا بد انه
كان للنبي (ص) وسائط سرية لمعرفة الاخبار بسرعة غريبة : يعمل بذلك ما كان
يقوله صلى الله عليه وسلم بالوحي والالهام ولو كان هناك وسائط لما خفيت عن
أولئك الاذكياء الذين كانوا معه وكان ذلك كافيا لانفضاضهم من حوله وعدم
بذل أرواحهم في سبيل دعوته

ومما مدح به وأتى قوله في (ص ٤٥٨) ان النبي نهى عن التعذيب والتشيل
الذي لم تحرمه أوربا بالاحديثا : ونقول أنها وان حرمت في بلاده لان الامم قويت
على السلطة فيها فهي تبيحها أحيانا في غير بلادها فهي لم تتمكن من هذه الفضيلة تمام
التمكن . هذا جل ما أنصف فيه وسدد وقارب وسند كره نموذجاً من خطاه في تاريخ
الحوادث و بيان تعليلها وأسبابها

فَتَاوِي الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرسل الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالباً ورمزاً قد منّا غير السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولن
يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لانفاله

سؤال من احد علماء تونس عمت بها البلوى

(بيع الدين بالنقد والاراق المالية)

(ص ٢٧) هل يجوز بيع الدين الى بعض البنوك او غيرها بأحد التقدين
أو بالاوراق المالية

(ج) لا أعرف نصاً في الكتاب أو السنة يمنع ذلك وهو في القياس أشبه

بالحوالة منه يبيع النقد بالنقد فإن المراد من هذه المعاملة أن يقتضي المشتري ذلك الدين لأنه أقدر على اقتضائه وليس فيه من معنى الربا شيء ولكن صورته تشبه بعض صورته الخفية غير المحرمة في القرآن ولذلك يشدد فيه الفقهاء ولأن احتاج إلى ذلك أن يأخذ ما يأخذ من البنك أو غيره على أنه دين بحوله بقيمته على مدينه أو بأكثر منه ويجعل الزيادة أجرة أو ما شاء. وههنا مسألة يجب التنبيه لها وهي أن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها وما لا يصح لا يراد به أن ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات وترك الفواحش وإنما المراد بذلك منع الظالم والتغلب بين الناس فكل معاملة لا ظلم فيها جائزة وما كان فيها ظلم فهي حرام لأن تكون برضى المتبون فمعنى صحة البيع ديانة أنه لا ظلم فيه بنحو غبن أو غش وحكمه النفاذ وعدم استقلال أحد المتبايعين بفسخه ومعنى بطلان البيع أن فيه ظلماً لأحد المتبايعين وحكمه أن لا ينفذ إلا إذا رضى المظلوم فإذا أراد فسخه جاز له ذلك. مثال ذلك بيع حمل الحيوان نهي عنه لأنه غرر فإذا اشترت مافي بطن الفرس باختيارك ورضاك فولدته ميتة ولم ترجع على البائع بالثمن بل سحبت به راضياً مختاراً ولولو افاق العرف فإن الله تعالى لا يماقبه على أكله. ههنا ما كنت أعنيته في مسائل المعاملات كما سبق القول في المنار ولم أكن رأيت فيه قولاً للاحد وقد رأيت اليوم نحوه لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ولا شك أن من يبيع دينه لا يكون ظالماً للاحد ولا آكل مالاً بالباطل الذي ليس له مقابل وقد يكون تحرّم ذلك عليه ظلالاً له لأن الغالب في سبب مثل هذا البيع عجز الدائن عن اقتضاء دينه بنفسه أو توقفه على نفقة كثيرة وكلاهما ضارٌّ به وهذا وإن الدين قد يكون ممن عروض والامر فيه عند الفقهاء لاسيما إذا بيع بالاوراق المالية أهون والله أعلم

﴿الاوراق المالية نقود﴾

(س ٢٨) هل تعتبر الاوراق المالية التي تحملها الدولة كالمسكوكات في المعاملة نقداً أو عرضاً أو شيئاً آخر غيرها
(ج) الاوراق المالية المسماة (بنك نوت) هي من قبيل النقود المسكوكة وأكثرها تضمن بقيمتها المرقومة عليها ذهباً فن ملك ورقة من ورق البنك الاهلي

في مصر مثلاً كان كن ملك مثل ما كتب على هذه الورقة ذهباً لان الحكومة ضامنة لها تأخذها في كل حين بتلك القيمة كما يأخذها كل من يمتد بتلك الحكومة من التجار وأصحاب المصارف (البنوك) وغيرهم والعقهاء يعدون هذا الورق كوثيقة الدين (المحلى بأحد التقدين يعد من العروض)

(س ٢٩) هل يوجد في الشريعة السمحة ترخيص للتجار في مسألة المحلى بأحد التقدين فيعتبر كسائر العروض لكثرة تداوله ورواجه وصبر ورته قسماً كبيراً من البضائع وعسر العمل فيما تقرر في الفقه بشأنه مع مزاحمة الاجانب (لنا في التجارة وانزعاج روتنا اذا أيسح لهم ذلك ولم يسح لنا)

(ج) المحلى بالذهب والفضة لا يعد ذهباً ولا فضة في الحقيقة ولا في العرف فهو من العروض بالضرورة وقد رخص بعض العلماء بيع المحلى بنقد من جنسه مع التفاضل وهو أقرب الى الربا من بيع المحلى . قال ابن القيم في كتاب أعلام الموقعين ما نصه :

﴿ فصل ﴾

وأما ربا الفضل فأبيح منه ما تدعو اليه الحاجة كالعرايا (١) فان ما حرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد وعلى هذا فالمصوغ والحلية ان كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالاثمان وهذا لا يجوز كآلات الملاهي وأما ان كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلقة النساء وما أبيع من حلية السلاح وغيرها فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه وإضاعة للصيغة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق الا أن يقال لا يجوز بيعها بجنسها

(١) العرايا جمع عرية وبيع العرايا هو بيع الرطب بالتمر وهما ربيان كالنقد ولكن الشارع أباحه للحاجة اليه لان صاحب التمر قد يحتاج الرطب ولا يكون يده نقد يشتريه به وكان ذلك يكثر في زمن التشريع

البته بل يبيعها بجنس آخر وفى هذا من الحرج والعسر والمشقة ما تنفيه الشريعة فإن أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به ما يحتاجون إليه من ذلك والبايع لا يسمح ببيعه بغير شعير وثياب وتسكيف الاستصناع لكل من احتاج إليه أما متعذر أو متعسر والحيل باطلة فى الشرع وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين هذا من الحاجة إلى بيع المصروع الذى تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع فلم يجوز بيعه بالدرهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيها ما هو صريح فى المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ولا ننكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهو بمنزلة نصوص وجوب الزكاة فى الذهب والفضة والجمهور يقولون لم تدخل فى ذلك الحلية ولا سيما فإن لفظ النصوص فى الموضوع قد ذكر تارة بلفظ الدرهم والدنانير كقوله الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير وفى الزكاة قوله « فى الرقة ربع العشر » والرقة هي الورق وهي الدرهم المضروبة وتارة بلفظ الذهب والفضة فإن حمل المطلق على المقيد كان نهيا عن الرأى فى النقدىن وإيجابا للزكاة فيها ولا يقتضى ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداها بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويمجرى الرأى فى بعض صوره لافى كلها وفى هذا توفية الأدلة حقا وليس فيه مخالفة للدليل بشيء منها

يوضحه أن الحلية المباحة صارت فى الصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الأثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يمجرى الرأى بينها وبين الأثمان كما لا يمجرى بين الأثمان وبين سائر السلع وأن كانت من غير جنسها فإن هذه المصنعة قد خرجت عن مقصود الأثمان وأعدت للتجارة فلا يجوز بيعها بجنسها ولا بدخلها: إما أن نقضى وإما أن نربي: (١) إلا كما يدخل فى سائر السلع إذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب أن هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد

(١) هذه العبارة مقولة وهي كلمة آكل الرأى الجلي المحرم بنص القرآن كان يكون لأحدم دين مؤجل على آخر فإذا جاء الأجل قال له ومعناها ما أن تعطيني الدين وإما أن تزيد فيه لأجل الإنسان والتأخير فى الأجل

عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر
 يوضحه أن الناس على عهد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتخذون الحلية وكان
 النساء يلبسها وكن يتصدقن بها في الأعياد وغيرها ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها
 المحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ومعلوم قطعاً أنها لا تباع بوزنها فاته سفه ومعلوم أن مثل
 الحلقة والخاتم والفتحة لا تساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا
 أتقى الله وأقربه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس
 يوضحه أنه لا يعرف عنه أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا بغير
 جنسه أو بوزنه والنقول عنهم إنما هو في الصرف

يوضحه أن تحريم ربا الفضل إنما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم
 سداً للذريعة أبيع للمصلحة الراجعة كما أبيعت العرايا من ربا الفضل وكما
 أبيعت ذوات الأسباب من الصلاة بعد الفجر والمصر وكما أبيع النظر للغايب
 والشاهد والطيب والمعامل من جملة النظر المحرم وكذلك تحريم الذهب والحبر
 على الرجال حرم لسد ذريعة التشبه بالنساء الملعون فاعله وأبيع منه ما تدعو
 إليه الحاجة وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من
 وزنها لأن الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل إنما كان سداً للذريعة

فهذا محض قياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو
 بالحيل والحل باطل في الشرع وغاية ما في ذلك فعل الزيادة في مقابلة الصياغة
 المباحة المتقومة بالأمان في الفصوب وغيرها وإذا كان أرباب التحيل يجوزون
 بيع عشرة بخمسة عشر في خرقه تساوي فلساً ويقولون الخسة في مقابلة الخرقه
 فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصياغة وكيف تأتي الشريعة
 الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلاً ورحمة وجلالة باباحة هذا
 وتحريم ذلك وهل هذا إلا عكس العقول والفطر والمصلحة والذي يقضي منه
 المعجب مبالغهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل
 زيت وحرّموا بيع الكست بالسمسم وبيع النشا بالحنطة وبيع الحنظل بالزبيب ونحو
 ذلك وحرّموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاءوا بربا النسيئة وقتلوا التحيل

عليه كل باب فتارة بالهبة وتارة بالحلل وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه ثم يطلقون القدر من غير اشتراط وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة عشرة تقدا ليس ألا ودخول السلمة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره فهلا فعلوا هاهنا كما في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب كيف حرمت هذه التريفة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة الى ربا النسئبة بمخا خالصا وأبن مفسدة بيع الحلية بمجنسها ومقابلة الصياغة بمظلمها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة وأصل كل بلية. وإذا حصص الحق قليلا لمتعصب الجاهل ماشاء والله التوفيق فان قيل الصفات لا تقابل بالزيادة ولو قبلت بها لجاز بيع الفضه الجيدة بأكثر منها من الرديئة وبيع الثمر الجيد بأزيد منه من الرديء ولما بطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

قيل الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالآمان ويستحق عليها الأجرة وبين الصنعة التي هي مخلوقة لأثر للعبد فيها ولا هي من صنعه (١) فالشارع يحكمته وعده لمنع منه مقابلة هذه الصفة بزيادة إذ ذلك يفضي الى نقض ما شرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والماعقل لا يبيع جنسا بجنسه الا لما بينهما من التفاوت فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة (٢) التي جوز لهم المعاوضة عليها معه يوضحه ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة الى غير أصلها وجوهرها اذ لا فرق بينهما في ذلك

يوضحه ان الشارع لا يقول لصاحب هذه الصياغة بيع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك ولا يقول له لا تعمل هذه الصناعة وأتركها ولا تقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل ولم يقل قط لاتبه الا بنبر

(١) لعله سقط من هنا لفظ يسن الذي هم الخبر (٢) وفي نسخة الصناعة

جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئا من الأشياء بجنسه فان قيل فبأن هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف سلم لكم في الدرهم والدنانير المطلوبة اذا بيعت بالسبائك مفاضلا وتكون الزيادة في مقابلة صياغة الضرب قبل هذا سؤال وارد قوي وجوابه ان السكة لا تقوم فيه الصياغة للمصلحة العامة المقصودة منها فان السلطان يضر بها لمصلحة الناس العامة فان كان الضارب يضر بها بأجرة فان القصد بها ان يكون معيارا للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ولو قبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سعاة واحتاجت الى التقويم بغيرها ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه واذ أخذ الرجل الدرهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ألا ترى أن الرجل يأخذ مائة خفافا ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئا وهذا بخلاف المصوغ والنبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه لم يضر بواحد من أول من ضرب بها في الاسلام عبد الملك بن مروان وإنما كانوا يتعاملون بضرب الكفاراه المراد منه

الرخص للمسافر في السكك الحديدية

(س ٣٠) هل يجوز للمسافر في السكك الحديدية الجمع بين الظهر والمصر وبين المغرب والعشاء ان سافر وقت الظهر أو وقت المغرب وهو يتحقق أنه لا يصل الا بعد خروج الوقت ولا سبيل له الى الصلاة في أثناء السفر أم لا بد من الوقوف عند ما تقرر في الفقه في هاته المسألة

(ج) للمسافر في هذه السكك من الرخص ما للمسافر في غيرها لان الشارع لم يشترط في السفر الذي تباح فيه الرخص ما يخرج المسافر في هذه السكك منه . على ان رخصة الجمع بين الصلاتين مما ورد الحديث الصحيح بإباحتها للمقيم فان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والمصر وبين المغرب والعشاء في المدينة كما في صحيح مسلم وسنن الشافعي وقد أول قضاة المذاهب ذلك ليوافق مذاهبيهم ولكن ابن عباس راوي الحديث قال في تعليل ذلك «لئلا يخرج امته» فلم أن ذلك رخصة مطلقة تؤتى عند الحاجة اليها

كتاب التبريد والتعليل

المكتوب السابع من أميل الى أمه

في ابتداء العشق وغرور الشاب الغرّ بالعشوة

عن بن في ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦

لقد كان قولك حقاً أيتها الوالدة العزيزة فأني قد خدعت نفسي ولا حق لي في الشكوى على كل حال ممن كنت أحبها لأنها لم تكن التزمت لي شيئاً ولا وعدتني الصدق في حبي بل أنها بما كانت مغمورة فيه من ضروب التبجيل والتكريم تفضلت قبلت مني اعتباراً بصفاتي ودلائل إعظامي وقد كان هذا منها لي تشريفاً كبيراً وأظن أن من كفران نعمتها أن أهمها بخيائتي فإنه لم يكن من ذنبها أن كنت جاداً فيها لم يكن غيبي يتعاطاه إلا هازلاً

على أي أن قلت لك أنني كنت أفكر في أمرها دائماً على هذا النحو كنت كأذاً فإن الصدمة التي هدمت صرح غروري بها تلتها ساعة دهش وذبول خيل لي فيها أن السماء خرت على رأسي وصرت كأني في جبر الفناء وأنك قد تقولين أنك لست أول من ابتلي بهذه الضروب من انكشاف الأباطيل وزوال الأوهام وهو قول لا ريب عندي في صحته غير أن ما يتألم الإنسان لأول مرة في حياته يخيل له أنه لم يحصل لأحد غيره في الدنيا فكنت أسأل نفسي هل يمكن أن يوجد في البرية من يبلغ مبلغاً في الخيانة أو ليس الحسن الانتقاباً لتغلق وأقول أنها لشدة ما سخرت مني لسلامة نيتي ومصرعة تصديقي واحسن بقشعريرة الفسيرة تدب في جسي حتى تبلغ مخاع عظامي.

وأول يوم قامت بنفسي فيه الرّيب على صدقها فررت من المدينة هائماً على وجهي كالجنون أخط خط عشواء وقد تعاقبت على بصري في مسيري مشاهدجة من سنابل الخططة المدركة، والقنابر المفردة، وما في الهواء من الروح الخافق

فابع ترجمة كتاب أميل القرن التاسع عشر في العربية

وجدنا وجبا والكفور والطواحين التي تكشف لأرائي في أمكنة مختلفة من خلال حجب الأشجار وقد مزقتها يد الريح ، وخير الماء المتدفق من ينابيعه المنتجة تحت الحضرة والديكة المقبلة المنطرسة واقفة على الدمن ورافعة عقيرتها بزقائها النفاذ في كبدا السماء واسراب المصافير نائرة متعاقبة في الجو متنافرة ، وغير ذلك من المناظر التي لولا هذه الاحوال لمزت نفسي وشرحت صدري فلم تلفتني عن هذه الفكرة الثابتة في ذهني وهي أنها نفسي

لما رجعت الى المدينة كان الليل قد جن فلمحت شبحا مبهما يسري وجدران البيوت كأنه ظل فلما بلغ منعطف الشارع سقط عليه ساطع نور الغاز المنعكس فأرائي أنه فناء شاحبة اللون وثقالب ياب تحمل طفلا على يديها ولست أدري تمام الرأية لماذا خطر بفكري لرويتها أنها خدعت ثم هجرت وسألت نفسي سؤالا محقق هل تنقسم النساء في هذه الايام الى طائفتين طائفة خادعة وطائفة مخدوعة . تأثرت هذه الفتاة بعضا من الزمن يجذبني اليها نوع من العطف لا أعرف سره حق المعرفة فكلمها كانت تمر على نور مصباح كنت إخالني أقرأ في وجعها خاطر الانتحار وقد كنت من تسخطي لحالي بحيث اني كنت اود لو أجد السبيل الى عمل من أعمال البر وما عمت الفتاة ان دخلت في مأزق من حارات ضيقة مظلمة ينتهي الى فناء تكتنفه اطلال دارسة وفي ركن من هذا الفناء بر سردت فوهتها بقطاء غليظ من خشب مسوس مشقق فرفعت القطاء بأحدى يديها العاريتين وانكأ بمرقبيها عن قم البر وأرسلت بهرها في غيابتها وعليها سمة القنوط وفي هذه الساعة اقلت القمر من قبضة السحاب فألقى نوره الاغر على بلاط الفناء المتوحل وكنت اذذاك مخفيا خلف جزء من جدار أتبع جميع حركات الفتاة المسكينة بامعان لاني لم يكن بقي عندي ريب في أنها قد صممت على الانتحار وكنت أقول في نفسي : أقل ما في الامر اني هاهنا لا أمنها منه وما كنت أجسر حتى هذه الساعة ان أظهر لها خشية أن تزدها رويتها لمن شاهدها في هذه الحالة غضاضة وذلة فبعد ان تروت هنيهة كان جبينها الكئيب في انثائها مسرح الافعال والاضطراب نظرت الى ولدها وهممت بكلمات مبهمه وهي نهز رأسها ثم هزلت داخله أحد الاكواع الخفية وأغلقت بابها عليها

هذا كل ما علمته ويحتمل ان يكون كل ما سألته من أمر هذه البائسة في حياتي وقد كنت تلك الليلة غير أهل لفعل الخير اذا فرض ان من الخير تنجية نفس من الموت كانت تؤمن بالحب ثم اضطرت الى الكفر به ولعنه كائن بك تساليني كيف ظهر لك انك ألوية لهوى امرأة طائشة جارية فاستأذنتك في تنزيهك عن سماع تفاصيل هذا الامر لأنها لا تليق بك ويكفيني في ذلك ان أخبرك بأنها كانت تخرض طالين او ثلاثة غيري على التقرب منها في وقت واحد بقبول مساعيهم وهذا بقطع النظر عن أمير ورتمبورغي (١) يقال انها تحبه لانه فليت شمري هل أبصر أحد في حياته نظيرة لك تلك المرأة

لم يكن همليت (٢) مثلي في سوء الحظ لانه كان يقول لمعشوقته أو فليبا: «أيتها المرأة اسمك الخور فان اسم صاحبي هو الكذب والمكر والنش». هذا هو التمثال الذي يجتره يبخور أمانى وجعلت له بين الآلهات المغيقات مكانا وكنت أتمنى لو دنت مني الكواكب فأنزعتهما من نظامها ونظمت له منها كليلا . على ان لي أمرا يسليني وهو اني لم أدرس الحب في حال جنوني به

فاعلمي يا أماء انه لا يزال من حقي ان انظر اليك غير خجل لان خطيتي أ. س. كانت سوء حكم لا ارتكابا لشيء من الخنا ولكن هذا لا يقلل من استباحي لعنوك فاغفري لولدك هفونه حتى يمكنه ان يغفره لنفسه . اه

✽ المکتوب الثامن من هيلانه الى اميل ✽

عن لوندرة في ١٠ أكتوبر سنة ١٨٦٠

اعلم يا ولدي العزيز ان ما تقع فيه من ضروب النفي هو الذي يهدينا سبيل الرشد وان ما نقره من الذنوب هو التي ينبثنا اذا تأملت منه ضمائرنا بأن لنا

(١) ورتمبورغي نسبة الى ورتمبورغ إحدى ولايات المانيا (٢) همليت هو أمير جوتلانده الذي تظاهر بالجنون ليأخذ بثار أبيه الذي قتله أخوه بالسهم وقد كتب عنه شكسبير روايته المشهورة وجوتلانده شبه جزيرة بالدينيارك عدد سكانها ٩٤٢٣٦٠ نفسا وعاصمتها فيبورغ

في نفوسنا قانونا زاجرا وأن الحكمة في رأيي هي ان نستفيد من كليهما نتعلم
لم تدهشني نهاية قصتك وسأحمي كل التحامي ان أعيب سيرتك فيها لانك
قد عبتنا بنفسك ولم يكن كل ما كان في وسعي تأديته اليك من نصائح قبل
ختامها المحزن ليساوي ما وعظمتك به تجربتك الذاتية ان في أمور الكون لمعدلا
وان الدهر يضطرها الى أن تظهر للناس على حقيقتها وان كان يلذ تخيلة الانسان
ان تزينها بالالوان الموهة وتشبها بالاستار الحاجة وبهذا كان الدهر استاذنا جميعا
على اني ان لم أقر لك بأن مكتوبك الاول سبب لي أشد ضروب القلق
والخيرة كنت قد كنتك بعض الحق نعم قد كان لي من الثقة بطيب عنصرك
وبما أعرفه فيك من أصول الشرف ما كان يكفيني للتأكد من انك لا تسفل
لارتكاب دينية ما ولكني كنت أخاف عليك وأنت في هذه السن خدعة القلب
وجمحات العجب المفتون وأماني البسالة الخادعة فما يوجب الاسف ان أصدق
الناس في الحب وأخلصهم له هم كذلك اشد هم تعرضا لمخاطر دسائسه وأما الشبان
الذين يتخذون ما عليه الناس قدوة لهم في سيرتهم فان قلوبهم الجاهدة
لا تتخدع بكذب الظواهر وهم الذين جعلت لهم المحبات المبهجة كما جعلت الخور
المبتلة للسكيرين

ترام يذلون من الهمة والنشاط في تحصيل النقطة أكثر مما يلزم وهم مع
هذا في اسوء عيش وانكده هؤلاء الجوالون في ميدان الغرام المتعاطون لدسائسه
اعتاضوا عن الحب بظله اعنى الظرف والكياسة في معاشره النساء وان خسة عواطفهم
تدل على خلومهم من الادراك وهم شبيهون عندي بأشجار الصفصاف الجوفاء التي
تصادف على حافة السواقي (الانهار الصغيرة) في اتمها تعفن قلوبها لم يبق لها حياة
الا في قشورها

ان الامم التي لا تجل رجالها نساءها ولا نساؤها انفسهن غير جديرة بالحرية
بذلك على ذلك أن مصور الاستعباد والمخطاط النفوس كانت هي عصور فساد الاخلاق
والأنهك في الرذائل فاذا زالت هبة الدين من النفوس وانعدم احساس الناس
بما عليهم من الفروض الكبرى رأيت الناشئين اذا اعوزهم ما يضيعون فيه أوقاتهم

يتصيدون الملاذ السهلة فأرباً بنفسك عن هذه الرذيلة (١) فلا مراك فيها
 اني بما كنت أعرف منك بنفسك لانه يتفق كثيرا لمن هم في سنك ان يضلوا
 فيشطوا في طلب مثال من الواقع لا يتخيلونه من منتهى الكمال فيمن يريدون ان
 يجعلوها مناظرا لهم وهو قريب المثال حاضر بين أيديهم . ارى انك فوق حقتك
 على من غرتك نادم على ان كنت غير صادق في محبتك فأمل في باطن ما تحفظه
 ذا كرتك نجدني قد أصبت الرمي فيما اقول فانك تعلم بوجود ذات من اترك
 تفكر فيها ولا تتكلم في شأنها وتكر ملامح وجهها وابتناسها وجرس صوتها وكل
 ما يتعلق بها حتى ثنيات حلتها تمام التكر وان مثالها الظاهر ليسري سريان الشعاع
 فوق كتابك اذا فتحت لتقرأ فيه ما صنفه الشعراء وأنت تود ان تراه معها كل ما في
 الكون من الجمال وتسمع جميع ما للبرية من الاغاريده وهي التي ينطبق عليها ما تتخيله
 من معنى الفضيلة وتود من اجابها لو تكون أفضل الفضلاء فلك الذات هي التي تحبها
 فان لم تكن تأنس من نفسك شيئا من هذا لم تكن حتى الآن الا طفلا ولم بأن
 لك ان تعتقد في نفسك انك محب فالحب الحقيقي هو الذي يرفع النفس ويبعث
 على طلب الخير وعلى ان يقتضي المحب من نفسه المحبوه كل ما يقتضيه لنفسه منه
 لان الحب هو انصاف القلب

فاذا تر بصت حتى يحصل في نفسك هذا الوجدان الطاهر فاياك ان تدنس
 اسمه باجرائه على لسانك قبل حصوله والاندمت فيما بعد أن لوئت شفتيك بالكذب
 وللشبان خطا آخر في الحب وهو أنهم يظنون انه اذا حصل بدسائس ووقائع
 كالتي نروى في القصص ازدادت لذته وكثر الابتهاج به فليس الامر كما يتوهمون
 لان في الحب من العظمة الذاتية ما يغنيه عن زخارف الخيال . ان الفلاح البار اذا
 راح الى بيته مساء بعد فراغ عمله وجلس لتناول مرقته وأخذ يلحظ زوجته وهي
 تغزل أو تخط بجانب المصطلي ثم يمسح رءوس أولاده غلاظ المضلات مناديا كلا
 منهم باسمه وينسك في نفسه زمن ترقبه لزوجه « جنة » يوم الاحد في ظل شجرة
 الدر دار الكبرى في المزرعة ويراه لا تزال غضة الحسن موفورة الشباب كأن أبهج

خيالا اضعافا كثيرة من حظي إلهة من إلهات الحب الجديدة
الشباب هوس الاماني والاحلام وطور الخيالات والاهام ثم ان كثرة المطالعة
لأثرة لها في أغلب الاحيان الا افساد حكم القلب . على ان الحب في غاية الغنى عن
القصص الخرافية لانه عبارة عن تاريخ لاصح ما في فطرتنا من ضروب الوجدان
واشدها استقلالا فويل لمن لا يشق ويتوله الا في الحلم لانه لا يثبت ان ينكشف
وهماذا حان وقت انتباهه .

يجب عليك قبل اهتمامك باختيار امرأة نحبها ان توجد لنفسك بين الناس
مقاما فان كل عمل عمله في سبيل تحصيل العلم ورفع شأنك في نظر نفسك ومغالبة
مالاثرة من أنواع الميل الاعى وبلوغ مالانسان من الشرف يفيد المرأة التي مستحبها
كما يفيدك وكن واثقا بأن هذا لا يعد منك في حقها كثيرا اذا كان يهيك ان
تكون أهلا لاجلالها لك حفظا لشرفك وصونا لمرضك

حاشية : فاني ان أخبرك بأن « لولا » تعلم الطب من أجل أن تقبلها جمعية
الطبيبات بلوندره في عدادهن وكلنا نحبك اه

(المنار) ليتأمل اليب هذا التذكير اللطيف بلولا التي تربت مع أميل مثل
تربته بعد بيان من تستحق الحب وبيان حقيقته وغرور الشبان فيه فيالله ما هذه
الحكمة في هذه البلاغة

أثاركم الشبهة

﴿ التقرىظ ﴾

﴿ فرقان القلوب ﴾

كتيب جديد للشيخ محمد ابي الهدى افندي الصيادي الشهير قال في فاتحته
« وأرى ان هذا الكتاب المستطاب جدير بأن يدرس في مكاتب الاسلام .
لينتفع به ان شاء الله الخياصي والعام ، فليأقرائه ينتفع بالثواب المنتهي ، وبتعلمه

ينفع في دينه المبتي « وتقول ان موضوع الكتاب بما يفيد المبتدئين لانه في احكام وحكم أركان الاسلام الخمسة ولكن هناك مانا من تدريسه وهو ما فيه من اصطلاحات الصوفية المعروفة وغير المعروفة التي يسر على معلمي المدارس معرفة المراد منها أو بيانها لتلاميذ فإذا ترى في فهم التلاميذ لها واستفادتهم منها ؟ وما قولك في كتاب تذكر فيه العبارة وتفسر بعبارة أشد منها غموضاً ، مثال ذلك ما نقله عن الشيخ احمد الرفاعي الكبير في بيان حقيقة التوحيد وفسره وهو كما في (ص ٤) « وجدان تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه ، ومعنى ذلك الوجد ان استدلال العقل وتسلط فهم القلب على ما يسكن اليه الخاطر ويقف عنده السر من البراهين النظرية التي تؤيد سر التوحيد فيعتقد العاقل بسبب تلك البراهين القاطعة وجود الخالق ولا ينصرف رأيه الى التعطيل ولا الى التشبيه »

الظاهر أن هذا كله من كلام الرفاعي وتقول قبل بيانه له ان معلمي المدارس لا بد أن يقفوا أمام هذه الجملة موقف الحيرة ويسر عليهم إيصالها الى أذهان تلاميذهم لأنهم لا يعقلون وجها لتفسير وجدان التعظيم باستدلال العقل فان هذا الوجدان محل القلب واستدلال العقل أي فكره في تأليف الأدلة النظرية من عمل الدماغ . والقلب يطلق سيفه لغة القرآن على ما يكون به الفكر والادراك وعلى ما يكون به الشعور والوجدان ولله برى أن العبارة قد مزجت الاستعمالين فبني أحدهما على الآخر . ولا شك عندي أن فهمه يقف عند تفسير وقوف السر وتأييد سر التوحيد وتسمية البراهين النظرية براهين قاطعة وجعل تليجتها الاعتقاد بوجود الخالق مع أنها أقيمت على توحيده ، والكلام في توحيده إنما يبنى على التسليم بوجوده ، وعدم الانصراف الى التعطيل والتشبيه يصدق بفعله الذهن عنهما فلا تكون تلك البراهين مفيدة للتوحيد ولا مفسرة لذلك الوجدان . فإذا وقف المدين أمام هذه العبارة الرفاعية الرقيقة هذا الموقف ، فهل ينتاشه منه ما يئنها به المصنف ، اذ قال « وبيان ذلك ان ينظر في هابطة السرور وهابطة الحزن وحال الاتقياض

وحال الانبساط ومسامرة الخاطر ونشأ الحب وزفرة البغض ووارد الرأي وطلسمية الفكر والحرص والزهد والحقد والصفح وأمثال ذلك من دقائق الاسرار القلبية التي تتدلى الى القلب وتقوم بالعقل ومثلها اللطائف المجردة الحسنة : الشامة والباصرة والسامة والطاعة واللامسة كلها موجودة في الوجود غير منكرو وجودها وغير مدركة كيفيتها ولهذا السر القاطع والدليل الساحل قال تعالى (وفي انفسكم أفلا تبصرون) فاذا استدلل العقل وتسلط فهم القلب على وجود الخالق بما في الذات المصنوعة من الدلائل التي تجمد - و.و - فهناك لا بد ان يعظم مولاه ويقول أشهد ان لا اله الا الله الخ ثم انتقل الى الكلام عن المبلغ لهذه الكلمة صلى الله عليه وسلم

هذا نموذج من أول الكتاب وفيه ما هو أشد غموضا منه في نفسه وفي الموضوع الذي دس فيه وناهيك بكلامه في الارواح عند الكلام أسرار الحبيب الذي جعله وسيلة للقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم مديده من قبره الشريف حتى خرجت الى المسجد قبلها الشيخ احمد الرفاعي والناس ينظرون وللشيخ ابي الهادي غرام باذاعة هذه الدعوى حتى لم يدع الكلام في الدين وأركانه يخلو منها وقد ذكر هذا الكتاب وجه امتياز الرفاعي على الصحابة وأئمة آل البيت بهذه المنقبة وذكر أنه ثالث عشر أئمة آل البيت أي انه يلي الامام محمد المهدي المنتظر

فلينظر الناظرون أين مكلن الامة بمدارسها ومعلميها من رأي مؤلف هذا الكتاب ؟ ترى المتخرجين في مدارس الاستانة أكثرهم ماديون وترى مدارس مصر قرية منها وترى بعض الناس يكتب في الصحف اليومية ان دين الاسلام قد تنحجر من شدة الجود فلا يقبله أهل هذا العصر بالصفة التي دون بها في الكتب ثم نجد فينا من يرى انه ينبغي لنا أن نعلمه من مثل هذا الكتاب فهاذا هذا الخلف العظيم



بَابُ الْإِحْتِجَادِ

﴿ الشورى في بلاد فارس ﴾

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للإصلاح وإن هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوروبا. وكان الناس يظنون أن العقبة الكؤود في طريق الإصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والأمراء واعتقادهم كثيرهم أن الإصلاح إنما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الديمقراطية واستطابوا ثمراتها. ولما جاءت أبناء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الإصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصرة أن القول بوجود الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس إلى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية إلا بالعلم الصحيح ولا علم إلا بالاجتهاد فالاجتهاد أقرب إلى الهدى وإن ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وإن اتسعت دائرة تقليده. وأما الاعتقاد بالمهدي فإنه لا يصد عن الإصلاح إذا عقل طلابه، يقولون لأن يجدنا المهدي أقوياء صالحين خير من أن نجدنا ضعفاء فاسدين (كما ينأ ذلك في كتاب الحكمة الشرعية) رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الإسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهتأ الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين. وأتي أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي أن كتاب الله تعالى جمل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز أن يسمى إسلامياً فإذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لتلا بمجي حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لاحكم من يسمي نفسه سنياً أو غير سنياً وهو مخالفه

❖ جامع ومدرسة دينية في ديروط ❖

أ كبرآيات الارتقاء البيئة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في نموّ وازدياد يدل على أنه أثر الحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا إليها بدعاة الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجهه مركز ديروط الوجهه فاخط بجانب داره في بلدة ديروط مسجداً جامعاً ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعاً للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيراً ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولوشئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله واننا نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي يتبع اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكبر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيراً من وجهاء القاهرة ومديرية أسهت الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال بمود بك صادق رئيس أقالم الديوان الخديوي مندوباً عن الامير وحضره أيضاً مدير أسبوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلاً ما معناه انه يرجو أن يكون هذا العمل ناشراً للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهداً للحياة الارواح وحياة الارض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الازهر خطبة قال انه يتكلم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ما قيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بني الله مسجداً ولو كفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الاوفى وختم كلامه بالدعاء للسلطان والخديوي والثناء عليها بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القاتلين من المصريين وقلة الماملين وبين انه لا يرجي ان يعود الى مصر مجدداً السابق الا اذا كثروا الماملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطات والامير بأسلوبه الشعري والشيخ عبد العزيز هذا مبال الى الادبيات وأسعمني لنسبه شعراً حسناً يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصمدي فتكلم عن تأثير العلم في مدينة اليونان والرومان والعرب وأوروبا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

وأطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئاً للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجل خطاباً وعى كثيراً منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقرائه فيه ما كنت ناسيانه وبعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشرنا ملخص ذلك وهو
 اننا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول
 كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به

القيام بالمصالح العامة وبذل المال في سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة
 وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام في ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء . وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون في أن ارتفاع الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبدلون في سبيل الامة أمومهم وأوقاتهم بل وأرواحهم .
 اتنا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جرائم الحياة ما يكفي لنا عاشنا وإقالة عثارتنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة .
 قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين في مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهمننا فالظاهر انه لا فرق بيننا وبينكم الا في شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات غاية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان مدارس من تلك الاوقاف وذهبت معاملها وما عاد ملكاً للجهل بأصله هو أكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جملة هو وبذل النفس أعظم الآيات (وهبنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لاترتقي الا بهم لاسباب في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبلبل فيه يعد بمثابة الفئوس والباذلون في مصاف الفانحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمة الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الدين يقومون بالاعمال النافعة للأمة موضع الائمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن تقتدي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محبي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنه لأول مرة لأن محبي الشيء بعد الموت كموجوده من المدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على احياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقى الامة في هذا الزمان يمدون من واضي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في اشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد اعتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه انه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فإن المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم يتفقدون كل خير وقلنا يتفقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد زبد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الاعتقاد صواباً ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جبة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للآزهر كالجامع الأحدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لأن أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمره ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق

به فحسبه ما يراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني ؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزدوا أمتهم الا خبالا وبلادهم الا خرابا لانهم لا هم لهم الا اللذات الحيوانية والمخطوظ الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فإنه لا يبلغ ما هم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدي على حقيقته تترقى النفوس وتقل الجرائم والفواحش ويهدر سلب الاموال ونهش الاعراض ويكثر الصدق والامانة والمواد في الناس . قد يقال إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجلييلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لافي ازالته من الوجود بالمرّة . ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كلنا في شيء من أمور الاجماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان السكّال يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للرقى الى تعليم أعلى منه لا ترقى البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للسكّال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد . نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان . فنرضي بما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الديني متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال يمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشمع . فان اجتماعا يحجب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا ويعد حضوره ولا شهادة فلية
بنفعه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيها أفصح من لسان المقال. وإذا كان المحتفل
ينوي باحتفاله بالترغيب في مثل عمله فإنه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على
العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء
في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول بمبحث الأغنياء على الاعمال النافعة للامة والدعاء باصلاح
الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتكليف ابن سعود به وبقومه
وبعد أن قتل صار ولده متعبد أميراً مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد
ذلك أن استولى على أكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ما يقال
له العدو يبعد عن حائل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعبد
للمحصار وضائق عليه الدنيا لأن بلده ليس فيها من القوت ما يقنيا عما يأتيها من
العراق فتوسل بآبى عون باشا شيخ الزبير بن يوسف ابن صباح شيخ الكويت
في الصلح بينه وبين ابن سعود فدعّب شيخ الزبير نفسه الى الكويت على ما
كان بينه وبين ابن صباح منذ سنوات من الشحنة فأكرم ابن صباح وفادته
وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعبد بن
الرشيد حتى يتدأكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندرى على أي
شيء تم ذلك الصلح ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط
به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فإنها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم
بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفاً لنجد فأقام في المدينة المنورة
ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في انسيحة مع العساكر المنظمة التي هناك (والشحنة
قرية من قرى القصيم) وكان متعبد بن الرشيد قد استقبله بالخفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هون عليه شأنه . ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرية من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد . جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف . وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر بريدة وقصر عنيزة ويكون هو احاكم القصيم يجمع المال ويستقل بالحكم . وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أسرا من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود انتا خاضعون لامير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لا غناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أسر من السلطان بشي . فلا تقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من ال اطن فانتا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فانتا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحين في رفعه عنا ولا نشك في أنه برحمة ولا يكافنا ما يشق علينا ولا نحمله طبيعة بلادنا . وواقع الشيوخ على ذلك . وقد أتى المتصرف على متعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء واقرقا مفضيين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على العساكر بالاندياء والنهب والسرقة فلما أعيام أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حامية العسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مضطبا مما قابله به المتصرف من العظمة والفرسة ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ما جئتم الا لحماية فكيف تطالبون منا أن نحملك فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناوأة والتكبر عليه إلا أن له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه متعب بن الرشيد هدية وكتب اليه بأنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يقيه عنده قتيله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال . وكان ذلك قبل الصلح مع متعب

المسحاة

١٣١٥

فيتر جادي الذي يستنوي القول فيهمون أحسنه
أولئك الذين همدا هم الله وأولئك هم أولو الألباب

بقرني الحكمة من يشاء ومن يزلزل الحكمة فقد أوتي
جورا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي وده منارة كتنار الطريق

(مصر - شعبان سنة ١٣٢٤ - أوله ١٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٦)

خطا العقلاء

من مقالات الاستاذ الامام في جريدة الوقائع المصرية وفيها تعرض بالمرأين
كتبها في العدد ١٠٧٩ الصادر في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ - ٤ أبريل سنة ١٨٨١
ان كثيرا من ذوي القرائح الجيدة اذا كثروا من دراسة الفنون الادبية
ومطالعة اخبار الامم وأحوالهم الحاضرة تتولد في عقولهم أفكار جليلة وتنبعث في
نفوسهم هم رفيعة تندفع الى قول الحق وطلب الفاية التي ينبغي ان يكون العالم
عليها وأكبرهم اكتبوا هذه الافكار وحصلوا تلك المهم من الكتب والاخبار
ومعايشة أرباب المعارف ونحو ذلك تراهم يظنون أن وصول غيرهم الى الحد الذي
وصلوا اليه وسير العالم بأسره أو الامة التي هم فيها بتمامها على مقتضى ما علموه هو
أمر سهل مثل سهولة فهم العبارات عليهم وقريب الوقوع مثل قرب الكتب من
أيديهم والانفاذ من أسماعهم فيطلبون من الناس طلبا حاثا ان يكونوا على
مشاربهم ويرغبون ان يكون نظام الامة وتاموسها العام على طبق أفكارهم وان
كانت الامة عدة ملايين وحضرات المفكرين أشخاصا معدودين ويظنون ان
أفكارهم العالية اذا برزت من عقولهم الى حيز الكتب ولدقاتر ووضعت أصولا
وقواعد لسير الامة بتمامها يتقلب بها حال الامة من أسفل درك في السقاء الى
أعلى درج في السعادة وتبديل العادات وتحويل الاخلاق وليس بين غاية النقص
والكمال الا ان ينادى على الناس باتباع آرائهم

تلك ظنونهم التي تعدتهم بها معارفهم المكتسبة من الكتب والمطالعات
وإنهم وان كانوا أصابوا طرقا من الفضل من جهة استقامة الفكر في حد ذاته
وارتفاع الهمة وابنائت الفيرة لكنهم أخطأوا خطأ عظيما من حيث انهم لم
يقارنوا بين ما حصلوه وبين طبيعة الامة التي يريدون ارشادها ولم يختبروا قابلية
الاذهان واستعدادات الطباع للانقياد الى نصائحهم واقتفاء آثارها ولو انهم
درسوا طبائع العالم كما درسوا كتب العلم ودققوا النظر في سطور أخلاقه وعاداته
الحقيقية الواقعية التي اقتضتها حالة وجوده بل لو قارنوا بين الحوادث المسطرة في

الكتب وتبينوا كيفية انتقال الامم من بداياتها الى نهاياتها لهولاء الامم في
أحوالها العمومية كالاشخاص في أحوالها الخصوصية بل ان الاحوال العمومية هي
عبارة عن مجموع الاحوال الخصوصية وليست الامة مثلا الامم مع أفرادها وليس
حال الهيئة المركبة من تلك الافراد الامم مع أحوالها انفراد

فعل من يريد كمال امة بنامها ان يقيس ذلك بكمال كل فرد منها وبذلك
في تكميل العموم عين الطريق التي يسلكها لتكامل الواحد . هل يسهل على صاحب
الذكر الرفيع ان يودع في عقل الطفل الرضيع أو الصبي قبل رشده وقبل ان يتعلم
شيئا من مبادي العلوم تلك الافكار العالية التي نالها بالجد والاجتهاد وكثرة
المطالعات ؟ كلا بل لو أراد ان يجعل شخصا من الاشخاص على مثل فكره احتاج
الى ان يبدأ بتعليمه القراءة والكتابة ثم مبادي الفنون السهلة التحصيل ثم يتدرج
به شيئا فشيئا حتى يتقني بعد سنين عديدة الى بعض مطلوبه ثم هو في خلال
ذلك محتاج الى ان يمحصر أعماله ويقيدها بقيود من الترهيب والترهيب وان يراقب
حركاته في أعماله خوفا من اختلاطه بفاسدي الاخلاق والافكار أو المالبين الى
الكسالة والبطالة أو ورود موارد الشهوات ونحو ذلك من الملاحظات التي لا بد
منها فان اختل شيء من الترتيب في التعليم بأن قدم الاصعب على الاسهل مثلا
أو أهمل ملاحظة أعماله وأحواله اختلت التربية وذهبت الاعتدال سدى واستحال
صيرورة حال ذلك الشخص ممثلة لحالة مرشده

ولو انه أراد تحويل أفكار شخص واحد وهو في سن الرولية هل يمكنه
ان يبدلها بغيرها بمجرد إلقاء القول عليه كلا ان الذي يمكن في العقل أزمانا
لا يفارقه الا في أزمان فلا بد لصاحب الفكر ان يجتهد اولا في ازالة الشبه التي
تمسك بها ذلك الشخص في اعتقاداته وذلك لا يكون في آن واحد ولا بمباراة
واحدة ولكن بمبارات مختلفة سيف التقرير بعضها سهل المأخذ قريب المثال
والبعض أرقى منه وبعضها خطابي والآخري برهاني وما شابه ذلك فان لم يتخذ
تلك الوسائل في ارشاده امتنع عليه مقصوده بل ربما جرّه نصحه الى الضرر
بنفسه . تلك هي الحالة المشهودة التي لا ينكرها أحد ثم ان نجاحه في تغيير فكر واحد

مع كل هذا الاجتهاد موقوف على ان صاحب ذلك الفكر الفاسد لا يماثر ولا يخاطب في خلال تعلمه الا مرشده صاحب الفكر السليم فان كان يخاطب غيره ممن يؤيد فكره الاول طال الزمن وربما لم ينجع فيه الارشاد وأظن (أن) هذا يعترف به كل من مارس الاخلاق والعادات

ان كان هذا حال شخص واحد اذا أردنا اصلاح شأنه في صفه أو كبره مع انه سهل ضبط أعماله وأحواله والوقوف على كنه أوصافه ودرجات تقدمه في المقصود وتأخره فيه فإظنك بحال أمة من الأمم تختلف عناصرها وتباين شعوبها فمن الخطأ بل من الجبالة ان تكلف الأمة بالسير على ما لا تصرف له حقيقة أو يطلب منها ما هو بعيد عن مداركها بالكلفة كما انه لا يليق ان يطلب من الشخص الواحد ما لا يعقله أو ما لا يجهد اليه سبيلا

وانما الحكمة أن تحفظ لها عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها ثم يطلب بعض تحيينات فيها لا تبعد منها بالمرة فإذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى بالتدريج حتى لا يمضي زمن طويل الا وقد انغلغوا عن عاداتهم وأفكارهم المنحلة الى ما هو أرقى وأعلى من حيث لا يشعرون أما اذا وضع لهم من الحدود ما لم يصلوا الى كنهه أو كلفوا من العمل ما لم يهدوه أو خولوا من السطة ما لم يعودوه رأيهم يتخبطون في السبر لحفاء المقصود عنهم وضلال الرأي فيما لم يكن يمر على خواطرم فيمكن أن يخرجوا عن حالتهم الأولى لكن الى ما هو أفسس منها بحكم الاستعداد القاضى عليهم بذلك

مثلا اننا نستحسن حالة الحكومة الجمهورية في أمريكا واعتدال أحكامها والحرية التامة في الانتخابات الصومية في رؤساء جمهورياتها وأعضاء نوابها ومجالسها وما شاكل ذلك ونعرف مقدار السعادة التي نالها الاهالي من تلك الحالة ونعلم ان هذه السعادة انما أتت لهم من كون أفراد الأمة هم الحاكمين في مصالحهم بأنفسهم لانهم أرباب الانتخاب وانما رؤساء الجمهوريات وأعضاء المجالس نواب عنهم في حفظ تلك المصالح والحقوق التي رأوها لانفسهم وتنشوق النفوس الحرة ان تكون على مثل هذه الحالة الجليلة لكننا لانستحسن ان تكون

تلك الحالة بعينها لافغانستان مثلاً حال كونها على مانع من الخشونة فإنه لو
فوض أمر المصالح الى رأي الاهالي رأيت كل شخص وحده مصلحة خاصة
لا يرى سواها فلا يمكن الاتفاق على نظام عام ولو طلب منهم أن ينتخبوا مائة
نائب مثلاً رأيت كل شخص ينتخب صاحباً له أو نسياً أو قريباً فربما ينتخبون
آلآفاً مؤلفة ثم لا ينتهي الانتخاب الى المرغوب أصلاً لوقوف كل واحد عند
انتخابه الاول ولو وكل اليهم انتخاب رئيس للحكومة لا تنتخب كل قبيلة رئيساً
منها ثم يقع المرح بين الرؤساء وهكذا حال الامم التي تعودت على ان يكون
زامها يد ملك أو أمير أو وزير يدير أعمالها بدون ان يكون لها دخل في رؤية
مصالحها لا يمكن أن يطلب منها المخول في أعمالها العامة والا فسدت فاذا أردنا
ابلاغ الافغان مثلاً الى درجة أمريكا فلا بد من قرون نبت فيها العلوم وتهذب
العقول وتذلل الشبهات الخصوصية وتوسع الافكار الكلية حتى ينشأ في البلاد
ما يسمى بالرأي العمومي فعند ذلك يحسن لها ما يحسن لامريكا
وياعجبها هل الشخص الذي توارث العوائد عن آباءه وأجداده ومرن عليها
من مهده الى كهولته وتعود تفويض مصلحته الى ارادة غيره يصح ان يطلب
منه في زمان واحد خلع جميع ذلك، ويلقى اليه زمام مصلحته وهو في جميع عمره لم
يفكر فيها ان هذا خطأ ظاهراً

ولكن أرباب الافكار منا يرومون ان تكون بلادنا وهي هي كبلاد أوروبا
وهي هي لا ينجعون في مقاصدهم ويضرون أنفسهم بذهاب أنعامهم أدرج الرياح
ويضرون البلاد بجمل المشروعات فيها على غير أساس صحيح فلا يمر زمن
قريب الا وقد بطل المشروع ورجع الامر الى أسوأ مما كان فيفوت الزمان وهم
على حالهم القديم وكان لهم امكان أن يكونوا على أحسن منه فن يريد خير
البلاد فلا يسعى الا في اتقان التربة وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه ان كان
طالباً حقاً بدون اتعاب فكر ولا إجهاد نفس وفي الكلام بقية أذكرها فيما

وكتب في العدد ١٨٢

كلام في خطأ العقلاء

تولى أمر هذه البلاد (المصرية) أناس في أزمنة مختلفة تظاهر كل منهم بأنه يريد تقدمها ونقلها من حالة الممجية (على ما يزعم) إلى حالة التمدن التي عليها أبناء الأمم المتمدنة وجعلوا الوسيلة إلى ذلك أن تنقل عادات أولئك الأمم المتمدنين وأفكارهم وأطوارهم إلى هذه البلاد وظنوا أن تقليدنا لعاداتهم وأخذنا الآن بأفكارهم اليومية ونشبنا بهم في الأطوار كاف في أن نكون مثلهم وأن استلما تلك العادات وتلقينا تلك الأفكار أمر غير عسير

لم ينظروا في الأسباب والوسائل التي توصل بها أولئك الأمم إلى هذه الحال التي هم عليها حتى يستدوا مثلها أو قريباً منها لترقي هذه البلاد بل ظنوا أن هذه الغاية من الممكن أن تكون بداية مع أن ما نرى عليه جيراننا من الممالك الغربية لم يصلوا إليه إلا بعد معاناة أعاب ومقاساة مشاق وسفك دماء شريفة وثل عروش ملك رفيعة وكانوا في كل ذلك يقربون من المقصود تارة ويبعدون عنه أخرى كما يرشدنا إليه تاريخهم حتى بدلت الحوادث الدهرية طبائع الأهالي وغيّرت أخلاقهم ونهبت الضرورات أفكارهم وهذبت المحالطات الجهادية والتجارية عقولهم أن بداية التقدم الأوروبي في الحقيقة كان في نفوس الأهالي وأفراد الرعايا علمتهم الحروب الصليبية سبب البر والبحر وخالطوا فيها الأمم الشرقية أجيالاً وطمحت أنظارهم لمغالبتهم فدققوا في سبب قوة الشرقيين (التي كانت لهم إذ ذاك) وبحسبوا في أحوالهم فرأوا لهم عادات جميلة وفيها بينهم أفكار سامية ورأوا في دوائر أعمالهم أنساعاً وأيدي الصناعة والاكتساب مطلقته الحربة ولذلك كانت الفنى والعزم مستوكراً أقطارهم فاخذ أهالي أوروبا عند ذلك في تقليدكم لكن لافي البهارج والزخارف بل في أسبابها والموصلات إليها وهي توسيع نطاق الصناعة والتجارة ونحوهما من وجوه الكسب فكان ذلك أساساً للعمل وقرر في النفوس وثبت في العقول وبنوا عليه ما شاءوا ولو تأملنا تاريخ سبب التقدم الأوروبي لرأينا

أسباب التقدم مجمعها سبب واحد وهو احسن نفوس الاهالي بالآلام صعبة الاحتمال من ظلم الاشراف (النبلأ) وغدر الملوك وضيق وجوه الاكتساب وفرة دينية على المسلمين الذين استولوا على حرمهم المقدس وهذا الاحساس هو الذي دعا الانفس الكثيرة العدد الى الخروج من هذه الآلام فطلبوا لذلك أسبابا متنوعة أقواها التعااضد والتعاون على ترويض وسائل الكسب وافتتاح أبواب الرزق فكانت تعدد لذلك المحالقات والمجاهدات وتتألف له الجماعات فكان جرثومة تقدمهم أمرا منبئا في غالب الافراد وعجزا في أغلب العقول وهو نشاط الاهالي في اجتلاب الثروة وطلبهم لحرية العمل لينالوها ورفضهم لتلك التقيدات التي كانت تمنعهم من طلب حقوقهم الطبيعية ثم تدرجوا فيه ينتقلون من حال الى حال والاصل ثابت لا يتغير حتى عم التغير جميع العوائد والمشارب والقوانين ولم يكن ذلك كله الا من حرص الاهالي أنفسهم على الخروج من الآلام التي كانوا يشعرون بها في كل لحظة من حياتهم ويتوارث هذا الشعور وذلك الحرص أبناؤهم من بعدهم

أما عقلاؤنا فقد وجها نظرم الى حالة التمدن الحاضرة والاهالي على غير علم منها بانفسهم فاستلغتهم العقلاء اليها لكن لا بتحريك غيرتهم الى العمل اختيارا أو ألجأهم اليه اضطرارا وتسهيل الطرق لهم حتى يسير من جميع عناصر البلاد وطبقاتها اشخاص مختلفون في الافكار والاحوال الى تلك البلاد المتمدنة ويشهدوا عاداتها وأحوالها ويهتم العقلاء منهم بالبحث عن أسباب السعادة وموجبات الشقاء اهتمام المضطر الذي يطلب خلاص نفسه من هلاك يتوقعه بل جلبوا اليهم كثيرا من أبناء تلك البلاد فظهر عليهم الرفاهية وترى عليهم آثار النعمة يتكلمون بما لا يفهم ويفكرون فيما لا يعقل فشادوا بيتنا أبنية وزينوها بما لم نكن نهدم من أنواع الزينة وجلبوا اليها من مصنوعاتهم ما راق منظره وطاب مخبره لكننا لم نشهد مصنعه ولم ندر منبته ورأيناهم يترنون بهذه الطلائف التي تذهب الحزن وتشرح الحواطر ويتنافسون فيها فاعجبنا حالهم هذه وقال لنا العقلاء كونوا مثلهم والحقوا بهم في هذه السعادة ثم صاروا أئمة لنا في العمل فاخذنا تشبه بهم لكن فيما رأينا وهو الزينة والبهرجة

غير باحثين عن كون ذلك هو الذي يلحقنا بهم في الحقيقة أم لا ومن ذلك ترى أفكار الغالب ما دائما عند ما يجد فرصة الاقتدار موجهة الى تشديد الابنية وتجويد وضعها واتقان ترتيبها وتزوين بواطنها وظواهرها والتوسع في لوازم المآكل والمشارب وآلاتها وأوانيها والتفنن فيها وجلبها أو أغلى ثمنها وأدخل في انظر وأجلب للأنس والتأنيق في الملابس ومحاذاة الاوربيين فيها ومحاولة ان تكون على النمط الاعلا عندهم وعلى هذا النحو تفننا في أنواع المفردات ونأمتنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه وارتفعت عن الطاقة فيه وتنافسنا في ذلك كتنافس أسلافنا في افتتاح البلاد وتملك الحصون وبالجملة فقد سلكنا مسالك المتدينين في ثمرات تمدنهم التي جعلوها من زواجرهم فاسرفنا في الانفاق وصار الناظر للابسة وساكنتنا والذائق لمطامعنا ومشاربنا يشهد باننا في ذلك بحمد الله متمدنون قد اشركنا معهم في ثمرات التمدن أي ما ينتهي اليه حال المتمدن من طلبه للتمتع بالذائذ وركونه لترويح النفس وتخفيف أتعابها

لكن من تأمل حقيقة الامر علم ان مثلنا في ذلك كمثل الدجاجة رأت ان الاوزة تبيض بيضا كبيرا فطلبت ان تبيض مثلها فأجهدت نفسها في ان يكون ذلك غير عارفة ان ذلك لا يكون الا باستمداد (أي بأن تكون أوزة) فخبست نفسها واستعملت قوتها الدافعة حتى انشقت منها ما انشقت وتمزقت منها ما تمزقت فان افراطنا في تقليد الاوربيين ومجاراتهم في عاداتهم التي نفلتها تفوق عادتنا البسيطة فعل في نفوس غالب الاغنياء منا فعلا غريبا صرف نظرهم الى اللذائذ واستكمال لوازم الترف والتعيم وأحدث في نفوسهم غفلة عما يحفظ ذلك عليهم بل يوجب ازدياده لديهم وهو الوقوف على الطريق المستقيم الموصل الى اكتساب المجد الحقيقي والشرف الدائم الذي يتبعه الفنى والثروة والراحة المستتعبة للذة الحقيقة والتعيم الباقي في الحياة وبعدها ومن هذه الجهة (جهة الغفلة عن روح الثروة وحياتها وهو التمدن الحقيقي أعني الاحساس بوجوه اللذائذ والآلام والتشط في طلب وجوه الكسب المتنوعة وطلب الامنة على تلك الوجوه ومراعاة الحقوق والواجبات الطبيعية والشرعية) فارقوا الامم المتعدنة فصح ان يطلق عليهم أنهم

في غاية التمدن مع أنهم إما في بدايته وإما قبلها بكثير وحق لهم ذلك فانهم رأوا
أبواب اللذات مفتحة قبل أن يمدوا عقلا يقدر لهم ما يلزم منها وما لا يلزم
كل ذلك نشأ من جلب تلك العوائد الترفية الى بلادنا وطالب التحلي بها
بدون أن نهوز ما يوصلنا اليها من أنفسنا ولبتنا قبل أن نشيد بيوتنا بالارتفاع
الشاق والرتيب المحكم ونزينها بأنواع النقوش والفرش والاثاثات أبقيناها على
بساطتها وشيدنا في عقولنا المهم الرفيعة والحجة التي لا تمتد اليها الايدي وأحكمنا
طرق سيرنا في حفظ حقوقنا ورتبنا في مداركنا جميع الوسائل والمعدات التي تحفظ
علينا ما وجدنا وتجذب اليها ما فقدنا وزينا نفوسنا بالفضائل الانسانية والشرعية من
رحمة بالضعفاء ورفق بالمعروفين وغيرة على البلاد وأنفة عن الصغار

لعمرك لو قدمنا هذه الزينة الجوهرية على ذلك الروق الصوري لكان
العالم بأسره ينظر اليها نظر الراهب الخائف أو برمقنا بالحظ العظيم المبجل وكانت
معيشتنا البسيطة أروع في نفسه من معيشته الرفيعة وكان ذلك سهلا لو أن الزاعمين
فيما حب الترقى والتقدم ساروا بنا من البدايات وحجبوا عن النهايات حتى لا تراها
الا من أنفسنا فطلبها لالا انها أعجبت النظر ولكن لانها بنت الفكر ونتيجته وكانوا
يعلموننا محاذاة المتدينين في أصول أعمالهم لاقى زوائدها فكنا بذلك نصل الى
ما وصلوا اليه في زمن أقل بكثير من الزمن الذي نالوا فيه ما نالوا لكن فاق الوقت
ونحن الآن فيه فعلينا بالعمل غير مقتصرين على مجرد العمل

وكتب في العدد ١٠٩٢ الصادر في ١٩ ابريل سنة ١٨٨١

كلام في خطأ العقلاء

لسنا ننكر ان بلادنا كانت في الازمان السابقة تحت تصرف اقوام خشنيين
لا يعملون للخلق غاية الا وجودهم الشريف وكانوا يمدون افراد الاهالي انعاما
خلقت لهم يستعملونها كيف يريدون (كما كان ذلك شأن سائر الامم غربية
شرقية) فارغوا أنف الطبيعة ومحو أنوار الالهام الفطري الذي وضعه الله في نفوس
مهاده لهم منافهم ومضارهم حيث وقفوا سدا حصينا بين كل شخص ومنافه

فاستأثروا بجميع ثمرات الاعمال فلا يعمل العامل وله أمل بأن يجني ثمرة عمله فانه عند ما تبدو الثمرة يسرع حاكمه الى قطعها وكانت حياته معقودة بغضب ذاك الحاكم ورضاه فان رضي عنه فهو في أمن عليها وان غضب عليه فهو ان عاش كمرضى بالغ به المرض غايته ينتظر الموت في كل لحظة فيكون في حالة تسليم مطلق (خائف على حياته مستسلم لقضاء حاكمه) وبالجملة لم يكن لاحد من الاهالي حركة اختيارية ناشئة عن فكره الخاص به في تحصيل منفعة أو درء مضره بل كانت أعماله تابعة لارادة سيده الحاكم وكان يعتقد أنه وما ملكت يده حل للامر عليه وليس لتصرف ذلك الامر حد يجب ان ينتهي اليه وهذه حالة يصعبها تاريخ هذه البلاد اجيالا كثيرة اذا استرسلنا في طلب مبدئها قد نصل اليه وقد لانصل وبذلك الاسترقاق الظاهري والباطني فنبت الارادة ومات الاختيار وطفى نور الفكر بالمره

وكان من جملة التقييدات النفيّة التي وضعها أولئك المستلطون المحجرون على أهالي المدن وغيرها في الاعمال والاقوال الشخصية حتى كانوا من شدة التضييق يستعملون طريقه يقال لها الكبسة وهو ان يهجم رجال الضابطه على بعض الاماكن ليلا ليقبضوا على من يظن بهم الاجتماع على فسق كفتح النساء أو شرب للمسكرات وما شاكل هذا فان وجدوا شيئا من ذلك ساقوا من مجلدونه الى حيث يستوفي عقابا أليما وكذلك وضعوا في الافواه لجاما من الرهبة فلا يكاد ينطق الناطق بكلمة في مطلب علمي أو تجادل في حال شخص الا ويرمي بكفر وزندقه أو طعن في حاكمه وله عند ذلك الويل الذي لا مخلص منه كل ذلك سمعنا به من بعضه بالنقل ورأينا بعضه الآخر بالبيان

فذلك كانت حالة تمييزية يجب على عقلائنا ان يتحلوا كل وسيلة لتخليص رقاب العباد منها فزرّق الله هذه البلاد باناس خالطوا الامم المتمدنة وطالعوا أحوالها ورأوا ماعليه أهلوها من اطلاق الارادة وحرية الاختيار فطلبوا لبلادنا ان تكون في أحوال أهاليها الشخصية على مثال سكان تلك البلاد المتمدنة لكنهم أول ما بدأوا به ان أباحوا (ما أقبحهما من اباحة) لكل شخص ان يعمل فيما يحسن

نفسه بارادته و يتكلم فيها هو مقصور على ذاته بمقتضى فكره وشرطوا في ذلك شرطاً (ما أنفسه من شرط) وهو ان تكون تلك الاعمال والاقوال غير متعلقة بارتباطاته مع حاكمه فان كانت كذلك فدونها ضرب الرقاب أو سكن الحبوس أو الجلاء عن الاوطان وسموا تلك الاباحة حرية وفادوا بها على الالسة الظالمة فكان حاصل تلك الحرية ان لا جناح على من ارتكب أي جريمة وتطبع بأي خلق حسنا كان أو سيئاً وذهب الى أي مذهب صحيحاً كان أو فاسداً وانما عليه ان يكون تحت أمر الحاكم ليس له حق في أن يمنع عنه مطلوباً أو يستغنى عنه مسلوباً أيأ كان فلم يجعلوا للسلطة حداً معينا وهو الذي نسميه بالقانون الذي يعرفه كل أحد فيقف عنده بل أبجوها على ما كانت عليه وجعلوا تلك الحرية غطاء على هذا الاستعباد فهم في الحقيقة لم يقلدوا الامم المتمدة في اطلاق الارادة من جهة الارتباطات العمومية الثابتة فهذا خطأ من وجه ان كان لهم مقصد إصلاح وظلم ان كانوا متمدين هذا التقييد ثم انهم قلدوها في الاحوال الجزئية الشخصية مع عظمهم ان البلاد غير معتادة على مثل هذه الحرية فيها فلذلك اندفعت الناس الى انتهاب الشهوات وهتكوا حرمة الوقار وتهاكوا على شرب المسكرات في بلادنا الحارة الى الحد الذي لا يبلغه الاوربيون في بلادهم نادرة وكثرت لذلك الحانات ومخازن الشراب المهلك العقول والابدان ثم تولموا بما يتبع السكر من الهو والهيب وتنافسوا في الحفلة عند النساء الباغيات واتسع الامر في ذلك حتى صارت المداعبة والملاعبة بين النساء والرجال في الطرق والشوارع وتهدى ذلك المرض المهدي الى الحرائر فذهب الكثير منهن الى حيث يتنبتن وافتنضت بذلك بيوت شريفة وكما طلبت لذلك منعاً أو رمت له دفعا قال المولى هذه حرية فضع شأن الآداب وانحطت قيمة الشرف والوقار حيث أصبح أبناء الاغنياء وذوي المقامات ينساقون الى التهور في هذه الاحوال الرديئة ويدعون اليها من دونهم ومن فوقهم (الا قليلا) ويصرفون فيها مالا يقدر من النقود (وسأجل ذلك موضوعاً خاصاً) وكاد فساد الاخلاق يسري الى كثير من طبقات الاهالي هذه نتائج حرية ذلك العمل

وأما نتائج حرية الفكر (التي يزعمونها) فكانت خاصة بالاعتقادات والمشارب الدينية فأخذ كثير من الناس بجهر بين العامة بألفاظ تناقض دينه الذي ولد فيه فإن قيل له خفض من صوتك واجل في قولك فما كل الناس يرضاه قال اننا في زمان الحرية على ان أفكاره التي يذهب اليها في مخالفة دينه ليست بأفكار مرتبة مبنية على مبادي ربما يقال انه اتخذها مشرباً بل ألفاظ حفظها من معاشريه لو سئل عن معناها أو طلب منه أي وهم ساقه اليها لعجز عن التعبير والنجا الى التهموس ورى من يخاطبه بالجهل والخشونة حيث لم يواقه على مشربه الفاسد ثم يتخذ هذه الخزعبلات الاعتقادية التي يظنها تنوراً وتبصرأ ذريعة لاستباحة القبائح واستحلال المحظورات ولقد رأيت شخصاً ينكر ألوهية الخالق والعباد بالله ثم يسأل عن حكمة المراج ومنهم من ينكر النبوات ويعتقد بالشياطين وما أشبه ذلك فهو لاء من الجهل بمكان لا يعلم فيه حيوان فضلاً عن انسان

فهذه الحرية البتراء التي رمانا بها عقلاً ونا لم تدع لها أثراً بحمد وان كان الأورباويون يحرصون عليها فإن استعداد بلادنا لم يكن ملائماً مثل هذا الاطلاق الذي هو في الحقيقة عين الرق والاستعباد فإن الجاهل الذي لم يتعود على نصريف ارادته واعمال اختياره اذا أطلق له العمل وقع في أشد من الرق وأضر من العبودية نعم انه عتق من أسر الضابطة وغل الجزاء ولكن شعوانه الخبيثة تبعه بأبغض الأثمان الى الاسراف والبطالة والكسل وجميع أنواع الشرور وتودعه سجن الفقر ونفسه بطوق النل والمار ويا ليت بقي تحت سيادة القانون يسوسه حتى في أعماله الشخصية فالكبسة على ما كان فيها من الخطر على الانفس والاموال وشناعة الصورة لو أحسن فيها القصد لكانت أولى وأفضل الى زمن تتقدم فيه التريية فيكون لكل شخص زاجر من نفسه فتزفع الكبسة بناتها ويزهد الناس أحراراً بطبعهم وما كان ذلك بمسير ولا محتاج الى زمن طويل وما ضرنا الا التقليد على غير تبصر بحال البلاد واستعدادها

فتلك الحرية التي سبها اطلاق الفكر قد عتقت صاحبها من قيد العقل وأسلمته الى الجهل الأعمى فهو يتصرف به كيف ما يقتضي من المضرات ولو أنه

بقي تحت سيادة العقل يسوسه المهذبون وبقوده المتبصرون حتى يعلم من أين تأتي
الافكار وبأي الوسائل يوفى العقل حظوظه الحقيقية لكان ذلك خيرا وأبقى
ولم يكن يحتاج الا لتخفيف يسير في شغاعات المتعصبين وتعيين دائرة منتظمة
يردد الكلام بين محيطها الى زمن معين حتى تستقيم العقول فتضرب لنفسها حدا
تقف عنده ولكننا طلبنا ان نكون على مثال الاوربيين في عوائدهم حتى المضرة
بأخلاقنا وأعمالنا وأفكارنا

وباليت العقلاء منا في الزمن السابق اقتدوا بالبلاد المتقدمة في الازمان السابقة
عند إرادتهم تأييد الاستقلال حقيقة حيث بدأوا بالمجالس البلدية فكان يمكنهم
ان يضعوا لأهل البلاد قانوناً بسيطاً ينطبق على عوائدهم وأحوالهم ويقرب فهمه
من ادراكهم ثم يفوض الى أهل كل بلد ان تنتخب منها عدداً معيناً ليقوم
بالتفعل بينهم على مقتضى هذا القانون ثم يصنعوا مثل ذلك في المدن على حسبها
ويذهب اشخاص من العارفين الى القرى والمدن ليفهموا أولئك مواد القانون
السهل البسيط ويدبروهم على كيفية العمل به ثم لايزلوا على المراقبة ازماناً فلا
تغني مدة حتى يكون جميع الاهالي عالمين بما يجب عليهم ولهم فتتمو فيهم القوة
ونحيا فيهم روح الاختيار كما كانت عليه الجمعيات ببلاد ايطاليا وفرنسا وغيرها
في مبدأ تمدنها ثم يتدرجوا في القوانين الى أرقى مما وضعوا أولاً مع تفهيمه وتعليمه
لجمهور الاهالي ليعلموه فيقفوا عند حده

وكان في ذلك غنية عن القوانين الضخمة التي لا يفهمها الا الراسخون في العلم
وهي محفوظة بين دفات الكتب وصدور بعض من الزبهاء لكن الاهالي أنفسهم
الذين قد وضعت هذه القوانين لهم غير عالمين بها فكيف يطلب منهم ان يعملوا
بمقتضاها ان هذا شيء عجاب غير ان العقلاء منا يقولون لابد ان نكون بمائتين
لأوربا في القوانين والعادات رغماً عن الحق الذي يقضي علينا بأن نكون خاضعين
لاحكام بقعنا وما تقتضيه طبيعة موقعنا الذي نشأنا فيه ولن يكون ذلك أبداً
وانا نخشى لو تمادينا في هذا التقليد الاعمى واستمر بنا الأخذ بالنهايات
الزائدة قبل البدايات الضرورية الواجبة ان تموت فينا أخلاقنا وعاداتنا وإن

يكون انتقالنا عنها (لوانتقلنا) على وجه تقليدي أيضا فلا يفيد لكن الوقت لم يفت بعد فلي من يريد بنا خيرا ان يذهب بنا طريقا قويا ولاأراه الانشر القوانين (وان كانت طويلة صعبة المنال في وقتنا هذا وما لا يدرك كله لا يترك كله) أعما لا يكتفي بنشرها على لسان الجرائد فان قارئها قليل ولا بارسال المنشورات الى عمد البلاد فان كثيرا منهم قلما يفهم اذا قرأ ولكن لابد من تشكيل جمعيات في القرى والمدن لتفاهم القوانين واللوائح والمنشورات والا ضاعت الحقوق وكثرت المشاكل وصعب كبح صفار المأمورين عن الاجراءآت المضرة بالحكومة والا هالي معاً ثم وضع حدود قوية للأعمال الشخصية والأخلاق والتصرفات فان اصلاح الاخلاق والافكار والأعمال من أهم واجبات البلاد وبدونه لا يمكن اصلاح شيء من أمورهما وليس بجائز أن يجعل في درجة أقل من درجة قوانين حفظ الضبط والربط ومركز النظر في جميع ذلك نهاء البلاد وذو الشأن فيها فليهم ان كانوا صادقين في الوطنية ان يبدلوا الجهد في طلب ذلك والقيام بما يلزم والافانهم مقلدون فقط والله أعلم

وكتب في العدد ١٤٠٠ الصادر في ١٦ جمادى الثانية سنة ١٢٩٩ - ٤ مايو

سنة ١٨٨٢

التمرن والاعتیاد

حصول صورة الشيء في النفس علم وميلها الى طلبه أو تركه ارادة والتصميم على أحد الأمرين عزم وليس بعده الا الطلب بالفصل أو الترك والترك لا يحمل النفس كبر مشقة سوى الوقوف على كون الممرؤك من الامور التي تكلف بها النفس تكليفا ضروريا أو كاليا كان من الامور المباحة أو المحظورة فاذا وقفت على حقيقته انصرف عنه انصرافاً

أما الطلب فهو أحد الأمرين الذي يحمل النفس عنائين أحدهما يتعلق بها من جهة قوتها الفكرية والثاني من جهة القوة العملية المودعة في أعضاء البدن والاول مقدمة الثاني وسابق عليه ونسبته اليه لدى أر باب الحل والعقد ورجال النقد نسبة الأمرين المتضايين لا يوجد أحدهما بدون الآخر

أما الأول فهو البحث في أصل الطلب واستقصاء ما يعود منه على الطالب أو غيره من المنافع والتغيب عن الوسائل التي توصل إلى الناية بلا مشقة ولا فوات منفعة وتقدير الأعمال إزاء الفائدة لتكون المنفعة مساوية على حكم التبادل في الأعمال البشرية أو زائدة عنها على أصل التفاضل وذلك كله إنما يكون بعد أن نعرف نسبة الطلب إلى غيره من المطالب ليترجح عما سواه بخاصية من الخواص حتى لا يلزم على الشروع فيه الترجيح بلا مرجح هذا شرح حال العناء الأول وليس بعده إلا الشروع في العناء الثاني عناء الأعمال البدنية

أما فوائد الأعمال فهي وإن كانت جزئياً لها غير قابلة للدوام والاستمرار إذ هي نتيجة أعمال متجددة وكل متجدد فتأخره كذلك ولكنها تقبل الدوام بكليات أنواعها دواماً غير مطلق والطالب لا يستغني عن هذه الفوائد وقتاً من الأوقات وكيف يستغني مع أن الحامل له على العمل حاجته إلى فوائده سواء كانت من الضروريات أو الكاليات فهو محتاج إلى دوام الفوائد ودوامها يتوقف على دوام الأعمال وهو أمر موقوف على العامل وليس إدامته العمل المطلوب في موضوعنا هذا أمراً من لوازم وجود ذاته فيحتاج إلى صفة زائدة تقضي عليه أن يكون دائم العمل بقدر الحاجة وليس احتياجه كافياً لهذا الاقتضاء إذ ربما تحققت الحاجة بدون أن يتحقق دوام العمل وإلا لم نسمع بذكر النهاون والكسل والاهمال وما شاكلهما على أن الحاجة متفاوتة فما كان منها في الدرجة الأولى درجة الاضطراب البحث فهو بنفسه كاف لإدمان العمل بخلاف ما كان منها في الدرجات الثانوية فما فوق والصفة القاضية بالإدمان أي المتمة لعلته هي التمرن والاعتیاد وبعبارة أوفق بالعرض: أن ما لا تدعو إليه الحاجة أصلاً في زمن من الأزمان قد تدعو إليه في زمن آخر لا لسد الاضطراب البحث بل لما زاد عنه من الحاجات الثانوية كالنكاليات والمحسنات وقد تدعو إليه بعد زمن طويل أو قصير لسد الاضطراب البحث فلا يجد الإنسان عنه فراراً فيتكلفه مقهوراً مقسوراً يتصور المنفعة على بعد ولكنه غائب في دهشة آلام الأعمال التي لم يتكلفها يوماً من الأيام لولا حكم الصروف والمآثرات التي قلبه على بساط القهر قلب المصنف

في يدي الطفل فلا يزال بحس بالآلم ويدمن العمل حتى يهون عليه شيئاً فشيئاً الى ان يزول الآلم بالكلية ولا يجد الاعمال بدون آلم فاذا مضت برهة بعد الابتداء يحس من نفسه بعض الميل الى العمل فكأن الآلم الاول استحال الى ضده (على حكم تلاقي الطرفين) ويجد منه باعثاً طبيعياً اليه وهكذا يزداد الميل ويشد العشق حتى لا يميل به الكسل يوماً ما الى اهمال العمل وهذا هو المقصود من التحرر والاعتقاد

أما كون الشيء ربما يكون ضرورياً في وقت دون وقت فالامر فيه وان كان على ما أظن لا يحتاج الى البيان غير اني بحكم الحاجة لتوضيحه لبعض الناظرين أقول

ان الانسان من حيث هو مفكر لا يقف عند حد محدود فيما يملق بلوازم حياته وهو في ذاته غير مكلف بكل فرض مطلوب يعده من قبيل النكدن أو الحضارة أو العرف في المعيشة أو غير ذلك بل يكفيه ما يسد الرق من القوت وبقية الحر أو البرد من اللباس ويكفيه وقت الايواء من البيوت غير أنه لما تألق في هذه الضرورات بعض التألق ورأى أنها تقبل التحسين شيئاً فشيئاً أخذ على نفسه أن لا يقبله قرار ولا يهدأ له جاش حتى يستخرج من دائرة الامكان كل ما تنادى اليه فكرته فجهد واجتهد واستطلع يقونه النظر بقواص العناصر فحسبها عند ما اكتشف منها معدات تساعده على غرضه أنها لم تخلق الا له فتسلط عليها بصفتي التحليل والتركيب حتى فتح أبواباً للتجارة والزراعة والصناعة ووصل الى ما وصل اليه الآن وهو في هذا السير الطويل ينحدر أثقالاً على أثقال كلما وصل منه الى درجة ظن أنها آخر المراحل وحسب نفسه فيها غريباً فيتخذ نتائج تقاليداً القرية زينة شائفة كل أمر غريب نادر الوجود اذ كل نادر عزيز قال الشاعر

سبحان من خص القليل بجزه والناس مسنفنون عن أجناسه

وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس للمحتاج الى أنفاسه

فاذا توطنت نفسه الى هذه الغرائب زماً استتراد منها حتى يبلغ بها حد

الكثرة فيستعملها في لوازمه الضرورية في كافة أحواله ولا يخلص بها وقتا دون وقت الى ان يصير من قبيل الأمور المتأداة التي لا يستغني عنها بحيث يعتبر كل ما كان أقدم منها وفي درجة قبلها من التقاليد ساقطاً عن درجة الاعتبار وغير جائز الاستعمال ويتوهم أن استعماله في الحالة التي وصل اليها يزري بمقامه المنهف ويحط بمقداره الشريف ولا يذكّر أنه هو هو الانسان أيام كان يقتات بسائط النبات ويستتر بأوراق الاشجار وياوي الكهوف والأغوار فبان بما ذكر أن الشيء قد يكون ضرورياً في وقت دون آخر

ومن وجه آخر نقول انا اذا سبرنا أخبار الأمم نعلم يقيناً ان الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت الى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة بل لا يدركا يشهد العيان ان تسبق أمة من الأمم الى غاية في المدنية فاذا نظرت الى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها والانسان (قتل الانسان ماً كفره) بحكم الحيوانية مطبوع على التعدي والشره فتفاخرها بما يدهش العقول ويبهز النواظر من صناعاتها الغريبة وأوضاعها الجميلة فمرمقها تلك عين الدهل المندهش وتوهم أن ضعفها واقعي فتنبض نوعاً من الاقتباس فاذا توسمت فيها هذه الانكشاف والدعر (الخوف) أخذت تهددها بما تقلب عليها من ضروب الخيل والدهاء وما تنظاها به من قوة الجند وكثرة العتاد فتقف تلك وقفة الحائر المنفكر الى أن يرشدها التأمل الى أن هذه ما وصلت الى ما وصلت اليه بالعلم والعمل المتوقفين على الكد والاجتهاد فتندفع وراء الجذب بحكم الاضطراب حتى تصل الى ما وصلت اليه أوتكاد غير ان تلك أيضاً بعد ان تدرك لذة التقدم وتسببها سكرة التيه طعم القل الذي كانت تقاسيه تحت رهبة جارتها الا ولي تعامل الأمة المجاورة لها أيضاً بمثل ما كانت تعامل به في مبدأ الأمر حتى تضاعفها كذلك الى ان تركب من الاجتهاد في السير وراء من تقدمها وهكذا كلما دخلت أمة من باب كلفت به من مجاورها من الأمم حتى تنتظم الأمم جميعاً في سلك واحد في هذا الباب ولكن حيث ان حب التسابق طبيعية في الناس فلا ترام يقفون لدى نقطة بل متى وصلوا الى حد ما من حدود التقدم

فلا يمضي زمن طويل حتى يقال ان أمة كذا اتمت فرصة عظيمة وفلحت بابا من أبواب التقدم عاد عليها بالناء في الاموال والافس والثمرات و بأن مجاور بها يخشون بأسها ويرقبون حركاتها فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان ولا تسكن خواطر بقية الامم والممالك حتى ينساقوا الى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون . فبان ان الامم قد يحتاجون في زمن مالا يحتاجونه في آخر فصدق القول أن الشيء قد يكون ضروريا وقد لا يكون

وما ذكرناه من التقلبات والتقلبات بحكي حال الجمعية الانسانية من يوم ان تفرقت شعوبا وقبائل يتخالفون في العوائد والاخلاق فيتنافسون وينحاسدون على التغير والقطير ويقلب عليهم حسب القدرات والميل الى الخصوصيات فيدعون أنهم أجناس شتى ولا يزال حالهم كذلك يتقلبون على جمر الشحنة ويعذبون بعوامل البضاء فتارة ترمي بهم الاطماع في محاليل التكلف ومشاق التنقل من حال الى حال فيضطربون لهذا الأمر اضطرابا وينقبضون منه انقباضا وآونة يلقي بهم الجهد الجيد بعد أن يروا من الصعوبات ألوانا في بوادي الراحة عند ما يصلون الى نقطة التمرن والاعتیاد ولكنها نقطة غير ثابتة كما أن درجات تقدمهم غير متناهية فلا يزالون يتددون من التعب الى الراحة حتى يرجعوا الى المجري الطبيعي فيلتشون بعد التفرق ويرضون عن أعينهم حجاب هذا افشنت ويا ليت شعري ما هو النازل الذي حل بالانسان فقير مما له الطبيعية وبدل أخلاقه السلمية وحل رابطة النوعية والا فهدنا به ان لم نقل انه من أم وأب تسليما جديلا فهو من نوع واحد يشف مرآة عن الوحدة النامة الناطقة بأن الانسان من جرثومة واحدة نشأ عنها عائلة واحدة حواها بسيط واحد و بطتها عادات وأخلاق متحدة الصفة ولقد رمزت تعاليمه الحاضرة - التي منها وهو أكبرها تميم المواصلات وتأكيد الروابط بين الممالك وحركة الاجتماع والتألف - الى هذا السر المكنون وبشرتنا المحافظة العامة على دعائم السلام والراحة المومنين حفظا لحقوق الانسان وصونا لذمة الشرف بان الحركة الصومية موجبة الى النقطة الاولى

وكما قربت الى المركز زادت سرعتها شأن كل حركة طبيعية ولقد أثرت هذه الحال تأثيراً خفياً في الجمل الغفير من عقلاء الناس فقلوا الى خدمة الانسانية من غير ان يتصوبوا لجنس ولادين ولا مذهب فاذا رجع الانسان الى مركزه الطبيعي لا ترى الجمعية البشرية بعد إلا كما كنتي منزل واحد يرتفقون بمنافسه على السواء ويجدون من بركات الارض ما يكفيهم مونة الثعب ويكفهم عن الشقاق والعناد اذا أصاب قبيل منهم منفعة عادت على الجميع بدون اختصاص على حكم تبادل الاعمال واذا نزل قبيل نازل توجه السكل الى اقتاذه مما ألم به وساروا جميعاً على وفق القانون الطبيعي المودع في فطرة الانسان يهديه اليه من علم الطير النياحة، وصرنه على السباحة، ثم لا ترى فيهم اذ ذاك ما يحتاج معه الانسان الى كلفة وعناء بل لا ترى الا أعمالاً جارية على منبج السهولة منبج الثمرن والاعتياد اه من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

باب المراسلة والمناظرة

﴿الدين كل ما جاء به الرسول﴾

حضرة الفاضل المحترم صاحب مجلة المنار
أطلعت على المقال المنشود في الجزء السابع من المنار لحضرة محمد أفندي
توفيق نحت عنوان (الدين هو القرآن وحده)
فأدهشني العجب لما رأيته فيه من الفلسفة الحارقة التي لم يسبق لها مثال اذ
قرر حضرته هلم دعامة من دعائم الدين واجتث أصلاً ثبتت جذوره في قلوب
جميع المؤمنين (ثم ان الكاتب لخص المقال بنحو عشرة أسطر تلخيصاً يمكن
التراجع فيه على انه لا حاجة اليه ثم قال مانصه)
ولعمري لو لم يكن الرسول منبياً لا حكام الله التي لم تفصل في التنزيل ككيفية الصلاة
من ركوع وسجود وتسبيح وتهليل ومشروعاً لم يرد في القرآن حكمه وان ما بينه أو شرعه
واجب الاتباع تسطت وظيفته وكان اقتداء الصحابة به وتعلمهم منه عبثاً باطلاً قل

لي بأبيك اذا لم يكن أمر الرسول صاحب الشرع وصاحب الوحي المصوم من الخطأ والزلل كأمر القرآن والكل من عند الله فما معنى قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ومعنى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ومعنى « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » ومعنى « ومن يعص الله ورسوله ويؤد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » ومعنى « وما ينطق عن الهوى » قل لي بانصاف لو لم يبين الرسول كيفية الصلاة التي أمر الله بها من ركوع وسجود أ كان أحد من الصحابة يمكنه أن يؤديها على حسب رغبة الله فيركع الركوع الخصوص ويسجد مرتين في كل ركعة ؟ ما أظن ذلك أبدا ولا أظن أن الكاتب نفسه عرف كيفية الصلاة إلا عن سنة النبي اذ القرآن لم يبين ان يسجد الانسان مرتين بل أجعل الامر وترك كيفية التفصيل للنبي . أيريد الكاتب ان يفهم في الدين فهما غير ما كان يفهم رسول الله وبذلك يكون الدين أو القرآن (كالأسنك) صالحا لكل زمان ولا يكون جامدا متحجرا كما يقول البعض

ان قول الله عز وجل « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » لبرهان قاطع على ان سنة الرسول يرجع اليها ككتاب الله وكذا قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » أدل دليل على أن أوامر الرسول ونواهيه واجبة على متبعيه ولا يشبه عليه انها نزلت لسبب اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ولماذا لم تذكر طاعة الله الا مقرونة بطاعة الرسول أ كان ذلك من باب ترادف اللفظ على المعنى الواحد فنكون طاعة الله هي اتباع أوامر القرآن وطاعة الرسول هي أيضا اتباع أوامر القرآن أم كانت طاعة الله فيها أمر به في القرآن وطاعة الرسول فيما بينه من الاحكام التي لم ترد فيه ؟ قل لي أي المعنيين أرجح عندك لا أظن الا الثاني الذي لا يقبل العقل السليم غيره

واني واثق من أن الكاتب مقتنع بالقرآن حيث جزم بصحته أفلا يقتنع بما سرده له من الآيات

ولو كنت أعلم أنه يقتنع بالأحاديث التي لم يستغن عن الاستدلال بها في

مقاله لأوردت له كثيرا من الاحاديث الصحيحة التي تزيل عنه الشبهة كحديث « أنتم أعلم بأمور دنياكم فإذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به » وحديث « ما من نبي بشئ الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » وحديث « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شينان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وإنما حرم رسول الله كالحرم الله »

يقول الكاتب ان آية القصر تفيد ان الصلاة المقصورة ركعة واحدة للمأموم واني لأعجب كيف استنتج ذلك لأن الآية لا تفيد ركعة ولا اثنتين ولا ثلاثا لأن الله يقول « فإذا سجدوا فليكنوا من ورائكم » ولفظ سجدوا لا يفيد ركعة ولا غيرها

أما ما يقوله من ان النبي كان يواظب على أعمال من العبادة كثيرة ولم يقل أحد بوجوبها مما يدل على أن المواظبة على الشيء لا تقتضي وجوبه فهو مردود لانه بين لأصحابه الواجب والمندوب وجرى على ذلك نحو أر بمائة ألف مليون مؤمن (كذا) من عهده الى وقتنا هذا من غير ان يشذ منهم واحد واني أخجل ان أقیم على ذلك دليلا لان اثبات البديهيات من المشكلات . أفلا يقنع حضرته ما أقنع أولئك الملايين

يقول ان النبي لم يأمر بكتابة الأحاديث في عهده كما أمر بكتابة القرآن مما يدل على انه لم يرغب ان يبلغ عنه شيء من غير القرآن . وهذا أيضا مردود لانه كما أمر بكتابة القرآن أمر كثيرا بحفظ ما يقول ويفعل روي عنه هذا وقد حفظت أحاديثه في صدور الرجال الذين حفظوا القرآن وحرصوا عليها حرصا شديدا حتى ان الواحد من أصحابه كان لا يعمل عملا الا ويستشهد عليه بجملة أحاديث وقد خلف من بعدهم رجال دوتوا في الكتب كما دوتوا القرآن ونحروها

رواية وحداية حتى ضرب بهم المثل في شدة التحري لسنة الرسول (راجع مصطلح الحديث وتاريخ البخاري وغيره) وجعلوا لها مراتب يعمل بحسبها في الاحكام حتى صار اشتباها بأحاديث الكذابين محال (كذا)

وما كنت أظن ولا يخطر ببالني ان حضرة الفاضل صاحب المنار هذا كرك الكاتب في هذا الموضوع ولا يقتعه وهو ابن يمجدها وبأمره بعرض مقاله في المنار مع خلوه من الفائدة لأن هذا يدخل مشا كل جديدة بين المسلمين وليس هذا مما يتناوله الاجتهاد المزعوم ولعمري اذا كان فتح باب الاجتهاد يجر الى ذلك فسد بالطين واجب

ماذا يا حضرة الفاضل تطلب من الازهر بين وغيرهم من العلماء أن تطلب دليلا منهم على ان أقوال الكاتب فاسدة بعد ما قال الله تعالى (وما آتاكم الرسول الخ وهل بعد أمر الله صراحة كلام لأحد وهل بعد اجماع ملايين من العلماء على ذلك محمل للاستفهام والسؤال كلا

هذا وأرجوكم يا حضرة الرشيد المرشد باب مثل هذه المواضيع ونشر هذه العجالة التي لا أكتب بعدها أبدا في هذا الموضوع وفقنا الله وإياكم وجميع المسلمين للاهتمام بهدي الكتاب المدين وسنة رسول رب العالمين أحمد منصور الباز

تقيب أشرف مركز كفر صقر من طوخ

(المنار) حذفنا من هذه المقالة المالحص به كاتبها المقال الذي يرد عليه وقد أشرنا الى ذلك في موضعه. وحذفنا منها نحو ستة أسطر أخرى يذكر بها الكاتب مقاله الدكتور محمد توفيق أفندي صديقي في اختلاف الأمة في فهم الدين وانما حذفناها لأنه لم يأتزم فيها ما يجب في المناظرة ولأنها ليس فيها شيء من القوة اذ مضمونها ان الأمة اتفقت على الشهادتين وسائر الأركان الخمسة وليس هذا نفيًا لاختلاف الأمة . ولو كنت أجزئ نفسي مناقشة أحد من المتناظرين في أثناء المناظرة لذكرته بالأحاديث التي نطقت بأن الأمة ستفترق وبمخالف الفقهاء والمنكمنين وبأن الرجل لم يقل أنهم اختلفوا في كل أصل وفرع .

أما تعجب الكاتب من عدم إقناع صاحب هذه المجلة للدكتور صدقي ومن حمله على كتابة رأيه في المسألة ونشرنا آياه فله وجه ومن أسباب ذلك أنه لم يتفق له أن ذا كرني في ذلك الا وأنا مشتغل بالكتابة اشتغالا لامندوحة عنه واتني أعلم ان من الناس من يعتقد مثل اعتقاده في ذلك فلهذين السببين ولا اعتقادي ان الانسان اذا كتب ما يخطر له فان هذه الحواطر تنتقل بالكتابة من حيز الاجال والابهام الى حيز التفصّل والجلاء حتى انه كثيرا يظهر للكاتب الخطأ فيها كان يعتقد عند كتابته له . وكنت أريد أن أبين له رأيي فيها يكتب قولاً لا كتابة ولكنه اقترح ان ينشر ذلك ليعرف رأي علماء العصر فيه فنشرناه ليكون الرد على ما فيه من خطأ وشذوذ رداً على كل من يرى هذا الرأي وقد حدثنا بعض كبار شيوخ الازهر وأذكيا المجاورين ان أهل الازهر اهتموا بذلك المقال وتحدثوا بالرد عليه وأنهم ظنوا ان المنار ربما يتعقيم ويرد عليهم فقلنا لهم اننا لا نرد على أحد ولكننا ربما نكتب في الموضوع شيئاً بعد انتهاء المناظرة لاندكر فيه أحداً من المتناظرين ولا نرد عليه . ثم بلغنا ان بعض الاستاذين قد شرع في الكتابة بالفعل . ونحن لا نشترط على من يكتب الانزاعة العبارة وسلامتها من الطعن والتهكم عملاً بأدب القرآن الحكيم (وإنّا وأباكم لملى هدى أو في ضلال مبين)

تعليم الدين للاحداث وخطبة الجمعة في الاستانة

جاءتنا رسالة من عالم عثماني عنوانها «أهكذا يخلف محمد في أمه» لانتسحن نشر مثلها في شدته وإن كان حقاً ولكن رأينا ان نأخذ منها ما هو من أخص مباحث المنار وهو مسألتان احدهما طريقة تعليم الدين للاحداث وطريقة وعظ الرجال به بتركيا في هذا العصر الذي يسمونه «الحجدي الأنور» ذكر الكاتب في أوائل رسالته أن بعض المستخدمين بنظارة المعارف في الاستانة كان قد رفع تقريراً الى المايين يلفت فيه السلطان الى فقرة «وتعلم وترك من يفجر» الواردة في دعاء القنوت وينبه الى وجوب حذفها من هذا

الدعاء أرحدفه هو برمته من أدعية الصلاة . وقال ان السلطان استشار بعض بطانته في أمر هذا التبرير فأشار عليه بالأغضاء عنه وبين له سوء عاقبة الأمر بتركه . ذلك ان قراءة هذا الدعاء برمته في الوتر واجبة عند الحنفية والترك منهم ومن تركه عمداً وجبت عليه إعادة صلاته . وقال الكاتب « ان هذا الخبر نبي الى سبط الفاتح (سوخته لر) فسخطوا ويربروا ، وقموا وكفروا ، فأشار ذلك الداهية على جلالاته بأن يصدر ارادة بمنع الجهر بمعاقرة الحجر جبراً على برازيق الطرق والمحال العمومية فما أسرع ما كان ذلك مطلقاً لجمرة أصحابنا الشيوخ وداعياً لغت حديثهم وارجاع ثقتهم »

« ولم يكن يخطر لنا هذا الأمر ببال سيا والارتياب في الخبر مدعاة لسيانته لولا كرسية تركية صغيرة تسمى (النبائي ضاني) طبعت برخصة نظارة المعارف في مقر السلطنة سنة ١٣٢٢ وقد حوت ما يحويه أمثالها مما يلزم للبستى . فعلم لاجل حديق القراءة . تصفحت تلك الكراسة فوجدت فيها جميع الادعية المأثورة حتى « رب يسر ولا تسر » لكنني لم أر مؤلفها ذكر فيها دعاء القنوت الواجبة قراءته على مقلدي مذهب الامام الاعظم رضي الله عنه والأتراك في جلهم . (وذ كر هنا كلاماً شديداً ثم قال)

« وقد استعاض مؤلف الكراسة عن دعاء القنوت بهذه الفقرات « الله بردر محمد حق رسوليدر سلطان عبد الحميد خان ثاني أفندي يزحضر قلري مقدس خليفة سيدر . بزيم سو كيلي بادشاهمز در - الله تعالى به يغمبر يميزه بادشاهمز . أطاعت أيدرز أمر لربي طوتار نهيلرندن اجنتاب أيلرز » ومعنى ذلك « الله واحد محمد رسوله حقاً سيدنا حضرة السلطان عبد الحميد خان الثاني خليفة المقدس ومليكنا المحبوب - نطيع الله ونطيعنا ولسطاننا وننمك بما أمرنا به ونجتنب ما نهوا عنه » « فهاودني عند قراءة ما تقدم الوجوم وعجبت من هذا الارتقاء الذي شمل جميع شؤون الامة حتى دينها : فبعد أن كان المسلمون في أول نشأتهم يؤمرون بالتوجه الى الله وحده وتمييزه عما سواه بالاخلاص اليه أخذوا في هذا العصر « عصر الترقى » يعلون أبناءهم التوجه الى « ثلاثة » بحيث يشركونهم في خصائص

الالهية كي لا يفوت المسلمين التشبه بغيرهم من أخذله ثلاثة أقانيم . وبألبهم اذ فعلوا ذلك قرئوا اسم الاقنومين الأولين بألقاب اتبجيل وصفات التقديس كما قرئوا اسم الاقنوم الثالث !

هكذا أخذ المسلمون عن أنفسهم وصوروا سيف وجدانهم وحسهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تنشئة ابنائهم : فلا يكاد الناشئ يزايل المكسب ويملك أمثال الكرامة المذكورة من يده حتى يتناول جريدة من جرائد أمته فيقرأ فيها في وصف القصر «عتبة فلك مرتبه» وفي وصف المقصور «ذات قدس سات» «ذات فرشته سات» أسى القاد المقدسة الشمايل أو التي شاكلها كشمايل الملائكة.

واذا أراد أن يمتنع بصره بمشاهدة حفلة صلاة الجمعة (السلامك) رأى (أ) كما رأيت بمعنى) عمامة شيخ الاسلام تهوي الي بين قديمي جلالاته وهو يشكره ويدعو . واذا أتم المسجد لأداء فريضة الجمعة سمع حمامة المنبر المطوقة بالذهب يفرغ بصوت يستثير الطرب، ويقول :

الحمد لله ثم الحمد لله . الحمد لله الذي آتد دين حبيب بدوام سلطة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . وأبقى شريعة نبيه ببقاء سلالة آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . فسبحان الذي أخذ انتقامه من عدوه بمدالة ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له منح الأمن والراحة على عباده بمحافظه ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نبى نصرة الله على عباده بأطاعة صاكر ملوك آل عثمان الغازي عبد الحميد خان . صلى الله عليه وعلى آله .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها آل عثمان الغازي عبد الحميد خان» صدق رسول الله الذي مدح في حديثه جنود المتسعين بملوك آل عثمان الغازي عهد الحميد خان» اهـ

أضحك أيها القارئ، أضحك الله سنك كأنني بك وقد ارتبت في هذه الخطبة وحسبنا من أوضاع كاتب السطور أو تاجنه لكنني أحلف لك بكل ما تنكفني الحلف به أن هذه الخطبة قرئت مرات متعددة في اسكدار في جامع رأس السوق في بني چشمه. وبعض الذين يفهمون نهضوا حالاً وانخزلوا عن الجماعة وخرجوا من الجامع. وقرئت أيضاً في جوامع آخر وأجيز وأضما بشة لبره. وسماها شيخ الاسلام وغيره من العلماء وسكتوا.

لم يمن الشارع بجمل خطبة الجمعة والانصات اليها من الفروض الا لما من حقه ان يكون لها من التأثير في نفوس المسلمين بحيث تحفزهم لشحن عزائمهم وتوجيه همهم نحو لم شعنهم وتوفير كل ما فيه رفعة شأنهم وحفظ كرامتهم بين الأمم. وما قط قصد الشارع أن تكون خطبة الجمعة قصيدة محشوة بألقاب الاطراء والنظيم وارثكالب الكذب على حد قولهم «اعذب الشعر أكذبه» - ولا دوراً أو موالاتاً يتوخى فيه حسن الايقاع ومواقفة أصول الانعام وتكون للأمة بمثابة «نشد وطني» كما عند سائر الأمم.

أن شئت أيها القارئ الاستئناس لما نقول بما قرره العلماء رضي الله عنهم في هذا الصدد فدونك ما قاله واحد من كبارهم وقد عاش في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

«وما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم فاما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المذهب وغيره أنه مكروه والاختيار أنه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه

«وكرهوا الاطتاب في مدح المجائرين من الملوك بأن يصفه عادلا وهو ظالم أو يصفه بالنازي وهو لم يوجب على العدو بخيل ولا ركاب. ولكن معاق الدعاء لهم بالصالح لا بأس به».

«وقد اتفق ان الملك الظاهر يبرس لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها الى مدح السلطان وأطنب فيه فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال - مع كونه تركياً - مللنا الخطيب بقول في خطبته

السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا وأمر به أن يضرب بالمقارع قشعره
الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه وورعه فما خلاص الابد الجهد
الشديد. واتفق مثل هذا البعض امراء مصر في زماننا (يعني لمحمد بك
الأنفي أحد امراء المماليك وقد نازعته نفسه بالخروج على السلطان فأرسل مملوكه
محمد بك أبا الذهب الى الشام للاستيلاء عليها كما فعل محمد علي باشا في إرسال
إبنه ابراهيم والتاريخ بعيد نفسه) لما صلى الجمعة في أحد جوامع مصر وكلت
مفرورا بدولته مستبد ابراهيم فأطنب الخطيب في مدحه فلما فرغ من صلاته أمر
بضرب ذلك الخطيب وإهانته ونفيه عن مصر الى بعض القرى.

«فهذا وأمثاله ينفي للخطباء ان يلنسوا سخط الله برضا الناس فإن ذلك
موجب لسخط الله والمقت الابدني نسال الله العفو» اه
من أمن نظره فيما قلناه وتقلناه بأسف لحال الأمة الاسلامية كيف ان
«سادتها وكبرائها» في العصور المتأخرة أساءوا في إدارة شؤونها وتربية ابنائها
واستدرجوها في الاستكاثرة والاستخفاف حتى نزعت منها روح الحرية وقضت
النصرة والحمية وجل محل ذلك النصف والحوول وعدم المبالاة بحفظ المحوزة وحماية
الحقيقة» الخ

«رأي واقترح في مقالة التعصب لعالم فاضل»

الى منار الاسلام، والمهادي اذا ضلت الافهام، وطاشت الاحلام
قرأت في المنار الرفيع المقالة المسببة، بل الآية المعجبة، التي تحت عنوان
(التعصب وأوربا والاسلام) بعدما استقصيت كل ماسبقها في موضوعها فوجدتها
فضلا عما اشتملت عليه من البراهين القاطعة والآيات الناصعة في بركة دين الله
الاسلام وأهله مما يكون منزع شقاق أو افراق بين أهل الارض مهما اختلفت
نحلهم، أو تباعدت حلهم، وأنه بعكس ذلك يدعو الى الوئام العام، ولم تترك في
القوس منزعا لرام، قد بينت حقيقة الحال على وجهها بما لم يسقطه به ناطق أو
محرر وكشفت النقاب عن حرم المسئلة التي تحيط فيها ذوو السياسة والكتئاب

فألبسوا الامر غير لباسه، وبنوا البيت على غير أساسه
فجاءت مظهرة رأي خواص المسلمين الذين يسول عليهم، ويستند في مثل
تلك المواقف الحرجة اليهم، ويأخذوا لو ترجمت هذه المقالة ونشرت في جرائد أوروبا
نحت عنوان (رأي علماء المسلمين الآن) ليعلم أهلها عامة والانجليز خاصة ما عليه المسلمون
في دينهم الخالص وأن هناك من يقف على دخائل الاغراض، وحقائق الامراض،
ومالمهم من مفارم ان كانوا قساة، أو مراحم ان كانوا أساة، وبالاختصار أقول
ان المسلمين ليقبضون أنفسهم قبل غيرهم بمثل هذه المقالة التي لا يسمع كل
منصف عدل من الفريقين الا الاذعان لما جاء فيها ان لم يكن ظاهرا فباطنا وأنا أشهد
الله اني من المعترفين بأنها هي طريق الحق التي لا غبار عليها الفرض ذاتي أو عرضي
وانها مرآة مافي قلوب المسلمين الخلفاء الذين لا يدينون الا للحق ودعايه، والعدل
ومراعيه، فلتسلم مطبعة المنار ليقوم بها الدليل ويعرف حكم التنزيل وحسبنا الله ونعم
الوكيل

أحد قراء المنار

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسمع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين
اسمه ولقبه ويذكر موطنه (وطيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة
بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولن
يعفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر مسيح لا تخفاه

﴿أخذ الحق من الوالدين وضابط العقوق﴾

(س ١٠١) من أحد القراء: بمصر: ما قول عالم الامة الاسلامية وحكيمها ومرشدها أستاذنا
السيد محمد رشيد رضا لازل كعبة السائلين في رجل اشترى لولده أملا كامن أناس
أجانب بعضها وهو صغير والبعض الآخر وهو كبير ودفع الوالد اثمن من عنده
قلما رشد الولد واراد أن يأخذ ما اشترى له منه والده من أخذه فهل يجوز لولده
أخذها منه وله الحق في ذلك لكونها ملكه أم لا وهل تعد إيسائه بأخذها منه

عقوقا يعاقبه الله عليه في الآخرة أم لا أفيدوا الجواب بالدليل الثاني لازلم نجما
لههتدين

(ج) الفقهاء يجيزون أخذ الحق من الوالدين وإن استاءوا ولا يردون ذلك من
العقوق الذي هو الإيذاء الشديد عرفا والمسألة مشكلة من حيث صلة الولد بالوالد
وانا نذكر أحسن ما قاله الفقهاء في ذلك ثم تتبعه النصيحة النافعة إن شاء الله
تعالى . قال شيخ الاسلام السراج البلقيني في فتاواه كما نقل عنه ابن حجر في
الزواجر ما يأتي :

« مسألة قد ابتلي الناس بها واحتيج الى بسط الكلام عليها وإلى تفاريدها
لتحصيل المقصود في ضمن ذلك وهي السؤال عن ضابط الحد الذي يعرف به عقوق
الوالدين إذا إلتاح على العرف من غير مثال لا يحمل به المقصود إذ الناس اغراضهم
تصاهم على أن يحملوا ما ليس بعرف عرفا لاسيما إذا كان قصدهم تنقيص شخص
أو إذاؤه فلا بد من مثال ينسج على منواله وهو أنه مثلا لو كان له على أبيه حق شرعي
فاختار أن يرفعه إلى الحاكم ليأخذ حقه منه فلو حبسه فما يكون عقوقا لم لا (أجاب)
هذا الموضع قال فيه بعض العلماء الأكابر إنه يصير ضبطه وقد فتح الله سبحانه
وتعالى بضابط أرجو من فضل الفتح العظيم أن يكون حسنا قول: العقوق لأحد
الوالدين هو أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما من
جملته الصغار فينتقل بالنسبة إلى أحد الوالدين إلى الأكبر أو أن يخالف أمره أو نهيه
فيما يدخل فيه الخوف على الولد من فوات نفسه أو عضو من أعضائه ما لم ينهم الوالدين
ذلك أو أن يخالفه في سفر يشق على الوالد وليس بفرض على الوالد وفي غيبة طويلة
فيما ليس يعلم نافع ولا كسب أو فيه وقعة في المرض لها وقع . ويان هذا الضابط
أن قولنا أن يؤذي الولد أحد والديه بما لو فعله مع غير والديه كان محرما مثاله لو شتم
غير أحد والديه أو ضربه بحيث لا يبتغي الشتم أو الضرب إلى الكبيرة فإنه يكون
المحرم المذكور إذا فعله الولد مع أحد والديه كبيرة . وخرج بقولنا أن يؤذي ما لو
أخذ فلسا أو شيئا سيرا من مال أحد والديه أنه لا يكون كبيرة وإن كان لو أخذه
من مال غير والديه بغير طريق من غير كان حراما لأن أحد الوالدين لا يتأذى بمثل

ذلك لا عنده من الشفقة والحنو فان أخذ ما لا كثيرا بحيث يتأذى المأخوذ منه من غير الوالدين بذلك فانه يكون كبيرة في حق الاجنبي فكذلك يكون كبيرة هنا وإنما الضابط فيما يكون حراماً صغيرة بالنسبة الى غير الوالدين .

«وخرج بقولنا «مالو فعله مع غير والديه كان محرماً» ما اذا طالب الوالدين عليه فاذا طالب به أو رفعه الى الحاكم ليأخذ حقه منه فانه لا يكون من العقوق فانه ليس بمحرام في حق الاجنبي وإنما يكون العقوق بما يؤذي أحد الوالدين بما لو فعله مع غير والديه كان محرماً وهذا ليس بموجود هنا فافهم ذلك فانه من الفرائس . وأما الحبس فان فرعنا على جواز حبس الوالد بدين الولد كما صححه جماعة فقد طلب ما هو جائز فلا عقوق وان فرعنا على منع حبسه كما هو المصحح عند آخرين فان الحاكم اذا كان معتقده ذلك لا يجيبه اليه ولا يكون الولد الذي يطلب ذلك عاقاً اذا كان معتقده الوجه الأول فان اعتقد المنع وأقدم عليه كان كما لو طلب حبس من لا يجوز حبسه من الأجانب لا عسار ونحوه فاذا حبسه الولد واعتقاده المنع كان عاقاً لأنه لو فعله مع غير والديه حيث لا يجوز كان حراماً وأما مجرد الشكوى المجازة والطلب الجائز فليس من العقوق في شيء .

«وقد جاء ولده بعض الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من والده في احتياج ماله وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك عقوقاً ولا عنف الولد بسبب الشكوى المذكورة» وأما اذا نهر الولد أحد والديه فانه اذا فعل ذلك مع غير والديه وكان محرماً كان في حق أحد الوالدين كبيرة وان لم يكن محرماً وكذا (أف) فان ذلك يكون صغيرة في حق أحد الوالدين ولا يلزم من النهي عنها والحال ما ذكر ان يكونا من الكبائر .

ثم ذكر البلقيني مسألة مخالفة الأمر والنهي فيما يدخل الخوف على الوالد ومسألة السفر وليس من موضوع بحثنا . وقد بحث ابن حجر بعد ايراد هذه الفتوى في الضابط وعنده ان المدار في العقوق على ما يتأذى به أحد الوالدين تأذياً ليس بالهين عرفاً وان لم يكن محرماً لو فعله مع غيره قال « كأن يلتاق فيقطب سفي

وجهه أو يقدم عليه في ملأ فلا يقوم له ولا يسأ به ونحو ذلك مما يقضي أهل العقل والمروءة من أهل العرف بأنه مؤذناً عظيماً . وقال الغزالي في الاحياء «وجلة عقوقها ان يقسمها عليه في حق فلا ير قسمها وأن يسألاه حاجة فلا يعطيها وان يسأه فيضر بهما» وهو قد نقل ذلك عن القوت لأبي طالب المكي أقول لاشك ان إيذاء الوالدين محرم ولكن ليس كل إيذاء عقوقاً وإنما العقوق هو الإيذاء الشديد وهو يختلف باختلاف العرف عرف العقلاء وأصحاب الذوق السليم والمعرفة بأداب الشرع وأحكامه والا فان من الوالدين من يؤذيه اتباع ولده للحق ومخالفته لهواه الباطل ولذلك قالوا انه لا يجب على الولد أن يطلق امرأته امتثالاً لأمر أحد والديه وان مخالفتها في مثل هذا لاتعد عقوقاً . ومثل ذلك مخالفتها في كل ما فيه مصلحة له وفي تركه مضره . نعم ان من البر المحمول أن يؤثر سرورها على سروره عند التعارض لاسيما اذا كانا معتدلي الاخلاق سليبي الفطرة .

وهنا مسألة مهمة لابد من الاكتمال بها في هذا المقام لا يوضح الحق في الواقعة المشوّل عنها وهي ان كثيراً من الوالدين يستبدون في أولادهم استبداداً أشد من استبداد الملوك الظالمين في رعيتهن حتى يعيش الولد معهما في غم دائم ونكد لازم . والسبب في هذا الاستبداد الذي يكاد يكون منافياً للفطرة البشرية في الوالدين هو الاعتقاد بأن لها حقاً عظيماً على الولد توجب عليه ان يخضع لكل مايريدان وأن لا يكون له معها ارادة ولا رأي ولا ملك ولن صار أوسع منهما علماً وأجود رأياً وأكبر فضلاً فها ينظران اليه في شابه أو كونه كما كانا ينظران اليه في حدائنه . يقع هذا من الأم قليلا ومن الأب كثيراً لاسيما اذا كان من أصحاب المال أو الجاه فانه حينئذ يئلب عليه الشعور بعزة سيادة الوالدية وعزة الفنى والرفعة جميعاً ويلدّ له أن يرى ولده مقتراً اليه عاجزاً عن الاستقلال بنفسه وذلك متعنى الجبل وفساد الفطرة وغاية الإسراف في الاستبداد وهو العلة لما نرى عليه أبناء الاغنياء والكبراء الجاهلين من المعجز عن كسب الثروة وعن حفظ ما يورثون منها والسبب في اسرافهم في كل أمر

أما الآباء العقلاء فهم الذين يعينون أولادهم على برهم ويربونهم على الاستقلال بأنفسهم لأنهم يعلمون أن هذا الاستقلال خير لهم من المال والعقار ومن الجاه والأنصار لأن عدمه يذهب بكل شيء موروث وهو الذي ينال به كل خبير معدوم. ومن الحرية على الاستقلال أن يعطي الغني ولده شيئاً من ماله وعقاره في حياته يستغله ويتمتع بثمرته تحت نظر الوالد وأرشاده ولذلك فوائد كثيرة لا محل هنا لشرحها. وقد رأيت بعض الشيوخ المدبرين في طرابلس الشام يقسم بين أولاده كل ما يملكه ويمسك لنفسه ما لا بد له منه ويقول لو أمسكت عنهم لتمنوا موتي ليمتصوا بما في يدي أما الآن فهم يحبونني ويتمنون أن تطول حياتي؛ وقد رأينا بأعيننا صدق هذا القول فيهم. وكان محمد باشا محمد أغني أهل بلادنا (لواء طرابلس الشام) وأعقابهم وقد قسم جميع ما يملك بينه وبين أولاده في حياته بالمساواة ليعودهم على الإدارة والاستقلال، ويربهم على العز والاستقلال،

وما يؤثر عن القدماء في تأييد هذا ما قاله الأخف بن قيس لمعاوية وناهيك بعقل الأخف وحكمته. قال يزيد أرسل معاوية إلى الأخف بن قيس فلما صار إليه قال: يا أبا جحر ما تقول في الولد؟ قال يا أمير المؤمنين أولادنا بما رقلونا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وساء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، بمنحوك ودمهم، وبمحبوك وجههم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً فيملوا حياتك، ويودوا وفاتك، ويكرهوا قريك،،

هذا وإنما زدت في جواب هذا السؤال عما سئلت عنه لأنه يتقرب إلى أن أفي الابن بأن له أن يأخذ حقه من أبيه كما أفي الفقهاء ولا أصل ذلك بما أرجو أن يكون سبباً في البر والصلة وتغيبه عاطفة الرحمة والشفقة في قلب الوالد لعله يتم فضله على ولده بتسليمه ما اشتراه له من قبل ليكون قرّة عين له ومحبة لطول بقائه وممانا على بره وشكره. وأنصح للولد أن يبالغ في استعطاف والده واسترضائه حتى تطيب نفسه بذلك وأذكر الوالد بعد ما تقدم كله بما رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمران النبي على الله عليه وسلم قال «رحم الله والد الأعان ولده على بره» فإن هذا الحديث من الأدعية التي ترشد إلى الحكمة السامية وإن كان في سنده

مقال • ورواه الفوقاني من رواية الشعبي مرسلًا كما في شرح الاحياء والله الموفق

السفر بالزوجة وحال المصريين في السودان ﴿

(س ٣٢ من أمين أفندي محمد الشباسي في سواكن: انا، مستخدمي حكومة السودان أكثرنا يترك زوجته ويسافر بدونها لعدم رغبتها في السفر بصحبة الزوج بحجة أن الشرع الشريف لا يبيح نقل الزوجة الى بلد آخر فيقع الرجل في أحد أمرين اما التزوج بالسودانيات اللاتي لا يمحسن فروجهن - واما اتيان ما حرم الله وكلاهما صعب • فهل يوجد نص شرعي في الكتاب والسنة على حقيقة ما يدعي نساؤنا أم هن يعلنن بحكم العادة • وإذا طلب أحد من المحكمة الشرعية الإلزام زوجته بالسفر معه فاذا يكون الحكم • وانني أتدكر آية شريفة وهي قوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) ولا يخفى أن وسائل الراحة متوفرة في السودان للغاية وإن الانسان ليتكبد خسائر جسيمة لعدم وجود أهله معه اهتصرف

(ج) الدبيب الحقيقي لعدم رضا النساء بالسفر مع أزواجهن هو فساد التربة وقلة الدين أو كراهة الزوج لسوء معاملته ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة يبيح للمرأة عصيان زوجها في مثل هذا السفر الذي لا ضرر فيه ولا ضرار بل الكتاب والسنة يوجبان على المرأة طاعة زوجها بالمعروف

ومعاذ الله أن تبيح الشريعة هذا الخلل الذي يخرب البيوت ويفرق بين المرء وزوجه ويبرقه من أمره عسرا • نعم أنها تحرم على الرجل أن يضار المرأة بسفر أو غيره ليضيق عليها وإذا ثبت ذلك عند الحاكم فله أن يمنعه منه وفي غير هذه الصورة يجب على الحاكم أن يلزم المرأة بطاعة زوجها • وأما المحاكم الشرعية في هذه البلاد فلا تبحث عن أحكامها في باب التنوي لأن غرضنا من هذا الباب بيان أن أحكام الشريعة توافق مصالح البشر في كل مكان وزمان وأنها قائمة على أساس العدل والاحسان وإن ما يسمع عنها أوبرى من أهلها مخالفا لذلك فهو بعيد عنها وهي رثة منه

﴿ري المسلم بالكفر﴾

(س ٣٣) من الشيخ عبدالله الحضري يستغافوره

ما قول ساداتنا العلماء الاعلام أنار الله بهم الاسلام فيمن سب مسلما بما لفظه: من أنت ومن تكون يا كافر يا ملعون يا عدو الله ورسوله يا يهودي يا نصراني يا خنزير يا كلب: ثم عقب بعد السب بقوله ما قدرك الا الضرب بالمال وتكرر منه القول عمدا بحضور الجم النغير حال كونه صحيح العقل والبدن فما الحكم على قائل هذا القول الشنيع فهل يرد عليه قوله ويصير به كافرا مرتدا والعياذ بالله أم لا فان قلم بكفره وردته لحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» فهل تطلق زوجته ويستباح ماله ودمه ان لم يتب ويرجع للاسلام وان قلم بعدم كفره وردته فما الحكم عليه في حق أخيه المسلم ان لم يسامحه ويعفو عنه وكان جواب الثاني للباي «مستندا للحديث «من قال لمسلم يا كافر فقد باء بها» الى آخر الحديث: ليس أنا بكافر ولا ملعون ولا عدو الله ورسوله ولا نصراني ولا يهودي: الي آخره أفنونا ما جور بن إن الله وإننا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ج) الظاهر أن هذا الساب لم يقصد بما نيزه الا الاهانة وهو لا يكفر بذلك بل عليه التميز وهذا من المحرمات يجب عليه التوبة منه واستحلال من سبه أما الحديث الذي ذكر في السؤال فقد أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عمر بلفظ «أبما امرئ قال لأخيه يا كافر قد باء بها أحدهما ان كان كما قال والارجعت اليه» وفيه روايات أخرى عنده وعند البخاري وغيرهما: قال النووي في شرح مسلم: «هذا الحديث مما عده بعض العلماء مشكلا من المشكلات من حيث ظاهره من حيث أن ظاهره غير مراد وذلك ان مذهب أهل الحق أنه لا يكفر المؤمن بالمعاصي كالقتل والزنا وكذا قوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الاسلام واذا عرف ما ذكرناه فقبل في تأويل الحديث أوجه» ثم ذكرها وهي خمسة (١) أحدها أنه محمول على المستحل (٢) أن معناه رجعت تقيسته عليه يعني أنه أراد أن ينقص أخاه فكان هو الناقص بقوله السؤال (٣) أنه محمول

على الخوارج الذين يكفرون المسلمين . ورده النووي (٤) معناه أن ذلك يؤول به الى الكفر على حد قولهم المعاصي يريد الى الكفر (٥) أن معناه قد رجع عليه تكفيره (قال) فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا فكأنه كفر نفسه أما لأنه كفر من هو مثله وإلا لأنه كفر من لا يكفره الا كافر يعتقد بطلان دين الاسلام . أقول والقي حقه النزالي ويدل عليه أول كلام النووي وهو ما لا خلاف فيه عند المارفين أنه إنما يكفر بذلك اذا كان قصده أن ماعليه المسلم من الاسلام كفر وهو لا يقصد هذا الا اذا كان يعتقد بطلان دين الاسلام

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِتِّعَافِ

المكتوب التاسع من «إميل» الى أبيه

الاستقلال في العلم . فلسفة الخلق والتكوين والاجتماع والمدينة . الاعتماد على العقل دون الخطابة . حب الوطن — هيدلبرغ في ١٨ يناير سنة ١٨٦٦
غادرت مدينة بن وتقلت كتيبي (وهي كل ما أملكه قريبا) الى مدينة هيدلبرغ ومن نظام المدارس الجامعة في ألمانيا أنه يجوز لطلابها مطلقا أن ينتقلوا من احداها الى الأخرى من غير أن يكون في ذلك ضياع لحقوقهم فيما نالوه من الدرجات . على أن هذا التقليل يمكن الطلبة من الاختلاف الى دروس أنبيغ الاساتذة وأشهرهم في كل فرع من فروع العلوم البشرية .

إني أخاطي تعلمت كثيرا من دروس هؤلاء الاساتذة المفيدة ولكنني كل يوم أتبين أن تعليم المدارس بجملة لا يمكن أن يقوم لطالب الحق مقام عمله الذاتي الذي يجري فيه على ما ترشده اليه سريره

أرى مذهبين يتنازعان عقول البشر أعثر عليهما أينما وجهت فكري فأجدهما في العلم والحكمة والدين والسياسة ومقتضى المذهب الأول أن العالم خلق مقسورا أي ان كل ما فيه خصص بإرادة أزلية وأن صور الحياة في الكائنات

الحية ثابتة لا تتغير فتندمج الأصول بعضها في بعض وتنتج الفروع ناقلة خصصات كل نوع عن مثال أركي له. ومقتضى المذهب الثاني أنه وجد مختاراً بمعنى أن الكائنات لم توجد من العدم بل استحال من طور إلى طور وأن القوى لم تسبق في الوجود بل نمت وأن الأنواع النباتية والمدنية (هكذا في الأصل ولعل صوابه والحيوانية) مستمرة البقاء غير أنها تتغير وترتقي على مقتضى نواميل طبيعية

وإذا انتقلت من العلم إلى التاريخ وجدت هذا الخلاف بعينه في آراء الناس فيرى بعضهم أن التمدن قديم وجد مع الإنسان يعني أن الاجتماع أوجدته قدرة أعلى من قدرة البشر وأن أمة من الأمم ليس لها أن تختار قوانينها وأوضاعها وأن للحكومة مثلاً لا نجد عنها الامم حتى تسقط في مهاوي الفوضى ويرى بعض آخر خلافاً للأولين أن الإنسان نشأ متوحشاً أي أنه كان قرداً متقن الحلقة ففر من بين الحيوانات وأنشأ على التعاقب قوانينه ومعايشه ومكانته في البرية بعد أن خلق نفسه - إن صح التعبير على هذا النحو - وأن الأمم قد مرت في أطوار نموها يدياً بأوضاع لم تلبث أن ياعدتها بتأثير الرقي الذي لاراد له فكانت الأرض كانت بنفسها يكون الإنسان بنفسه ويؤلف مجتمعه بقواه الذاتية.

وإذا رجعت إلى الديانات وصدقت أقوال مؤوليا كانت كلها موحاة من الله فإذا سألت خصومهم عن رأيهم فيها قالوا أنها أمور طبيعية تدخل في قوانين إدراك الإنسان المألوفة

وكم يكون التباين أشد ومسافة الخلاف أوسع إذا سألت أهل وطني عن آرائهم في الأمور السياسية. وقد استخلصت من اختلاف طرق النظر هذه نتيجة هي أي مع يعني في أفكار غيري وآرائه لا ينبغي لي أن أعول إلا على شهادة عقلي وسررتي هذه هي السبيل التي صمت على سلوكها وهي التي أوضحها لي أنت أيضاً ويعد كل البعد أن تكون هذه الضرورة الملجئة لي إلى الحكم بنفسي على الأمور مدعاة إلى الكبر والصلف بل أنها تبعث في نفسي التلذذ والاستكانة لاني أكون بضطر في كل وقت إلى الاعتراف لنفسي بأنني لا أعرف شيئاً وأنه يجب علي أن

أندرع بالاقدم وأن أوسع نطاق معارفي وأخلص من النظر في الحوادث مقدمات
اقتناعي وأما البراهين الخطائية التي كنت أعتقد في ساعة من الساعات أنني أدرك
بها ما لاحد له من العوالم فقد تبين لي أنها شبيهة بتلك الاصداغ التي يتناقلها
الأطفال في أيديهم ويضعونها على آذانهم متخيلين أنهم يسمعون فيها اصطخاب البحر
على آني لا أدرس وأبحث من أجل أن أكون عالماً فكل ما ينتهي اليه
طبعي ينحصر في فهم حاجات المصر الذي أعيش فيه والاختد بناصر الحق وهيئات
ان أنسى بلادتي أو أعيش غير مبال بمجاهداتها فاني وإن ولدت في بلاد أجنبية
أجد فرنسا حينما فطرت فاتها تبدولي في انتصارها الكثير الذي انتشر في أرجاء
الدنيا وأراها حتى في مصائبها التي نزلت بها عقاباً لرجل من رجالها على تقطره
وتجبره. هذا الوطن الذي مارأيت في حياتي هو في نسبه الي أمي الثانية فلا يذكر
الا ويتسمر جلدي لذكرك ولا ينتقص إلا ويتبين دمي كله انتقاماً له وليس
الذي يهرني منه هو غزواته ووقائعته الحرية وإنما هو تاريخ مكافحاته ووثباته
الباسلة في طريق الحرية واني أحب مفكره الذين يعملون فيه وهم يضحكون وأعجب
بكتابه الذين يبيعون القلوب وهم لنور العلم يثرون فأنا من صميم قلبي ملك له وبما
في نفسي من الامل في خدمته يوماً ما نجدني مقتبطاً ومعتزلاً بالانتساب اليك ١٠ اه

﴿ طبعة الرافي للقرآن الشريف ﴾

طبع الشيخ محمد سعيد الرافي صاحب المكتبة الأزهرية في مصر المصنف
الشريف طبعة لطيفة تمتاز على جميع طبعات المصاحف بتفسير الألفاظ القرية
على هوامش الصفحات وبعد الآيات الكريمة بالأرقام على لطف حجمها وحسن
حروفها واننا نفتد عليها في بيان عدد الآيات في المنار الا أننا نذكر العدد في
أول الآية وهي في هذا المصنف في آخرها. وهو يطلب من طابعه في تلك
المكتبة فجزاه الله خيراً



أناشيد الحرسية

﴿ قصيدة حفني بك ناصف في قنائه ﴾

حفني بك ناصف شهير عليه وأدبه وقد نظم هذه القصيدة عندما عين قاضيا
في محكمة قنا الاهلية وهي من أبدع ما نظم في القم بمعرض المدح وأظهار السخط
بمظهر الرضا قال مخاطبا المستشار القضائي أو لناظر الحفانية

رقيتني حسا ومعنى فلهنك الشكر المثنى
وجعلت رأس الحاسدين بمصر من قدمي أدنى
وجعلت سدة منزلي من أسقف الهرمين أسنى
أسكنتني في بقعة فيها غدوت أعز شأنا
أرد الشارع سابقا والسبق عند الورد أهنا
وأزور آثار المسلو لك وكنتم قبل بها معنى
بلد اذا حلت به قدماك قلت حلت حصنا
جبل المقطم حوله متعطف كالنور حسنا
هيات ان يصل المسدوله ويدرك ماتنى
أرايت يوما مثله في القطر محصينا وأما
النبت في غيطانه متقدم غرسا ومعنى
والشيء يعظم حجمه في جوه ويزيد وزنا
فالسدر كالرمان والا جيز كالبيض الهني
والدوم فيه دائم يفنى الزمان وليس يفنى
فخاره لهج الانا م بمدحه يسرى ويمنى

يكفي لترويج الاوا ني ان يقال (قنا) فتني
 قالوا شخصت الى (قنا) يامرحبا بقنا و (أسنا)
 قالوا سكنت السفح قل ت وجذ بالسفح سكني
 قالوا قنا حرّ قل ت وهل يرد الحرّ قنا
 سرّ الحياة حرارة لولاه ما طير تنني
 كلا ولا زهر تبسم لاولا غصن تنني
 والحي بده حياته بعد التزام البيض حضنا
 تمدق الانهار من حر وتزجي الريح مزنا
 ها قد أمنت البرد وال برداء والقلب اطمأنا
 ووقيت أمراض الرطوبة واستراق الريح وهنا
 ألقى الهواء فلا أها ب لقاءه ظهرا وبطنا
 وأنام غير مدثر شيأ اذا ما الليل جنا
 قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفاً وقطنا
 وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفاً وثمنا
 فالشمس تكفل راحتي فكأنها أُمي وأخني
 فاذا بدت لي حاجة في الفصل ألقى الماء سخنا
 أو رمت طبخاً أو علا ج الخبز ألقى الجوفنا
 سكنى القرى تدع السفينة موكل بالمال مضني
 أي الملامي فيه يصرف ماله ومتى واني
 كل امرئ لقاء من بعد الظيرة مستكنا
 ويرى التريب السر أيسر حالة وأخف غبنا

يجد الحليب بعينه لبنا ويلقى السمن سمننا
 عش في القرى رأساً ولا تسكن مع الاذئاب مدنا
 واربأ بنفسك أن ترى مستترثا في العيش جبنا
 ودع الجزيرة والمها والجسر والظبي الاغنا
 واسل الاغاني والتوا في واسأل الرحمن عدنا

﴿ طبقات الشافعية الكبرى ﴾

طبقات الشافعية الكبرى للشيخ تاج الدين السبكي صاحب جمع الجوامع شهيرة وكنت رأيت نسخة منها في طرابلس الشام فأعجبت بها ونميت لوتطيع فلما جئت مصر وجدت نسختين منها في دار الكتب المصرية يظهر أن احدهما منقولة عن الاخرى لأنها متساويتان في التحريف ولو وجدت نسخة صحيحة منها لطبعناها. وقد طبعت في هذا العام بمصر على نفقة الشريف أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني المغربي القاسمي عن نسخة أصح من النسخ التي اطلعت عليها على أنها لا تسلم من تحريف لا يقف في طريق الاستفادة منها

طريقة السبكي في هذه الطبقات أن يذكر ما يؤثر عن المترجمين من غريب العلم والرواية وشوارد الفوائد والمناظرات مع المعاصرين وورائق الاشعار وأن يبسط كثير من المسائل المهمة أو المشكلة على سبيل الاستطراد فطبقاته أسفار تاريخ وحديث وكلام وفتا وأدب والكلام فيها شجون. طبعت في ستة أجزاء تزيد صفحات المجلد منها على ٣٠٠ صفحة أو تنقص قليلا ومنها خمسون قرشاً ويطلب من محل الحاج محمد الساسي في القاهرة

﴿ مقامات بديع الزمان الهمذاني ﴾

مقامات البديع أشهر من ناز على علم وهي أحسن من مقامات الحريري أسلوباً فهي مفيدة في طبع ملكة الانشاء العربي في نفوس المتأدين وأسلوب

الحريري ليس يبري فهو لا يحتذى في الكتاب وإن كان قد بلغ الغاية في اتقان الصنعة أو إتيان التكلف كما كان يقول الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد طبع مقدمات البديع في هذه الأيام محمد أفندي محمود الرافعي طبعه مشكولة وعلق عليها شرحا وجيزا معظما في تفسير الغريب ولا بد أن يكون استعانة على ذلك بشرح الأستاذ الامام اذا يكون شرحه أقرب للثقة به ولم يتح لنا مطالعة شيء منه . ونحن التمسنا منه أربعة قروش

﴿أحسن ماسمت﴾

ينسب الى أبي منصور الثعالبي ديوان من مقاطيع الشعر قال انه أحسن ماسم من مختاره وقد قرأنا طائفة من ذلك فإذا هي لاتصل الى مرتبة الوسط مما سمعنا وأين نحن من صاحب القيمة في سماعه وإطلاعه فالتألب على الظن أن هذا الديوان من وضع مثل ابن حجة الحموي على أن ما فيه من الشعر يعجب أكثر القراء في هذا العصر فهو مما يرجى رواجه . وقد طبعه محمد أفندي محمود الخادم مدير مطبعة الجمهور ومحمد أفندي حسن اسحاق مع شرح وجيز لبعض أبياته علقه عليه محمد أفندي صادق عنبر وجعل له مقدمة حسنة الديباجة ذكر فيه من محاسن اللغة وشنع على أهلها ووصف من قصيرم في خدمتها وقال : ولولا أن منهم قديين ألمعين عاملين على أحيائها لأشكت اللغة أن تقع فيما نخاف : وقال انه يعني بهذين الفذيين الشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمد المهدي مدرس العلوم العربية في دار العلوم (أي مدرسة المعلمين بالناصرية) وقد أطراهما بالألقاب . ونحن لاننكر ان كلا من الرجلين يخدم اللغة . اليازجي بما ينتقد به الجرائد والمصنفات ويبين ما فيها من التخييل والمنط والمهدي بتخريج معلمي المدارس الاميرية وطبع الملكات الصحيحة في نفوسهم وهم الممددة في إحياء اللغة في هذه البلاد . ولكننا لانوافق الكاتب على الشكوى من الخطر على اللغة وعلى حصر أحيائها في هذين المعلمين فان في مصر وسوريا وغيرها من الاقطار كثيرا من العلماء والكتاب العالمين لأحياء اللغة العربية بالكتابة والتقدم والتعليم . أما امام النهضة في هذه الديار

فالسيد جمال الدين والاستاذ الامام رحهما الله تعالى فالسيد هو ارشد الاستاذ وغيره الى الخروج بالقة من المضيق الذي جعلها الأزهر فيه وكان من عمل الاستاذ ومساعدته في المطبوعات والأزهر وغيرهما ما أشرنا اليه في ترجمته وشرحناه في تاريخه الذي يطبع الآن

﴿ الديانة الاسلامية . للمكاتب الاميرية ﴾

كتاب وضعه الشيخ أحمد ابراهيم المصري المدرس بالمكاتب الاميرية (وهو غير الشيخ أحمد ابراهيم الشير مدرس الشريعة بمدرسة الحقوق الخديوية) موافقاً لما يدرس في السنين الثانية والثالثة والرابعة بتلك الكتابات . وقد نظرت في بعض صفحاته عند كتابة هذه السطور فاذا هو مشتمل على مسائل من العقائد والاحكام وعلى كثير من الوسايا والحكم والأحاديث والحكايات الأدبية وقصص الأنبياء عليهم السلام . وقرأت منه جملة متفرقة فرائت ما ينتقد في كثير من الابواب . رأيته في أول الكتاب يعرف الدين الاسلامي بأنه فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . وهذا التعريف لا يشمل العقائد التي هي أساس الدين . ويعرف الايمان بأنه التصديق بما جاء به النبي من الاحكام الشرعية وهو أيضاً لا يشمل العقائد وأخبار الانبياء وغيرهم لانها لا تسمى أحكاماً وهو قد انفرد بهذين التعريفين وهما منتقدان من وجوه أخرى فلا يمدح فيها كمالاً يمدح بالاكتفاء في قسم الآلهيات من العقائد بمد الصفات العشرين ونحو ذلك . وما ذكره من مختصر قصص الانبياء فيه مالا يصح وقد أخذه من القصص المتداولة ففسى أن يعنى بتنقيح الكتاب عند طبعه مرة أخرى

﴿ ديوان الرافي ﴾

قد صار مصطفى صادق أفندي الرافي من شعراء العصر المشهورين وله على حادثة سنة ديوان كبير طبع في هذه الأيام الجزء الثالث منه فكان نحو ١٥٠ صفحة وقال ان هذا الجزء تمام الديوان فهو ميسر ماثر شعره باسم آخر أو أسماء أخرى . وقد جعل لهذا الجزء مقدمة في نقد الشعر سلك فيها مسلك

الخيال والفلسفة فأتى فيها عبارات رائعة ونكت دقيقة وحلق ببهارات أخرى في جو الخيال حتى جاوز مسرح النظر فلم يدرك غايته ولم يهتد الى مراده . وصنّين قيمة هذا الجزء بنقل شيء منه كما فعلنا في تقريرنا قبله فعرض الموصوف على القارئ أن يبلغ في التعرف من عرض وصفه . ونحن هذا الجزء وحده خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد ونحن الثلاثة أجزاء عشرون قرشا وهي تطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ غرائب الاتفاق ﴾

غرائب الاتفاق قصة طويلة تدخل في ثلاثة أجزاء بنيت حوادثها على المصادفات الغريبة التي لا تكاد تقع ولكن حسن البناء يقرها من الالهام ، حتى لا يخرجها من دائرة الامكان ، وأنفع ما فيها للقارئ تصوير الوفاء بأجل صورته ، أكل مظاهره ، والصدقة في أبهى مراتبها ، وأبداع مجالها ، وذلك بين ظاهر فيما كان بين يوشع وفيلب منذ تعرفا الى أن ماتا . وفيما شيء آخر خفي ينبغي أن ينبه اليه وهو سوء عاقبة الخائنين والخائنين وحسن عاقبة أهل الاستقامة والصدق . وفيها من الافكار الصارة ما لا تخلو القصص من مثله كذ كرا الحيانة والفسق والحيل . القصة أفرنجية الاصل وقد نقلها الى العربية فقيده النظم والنثر والقصص شاكر شقير اللباني وطبع في مطبعة المعارف الشهيرة بالإقنانه وهي تطلب من مكتبتها ونحن الاجزاء الثلاثة عشرون قرشا

﴿ كرة الثلج ﴾

هي القصة الثالثة لسنة الثانية من سني (الروايات الشهيرة) التي يصدرها يعقوب أفندي جمال . مؤلفها اسكندر دumas الشهير ومترجمها حنا أفندي أسعد فهمي وقد بين بها المؤلف شيئا من أحوال التتر المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم في داغستان أو اعتقاده وتخيلائه فيهم . ومنها خمسة قروش

﴿ عنراء دنشواي ﴾

قصة يعرف موضوعها من اسمها واضمها محمود طاهر أفندي حقي وقد نشرت في جريدة المنبر المصرية وهي تشرح بعض أحوال الفلاحين في أرياف مصر وتمثل

أفكارهم في محاوراتهم بلقمتهم العامة ومن النسخة منها أربعة قروش وتطلب من
المكاتب الشهيرة

﴿ الدين والادب ﴾

مجلة اسلامية أنشأها بقران (روسيا) في أوائل هذا العام (ملا عالم جان
البارودي) العالم الشهير بغيرته وبخدمته للإسلام في مدرسته وجريدته . وهو يفتح
كل عدد من هذه المجلة بتفسير آيات من القرآن المجيد بالترتيب كما فعل ويذكر
فيه شيئاً من الشائيل الشريفة ومباحث الترية والتعليم وغير ذلك من المسائل النافعة
فنسأله تعالى أن ينجح عمله ويديم النفع به

﴿ التبراس ﴾

«مجلة علمية أدبية تاريخية فكاية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها ومدير
تحريرها أحمد (أفندي) شأكر» صدر العدد الاول منها في ١٢ رجب الموافق لاول
سبتمبر وفيه بعد الفاتحة نبذة في تاريخ المدارس في الاسلام ونبذة في الكتابة
والورق وأخرى في تاريخ محمد علي جد الاسرة الخديوية بمصر ومسائل شتى لم
نجد وقتاً ينح لنا قراءة شي . منها . والعدد منها مؤلف من ست عشرة صفحة وقيمة
الاشتراف فيها عن سنة واحدة ١٥ قرشا في مصر وخمسة فرنكات ونصف في غيرها
فنتمنى لها النجاح والتوفيق

﴿ الكوثر ﴾

«مجلة علمية مدرسية منزلية لمنشئها ومحررها محمد شفيق (أفندي) مدرس بمدرسة
والدة عباس باشا الاول» صدر العدد الاول منها في أول أكتوبر (١٣ شعبان) ولم
يبين فيه موعد صدور المجلة وهو مؤلف من ٢٤ صفحة نصفها عربي والنصف الآخر
انكليزي . وفي الورقة الأولى صورة أمير البلاد وعبارة في (تقدمتها) لا غنا به .
فنتمنى لها التوفيق والنجاح

﴿ المزجج ﴾

جريدة أسبوعية سياسية أدبية قضائية يصدرها في تونس أحد كتأجا

المباحين في شؤنا الإصلاح محمد بن عمران وجعل جل عنايته البحث في طريق
التعليم في الجامع الاعظم (جامع الزيتونة) والظاهر أن كتابته في ذلك أزجعت
القوم الى المقاومة فنسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الامة وكشف ما غشينا
من الفسقة

بَابُ الْحَجَبَةِ وَالْإِسْلَامِ

﴿رأي في الصيام والسياسة﴾

يتقسم المسلمون الى قسمين فمنهم مسلمون صادقون وهم العارفون بالاسلام المذعنون
له وهم الذين يحافظون على الفرائض ويحبتون كباثر الاثم والفواحش الا لهم
واذا مسهم طائف من الشيطان فتركوا فرضاً أو أصابوا ذنباً ذكروا الله فاستغفروا
لذنبهم، وأنا بوا الى ربهم، ومسلمون جنسيون أو جوافين وهم أصناف تخص
بالذكر منهم الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام ولا يدعون لما عرفوه منه فهم
لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يمتنعون ما يأمرهم به الهوى من المعاصي
ولكنهم يتعصبون للاسلام بالكلام فيمدحونه ويدافعون عنه بالحق وبالباطل
لا يدخرون في ذلك وسعاً لاسيما اذا كانوا من أهل الخوض في السياسة والخطوة
عند الحكماء وقد يبلغ التحمس بالرجل منهم حتى يظن السامعون أو القارئون
لكلامه أنه من أقوى الناس ايماناً وأصدقهم اسلاماً وهؤلاء جذيرون بأن
يسموا بالمسلمين السياسيين واليهم توجه الكلام فتقول :

اذا كنتم لا تتركون الاسلام من حيث هو دين شرع لتطهير النفوس وترقية
الارواح واعدادها بالتهذيب في الدنيا لسعادة الآخرة ورأيتم أنه لا بد من
المحافظة عليه من حيث هو جنسية لاستبقاء الأمة التي هي قوام سياستكم أفقرن
أن هذه المحافظة تتفق مع ذلك الترك الذي عم العقائد الخفية والآداب الاجتماعية
والشائز المالية. ألا تعلمون أن المحافظة على الشائز الظاهرة هي آخر ما يزول من

مقومات الأمم وحواظ وجودها فإذا كنتم تهدمون الشعائر الظاهرة حتى الصيام فتضطرون في رمضان جبراً لتدخنون في النهار بل تنصب لكم الموائد بعد الظهر فتأكلون عليها مع أهلكم وأولادكم فإذا أقيمتم من المقومات لهذه الجنسية السياسية . ان كنتم تظنون أن وضع (الفتي) في حجرة الخدم لتلاوة القرآن سيؤدي إلى كافي لحفظ هذه الجنسية فانتا تقطع بأن هذا الظن من الأثم ، وانكم لستم فيه على بينة ولا علم ، فعليكم أن تفكروا في هذا المذهب في الجنسية ، هل هو مؤد إلى غايتكم السياسية ، فان رأيتم بعد التفكير — ولا بد أن تروا — أنه غير مؤد إلى هذه الغاية فارجعوا عنه ، إلى ما يتبين لكم أنه خير منه ،

هذا الفريق من المسلمين السياسيين يتبعون في جنسيتهم الدينية ملوكهم وأمرأهم ولكن الملوك والأمراء لا يتركون الشعائر المالية المعلومة من الدين بالضر ورجار بل يؤدونها ويؤدون عليها شعائر أخرى ليست من الدين كالاحتفال بليالي المولد والمراج ونصف شعبان . ومن كان منهم لا يصوم رمضان بسر فطره ويرائي بالصيام . فهذه المجاهرة بالفطر في نهار رمضان من لهم مكانة في الأمة افساد في الدين والدنيا وافساد في السياسة والاجتماع فان هذه الأمة لاجنسية لها في غير دينها فإذا أفسده هؤلاء على العامة تعذر عليهم وعلى غيرهم من الخاصة استبدال رابطة جنسية أخرى به في زمن قريب ، وهل تعلمها الأثم القوية لتجد هذه الرابطة — اذا أمكن — في زمن بعيد ؟؟

أما الذين لا يصومون من القوغاء الذين لا رأي لهم ولا فكر في أمر الاجتماع فلا كلام لنا معهم لأنهم لا يقرؤن واذا قرؤوا لا يفهمون واذا فهموا لا يستنبطون « أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »

لا تقل ان النار مازال ينكر كون الاسلام جنسية ويقول ان اتحاده جنسية لا ينبغي صاحبه عند الله تعالى فا باله اليوم يرضى بهذه الجنسية ويأمر المسلمين سياسة أن يزاوا بالمحافظة على الشعائر في الظاهر وان كفروا بها في الباطن ؛ انك ان تقل هذا أجبت ان الاسلام قد شرع للناس ليكون وسيلة الى سعادة الدنيا والآخرة مما وانما يكون كذلك اذا أقيم على أساسه الصحيح ومن فوائد المحافظة

على شمائره الظاهرة في الدنيا تقوية الروابط الاجتماعية فمن أقام الدين ظاهراً وباطناً قد سلك مسلك السعادتين ومن تركه ظاهراً وباطناً كان يهدمه لركني السعادة بلاء على غيره بما يعطيه للضعفاء والاحداث من سوء القدوة ويحزنهم على ترك الشريعة فشبهه يتعدى الى الأمة لا يكون قاصراً عليه وإياه نعت بأن لا يكون فتنة لغيره وأقل ما تنتفي به فتنه ان يحافظ على الشماثر في الظاهر فلا يكون من الهادمين لركني الشريعة والدين - والا فليخرج منه بالمرّة - وهذا قسم ثالث .

وبقي من القسمة العقلية أن يقيم الدين في الباطن دون الظاهر بأن يوقن بمقائده ويتخلق بأخلاقه وآدابه ولكن يهمل الاعمال الظاهرة والشماثر العامة كالجمعة والجماعة وصيام رمضان والحج مع الاستطاعة وهذا ما يدعيه أناس من أهل العصر ويدعون أن من الدليل على صحة إسلامهم غيرتهم على الدين وأهله ويقولون إنهم أقاموا الركن المعنوي من الاسلام وهو الاشرف والافنح وأهل الأزهر ومن على شاكلتهم أقاموا الركن الصوري كالصلاة والصيام وهو الأدنى والأقل فائدة بل الذي لا فائدة له في نفسه . هذا ما يقولونه والعقل لا يسلم بأن أحداً يوقن بمقائده الدين ويتأدب بآدابه ثم يترك أعماله وشماثره فان الانسان قد طبع على أن تكون أعماله أثراً لاعتقاده ووجدانه فلو أيقنوا بمقائده الدين واصطبغ وجدانهم بصبغته لملوا به . أما هذه الفيرة التي يدعونها فهي غير صحيحة وأكثرهم غير صادق في دعواهم بها ومن عساه يكون صادقاً فهو لا يفتار على الدين ولا على أهله من حيث هم أهله وإنما يفتار على مصالحهم السياسية والاجتماعية لأنه من رؤسائهم أو من الراجين للزعامة فيهم فهو لا يطلب الا الرياسة فقط ولهذا حاولنا أن نقيم عليه الحجة بأن غرضه السياسي من الأمة لا يتم له مع هدم شمائرها ومقوماتها المالية والاجتماعية وأما الذين يقيمون الشماثر الظاهرة دون الباطنة كأدب النفس والفيرة الصحيحة التي تبث على الدفاع عن الحقيقة وعلى جمع الكلمة واحياء مجد الأمة فلا ننكر أن اسلامهم تقليدي لا ينفعهم في الآخرة اذا لم يكن له أثر في ارواحهم يحملهم على ما أشرنا اليه وقائده في الدنيا قليلة لانها لا تتجاوز العامة فاننا نرى الخاصة المئذين منهم وغير

المتدين في حق شديد على رجال الدين الذين ليس لهم منه الا التقاليد البدنية الجافة التي لا أثر لها في ترقية الأمة وهم لا يقولون ان صلاتهم وان لم تنه عن الفحشاء والمنكر وصيامهم وان لم يعدم تقوى مما يضر الأمة من حيث انه صلاة وصيام بل يقولون انهم بذلك حالوا بين الأمة وبين الترقى في العلوم والآداب والاجتماع

هكذا تفرقت الأمة أيدي سبا فالت الأئمة الأخرى منها كل ما تريد والسبب في ذلك أنه لا يوجد فيها زعماء أقاموا ركني الدين الصوري والمعنوي أو الجسدي والروحي وهي لا تنهض بغير هؤلاء الرجال وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى منهم ولكن لم تكد الأمة تعرف له ذلك حتى توفاه الله اليه ولوطات حياته لرجي - وقد عرف قدره - ان ينهض بها نهضة عظيمة

❦ الصيام والنساء العامة ❦

لا خلاف بين العقلاء المتدينين وغير المتدينين ان المرأة أخرج الى التربة الدينية من الرجل ومن يقول من الماديين ان العلم البشري يغني عن الادب الديني وان العالم الكامل مستغن عن الدين لا يقول ان الباطل يستغني أيضاً عن الدين فجميع العقلاء متفقون على أن ترك العامة والنساء للدين من أعظم البلاء والمصائب على البشر ولذلك ترى أهل أوديا يعنون بقرية النساء تربية دينية وان علومهن العلوم العالية كما يعنون بحفظ الدين على العامة . وقد علمنا من كثيرين ان عبيد الشهوات في هذه البلاد قد حملوا نساءهم على ترك الصيام وهو آخر ما يحافظ عليه النساء من أركان الدين وشعائره كما أنهم صاروا قدوة سيئة في ذلك للعامة . ولم يفلن الذين يدعون الفهم والرأي منهم الى عاقبة ترك النساء وغوغاء العامة للدين مع فقد العلم والتربية العقلية وان ظهرت بوادر ذلك في تهتك النساء واسرافهن وفي خيانة الخدم والمال والصناع وغشهم وفسادهم . ألا يوشك ان تكون هذه الفوضى الدينية الأديية في هذه البلاد شراً عليها من كل ما يعده المتحذلقون شراً اجتماعياً أو سياسياً ولكن من يتدارك ذلك والأمة ليس لها زعماء وحكامها ليسوا منها ليحسوا بتهيبتها وتطليها ويلزموها بما يرفع شأنها إلزاماً

المدرسة الكلية أو الجامعة المصرية

لم يمت مشروع المدرسة الكلية بموت المنشاوي بل ولا بموت الأستاذ الامام الذي كان عازما على انشاؤها في الشتاء الماضي بل كان يتمخض في الحفاء وتعدله عدته ليظهر في مظهر كامل ولكن مصطفى كامل بك النمراوي فاجأنا بفتح باب الاكتاب للعمل من حيث لا يدري بأن هناك سعي يرجى وينتظر

أرسل الينا هذا الارمحي الفاضل - كما أرسل الى جميع الصحف العربية - رسالة يذكر فيها وجه الحاجة الى انشاء المدرسة الجامعة وتوقفها على بذل المال وأنه « باحرا الى الاكتاب بخمس مئة جنيه أفرنكي لمشروع انشاء جامعة مصرية عامة » بثلاثة شروط (أحدها) أن لا تختص بمجنس أو دين (ثانيها) أن تكون ادارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة يصلحون لذلك (ثالثها) أن يكتب الاهالي بمبلغ لا يقل عن مئة ألف جنيه . وما قرأنا هذه الرسالة الا اعترافا مع الشكر لأريحية صاحبها وجوم امتعاض شديد خوفا من الفشل باظهار المشروع قبل ان تعدله عدته وزاد هذا الامتعاض نشر الجرائد لاكتابات كبيرة كذبها ثانيا من عزيت اليهم أولا ثم لم نلبث ان انشرنا صدرا لما حضن المشروع سعد بك زغلول الرجل الحازم القدير وتجدد لنا أمل بالنجاح نسأل الله أن يحققه وسنعود الى الكلام في ذلك

الأزهر ومشيخته

كثير الخوض منذ سنة في الأزهر ومشيخته ومجلس ادارته وكسب في الجرائد بعض ما تحدث به الناس من الخلل في الادارة والمخاباة في الامتحان وشهادة العالمية وبيع الشهادات بالدرهم وما بين شيخ الجامع ومفتي الديار المصرية من المغاضبة والمناصبة وما اشيع أن المفتي شكبا شيخ الجامع الى رئيس النظار والى السيد البدوي وقد بلغنا أن شيخ الجامع ضاق صدره فاستقال وأنه سيقال بعد أن يعين الشيخ شاكر وكيل الأزهر تمهيدا لجمعه أصيلا بعد استشارة الامير لحكومته في ذلك وسنعود الى ما وراءنا من الكلام عن الأزهر في الجزء الآتي

(تنبيه)

ضاق هذا الجزء عن تمة التفسير وعن الرد على الشيخ نخيت وعلى الدكتور مر جليوث

المسحاة

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

تأني الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة فقد أوتي
خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للسلام صوي وده متاراة كمنار الطريق

(مصر - رمضان سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (أيلول) سنة ١٩٠٦م)

باب المقالات

ماضي الامة وحاضرها وعلاج عللها

(نشرت في العدد الثالث من المروة الوثقى بعنوان الآتى) (١)

'سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً'

أرأيت أمة من الامم لم تكن شيئاً مذكوراً ثم انشقت عنها عماء العدم فاذا هي بحمية كل واحد منها كون بديع النظام قوي الاركان شديد البنيان عليها سياج من شدة البأس ويحيطها سور من منعة المهم تحمدها في ساحاتها عاصفات الزوازل وتنحل بأيدي مدبرها عقد المشاكل نمت فيها افنان العزة بعد ما ثبتت أصولها ورسخت جذورها وامتد لها السلطان على البعيد عنها والداني اليها ونفذت منها الشوكة وعلت لها الكلمة وكملت القوة فاستعلت آدابها على الآداب وسادت أخلاقها وعاداتها على ما كان من ذلك لسابقتها ومعاصريها وأحست مشاعر سواها من الامم بان لا سعادة الا في انتهاج منهاجها وورود شريعتها وصارت وهي قليلة العدد كثيرة الساحات كأنها للعالم روح مدبر وهو لها بدن عامل

وبعد هذا كله هي بناؤها واتشتر منظومها وتفرقت فيها الالهواء وانشتقت المعصا وتبدد ما كان مجتمعاً وانحل ما كان متمقداً وانفصمت عرى التعاون وانقطعت روابط التضامن وانصرف عزائم أفرادها عما يحفظ وجودها ودار كل في محيط شخصه المحدود بنهايات بدنه لا يلح فيه منظره بارقة من حقوقها الكلية والجزئية وهو في غيبة عن ان ضروريات حاجاته لا تنال الا على أيدي المتحسين معه بلحمة الامة وأنه أحوج الى شدة عضدهم من تقوية ساعده والى

(١) نشرنا هذه المقالة في المجلد الأول من المنار ونعيد نشرها الآن لما فيها

من التذكير الذي يجب أن لا ينسى والعنوان لنا

توفير خبرهم من تنمية رزقه وكأنه بهذه الغيبة في سات بخيله الناظر اليه صحوا وذبول يظنه المغرور زهوا وأخذ القنوط بأمال اوتك المدهوشين فأبادها وحدثت فيهم قناعة اليهم والرضا بكل حال ولئن تنبه خاطر الحق في خيال احدم او استغفزه داع من قلبه الى ما يكسب ملته شرقاً او يعيد لها مجداً عدده هوساً وهذا نأماً اصيب به من ضعف في المزاج او خلل في البنية او حجب أنه لو أوجب داعي الذمة لعاد عليه بال وبال واورده موارد الملكة او لصار من اقرب الاسباب لزوال نعمته وبكده معيشته ويحكم لنفسه سلاسل من الجبن وأغلالاً من اليأس فتقل يدها عن العمل وتقف قدماه عن السعي ويحس بعد ذلك بغاية العجز عن كل ما فيه خيره وصلاحه ويقصر نظره عن درك ما اتي اسلافه من قبله وتجمد قريحته عن فهم ما قام به أولئك الآباء الذين تركوه خليفة على ما كسبوا وقبها على ما أوروته لاعتقائهم ويبلغ هذا المرض من الامة حداً يشرف بها على الهلاك ويطرحها على فراش الموت فريسة لكل عاد وطعمة لكل طاعم .

نعم رأيت كثيراً من الاعم لم تكن ثم كانت، وارتفعت ثم انحطت، وقويت ثم ضعفت، وعزت ثم ذلت، وصحت ثم مرضت، ولكن أليس لكل علة دواء ؟ بلى وأأسفاً ما أصعب الدواء . وما اعز الدواء . وما اقل العارفين بطرق العلاج كيف يمكن جمع الكلمة بعد افتراقها وهي لم تفرق الا لأن كلا عكف على شأنه ... استغفر الله ، لو كان له شأن يكف عليه لما انفصل عن اخيه وهو أشد اعضائه اتصالاً به ولكنه صرف لشؤون غيره وهو يظنها من شؤون نفسه نعم ربما التفت كل الى ما هو في فطرة كل حي من ملاحظة حفظ حياته بمادة غذائه وهو لا يدري من أي وجه يحصلها ولا بأية طريقة يكون في أمن عليها . كيف تبعث الهمم بعد موتها وما ماتت الا بعد ما سكنت زماناً غير قصير الى ما ليس من عالمها ؟ هل من السهل رد التائه الى الصراط المستقيم وهو يعتقد ان الفوز في سلوك سواه خصوصاً بعد ما استدير المتعبد وفي كل خطوة يظن انه على مقربة من الخطوة ؟ كيف يمكن تنبيه المستغرق في مناه المبتهج بأحلامه وفي اذنه وقور في ملامسه خدر ؟ هل من صيحة تفرع قلوب الآحاد المتفرقة من أمة عظيمة

تبتاعد انحاءها وتتناهى أطرافها وتباین عاداتها وطبائنها هل من نبأ تجمع
أهواها المتفرقة وتوحد آراءها المتخالفة بعد ما نراكم جهل ورائخين وخيل للعقول ان
كل قريب بعيد وكل سهل وعسر؟ أيم الله انه لشيء عسير يعيا في علاجه النطاسي
وبحار فيه الحكيم البصير. هل يمكن تعيين الدواء الا بعد الوقوف على أصل
الداء وأسبابه الأولى والعوارض التي طرأت عليه؟ ان كان المرض في أمة فكيف
يمكن الوصول الى علله وأسبابه الا بعد معرفة عمرها وما اعتراها فيه من تنقل
الاحوال وتنوع الاطوار؟ أيمكن لطبيب يعالج شخصا بعينه أن يختار له نوعا
من العلاج قبل ان يعرف ما عرض له من قبل في حياته ليكون على بينة من
حقيقة المرض؟ والا فان كثيرا من الامراض تتولد جراثيما في طور من اطوار
المرض ثم لا تظهر الا في طور آخر لتغلب قوة الطبيعة على مادة المرض فلا يبدو أثرها.
كلا انه ليصعب على الطبيب الماهر تشخيص علة لشخص واحد سنو عمره
محدودة وعوارض حياته محصورة فكيف بمن يريد مداواة مدة طويلة الأجل
وافرة العدد؟ لهذا يندري أجيال وجود بعض رجال يقومون باحياء أمة أو
ارجاع شرفها ومجدها اليها وان كان المتشبهون بهم كثيرين. وكما ان المتطلب
القاصر في الامراض البدنية لا يزيد علاجه المرض الا شدة لولا مساعدة الانفاق
والصدقة بل ربما يفضي بالمرضى الى الموت كذلك يكون حال الذين يقومون
بتعديل أخلاق الامم على غير خبرة تامة بشأنها وموجب اغتلاها ووجوه العلة
فيها وأنواعها وما يكتنف ذلك من العادات وما يوجد في أفرادها من المذاهب
والاعتقادات وحوادثها المتتابعة على اختلاف مواقعها من الارض ومكانتها الاولى
من الرفعة ودرجتها الحالية من الضعة وتدرجها فيما بين المترئين فان أخطأ طالب
اصلاحها في اكتناء شيء مما ذكرنا تحول الدواء داء والوجود فناء. فمن له حظ
من الكمال الانساني ولم يطمس من قلبه موضع الالهام الالهي لا يجبرأ على القيام
بما يسمونه تربية الامم واصلاح مافسد منها وهو يحس من نفسه أدنى قصور في
أداء هذا الامر العظيم علما أو عملا. نعم يكون ذلك من محبي الفخضة الباطلة
وطلاب العيش في ظل وغلاف ليسومن حقوقها في شيء.

ظن أقوام في هذه الازمان ان أمراض الامم تعالج بنشر الجرائد وآهها تكفل انهاض الهمم وتنبيه الافكار وتقويم الاخلاق كيف يصدق هذا الظن وإنا لو فرضنا أن كتاب الجرائد لا يقصدون بما يكتبون الانجاح الاسم مع التنزه عن الاغراض فبعد ماعم الدهول واستولت الدهشة على العقول وقل القارئون والكتابيون لا تجد لها قارئاً ولئن وجدت القارئ فقلما تجد الفاهم والفاهم قد يجعل ما يجده على غير ما يراود منه لضيق في التصور أو ميل مع الهوى فلا يكون منه الا سوء التأثير فيشبهه غذاء لا يلائم الطبع فيزيد الضرر اضماً فاقاً على ان الهممة اذا كانت في درك الهبوط فمن يستطيع تفهيمها فائدة الجرائد حتى تتجه منها الرغبات لاستطلاع ما فيها مع قصر المدة وتدقق سيول الحوادث؟ ان هذا وحقك لعزيز.

ويظن أقوام آخرون ان الامة المنبئة في أقطار واسعة من الارض مع تفرق أهوائها واختلادها الى مادون رتبها بدرجات لا تنحصر ورضاها بالدون من العيش والتألم الشرف بالانماء لمن ليس من جنسها ولا مشربها بل لمن كان خاضعاً لسيادتها واضخاً لاحكامها مع هذا كله يتم شفاؤها من هذه الامراض القائلة بانشاء المدارس العمومية دفعة واحدة في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطرز الجديد المعروف بأوروبا حتى تتم المعارف جميع الافراد في زمن قريب ومضى عمت المعارف كلت الاخلاق وانعدت الكلمة واجتمعت القوة وما أبعد ما يظنون فان هذا الضمير العظيم انما يقوم به سلطان قوي قاهر يجعل الامة على ما تكره ازماناً حتى تذوق لذته ونجى ثمرته ثم يكون ميلها الصادق من بعد فائبا عن سلطته في تنفيذ ما أراد من خيرها ويلزم له ثروة وافرة تفي بنفقات تلك المدارس وهي كثيرة وموضوع كلامنا في الضعف ودوائه فهل مع الضعف سلطة شهرة وثروة تفني ولو كان للأمة هذان لما عدت من الساقطين. فان قالوا يمكن التدرج مع الاستمرار والثبات واقتنام على الامكان لولا ما يكون من طمع الاقوياء حتى لا يدعون لهم سبيلاً لان يستنشقوا نسيم القوة فأين الزمان لنجاح تلك الوسائل البطيئة الاثر . . . على أنا لو فرضنا مسألة الدهر ومنعت الامة مدة من الزمان

تكفي لبث تلك العلوم في بعض الافراد والاستزادة منها شياً فشيأ فما يصح الحكم بأن هذا التدرج يفيد فائدة جوهرية وان ما يصيبه النقص منها بهيوة الكمال اللائق به وبمكنه من القيام بارشاد الباقي من أبناء امته واعجباً كيف يكون هذا وان الامة في بعد عن معرفة تلك العلوم الغربية عنها وكيف بذرت بذورها وكيف نبتت واستوت على سوقها وأينعت وأثمرت وبأي ماء سقيت وبأي تربة غذيت ولا وقوف لها على الغاية التي قصدت منها في مناشتها ولا خبرة لها بما يترتب عليها من الثمرات وان وصل اليها طرف من ذلك فانما يكون ظاهراً من القول لانبا عن الحقيقة فهل مع هذا يصيب الظن بأن مفاجأة بعض الافراد بها وسوقها الى اذهانهم المشحونة بغيرها يقوم من أفكارهم ويعدل من اخلاقهم ويهديهم طرق الرشاد في افادة اخوانهم لعل الاقرب ان نقول تلك العلوم وممن امة هذا شأنها مع ما يتعكس اليهم من الادهام المألوفة فيها وما رسخ في نفوسهم على عهد الصبا وما يظنون من أمر الامة التي تلقوا عنها علومهم يكونون بين أمتهم كخط غريب لا يزيد طبائعها الا فساداً.

ماذا يكون من أولئك الناشئين في علوم لم تكن بتأثيرها من صدورهم ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ؟ يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الامة وطبائعها وما حُرنت عليه من عاداتها فيستعملونه على غير وضعه ولبدنهم عن أصله ولهم بمحاضره عن ماضيه وغفلتهم عن آتية يظنونهم على ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح فيرومون من الصغير مالا يرام الا من الكبير وبالعكس غير ناظرين الا الى صور ما تعلموه ولا مفكرين في استمداد من يمرض عليهم وهل يكون له من طباعهم مكان يحمده أو يزيد لها على ما بها أضاعا وما هذا الا لكونهم ليسوا أربابها وانما هم لها نقله وحمله. فبؤلا الصادقون الا من وقه الله منهم بعنايته الالهية يكون مثلهم كمثل والده خنون يلذ لها غذاء فتفيض منه على ولدها وهو رضيع ليسا هم في الالة وسنه من الابان لا يقبل سواء فيسرع اليه المرض ويشتعي به الى التلف فتكون منزلتهم من الامة منزلة الآلة المحملة يشتتون بقية الجمع ويبددون أخريات الالتئام ان كان الفساد أعنى للقوم بعض الروابط

فهؤلاء المبرورون يشقونهم بما يذهلهم عنها وما قصدوا الا خبرا ان كانوا مخلصين
ويوسعون بذلك التخصص (الخرق في باب ونحوه) حتى تعودوا بوابا وياعدون ما بين
الضفاف حتى تصير ميادين لتدخل الاجانب تحت اسم النصحاء وعنوان المصلحين
ويذهبون بآمتهم الى الفناء والاضمحلال وبش المصير .

شيد العثمانيون والمصريون عددا من المدارس على النمط الجديد وبشوا
بطوائف منهم الى البلاد الغربية ليحملوا اليهم ما يحتاجون له من العلوم والمعارف
والصنائع والآداب وكل ما يسمنونه تمدنا وهو في الحقيقة تمدن لبلاد التي نشأ فيها
على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الانساني . هل انتفع المصريون والعثمانيون
بما قدموا لأنفسهم من ذلك وقد مضت عليهم ازمان غير قصيرة . هل صاروا
أحسن حالا مما كانوا عليه قبل التمسك بهذا الحبل الجديد . هل استنقذوا أنفسهم
من أنياب الفقر والفاقة هل نجوا بهامن ورمات ما يلجئهم اليه الاجانب بصرف قاتمهم .
هل أحكموا الحصون وسدوا الثغور هل نالوا بها من المنفعة ما يدفع عنهم غارة
الأعداء عليهم ؟ هل بلغوا من البصر بالعواقب والصرف في الافكار حدا
يميل عرائم الطامعين عنهم ؟ هل وجدت فيهم قلوب مازجتها روح الحياة الوطنية
فهي تؤثر مصلحة البلاد على كل مصلحة وتطلبها وان تجاوزت محيط الحياة الدنيا
وان بادت في سبيلها خلفها وراث على شاكلتها كما كان في كثير من الامم ؟

نعم ربما يوجد بينهم افراد يتفهمون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها
ويصوغونها في عبارات متقطعة براء لانعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ووسموا
أنفسهم بزمع الحرية أو بسمه أخرى على حسب ما يختارون ووقفوا عند هذا
الحد ومنهم آخرون عمدوا الى العمل بما وصل اليهم من العلم قتلوا أوضاع المباني
والمساكن وبدلوا هيئت المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون
وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الاجنبية وعدوها من
مفاخرهم وعرضوها معرض المباهاة قسفوا بذلك ثروتهم الى غير بلادهم واعتاضوا
عنها أعراض الزينة بما يروق منظره ولا يحمد أثره فأماوا أرباب الصنائع من قومهم
وأهلكوا العاملين في المهن لعدم اقتدارهم ان يقوموا بكل ما تستدعيه تلك العلوم

الجديدة والكليات الجديدة لأن مهناهم لم تتحول الى الطرز الجديد وأيديهم لم تعود على الصنع الجديد وثرورتهم لا تسع جلب الآلات الجديدة من البلاد البعيدة وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وما كان هذا الا لأن تلك العلوم وضمت فيهم على غير أساسها وفجأتهم قبل أوانها . . .

علتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلدين من كل أمة المستحلين الطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى لتطرق الاعداء اليها وتكون مداركهم مهبط الوساوس ومخازن الدسائس بل يكونون بما أفصت أقدارهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شوماً على أبناء أمتهم يذلونهم ويحقرون أمرهم ويستبينون جميع أعمالهم وان جلت وان بقي في بعض رجال الأمة بقية من الشم أو نزوع الى معالي المهمل انصبوا عليه وأرغموا من أفقه حتى يمحى أثر الشهامة ويخمد حرارة القيرة ويصير أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالين وأرباب الفارات يمدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم ويمكنون سلطتهم ذلك بأنهم لا يعلمون فضلاً لغيرهم ولا يظنون ان قوة تقالب قواهم .

أقول ولا أخشى لوما لو كان في البلاد الافغانية عدد قليل من تلك الطلائع عند ما تغلب على بعض أراضيها الانكليز لما بارحوها أبد الأبدن . فان نتيجة العلم عند هؤلاء ليست الا توطيد المسالك والركون الى قوة مقلديهم واستقبال مشارق فنونهم فياللون في تطمين النفوس وتسكين القلوب حتى يزيلون الوحشة التي قد يصون بها الناس حقوقهم ويحفظون بها استقلالهم ولهذا لو طرقت الاجانب أرضاً لأية أمة ترى هؤلاء المتعلمين فيها يقبلون عليهم ويعرضون أنفسهم لخدمتهم بعد الاستبشار بقدمهم ويكونون بطانة لهم ومواضع لثقتهم كأنما هم منهم ويعدون القلبة الاجنبية في بلادهم مباركة عليهم وعلى أعقابهم .

فما الحيلة وما الوسيلة والجرائد بعيدة الفائدة ضعيفة الأثر لو صحت الضائر فيها والعلوم الجديدة لسوء استعمالها رأينا ما رأينا من آثارها والوقت ضيق والخطب شديد ؟ أي جهوري من الاصوات يوقظ الراقدين على حشايا النفلات ؟ أي اقصة تزجج الطباع الجامدة وتحرك الافكار الخاملة ؟ أي نفخة تهبث هذه

الأرواح في أجسادها، وتحشرها الى مواقف صلاحها وفلاحها؛ الاقطار فضيحة الجوانب، بعيدة المناكب: المواصلات عسرة بين الشرقي والغربي والجنوبي والشمالي، الرؤوس مطرقة الى ماتحت القدم أو منفضة الى ما فوق السماء، ليس للأبصار جولان الى الأمام والخلف واليمين واليسار ولا للأسماع إصغاء ولا للنفوس رغبات وللأهواء تحكم وللوساوس سلطان ما ذا يصنع المشفقون على الأمة والزمن قصير؟ ماذا يحاولون ولا خطر محدقة بهم؟ بأي سبب يسكنون ورسد المايا على أبوابهم؟

لا أطيل عليك بحثاً ولا أذهب بك في مجالات بعيدة من اليان ولكني أمتلفت نظرك الى سبب يجمع الاسباب ووسيلة تحيط بالوسائل أرسل طرفك الى نشأة الأمة التي خلقت بعد النبوة وضعت بعد القوة وامتزقت بعد السيادة وضمت بعد المنعة وتبين أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخل وجراثيم اللال فقد يكون ما جمع كلمتها وأنهم هم آحادها ولحم ما بين أفرادها وصمد بها الى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهي في مقامها بدقيق حكمتها إنما هو دين قويم الأصول محكم القواعد شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مترك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الحسائس منور للمقول باسراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج اليه الانسان من مباني الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادي بمعتقديه الى جميع فروع المدنية . فان كانت هذه شرعتها ولها وردت وعما صدرت فما تراه من عارض خلها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهرياً وحدوث بدع ليست منها في شيء اقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أرى لأجله وما أعدته الحكمة الإلهية له حتى لم يبق منه الا أسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجاباً بين الأمة وبين الحق الذي تشرع بندائه أحياناً بين جوانحها فعلاجها التلجم إنما يكون برجعها الى قواعد دينها والاخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الاخلاق وإيقاد نيران

الغيرة وجمع الكلمة وبيع الارواح لشرف الامة ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة والقلوب مطبوعة اليه وفي زواياها نور خفي من محبته فلا يحتاج القائم بإحياء الامة الا الى فتحة واحدة يسري نفعها في جميع الارواح لأقرب وقت فاذا قاموا لشؤونهم ووضعوا اقدامهم على طريق نجاتهم وجعلوا أصول دينهم الحققة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد ان يلفوا بسيرهم متحى الكمال الانساني ومن طلب اصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخلف فيها نظام الوجود فيتمكس عليه التصدد ولا يزيد الامة الانحسار ولا يكسبها الاتمسك ، هل تعجب أيها القارئ من قولي ان الاصول الدينية الحققة المبرأة عن محدثات البدع تنشئ للأمم قوة الاتحاد وتلاف الشمل وتفضيل الشرف على لذة الحياة وتبعها على اقتناء الفضائل وتوسيع دائرة المعارف وتنهي بها الى أقصى غاية في المدنية ؟ ان عجبت فان عجيبي من عجبك أشد . هل نسيت تاريخ الامة العربية وما كانت عليه قبل بثة لدين من الممجية والشتات واتياف الدنيا والمنكرات حتى اذا جاءها الدين فوحدها وقواها وهذبها وورعها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بسياسة العدل والانصاف وبعد ان كانت عقول أبنائها في غفلة عن لوازم المدنية ومقتضياتها نهبها شريعته وأبانت دينها الى طلب الفنون المتنوعة والتبحر فيها وقلوا الى بلادهم طلب بقرات وجاليينوس وهندسة أفليدس وهيتة بطليموس وحكمة أفلاطون وأرسطو وما كانوا قبل الدين في شيء من هذا وكل أمة سادت تحت هذا القواء انما كانت قوتها ومدنيتها في التمسك بأصول دينها

وقد تكون نشأة الأمة قائمة بدعوة الملك واقتتاح الاقطار وطلب السيادة على الأمصار وتلك الدعوة لما تستدعيه من عظم الهمم وارتفاع النفوس عن الدنايا ويسند النيات وعلو المقاصد هي التي هذبت أخلاقهم وقومت أفكارهم وكتبتهم عن معاطاة الرذائل وخسائس الامور وسواقلها ثم بعد ماضى زمان من نشأتها أصابها من الانحطاط ما أصابها . فيبان أسباب الخلل فيها وعلائه ففرد له فصلا مستقلا في عدد آخر ان شاء الله وهو الحق للصواب

﴿ سيرة السلف الصالحين، في نصيحة السلاطين ﴾

﴿ تابع لما في الجزء السابع وما قبله ﴾

قال في الاحياء وعن ابي عمران الجوني قال لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنؤه بما صار اليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الاموال وأقبل بمجزم بالجوائز السنية وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتشف وكان مواخيا لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فحججه سفيان ولم يزره فاشتاق هارون الى زيارته ليخلو به ويحدثه فلم يزره ولم يعأ بموضعه ولا بما صار اليه فاشتد ذلك على هارون فكتب اليه كتاباً يقول فيه « بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد يا أخي قد علمت ان الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله واعلم أيي قد واخيتك مواخاة لم أصرم بها حبك ولم اقطم منها ودك واني منطو لك على أفضل المحبة والارادة ولولا هذه القلادة التي قلديها الله لأتيتك ولو حبا لما أجد لك في قلبي من المحبة واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من اخواني وأخوانك أحد الا وقد زارني وهنأني بماصرت اليه وقد فتحت بيوت الاموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني واني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت اليك كتاباً شوقاً مني اليك شديداً وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي فالمجمل المجمل »

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده فاذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشوته فقال علي برجل من الباب فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني قال يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به الى الكوفة فاذا دخلها فسل عن قبيلة بني ثور ثم سل عن سفيان الثوري فاذا رأيته فألق كتابي هذا اليه وع بسمك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به فاخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسل عن القبيلة فأرشد اليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد قال فاقبلت الى المسجد فلما رأيته قام قائماً وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق الابنخير قال عباد (المجلد التاسع) (٨٥) (الخارج ٩)

فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رأي نزلت بياب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة فربطت فرسي بياب المسجد ودخلت فاذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد الي رأسه وردوا السلام علي برؤس الأصابع فبقيت واقفا فما منهم أحد يمرض علي الجلوس وقد علاني من هيبته الرعدة ومددت عيني اليهم فقلت ان المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب اليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه ولفها بعباءته وأخذة فقلبه بيده ثم رماه الي من كان خلفه وقال يأخذة بعضكم بقروءه فاني أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده قال عباد فأخذة بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنشه ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قرائته قال اقلبوه واكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فقليل له يا أبا عبد الله انه خليفة فلو كتبت اليه في قرطاس نقي فقال اكتبوا الي الظالم في ظهر كتابه فان كان اكتبه من حلال فسوف يجزي به وان كان اكتبه من حرام فسوف يصلي به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقليل له ما تكتب قتل اكتبوا

« بسم الله الرحمن الرحيم - من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري الي العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد لذي سنة سلب حلاوة الايمان أما بعد فاني قد كتبت اليك أعرفك أنني قد صرمت جملك وقطعت ودك وقلبت موضعك فانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفدته في غير حكمه ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناه عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك أما اني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنودي الشهادة عليك غدا بين يدي الله تعالى يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بملك المؤلف قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ام رضي بملك حملة القرآن

وأهل العلم والارامل والايام ام هل رضي بذلك خلق من رعبك فتد يا هارون
مترك وأعد للمسئلة جوابا ، وللبلاء جوابا ، واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم
العدل فقد رزئت في نفسك اذ سلبت حلالة العلم والزهد ولذيد القرآن ومجالة
الاخير ورضيت لنفسك أن تكون ظالما ولظالمين اماما يا هارون قدمت على
السري ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ونشبت بالحجة برب
العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا يصفون
يشربون الخمر ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني ويسرقون
ويقطعون السارق أفلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل ان تحكم بها على
الناس فكيف بك يا هارون غدا اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى (احشر وا
الذين ظلموا وأزواجهم) أين الظلمة وأعران الظلمة قدمت بين يدي الله تعالى
و يدك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما ، لا عدلك وانصافك والظالمون حوكم وأنت
لم سابق وامام الى النار كافي بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت
المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيات غيرك في ميزانك زيادة على
سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاحتفظ بوصيتي وانظ بموعظتي التي
وعظتك بها واعلم أنني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصيح غاية فاتق الله
يا هارون واحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته وأحسن الخلاقة عليهم واعلم
ان هذا الامر لو بقي لنبرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنقل
بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر ديناه وآخرته
واني أحسبك يا هارون بمن خسر ديناه وآخرته فاياك اياك أن تكتب لي كتابا
بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام»

قال عباد فألقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت
الى سوق الكوفة وقد وقفت الموعظة من قلمي فناديت يا أهل الكوفة فأجابوني
فقلت لهم يا قوم من يشتري رجلا هرب من الله الى الله فأقبلوا الي بالديناير
والدرام فقلت لاحاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية قال
فأتييت بذلك ونزعت ما كان علي من الالباس القدي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين

وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافيا راجلا فهزأ بي من كان على باب الخليفة ثم استوهذني فلما دخلت عليه وبصري على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائما وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالي ولقدنيا مالي وملك يزول غني سر يعا ثم ألقى الكتاب اليه منشورا كما دفع الي فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تتحد من عينيه ويقرأ ويشقى فقال لبعض جلسائه يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت اليه فأثقلته بالحديد وضيق عليه السجن كنت تجهله عبرة لغيره فقال هارون اتركونا يا عبيد الدنيا ، المغرور من غرغره ، والشقي من أهلكتموه ، وان سفيان أمة وحده فتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله فرحم الله عبدا نظرت لنفسه واتقى الله في ما يقدم عليه غدا من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق .

وعن عبد الله بن مهران قال حجج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به اذ أقبلت هواذج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منصرفا عن عرفة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجهرك : قال فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا رحك الله قال نعم يا أمير المؤمنين رجل آناه الله مالا وجمالا فاتفق من ماله ، وعف في جماله ، كتب في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار : قال أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة فقال اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها قال يا بهلول فان كان عليك دين قضيتاه قال يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم ان قضاء الدين بالدين

لا يجوز. قال يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو بقيمك قال فرغ بهلول رأسه الى السماء ثم قال يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فحال أن يذكرك وينساني قال فأقبل هارون السجاف ومضى: (ثم قال في الاحياء بعد نصيحة للمؤمن) وعن أحمد بن ابراهيم المقرئ قال كان أبو الحسن النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يمينه، ولا يقش عما لا يحتاج اليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه قتل ذات يوم الى مشرعة (١) تعرف بمشركة الفعابين يتطهر للصلاة اذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار «لطف» . قراءه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف فقال للملاح ايش في هذه الدنان؟ قال وايش عليك امض في شغلك فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعشاش الى معرفته فقال له أحب أن تخبرني ايش في هذه الدنان قال وايش عليك، أنت والله صوفي فضولي هذا خمر للمعتضد يريد ان يتمم به مجلسه فقال النوري وهذا خمر؟ قال نعم قال أحب أن تعطيني ذلك المذرى فاغناظ الملاح عليه وقال لئلا يهملني أعطه حتى أنظر ما يصنع فلما صارت المذرى في يده صعد الى الزورق ولم يزل يكسرها دناً حتى أتى على آخرها الادنا واحداً والملاح يستثيث الى ان ركب صاحب الجسر (٢) وهو يومئذ ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه الى حضرة المعتضد وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله قال أبو الحسين فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد ويدعه عمود يقبله فلما رأي قال من أنت قلت محاسب (٣) قال ومن ولاءك الحسبة قلت الذي ولاءك الامامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين قال فأطرق الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الي وقال ما الذي حملك على ما صنعت قتلت شقة مني عليك اذ بسطت يدي الى صرف مكروه عنك قد قصرت عنه قال فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه الي وقال : كيف تخلف هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت في تخلفه علة أخبر بها أمير المؤمنين ان أذن فقال هات اخبرني قلت يا أمير المؤمنين اني أقدمت على (١) مورد ماء (٢) أى الحاكم المولى من الخليفة وهو كالحفاظ في مصر (٣) المحاسب هو من يزيل المنكرات كالبوليس

الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الاجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هية الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحالة الى أن صرت الى هذا الدن فاستشرت نفسي كبرا على اني أقدمت على مثلك فتمت ولو أقدمت عليه بالحال الاول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أهال فقال المتضد اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما احيت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين قلت يا أمير المؤمنين بغض الي التنفير لاني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي قتال المتضد ما حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تأمر بأخراحي سالما فامر له بذلك وخرج الى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفا من أن يسأله أحد حاجة يسألها المتضد فأقام بالبصرة الى أن توفي المتضد ثم رجع الى بغداد

فهذه كانت حالة العلماء وعادتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاهم بسلطان السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها وأما الآن فقدت الاطماع السن العلماء فسكتوا وان تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لافلحوا ففساد الرعايا بفساد الملوك وفساد الملوك بفساد العلماء وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاراذل فكيف على الملوك والا كابر والله المستعان على كل حال اه

(المنار) هذا كلام الامام الفزالي في ملوك عصره وعلمائه وهم الذين يتغفر اهل هذا العصر بهم فكيف حال ملوك عصرنا وعلمائهم الذين اضاعوا الدنيا والدين وجعلوا المسلمين بظلمهم وفسادهم في اسفل سافلين • ولا فطيل هنا في وصفهم فحسبك ما قرأ في المثل الآتي ولكننا نقول ان الزمان لا يخلو من العلماء المخلصين وهؤلاء هم الذين ندعوهم الى نصيحة ملوكنا وامرائنا قبل ان يضيعوا هذه البقية القليلة التي بقيت لنا فخطر قريب ان لم يتداركوه نزل والياذ بالله تعالى

﴿ الجامع الأزهر - مشيخته وادارته ﴾

كتبنا في الجزء الثاني من منار السنة الماضية (ص ٧٦ م ٨) ما نصه :
 ما كانت مشيخة الأزهر في زمن من الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من
 الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيخ هذا الجامع
 عدة مرات في بضع سنين - عزل الشيخ حسونه باتفاق الحكومة مع الأمير
 وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختر الامير
 للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض ارادته وولى مكانه السيد عليا
 اليللاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال . وفي هذا الشهر (أي
 صفر) استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشريفي باتفاق
 الحكومة » ثم ذكرنا استقالة الاستاذ الامام وبعض أعضاء مجلس الادارة

وكتبنا في نبذة أخرى أن الامير قد اتفق مع حكومته على أن كل ما يهم
 الحكومة من الأزهر شيثان الأول أن يكون أهله في أمان والثاني تخريج القضاة
 الشرعيين وأن التعليم فيه لما كان غير كاف لتخريج القضاة عزمت الحكومة على
 انشاء مدرسة لتخريج القضاة خاصة . ثم قلنا أنه سكثر التساؤل بين الناس عن
 سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الأزهر مع حرصه على اصلاحه وأجبنا
 عن ذلك بالإشارة الى الشعب الذي بلغ في ذلك العهد غايته في ذلك المكان فان
 بعض الشيوخ الذين يترددون على قصر الامير كانوا يحرضون مدرسي الأزهر
 على الشكوى من شيخ الأزهر ومجلس الادارة وعدم الخضوع لما يراد تنفيذه
 من قانونه وعلى ما هو أعظم من ذلك وقد اشتهر عند الأكثرين أن النرض من
 ذلك أن يستقبل شيخ الأزهر والمفتى « رحمهما الله » وأن الامير هو الذي يريد
 ذلك . وأكد ذلك ما نشره لثلك الهد في الجوائب المصرية والمؤيد وغيرهما
 من المرائد التي تستخدم « الحمية » وأهم ذلك مقال في حديث قال صاحب
 الجوائب أنه جرى بينه وبين شيخ من كبار علماء الأزهر وصفه بأوصاف فهم الناس
 منها أنه الشيخ عبد الرحمن الشريفي الذي كان بعض بطانة الامير يحاولون اقتناعه

بقبول المشيخة التي أيقنوا أن البيلاوي مستقبل منها لما اتخذ لذلك من الأسباب الملجئة . ولما استقال السيد البيلاوي وعين الشيخ الشريني شيخاً للأزهر واحتفل بالباسه الخلع بمحضرة الأمير آتقي الأمير ذلك الخطاب على الشيوخ وكان مؤيداً لروح ما كانت تنشره تلك الجرائد

كان مدار ذلك الكلام على أن كل ما بهم الأمير وحكومته من الأزهر أن يكون في أمان وهندو وبد عن الشغب والقتال وأن يظل مدرسة دينية كما كان وربما كانوا يظنون أن سكون الأزهر وراحة أهله ورضا كبار شيوخه عن الأمير وإخلاصهم له هو ما يتجه جعل الشريني شيخاً للأزهر لانه في مقدمة العلماء الأزهر بين الذين يرون وجوب بقاء الأزهر على حاله التي كان عليها في زمن تعليمهم فيه وترك الشيخ محمد عبده له وهو هو الذي يريد تغيير نظام التعليم وزيادة العلوم والفنون فيه ولكن جاء الأمر على قبض ما كان يظن أولئك القائلون فاستاء محبو الإصلاح من أهل الأزهر لترك الأستاذ الامام لإدارته كما استاء عقلاء المسلمين في كل مكان . وأما المحافظون على الحالة الثبقة فقد رأيناهم على عهد الشيخ الشريني اشتد استياء من إدارة الأزهر منهم على عهد من سبقه كما أشرنا الى ذلك في العدد الماضي وكثر في هذا كلام الناس وكتابة الجرائد بالشكوى من حال الأزهر والطنن في علمائه حتى ان بعض الافندية كتب في بعض الجرائد اليومية يقول في بيان جهل علماء الأزهر بالدين وقد اتقوا بهم ما معناه ان الناس لا يقصدون في حل مشكلات الدين والدفاع عنه الا الى بعض حملة الطرايش وفي ذلك همهم لغير الأزهرين من حملة العمام كساتذة المدارس الاميرية وغيرهم هذا ما ذكرنا برسالة كان أرسلها البنا زعيم النهضة الاسلامية في الهند السيد النواب محسن الملك خان الشهير بعلمه وفضله يرد بها على ما كنا اعتدنا به عن علماء الأزهر تقيياً على رسالته التي نشرناها في الجزء السادس من السنة الماضية وهي التي أظهر فيها استياء واستياء مسلمي الهند من ترك الأستاذ الامام للأزهر وطنن فيها بعلمائه طعننا شديداً فلم نر نشرها في ذلك الوقت لما منع زال فنحن ننشرها الان وهذه هي

بسم الله الرحمن الرحيم - وایاه نمید وایاه نستمین

سعادة الفاضل الحكيم العلامة دتم بالعز والكرامة

سلام عليكم فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه النبي
الكريم . وعلى آله وصحبه السادة الها ميم . وبعد فانا قد سررنا وتشتطنا بمحسن
ضنيكم البناء من نشر رسالتنا المشبعة الطويلة التي كتبناها اليكم في قضية علماء
الأزهر واستقالة الاستاذ الامام الكبير محمد بن عبده في مجلتكم الباهرة الفراء التي
صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي وقد سررني أيضا ما قد
استنبتم ذلك بانتقادكم الحافل البديع عقيب هذه الرسالة فحامون فيه عن علماء
الأزهر واستفراغكم الوسع بذلك في دفع ما وقع من التلط والخطأ في الآراء التي
ارتقاها الناس فيهم ولكن القدي أمل من طيب خلقكم وطهارة سريرتكم هو
ان تفموا عني بما قد نجاسرت في الانتقاد على هذا الانتقاد فانه يا اخي ليس فيها
أحسب مما ليطمنن به بال احد او ان يفتدبه ما قد رآه أكثر أهل النظر في هؤلاء
العلماء من انهم لا يحبون اشاعة العلوم الحديثة ولا يجوزون لها السبيل والتطريق
في المدارس والكتليات ولا واحد عندي يقطع عن رأيه ذلك فيهم فيا احسب
قد علمت يا سيدي ان نفس علماء الأزهر وتعضبهم للعلوم الخلقية البالية وخلافهم
للاصلاح في شؤون التعليم والأخذ بالعلوم الحديثة ليس مما يرتاب فيه احد فقد
شحت بذلك الجرائد المصرية كلها لا سجا مجلتكم الباهرة التي نصت على انهم
لا يجوزون المدول يسير عن المنوال العتيق الذي يجري عليه نصاب التدريس
في الجامعات الأزهر ويخرجون في تشكيل صناعة التاريخ والجغرافيا في نصاب
الدرس الحاضر فما ظنك بالعلوم العالية الافرنجية وما هي فيه من المهاج الجديد
في أرض أوردوا فأحسبت يا سيدي ان الذين لا يزالون يقرؤون ويتلون الجرائد
المصرية ولا يفترون عن مطالعة جريدتكم الفراء ليلا ونهارا أقرأهم يقلعون عن
رأيهم في شأن هؤلاء العلماء أم ترى ان اعتقادهم في هؤلاء فيها أفديتم بنفسكم
بأنهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين وتفسد العقائد في قلوب

المسلمين وان اصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم أفترى
أن هذا الاعتقاد منهم ينزل أو يحول أو يضمحل بشئ من قلوبهم مما كان عندهم
من قبل أما تراهم يوافقونك في قولك وكل هذه الظنون فيهم باطلة كلا ولا كرامة
وحاشاهم من ذلك

فأما أتم فلعلمي لم تألوا جهدا في المحاماة عن هؤلاء العلماء وأنتهم في بيان ذلك
بصحين وكلماتها تنتقد عليها وتنتظر في وزنها ورجحها على منهاج أصحاب النظر
أما الحجة الاولى فقولكم ان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون
أولادهم العلوم الدينية في المدارس الأميرية وغيرها الخ وأما الاخرى فقولكم ولا
يطعنون بدين أكابر أمرائهم وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر واوروبا
الخ ولكن هذا الكلام منكم لا يجديهم نفعا ولا يهامي أو يذب عنهم بشئ فقد
عرفتم ما هو من دين علماء هذا العصر أنهم يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا
يقولون وهم الذين قال فيهم الشاعر المارف الحكيم مصلح الدين السعدي
الشيرازي وهو من معارف الشراء ومشاهير أهل النظم - قال :

ترك دنيا بخدم آموزند خویشان سم وغل اندوزند

يعني بذلك أنهم يعلمون الناس ويحصلونهم على رفض الدنيا وترك زخارفها وهم
بأنفسهم يكنزون الفضة ويحتكرون الطعام لأنفسهم (هـ) ومن دينهم أيضا أن
لا يطعنوا بشئ على الأمراء والولاة كما لا يحرّموا من صلاتهم ولا ينأسوا من
استعجاب خيرهم وميراثهم بل وأتارهم يوافقون العامة في بدعهم ولا يشتمون
بشئ على أفاعيلهم ويشاركونهم في الاحداث الفظيعة التي يأتون بها في الدين
فتراهم لا ينكرون عليها بل يصادقونهم بمواقفتهم ومشاركتهم فيها وشاهد ذلك
قولكم في هذه النمرة التي صدرت في السادس عشر من شهر ربيع الاول الماضي
« فشايخ الازهر يقرءون في كتب الحديث نهى الشارع عن بناء القبور واتخاذ
المساجد عليها واتخاذها أعيادا وتعظيمها ثم أنهم يشاركون العامة في هذه الاعياد

(هـ) قال الشاعر العربي (ودعوا لنا الدنيا وهم يرضونها اقويق خلق ما يذلها نضل)

التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه ثم أنهم يقرءون في شاطئ نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم يتكرونها على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد امرني بذلك بعضهم وكان شيخا للازهر قائلا انك من اهل العلم لا يلحق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فحاجني بأن ذلك شعار العلماء الآن « وقد صرحتم قبل ذلك بشيء في قولكم ص ٢٢١ من هذه النمرة الحاضرة » وانما صرح العلماء بكرهه حلق الرأس وكونه مخالفا لسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاما اذا اخذنا باطلاقم كان اليوم في ترك هذه السنة موجبا في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل يتكرونها على من لم يحلق وهم مخفون «

هذا ام كيف يوافقكم احد في قولكم « ظلم والظلم لعلنا الازهر ان يقال فيهم أنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عاقبا عن علومه وانهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين » الى آخره

وقد سلف منا مرارا انا قد رأينا في الجوانب المصرية انها قالت في شأن رجل عظيم من العلماء « انه محترم المقام بين علماء المسلمين يحبه كبيرهم وصغيرهم لعلمه وفضله ويمدونه حجة وقته وامام زمانه في علوم الدين وأصول الشريعة » فهذا العالم الجليل الذي ترأس العلماء في عصره ومن رأيه ما يقول لمدير الجوانب ماتلك ألفاظه « غرض السلف من تأسيس الازهر اقامة بيت لله يعبد فيه ويطلب فيه شرعه ويؤخذ الدين كما تركه لنا الائمة الاربعة رضوان الله عليهم وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم العصر فلا علاقة للازهر به ولا ينبغي له » ولما راجعه المدير واستحقاقه بالسؤال قائلا « هل حدث يا مولاي ما يقف للازهر في الخدمة المطاوعة منه فبسم الاستاذ ثم قال بل ان الذي من شأنه أن يهدم معالم التحليم الديني ويحول هذا المسجد العظيم الى مدرسة فلسفة وآداب تحارب الدين وتطعن نوره في هذا البلد وغيره من البلاد الاسلامية الى آخره » وتجاهر في آخر كلامه منتظها قائلا « ان الازهر انما وجد لحفظ الدين ونشر علومه ليس الا وليتركوه كما هو حصن للدين وان أرادوا به اصلاحا فليكن الإصلاح

منحصرا في حفظ صحة الطلبة والسهر على راحتهم وتقديم الغذاء الصالح لهم وما سوى ذلك من مبادئ الفلسفة والعلوم الحديثة العالية فلتدخله الحكومة ان شاءت على مدارسها الكثيرة التي هي في حاجة ماسة اليه

أم كيف نصدقكم في قولكم هذا وأنا نرى هؤلاء العلماء قد ثاروا وشغبوا الناس وأثاروا في اصلاح الأزهر بما اضطر الخديوي الي اخذ الفتنة وخطب شيخ الجامع الأزهر قائلا « ان الجامع الأزهر قد أسس وشيد على أن يكون مدرسة دينية اسلامية تنشر فيها علوم الدين الحنيفية في مصر وجميع الاقطار الاسلامية .. وقد كنت أود أن يكون هذا شأن الأزهر والأزهريين دائما » ولما كان يقال ان هؤلاء الرعط الذين يرومون الاصلاح كلهم مفسدون قال فيهم « أول شيء أطلب أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائدا في الأزهر الشريف والشغب بعيدا عنه فلا يشغل علماءه وطلبته ألا يتلقى العلوم الدينية النافعة البعيدة عن زيف العقائد وشغب الافكار لانه هو مدرسة دينية قبل كل شيء ومن كان يحاول بث الشغب بالوساوس والادعائات أو الايهام بالاقتوال أو بواسطة الجرائد والاخذ والرد فيها فليكن بعيدا عن الأزهر ومن كان أجنبيا من هؤلاء فأولى به أن يرجع الى بلده ويبت فيها ما يريد من الاقوال والآراء المنيرة للدين ولصالحه الأزهر والأزهرين » (١)

فهل في الوجود أحد يقف على هذه الاحوال ويعرفها حق المعرفة ثم يرتاب في أن هؤلاء العلماء اكثرهم لا يجوزون الاصلاح في النهج القديم للتعليم ويحسبون أن العلوم الحديثة بأسرها مطفئة لنور الاسلام ولم يري أن هؤلاء العلماء هم الذين اتخذوا جامع الأزهر القبيح كن من حقه أن يكون رحمة وبركة للمسلمين صركا. فتنكبة وموطنا للمذبذبة ومقلا للمستربة وموضعا للسفينة ولو نظرت الى العلوم التي تدرس فيها لوجدتها بأسرها علوما بالية عتيقة اتخذها المقلدة من العلماء علوما دينية ولا تعجد فيها الا تلقين نبذ من المسائل التي تشتمل منها البقول وتمج قبولها. احلام الفحول وذلك من اجل مخالفتها لقواعد الحكمة واصول الفطرة ولا يوجد فيها غير تعليم ماعداها من المطالب التي لا تستثير بها ادمعة الرجال ولا

(١) المناظر: قالت جريدة القواء يومئذ ان المراد بالاجنبي هنا صاحب المناظر

يتسع بها فضاء علمهم ومعرفتهم بل يتركبها التقليد في تخوم قلوبهم وقد امتلأ القرآن العزيز بدمه وشحن الكتاب المجيد برده وجل همته في ان يحمل الناس على منهاج يستقنون به ان الاسلام بدع هذه البدع ونفس هذه الاحاديث التي ليست بأدون من احاديث خرافة بل عين الشرك الجلي فضلا عن الشرك الخفي وانما جردهم في المنع عن تعليم صنعة تنفعهم بشئ اما في الدنيا أو في الدين هذا شي من حالهم سيفي تعليم العلوم فأما سبل التعليم ومنهاج تدريسه ونظم الامور فيه فامر اشهر من ان يذكر واين من ان يوضح ولقد تنجح له بعض فضلاء الهند الذي كان حلا بالقاهرة وكتب في ذلك كتابا الى حيدرآباد عاصمة دكن وقد نشرتموه في الجزء العاشر من المجلد الخامس من مجلتيكم المنار وبذلك فهل تحسبون انا محسن الفن بهؤلاء العلماء ونضعهم في ميزان علمائنا السلف الذين مضوا الى رضوان الله كالامام الغزالي وابن رشد الاندلسي والامام ابن الخطيب الرازي وغيرهم فقد كانوا يستقنون ان العلوم الكونية والعقلية عين هذه العلوم الدينية وكانوا يحضون المسلمين ويحثونهم وعرضونهم على تحصيلها في تأليفهم وكتبهم واسفارهم ووزرهم التي كانوا يعملونها لنشر تلك العلوم ويخاطبون فيها اخوانهم المسلمين قائلين « معاشر الخلان اني آنت ناراً في وادي هذه القنون آتيكم منها بخبر أو قبس لعلكم تصطلون » أوليس هؤلاء العلماء قد عثروا على قضية عمر بن حسام فيما اخرج الخبر به الامام الرازي في التفسير الكبير من ان عمر بن حسام كان يقرء كتاب المجلد على عمر الايري فقال بعض الفقهاء يوما ما الذي تقرؤنه فقال افسر آية من القرآن وهي قوله تعالى « اظلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها » فانا افسر كيفية بنائها ولقد صدق الايري فيما قال فان كل من كان اكثر توغلا في بحار مخلوقات الله تعالى كان اكثر علما بجلال الله وعظمته انتهى كلام الرازي بـ

بيون الفاظه

اولم يشر علماء الازهر على فصل المقال للحكيم الفيلسوف القاضي ابي الوليد بن رشد (الذي) نص فيه على وجوب معرفة الموجودات والعلم بمحقاتها من جهة الشرع وان القرآن العزيز قد امرنا بذلك امرا أكيدا في كثير من الآيات وكتب في

آخر ذلك ماتلك عيون الفاضل . وقد تبين من هذا ان النظر في كتب القدماء واجب بالشرح وان من نهى عن النظر فيها فقد صد الناس عن الباب الذي دعا الشرع منه الناس الى معرفة الله وهو باب النظر المؤدي الى معرفته حق المعرفة وذلك غاية البعد عن الله تعالى ولم يدرك هؤلاء العلماء ان الامام الفزاري كان من قوله في علم الهيئة فيما نقل عنه الفاضل عصمة الله في التصريح بشرح التشرريح - لشيخ العلامة بهاء الدين العاملي من انه من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو ضيق في معرفة الله واعظم من ذلك كله الاثر المأثور المشهور عن سيدنا علي فيما اشار به على سيدنا عمر رضي الله عنه بعدم احراق خزانة الكتب بالاسكندرية قال انها علوم ليست تخالف القرآن العزيز بل تعاضده وتفسره حق التفسير لا مراءه الفاضلة الدقيقة وهو قول معروف عنه وقد اخرج الخبره مفصلا الحكيم المؤرخ الاسلامي القاضي الصاعد الاندلسي في طبقات الامم فيما نقل عنه العلامة المحدث ابن عيش القرشي التبي في بعض مقاطع القسم الاول من الجزء الاول من كتاب الكشف عن الغثاة فليرجع اليه

هذا وانه ان يذهب عنا الاسف والكمد الذي نجمده في انفسنا من جهة قضية الخلد يوزي وآرائه ومن جهة الحال التي نحس في علماء الازهر ونحن بهذا العصر في حاجة الى مثل الرازي والفزاري وابن رشد الاندلسي واثامهم من العلماء ومن كانوا في ميزانهم في الدهر الحاضر مثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده واضرا به الذين يضيئون العالم بنور الدين وضياء الاسلام ويبينون للناس ومن في قلوبهم مرض وزيف عن الحق ان الديانة الاسلامية كلها تطابق العقل والظنرة وحدو الفذة بالقذة وان العلوم العقلية والكونية بأسرها في الاصل علوم دينية يجب على المسلمين تعليمها والاخذ بها وتعلمها فيخرجوا بذلك عن قعر القل وغاية الهوان والصغار التي آلهوا فيها وهم ضاغرون وقد لزم الاسلام بهم عار قبيح به منظره وساءت بذلك هيئته وهم يظنون من أجل ذلك ان الاسلام هو الرادع للناس عن التمدن والارتماء في معارج الزم والاعتلاء فأما نحن فلسنا في حاجة الى امثال هؤلاء الذين يقولون ان العلوم الحديثة مطفنة لنور الاسلام ومخمدة لناره ، ومطمسة لآثاره ، ومجيلة له

عن عقرداره ومحلله وقراره ،

او ليس ان الحال التي انتهت اليها هيئة المسلمين مما يتضاحك بها الاعداء
وخصاخ لما الاولياء بالعويل والبكاء ، وتسكاب الدماء ، اوليس قد تراكت
على المسلمين سحائب القتل والهوان ، وجللتهم غياهب العدم من كل جانب
ومكان ، اي قطعة في الوجود من قاطب الارض يكون فيها من حال المسلمين مالا
يتصدع لها القلوب وتتفطر بها الاكباد وتجيود لها الحاجر والا ماق بانهار الدماء
السائلات ، وتسكب لها قاني الامطار من القل الفائرات ، خرجت الممالك من
ايمانهم ، واضمطت الدول التي بقيت في ايديهم كأنهم لا حراك ييم وصاروا في العالم
كأنهم القبة تتداولها ايدي الاجانب وتلاصب بها اكف الابعاد ، بما خرجوا عن
امتلاك الاقارب لا يحس فيهم شيء من آثار الثروة ، ولا عندهم ميل الى التجارة والصناعة
بل هم زاهدون فيها ، وراغبون عنها ، يستبحون شكلها ومنظرها ويستنظمون محلها
ومصدرها ، ورضوا بالافتقار في تحصل كل شيء حقير وجلب كل ماعون يسير ، من
أرض أوروبا يستجلبون الفرش والسرير للمساجد والصوامع من ارض الافرنج ولا
يتخذون من ذلك شيئا بانفسهم وايديهم . لم يبق لهم عزة ولا ضولة وما بقي عندهم
امرة ولا دولة ، واما عدهم فهم وان كانوا ييلنون الى الف مليون نفس في العالم فهم بعد
ليسوا في قطر من اقطار الدنيا ممن يفخر هناك بوجودهم ولا بمن يتفاخر بهم على
لسان وليهم وودودهم او ليفرح الرجل بالنظر الى عيونهم واشخاصهم او يسير اخوهم
اذا كان يرمى الى عدهم وافرادهم فاذا يكون من السبب الاصيل في ذلك ويد
من رعت ذمة هذه الامور والقدي احسب ان جل السبب في ذلك ليس
الافتقارهم عن العلوم الحديثة وتمايمهم عنها واثم ذلك كله على عاتق هؤلاء العلماء
الذين يندرون تلك الاوزار ويجوزون المسلمين ان يخرجوا عن غمار القتل والصغار ومن
ثم تراهم يرفعون عن التعاليم الثافعة ويردعون الناس عنها لغتاوى التكبر لمن
ولع بهذه العلوم الحديثة ويحولون بينهم وبيننا وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يصرون
ولا يشعرون ان ارتقاء الاوربيين القدي يضرب به المثل اليوم ليس الامن جهة توغلب
في العلوم الجديدة ونبوغهم في الحكم الحديثة وكل دولتهم وقوتهم منسوبة في

الاصل الى تجارتهم وحرفهم وهي في نوبتها منسوبة الي تناهضهم في هذه العلوم الجديدة النافذة

دع عنك اروپا وانظر الي هذه الامة الحفيرة التي يقال لها أمة جهان افلا يرونها كيف ارتقت في مدة لا تتيف على عدة سنين ولا تعد الا على انامل الادميين ارتقاء مبهر ابهرت الانظار، وخلفت لها النواظر والابصار، فليس انها لم تستكمل لنفسها مدة خمسين سنة وكانت تعد من قبل ذلك في الاقوام المتوحشة وتستحقها الامم المتقدمة وهي اليوم في كل شأن على أعلى مراتب الصعود والارتقاء، وقد ادشت الدنيا بأسرها باعمالها البديعة التي صدرت منها في هذه الازمان وكل واحد يحترمها كل الاحترام وحرمتها مركوزة في طبع كل انسان فاذا القى قلبها عن حالها القديم، وانعكس أمرها عن شأنها الفاسد المريم، ما ذلك الامن اجل تناهيا في العلوم والحكم والأزهريون على خبرة من حالها ومنهاج ارتقاها ومنوالها وأما الأسف عليهم من اجل انهم لا يقيسون أنفسهم بهؤلاء، ولا ينظرون في علل تلك الاشياء، ولا يفكرون في اسبابها التي أورثتهم الارتفاع واورثنا الانهطاط والانخفاض ولو كان عندهم صواب في الرأي وحزم في الرواية ومعرفة صحيحة بالقرآن والاسلام لكانوا يستحيون بمهام فيه ولكان كل واحد منهم مثلك ومثل الاستاذ الكبير محمد بن عبده يخرج نفسه من شرك التقليد القدي أضل الناس كثيرا ولكان يسلك في منهاج التحقيق القدي هو الصراط المستقيم ويضيء فضاء الارض برحبها وينور العالم الاسلامي بسعته كلها بمشعة الاسلام ويبراس كلام الله الملك العلام

وليت شعري ماذا القدي علمنا القرآن والاسلام ؟ هل هو بعض هذه الحركات البدنية ام نبذ من تلك المراسم الظاهرية أو مطالب عديدة من مسائل النفس والحیض ينون بما التعليم الديني لا غير لا مادون ذلك ؟ كلا ولا كرامة وحاشاهما عن ذلك بل وقد دلانا على ما فيه جل الخير ونعم النفع في الدين والدنيا وكال الريح في الاخلاق والمدنية وعلمانا الاصول التي يانهتدي الى تمصيل تلك الموائد الثمينة والفوائد الغالية واوجبا علينا اكتساب العلوم الكونية والعقلية

باسرها . ولو كان علماء الأزهر مشاركين في آرائهم لثلثكم ومثل محمد بن عبده وينظرون
بنظر الامعان في امضا آتكم البديعة الرشيدة التي علمت الدنيا ان الاسلام من بين سائر
المذاهب هو المذهب الواحد الذي يرغب الناس ويشوقهم في تحصيل الفوائد الدنيوية
والعوائد المالية والقومية وهو الذي اتخذ العلم وانتقل عين الايمان والدين ونفسهما في
الاعمال . ولولم يكن الأزهريون يظنون غنا باطلاق العلوم الدينية بأسرها منحصرة في
الفقه ومقصورة على جزئيات المسائل الفرعية التي لا يتدولا بيا بها واكثر هذه المطالب
ليست بمجدبة للعمل في هذه العصر والدهور ولو عرفوا ما في تعليمها من ضياع العمر
واضياع الوقت ذلك ما هو معلوم عند كل ذي حياء وهم يزعمون ان الولوج بها مما يشيد
بناء الدين لارثي الطلبة الأزهريون كما هم اليوم في غايتهم من القل والموان ونهايتهم
من الصفار والخذلان ولو كانوا لمدون ان العلوم العقلية والكونية عين العلوم الدينية
لكانت كلية كيمبرج وراكسفورد تحسد الأزهر وتغيبها غبطة ما كان يحسد بها احد
وتخرج منها في عرض عدة سنين رجال كانوا يصعدون بالبلاد الاسلامية ويحققون
بها الى أعلى ذرى الارتقاء التي وصلت اليها أمة جابان في هذه العصر والازمان
هذا رأيي ورأي سائر الافراد الذين لهم خبرة باحوال الدنيا ووقوف على
اخبارها والمأم بتوار يخنها واني لقاطع بصحة هذا الرأي ورأي هؤلاء ممن عدائي
ان العلماء هم العلة الاصلية لكل هذا الصفار والموان وتماثل تلك النكبة والخذلان
وهم موقوفون غدا بين يدي الرحمن ومستولون من لدنه فليستمدوا للجواب فهم
الاصل الاميل لجل هذه المفاصد وكل تلك الشنائع وانت يا اخي لا تستطيع وان
جهدت كل جهدك للمحاماة عن علماء الأزهر أن تفعل هذا العار عنهم وتدفع هذه
التبعة والنفيسة منهم فانك لا تستطيع ان تكذب الحس والعيان ولا ان تدفع الوقائع التي
حدثت في لادهر والازمان اهذه الكلية التي مضت لبنائها الف سنة وتخرج منها
مليون بل اضعاف مليون طلبة ولا يزال يخرج منها كل عام آلاف من هؤلاء الطلبة
أفيحق ان يكون نهج التعليم في هذه الكلية بحيث يتخرج منها طائفة من صالحيك
الناس وسائلين في الرقاب يتخذون غداءهم بالقلعة وعشاءهم بالمسكنة ويتيتون
وهم مخذولون بالمسغبة أو يمجدها أن ينفر فيها عن طريق التعليم التي يتخرج
(الجلد التاسع) (٨٧) (للتار ٩)

منها أناس يرتفع بهم منار الدين ويتقد به فأرسلهم ويعلو قدر المسلمين، ويهتدي بها المسلمون إلى لواحب الصعود والارتقاء ويزيدهم عزة وبهاء ويهيئ لهم ذرائع الاستطاد والاعتلاء وإنما يحرزنا أولاً أنا نحمد المسلمين في أي مصر واية قطعة من قاط الأرض كانوا بأسرهم ذاهلين عن استغلال العلم واكتساب الحكمة فظلم عنها غير مكترئين بها وثانياً انه حيث ما نجد لهم وسائل التحصيل حاضرة ولواحب الاكتساب متسعة ومناهج التدريس مطروقة ومتفتحة وحيثما يوجد لهم كلية قديمة مثل هذه الكلية التي هي أقدم كليات العالم يكون فيها مثل هذا التعليم الفاسد الضار الذي تضعف فيه الاعمار ويضع فيها الفضيلة والنضار، ويصطلح الناس فيه على أن يسموا مثل هذا النهج الباطل الماطل السقيم الذي لا يثبت المسلمون به لثبته وينسلب من أجلها مادة التحقيق عن قلوبهم الخاطوية ويبغض اليهم النظر في العلوم النافعة اصطلاحاً على أن يسموه تعليمادنيابوعلى أن يسموا الرجل العارف بمسائل شتى من الطلاق والرقية والتفاس والميض رجلاً عالماً ولا غير

هذا وإني لست بمسبب مقالتي في هذا الشأن ولا بمغضب في شكايتي من علماء الزمان نظراً إلى ما حوت مجلتيكم الباهرة القراء من أحوال هؤلاء العلماء وشؤونهم وأخبارهم فنحن في غنى عن إطالة الكلام عليها وبمزل عن إسهاب المقال فيها وعلى كل حال فإن الأحوال الحاضرة للعلماء ومدارسهم ومكاتبهم مما قد تبين واتضح للناس ضررها وقصدان نفعها للمسلمين وضوح الشمس في كبد السماء وإنما بقي وحزني على ذلك من جهة أن الازهر كان هو المدرس الواحد في الدنيا من قديم الاصر والاعوام الذي كان يرجى فيه اصلاح جميع المفاسد المالية والمدنية في الاسلام ولا غير ولو تقبل الناس آراء المفتي محمد بن عبده وبادروا بالقبول لكنا نأمل منه خروج المسلمين عن غيابة الظل والنسكة وتترقب صدورهم إلى أعلى نئين الفوز والسعادة ولكن عليكم بهدان لا تيأسوا من روح الله وتجهدوا كل الجهد في اصلاح المسلمين، وأحسنوا إن الله لا يضيع أجر المحسنين، وكتب يوم الخميس ٢٥١ خطن من شهر ربيع الآخر وأنا مخلصكم الصفي الوفي (بحسن الملك)

باب المناظرة والمراسلة

الرد على الشيخ بجيت - تابع لما في الجزء السادس

مسألة المسائل الدينية

(المسألة الأولى من الحديث) نص حديث جابر عند ابن ماجه وأورده الشيخ بجيت محرراً فأشرفنا الى ذلك في تلك الجملة الوجيزة وكان غرضنا من تلك الاشارة الفرق بين عبارة الحديث عنده وهي «الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه» وعبارته عند روايه (ابن ماجه) وهي «إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه» فقوله بسلطان معناه بسلطة فيشمل كل سلطة لكل قوي . وقد اكتفينا بالاشارة لأنه لم يكن من غرضنا تفصيل خطأ المستنبط الجديد بل عدم الثقة باستنباطه فلما أراد أن يرد علينا كل ما قلناه وان كان حقاً رجع الى الكتب التي من شأنها ان تذكر هذا الحديث وكتب بعد ذكر عبارتنا في نصحيح الرواية مانصه (ص ٣٢)

«ونقول في الرد عليه قد ذكر في البرق الوميض حديث جابر باللفظ الذي ذكرنا وعزونا في الرسالة اليه وقد ذكره في كنز العمال مطولاً ونسبه لليبي وفي الفاظ لا توجد في البرق وجاء في آخره : ألا لاؤ من امرأة رجلاً ولا يؤمن أعرابي مهاجراً ولا يؤمن قاجر مؤمناً الا أن يقهره سلطان يخاف سيفه وسوطه اه وقد ذكره في متقى الاخبار باللفظ الذي ذكره المتعوض ولعله لقصوره قصر الرواية عليه » اه

ثم ذكر بعد هذه الجملة ان الحديث ذكر في المذهب وشرح الاقتاع قال «وذكره ابن ماجه في سننه مطولاً» وذكر آخره عنه وفيه «الا أن يقهره بسلطان» ثم ذكر أسماء بعض الفقهاء الذين أورده في كتبهم واستنبط من ذلك أن «كل من احتج به في موضع اقتصر منه على موضع حاجته في الاحتجاج وكل ذلك جائز لم يقل بمنه أحد ولا ضرر في اختلاف الفاظ مع اتحاد المعنى

الآثرى ابن ابن ماجه قد ذكره في سننه بلفظ والبيهقي قد ذكره بلفظ ومتقى الاخبار قد ذكره بلفظ ولكن حب الاعتراض على الناس يصمي ويصم نمود بالله من ذلك « اه

أقول قد أعطى الشيخ نجيب في هذا المقام من وجوه (أحدها) ان كلامه في رسالة السكوتاه كان في رواية ابن ماجه لحديث جابر لاني الحديث على الاطلاق ورواية ابن ماجه ليس فيها اختلاف وليست كما أورده فهو قد نسب الى ابن ماجه تعريف الحديث أو نسب اليه ما لم يروه ولا يخرج من هذه الورطة كون غير ابن ماجه قد رواه باللفظ الذي ذكره ان صح ذلك

(ثانيها) قوله انه عزاه لحديث جابر الى البرق الوميض غير صحيح فان التبادر من عبارته في رسالة السكوتاه انه نقل الحديث عن سنن ابن ماجه نفسها فانه قال مانعه : « وما يدل على انه لا يشترط للسلطان الذي يقبل القضاء يأذن بالجمعة ان يكون مسلماً بل يجوز ذلك من السلطان الكافر ما أخرجه ابن ماجه وغيره عن جابر بن عبد الله قال قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « وساق الحديث وذكر في آخره (اه) ثم قال في ابتداء كلامه هكذا

« ولما قال في النهاية وغيرها ويجوز النقل من السلطان الجائر كما يجوز من العادل وذكر في المتنق والاسلام ليس بشرط فيه أي في السلطان الذي يقبله اه كلامها « ثم ابتداء كلاماً جديداً هو حكاية قال في آخرها اه من البرق الوميض : قبل يفهم أحد من ذلك انه نقل حديث ابن ماجه من البرق الوميض ؟؟ كلا بل هو يناظر أو يكتب ما لا يريد ثم لا يفهم ما يكتب

(ثالثها) ان البرق الوميض ليس من كتب الحديث التي يعتمد عليها ويرثق بها فاحتجاجة بنقله لحديث ابن ماجه لا قيمة له . ولعل اقتصاره على نقل الحديث عنه أدل على قلة الاطلاع - ولا نقول على الجهل بالحديث وكتبه - من اقتصارنا على عبارة متقى الاخبار الذي هو من كتب الحديث المشهورة المعروفة بالضبط وصحة النقل

(رابعها) قوله ان كنز العمال نسب حديثه المطايل الى البيهقي يفهم منه انه لم

يعزه الى مخرجه الذي عزاه هو اليه وهو ابن ماجه والصواب أنه عزاه الى ابن ماجه فالبيهقي ولا نقول ان الشيخ نجيب لا يعرف أنهم يرمزون الى ابن ماجه بحرف «ه» (خامسها) ذكره ابن ماجه في جملة من رووا الحديث - والكلام في روايته خاصة - تمصيل حاصل لا يصدر من محصل

(سادسها) ان الذين احتج باخلاصهم في إيراد الحديث ليسوا كلهم رواية له وإنما هم ناقلون قال الرازي للعديث هو ابن ماجه وكذلك البيهقي كافي كنز العمال وليس صاحب كنز العمال من أهل التخريج وإنما هو ناقل وكذلك الفقهاء الذين ذكرهم فلا يحتاج بنقل أحد منهم وإنما يجب الرجوع الى كتب أهل التخريج وقد علمت نص ابن ماجه وأما البيهقي فهذا نصه كافي السنن الكبرى له:

«أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمر بن البخاري أخبرنا محمد بن عبد الملك الديلمي أنا يزيد بن هرون أخبرنا فضيل بن مرزوق حدثني الوليد بن بكير أخبرنا عبد الله بن محمد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكمثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية توجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا أن الله عز وجل افترض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فن تركها في حياتي أو بمسدي جحودا بها واستخفافا بها وله إمام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره الا ولا صلاة له الا ولا وضوء له الا ولا زكاة له الا ولا حج له الا ولا يرله حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه . الا ولا تؤمن امرأة رجلا الا ولا يؤمن أعرابي مهاجرا الا ولا يؤمن فاجر موثنا الا لمن يقهره بسلطان يخاف سطوته » عبد الله بن محمد هو العدوي منكر الحديث لا يتابع في حديثه قاله محمد بن اسماعيل

البخاري : اه قول البيهقي

أقول ومنه نعلم ان طريقه هو عين طريق ابن ماجه لا طريق آخر كما زعم

الشيخ بخيت وأنه أورد الحديث وبين جرح راويه ليعلم أنه لا يحتاج به . ومن نص سنن البيهقي الموافق لنص سنن ابن ماجه في قوله « لا أن يقهره بسلطان » تعلم أن ما في كثر العمل من النقل عنها محرف وأما الطبراني فلم يخرج هذا الحديث وإنما حديثه خاص بفرضية الجمية ليس فيها ذكر الامامة ولا القهر بالسلطان فهو لا يمد طريقاً ليقوى به الحديث فإذا هذا التش والتليس

❦ المسألة الثالثة - سند الحديث ❦

ذكر الشيخ بخيت عبارتنا في تلك المجالة في كون الحديث منكراً أو موضوعاً لقول البخاري في راويه التميمي منكر الحديث وقول وكيع فيه يضع الحديث ثم اتنا أخذنا ذلك عن الشوكاني ونقل هو عبارة الشوكاني وفيه اماذا كرعن البخاري وعن وكيع ثم قال (ص ٣٤) « ولم يقل الشوكاني ان الحديث منكراً أو موضوع كما اجترأ عليه المدعى من نفسه ولا يلزم من الطعن في رجال الحديث الطعن في نفس متن الحديث على ما سيأتي بيانه ونذكر لك ما قبل في رجاله لنقف على حقيقة الحال ثم نبعه بما يتعلق بحال المتن » ثم ساق سند ابن ماجه ونقل بعض ما قبل في رجاله واحداً واحداً ثم قال (ص ٣٨)

« وما أوضحنا لك في الرجال تعلم ان كلا من محمد بن عبد الله بن نمير والوليد بن بكير ثقة عدل لاطمن فيه وقد روى الوليد وهو ثقة هذا الحديث عن عبد الله بن محمد المدوي ورواه محمد بن عبد الله بن نمير وهو ثقة عن الوليد وقد تابع محمد بن عبد الله المدوي في هذا الحديث عبد الملك بن حبيب وان الطعن فيه غير مسلم ولم يفتقوا عليه وأبى علي بن زيد قد روى عنه قتادة والسفيانان والحادان وخاقى وكفى بذلك توثيقاً وتديلاً وقد خرج له الاربعة والبخاري في الأدب وسلم في صحيحه وأن قرن معه غيره وبالجملة فلم يعطن على أحد من رجال هذا الحديث بالنسق وعدم العدالة وعلى فرض تسليم الطعن فناية ما يقتضيه ضعف هذا الراوي المظنون فيه . وضعف الرواة لا يسقط الاحتجاج بالحديث الا اذا عارضه ما هو أقوى فيجزم عليه ولم يوجد ما يعارض هذا الحديث بل وجد

من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع ما يشهد بصحة معناه ويؤيده كما يأتي
وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي ان متن الحديث الذي رواه منكر ذن
المذكور قد اختلفوا فيه فقال في انتقيح هو ما لم يروه أصحاب السنن والمسائيد
والصحيح ولا يوجد له أثر في كتاب من كتب الامهات كسند أحمد ومجمع
الطبراني ومصنف ابن أبي شيبة وغيرها مع شدة حاجتهم اليه اهـ

ثم ذكر أقوالا أخرى في الحديث المنكر لتأخري المحدثين واعتمد قوله
التقريب بالتفصيل فيه كالشاذ قال « وقد علمت ان من الشاذ ما يكون صحيحا
وما يكون حسنا فيكون المنكر كذلك » الخ

أقول كلام الشيخ بحيث هنا يدل على أحد أمرين إما انه لا يعرف علم
الحديث ولا بوجه الالمام وأما يرجع الكتب عند الحاجة فيكتب عنها ما يلوح له ان
يوافق غرضه وأما انه يحرف الكلم عن مواضعه ويدلس و... عامدا عالما والأول
هو الأظهر ومن الدلائل على ذلك من كلامه هذا ما ترى من أنواع الخطأ وهي
« ١ » جعل الوليد بن بكير كمحمد بن عبد الله بن نمير عند لا طعن فيه

وقد قل الذهبي في الميزان ما رأيت أحدا وثقة غير ابن حبان وقد نسب بعضهم
ابن حبان الى اتساهل في التعديل وقالوا انه واسع الخطو في باب التوثيق يوثق
كثيرا ممن يستحق الجرح وفي تدريب الراوي للسبوطي وفتح المغيث للسخاوي
تفصيل في ذلك محصاه ان له اصطلاحا خالف فيه غيره منه ان كان يحمل الحسن
صحيحا وانه كان يوثق من لم يطعن فيه أحد . ولم يعثد الذهبي قول أبي حاتم
فيه (شيخ) وثيقا وكلفه شيخ عند أبي حاتم في المرتبة ثالثة قال في صاحبها « يكتب
حديثه وينظر فيه » أي يكتب لأجل البحث عنه فهل يقال في مثل هذا انه
ثقة كمحمد ابن عبد الله بن نمير الذي روى عنه الشيخان ؟

« ٢ » قوله ان الطعن في عبد الملك بن حبيب غير مسلم هو حكاية لقول المقرئ
المؤرخ صاحب نفع الطيب وهو ليس من أهل الجرح والتعديل وقوله هذا
لا يعتمد به فان الجرح المفسر مقدم على التعديل لاسيما اذا أيد بعض أهل الجرح
فيه بعضا . وألفاظ الجرح فيه كثيرة منها ما نقله الشيخ بحيث عن الشوكاني

وعن ابن لباب ومنها ما ذكره الذهبي في الميزان عن ابن حزم انه قد قل فيه ليس بثقة وقال روايته ساقطة مطروحة . وعن الحافظ أبي بكر بن سيد الناس انه قال فيه انه صحفي لا يدري الحديث ، وضعفه غير واحد ثم قل وبعضهم اتهمه بالكذب وقال ابن حزم روايته ساقطة مطروحة أقول فاذا أجلناه عن الكذب فهل نجمله عن القول بالجهل بالحديث الذي أبد كلام ابن لباب فيه قول الحافظ أبي بكر انه صحفي لا يدري الحديث ، والحافظ الذهبي نفسه قد وصفه بذلك مع اعترافه ببله فانه قال فيه « كثير الوم صحفي » ويؤيد هذا ما نقله بخيت من مسألة التمرارة والجواب ان الذي نقله عن المترى فيها ليس بشي . فان الذين يقولون بالاجازة لا يمدون من أجيز بفرارة من السكتب (أي جولى) لم يقرأها ولم تقرأ عليه راويا لها ضابطا لما فيها بحيث يحتاج بمتابسته في تقوية منكر الحديث . فليث شعري هل فهم الشيخ بخيت هذا فأغضض فيه أم لم يفهمه

(٣) قوله ان علي بن زيد قد روى عنه فلان وفلان وكفى بذلك توثيقا مردود بأن رواية من ذكر عنه لا تدل على عدم الطعن فيه بل الطعن فيه منقول فقد قال الامام أحمد فيه هو ضعيف وقال البخاري وأبو حاتم لا يحتاج به ولا ينافي ذلك رواية البخاري عنه في الادب المفرد فانه يروي فيه عن الضعفاء ولو لم يكن ضعيفا عنده لروى عنه في صحيحه . وكان ابن عينة يضعفه وقال حماد بن زيد أخبرنا علي بن زيد وكان يقلب الاحاديث وقال الفلاس كانت يحبى القطنان يفتي الحديث عن علي بن زيد . وطعن آخرون فيه فراجع مع هذا سائر ما قيل فيه في ميزان الاعتدال

(٤) قوله : وبالجملة فلم يظن على أحد من رجال هذا الحديث بالفسق وعدم العدالة : مما يتعجب منه فان الطعن بالفسق ليس من ألفاظ جرح الرواة الدال على عدم الاحتجاج روايتهم وكان الشيخ بخيتا ظن ان شأن المحدثين في الرواة كقضاء المحكمة الشرعية في الشهود بل كشأن تحوت العامة في طعن بعضهم ببعض فان كان هذا ظنه فهو إثم فانهم رضي الله عنهم ما كانوا يقولون انهم فلانا لا نقبل روايته لانه فاسق أو زان أو مرتش بل جعلوا للجرح مراتب ليس

فيها شيء من قبيل ألقاب السباب إلا لفظ الكذب هو يذكروه الجمهور
للضرورة ومنهم من ينزه عنه كالبخاري وقلما يصححون به . سبق الفاسق وكل ما قلنا
عنهم من ألفاظ الجرح في رواية هذا الحديث معناه أن الجرح ليس عدلا لا الجرح
يقابل التعديل ولا حاجة إلى التصريح بكلمة «غير عدل» وما في معناه . فليبحث
في كتب هذا الفن عن مراتب الجرح يتبين له ذلك ويعلم أن قوله لم يطلع
على أحد من رجال هذا الحديث الخ لا يفيد شيء في تقوية سنده وجعله مما
يحتج به . وقد علم القراء قليل في غير محمد بن عبد الله بن نعيم منهم وحسبهم
أن البخاري قال في راوي الحديث أنه منكر الحديث ومن اصطلاحه أن من قال
فيه ذلك لا تحمل الرواية عنه فهل يقول الشيخ بخيت إن من لا تحمل الرواية عنه
ثمة عدل محتج بحديثه ؟

(٥) قوله ضعف الرواية لا يسقط الاحتجاج بالحديث الخ خطأ يأتي بيانه بعد
(٦) قوله أنهم لم ينفقوا على الطعن بعبد الملك لا يفيد على تقدير صحته إلا إذا كان
يشترط في الأعداد بالجرح والاتفاق عليه وليس الأمر كذلك بل الجرح مقدم
على التعديل مطلقا أو بشرط كونه مفسرا

(٧) قوله : وكون الراوي منكر الحديث لا يقتضي أن من الحديث منكر :
لا يفيد به بل يقوي الحجة عليه إلا إذا صح قوله إن ضعف الرواية الحديث لا يسقط
الاحتجاج به ولن يصح فإن كون الراوي منكر الحديث جرح له يمنع الاحتجاج
بحديثه عند البخاري وقد يكون الحديث منكرا وهو مما يحتج به على القول بأنه
بمعنى الشاذ وهو ما اعتمدته وإن كان غير معتمد في نفسه وإنما المعتمد من أقوال
كثيرة أن بين المنكر والشاذ عموما وخصوصا من وجه يجتمعان في كون الراوي
قد انفرد برواية كل منهما وينفرد الشاذ بكونه راويه ثمة والمنكر بكون راويه
ضعيفا (انظر كشف اصطلاحات الفنون) وإنما توهم من توهم أن الشاذ والمنكر واحد
من اختلاف القوم في الاصطلاحات . وإنما قلنا في تلك العبارة أن الحديث منكر
أو موضوع بناء على انفرد محمد بن عبد الله التميمي به وعدم الاعتداد بمتابعة عبد
الملك بن حبيب له لأنه ليس من أهل الرواية وقد صفا على أن التميمي هذا
(المناظر ٩) (٨٨)

لا يتابع واذا تردد منكر الحديث أو من يضمنه بحديث كان من الحديث منكرا أو موضوعا. فإذا أثبت الشيخ بخصيت أن لهذا الحديث روايات أخرى يكون قولنا ذاك خطأ سببه عدم اطلاعا على تلك الروايات وأين هي ومن هم رجالها؟

آية من آيات دقة الشيخ بخصيت في علم الحديث

قال في آخر (ص ٤٠) بعد ما تقدم «وقول ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به شهادة نفي قال في الرحمة المرسلة للحافظ عبد المحي الكتاني القاسمي وقد قال الحافظ ابن حجر في القول المسدد في القب عن مسند أحمد في حديث قال ابن حبان فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقله ولا صرح ولا سمع ولا الزهري مانعه قول ابن حبان شهادة نفي صدرت من غير استقراء تام على ماسنيه فهي مردودة اه وقال الذهبي الكلام في الرجال لا يجوز الاتهام المعركة تام الورع اه قول الشوكاني تالف لا يقبل وقول وكيع يضع الحديث لا يقتضي ان هذا المتن موضوع ولو كان موضوعا مارواه أولئك الاعلام ويسكتون عليه ولا يبينون ذلك وقد علمت متابعة عبد الملك بن حبيب وعدم تسليم الطعن فيه وقول ابن حجر زاهي الحديث وقول ابن عبد البر هذا الحديث زاهي الاستاد وقول البيهقي لا يتابع في حديثه كل ذلك لا يقتضي كون هذا المتن زاهيا قال الحافظ عبد المحي القاسمي في الرحمة المرسلة لان تعدد الطرق مانع من كون الحديث زاهيا شديد الضعف لان الضعف اذا حصل له أدنى اتعاش واستثناس أحدث فيه قوة ومعلوم أن ضعيفين يظلبان قويا اه

أقول قد علم القراء ان هذا الحديث لم يروا من طريق محمد بن عبد الله العدوي التميمي الذي تكرر ذكره والشيخ بخصيت ينقل كل هذه المطاعن فيه وهي أشد ألفاظ الجرح عند المحدثين ثم لا يراها جراحة له مسقطه لعدالته مانعة من الاحتجاج بحديثه. ومن دقيق علمه انه لا يفرق بين قولهم فلان لم يحتج به وقولهم فلان لم يقل كذا اذ جعل الاول كالتأني شهادة نفي ولعله عند ما يعود الى عبارته هذه يستحي منها واذا علم ان تلاميذه رأوها وفهموها يستحي أن يظهر بينهم بصفة المعلم اذ لا أظن انه يخفى عليهم أن قول أهل الجرح والتصديق فلان لا يجوز

الاحتجاج به معناه أنه غير عدل فعبارة ابن حبان بمعنى قول البخاري منكر الحديث أي لا تحمل الرواية عنه أو هذه أشد وأما قولهم ان فلانا لم يقل كذا فلا معنى له الا أن القائل لم يعلم بأنه قال لعدم استقرائه

وهل علمت أيها القاري من هو الحافظ عبد الهي "الكتاني القاسمي الذي يقتبس الشيخ بحديث من علمه بالحديث ويخرج بقوله ورأيه" هو الشيخ الكتاني المغربي الذي مر على القاهرة في العام الماضي والرحمة المرسلة رسالة له حاول فيها تحسين حديث البسمة « كل أمر ذي بال » وقد جعله الشيخ بحديث حافظا ليحتج بكلامه ولا فخر له في ذلك فإن الذي جعله من الحفاظ لا يعرف علوم الحديث وجلة القول في سند هذا الحديث أن الشيخ بحيثا ادعى انه لم يطمئن أحد في رجال سنده عند ابن ماجه بما يسقط عدالتها وانه مروى من عدة طرق يقوي بعضها بعضا وان الاعلام رواه وسكتوا عليه وان متابعة عبد الملك بن حبيب للتبسي عليه معتبرة وكل هذه الدعاوي باطلة كما علم مما تقدم على اختصاره

أصول الاسلام

﴿ الكتاب، السنة، الاجماع، القياس ﴾

جاءنا من الشيخ طه البشري الاستاذ المدرس بالجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتي الى الدكتور النظامي محمد توفيق أفندي صدقي بعد انه محمد الله اليك ونسلم على نبيه المحنبي ورسوله المصطفى وآله وصحبه فلقد قرأنا قائمتك التي ذهبت فيها الى ان الاسلام هو القرآن وحده ونشدت من العلماء من يساجلك القول ويادلك الحجة حتى ينتهي البحث الى الحق الذي لا شبهة فيه فاذا كنت مصيبا بنا بك وأيدك أو نخطئنا خالفك وأرشدك واني مناظرك ان شاء الله تعالى بما لا نرى فيه حرجا عليك من الزامك بما قال زيد ورأى خالد اسكن بالكتاب نفسه أو بما رأيت فيه حجة لنفسك من غيره ملتزما جهد المستطيع حد المناظرة الصحيحة حتى تبلغ منزلة الحق القوي ننشده جميعا فاما هدى بالي رفاق، والا فقد بلغ أحدنا من مناظره عفرا، وكبرا ما ابتدأت

المنافرة بالمهاترة، وانتهت بسلام، والحق ذاهب بينهما ادراج الرياح، ولا حول ولا قوة الا بالله، نسأل الله تعالى ان يعافينا واياك من هذا البلاء اعلم وقتنا الله واياك ان اصول الاسلام الاربعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس

اما الكتاب فلا تنازع فيه بل تراك اخذه وحده التكاة التي تستند في أمر دينك اليها والحجة التي تنافج عن نفسك فيما ذهبت بها

واما السنة فلاننا ثبتها بالكتاب فنه فهي منه نستمد، وعليه نستند، وعنه تصدر، واليه ترجع، قال الله تعالى (وأرسلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وليس هناك من معنى لتبيين الكتاب غير تفصيل مجمله، وتفسير مشكله، وغير ذلك من مسائل الدين التي لم يتناولها الكتاب بالنص، ولم ينسب لها بالبيان، ومثله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال تعالى (كأرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) الآية فقال ويعلمكم الكتاب ولو كان المراد مجرد تبليغه لا كسفى بقول يتلو عليكم آياتنا ولا يذهب عنك ان التليم غير الاداء والتبليغ، ثم عطف عليه بالحكمة، وعطفها على الكتاب يقتضي انها هنا شيء آخر، وليس هناك غير السنة وقال تعالى في مواضع كثيرة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واطاعة الله لاشك بالرجوع الى كتابه، واطاعة الرسول بالرجوع الى سنته، ولو كان المراد الكتاب وحده لما كان تمت داع لل تكرار، وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يحمل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) الآية فنص في هذه الآية الكريمة على الاخذ بما يحمل الرسول والتجرج عما يحظر مطلقا، وقد ثبت ان السنة اباحت كثيرا وحظرت كثيرا بدون أي نص أو إشارة خاصة من الكتاب ومع ذلك يجب الاخذ بكل ما جاءت به لقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد صرح الكتاب العزيز بان كل ما أوجب الرسول وأمر، أو نهى وحظر، إنما هو من الله تعالى يجب اتباعه ولا يجوز اجتهاده، لقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقد أكد سبحانه

وتعالى على الناس في طاعة الرسول وشدد في مواضع كثيرة من القرآن العظيم بالترغيب في اتباعه ، ووعد العاملين بأمره بعد أن قرن طاعته بطاعته في قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) أو يتخوف المخالفين لأمره ، والمتجافين عن حكمه بقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب يوم أليم) فمخالفة الرسول ولا ريب مخالفة صريحة لأمر الكتاب الصحيح

وقد استدللت على أن الاسلام هو القرآن وحده بقوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وعلى تسليم أن المراد بالكتاب هنا هو القرآن ، فإن أردت أن القرآن لم يفرض في شيء من مسائل الشريعة بطريق النص فلا نستطيع أن نوافقك على هذا احتراماً لمكان الكتاب الكريم من الثقة والصدق ، فإن القرآن لم يتناول بطريق النص من مسائل الشريعة الايسيرا ، وإن أردت أن الكتاب لم يفرض في شيء من الدين على سبيل الاجمال قلنا نعم فإن القرآن لم يفرض في شيء من كليات الشريعة وأنت خير بان ذكرها بمجمل ليس كافياً استنباط المجتهد ما يقوم به العبادة وبمجرد المعاملة ، على اننا نقول أن القرآن لم يفرض في شيء من كليات الشريعة وجزئياً فإن ما لم ينص عليه الكتاب منها أمر باتباع الرسول فيه ، فكل مسائل الشريعة على هذا من الكتاب اما مباشرة ، واما باتباع ما ينص عليه الرسول الامين

﴿ عصمة السنة الصحيحة و نهانها من الله قطعاً ﴾

لانحسبك تخاف في أن الرسول معصوم ، وإن كل ما يجري على لسانه أو أويديو من عهده إنما هو بالوحي السامي أو الالهام الآلهي الصادق ، وما كان للرسول أن يشرع شرعاً يتعبد الناس به من عند نفسه ، وما ينطق عن الهوى أن هو الاوحي يوحى (فامر الرسول لا يختلف عن أمر القرآن وكلاهما معصوم ، فلا مجال نمت لاسؤال بأنه - هل يفرض علينا الرسول فرضاً لم يفرضه الكتاب فإن الكتاب والرسول لا يفرضان شيئاً (ليس لك من الامر شيء) وإنما الذي يفرض هو الله الحكيم ومظهر هذا الفرض اما أن يجري على لسان النبي العظيم ، أو يتجلى

في لفظ الكتاب الكريم ، وليس الامر بطاعتها الا أمرا بطاعة الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) الآية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فالرسول عليه السلام هو الواسطة التي ياتي قل حكم الله العظيم قرأنا كلنا أو غير قرآن ، والقول «نعوذ بالله» بدم حجة الرسول قول بالاولى بدم حجة الكتاب فاننا لم نأخذ الكتاب الا منه ، ولم نلقه الا عنه ، وهو أمين الله على وجهه ، وعيظه الى خلقه ، وحجته على عباده

السنة اجمالا مقطوع بها كالكتاب - لاشك في أن الكتاب مقطوع به ولم يكن هذا القطع الا من طريقه الذي انصل بنائه وهو التواتر ، والسنة بالجملة جاءت من هذا الطريق بعينه ، لان اجماع الامة من المبدأ الى الآن منعقد على صحة السنة اجمالا عن رسول الله ، وانما أصل من أصول الدين كالكتاب واذا كان طريق السنة هو بعينه طريق الكتاب لاجرم كان مقطوعا بها اجمالا كالقطع بالكتاب تفصيلا ، قلنا السنة بحسب الاجمال أما هي الشخص فسيأتي عنها بعض التفصيل في مراتب السنة الصحيحة

عصمة الشريعة كلها

لنا في اثبات هذه الدعوى وجهان - الاول الدلائل الدالة على ذلك ، من الكتاب مثل قوله تعالى (يريدون ليطفوا نورا لله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره) ونور الله شرعه وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون) ولو فسرنا الذكر بالشريعة كلها - كتابها وستنها - لكان الامر ظاهرا ، ولو قصرناه تفسيره على الكتاب المجامع السنة بطريق الزوم لما علمت من انها كنانة لتفصيل مجمله ، وتفسير مشكله ، ولا معنى لحفظ كلمات الشريعة ومجملاتها دون جزئياتها ومفصلاتها ، التي هي مناط التكليف وعليها تدور الاحكام

والثاني الاعتبار الوجودي الواقع من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم الى الآن فان الله سبحانه كما قبض للكتاب العدد الجمل من ثقات الحفظة بحيث لو زيد فيه حرف واحد لصرفه الآلاف من القارئین ، كذلك أقام لكل علم يتوقف عليه فهم الشريعة من الناس من تأدى بعملهم هذا الفرض أحسن الأداء

فمنهم من استند السنين الطوال في حفظ اللغات والتسميات الموضوعة على لسان العرب حتى قرروا لغات الشريعة الفراء من القرآن والحديث ، وهذا الباب الاول من أبواب فقه الشريعة التي أوحاها الله الى رسوله على لسان العرب ، ومنهم من جد في البحث عن تصارييف هذه اللغات في التنطق بها رفها ونصبا وابدالا وقلبا واتباعا وقلبا وافرادا وجما الى غير ذلك من وجوه تصارييفها الأفراد والتركيب ، ومنهم من قصر عمره - وهو طويل - على البحث عن الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل اثقة والمدالة من الثقة حتى ميزوا الصحيح من السقيم ، وتعرفوا التواريف ووجه الدعاوي في أخذ فلان عن فلان حتى استقر الثابت المعمول به من الحديث الشريف فلا محل لدعوى «حصول التلاعب والفساد» في حديث الرسول الكريم ، كيف وقد علمت ان السنة شطر الدين ، والدين قد جاء الينا بطريق التواريف القطعي ، واذا كان نقل الكتاب العزيز بزم المدول المضبوط للحفاظ الامانة فان نقلة الحديث ورواياته ان لم يكونوا هم باعياهم فانهم لا يقولون عنهم في المدالة والحفظ والضبط والامانة فن ملن في صحة السنة فقد ملن في صحة الكتاب أيضا

وقد علمت صحة الكتاب وفساد مسند السنة بتعاليل نرى من الحنم علينا الامام بها جملة ، ونعقبها بما يكفي لدفعها

(١) كون متن القرآن مقطوعا به لانه منقول عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان (٢) كتابة القرآن في عصر النبي عليه السلام بأمره (٣) عدم كتابة شيء من الاحاديث الا بعد عهده بمدة كافية في حصول التلاعب والفساد الذي حصل (٤) عدم ارادة النبي لان يبلغ عنه العالمين شيء بالكتابة سوى القرآن المتكفل بحفظه في قوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر الآية) ولو كان غير القرآن ضروريا في الدين لامر النبي بتقييده كتابة ، ولتكفل الله بحفظه ، ولما جاز لاحد روايته على حسب ما أداه اليه فهمه ،

وقول - (١) اما القطع بالقرآن كله فلا شك فيه ، ولكن ليس بما دعت

من قوله عن النبي باللفظ بدون زيادة ولا نقصان فإن هذا ليس كافيا في القطع بل هو إنما تحقق بالتواتر اللفظي ، وهو الذي استفيد منه عدم الريادة والنقصان ، على أنك إن عدت مثل ذلك موجبا للقطع يلزمك أن تمد السنة الصحيحة مقطوعا بها - بحسب الشخص - كلها لأنها جاءت أيضا بلا زيادة ولا نقصان . بل ولقد كل خبر ورد من أي طريق بلا زيادة ولا نقصان مقطوعا به وهو غير مسلم (٢) وأما كتابة القرآن بأمر النبي عليه السلام في عصره فلا نزاع فيها

أيضا ، ولكن المدة في القطع به إنما هي بالتواتر كما قدمنا بحفظه في صدور جماعة من الصحابة غير ممكن واطوهم على الكذب والذين يلونهم كذلك ثم الذين يلونهم إلى عصرنا هذا ، على أننا لا نهمل ما للكتابة من التوكيد وفوائد أخرى كثيرة مثل ترتيب الآيات بعضها إلى بعض بإشارة جبريل عليه السلام ، فإن القرآن نزل نجوما على حسب مقتضيات الوقائع لا بهذا الترتيب ، ولا يعرب عنك أن ماسطره كتاب الوحي من القرآن ليس بين أيدينا شيء منه الآن ، بل نحن لم نقطع بمحصل الكتابة في عصر النبي عليه السلام إلا بالتواتر اللفظي المسلسل إلى ذلك العهد الشريف ، وهناك تستوي الكتابة وعدمها في صحة النقل ما دام مصدرها موجودا وهو النبي الكريم المبلغ لآيات الكتاب الحكيم ، فإذا كنت تعد الكتابة التي سجلت في عهده عليه السلام هي الحجة وحدها في القطع بالقرآن ، فقد شككت في القرآن المتلو طول هذا الزمان في كل بلاد الإسلام ، فأننا ومن قبلنا إلى قريب من ذلك العهد الشريف لم نخط بروية شيء من هذا الأثر الكريم !!! وإذا اعتبرت القطع بالنقل عن ذلك الأثر قلنا لا نسلم أن هذا موجب للقطع بصحة القرآن إذ أن الكتابة نفسها لا دليل موجب للقطع بانها من الرسول ، بل هي في أثبات صحتها ذاتها محتاجة إلى التواتر اللفظي المؤيد بقينا لصحة العزو ، فعلمت أن المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره وقد نقلت لنا السنة اجمالا من هذا الطريق ، ولا يذهب عنك أن العرب كانت أمة أمية أكبر اعتمادها في حفظ ما أورثها كان على الصدور لا السطور

(٢) وأما عدم كتابة شيء من الحديث في عهده فهو لا يفيد دعوى

التلاعب والفساد ، بل ربما كان عدم الكتابة مما يبلغ بالنفس في تأكيد صحة أسانيد السنة ، إذ رواية الحديث الواحد بطرق متعددة ، وبأسانيد مختلفة مع حفظ وسطه وطرفيه أكبر مدفع لدعوى التلاعب والفساد ، ثم انك قلت «من التلاعب والفساد ما قد حصل» انزعي بذلك السنة الصحيحة المعتمدة بها، والمعتمد عليها ، المسطورة في مثل صحيح مسلم والبخاري وموطأ مالك وأهلهما أجمعت الأمة على صحته ، أو غير ذلك مما نص على ضعفه أو وضعه ، ان كان الاول فقد طمنت في القوم اجماع على صحته في الجملة ومنه القرآن ولا تقول بهذا ، وان كان الثاني فأنا لا نقول منه على شيء.

(٤) وأما دعوى «عدم ارادة النبي عليه السلام لان يبلغ عنه العالمين شيء» بالكتابة سوى القرآن « في هذه المقدمة - أو شبه المقدمة - نظر ، على اننا لو تنزلنا بتسليمها لما اتجعت النتيجة التي تريدها ، وهي انه لم يرد ان يبلغ عنه شيء أصلا سوى القرآن (طبعا) والنبي عليه الصلاة والسلام أرسل كثيرا من الرسل الى الجهات المختلفة ولم نسمع بل ولا نستطيع ان نثبت أنه كان يقطع لهم من صحف الكتاب ما يكون (الحجة) في دعوتهم الى الاسلام أولا ، ويملهم أحكامه ثانيا ، ولو كان الامر كما رأيت ما مسح تبليغ أولئك السفراء الى الدعوة ، ولا اعتد باقامتهم بين الناس أحكام الشريعة ، نعم يقال انه كان يكتب في محفوظهم من الكتاب ، ونقول انه كان كذلك يكتب في محفوظهم من السنة ، وان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم أصحب وفوده الى الملوك بكتابات مرقومة ، ورسائل مسطورة ، قلنا ان ذلك لم يخرج عن الايدان بصحة بيئة أولئك الرسل عن النبي عليه السلام وكل ما فيها لا يجاوز الاملاع الى الفرض الذي سرحهم اليه ، وما كونه لم يترك أثرا من الذين مسطورا الا الكتاب العزيز قد علمت ان لا يترتب عليه شيء ما نحن فيه ولو كان الامر كما ترى فبم كان يعلم الناس كيفيات الصلاة مثلا وهي القاعدة الدنية من قواعد الاسلام ؟

ترى اننا بعد هذا في غنى من التماس الملل لكتابة القرآن دون السنة فحينئذ من أصل المسألة التي أوردتها لذلك وتكلفنا مؤونة ردها ولا كنا

ناقشك في هذا الرد

قلت «فان قيل ان النبي لم يأمر بكتابة كلامه لئلا يلتبس بكلام الله قلت وكيف ذلك والقرآن معجز بنظمه ولا يمكن لبشر الاثنيان بمثله» وتقول ان اعجاز نظمه لا يتحقق بقدر الآية الصغيرة مثلاً ، فلا مانع اذن بأن يلتبس هذا القدر من الكتاب بالسنة ، أو مثله من السنة بالكتاب ، وأنت أوعى وأرشد من ان ثبته الى المصاب بمخروج آية بل آيات متفرقات من القرآن عنه ، ودخول أمثالها فيه وليست منه ، على ان عدم التباس القرآن بغيره إنما يتحقق في حق العربي الخبير بأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، ولكنه غير متحقق أصلاً في جانب غيره أعجمياً كان أو من هؤلاء الشعراء

على اننا نرجع الى أصل الموضوع فتقول ان وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب إنما هي التبليغ من أي طريق كان وقد قال (الا قليلم الشاهد الغائب) وذلك غير مخصوص بالكتاب بل بكل ما سمع منه قرأنا كان أو سئنه وقد قال تخصيصاً لهذه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ)

أما جواز رواية الحديث بحسب ما يؤديه الفهم فما لم نسمعه الا منك ، فان المقرر المعروف ان فهم الحديث في ذاته تابع لروايته ، لا ان روايته تابعة لفهمه ، واذا كانت روايات الحديث مسوقة حسباً تبلغ الافهام فاحر بها ان لا تساق أصلاً . وكيف يجوز الفكر ويضطرب الفهم في شيء قبل وروده وتقرره أولاً ؟ واذا أردت بذلك وقوع اختلاف الافهام في بعض الاحاديث فذلك ضروري كاختلافها في بعض آيات الكتاب سواء . أما رواية الحديث بمعناه—اذا غاب عن الراوي لفظه فجائز لان المراد منه هو حكمه لا التحدي بنظمه . أو التعمد بلفظه . فلا بأس اذن بروايته بأي لفظ يؤدي معناه المراد

فساد دعوى الاستنباط من الكتاب وحده

ان المستنبط من الكتاب معهما صح فيه . وغزر علمه . لا بد وان تعرضه مواضع لا يرى الكتاب مستغنيا في تقرير الحكم فيها بنفسه ، ولا مفصلاً بما يكون

بُلغة المهدي وكفاية الطالب، كأن يرى ثمت لفظا يتبادل افراد مختلفة الحدود على سبيل البديل لغة كالقرء في قوله تعالى (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) فإنه مشترك لغة بين معنيين متناقضين (الحيض والظهر) وهنا لا يسمعه الا ترجيح أحدهما بمرجح خارجي والا لزم اما التوقف أو التمسك بالترجيح بلا مرجح، وقد رجح الحيض أبو حنيفة بما صح عنده من قوله عليه السلام (طلاق الامة ثنتان وعدتها حيفتان) فإنه يدل على ان عدة الحرة ثلاث حيض لاثلاثه اطهار . وكأن يرى المجتهد أيضا من لفظ الكتاب ما زدهم فيه الممانى واشبهه المراد به اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع الى شيء آخر كقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان الصلاة في اللغة الدعاء . والزكاة النماء . فأبي دعاء وأي نماء أريد في الكتاب ؟ لابد من تعيين المراد بشيء آخر ولقد عنته النبي وبينه يانا شافيا تصديقا لقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر كرتين للناس ما نزل اليهم) فالاستنباط من الكتاب لما ذكر فيه نفسه من الاحكام (الا ما كان نصا) لم يسمه تبين المراد منه الا بالسنة وهذا فوق الكثير، فكيف بما لم نوص به في الكتاب مما انعقد الاجماع على وجوبه كواجبات الاحرام ونحوها !!! بهذا تعلم ان الاستنباط من الكتاب وحده . والتعني به في كل أحكام الدين مستحيل ﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أثبتنا ان السنة بالجملة أصل من أصول الدين كالكتاب وأنها بهذا الوصف نقلت اليها نقلا متواترا لاشبهة فيه، أما هي بحسب الشخص فمنها المتواتر وهو (مارواه جماعة لا يتوهم طواغوثهم على الكذب ويدوم هذا الحد فيكون آخره كأوله وأوسطه كطرفه) وهو موجب اليقين كالعيان علما ضروريا فهو كالكتاب في صحة متنه، وصدق عزوه، بحيث يكفر منكزه قطعا لأنه حجب للمستيقن بأنه من الله — وفيها المشهور (وهو ما كان أحاديا في الاصل ثم اشتهر شهرة مستفيضة) ومنها الصحيح وهو (مارواه العدول الضباط الحفاظ من غير شذوذ ولا علة) وغير ذلك من أقسام السنة الصحيحة كثير . وإذا كان القائل يقاد منه بسفك دمه في عرف الشرائع وما أدراك بمحرمة الدم) بمجرد شهادة عدلين الا يجب العمل

في حكم شرعي بشهادة اثنين أو أكثر من العدول الثقة الاوفياء من صحابة رسول الله وتابعيه . بل لو شئت لأوردنا لك ما قال الشافعي حجة لنفسه في العمل بخبر الواحد بل لأوردنا ما قال الله تعالى حجة علينا في ذلك حكم الله بين السنة والكتاب - حيث قد ثبت أن السنة الصحيحة شرع من الله تعالى ، متبديها فيما كان عبادة ومعتد بحكمها فيما كان معاملة فهي لا تناقض الكتاب مطلقا ولا دليل هناك على دعوى «وقوع التضارب والاختلاف» بين ما ورد من الاحاديث الصحيحة المعمول بها في شرع الله القويم . لأن منشأ هذا التضارب المدعى لا يخلو اما ان يكون من الاصل أو النقل أما من الاصل فستحيل لأنك ولا شك تتعرف منها بوجوب الصدق والفظنة والعصمة لجميع الانبياء وليس بشي . من هذه الواجبات ان يحدث النبي في شرع الله بالتضارب المتناقض بل هذا والياذ بالله تعالى كذب لا يجوز لسلم ان يرمي به نبيا معصوما وأما من حيث النقل فقد بينا لك منه وجه الحجة وقلنا ان ثقة السنة هم العدول الثقة الخ . وليس «ولوع المتقدمين بجمع روايات الحديث مدعاة الى وقوع التضارب والاختلاف فيها» بل هو ادعى الى حفظها وصيانتها . ولكم لم يفتك قراءة شي من تاريخ أولئك الاخبار العاملين الذين نصرت أعمارهم في هذا السيل اذ كان يعضي الواحد منهم الشهر والشهرين والاكثر متنقلا بين الاقطار والاصقاع تنقل البدر بين منازلها التماسا لتحقيق حديث واحد من أفواه الثقة الامناء ، ولو انه غفر به من طريقه بعد طول الجهد ثم اختلج في نفسه أقل شبهة من أحد رواته ففض يديه منه ، واقلب الى أهله خاويا من ذاك الحديث وقاضه . واليك كثيرا من هؤلاء كالبخاري ومسلم ومالك والشافعي واضرابهم الذين هم الحجة في نقل الحديث الصحيح المتمد به ، والممول عليه ، وقولك بصد «ان المجتهدين تحققوا ان أكثر الاحاديث موضوعات» هو حجة تنا أيضا لان تمييز الموضوع والضعيف تمييز - ولو بطريق القزوم - لثيرة وهو الصحيح . قلت «المجتهدون» وهم اما الصحابة الذين تلقوا الاحاديث بأذانهم عن فمه الشريف بلا واسطة والحديث في حق هؤلاء لا يختلف الى صحيح وموضوع وضعيف لان هذه الفروق انما هي راجعة الى قوة السند وضعفه ولا يكون هذا في حال تسمعه من الرسول

الكريم فان الحديث كله في حق سامعه منه عليه السلام صحيح ، قطوع المن
 كالقرآن واما غير هؤلاء ، ممن لم يلق الحديث الكريم الا بالواسطة وهذه الواسطة
 اما ان تكون موجبة لليقين كما اذا كانت اتواتر أو الفتن بالخبر كما اذا كانت
 غيره من الطرق المعتبر التي أقلها موجب أيضا للعمل وان لم يكن موجبا لليقين
 اذ التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للخرج على الأقل وهو مدفوع
 بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) بل المجتهد ليس مكافأ بما اذا كانت
 الاحكام غير مقطوعة الثبوت - كما في الاخبار الاحادية - الا بالبحث والتنقيب
 للعمل بالاقرب الى يقينه وهو الأرجح في ظنه والاخبار الاحادية الصحيحة
 تبلغ ولا شك هذا المقدار فالعمل بها على هذا واجب وأيضا كون بعض أحكام
 الاحاديث ظنية - لان سندها ليس الا موجبا للظن - لا يقدح في وجوب
 العمل بها كما لا يقدح في وجوب العمل ببعض أحكام الكتاب نفسه التي دلالتها ظنية -
 وان كانت مقطوعة الثبوت - كل مجتهد يعملها على الوجه الذي يؤوله اليه مبلغ علمه
 وفهمه ، فالقول بان المجتهدين كلهم على حق ليس « قولاً باجتناع النقيضين »
 بل المراد ان الحق على فرض كونه واحداً دائر بينهما ، وتعيينه في جانب
 واحد دون الباقيين تصف ، بل المراد ان كل مجتهد يبحث عن الحق بما في وسعه
 حتى اهتدى الى النقطة التي يلزمه اتباعها دون غيرها ، وهي التي يقال انها
 الحق بالنسبة له ، والذي لا يجوز له التحول عنه ، بل الذي خرج يلوغه من عمدة
 التكليف ، فلا بأس اذن بالقول بأنهم جميعاً على الحق من هذا الوجه
 وليس تمت تعارض في السنة الصحيحة - كما قلنا - لا للكتاب ولا لبعضها
 البعض . فان الوارد فيها اما مفصل لما أجل في الكتاب أو مظهر لما خفي أو
 غير ذلك مما يحويه معنى التفصيل والبيان . واما ما يخالف ظاهره منها الكتاب
 فكما يرد في كثير من الآيات يخالف بعضه ظاهر بعض فمول فيه حتى يطابق
 النص الكريم وسواء أخذنا بقول القائلين بنسخ السنة الصحيحة للكتاب اذا
 صح التعارض وامتنع التطابق أو ذهبنا مع الداهيين الى انه لا شيء من السنة
 يناسخ للكتاب لانه لا يقع بينهما التعارض بالفعل أصلاً ، فلا تعارض هناك مطلقاً

بين السنة والكتاب . اما على الثاني فظاهروا ما على الاول ففرق ما بين النسخ وهو الفاء حكم بأخر كلامي آتني العدة ، والتعارض ببقاء الحكمين المتناقضين جميعاً ، ولا قائل به من هؤلاء أو أولئك

وكذلك يقال فيما يروى من الاحاديث مخالفاً بعضه لظاهر بعض أي أنه يتأول في أحدها حتى يطابق الآخر ، أو يكون بعضه ناسخاً لبعض اذا تعارضوا ولم يمكن التعاطي . فاختلاف المجتهدين راجع اما الى الاختلاف في الفهم وذلك فيما كانت دلالة على الحكم ظنية وهذا يستوي فيه الاستنباط من الكتاب والسنة واما الى الاختلاف في العلم بأن يتلقى الواحد منهم حديثاً لم يصح عند الآخر — مع طول البحث وفرط الجهد — أولم يصل الى علمه أصلاً . وقد يكون أحدها ناسخاً أو مطلقاً ، والثاني منسوخاً أو مقيداً مثلاً ، ولا يقال ان أحدها على الباطل بعد اذ علمت ما قلنا في هذا السبيل من ان المجتهد مكلف بما يؤديه اليه اجتهاده والا للزم الحرج وهو مدفوع على ان هذا ليس خاصاً بالاجتهاد من السنة بل ومن الكتاب أيضاً كما بينا

اما خبر (اذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فان وافق فاقبلوه وان خالف فردوه) فغير صحيح على اننا لو سلمنا صحته فلا يمكن ان يكون معناه اذا حدث حديثاً فخالف الكتاب فردوه فان الرسول معصوم باتفاق عن ان يحدث بما يخالف حكم الله في كتابه ، وكيف وهو فوق عصمته أبلغ الناس للكتاب حفظاً ، وأعظمهم لآيانه تدبراً ، وأكثرم لما ذكرنا ، فتعين المعنى اذا صح الخبر « اذا روي لكم عن حديث فاشتبه عليكم وجه الحق فيه فاعرضوه على كتاب الله فاذا خالف فردوه فإنه ليس من مقولي » والله أعلم ، أما الوارد من الطريق الصحيح فقد عرفت مبلغ القول فيه ، وسواء صح هذا الخبر أو لم يصبح فقد سقط الاستدلال به في هذا المقام ، وأيضاً لو كان الامر كما رأيت من ان هذا الخبر دليل على كفاية القرآن والامر بعدم قبول شيء من السنة الاما دافعه منها نصاً (طبعاً) لكان كل ما جاءنا من السنة وهو مجموع متواتر لا شبهة فيه بمشاهدة ان عنه أفعال العقلاء ، فضلاً عن الانبياء ، ما دام هو يده الذي نص عليه صريح الكتاب ، ولكن الا ليق بمقام الرسول الكريم ان لا يحدث يحدث مطلقاً حتى

ولا بهذا الحديث الذي أوردته على فرض صحته وكذلك خبر «لو كان - أي
الوضوء من التي - واجبا لوجدته في كتاب الله غير صحيح أيضا ولم يثبت
ظاهره بالمعنى الذي فهمته ما أسرعنا الى رده في الخبر المتقدم ولو صح ما عيينا
بتفسيره على ما وافق اجماع المسلمين على انه قد وردت السنة الصحيحة العربية
في ذلك نكتفي منها الآن بخبر واحد معناه انه سألت سائلة ابن مسعود ومكانه
من العلم والدين والثقة مكانه - اني امرأة أصل الشعر فهل يحل ذلك لي فقال
لا يحل فقالت كيف وليس هذا في كتاب الله فقال لو قرأت كتاب الله لوجدته
فيه فقالت اني قرأت ما بين الدينين فلم أجده قال ألم قرأي (وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا في كتاب الله فقالت بلى

الاجماع

وحجته من الكتاب العزيز أيضا لقوله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما نولي وأصله جهنم وساءت مصيرا) (١) وليس هناك من سبيل المؤمنين غير
اتفقوا عليه من قضايا الدين ككون فرض الظهر أربعة وأربعين ركعة وكون
نصاب الضأن أربعة وعشرين والبقر ثلاثين ونحو ذلك ، وأين وليت وجهك الى أي
فريق شئت في تعريف هذا الاجماع وأهله فهو حجة عليك في كل المسائل التي
خالفتم اجماع المؤمنين قاطبة عليها

القياس

- أثبت القياس أفكفتنا مؤونة اثباته غير انك انكرت السنة ومنكرها منكر
للقياس بطريق الاولى ، على اننا اثبتنا جميعا
(المنازل) لهذه المقالة ثمة عنوانها (العقل والدين) ويليه بقية الرد وقد نشرنا
عبارة برمتها على طولها نراهم واستيفانها للمقصد

(*) نص الآية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين » الخ

باب التوب والتعلم

— مكتوب العاشر (*) —

من أراسم الى ولده

عن لوندرة في ١٥ فبراير سنة ١٨٦٠

لاحق لك يا عزيزي «اميل» في أن تكون بلا رأي سياسي فأبما رجل يعيش في قوم ويظهر متميزا لما يتعارض بينهم من المصالح غافلا عما يتقاسم عقولهم من المذاهب فهو غاية في الخفارة والحسة وكان حقه أن ينشأ بين المتوحشين بل المتوحشون يشغلون بمصالح قبيلتهم بغيره وحيمة

نعم قد كان رؤساء الحكومات أكدوا للناس في الازمان النابرة أنهم مرسلون من عند الله لسياستهم وتديبر شؤونهم وكان عمل الرعايا على هذا الغرض قد قصر على الطاعة المطلقة وأمرهم فكأوا ملكا لولا أنهم وخاصتهم كانت تلك الارض ولاحق للارض في أن تنور على اليد العاملة فيها وأما الآن فلم يبق في البلاد الهندية بهدي العلم من أنصار هذا الحق الالهي الذي يزعمه الملوك الا النزرا اليسير وقد قضى العقل على بعض المذاهب السياسية المأخوذة من القوافين الالهية ثم دل التاريخ على أن السلاطين كانوا يسقطون من عروشهم ولم تكن عناية الله تأخذ سلاحها احصم وأنه كان من اليسور للامم كل اليسر أن يستغنوا عنهم (١)

(*) مترجم من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية

(١) ما ادعاه الكاتب من تأكيد الملوك لرعاياهم أنهم مرسلون من عند الله أمر ثابت في التاريخ بل قد بلغ الغلو بهذه الدعوى بعضهم إذ ادعى الألوهية والمصحيح المعروف الذوي العقول المطهرة من رجس مذهب الماديين أنهم عبيد استخلفهم الله في الارض بمقتضى طبيعة أهلها لحفظ نظامهم فإن أحسنوا الخلافة سعدوا وسعد بهم رعاياهم وإن أساءوا شقوا وشقوا بهم «يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل

هذا السلطان المصوم الذي لم يكذب يبقى للانسان جرأة على ادعائه للشخص في وجه عبر التجربة الزاجرة لا يزال يدعى للاوضاع البشرية فلا تكاداي حكومة من الحكومات تستقر حتى تدعي أنها حلت محل الحكومين في أفكارهم وعزائمهم ولا يخفى ان البلاد التي وضعت حكومتها على هذا النمط يكون من عادة شيوخ بيوتها لفرط حزمهم وبلوغهم فيه حد الجبن أن يعظوا شبابها بأن لا يشتغلوا بالسياسة

تسمع الاب منهم يقول لابنه : « يا بني ان لك أن تفتني وتزوج وتعمل لنفسك في الناس ذكرا وليس من حقك الاشتغال بما وراء ذلك لوجود رجال عهد اليهم الحاكم بمحض ارادته أن يصفوا في جميع المسائل ويزعوا الثوبات والعقوبات على الناس فهم كما تقول التوراة انفس منخريه التي تحرق أموال الماعدين لنظام المقرر كما تحرق السموم نبات المزارع فلا حزم لك أن تخلي بين الحكومة وعلمها واذا كان لا بد لك من رأي فلا بأس من أن تختار لنفسك ما يلائمها من الآراء على شرط أن تقصره عليها لا تفقد الفائدة للمع من الاشتغال بمصالح غيره « والعامل من يتوق ادخال أصبعه بين الشجرة والحائط » (١)

وأما الامم الحرة فالامور فيها تجري على ما يخالف ذلك كل المخالفة فلا يكاد طالب العلم فيها يملك السير من فصاحة المنطق حتى يمارس المناظرة في المصالح العامة وكل فرد من أفرادها اذا أراد أن يكون شريفاً وجب عليه أن ينتمي الى حزب من الاحزاب وهم يبدون كل البعد أن يعتقدوا ان في مجاهدات المعيشة

الله لهم عذاب شديد يمانسوا يوم الحساب « وما يزعم من قضاء العقل على المذاهب السياسية المأخوذة من القوانين الالهية ليس صحيحا على اطلاقه فان القوانين الالهية المحفوظة من التحريف هي أس العدل والحرية واستشهاده بسقوط الملوك من عروشهم وعدم نصر الله لهم وسوء تعبيرة عن ذلك لا يبدل الا على أنه جهل ان الله لا ينصر الا من نصره باتباع او امره وحسن السيرة في خلقه وأنه تزه ان يحتاج في النصرة الى الاسماعة بعدة أو سلاح

(١) المثل العربي « لا تدخل بين العصا والحائط »

السياسية ضرراً بالمعيشة الليتية بل لم يجلبون الفضائل الخاصة على نسبة اتساعها وامتدادها في ميدان الفروض العامة ولو ان وجدان المدل كان قاصراً على المعاملات الخاصة لعد من الظلم في حق عامة الناس

اذا تقرر هذا قلت إن جميع الامم خلقت لتكون احراراً ومن العبث ان يزعم زاعم ان منها من هي مفرطة في الطيش وفيها من هي غالية في التحمس ومنها من هي غابة في الجهل ومنها من هي متعطلة في التأني قد نسي أن الوسيلة الى ترقية أخلاق الامم انما هي ترقية أوضاعها وقوانينها ولا مراء في أن هذه الاوضاع المؤسسة على الحرية ان تنزل من السماء وأنه من الحق والجنون أن تنتظرها أمة من حكائها لان جميع الحكومات المستبدة مبنية على قاعدة ان الناس عاجزون عن سياسة أنفسهم فكيف يرضي الحكم حينئذ أن يكذبوا أنفسهم بالتخلي عنها وقد يرخون زمامها أحياناً حذقاً منهم في تصرفها وحزماً ولكنهم يعرفون عند الحاجة كيف يرتجون تصريف شكيمة الى أيديهم. ليست الحرية بجميع أنواعها مما يعطى ويوهب بل هي مما ينفذ بالجهاد والمكافحة فشدّة كفاح العقول والزاماً وجملة اخلاص المخلصين الخاملين وتصلب من لا يستغذون للذل من افراد الامة هي التي بضرورة الاحوال نفسها تكرر غاصبي حق الحرية على ارجاعه الى نصابه وورده الى أربابه وما يحصل من التعذير في أثناء الجهاد لا يلبث أن يزول وما يعقبه من الرقي دائم لا فناء له فان القاطع يبلى بعمله في المقطوع

ليس من قصدي مطلقاً أن أبث في نفسك كراهة الامة التي خلقت للمعيشة فيها فأنت صاحب الحكم على أهل زمانك ولكن حذار من الاحتقار لغيرك والاستخفاف به فان عصرنا سيشتهر في التاريخ بخطوبه ومصائبه لاننا قد علمنا في الحكومات التي تعاقبت على البلاد وهي حكومة الاصلاح والحكومة المتقدمة والجمهورية وحكومة نابوليون وليست العصور التي تعني وتؤلمني هي التي تسعى فيها أمة عظيمة للحصول على الحرية من خلال الحوادث وانما هي التي تخلد فيها الى الدعة من غير أن تنال حرثها

ان لدائي من جيل بذل نفسه في سبيل الحرية وانا اشتقي بمجامع قلبي ان

يكون الناشئون أسعد منهم حظاً وأوفر غبطة ولكن ينبغي لهم ان يستفيدوا من زلاتنا وتجاربنا

انا قد غلونا فيما رجونا من تصريف الزمان وكلما سألت نفسي عن مسبب مصائبنا خلاني أجده في عيوب تربيتنا السياسية فاشدنا بعداً عن الايمان بؤمن بالمعجزة ذلك أنه يعتقد في تغيير أحوال الامة بأمر من أواصر حاكم مطلق مؤقت الحكومة أو — على الأقل — أمر مجلس حاكم ولقد شهدت فرنسا غير مرة لاشي ببرت حاكمة كانت تعتقد متانة دعائها وزوال مقاصد لبعض الطامعين من رجالها الذين كانوا يدعون المستقل لانفسهم ثم انما لما انتصرت انتصارها العقيم القصير المدة كان اشتغالها بتحرير نفسها واستخلاص صابرها أقل بكثير من اشتغالها باختيار الرجال الذين اتقى اليهم الاتفاق زمام سياستها نعم ان شكك الحكومة واختيار الرجال الذين صرفون زمامها ليس مما لا يعاب به ولكن ينبغي ان تكون الامة هي المنشئة لحرية على اختلاف ضروبها . قد مضى زمن السعاه فلن يرى بعد الآن لافي شكل حكومة منجية ولا في صورة حكومة تأتي الى الدنيا بالنور والهدى فطينا أن نخاض أنفسنا من خداع الناس ونطرحها من وثنية الاوهام لأن الامم لاتنال حريتها باتفاق ولا بسلطة غيبية فنة للطبيعة (١) ولا بالبخت فلتظفر فرنسا في نفسها تجد أن بحتمها هو عزيمتها .

أنت حدث ومغرب عز . بلادك فوسيلك الى خدمتها هي أن تنفي عن عقلك الجهل والالوهة والاضاليل التي تبذر في الدنيا بذور العاراة الناشئين اذا فعلت ذلك كنت قد أدت في سميك الى الحية شيئاً من العمل . التعلم اثمار بالشر لا اتصاله فلو لم يكن نظام تربيتنا برمته من شأنه تحرير أبناء الوطن من ملكة الاستغلال بالفكر والارادة لكانت فرنسا قد اهدت الطريق الى الحرية من زمان بعيد فإما أن يكون هذا هو بدوع ما أصابنا من ضروب المعجزات ما أن أكون مخطئاً خطأ ناحشاً . لآخولنا ان تعيب على الاترك اعتقادهم بالقضاء والتقدير نحن

(١) انكار الكتاب تأثير السلطة الغيبية يعني الله جل شأنه في حرية الامم
أثر من آثار المذهب المادي القائل بأن لا وجود لهذه السلطة نزه الله عقولنا من لوثه

أثبت منهم فيه ألف مرة ذلك أننا تابعون لبخت ومناخاضعون لمقدور سياستنا مؤدون
ميثاق الطاعة لحكومتنا حتى لو انتقلت الى أيدي الكفار وقد أصبح خدود
المهم وانحلال المزامم ملاذا يلوذ به أشدنا أنفة وإباء تراهم لما حل بهم من الكآبة
وكسوف البال يحولون وجوههم عما يجري بين أيديهم من الامور كما لو كان لأي
واحد من الناس أن يقطع من أهل زمانه ومن بلاده . اذا ظهر الشر والفساد في
الامة كان حقا على الانسان ومن مقتضى عظمته أن يجاهد في ازالة سببه وليس
يكفي الرجل الصالح اقتضاره أحيانا بأن يتخيل في نفسه عالما آخر عاوي فيه معتقده
ويشرف من أعاليه على أمور دهره فيحتقرها بل عليه أيضا أن لا يدخر سلاحا في كلفه
ليست أمة من الامة من هذا المعجز في شيء . فانت تعرف كلمة جوفينال (١)

فكن خيرا منهم وأنور فكرا

ان ما يشكو منه جميع الناس في أزمان التدلي من خدود النفوس وأثرة التواكل
وبله الاستسلام لضرورة الاحوال منشوء الناس كلهم أيضا فما منهم الا شريك
في الهلاك العام إما بسكونه وإما بامتناعه اختيارا عن العمل على أن تلك الازمان
هي التي يأتي فيها للنفوس الأية أن تشد وتثبت في تيار الدمار فليتنا ان لم نأمن من
نفوسنا كفاية في القوة أن نستعين من سبقت لهم الشهادة في سبيل الحق ومن ماؤا
من الكتاب وهم يجاهدون الاستبداد ويعالجون عى البصائر قبل أن يجنوا ثمار
كدم ومن خروا من منابرهم من الخطباء مخضين بدماهم ومن حكم عليهم من
العقلاء بشاق الاعمال وشكلوا خلال القرون الماضية في سلاسل العبودية المعنوية
ولتأمل في ماضيها فانا نجد فيه من السجون المظلمة والمناقي وأواع "عذاب والتشكل
ما يشهد لنا بنزاهة مقصدا نزاهة لا تدافع . ألا ان لواء الحرية يغلق جميع المقاومين
والمكرويين والمهضين في سبيل تأدية ما فرض عليهم وبهذا الاواسيكون لنا "نفوز والغفر
وعلى هذا الاعتقاد أقبلت قبلة الوداع اه

(١) جوفينال كاتب لانييني هجائي شهير كان يعيش في آخر القرن الأول من
الميلاد ومات في عهد الاتونيين ايت من دوت الملا في روما

أشاع على البشرية

« حواء الجديدة - أو - إيفون مونار »

ألف قولاً أغندي الحداد قصة صور فيها كيف يفوي الرجل المرأة حتى ينتمك عرضها ثم يتركها فتقع في الشقاء وتضطر الى البغاء فيحتقرها الناس من دونهم وظالمون وبالع في لوم الناس على ذلك حتى عذروا الفواحش وأكادو وعد بكتابة القصص في المسائل الاجتماعية. وقد كتب اليّ كتاباً أرسله مع نسخة من القصة قبل نشرها يقول فيه أنه يرغب الوقوف على رأيي (علماً) في القصة وتأثيرها فيهم فأجيبه بالكتاب الآتي

عزيزي الفاضل

رغبت اليّ أن أقرأ قصتك الجديدة « حواء الجديدة » وأكتب اليك برأيي فيها وأترها في « بعد القراءة - أراك أحسنت في التصوير والتخييل - واعتصمت بحبوة الفزاعة والادب في التعبير - وأرائي استعبرت لغير ما عبارة في القصة - أما الموضوع الاجتماعي الذي نفخت فيها من روحه فليس طريقاً عندي قرأت وسعت فيه شيئاً عن الافرنج وفكرت فيه كثيراً ولعل ما قرأته لك فيه خير من قليل ما علمته عنهم وأبشرك بمستقبل حسن في خدمة أدب النفس والاجتماع بما توجهت اليه من وضع مثال لهذه القصة في غايتها دون خصوص موضوعها كل بني شقية في هذه الحياة قبل الحياة الآخرة ولكن يمتاز بوجوده في بلادنا بني لما من مكارم الاخلاق وشرف النفس وجودة الذهن بعض ما رويت عن « إيفون مونار » وبوشك أن يوجد لها ند في بلاد الافرنج - لكن التورية الدينية والادبية عديم كما وصفت من تريتها فأكثرهن - إن لم أقل كلهن - قوادير أقدار ، وقرارات وقاحة وصغار ، لا فائدة من تصدير جرائمهن ، وعطف القلوب عليهن ، الا جذب من بقي عندنا سليم الفطرة اليهن ، أقول هذا وأنا على تمجي من فساد فطرة من يستطيع الدنو منهم ممن يحزن لشقاؤهن ويصدق أن أكثرهن مكروهات على الفجور كارهات للبغاء لو وجدن مخرجاً منه لهرعن اليه حتى أنه سبق لي بحث مع بعض أهل

الفضل في وجوب السعي لانشاء ملجأ بؤوي من بربرد التوبة منهم وبهذه
عن طلب الرزق بأعراضهن ولو وجد من يسعى الآن في مثل هذا لكان يكون
للإعذار عنهن والاستطاف عليهن فائدة

لك أن تصف من شقائهن بما شئت من اسباب، لتندر المعروضات لمثل فعلهن
أن يتدهورن في هاو بهن، ولك أن تصف من فساد الفاسقين وشو من سيرتهم بما
استطعت من إطناب، لتفرعن مثل علمهم، وتحذر الفتاة الغر من تقريرهم، فتكون على
بصيرة من عاقبة فجورهم، وما يتوسلون به من بهائهم وزورهم، وليس لك في رأيي أن
تجعل ما تكتب منظرا يكبر مخازي الفساق من جهة لبصر فضائح الفواسق من
الجهة الأخرى

إذا اتقنت عليك تصغير فاحشة المسافحات في مقابلة تكبير فاحشة المسافحين
مرة فأنني أنقد الاحتجاج على تصغيرها بشيوع الفاحشة في ربات البيوت ذوات
البول سبعين مرة الآن ذنب مسافحات أشد ضررا من ذنب ذوات الاخذل بل
لان إظهار ذلك وبيان ان الناس يتساعجون مع ذوات الاخذل وهم يعلمون
بخطيئتهن لازواجهن يضر نشره في قصص يقرأها النساء من العذارى والايامى
اذ لا تنصورتالي تبين الفاسق أن بذل عرضها يفضي الى أن تكون بغيًا مسافحة
وأما يغلب على ظنها أنها تصادف زوجها ستر فضيحتها بفعلته، أو قلة غيرته

ترأت ما كتبت يغون عن خداع ذلك الشرير لها وعن اجتهادها في استرداد
شرفها بالسيرة الحسنة وعن عجزها وإعواز ما تروم فتعنت لوتقرأ ذلك العذارى
المواتي أصبحن عرضة لمثل ذلك البذل لأعراضهن بإطلاق أهليهن العنان لهن مع
كثرة ما يحول الفساق من مخادعتهن، وقرأت كتبت أنت من شيوع الفاحشة في ربات
البيوت وأعضاء الناس عنهن فتعنت لولم نطلع عليه قارئه لاسيما اذا كانت عذراء

هذا ما كان من أثر القصة في نفسي استحسان لما عدا الامرين المتعدين من
ناحية ما تنذر من تأثيرهم وأرجو أن تتوخى فيما تكتب الاماية والفائدة أكثر مما
تتوخى من حسن الوضع ولطف التعبير وقوة التأثير وأجدر بمن يعرض عمله لقد
الرجال أن يبلغ منه غاية الكمال

التعليم والارشاد

كتاب جديد « تأليف السيد محمد بدر الدين الحلبي . القسم الأول منه في التعليم وفيه الكلام على العلوم والمؤلفات وبيان الجيد منها من غيره وشرح أسباب انحطاط العلوم الشرعية وذكر الطرق النافعة في التعليم »

هذا ما كتب على ظهر الكتاب وتقول أما المؤلف فهو من أذكى المجاورين في الأزهر وقد اشتغل بتصحيح كثير من الكتب التي طبعت حديثا وفيها كثير من مصنفات المصلح العظيم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه ووارث علومه ابن القيم وبعض كتب الأدب النفيسة فاستفاد بذلك وبالإسفار وقراءة الصحف ما امتاز به على كثير من أقرانه وحرك همته للبحث في الكتب النافعة والتعليم . وأما الكتاب فقد عرف من اسمه وما كتب عليه من بيان موضوعه وهو من أهم الموضوعات لهذه الأمة التي لا ترجى لها الحياة الطيبة إلا بالصلاح العظيم والارشاد . وقد أهدى المؤلف كتابه الى الجرائد والمجلات فشكرا له على عمله وشكرا له على هديته . ومن الشكر ان بادرنّا الى التنويه به قبل مطالعته كله وقدمناه على مطبوعات كثيرة أهديت اليّنا من قبل

قرأنا من الكتاب جملا متفرقة من فصوله فعرفنا منه وأنكرنا عرفنا منه مسائل كثيرة جاء بعضها مؤيدا لما ندعو اليه منذ أنشئ المنار كيّان سوء طريقة التعليم في مثل الأزهر وما أخير لها من الكتب وأنكرنا منه مسائل كثيرة واختلفا كثيرا منه ما هو من قبيل الرأي ومنه ما هو من قبيل الحكاية والنقل . وقائده الاجالية تأييد ما كتب كثير الرزّال اثمة بالكتب التي تدرس في المدارس الدينية وبمدرسها وهذا تمهيد للإصلاح سبق اليه كثيرون من المصلحين ومقلديهم . وحسبنا هذا التنبيه على قائمته الآن ورجي . يان ما أنكرنا منه وما نتنقده به عليه الى ان يباح لنا مطالعته كله بالذقيق وعسى ان يبادر بعض من اطعم عليه من المدققين الى انتقاده عناية بهذا الموضوع ومسابقة للأغرار الذين يحكمون على الاشياء بأدي الرأي فيظلمونها ويظلمون الناس ويشنونهم وهم لا يشعرون

باب الاخبار والآراء

﴿تعيين سعد باشا زغول ناظراً للمعارف﴾

رأى اللورد كرومر أن بين هذا التابعة ناظر المعارف العمومية قصداً لمرءى العالمى بذلك فاتفقت الجرائد الوطنية والاجنبية في البلاد على استحسان هذا التعيين ووصف الناظر الجديد بالمرءى قان واستقلال الفكر وقوة الارادة والاستقامة وهي صفات الكمال في الرجال وكان ينبغي أن يتفقوا على شكر اللورد كرومر ولكن الذين جعلوا من مذهبهم ضم المحتلين على كل عمل وإن كان نافعا في تقسموه في عرفهم قد ذموا نية اللورد في هذا التعيين وما ذموا الا النية التي اخترعوها له واعتل بعضهم بسبب التواء على الناظر الجديد الى القدح بسائر النظائر تصريحاً وتلويحاً وما كان ذلك من الذوق في شيء وقال أشدهم إسرافاً أنه لا خير في هذا التعيين الا اذا جعل الناظر الجديد آمراً والمستشار الانكليزي مأموراً وقطعا المستشار يمنع ان يكون مساهم عبد مأموراً وان لم يكن من دولة محتلة بقوتها في بلادها بسلبها ضعفها وجعلها فذخ كلاما للسرفين واشكر هذا العمل لادارة المحتلين قال شكر مدعاة المزيد من الاحسان ضد كل لسان وما قبل وكتب ما يؤيده حتى في جريدة التيمس إن في تعيين سعد باشا ناظراً للمعارف قصداً الى ترقية حزب بلارحوم الشيخ محمد عبد المذني شهده اللورد في تحريره بالاعتدال وقالت إحدى الجرائد الاوربية اذا كانت الأرواح تشعر بما يكون في الدنيا فان روح الشيخ محمد عبده مسرورة الآن بتعيين فلان ناظر المعارف وقد صدق صاحب القول وسعد باشا جدير بمجدة المعارف واسناد أهل الاعتدال والاستقامة من مردي أساذه وأساذهم الامام جلاله خير خلف له في عمله البلاد وخدمته واستقلاله وحكمته

﴿الجامع الازهر - مشيعته وإدارته﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ما كان بلغنا عن استقالة شيخ الازهر وعزم الأمير على تعيين الشيخ محمد شاكر وكيلاً للآزهر تمهيداً لبعده أصيلاً وقد تحقق ذلك ولكن استقالة شيخ الأزهر حفظت وحمل على طلب إجازة ثلاثة أشهر وعين الشيخ محمد شاكر وكيلاً لمشيخة الازهر فعظم ذلك على أهل الازهر واستنكروه كبراء الشيوخ واستكبروا أن يكونوا مرؤسين له على عدائته في السن والعلم واتهم الامرالى الحكومة أو الى أولى الامر فضا طبوا الامر في ذلك وتقرر ان الشيخ شاكر لا يكون شيخاً للآزهر ولا وكيلاً وقد سمي الآن نائباً وقد زاد الشعب والاضطراب في الازهر في أيام نيابته على امداد الاميرايه بنفذه ويتوقع ان ينتهي هذا السلاعي في الازهر بمجمله تحت مراقبة نظارة المعارف اذ لا قرار الا بجمع السلطة الثابتة المنتظمة . ولعلنا تكلم عن اصلاحه في جزء آخر

بغير مادي الذين يستمعون القول فيتبينون حجت
اولئك الذين هم اعداءك وهم اولو الالباب

المصالح

١٣١٥

يقول الحكيم من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوي و«منارة كنار الطريق

(مصر - شوال سنة ١٣٢٤ - أوله الجمعة ١٩ أكتوبر (١) سنة ١٩٠٦)

باب أصول الفقه

﴿ أدلة الشرع ، وتقديم المصلحة في المعاملات على النص ﴾
كتبنا في بعض أجزاء المجلدين الثالث والرابع فصولاً عنونها «محاورات
المصلحة والمقصد» يتنا فيها طريق الوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين
المختلفين في المذاهب على الحق الذي أمرهم الله أن يقيموه ولا ينفرقوا
فيه . ومما بيناه فيها أن الاحكام السياسية والقضائية والادارية - وهي
ما يعبر عنها علماءنا بالمعاملات - مدارها في الشريعة الاسلامية على قاعدة
دفع المفساد وحفظ المصالح أو جلبها واستشهادنا على ذلك بترك سيدنا عمر
وغيره من الصحابة اقامة الحدود أحياناً لاجل المصلحة فدل ذلك على أنها تقدم
(المنار ج ١) (٩٤) (المجلد التاسع)

على النص ، وقد طبعت في هذه الايام مجموعة رسائل في الاصول لبعض
أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها رسالة للامام نجم الدين الطوفي
الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء
وقد أوضح ما يحتاج الى الايضاح منها في حواشيها الشيخ جمال الدين
القاسمي أحد علماء دمشق الشام المدققين فرأيت أن ننشرها بحواشيها في المنار ،
تكون تبصرة لأولي الابصار ، وهي هذه : (قال بعد البسملة)

اعلم أن أدلة الشرع تسعة عشر بابا بالاستقراء (١) لا يوجد بين العلماء
غيرها (٢) أولها الكتاب ، وثانيها السنة ، وثالثها إجماع الأمة ، ورابعها إجماع

(١) تقدم بهمادها كذلك وسوقها بالحرف العلامة القرافي في التفتيح في

الباب العشرين

(٢) هذه الجملة زادها على القرافي وليته لم يزد هالأنه يوجد لديهم غيرها كما يظهر
لن سبر كتب الاصوليين والذي استقرأته منها مما يزيد على ما ذكره ستة
وعشرون . وهي : شرع من قبلنا اذا لم ينسخ . والتحريم . والعرف . والتعامل
والعمل بالظاهر أو الاظهر . والاخذ بالاحتياط . والقرعة . ومذهب كبار التابعين
والعمل بالاصل . ومعقول النص . وشهادة القلب . وتحكيم الحال . وصوم الباوى
والعمل بالشبهين . ودلالة الاقران . ودلالة الالهام . ورويا النبي صلى الله عليه
وسلم . والاخذ بأيسر ما قيل . والاخذ بأكثر ما قيل . وقد الدليل بعد الفحص
واجماع الصحابة وحدهم . واجماع الشيخين . وقول الخلفاء الاربعة اذا اتفقوا .
وقول الصحابي اذا خالف القياس . والرجوع الى المنفعة والمضرة ذهاباً الى ان
الاصل في المنافع الاذن وفي المضار المنع . والقول بالنصوص والاجماع في العبادات
والمقدرات وباعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام . وهو لطوفي المصنف
فالجملة خمسة وأربعون دليلاً وسند كرمادق معناه منها فانتظر

أهل المدينة (١) وخامسها القياس (٢) وسادسها قول الصحابي (٣) وسابعها المصلحة المرسلة (٤) وثامنها الاستصحاب (٥) وتساعها البراءة الأصلية (٦)

(١) قال في التنقيح: واجماع أهل المدينة عندما لك فيا طريقة التوقيف حجة خلافاً للجميع

(٢) القياس اثبات مثل حكم معلوم لمعلوم آخر لاجل اشتباههما في علة الحكم: تنقيح (٣) قول الصحابي حجة عند الحنفية فترك بقوله قياس التابعين ومن بعدهم. مجامع (٤) أي المطلقة والمراد بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق وقد اشتهر القول بها عن مالك احتجاً بأن الله تعالى إنما بعث الرسل عليهم السلام لتحصيل منفعة العباد عملاً بالاستقراء فبهما وجدت مصلحة غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع واشتهر عن الجمهور القول بمنعها مطلقاً وقال ابن برهان إن لا تمت أصلاً كلياً أو جزئياً من أصول الشرع جاز الحكم عليها والا فلا . وقال الغزالي إن كانت ضرورية قطعية كلية اعتبرت والا فلا . قال القرافي: إن المصلحة المرسلة في جميع المذاهب عند التحقيق لأنهم يقيسون ويفرقون بالمناسبات ولا يطلبون شاهداً بالاعتبار ولا يعنى بالمصلحة المرسلة إلا ذلك

(٥) الاستصحاب عبارة عن إبقاء ما كان على ما كان عليه لانهدام المنبر قاله السيد في تعريفاته ونحوه قول القرافي: الاستصحاب معناه أن اعتقاد كون الشيء في الماضي أو الحاضر يوجب ظن ثبوته في الحال أو الاستقبال فهذا الظن عند مالك والمزني والصيرفي حجة خلافاً لغيرهم . لنا أنه قضى بالطرف الراجح فيصح كأروش الجنائيات واتباع الشهادات اهـ

(٦) قال القرافي هي استصحاب حكم العقل في عدم الأحكام خلافاً للمعتزلة والبهري وأبي الفرج منا . لنا أن ثبوت العدم في الماضي يوجب ظن عدم ثبوته في الحال فيجب الاعتماد على هذا الظن بعد الفحص عن رافعه وعدم وجوده عندنا وعند طائفة من الفقهاء

وعاشرها العادات (١) الحادي عشر الاستقراء (٢) الثاني عشر سد الذرائع
(٣) الثالث عشر الاستدلال (٤) الرابع عشر الاستحسان (٥) الخامس عشر

(١) جمع عادة وهي غلبة معنى من المعاني على الناس قال القرافي يقضى بها عندنا لما تقدم في الاستصحاب . ونقل عن المستصفي : العادة والعرف ما استقر في النفوس من جهة العقول وتلقته الطباع السلية بالقبول . وفي الاشياء من كتب الحنفية القاعدة السادسة العادة محكمة لحديث « مارأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن » لكن قال المالكي لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف بسد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال وإنما هو من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه . واعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك أصلاً فقالوا في الأصول في باب ما ترك به الحقيقة ترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة هكذا ذكر فخر الاسلام أنه كلام الاشياء (٢) الاستقراء عبارة عن تصفح جزئيات ليحكم بمحكمها على أمر يشمل تلك الجزئيات كذا نقل عن حجة الاسلام ونحوه قول القرافي : هو تتبع الحكم في جزئياته على حالة يغلب على الظن أنه في صورة النزاع على تلك الحالة كاستقراءنا الفرض في جزئياته بأنه لا يؤدي على الراحلة فغلب على الظن ان الوتر لو كان فرضاً لما أدى على الراحلة (قال) وهذا الظن حجة عندنا وعند الفقهاء اهـ (٣) جمع ذريعة وهي الوسيلة للشيء . ومعنى ذلك حسم مادة وسائل الفساد دفعا له فمتى كان الفعل السالم عن المفسدة وسيلة الى المفسدة منعنا من ذلك الفعل واشهر ان القول بسد الذرائع من خصائص مذهب مالك رحمه الله وقد حقق القرافي أنه مشترك بين المذاهب كالمصاحبة المرسلة والعرف وستره في آخر مقاله (٤) الاستدلال ذكر دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس فيدخل فيه القياس الاقراني والاستثنائي وصور أخر (٥) قال السيد هو في اللغة عد الشيء واعتقاده حسناً واصطلاحاً اسم لدليل يعارض القياس الجلي ويعمل به اذا كان أقوى منه ، سموه بذلك لانه في الاغلب يكون أقوى

الاخذ بالاخف (١) السادس عشر العصمة (٢) السابع عشر اجماع أهل الكوفة
 (٣) الثامن عشر اجماع العترة عند الشيعة (٤) التاسع عشر اجماع الخلفاء الاربعة
 من القياس الجلي فيكون قياساً مستحسنًا قال الله تعالى « فبشر عبادي الذين
 يسمعون القول فينبعون أحسنه » انتهى وقال الكرخي في تعريفه هو العدول عما
 حكم به في نظائر مسألة الى خلافه لوجه أقوى منه وقد يسمى الاستحسان بالقياس
 الحنفى كما تراه في كتبهم والاستحسان حجة عند الحنفية وبعض البصريين وأنكره
 العراقيون وقد اضطرب ثلة في تعريفه والصواب ما ذكرناه لانه يجب الرجوع في
 تحقيق كل مسألة الى عرف من ذهب اليها . ولما آثرنا النقل عنهم « ١ » وهو
 الاخذ بأقل ما قيل وهو عند الشافعي حجة كما قيل في دية القمي انها مساوية
 لدية المسلم وقيل نصفها وهو قول مالك وقيل ثلثها وبه أخذ الشافعي اخذاً بالأقل
 لكونه مجمعا عليه وما زاد منفي بالبراءة الاصلية وتقدم في حواشي رسالة ابن فورك
 زيادة على هذا فارجع اليها « ٢ » قل القراني العصمة هي ان العلماء اختلفوا هل
 يجوز أن يقول الله تعالى لبي او عالم احكم فانك لا تحكم الا بالصواب قطع
 بوقوع ذلك موسى بن عمران من العلماء والمعتزلة على امتناعه والشافعي توقف
 فيه . حجة الجواز والوقوع قوله تعالى « الا ما حرم اسرائيل على نفسه » فأخبر الله
 تعالى انه حرم على نفسه ومقتضى السياق انه صار حراماً عليه وذلك يقتضي
 انه ما حرم على نفسه الا ما جعل الله له ان يفعله ففعل التحريم ولو أن الله تعالى
 هو المحرم لقال الا ما حرمتنا على اسرائيل . وحجة المنع ان ذلك يكون تصرفاً في
 الاديان بالهوى والله تعالى لا يشرع الا بالمصالح لا اتباع الهوى واما قصة
 اسرائيل عليه السلام فلمله حرم على نفسه بالنذر ونحن نقول به وحجة التوقف
 تعارض المدارك انتهى وفي الجمع : مسألة يجوز ان يقال لبي او عالم احكم بامتناع
 فيه صواب ويكون مدركا شرعياً ويسمى التفويض وتردد الشافعي فيه الخ (٣)
 قل القراني اجماع أهل الكوفة ذهب قوم الى انه حجة لكثرة من وردها من
 الصحابة رضي الله عنهم كما قاله مالك رحمه الله في المدينة (٤) سقط من بعض
 النسخ « عند الشيعة » واعلم ان الاجماع عند الشيعة هو اتفاق جميع علماء الامة

وبعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه ومعرفة حدودها ورسومها والكشف
عن حقائقها وتفاصيل أحكامها مذكور في أصول الفقه (١)

مع الامام المعصوم - المشروط وجوده في كل زمان عندهم - أو اتفاق من علم
من العلماء دخول الامام فيهم وإن لم يكن جميعهم كما في حواشي القوانين لقزويني
وبه يعلم أن الاجماع عندهم اعم من اجماع العترة ومن اجماع من بعدهم إذا
كان فيهم المعصوم . فالذكور هنا كغالب اصول اهل السنة رجم بالنيب عن
مذهب الامامية في الاجماع وإهمال لقاعدة الرجوع في تحقيق كل مذهب الى
نصوص كتبه فاحفظ ذلك « ١ » قد اشرنا الى شذرة من حدودها وخلاف من
خالف فيها وقد بقي علينا الايمان بالوعد السالف من الكشف عن الغامض من
بقية الادلة الخمسة والعشرين فنقول اما حجية شرع من قبلنا فيما لم ينسخ فقال
به اكثر الشافعية والحنفية ومعظم المالكية والمتكلمين بمعنى أنه يجب العمل به
اذا قصه تعالى في كتابه او اخبر به الرسول بلا انكار عليه كما في المرأة وتفصيله
في مواقف الشاطبي فارجع اليه . واما التحريم فهو بذل الجهود لتليل المقصود
من الطاعة وهو حجة يجب العمل به في كثير من الاحكام في الصلاة والزكاة
والثياب والاواني كما في الخادمي على مجمع الحقائق . وأما العرف فقال السيد هو
ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقنه العليان بالقبول . وهو حجة لكنه
أسرع الى الفهم وكذا العادة وهي ما استمر الناس عليه على حكم العقول وعادوا
اليه مرة بعد أخرى اه واما التعامل فهو استعمال الناس فيما بينهم بالاخذ والاعطاء .
قال الخادمي . العرف والتعامل حجتان فيما لم يخالف الشرع اه وقد أشار لذلك
البخاري بقوله في كتاب البيوع: باب من أجرى أمر الانصار على ما يتعارفون
بينهم في البيوع والاجارة والكيل والوزن وستتهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة:
قال الشراح: « مقصوده اثبات الاعتماد على العرف وذكر القاضي حسين ن
الرجوع الى العرف أحد القواعد الخمس التي يبنى عليها الفقه وستأتي . ومن
أمثله بيع الاثمار على الاشجار عند وجود بعضها دون بعض فقد أجاز به بعض =

== الخفية للعرف كما في نشر العرف لابن عابدين وكذا نقل ابن حجر في شرح البخاري عن يزيد بن أبي حبيب جواز بيع شجرة قبل بدو صلاحها مطلقاً ، وأما العمل بالظاهر والأظهر فقال الحادي هو واجب عند انتفاء دليل فوقه أو يساويه .

وأما الأخذ بالاحتياط أي الاحوط فقال الحادي قيل هو العمل بأقوى الدليلين ويرجم الى حديث « دع ما يريك الى ما لا يريك » وأما القرعة فهي عمل بالسنة المنقولة فيها أو بالاجماع أو بعموم آية « ولا تنازعوا » وأما مذهب كبار التابعين فهو مثل مذهب الصحابي لاحتمال كونه رواية صحابي مرفوعة . وأما العمل بالأصل فعناء العمل بالراجح . وأما معقول النص فهو الاستدلال المتقدم . وأما شهادة القلب فقد يحتاج بها عند انتفاء دليل خارجي ومرجعها الى حديث « استفت قلبك » وحديث « البرما اطمأنت اليه النفس » وأما تحكيم الحال فعناء الاستدلال بالزمان الحالي على صدق المقال . وأما عموم البلوى فمرجعها الى رفع الحرج .

وأما العمل بالشبهين فذكره الحادي في شرح التنقيح مطعواً على ما تقدم ولعله كالقافة . وأما دلالة الاقتران فقد قال بها جماعة ومثلها بعضهم باستدلال مالك على سقوط الزكاة في الخيل بقرنها مع مالا زكاة فيه في آية « والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة » والجمهور على أن الاقتران في النظم لا يستلزم الاقتران في الحكم . وأما دلالة الالهام فقد قال بها الرازي وابن الصلاح وغيرها قال الامام ابن تيمية الترجيح بمجرد الارادة التي لا تستند الى أمر علمي باطن ولا ظاهر لا يقول به أحد لكن قد يقال القلب المعمور بالتقوى اذا رجح بإرادته فهو ترجيح شرعي . وعلى هذا فن غلب على قلبه ارادة ما يحبه الله وبنض ما يكرهه اذا لم يدر في الامر المعين هل هو محبوب لله أو مكروه ورأى قلبه يحبه أو يكرهه كان هذا ترجيحاً عنده كما لو أخبر من صدقه أغلب من كذبه بخبر . هذا عند انسداد وجوه الترجيح ترجيح بدليل شرعي . والذين نفوا كون الالهام طريقاً شرعياً على الاطلاق أخطوا كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الاطلاق ولكن اذا اجتهد السالك في الادلة الشرعية الظاهرة فلم ير فيها ترجيحاً وألم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده ومهارته بالتقوى فاللهام مثل هذا دليل في

ثم ان قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» (١) يقتضي رعاية المصالح اثباتاً ونفيًا والمفاسد نفيًا اذا الضرر هو المفسدة فاذا نفاها الشرع لزم اثبات النفع الذي هو المصلحة لانهما تقيضان لا واسطة بينهما وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما اما ان يوافقا رعاية

حقه قد يكون أقوى من كثير من الاقيسة الضعيفة والاحاديث الضعيفة والظواهر الضعيفة والاستصحابات الضعيفة التي يحتاج بها كثير من الخائضين في المذهب وبخلاف وأصول الفقه . وفي الترمذي عن أبي سعيد مرفوعاً «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينطق بنور الله» ثم قرأ «ان في ذلك لآيات للمتوسمين» اه والتسمة سائفة . — وأما رؤيا النبي عليه السلام فنقل عن الاستاذ أبي اسحق وغيره انها حجة ويأزم العمل بها والمجهور على خلافه . وأما الاخذ بالايدي فيقرب من الاخذ بأقل ما قيل ومستنده رفع المخرج . واما الاخذ بأكثر ما قيل فستنده الاحتياط ليخرج من عهدة التكليف ييقين . وأما قد الدليل بمد الفحص فبعناه الاستدلال على عدم الحكم بعلوم ما يدل عليه وقد أخذ به قوم كما في شرح المنهاج . وأما اجماع الصحابة وحدهم فهو مذهب الظاهرية قالوا اجماع غيرهم ليس بحجة . واما اجماع الشيخين فقد ذهب اليه جمع لحديث «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر» رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم . وأما الاجماع الظني فهو فتوى بعض المجتهدين أو قضاؤه واشتهار ذلك بين المجتهدين من أهل عصره بلا مخالف في تلك الحادثة ولا تقيمة قبل استقرار المذاهب . وهذا حجة عند أكثر الحنفية وبعض الشافعية وسماه الآمدي حجة ظنية أو اجماعاً ظنياً كما في التحرير وشرحه . وما أوردناه من الادلة التي سبقتها من عدة مصنفات أرجع كثيراً منها الى الاصول الاربعة صاحب الجامع وشارحه وقد يدخل كثير منها أيضاً في غيره مما يرجع الى اختلاف الاسم أو الاضافة بنوع ما يتفرع عنها من مثلها وصورها فافهم (١) حديث صحيح رواه الامام مالك في موطأه ومرسلاً والامام أحمد وقال الحاكم هو صحيح على شرط مسلم

المصلحة أو مخالفتها فان وفهاها فها ونمت ولا تنازع اذ قد اتفقت الادلة الثلاثة على الحكم وهي النص والاجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وان خالفها رجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص (١) والبيان لها لا بطريق الافتئات عليها والتعطيل لها كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان، وتقرير ذلك ان النص والاجماع اما ان لا يقتضيا ضررا ولا مفسدة بالكلية أو يقتضيا ذلك فان لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موقوفان لرعاية لمصلحة وان اقتضيا ضررا فلما ان يكون مجموع مدلولهما ضررا ولا بد أن يكون من قبيل ما استتي من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» جمعا بين الادلة ولعلنا نقول ان رعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» لا تقوى على معارضة

(١) يقرب من هذا ما قاله الفقهاء الحنفية عليهم الرحمة في التعامل وانه يخص به الاثر والتعامل من باب المصلحة المذكورة قال في الذخيرة البرهانية في الفصل الثامن من الاجارات فيها لو دفع الى حائك غزلا على ان ينسجه بالثلث قال — ومشايع بلخ كنصير بن يحيى ومحمد بن سلمة وغيرهما كانوا يجيزون هذه الاجارة في الثياب تعامل أهل بلدهم والتعامل حجة يترك به القياس ويخص به الاثر (ثم قال) وتخصيص النص بالتعامل جزئيا لا يرى ايا جوازنا الاستصناع للتعامل والاستصناع بيع ما ليس عنده وانه منهي عنه ونجوز الاستصناع بالتعامل تخصيصا من النص الذي ورد في النهي عن بيع ما ليس عند الانسان لا ترك للنص أصلا، كذا في نشر العرف لابن عابد بن وقد ذهب البخاري عليه الرحمة مع كونه من أعظم أنصار الأثر الى اعتبار العرف فيها نقلناه عنه قبل من صحيحه في ترجمة ذاك الباب الذي قل من ينظن لها ومن دقق في تلك الترجمة رأى انها تؤيد ما أشار له الطوفي هنا

الاجماع لتقضي عليه بطريق التخصيص والبيان لان الاجماع دليل قاطع وليس كذلك رعاية المصلحة لان الحديث الذي دل عليها واستفدت منه ليس قاطعا فهو أولى فنقول لك ان رعاية المصلحة أقوى من الاجماع ويلزم من ذلك أنها من أدلة الشرع لان الأقوى من الأقوى أقوى ويظهر ذلك من الكلام في المصلحة والاجماع

أما المصلحة فالنظر في لفظها وحدها وبيان اهتمام الشرع بها وانها مبرهنة، أما لفظها فهو مفعلة من الصلاح وهو كون الشيء على هيئة كاملة بحسب ما يراد ذلك الشيء له كالقلم . يكون على هيئة المصلحة للكتابة والسيف على هيئة المصلحة للضرب

وأما حدها بحسب العرف فهي السبب المؤدي الى الصلاح والنفع كالجارة المؤدية الى الربح وبحسب الشرع هي السبب المؤدي الى مقصود الشارع عبادة أو عادة . ثم هي تنقسم الى ما يقصده لشارع الحق كالعبادات وإلى ما لا يقصده الشارع لحقه كالمادات

وأما بيان اهتمام الشرع بها فن جهة الاجمال والتفصيل أما الاجمال فقوله عز وجل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور » الآيتين ودلالتهما من وجوه

أحدها قوله عز وجل « قد جاءكم موعظة » حيث أنه توعدهم وفيه أكبر صالحهم اذ في الوعظ كفهم عن الاذى وارشادهم الى الهدى

الوجه الثاني : وصف القرآن أنه « شفاء لما في الصدور » يعني من شك ونحوه وهو مصلحة عظيمة

الوجه الثالث :وصفه بالهدى

الوجه الرابع :وصفه بالرحمة وفي الهدى والرحمة غاية المصاحبة

الخامس : اسناد ذلك الى فعل الله عز وجل ورحمته ولا يصدر عنهما

الا مصاحبة عظيمة

السادس : الفرح بذلك لقوله عز وجل «فبذلك فليفرحوا» وهو في

معنى التهئة لهم بذلك .والفرح والتهئة انما يكونان لمصاحبة عظيمة

الوجه السابع :قوله عز وجل « هو خير مما يجمعون» والذي يجمعونه

هو من مصالحهم فالقرآن ونفعه أصالح من مصالحهم والأصالح من المصاحبة

غاية المصاحبة

فهذه سبعة أوجه من هذه الآية تدل على ان الشروع راعى مصاحبة

المكلفين واهتم بها ولو استقرأت النصوص لوجدت على ذلك أدلة كثيرة

فان قيل لم لا يجوز ان يكون من جملة ما راعاه من مصالحهم نصب

النص والاجماع دليلا لهم على معرفة الاحكام . قلنا هو كذلك ونحن نقول

به في العبادات وحيث وافق المصاحبة في غير العبادات وانما ترجع رعاية

المصالح في المعاملات ونحوها لان رعايتها في ذلك هو قطب مقصود

الشرع منها بخلاف العبادات فانها حق الشرع ولا يعرف كيفية ايقاعها

الا من جهته نصا واجماعا

وأما التفصيل فقيه إجماع

الاول في أن أفعال الله عز وجل معلة أم لا . حجة انثبت أن فعلا

لا علة له عبث والله عز وجل منزّه عن العبث ولان القرآن مملوء من

تعليل الافعال نحو «تتعلموا عدد السنين والحساب» ونحوه وحجة الثاني

ان كل من فعل فعلا لعله فهو مستكمل بتلك العلة مالم تكن له قبلها فيكون ناقصا بذاته كاملا بغيره والنقص على الله عز وجل محال . وأجيب عنه . بمنع الكلية - فلا يلزم ما ذكره الا في حق المخلوقين (١) والتحقيق ان افعل الله عز وجل معللة بحكم غائية تعود بنفع المكلفين وكما لهم لا بنفع الله عز وجل لاستغنائه بذاته عما سواه

البحث الثاني ان رعاية المصالح تفضل من الله عز وجل على خلقه عند اهل السنة واجبة عليه عند المعتزلة حجة الاولين ان الله عز وجل متصرف في خلقه بالملك ولا يجب له عليه شيء . ولان الايجاب يستدعي موجبا أعلى ولا أعلم من الله عز وجل يوجب عليه . حجة الآخرين ان الله عز وجل كلف خلقه بالعبادة فوجب أن يراعي مصالحهم ازالة لعلهم في التكليف والا لكان ذلك تكليفا لا لا يطاق أو شيبها به . وأجيب عنه بأن هذا مبني على تحسين العقل وتبجيحه وهو باطل عند الجمهور

والحق أن رعاية المصالح واجبة من الله عز وجل حيث التزم التفضل بها لا واجبة عليه كما في آية «انما التوبة على الله» فان قبولها واجب منه لا عليه وكذلك الرحمة في قوله عز وجل «كتب ربكم على نفسه الرحمة» ونحو ذلك

البحث الثالث في ان الشرع حيث راعى مصالح الخلق هل راعاها مطلقا أو راعى اكملها في بعض وأسفلها في بعض أو انه راعى منها في الكل

(١) راجع بسط الجواب على ذلك في شفاء الطيل في القدر وابتعيل لاین القيم ص ٢٠٦ . فانه لا يستغنى عنه

ما يصلحهم ويتنظم به حالهم؛ الاقسام كلها ممكنة (١)
 البحث الرابع في أدلة رعاية المصلحة على التفصيل وهي من الكتاب
 والسنة والاجماع والنظر ولندكر من كل منها يسيراً على جهة ضرب المثال
 اذا استقصاء ذلك بعيد المثال

أما الكتاب فنحو قوله تعالى «واحكم في القصاص حياة» والسارق
 والساقة فاقطعوا أيديهما . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
 مائة جلدة « وهو كبر . ورعاية مصلحة الناس في نفوسهم وأموالهم
 واعراضهم مما ذكرنا . ظاهر . وبالجملة فامن آية من كتاب الله عز وجل
 الا وهي تشمل على مصلحة أموالهم كما ينتهي في غير هذا الموضع
 وأما السنة فنحو قوله عليه السلام «لا يبيع بعضكم على بيع بعض . ولا
 يبيع حاضر اباد . ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها انكم اذا فعلتم ذلك
 قطعتم أرحامكم» وهذا ونحوه في السنة كثير لا نهيان الكتاب وقد بينا احتمال
 كل آية منه على مصلحة والبيان على وفق المبين

وأما الاجماع فقد أجمع العلماء الا من لا يعتد به من جامدي
 الظاهرية علي تحليل الاحكام بالمصالح المرسلة وفي الحقيقة الجميع قائلون
 بها (٢) وحتى ان المخالفين في كون الاجماع حجة قالوا بالمصالح ومن ثم علل

(١) الاظهر الاخير قال الشاطبي في المواقات ان الشارع قصد بالتشريع
 اقامة المصالح الاخرية والدنيوية وان تكون مصالح على الاطلاق فلا بد ان
 يكون ضمنها على ذلك الوجه ابدىا وكلها وعاما في جميع انواع التكليف والمكافئين
 من جميع الاحوال

(٢) سبق ما يؤيده عن القراني في الحاشية وبآتي في آخره قوله أيضاً

وحوب الشفعة برعاية حق الجار وحواز السلم والاجارة بمصاحبة الناس مع مخالفتها للقياس اذ هما معاوضة على معدوم (١) واثار أبواب الفقه ومسايله فيما يتعلق بحقوق الخلق لعل المصالح

وأما النظر فلا شك عند كل ذي عقل صحيح ان الله عز وجل راعي مصلحة خلقه عموماً وخصوصاً أما غموماً ففي مبدأهم ومعاشهم أما المبدأ فحيث أوجدتم بعد المدم على الحياة التي ينالون بها مصالحهم في حياتهم ويجمع ذلك قوله عز وجل «يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم» (٢) الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك» وقوله عز وجل «الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» وأما المعاش فحيث هيأ لهم أسباب ما يعيشون به ويتمتعون به من خلق السموات والارض وما بينهما وجميع

(١) يراجع هنا ما في اعلام الموقعين في بحث ليس شيء في الشريعة على خلاف القياس فإنه مهم جداً

(٢) قال ابن القيم في الجواب الكافي في اصناف الاكثرين ومنهم من يفتر بفهم فاسد فهمه من النصوص فانكأوا عليه كائنا كان بعضهم على قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» رعموا أنه لا يرضى ان يكون في النار أحد من أمته وهذا من أبين التكذب عليه فإنه يرضى بما يرضى به ربه عز وجل والله تعالى يرضيه تعذيب النفس والحوة والمصرين على الكبائر فحاشا رسوله ان يرضى بما لا يرضى به ربه تعالى . وكاغترار بعض الجاهل بقوله تعالى «ما غرك بربك الكريم» فيقول كرمه وقديقول بعضهم انه لقن المغتر حجة وهذا جهل قبيح وإنما غره بربه الضرور وهو الشيطان ونفسه الامارة بالسوء وجعله وهواً . وأنى سبحانه بلفظ «الكريم» وهو السيد العظيم المطاع الذي لا ينبغي الاغترار به ولا اهمال حقه فوضع هذا المغتر الضرور في غير موضعه واغترى من لا ينبغي الاغترار به اه ونحوه للقرآني في الاحياء

ذلك في قوله عز وجل « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا — أَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ — أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُنَّا مِيْقَاتًا » وفي قوله عز وجل : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا » إلى قوله عز وجل « مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ »

وأما خصوصاً فرعاية مصلحة العباد السعداء حيث هدام السبيل، ووقفهم لنيل الثواب الجزيل، في خير مقيم،

وعند التحقيق إنما راعي مصلحة العباد عموماً حيث دعا الجميع إلى الإيمان الموجب لمصلحة الله إذ لکن بعضهم فرط بعدم الإجابة بدليل قوله عز وجل « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى » فمحرر هذا المقام أن الدعاء كان عموماً والتوفيق المكمل للمصلحة المصحح لوجودها كان خصوصاً بدليل قوله عز وجل « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » فدعاهما وهدى ووفق خاصاً

إذا عرف هذا فنالح أن يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبداهم ومعادهم ومآلهم ثم يهتم بمصلحتهم في الأحكام الشرعية أذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ولأنها أيضاً من مصلحة معاشهم لأنها صيانة أموالهم ودنائهم وأعراضهم ولا مآل لهم بدونها فوجب القول بأنه راعاهم لهم . وإذا ثبت رعايته إياهم لم يجز إهماله إياهم من الوجوه . فان وافقها النص والاجماع وغيرهما من أدلة الشرع فلا كلام . وان خالفها دليل شرعي وفق بينه وبينها بما ذكرناه من تخصيصه وتقديمها بطريق البيان

وأما إن رعاية المصلحة مبرنة فقد دل عليه ما ذكرناه من اهتمام الشرع بها وأدلته

(ثم قال الطوفي بعد بيانه الاجماع وأدلته ومعارضتها)
ومما يدل على تقديم رعاية المصلحة على النصوص والاجماع على
الوجه الذي ذكرنا وجوه .
أحدها : أن منكري الاجماع (١) قالوا برعاية المصالح فهي اذا محل
وفاق والاجماع محل الخلاف والتمسك بما اتفقوا عليه أولى من التمسك
بما اختلفوا فيه

الوجه الثاني : ان النصوص مختلفة متعارضة فهي سبب الخلاف في
الاحكام المذموم شرعا ورعاية المصلحة أمر متفق في نفسه لا يختلف فيه
فهو سبب الاتفاق المطلوب شرعا فكان اتباعه أولى وقد قال الله عز وجل
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
شيعا لست منهم في شيء » وقوله عليه السلام : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم »
وقال عز وجل في مدح الاجتماع « وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » وقال عليه السلام : وكونوا
عباد الله اخوانا .

الثالث : قد ثبت في السنة معارضة النصوص بالمصلحة ونحوها في
قضايا (٢) منها معارضة ابن مسعود النص والاجماع بمصلحة الاحتياط

« ١ » كالنظام وبعض الشيعة والخوارج والظاهرية ما عدا اجماع الصحابة
اه من المصنف

« ٢ » من القضايا المشهورة في ذلك حديث العباس في حجة الوداع وقوله
للنبي عليه السلام لما نهي ان يعضد شجر مكة ويختل خلاها الا الاذخر يا رسول الله
فقال عليه السلام . الاذخر . ومنها حديث البخاري في اول كتاب اشركة
لما خفت أزواد القوم وأملقوا وأتوا النبي صلى الله عليه وسلم في نحر إيلهم فاذن

للعباداة كما سبق (١) ، ومنها قوله عليه السلام حين فريغ من الأحزاب « لا يصلين أحدكم العصر الا في بني قريظة » فصلى أحدهم قبلها وقالوا لم يرد منا ذاك وهو شبيه بما ذكرنا

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لمائشة « لولا قومك حديثو عهد بالاسلام لهدمت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم » وهو يدل على أن بناءها على قواعد ابراهيم هو الواجب في حكمها فتركه لمصلحة الناس ومنها أنه عليه السلام لما أمرهم بجعل الحج عمرة قالوا كيف وقد سمينا الحج وتوقفوا وهو معارضة للنص بالمادة وهو شبيه بما نحن فيه وكذلك يوم الحديبية لما أمرهم بالتحلل توقفوا تمسكاً بالمادة في أن أحدا لا يحل قبل قضاء المناسك حتى غضب صلى الله عليه وسلم وقال : « مالي أمر بالشيء فلا يفعل »

ومنها ما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ينادي (من قال لا اله الا الله دخل الجنة) فوجده عمر فرده وقال اذا يتكلموا ، وكذلك رد عمر أبا هريرة عن مثل ذلك في حديث صحيح وهو معارضة لنص الشرع بالمصلحة ، فكذلك من قدم رعاية مصالح المكلفين على باقي أدلة الشرع يقصد بذلك اصلاح شأنهم وانتظام حالهم وتحصيل ما تفضل الله به عليهم من الصلاح وجمع الاحكام من التفرق واكتلافها

لهم فقال لهم عمر ما بقاؤكم بعد ابلحكم ودخل على النبي عليه السلام فأخبره فأمر أن تجمع ازواد الناس الحديث (١) أي في بحث له سابق طويته اختصارا وهو قوله ان الصحابة أجمعوا على جواز التيمم للمرض وعدم الماء وخالف ابن مسعود واحتج عليه أبو موسى الاشعري فلم يلتفت كما بسطه البخاري في صحيحه

عن الاختلاف فوجب ان يكون جائزا ان لم يكن متعينا فقد ظهر بما قررناه ان دليل رعاية المصالح أقوى من دليل الاجماع فليقدم عليه وعلى غيره من ادلة الشرع عند التعارض بطريق البيان

فان قيل حاصل ما ذهبتم اليه تمطيل أدلة الشرع بقياس مجردوهو كقياس ابلّيس فاسد الوضع والاعتبار قلنا وهم واشتباه من نأثم بعد الابتداء، وانما هو تقديم دليل شرعي على أقوى منه وهو دليل الاجماع على وجوب العمل بالراجح كما قدمتم أنتم الاجماع على النص والنص على الظاهر (١) وقياس ابلّيس وهو قوله «أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين» لم يقم عليه ما قام على رعاية المصالح من البراهين وليس هذا من باب فساد الوضع بل من باب تقديم رعاية المصالح كما ذكرنا

فان قيل الشرع أعلم بمصالح الناس وقد اودعها أدلة الشرع وجعلها اعلاما عليها يعرف بها فترك أدلته لغيرها مراعاة ومماندة له قلا ما كون الشرع أعلم بمصالح المكلفين ننم وأما كون ما ذكرناه من رعاية المصالح تركا لادلة الشرع لغيرها فمنوع بل انما تترك أدلته بدليل شرع راجح عليها مستند الى قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» كما قلتم في تقديم الاجماع على غيره من الادلة، ثم ان الله عز وجل جعل لنا طريقا الى معرفة مصالحنا عادة فلا تتركه لامر مبهم يحتمل ان يكون طريقا الى المصلحة

..... (١) يشير الى ما ذكره القرافي في تنقيحه من تقديم الاجماع على النص وعبارة الشافعي في رسالته في باب الاستحسان في شروط من يقينس : ويستدل على ما احتل التأويل بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لم يجد سنة فبالجماع المسلمين: وذكر نحوه في عدة مواضع منها

ويحتمل ان لا يكون

فان قيل خلاف الامة في مسائل الاحكام رحمة وسعة فلا يجوز به
 حصر بحكم في حمة واحدة لئلا يضيق عليهم مجال الاتساع : قلنا هذا
 الكلام ليس منصوفا عليه من جهة الشرع حتى يمتلئ (١) ولو كان اسكان
 مصلحة الوفاق ارجح من مصلحة الخلاف فتقدم ثم ما ذكرتموه من
 مصلحة الخلاف بالتوسعة على المكلفين معارض بمفسدة تعرض منه وهو
 أن الآراء اذا اختلفت وتعددت اتبع بعض الناس رخص المذاهب
 فأفضى الى الانحلال والفجور . وأيضا فان بعض أهل الذممة ربما أراد
 الاسلام فتمنعه كثرة الخلاف وتعدد الآراء . لان الخلاف منفور عنه
 بالطبع ولهذا قال عز وجل «الله زل أحسن الحديث كتابا متشابها» أي
 يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا لا يختلف الا بما فيه من التشابهات
 وهي ترجع الى المحكمات بطريقها (٢) . ولو اعتمدت رعاية المصالح المستفادة
 من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» على ما تقرّر لا تحد طريق الحكم
 واتفق الخلاف ، فان قيل هذه الطريقة التي سلكتها اما ان تكون خطأ فلا
 يلتفت اليها أو صوابا نالما ان ينحصر الصواب فيها أولا فان انحصرت لم أن
 الامة من أول الاسلام الى حين ظهور هذه الطريقة على خطأ اذ لم يقل بها
 أحد منهم (٣) وان لم ينحصر فهي طريقة جائرة من الطرق ولكن طريق

- (١) يشير الى ان حديث اختلاف أمتي رحمة لا اصل له كما بين في الموضوعات
 (٢) يعني طريق السلف المبسوط في موضعه (٣) أي بمنطوقها وان استفيد منه ومما
 من قواعدهم وقدمنا ما يقرب منه عند الحنفية رحمهم الله من تخصيص النص بالعرف
 عن الذخيرة ونحوه نقل الشافعية عن القاضي حسين ان مبني الفقه على ان اليقين لا يرفع

الائمة التي اتفقت الامة على اتباعها ، الى بالمتابعة لقوله عليه السلام «اتبعوا السواد الاعظم فان من شذ شذ في النار»

فالجواب أنها ليست خطأ لما ذكرنا عليها من البرهان ولا الصواب منحصر فيها قطعاً بل ظناً وجتهاداً وذلك بوجوب المصير اليها ذ الظن في الفرعات كالقطع في غيرها . وما يلزم على هذا من خطأ الامة فيما قبله لازم على رأي كل ذي قول أو طريقة ان ترد بها غير مسبوق اليها والسواد الاعظم الواجب اتباعه هو الحجة والدليل الواضح والالزم ان يتبع العلماء العامة اذا خالفوهم لان الامة أكثر وهو السواد الاعظم

واعلم أن هذه الطريقة هي التي قررناها مستفيدين لها من الحديث المذكور ليست هي القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب اليه مالك بل هي أبلغ من ذلك وهي التعويل على النصوص والاجماع في العبادات والمقدرات وعلى اعتبار المصالح في المعاملات وباقي الاحكام

وتقرير ذلك ان الكلام في أحكام الشرع اما ان يقع في العبادات والمقدرات ونحوها أو في المعاملات والعبادات وشبهها فان وقع في الاول اعتبر فيه النص والاجماع ونحوهما من الادلة

غير ان الدليل على الحكم اما ان يتحد أو يتعدد فان اتحد مثل ان كان فيه آية أو حديث أو قياس أو غير ذلك ثبت به . وان تعدد لدليل مثل ان

بالشك والضرر يزال ، والمشقة تجلب التيسير ، والعادة محكمة ، وأرجحه المزمع من عبد السلام في قواعده الى قاعدتين اعتبار المصالح ودرء المفاسد وبعضهم الى تحكيم العادة قال القاضي زكريا وبحث بعضهم رجوع الجميع الى جلب المصالح كذا في حواشي المطالع على جمع الجوامع واظن البعض الذي عناء القاضي زكريا هو الطوفى المصنف

كان آية وحديثاً واستصحاباً ونحوه فإن اتفقت الأدلة على إثبات أو نفي
 ثبت بها وإن تعارضت فيه فاما تعارضها يقبل الجمع أولاً يقبله فإن قبل الجمع
 جمع بينهما لأن الأصل في أدلة الشرع العمل لا الالتواء غير أن الجمع
 بينهما يجب أن يكون بطريق قريب واضح لا يلزم منه التلاعب ببعض
 الأدلة وإن لم يقبل الجمع فالاجماع مقدم على ما عداه من الأدلة التسعة
 عشر والنص مقدم على ما سوى الاجماع، ثم إن النص منحصراً في الكتاب
 والسنة ثم لا يخلو أماناً ينفرد بالحكم أحدهما أو يجتمعان فيه فإن انفرد به أحدهما
 فاما الكتاب أو السنة فإن انفرد به الكتاب فاما ن يتعدد الدليل أو يتعدد
 فإن اتحدان كان في الحكم آية واحدة عمل بها إن كانت نصاً أو ظاهره
 وإن كانت مجملة (١) فإن كان أحد احتياطياً أو احتمالاً لها شبهة بالادب
 مع الشرع عمل به وكان ذلك كاليان

وإن استوى احتمالها في الادب مع الشرع جاز الأمران والمختار أن

يتباعد بكل منهما مرة

وإن لم يظهر وجه الادب وقف الأمر على البيان

وإن تعدد لدليل من الكتاب فإن كان في الحكم منه آيتان أو أكثر
 فإن اتفق مقتضاهن فكلاهما الواحدة وإن اختلفت فإن قبل الجمع جمع
 بينهما بتخصيص أو تنقيح أو نحوه وإن لم يقبل الجمع فإن علم نسخ بعضها
 بعينه فبها والا فالمنسوخ منهما مبهم فليستدل عليه بموافقة السنة غيره اذ

(١) المجلد ما خفي المراد منه بحيث لا يدرك بنفس اللفظ لا ببيان سواء كان
 ذلك لزاحم المعاني المتساوية الاقدام كالشرك أو لفراة اللفظ أولاً تنقاه من معناه
 الظاهر الى غيرهما هو معلوم. كذا في تعريفات السيد

السنة بيان الكتاب وهي انما تبين ما ثبت حكمه لا مانسوخ وان انفردت السنة بالحكم فان كان فيه حديث واحد فان صح عمل به كالأية الواحدة وان لم يصح لم يعتمد عليه (١) وأخذ الحكم من الكتاب ان وجد والا فمن الاجتهاد اذ ساغ مثل أن يعمل بما هو أشبه بالأدب منع الشرع وتعظيم حقه وان لم يسغ فيه الاجتهاد وقف على البيان

وان كان فيه أكثر من حديث فان صح جميعها فاما ان تتساوى في الصحة او تفاوتت فان تساوت في الصحة فان اتفق مقتضاها فكالحديث الواحد وان اختلفت فان قبلت الجمع جمع بينها والا فبعضها منسوخ فان تعين والا استدلل عليه بموافقة الكتاب أو الاجماع غيره أو بغير ذلك من الأدلة

وان لم تصح جميعها فان كان الصحيح منها واحدا فكما لم يكن في الحكم الاحاديث واحد فان كان الصحيح أكثر من واحد فان اتفقت عمل بها وان اختلفت جمع بينها ان امكن الجمع والا فبعضها منسوخ كما سبق فيما اذا كان جميع الاحاديث صحيحاً

وان تفاوتت في الصحة فان كان بعضها اصح من بعض فان اتفق

(١) أي لانه لا يعمل به في المعاملات بل في فضائل الاعمال على قول ومنهم من منع العمل به مطلقاً كما ينسب في كتب المصطلح وقد ذكر مسلم في مقدمة صحيحة ان الراوي للاحاديث الضعيفة غاش آثم في فصل ينبغي العناية به وبالأولى ما كان منها في باب الصفات ولذا قال القاضي عياض في الشفا في الوجه السابع: فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله وحق أنبيائه وان لا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة لمقاديرها والاسناد الخ

مقتضاها فلا اشكال كالحديث الواحد وان تعارضت فان قبلت الجمع جمع بينها وان لم تقبله قدم الاصح فالاصح

ثم ان اتحد الاصح عمل به وان تعدد فان اتفق فكالحديث الواحد وان تعارض جمع بينها ان قبل الجمع والا فبعضه منسوخ معين أو مبهم يستدل عليه بما سبق . وان اجتمع في الحكم كتاب وسنة فان اتفقا عمل بهما واحدهما بيان للآخر أو مؤكد له وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما جمع وان لم يمكن فان اتجه نسخ احدهما بالآخر نسخ به وان لم يتجه فهو محل نظر وتقصيل والاشبه بتقديم الكتاب لانه الاصل الاعظم ولا يترك بفرعه

هذا تفصيل القول في أحكام المبادات

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس كما تقرر

فالمصلحة وباقي أدلة الشرع اما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا فيها وامتعت كما اتفق النص والاجماع والمصلحة على اثبات الاحكام الخمسة (١) الكلية الضرورية وهي قتل القاتل والمرتد قطع السارق وحمل القاذف والشارب ونحو ذلك من الاحكام التي وافقت فيها أدلة الشرع المصلحة وان اختلفا فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع مثل ان يحمل بعض الأدلة على بعض الاحكام والاحوال دون بعض على وجه لا يخل بالمصلحة ولا يفضي الى

(١) قال القرافي في تنقيحه : الكليات الخمس وهي حفظ النفوس والاديان والانساب والعقول والاموال - قيل والاعراض - حكى الغزالي وغيره اجماع الملل على تحريمها وأنه تعالى ما أباح العرض بالقذف والسبب قط ولا الاموال بالسرقة والغصب ولا الانساب باباحة الزنا ولا العقول باباحة المسكرات ولا النفوس والاعضاء باباحة القطع والقتل ولا الاديان باباحة الكفر واتهاك حرم المحرمات

التلاعب بالادلة أو بعضها . وان تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم «لا ضرر ولا ضرار» وهو خاص في نفي الضرر المستلزم لرعاية المصلحة فيجب تقديمه ولان المصلحة هي المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام وباقي الادلة كالوسائل والمقاصد واجبة التقديم على الوسائل (١)

ثم ان المصالح والمفاسد قد تعارض فيحتاج الى ضابط يدفع محذور تعارضها فنقول كل حكم ترضه فاما ان تمحض مصلحة (* فان اتحدت بان كان فيه مصلحة واحدة حصلت . وان تعددت بان كان فيها مصليحتان ومصالح فان أمكن تحصيل جميعها حصل وان لم يمكن حصل الممكن فان تعذر تحصيل ما زاد على المصلحة الواحدة فان تفاوتت المصالح في الاهتمام بها حصل الالم منها وان تساوت في ذلك حصلت واحدة منها بالاختيار الا ان يقع ههنا تهمة بالقرعة . وان تمحضت مفسدت فان اتحدت دفعت وان تعددت فان أمكن درء جميعها درئت . وان تعددت دري منها الممكن . فان تعذر درء ما زاد على مصلحة واحدة فان تفاوتت في عظم المفسدة دفع أعظمها وان تساوت في ذلك فبالاختيار أو القرعة ان اتجهت التهمة وان اجتمع فيه الامران المصلحة والمفسدة فان أمكن تحصيل

«١» أي واجب اعتبارها وملاحظتها أولاً وبالذات لأنها هي سر الشريعة ولها بها كالمعاني بالنسبة الى الالفاظ فان الالفاظ لم تقصد لنفسها وانما هي مقصودة لمعانيها ومن هنا ذهب السلف الى تحريم الحيل فان من عرف قدر الشرع وحكمته وما اشتمل عليه من رعاية مصالح العباد تبين له حقيقة الحال وقطع بأن الله تعالى يتنزه ان يشرع لعباده نقض شرعه وحكمته بأنواع الخداع والاحتيال انظر بسط ذلك في اعلام الموقعين (* المنار : يظهر أنه سقط من هنا مقابل إما وهو التقسيم الاجالي الفصل بعد

المصلحة ودفع الفسدة تعين وإن تمذر فعل الإهم من تحصيل أو دفع
أن تفاوتاً في الأهمية وأن تساوى فبالاختيار أو القرعة أن أتجهت التهمة
وإن تعارض مصلحتان أو مفسدتان أو مصلحة ومفسدة و ترجح كل
واحد من الطرفين من وجه دون وجه اعتبرنا أرجح الوجين تحصيلاً
أو دفماً (١) فإن استويا في ذلك عدنا إلى الاختيار أو القرعة

فهذا ضابط مستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار)
يتوصل به إلى أرجح الأحكام غالباً ويتنبى به الخلاف بكثرة الطرق والأقوال
مع أن في اختلاف الفقهاء فائدة عرضت خارجة عن المقصود وهي
معرفة الحقائق التي تتعلق بالأحكام وأعراضها ونظائرها والفروق بينها وهي
شبيهة بفائدة الحساب من جزالة الرأي

وأما اعتبارنا المصلحة في المعاملات ونحوها دون العبادات وشبهها لأن
العبادات حق للشرع * خاص به ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفاً وزماناً
ومكاناً إلا من جهته فيأتي به العبد على مآرسم له ولأن غلام أحدنا لا يبعد
مطيعاً خادماً له إلا إذا امتثل مآرسم له سيده وفعل ما يعلم أنه يرضيه فكذلك
ههنا ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بمقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز
وجل وضلوا وأضلوا وهذا بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية

« ١ » يقرب من هذا قاعدة عظمى أشار لها ابن تيمية عليه الرحمة بقوله :
إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الإباحة أو التحريم فلينظر إلى
مفسده ومخرته وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فانه يستحيل على
الشارع الأمر به أو إباحته بل يقطع أن الشرع يجرمه لأسباب إذا كان مفضياً إلى
ما يغيضه الله ورسوله اهـ * المنار : لهذا للشارع وكذا ما عايناهما

شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هي المعتبرة وعلى تحصيلها الممول
ولا يقال ان الشرع اعلم بمصالحهم فلتؤخذ من أدلته لانا نقول قد قررنا
ان المصلحة من أدلة الشرع وهي أقواها وأخصها فلتقدمها في تحصيل المصالح (١)
ثم هذا انما يقال في العبادات التي تحق مصالحها عن مجاري العقول
والمعادات اما مصلحة سياسية المكلفين في حقوقهم فهي معلومة لهم بحكم
العادة والعقل فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا انا احلتنا في
تحصيلها على رعايتها كما ان النصوص لما كانت لا تنفي بالاحكام علمنا انا
احلتنا بتامها على القياس وهو الحاق المسكوت عنه بالنصوص عليه بجامع
بينهما والله عز وجل أعلم بالصواب : اه كلام الطوقي رحمه الله

(١) قال الامام القرافي: ان المصلحة المرسله في جميع المذاهب عند التحقق
لانهم يقيسون ويفرقون بالناسبات ولا يطلبون شاهدا بالاعتبار ولا نعي بالمصلحة
المرسله الا ذلك وبما يؤكده العمل بالمصلحة المرسله ان الصحابة رضوان الله عليهم
عملوا أمورا لمطلق المصلحة لا لتقد شاهد بالاعتبار نحو تدوين الدواوين ثم قال :
ينقل عن مذهبا (ناالكية) ان من خواصه اعتبار العوائد والمصلحة المرسله ومسند
الذرائع وليس كذلك . أما العرف فمشترك بين المذاهب ومن استقرأها وجددم
بصرحون بذلك فيها . وأما المصلحة المرسله فغيرنا يصرح بانكارها ولكنهم عند
التفريع نجدهم يطلبون بمطلق المصلحة ولا يطلبون أنفسهم عند الفروق والجوامع بابداء
الشاهد لها بالاعتبار بل يعتمدون على مجرد المناسبة وهذا هو المصلحة المرسله وأما
الذرائع فمنها ما هو مجمع عليه ومنها ما هو مختلف فيه 'هـ' ولان القيم في اعلام الموقعين
فصل في سد الذرائع ذكر فيه تسهات وتسمين مثالا من الشارع في منع الذرائع المفضية الى
المفاسد . ومن توسع في بحث المصالح المرسله الامام الاصولي الشيخ أبو حنيفة الشاطبي
المالكي في كتابه الموافقات فقد جرد الاستدلال عليها والنظر في لواحقها في الجزء الثاني
فارجع اليه ان رمت المزيد على ما معنا : اه ما أورده الشيخ جمال الدين القاسمي حفظه الله

باب المناظرة والمراسلة

﴿الدين والعقل﴾ - -

تابع رد الشيخ طه البشري على الدكتور محمد أفندي توفيق صدقي
بعد اذ أوردنا ما أوردنا مما نرى فيه الكفاية في اثبات ان أصول الدين
هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس نرى ضروريا وقد هففت أكثر من
مرة بالعقل في غضون البحث في أمور الدين ان تسكلم باختصار على ما يمكن
أن يكون من العلاقات بين العقل والدين

قلنا ان أصول هذا الدين أربعة، ولم يضاف إليها أحد شيئا آخر بل قصرناها
أنت على الكتاب وحده، فأنت نظر من انظار العقل يراد أن يطابقه الدين
في كل جزئياته ؟ لا يمكن أن يراد بذلك المطابقة ان كل ما يكون واجبا في نظر
العقل أو ممنوعا فيه يكون كذلك في الدين . فانه ليس شيء من الدين ينبت
قضاءياه على الادلة العقلية البحتة ، الا بعض أصول العقائد كوجوب الوجود
ووجوب الوحدة مثلا من الواجبات ، وامتناع الدم والكثرة مثلا من الممنوعات
وبعد ذلك لا يوجب العقل ولا يمنع من قضايا الدين شيئا . وإن أراد من العقل
نظرة الصحيح بالاستحسان لموجبات الدين كاقامة الصلاة والاستباح لممنوعاته
كالتيان الفاحشة فذلك لا ريب فيه . ولكن لا يهزب عنك ان هذا النظر شيء
واعتباره من أصول الدين التي حصر فيها استنباط مسائله باعتباره كون ديننا مقرا
واجب الاتباع شيء آخر . فمسئلة الاستحسان والاستهجان بالنظر الصحيح للعقل
الصحيح لازمة لكن لا يمكن أن يبنى عليها حكم شرعي لان مقتضى كونه شرعيا انه
مبني على أصول الشريعة التي ذكرناها وليس استحسان العقل واحدا منها باقتنا
جميعا . على أن العقول من حيث استحسانها واستهجانها لا يمكن ضبطها بحال فان ما يراه
هذا حسنا قد يراه ذاك رديئا وبالعكس وذلك لا يقف عند طبقات الحق والجاهلين
بل كثيرا ما اجتازها الى طبقة العقلاء من أقطاب السلم والسياسة والبصر بتنون
التشريع . ولأنحسبنا ذلك كاف أي دليل على هذه الدعوى بل نرى ان أقل نظرة في

التاريخ التشريعي تكفيها مؤنة هذا فان قتل القاتل عددا الذي أوجبه الاسلام -
 ما لم يعف أولياء الدم - ولا نشك في استحسانك له مسألة فيها نظر بين مشرعي
 الرومان قديما وأمة الظليان التي بنيت على اطلاقها والفرنساويين ولا نجلز حديثا
 فمنهم من أنكرت القتل ومنهم من أوجبه ومن هوألاء الموجبات من استحسته
 بطريق الشق ومنهم من أبته الا بقطع الرقة فهل رعى الناس كل هذه الامم
 بالجنون لأن أهلها لم تتفق على استحسان شيء واحد بل هو اكبر الاشياء في مسائل
 التشريع ؟ فما بالك بصغريات الامور وجزئياتها في نظر الشرائع والقوانين فلنسال
 نفوسنا ماذا تكون الحال لو كان استحسان العقل واستهجانها أصلا من أصول الدين
 التي يرجع اليها في استنباط أحكامه هل نستطيع ان نجد اثنين يتفقان على حكم
 واحد من هذا الدين ؟؟؟

الاسلام ولاشك دين الفطرة أرسل الله به رسوله وهو تعالى الحكيم في تقديره
 العليم بما فيه مصالح الناس على تمايز طقوسهم وتناهي ديارهم و بسط لهم على لسان
 نبيه من التقرير والبيان ما يقف بالنفوس دون رؤية الشيء الواحد على كثير من
 الوجوه والالوان كل نفس بحسب ما تهديها نزعتها بحيث يكون الحسن عند قوم
 قبيحا عند آخرين بلا أدنى مستمد لذلك الاستهجان أو الاستحسان كما يقع من
 الامم التي لا ترجع في أمور تشريعها الى أصل واحد

فالدين باعتبار كونه شرع الله الحكيم العليم بما يلائم في أحكامه الفطر السليمة
 وهي ولا ريب لا تناقضه بحال لانه لما كالميزان فاذا نأيدته النزعات فماذا على الميزان
 اذا لم يوف الموزون ؟ فليس من الصواب انه تتبع نزعة كل هوى تسنحس . أو
 تستهجن ونحاول انه مجري عليها أحكام الدين فاذا نافرته قلنا انها ليست دينا
 لانها خالفت العقل والصواب !!!!

قلنا ونقول ان أصول العقائد الدينية انما بنيت على أدلة عقلية محضة كافية
 في اثبات الالهية لمن لا يؤمن بها ومعجزات لاسبيل للعقل الى مصادرتها
 كافية أيضا في اثبات دعوى الرسالة ، فاذا اقتنع المكلف بهذا القدر وآمن بأن
 هناك ألها حكما متصفا بصفات الكمال منزها عن صفات النقص واه أرسل

رسولا معصوما بلغ الناس رسالات ربه الكفيلة بسعادتهم وعرضهم في كلنا شأنهم انصرف ولا مزية كل هم الى تحقيق ما جاء به هذا الرسول الامين عن ربه الحكيم للعمل به ، فأدلة العامل بعد ذلك سماعية حاجة المجتهد الى البحث فيها من حيث صحة النقل وعدمها ليعلم ان كانت من الرسول أو ليست منه ، وعلى هذا فالعقل الكامل لازم للمجتهد بلا جدال يتدير به معاني الاحكام ، يرجع بالفروع الى أصولها المقررة ، وبالجزئيات الى كلياتها الثابتة ، ويفصل المجهل في الكتاب بالمفصل من السنة ، ويستظهر الخفي منه بالجلي منها ، والبحث عن علل الاحكام الظاهر ليقس غير المقرر على المقرر منها ، وغير ذلك من عمل المجتهد في استنباطه من الكتاب والسنة وأخذ به بالقياس وانتظامه في سلك الاجماع التي هي أصول الدين على انه شرع الله الذي بسطه فيها ، وحصره في دائرتها

استغفر الله ان يكون في ديننا مالا يحتمله العقل ، ولا يسهه نصوصه . بل نحن قررنا ان العقل السليم مستحسن لكل ما جاء به الدين الحكيم مستحسن لكل ما نهى عنه الشرع القويم

واذ كتيبنا ما نرى فيه الكفاية فيما يتعلق باصل الموضوع ننقل بك الى تجميع ما بنيت عليه من المسائل والله الكافي المعين

﴿ مبحث الصلاة ﴾

جاء الينا القرآن بها اجمالا ، وفصلتها لنا السنة تفصيلا ، أمر الله بها في كتابه ، وعلمها جبريل لنبية نعلما عمليا وهو عليه السلام علمها الناس وبلغها لهم وقتنا وحدا وعدا ، اذ صلى بهم الصلوات الخمس في أوقاتها المعلومة ، الظهر والعصر والعشاء أو بها والمغرب ثلاثا والصبح اثنتين ، وواظب عليها كذلك الا في خوف أو سفر وأمر باقامتها بالقدر الذي أقامها به بمثل قوله (صلوا كما رأيتموني أصلي) وشدد فيها واكد ، ووعد عليها وأوعد ، وميزها بانها الفرض المحتم من بين ما سن من سنن وزاد من توافل ، فامتازت بنفسها بين جميع الصحابة والتابعين لهم ومن بعدهم الى يومنا هذا ، والقول بأن الصحابة لم يميزوا بين القدر الواجب عليهم من غيره في أقصى منازل الترابية ، وكيف ذلك وهم المجهلون على ان

تارك النوافل مثل ما قبل مفروضة الصبح وما قبل الظهر وبعده وما قبل العصر
لاشي عليه عند الله والناس مع اجاعهم على ان من زاد على المفروضة أو نقص
عنها مثل أربع الظهر وثلاث المغرب عدا بطلت صلاته ومع اجاعهم على ان من
نوى اثنتين في النافلة فصلى أربعا لا تبطل صلاته أليس ذلك لتفريقهم بين
الواجب وغيره ؟ وما اجاع من بعدهم على التمييز بين الغرض المحتوم من الله
والنفل المتطوع به من عند أنفسهم الا بعد تمييزهم هم .

أدرجت في مطاوي كلامك انك لا تحتاج بعمل الصحابة (لأنهم لم يميزوا
بين الواجب وغيره بل هم انما كانوا يحافظون على كل مارأوا النبي يحافظ عليه)
ولا يذهب عنك ان النبي عليه السلام كان يحافظ أيضا على الذي يسميه المسلمون
بالنوافل ، فكيف يجمعون على ان الآتي بهذه والتارك لها لاحساب عليه ؟ لا
أتمس ان أجادك في هذا بما يخرج عن دائرة كلامك ، بل مما قلت من ان
(كم من أشياء كان يحافظ عليها النبي ولم يقل أحد من المجتهدين بوجوبها
كالضمضة والاستنشاق) والصحابة كلهم مجتهدون بلا خلاف ، فهل مع هذا
يقال ان الصحابة لم يميزوا بين الواجب وغيره ؟ نعم هم فرقوا الواجب من
غيره في الصلاة مثلا فرقوا بينهما في الوضوء كما سلف

صلى النبي عليه السلام رباعية وسلم في الثانية فألفت ذلك جميع الصحابة ،
وابتدره منهم ذو اليمين بقوله (أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله) فأجاب
صلى الله عليه وسلم بأنها لم تقصر ثم أتم ومسجد لسهو . ولو كان الواجب يتم
بالركعتين ماسأل الصحابي بقوله أقصرت الصلاة ، وأي معنى لقصرها غير كونها
نقصت فرضا عن القدر الذي كان مفروضا ؟ ولو كانت أقل الواجب ثنتين كما
ترى ولم صرف ذلك الصحابة كما أشرت - هل كان يجب عليه السلام بانها لم
تقص - أي لم تنقص عن القدر المشروع ؟ - بل ويترك صحبة في مثل هذا
المقام لا يعرفون القدر الواجب عليهم بل ويزيدهم بمثل هذا الجواب رسوخا بأن
القدر الواجب عليهم انما هو أربع ركعات لا ركعتان وتعلم ان وظيفة الرسول البيان ،
وتلك تعمية تضاده كل التضاد والرسول الكريم أفطن قلبا وأعصر دينا وأفصح

لساناً من مثل هذا على أنه قد بلغ قول «لغت اللهم اشهد» مع نهاية البيان لقوله تعالى «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإبغضت رسالتك» وقوله تعالى «وأنزلنا إليك الذكركتين فلناس ما نزل اللهم» وليس من التبليغ المحذوف بالبيان أن يدع صلى الله عليه وسلم صحبه الكرام يعيشون معبدين بما لا يفرقون بين واجبه المشروع المفروض عليهم من الله ، وقوله المنطوع به من عند أنفسهم ، لهم ثوابه ، وليس عليهم حسابه ،

دعا النبي عليه السلام مؤكداً مشدداً إلى إقامة الصلوات الخمس (أي المفروضة المبدوءة بنحرمة واحدة المنشئة بسلام واحد) وأبان أنها الفرض المشروع من الله ، وواظب عليها كما قلنا طول حياته ، الثانية منها والثلاثية والرابعة من غير زيادة فيها أو نقص عنها (الافى خوف أو سفر) ولم يبين أن بعضاً منها مزيد فيه على القدر الواجب ، فتعين أن تكون هي كلها القدر الواجب ، ونحن نكتفي الآن بهذا القدر من الأدلة ونرجع بنظرة إلى ما اختلج بنفسك من الشبه التي لولاها لم تكن تشتت عما عليه إجماع المسلمين من عهده عليه السلام إلى عهدنا هذا دون أن يتعرض فيه شك ، أو تنوهم دونه شبهة والله سبحانه الموفق ادعيت أن القدر الواجب في الصلاة ركعتان مستنداً على قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن ختم أن ينتكح الذين كفروا) الآية بناء على أنه يستفاد منها أن القصر أي ما دون الواجب ركعة ، فيكون أقل الواجب ما فوقها أي ركعتين من غير تحديد للطرف الأعلى ، وبعبارة أخرى أن الإنسان غير مكلف بأكثر من تين الركعتين الخ

وقول أن الآية في ذاتها لا يمكن أن يؤخذ منها أن صلاة الخوف للإمام ركعتان أو هي الموثقتين ركعة ، بل غاية ما يؤخذ منها أن طائفة تقوم مع الإمام ثم تأتي طائفة أخرى لم تتصل فتصلي معه ، ولكن كم ركعة يصلي الإمام أو الموثقون ؟ هذا ما لم تنص عليه الآية الكريمة ، بحيث لو لم تبين السنة لما تسى أن يمنع مدح بأن المفروض على كل طائفة أن تصلي أربعاً أو سناً مثلاً فنأين جاءك أن كل طائفة تصلي مع الإمام ركعة واحدة ؟ إن قلت السنة قلنا لك هي

بمعناها حتمت علي المؤمنين في صلاة الخوف أن ترجع كل طائفة فصولي ركعة أخرى بناء على الأولى بحيث تبلغ صلاة كل من الامام والمؤمنين ركعتين ، وهذا هو القصر بعينه ، ولا يجادل في ذلك ابن عباس ومجاهد وجابر بن عبد الله الذين استشهدت بهم ، . فقولك ان القصر ركعة واحدة دعوى لا دليل عليها بل قام الدليل على خلافها من الكتاب نفسه ، بل من الآية عينها لان قوله تعالى (فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) الآية خطاب للنبي عليه السلام ومن معه ، بل لسلك امام ومؤمنين في خوف ، ولست تنكر بل قد صرحت أن الامام في هذه الحالة - حالة الخوف - يصلي ركعتين مع كونه بقصر ، ولا يقال انه تم بعد أن تناوله الخطاب بالقصر كما تناول غيره من المؤمنين لقوله تعالى (أن تقصروا) ثبت أن الركعتين في تلك الحال قصر ، فاندفعت الدعوى بان القصر إنما هو واحدة ، فالقول بان الواجب في الصلوات الخمس - في حالة الاتمام منتقض بناؤه لانهدام ما دعت له من أساسه ، على أننا لو سلمنا لك أن القصر ركعة واحدة ، بل وفرضنا ان الكتاب نفسه - نص صريحاً على ذلك ، فإني تلازم هناك بين كون القصر أي ما دون الواجب - على مقتضى تعريفك - واحدة وكون الواجب أقله ثنتان ؟ ولم لا يكون الواجب - مع هذه الحال - ثماني ركعات أو عشرة مثلاً لولا السنة ؟ على أنها لم تقدر الواجب حداً أقل أو أكثر ، بل بينت القدر المفروض بينه الم شروع على سبيل الوجوب من الله تعالى ككون المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً بلا زيادة ولا نقصان

(١) قلت ان أول ما فرضت الصلاة كان النبي يصليها ركعتين ركعتين ، واتخذت ذلك دليلاً على انه عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين في ذلك الوقت الا لبيان أنهما أقل الواجب ، ثم زاد عليها فيما بعد لبيان أن الزيادة أولى ونظرت ما اعتمدت في صحة هذا الاعلى حديث عائشة رضي الله عنها ، ولو أنك اتخذته حجة لك لاتخذناه نحن حجة عليك قالت (أول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيدت سيفي الحضر) فلم تقل أنها أول ما فرضت كان عليه السلام يصليها ركعتين ركعتين « حتي يفهم من قبلها أن

اقتصار الرسول اذذاك على الركعتين كان من عند نفسه لبيان أنهما أقل الواجب» بل قالت أنها فرضت أولا ركعتين ، وهذا صريح في أنها فرضت بعد غير ذلك «أي ركعتين وثلاثا وأربعا» وأكثت هذا المراد بقولها فأقرت في السفر وزيدت في الحضر ، ولا سبيل للقول بأنها زيدت أي فوق القدر الواجب ، بعد قولها «فرضت ركعتين» ولا للقول بأنها أقرت في السفر أي اكتفي بها لأنها القدر الواجب مطلقا ، مع العلم بان النبي عليه السلام ما كان ليكتفي بالركعتين المشروعتين إبان السفر ، بل كان يزيد عليهما من التوافل ما تعود أن يزيد في الحضر ، فتعين أن يكون المراد بقولها أقرت في السفر أن فرضها كان اثنتين بلا زيادة واجبة ، وكونها زيدت في الحضر أن الزيادة التي بلغت بها الصلاة ما فوق الركعتين واجبة كلها بلا نقص فيها ، اما ما استعرضت على قبلك من الشبه وتكلف الرد عليه فانا نعتيك منه

(٢) رأيت أن قصر الصلاة مخصوص بالخوف بناء على أن قوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) قيد لا يجوز التغلث منه ، فكل ما كان في غير الخوف - ولو في سفر - فهو آتمام ، فصلاة النبي عليه السلام في السفر - ولو كان قصيرا جدا - ركعتين ركعتين لم تكن قصرا بل اكتفاء بالواجب اذ كان القصر مخصوصا بحالة الخوف

ونحن لانعارض في أن الآية صريحة في اباحة القصر عند الخوف ، بل ولا نص خاص في الكتاب على اباحة القصر في غير تلك الحال ، ولكن عدم النص على شيء من الكتاب لا يدل على عدمه مطلقا ، فقد نصت على ذلك السنة ، ومقامها من التشريع ما قد عرفت ، ونعارض في كون الآية قيدا ، بل نقول أنها مجرد بيان الواقع والحال التي كان عليها النبي عليه السلام وأصحابه يومئذ ، ولست نذكر أن مثل هذا كثير في الكتاب نفسه من مثل قوله تعالى (ورباهم باللاتي في حجبهم من نساءكم اللاتي دخلنهم) فان الرائب محرمات مطلقا ، وكونهن في الحجب ليس قيدا أصلا بل هو مجرد بيان الواقع ، وقد سئل النبي نفسه فإسألت فيه ، فأجاب عليه السلام بما أجابنا به ، وإذا حاولت أن لا تقتنع

يكون هذا القيد لبيان الواقع ، ولم نشأ أن نخرج هذا الخبر جشك بمثله من الآية نفسه سبقتنا بالإشارة عفوا الي أنه ليس قيدا ، بل هو لمجرد بيان الواقع حيث قلت (فصلاة الايام في الخوف ركعتان الخ) عند ما أوردت قوله تعالى (واذا كنت فيهم فاقتلم الصلاة) الآية ولم تقيد بكون هذا الامام هو النبي عليه السلام لاغيره كما هو ظاهر هذا القيد (اذا كنت فيهم) فاذا قلت ان صلاة الخوف عامة كما هو ظاهر كلامك - لزمك أن تقول ان هذا القيد لا مفهوم له بل هو انما كان لمجرد بيان الواقع ، واذا أبيت الا أن يكون له مفهوم أي أن مقيم صلاة الخوف يجب أن يكون هو النبي لاغيره . اذا كان قيام طائفتين من المصلين في خوف مقيدا بكون النبي فيهما - لزم أن يكون قولك (فصلاة الخوف للامام - مطلقا طبعاً -) لا مفهوم له

وأما صلاته ركعتين ركعتين في السفر فسلم ، ولكن كون ذلك اكتفاء بالواجب أي ليس قصر اغير مسلم ، وكيف يكون ذلك اكتفاء بالواجب مع ملازمته في غضون أسفاره للتوافل التي لاخلاف بيننا وبينك في انها فوق الواجب أي انها من التطوع المتبرع به ؟؟ ولو انك أنكرت ملازمته عليه السلام للتوافل أثناء سفره فقد أنكرت لزوما اقتضاه «في المفروضة» على الركعتين لان مصدرها واحد .

وبما لا يحسن تركه هنا أنه عليه السلام لم يصل المغرب ركعتين أبدا في حضر أو سفر ، بل واظب على صلاتها ثلاثا في الحاضر جميعا ، ولو كان اقتضاه على الركعتين في السفر اكتفاء بالواجب - لاشيا آخر - لما كان هناك موجب لتمييزه المغرب من بين اخواتها باقامتها ثلاثا ، بل لا كنفى فيها بثنتين سيفي ضمن ما اكتفى .

«٣» استدلت على ان ما بعد الركعتين (في الثلاثية والرابعة) زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة .

وقول ان عدم الجهر بالقراءة في الركعة ليس دليلا على عدم وجوبها ، والا لزم ان تكون صلاتا الظهر والمصر غير واجبتين رأسا ، لانه لا جهر فيها أصلا

علي ان الجهر وعدمه ليسا من الفروض التي لا تقوم الصلاة الا بها ، بل هما من الهيئات التي لا تختل هي بدونها ، وأيضا فان قراءة شيء من القرآن بعد الفاتحة ليس دليلا على وجوب ماقرأ فيه ، كما ان عدمها ليس دليلا على عدمه ، والا لكانت كل النوافل التي صلاحها النبي عليه السلام مقفيا على أثر الفاتحة فيها بشيء من القرآن واجبة ولكنك معنا لا تسلمه . هذا وقراءة قرآن بعد الفاتحة ليس مما تاوقف عليه صحة الصلاة مطلقا ، بل المطلوب الذي هو ركن في الصلاة بمبحث تختل بدونه هو قراءة قرآن لقوله تعالى (فاقروا ما تيسر من القرآن) وقد قدره أبو حنيفة بآية ، وعينه الشافعي بالفاتحة كلها لما وصل اليه وصح عنده من نحو قوله عليه السلام « لا صلاة لمن لم يقرأ بأيام الكتاب » ولا خلاف في ان ما بعد الفاتحة ليس ركنا من الصلاة وان ورد انه الاكل في الركبتين الاوليين من الصلوات الاربعة ، وكونه الاكل فيهما لا يستدعي ان ما بعدهما ليس واجبا .

« ٤ » استدلت أيضا على ان القدر الواجب ركعتان بعدم ملازمة النبي عليه السلام لعدد مخصوص من الركعات (بصرف النظر عما سمي سنة وما سمي فرضا) اذ كان ثارة يزيد وثارة ينقص وكذلك باختلاف عدد الركعات التي كان يصليها في الاوقات المختلفة من اليوم ككون الصبح كذا والظهر كذا (المفروض والمسنون معا) ولكن الملاحظ انه ماضى أبدا أقل من الركعتين ، ولم يتقيد بعدد مخصوص فوق ذلك فتمين ان يكون القدر المفروض ركعتين ليس الا

وقول ان العبادات كلها وفي جعلتها الصلاة منشقة الى فرض محتوم ، ونقل متطوع به ، ونحن لانكلف أنفسنا هنا حشد الادلة على ذلك اليك ، ولا نرانا نعبأ بأن نسوق — ان شئت — ألف دليل ودليل من كل مصدر ترى فيه مقنعا ، واذا آيت التمسنا ذلك من كلامك ،

قلت في عدة مواضع (ان أقل الواجب ركعتان) والواجب رعاك الله لا يكون فيه أقل وأكبر ، اذ لو كانت الركعتان هما الواجب المطلوب حتما من العبد الذي يخرج بادائه من عبادة التكليف فلا يتصور ان يكون ما زاد عليهما واجبا ، والا لكان المتعصر على الركعتين غير قائم بالواجب وأنت لا تسلمه ، ولو كان الاكبر

من الركعتين كالثلاث أو الأربع هي كلها الواجب، لكان المقتصر على الركعتين كذلك مقتصرًا على مادون الواجب، فيكون كذلك غير قائم بالواجب وأنت أيضا تناقضه، فتعين أن يكون المراد بقولك (أقل الواجب ركعتان) أن الركعتين هما الواجب الذي لا يجوز للمسلم أن ينقص منه ، وأن ما فوقهما فوق الواجب وبعبارة أخرى أنه ليس واجبا، بل قد صرحت بهذا المراد في قوله (فمن عرف أن الواجب عليه ركعتان فصلى أربعًا شكرناه) وإذا كان القدر الواجب المفروض من الله هما الركعتان لعين أن يكون كل ما زاد عليهما فلا أي زيادة متطوعا بها ، ولا عليك أن تسمى سنة ولا علينا أن نسميها زيادة أو فلا . بل الذي بهما أن هذه السنة أو هذا النفل أو هذه الزيادة غير الفرض أو الواجب ، فقولك (بصرف النظر عما سي سنة وما سي فرضا) يجب أن تصرف النظر عنه لأن الصلاة بذاتها صرفًا النظر أو لم تصرف أما سنة وأما فرض امتاز لكل منهما بنفسه .

وأما من حيث وقوع الزيادة والنقص إذا سلمناها فهي لم تقع أصلا إلا في الذي امتاز بأنه النفل، إذ المتنفل أو المتطوع له أن يزيد على تطوعه أو ينقص منه أو لا يقوم به رأسا، مادام عمله في ذلك لمجرد اكتساب الثوبة، لا الفرار من العقوبة، وأولئك الذين قتل عنهم أن النبي عليه السلام كان تارة يزيد وتارة ينقص - في النافلة طبعًا - قد قلوا لنا قولا متواترا لا شبهة فيه أنه لم ينقص شيئا (عمدا) ولم يزد على القدر الذي امتاز بأنه الفرض المشروع، بل واظب صلى الله عليه وسلم طول حياته السكرية على إقامة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات والمغرب ثلاثا (إلا في خوف أو سفر) لأن نقص الفرض الذي ضربه الله على الناس والزيادة فيه تلاعب بما فرضه الله وحده، ومن ثم أجمع السكك على بطلان صلاة المصلي على تلك الحال كما قلنا، فالملحظة - إذا لم يكن منها بد - يجب أن توجه إلى كون النبي عليه الصلاة والسلام لم يلزم في بعض الصلاة - أي النفل - حالة واحدة، بل كان تارة يزيد وتارة ينقص، فدل ذلك - في جملة ما دل - على أنها ليست فرضا محتوما من الله، وكونه لازم في بعضها - أي الفرض - حالة واحدة متقيدا بعدد مخصوص لم يزد عليه ولم ينقص منه إذ صلى دائما في

المكتوبة (الافي خوف أو سفر) الصبح ركعتين، والظهر والعصر والعشاء أربعاً،
والغرب ثلاثاً، فدل ذلك - في جملة ما دل - على أنها القدر المفروض الذي
لا مفر شرعاً منه، ولا متسكب لمسلم عنه، مصححاً هذا النقل بشهادة كل الأمة،
توارثوه عنه عليه السلام جيلاً بعد جيل، وتناقلوه قبلاً بعد قبيل،

باب التبرع بالتعليم

﴿ خاتمة كتاب أميل القرن التاسع عشر ﴾

من الدكتور وارنجتون الى زوجته

عن لوندنه في ١٥ مايو سنة ١٨٠٠

شهدت بالأمس أيتها الحبيبة العزيزة عيداً أهلياً أقامه الدكتور وأراسم وزوجته
احتفالاً بيلوغ ولدهما الواحدة والعشرين من عمره وكان عددنا اثني عشر صديقاً.
كان العيد وليمة رجال زانتها المهابة والوقار ولم يمنع كونها كذلك من اتعاش جميع
قلوب المدعون ابتهاجاً وسروراً وفي ختام المائدة ابتدأ رفع الاقداح لتعاطي الراح
على محبة «أميل» فقام أراسم واستأذن في أن يقرب نخب ولده وما رأيته في حياتي
أفصح مقالاً منه حينئذ فقد أفاض في القول عن الفروض التي تجب على الشاب
في معيشته القومية وعن التربية ووجوب أن تكون عمل كل منا في جميع حياته وعن
الازمان الحاضرة واقتضاها من الفكر أن يستمسك بالآراء المؤسسة على البحث
والاختبار وان يثبت عليها وبالجملة فليس في وسعي أن أؤدي اليك أثر هذا
الخطاب الأبوي الذي كانت مزيتة الكبرى أنه لم يكن كخطب الخطباء

وما فرغ منه حتى انجبت جميع الابصار نحو «أميل» وأنت قد استطلعت
من منذ عوده من انكثروا ان تعرفي ماهو متحل به من ثبات الرأي وعلو الاداب
وسعة المعارف فشكل لاصدقاء آييه أن تفضلوا بإجابة الدعوة الى هذا العيد البيئي
الحقير بعبارات تشف عن لطيف ذوقه ومزيد تواضعه ثم ارقى الى الكلام عن

بعض المسائل العامة فيمن الحطة التي يؤمل أن يسير عليها في الناس بالفاظ جلية مؤدية تمام المعنى

وقد أحسن كل من سمع قوله بأن جميع ما فاه به صادر عن فكره المستقل ثم تعاقبت الكؤوس وتواتت الاغخاب وبينما كنا على أهبة القيام من المائدة التفت «أميل» الى والديه وأذنهما بأن لديه خبرا يريد أن يطلعهما اياه وقد لونت جيده حينئذ حمرة الحجل مع أن ملامح وجهه كلها كانت تعرب عما فيه من ثبات الرجولية

ما كان أشد دهشتي ودهش الحاضرين اذ سمعناه يقول بصوت قوي على ما فيه من الاحتشام انه من الامس متفق مع دولوريس على التزوج بها ثم أعقب هذا الاخبار ان أنحنى امام والديه قائلا «هل لي أن أرجو منك استحسانكما لهذا الاختيار»

هنالك غشيت وجنتي الفتاة السراوين سحابة من حمرة الحجل وأغضت عينيهما فلاذات بين أهدابها السوداء الطويلة عبرات الفرح والهناء

لم تجد السيدة هيلانه جوابا لمسئلة ابنها الا اكباها على عنقه وقبله وقد كادت تخنق سرورا واغباطا وأما إياهم فانه مع تأثرة مثلها مما سمع من والده كان أملاك منها لمواطنه . أجاب ولده بصوت ينفي عن سكينته ووداعته فقال : «اذا كنت نحبها فهي ابنتي» ثم قبل هذه الفتاة الحسنة بصدر منشرح ونفس منبسطة في خلال هذا المظر الموتر طرق البريد باب الشارع طرقتين فاضطرب كل من في البيت وكان يحمل رسالة كان يرى من غلافها أنها آتية من بلاد بعيدة . كانت هذه الرسالة «لأميل» فاستأذن في فض ختامها لانه مالم يث أن عرف في عنوانها خط قويدون وقرأها وكانت بالانكليزية الراككة انكليزية بقرنيجي . فاذا هي تتضمن تهنئة من هذا الافريقي البار «لأميل» بعيد ميلاده ورجاء كما هي العادة في عود كثير من أمثاله عليه بالنبطة والهناء وتشتمل فوق ذلك على خبر سار وهو أن الزروع التي زرعت في أرض «لولا» قد نجحت بفضل حذقه وحذق زوجته وانهار بما كملت لها صداقها عند الزواج

أني على جذلي باغتيال أصدقائنا محزون للتفكري في مفارقتهم لنا لان هذه
الولاية العيديدية كانت وليمة وداعي أيضا فهم راجعون الى فرنسا حيث يدعوم
اليها ما وقع فيها أخيرا من الحوادث السياسية وحسب مسقط رؤوسهم وأني مشيهم
بأحسن آمالي لهم لست أنسى كلمة من كلمات إراسم الاخيرة التي فاه بها عند
مصافحتنا بصوت ملو الوقار والهيبة وهي قوله: «على كل من أن يسعي في جمل ولده
وجلا حرا فانا بذلك نبحث جرائم الشرور المحزنة للامة ١٠٠٠ هـ

فرغ من تعريب هذا الكتاب المفيد قبل ظهر يوم الاثنين أول جمادى الثانية
من سنة ١٣٢٤ هـ الهجرة النبوية الموافق لثالث والعشرين من شهر يولييه سنة ١٩٠٦
لليلاذ المسيحي وقد عزمت بحول الله على جمعه وطبعه كتابا مستقلا أسأله سبحانه
التوفيق والهداية للرشد
المعرب عبد العزيز محمد

استدراك أو تصحيح

سقط من المکتوب العاشر الذي نشر في الجزء الماضي نبذة موضوعة بين السطر
التاسع والعاشر من ص ٧١٦ وهذه هي بنصها:

اذ قال: لكن لن يعدم المغلوبون سلاحا فالذي يبقى من السلاح في أيدي
الأمم المغلوبة هو الخطابة وبث الافكار والمقاومة المعنوية ولن تخضع الحكومة
وعيتها ماداموا لا يستكينون للخذلان نعم انها تستطيع في ليلة واحدة ان تسلب
حقوقهم وأموالهم وتعلم من يسخطونها منهم وترهب انذائهم وتخدع جهالهم
ولكن هيئات ان يكون هذا هو ظنرها الهائي بهم عنوة . لا نظفر بهم الامتى
ازهقت روح الكرامة الانسانية من نفوسهم . الامة الجرة وهي أمة المستقبل تزيد
وتنمو في ظل حكومة الاستبداد وسننصر اذا تقوت بما شكته من المعارف وبما
يوجد فيها من عواطف الانصاف التي تخلص اليها من البحث في حتماتى الالهود .
وبها تستفيد من القوى التي يختلسها العلم من الطبيعة

لاريب في انه ليس كل واحد من الناس مخلوقا لان يودي عملا سياسيا فلا بد
فيه من ملكات وميل خاص ولكن لكل انسان بل عليه ان يرتأي لنفسه رأيا في
مصالح عصره وبلاده ولست ملزما بان تأخذ بشيء من ماضي ولا من آرائى فكل

جيل مستعد لان يعمل عمله بنفسه وملزم بان يسترشد فيه بما يستجد من حاجات أمته وأنا عليك ان تعلم انه لا يكفيك ان تطعن في الاوضاع القديمة لهدم بنيانها بل لا بد ان تبني لك العلم كذبيها أو عدها واذا أردت ان تظفر بحصصك

— الدعوة الى المدرسة الجامعة —

هذا ما كتبه اللجنة التي كانت انعقدت في دار سعد باش ازغلول ونشر في الجرائد وهو من إنشائه

ظهرت بمصر في هذه السنين الاخيرة حركة نحو التعليم تزداد كل يوم انتشارا في جميع طبقات الامة ورغم ما تبذله الحكومة من الجهد في توسيع التعليم فإنه غير كاف لقيام بحاجات الامة والزيادة المستمرة في ميزانية نظارة المعارف لا تنفي مطالبها ولذلك التبعات الحكومة لان تحرك هم الافراد وتبرز من غيرهم لمساعدتها على نشر التعليم فنهضوا لمعاونتها وتسايقوا الى الاكتاب في انشاء المكاتب وأقبلوا على تأسيسها كل اقبال مع عدم تعودهم على القيام من أنفسهم بمثل هذه الاعمال فإنه لا يمر يوم الا وترى فيه انشاء مكتب جديد في جهة من جهات القطر ولا يعد أن نرى عما قليل ان هذا الفراغ قد نما وأزهر فتجني أولادنا ثماره ولكن من الاسف ان الحكومة والافراد مع اعتنائهم كثيرا بنشر التعليم الابتدائي لم يتمكنوا من توجيه العناية للتعليم العالي بل أهملوه إهمالا تاما ولا نشك في أنهم انما اهتموا أول الامر بما رأوا أن الحاجة شديدة اليه وأنهم لم يجدوا من المال والزمان ما يساعدهم على الاشتغال بالتعليم العالي

ولكن يسرنا ان نرى ان الامة قد شعرت الآن بان هناك نقصا في التعليم يجب عليها سدده وتردد في خواطر كثير من أفرادها منذ عشر سنوات تقريبا انشاء جامعة وأخذت هذه الفكرة مكانا عظيما من اهتمامهم حتى شرعوا عدة مرات في تحقيقها غير أنهم لم يوفقوا لان الفكرة لم تكن فيما يظهر ناضجة حتى يخرج من عالم الامل الى عالم العمل

في هذه السنة هب في الرأي العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامة لان

الامة اتبعت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيها ناقصة ودائرتة ضيقة تقف وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية وان من وراء الحدود التي انحصرت فيها معارف سامية وحقائق عالية وقضايا جليلة ومشكلات غامضة تشاقق النفوس الى حلها واختراعات جديدة وتجارب بدیعة واخبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوربا ولا يصل اليها منها الا صدها الضعيف فمنها ما يختص بالوجود وما يتعلق بالبيئة الاجتماعية وما يبحث فيه عن لغة للانسان وعن الآداب والفلسفة والشرع والحرية وكل ما يمس ماضي الانسان وحاضره ومستقبله هو موضوع علوم شتى لا يعرف واحد شيئا منها ولا يهتم بما ككل منها ولا بما هو سائر نحو السكال وأبلغ من ذلك انه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الآداب والفلسفة والعلوم ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عند الاورباويين الذين بحثوا عنهم وعرفوهم فوفوهم حقهم من الاجلال والاحترام ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن التعليم يجب أن يتقدم خطوة في بلادنا نحو الامام وان أمثالا يمكنها أن تعد في صف الامم الراقية لمجرد أن يعرف أغلب أفرادها القراءة والكتابة أو أن يتعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمهاماة بل يلزم أكثر من ذلك

يلزم أن شباننا الذين يمجدون في أوقانهم مسممة ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم إلى حيث ارتقى علماء تلك الامم الذين يشغلون آثاء الليل وأطراف النهار بالهدوء والسكينة لاكتشاف الحقيقة ونصرتها في العالم هذا هو العمل الذي نريد أن نشرع فيه ونطلب المساعدة عليه من جميع سكان القطر

نحن نعلم أن عمل الحكومة وحده لا يفي بكل حاجاتنا وأنه مما كان لديها من الرغبة ومن القوة فلا تستغني عن مساعدة الافراد لها ولذلك نأمل أن يسمع نداءنا كل ساكن في مصر مما كان جفسه ودينه

ربما اختلفت الافهام في حقيقة المشروع الذي ندعو اليه ولذلك وجب علينا

أن نبين بالاجمال المقصود منه

(أولاً) ان الجامعة التي نريد انشاءها هي مدرسة علوم وآداب تفتح أبوابها لكل طالب علم مهما كان جنسه ودينه
(ثانياً) ليس لهذه الجامعة صبغة سياسية ولا علاقة لها برجال السياسة ولا المشتغلين بها فلا يدخل في ادارتها ولا في دروسها ما يمس بها على أي وجه كان
(ثالثاً) ان اشتغال الجامعة على درجات التعليم الثلاث وهي العالي والتجزي والابتدائي وان كان من أقصى الرغبات التي يلزم بذل الجهد في تحقيقها عاجلاً أو آجلاً ومن ضمن ما تربي اليه غايتنا متمسدة الآن لانه يكون مشروعاً جسيماً جداً وتنفيذه برمته دفعة واحدة يستدعي نفقات وعمالا ونظامات لا يتيسر الحصول عليها الآن فلا بد من التدرج في تنفيذه والبدء فيه بما يمكن عمله وتقديم ما الحاجة اليه اشد من غيره

نرى أن التعليم الابتدائي والثانوي والفني موجود الآن في هذه البلاد به مقدار ما يفي بمحاجاتها على حسب الامكان ويظهر أنه يمكننا بدون أن نخشى ضرراً أن نؤجل الاشتغال بهذه الأنواع الثلاثة من التعليم وان نوجه جميع مساعينا الآن الى تأسيس دروس عالية مما لا وجود له عندنا ولا يمكننا الاستغناء عنه : دروس أدبية وعلمية وفلسفية تنور عقول طلابها وتربي ملكاتهم وتهذب عواطفهم وتبلغ بهم مراتب الكمال في أنواع ما يتلقون منها

دروس نؤخذ عن أساتذة ينتخبون من رجال العلم هنا وفي أرورو بانتم ادارة لجنة علمية يرأسها رجل من أهل الفن ذو خبرة تامة بالتعليم ولا حاجة للقول بان عدد هذه الدروس وموضوعاتها وأهميتها يتعلق بما يكون للجامعة من الإيراد

(رابعاً) يلزم أن يكون للجامعة تلامذة خصوصيون وهم الذين يقيدون أسماءهم في دفاترها ويلابزون تلقي الدروس فيها المدة التي تقرر لها ويمتحنون فيها ويحصلون على شهادتها وتكون لهذه الشهادات قيمة أدبية مع الامل أن الحكومة تبنيها المزاي التي تراها جديرة بها في المستقبل ومع ذلك فانه يباح لكل راغب

في التعليم من غير هؤلاء التلامذة أن يحضر دروسا لها ليفقه في العلم وليقتبس منها ما ينسجم به كماله العلمي

(خامسا) أن جمعية المكتبيين تاتخب لجنين احدهما فنية لوضع نظام الجامعة وما يتعلق بترارم التعليم فيها والاخرى لجمع الا كتابات من التبردين هذا هو مشروع أول من اكتبوا لتأسيس الجامعة المصرية وتلك غايتهم قد يجده البعض كبيرا عليهم مخوفا بكثير من الصعوبات التي اعتادت أن تقوم في وجه كل مشروع فقف به دون الغاية فنقول هؤلاء اننا سذمي جهدنا لتحقيقه وإذا سعى كل سميننا فلا شك في نجاحه لأنه لا معنى للنجاح في مثل هذه المشروعات إلا أن يتعد الكل ويعمل الكل فكل رئيس يدعو الى الحنية وكل أمل يدعو الى النجاح على اننا اذا لم نتمكن من الوصول الى تمام المطلوب فالتنازول والله أن يوفق لانعامه غيرنا ممن وهب لهم همة أعلى وفكر أسمى وحرنا أقوى وأملا أوسع

وبعضهم وهم الاكثربرين مشروعنا جزئيا ليس له من الاهمية ما كانوا يرغبون فنقول هؤلاء ان نجاح كل عمل يتوقف على معرفة العادل مقدار قوته وان التدرج في الاور اقرب الى النجاح فيها من المفطرة واتأني في السير أضدن للوصول الى الغاية ونجاحنا في هذا المشروع الجزئي يشجعنا على الاستزادة فيه وتوسيع حاله فاذا جاء اليوم الذي نشعر فيه بان في قوتنا أن نوسع دائرة التعليم وننفذ كل مشروعنا وضعنا أيدينا في أيديهم وسرنا جميعا متكاتفين الى تلك الغاية السامية والله ولي التوفيق اه

(العدد ١٠٩) ان اللجنة التي اجتمعت لأول مرة في دار سعد باشا وغلول ونشرت هذه الدعوة قد انتخبت أعضاء الدعوة وحملت سعدا وكيل الرئيس الذي أرحي انتخابه ثم إن سعدا عين ناظراً للمعارف العمومية فاضطر الى الاستقالة من الوظيفة لان ما حدث له من الشغل الكثير يمنعه من القيام بكل ما تقتضيه ولكنه لا يزال يبادر الله وقد اخير قسم بك أمين وكيلا للجنة بعده وهو قريبه في المهنة زياتر يرحى - يكون الرئيس من الامراء وعلى الله المتكفل في نجاح العمل

أشارتكم الجريئة

كيف يكون النقد (*)

﴿ كلام في كتاب التعليم والارشاد ﴾

— وسائل شتى —

وقع نظري على كتاب ظهر في هذه الايام عنوانه « التعليم والارشاد » كتبه « السيد محمد بدر الدين الحلبي » قرأته فسرني ان مؤلفه كتبه بتفكر والمثكرون قليل ولم يسؤني ان كثيراً من نتاج ذلك الفكر تأباه الادلة وتكره معارف العارفين لان المؤلف ليس أول واحد ذهل أو أخطأ بل بنو آدم شرع في وقوع الخطأ منهم ولا يخلص من مثل هذا إلا من أخلصهم الله من عباده المصطفين .
وسرني ان كاتبه لم يأب ان تنتقد آراؤه التي حررها فلماذا أقدمت على مالا يسوءه من قد هذا الكتاب .

اشتهر عند الناس ان معنى النقد والانتقاد هو الذم والطعن وليس كذلك وانما النقد هو التمييز وكشف خوافي الشيء وتعرّف الحيد والردية فقد تنقد الشيء فتقول هو حسن وقد تنقده فتقول هو ردي . وقد تقول غب النقد ان فيه ما يصلح وما لا يصلح . وفوائده كثيرة أهمها حمل السكاكين على التعري والابادة ومحاسبة أنفسهم على ما يكتبون وذلك مدعاة الكمال

والذين يقولون في آراء الناس هذا خطأ وهذا صواب قد كتب المدل عليهم ان ينظروا بالتي هي أحسن نقول الناس في آرائهم ولا أرى مؤلف هذا الكتاب إلا من أهل المدل من أجل ذلك أطمع ان ينظر الى قولي في آرائه بالتي هي أحسن .

« كتب هذا النقد صديقا الشيخ عبد الحيد الزهراوي المحصي نزيل القاهرة وهو صاحب مقالات (نظام الحب والبغض) التي نشرت في مجلـ المنار السادس والمقالات التي نشرت بتوقيع (ز) في المؤيد من عهد قريب وهو من العلماء المصلحين والكتاب الاجتماعيين

ولو كان خطأ المؤلف مما لا يحصى كبعض المؤلفات لا صرفت شيئاً من الوقت في
قد كتابه ولكن ما هنالك من ذهول أو خطأ نراه يده والخطأ المدود لا ينقص
قيمة صاحبه .

وقد يكون الخطأ بالمحصى ولكنه كثير فلا يستطيع المحصى ان يحيط به كله وهذا
ثاني في هذا الكتاب فقد تتبعته فوجدت الخطأ فيه كثيراً ورأيت الاحاطة بالكل
سببة فاقصرت على المهم وهو في نحو ثلاثين موضعاً

ومن استكثر ثلاثين خطأ كبيراً في كتاب صغير كل ما فيه اناسه وأبدأ أعاد
في وصف حال التعليم قد يقول ان هذا الكتاب مملوء غلطاً فقولوا لهذا ان
الكتاب يشفع له اهتمام المؤلف بهذا الموضوع ومشاركة مؤلفه وهو أزهري للذين
ينادون على الأزهري بالعبوب وقد أسلفنا ان الخطأ المحصى لا يستدعي انصراف النظر
وانما يستدعي التذكير وهو ما أردنا بهذا التحرير .

(التناقض الذي هو في الكتاب)

رأيت كثيراً من التناقض في عبارات المؤلفين ولكن لم أر أغرب مما في هذا
الكتاب من التناقض لانني صادفت مؤلفين تطول عليهم المسافة بين موضع وموضع
من مواضع الكلام فيأتون في كل موضع بكلام ينقض ما أبرموه في الموضوع الآخر
وهنا صادفت التناقض في الموضوع الواحد والعبارة الواحدة وصادفته في صفحة والتي
بعدها وصادفته فيما هو أبعد من هذا ولكنه بعد لا يمتد به

والذي أحاط به احصائي من مناقضات هذا الكتاب يجده المطلع كما وجدته
في خمسة مواضع

— الاول —

ذكر في أول التمهيد في عبارة واحدة من غير اتصال ان وظيفة الدعوة
الى الدين « غير موجودة » عندنا معشر المسلمين وفي العبارة نفسها ذكر انها
« موجودة » وهذه عبارته (ص ٩) ليس يشك أحد في ان لكل دين من الاديان
حجة ومرشدين ودعاة وفي (ص ١٠) لانعرف للدعاة اسماً عرفياً
يخصهم عندنا نحن المسلمين « اذ ليس لهم وجود » حتي يضع لهم العرف اسماً
لا أقول ان رجال كل فريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة

من هذه الوظائف الثلاث رجالا غير رجال الوظيفة الاخرى وانما أقول ان « هذه الوظائف الثلاث موجودة » عند أهل كل دين من الاديان .
هذه عباراته ولا أرى أحداً مهما ضف فهمه يجهل ان بين كلمة « موجودة »
« وغير موجودة » تناقضاً صريحاً لا يحتمل التأويل ولا يحتاج لاقامة دليل .

— الثاني —

ذكر في موضع ان التعليم في مصر خير منه في البلاد الاسلامية كلها وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند طلبة الاتراك أحسن منها عند المصريين وذكر في موضع ان نتائج التعليم عند أهل الشام وأهل العراق أحسن منها عند المصريين وهذه عبارته :

قال في (ص ٦٨) ومن ذلك ترى ان نتائج التعليم عندهم (يعني طلبة الاتراك) أحسن منها عند المصريين فالطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة اربع سنوات بحيث يتمكن ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً عن اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك على حين ان الطالب المصري بعد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل التدرة والشذوذ .

وقال في (ص ٦٩) ونتائج التعليم عندهم (يعني أهل الشام والعراق) أحسن منها وأوفر منها عند المصريين لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل .

ثم قال في (ص ٨٥) واذا كان هذا حال العلم والتعليم بمصر وهذه درجته في الاختلال وكان على علاته بمصر خيراً منه في سائر البقاع الاسلامية من الشام والعرب والعراق والهند وتركستان وبخارا وقازان والروم ايلي والاناتول فكيف ترى حالة العلم في البلاد الاسلامية وهل شيء يساويها اعتلالاً واختلالاً

ثم قال (في ص ٨٨) ولقد كانت الحالة العلمية في البلاد الاسلامية وفي مصر بنوع اخص في درجة سيئة جداً

— الثالث —

ذكر في فصل خرج به عن الموضوع من كلام طويل في (ص ١١٣) أن المسلمين لا توجد فضيلة توجد في أمة من الامم الا وهي موجودة عندهم وما من ذيلة توجد

في المسلمين الا وهي موجودة عند الامم الاخرى وفي آخر الباردة الطويلة قفها من حيث لا يشعر بقوله « فليس في الحقيقة من ذنب لهم سوى انهم قراء أفذاذ لا رابطات تربطهم ولا جامعة تجمعهم » بل قد قضا بكتابه كله من أوله الى آخره لأنه ناطق بمبلغ الجهل الذي وصلوا اليه وليت شعري أي عيب أكبر من الجهل وإية أمة من أمم أوربا يشينها من الجهل ما يشين هذه الأمة المسكينة ، أليس هذا المؤلف نفسه يقول (في ص ١١) : ان وظائف التعليم والارشاد والدعوة أصبحت معقدة مختلفة فإذا يصلح الفساد اذا فسد في الأمة أهل هذه الوظائف - كما يقول - وهم الملح ؟ أليس المؤلف نفسه يشكو من هذا الفساد العام ؟ أما هو القائل (في ص ٤١) : وأصبحت مصالح العباد مهجورة والحقوق مهدرة والمستجير بأحدهما (يعني القانون الوضعي والقانون الشرعي) كل مستجير من الرضاء بالنار . وشرح الحالة الحاضرة بأزيد مما اشرنا اليه بشكل جداً والبصير اذا التفت عن يمينه مرة وعن شماله مرة أخرى عرف مقدار الشر والفساد الواقعين على رؤوس العباد : هذا قوله أفلا يجد المرء فيه جواباً على سؤاله الطويل الذي قال فيه : لوبسطنا صفات الكمال واحدة واحدة وسألنا النصف ان يذكر لنا أي صفة من هذه الصفات تجرد عنها المسلمون لم يجد واحدة يقال انهم قد تجردوا عنها . . .

كلا بل يجد جملة لا واحدة وكتابك يا صاحبنا شاهد على البعض من هذا الجملة . وكتابك كله ينقض قولك هنا ولقد أجدت في هذه الخطبة التي اسبغت فيها ولكن فإنتك انظر الي سر هذا الفقر الذي ذكرت ، وسبب هذا التمزق الذي وحفت ، وليس هذا هو الذنب كما قلت بل هو من آثار الذنوب ، ومن نتائج السيوب ، وأبو الكل الجهل وكفى

- الرابع -

قوله (ص ١٦٤) في علم التوحيد انه من العلوم المضرة وأنه يجب تركه والاعراض عنه كلية وقد سبق قوله فيه (ص ١٣٤) انه والفقه هما العلمان الوحيدان المقصودان لذاتيهما وكل ما عداهما من العلوم فإتسا هو وسيلة اليهما أو وسيلة لما هو وسيلة اليهما وقال (في ص ١٣٥) انا تدبرت هذه المقدمة التي ذكرناها لك علمتان جميع أصناف

العلوم الشرعية كلها آلات لِم الفقه والتوحيد وليس غيرهما ينهما من علوم المقاصد .

- الحامس -

قال (ص ٢٢٠) في المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده أنه كان ذا قريظ في أمر العلوم الشرعية ومبالغاً في قلة العناية بها . وقضه بقوله فيه (ص ١٢٢) أنه اشتغل مدة حياته بأحياء العلوم الاسلامية .

هذه هي المناقضات الصريحة وما نظها وقت منه الا ذهولاً ولئن أزعج هذا الانتقاد نفس المؤلف فان الارتجاج في مثل هذا نافع فمن وطن نفسه على مرارة الانتقاد فكانت علاجاً لذهوله كان ذلك خيراً له من الابهاء وطموح الشهوة بالنفس الى طلب حلاوة التعرّيف التي قد تضر بصحة النية والله ولينا وبه الاستهداء وكلنا يقع منا الذهول وقد سلف هذا وانما أعدناه قماً لعادة النفس فمن شأنها الابهاء على المذكرين . ونع هذه المناقضات الخمس ترى في البارات التي حوتها كثير آمن الخطأ فتعده تاباً لما قبله

(الخطأ السادس والسابع)

- والثامن والتاسع -

كلها في قوله (ص ٩) أنه لا يشك أحد في ان لكل دين من الاديان حملة ومرشدين ودعاة (١) ففي نفي الشك من كل أحد بهذا المعنى خطأ لأنه ليس من المعاني التي يجزم كل أحد بها جزءاً باتاً عاماً لعدم الاستقراء (٢) في دعوى وجود هذه الوظائف الثلاث في كل دين خطأ لأنه ان قصد ان الاديان نفسها تنص على هذه الوظائف الثلاث فذلك غير صحيح لان ديننا وهو الذي يصح لنا وله ان ندعي المعرفة فقط نجد على أمره بالدعوة والتبليغ لا ينص على هذه الوظائف الثلاث لا بإسمائها ولا بالتفريق بين معنى واحدة والاخرى وأظن ان المؤلف لا يسرف ديناً آخر غير هذا الدين فلم أدر كيف حكم على الاديان كلها وهو يحجل أسماءها دع عنك ما تنطوي عليه . وان قصد ان هذه الوظائف الثلاث موجودة في الواقع عند أهل كل دين فهو كذلك غير صحيح وقد شهد نفسه أن وظيفة الدعوة غير موجودة عند المسلمين وليلم أنها غير موجودة عند اليهود فكأنها وأها موجودة عند النصارى

ظن انها موجودة مع نيتك الوظيفة التي سبها عند أهل دين (٣) وفي هرقة بين وظيفة الحملة والمرشدين خطأ لأن الحملة ان اوا ما تحملوا يكون قد أرشدوا أو دعوا وان لم يؤدوا لم تكن لمرقهم ثمرة فلموا أصحاب وعلية والمرشدون والدعاة اذا كانوا علماء فهم من الحملة وان لم يكونوا من الحملة لم يكونوا من المرشدين ولا الدعاة بل من الفاشين الوضاعين المقتربين من الدين - كما وصفهم هو - والفس والاضلال والافتراء على الدين متى كان وظاقت في الدين ؟ (٤) في ابهام الناس ان المؤلف يعرف كل الأديان خطأ غير . وهناك خطأاً نصحه عليه وهو التكرير في قوله « لا أقول ان رجال كسريق من الثلاثة غير رجال الفريق الاول وان لكل وظيفة من هذه الوظائف . الثلاث رجالاً غير رجال الوظيفة الاخرى » فليتأمل وليتأمل معه من . ممن يكابر في ان هذا ليس بتكرير . ففي هذه العبارة الواحدة ثمة من الخ . بل يكاد اذا ضمنا الى ما ذكرنا هنا التناقض الذي أو ضحنا ان يكون في كما بكمة من كتابها خطأ وهي أول عبارة في التمهيد .

(الخطأ العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر)

- والرابع عشر -

(١) في قوله (ص ٦٨) ان نتائج التعليم عند طلبة الاراك أحسن منها عند المصريين و(٢) في قوله ان الطالب التركي يتعلم اللغة العربية وطرفاً من قواعدها في مدة أربع سنوات بحيث يمكنه ان يتكلم باللغة العربية الفصحى كلاماً خالياً من اللحن وان وجد قليلاً وان كتب فكذلك . و(٣) في قوله ان الطالب المصري بسد عشر سنوات لا يمكنه ذلك الا على سبيل التدرج والشدوذ . و(٤) في قوله (ص ٨٥) « ان حال العلم والتعليم في مصر على اعتلاله خير منه في سائر البقاع الاسلامية . وفي قوله « ص ٦٩ » ان نتائج التعليم عند أهل الشام والعراق أحسن منها وأوفر عند المصريين لان لهم بض غناية بتطبيق العلم على العمل . و« ٥ » في ادعائه ان هناك نتائج حسنة لهذا التعليم مع مناقضة هذه الدعوى لكتابه كله من أول الى آخره . قد سلف التنبيه على مافي هذه الجمل من المناقضات والآن نين مافيها من الخطأ في هذه الاحكام التي ادعاها

أما قوله ان نتائج التعليم عند طلبة الاراك أحسن منها عند المصريين فغير صحيح

وأكثر ما يقع صحتنا في الخطأ العجلة في الحكم في الكليات مع عدم الاستقرار البتة فإن سكن صاحبنا لم الاستانة وهي أكبر بلد من بلاد الاتراك الجامعة للمعاهد العلم الكبرى فالبنية عظيمة في الحكم على الشيء من غير معرفة البتة وإن كان قد زارها وعرف حال الة هناك ثم حكم هذا الحكم قلبية أعظم

إن العاجز محرر هذه السطور قد أقام في الاستانة سنين وسبر طبقات الناس فيها ومنهم طبقة الطلبة وأسائذ الطلبة وكنا منذ سنين نكتب ما نعلمه في موضوعه هذا من أوله الى آخره في المعلومات وغيرها من الصحف المنتشرة منها مقالات في العلم والتعليم نشرناها في ثمرات القنون بغير حياء فالذي نعرفه يخالف ما حكم به صاحبنا بيد أن الفرق بين رأينا ورأيه هو أن أحدا مني على التزوي وشيء من الاستقرار والآخر ليس كذلك فأحدهما هو الذي يظن أن القاري أنه الصواب فأيهما رأي صاحبنا ؟

قبل كل شيء نقول لصاحبنا ولمن يتلو مقالنا هذا ان التعليقنا أعلمه من البلاد الاسلامية كله ردي. وأعلم منها حق العلم حال أكثر بلاد الشام وعاصمتها البلاد المصرية وعاصمة بلاد الترك وأعلم بض العلم شيئا من حال التعليم في العراق وفارس والافغان والهند وتونس وقفقاسيا ولا أعلم حاله في الجزائر ولا في المغرب الاقصى ولكنني أظنه أردأ وأرذل. أقول كله ردي بحيث لا يصح ان يقال أنه في بلد خير منه في بلد أخرى. ثم أقول إن مقال المؤلف من أن الطالب التركي تعلم العربية في أربع سنين بحيث يقرأ صحيحاً ويكتب صحيحاً إنما يصح إذا كان هذا كرامة من كرامات الاولياء لبعض المعلمين أو المتعلمين والكرامة كما يعرفها الناس خارقة للعادة فإذا لم يكن ثمة من كرامة ورجعنا الى العادة فالعادة أن الطلبة في الاستانة ولا أبرى عددهم يقل عن خمسة عشر ألفا لا ينبغي فيهم خمسة عشر طالبا في كل خمس عشرة سنة يقرأون قراءة صحيحة أما من يكتبون كتابة صحيحة فطالب صاحبنا بواحد منهم في كل خمسين سنة نسامح المؤلف في كل شيء إذا كان يهدينا الى كاتب مجيد باللغة العربية من طلبة الاتراك من خمسين سنة الى الآن . لعمرك إن في قوله هذا مبالغة لأغرب منها إلا المبالغة الثانية عند مقابلة المصريين بهم بأن المصري لا يحصل في عشر سنين ما يحصله التركي في أربع ..

وبما رأيت أن الطالب المصري لا يحصل المطلوب في عشر سنين على هذه الطريقة

الموجه ولكن الذي لأراد هو ما صنعه المؤلف بهذه المبالغة عند المقابلة بين المصري والتركي . على أتي مع هذا الانكار لا أدخل في المناقشة بين ذكاء التركي والمصري وإنما المناقشة بصدد طريقة التعليم لهذا وذلك وهي عوجه هنا وهناك فلم هذا التفريق العظيم والشأن واحد . وكذلك غير صحيح قوله : « ان نتائج التعليم في الشام والعراق أحسن منها في مصر لان لهم بعض عناية بتطبيق العلم على العمل » :

فأما الشام ففيها نشأتنا وأياها سبرنا وما عهدنا للناس هناك طريقة غير طريقة المصريين في تعليم العربية والدين وهما اللذان يريدان المؤلفان أنهما لا يقرأ أكرمهم الله واختصهم بناية منه نشأوا في التعلم على غير ما ينشأ الأقران ' فاقطفوا شتاً من ثمرات العرفان في قليل من الزمان ' ثم استنارت عقولهم فبرزوا الصحيح من الفاسد ' والراجح من الكاسد ' وهؤلاء قليل والقليل هداك الله لا تبنى عليه الاحكام العامة ' ولا تم به المقارنة التامة .

فلم تمتاز الشام - ونرجو مثل ذلك لمصر - بأنها ليس لها ازهر تحشر فيه هذه القطعان وإنما يتلقى الطلبة هذا العلم هناك على أستاذ في منزله ان كان من أصحاب البيوتات الكريمة والمظاهر الفخيمة أو في حجرة من حجرات المدارس ان كان الأستاذ أقل من ذلك مظهرأ وقد نجد بعض العلماء يلقي دروساً في هذه العلوم على من يشاء في محل من حانوت مجارته ان كان من التجار وذلك لان العلماء في بعض بلدان الشام يحترفون بالتجارة ويفرون من البطالة أو الارتزاق من الاوقاف نكرة الازهر من الخافقة و تراهم فلا يملكونهم التمييز بالعلامة كتوسيم الاكام وتعميم العمامة وجملة القول ان لا فرق بين البلدين الا بالازهر والتقليل من الحواشي في الشام واما التحصيل وعدمه فالحصل في الشام كالحصل في مصر لا يفضل في الشام كالمقصر في مصر لا ينقص عنه ' والحاصلون قليل في البلدين ' والمقصورون فيهما هم الاكثرون . واما العراق فقد خالنا كثيراً من فضلائه المطلقين على الأحوال فابنأنا بأن حال التعليم هناك كحال في الشام حذو العين بالعين ' وانه لا فرق في شيء من هذا بين البلدين ' والادلة من الواقع تؤيد ما سمعنا منهم فقد رأينا جملة من حلة العلوم هناك جملة من الكتب في جملة من فون العلم فالفينا ما رأينا كما سمعنا وبعد فقد عرفت أيها القاريء انه لا طلبة الشام والعراق والترك يفضلون طلبة مصر كما قال ولا طلبة مصر يفضلون طلبة كل البلاد الاسلامية كما قال والله أعلم بالحال والمآل . (للاقتاد بقية)

- * ديوان الراعي * -

قال في أول باب التهذيب والحكمة من قصيدة في حال مصر الاجتماعية

على أي دهر مصر لا تنظم وفي أي دهر مصر لا تنظم
بنوها بنوها أيما تك صدمة قلبهم للعانيين فهم م
وما يتقون البؤس لكنهم منى نعض بهم انباه يتألموا
ويطروم عهد الرخاء فان مضى فهل عليهم بعد أن يتندموا
كذي مرض في جاهلي الطب ان يمش يمد به أهله والا ترجوا
وما برحوا إن خاذلهم ظنونهم وأعمالهم مدوا المنى وتوهموا
وان سقت آراؤهم في ملة تحمل فيها الظن والظن أسقم
فرادى وأحداث الزمان جيمة وقد علوا سر الزمان وعلوا
فن حادث في حادث عند حادث كألك للأحداث يا مصر معجم

* *

وما يزيد الهم لفا وحسرة نصايح فتان بنا أن تقدموا
فسيحانك اللهم بلبت قومنا فأيهم المسكين فينا المنعم
يريدون أن يجري إلى مرتقى العلا رجال ضعاف ان جروا يتعطوا
ويصفون ان نرتقي وهاتيك حالنا وما عندنا الا لأسفل سلم
كن يكره الاطفال ان يحفظوا الذي يكلمهم من قبل ان يتكلموا
ومن أقر السفن المناع بمصنع ولما يشوها فكيف نعوهم
وقال من قصيدة غزلية

كم تحبني التي أحب وعندي أن بعض العصيان كالطاعات
ان رأني يلق ناقوس قلبي من جفاها كدقة الأموات
فهي ظلمة الليالي اذا ما غشت الارض والسما هنواتي
أوليس الظلام يعقبه الصبح وتعمى الآيات بالآيات
غير اني لو كانت الشهب أقل مي وكان الظلام جبر دواتي

ووصفت الذي أقاسي من الحب وكان الوجود من صفحتي
 لا نظوى الكون ثم أبصرت في آخر أوراقه (البقية تأتي)
 هذا واني لا أتكلم في انتقاد الديوان ولكنني أنصح للناظم ان يفكر عند
 النظم أو عند التنقيح في معاني الايات التي تبقى بعد القراءة في ذهن القارئ
 لاني التأثير فقط فان من تخيلانه أو من أياها ما يروع لفظه وسبكه السمع حتى
 اذا تأمله القارئ لم يجد له معنى يستقر عنده الفهم

﴿ سقوط نابليون الثالث ﴾

قصة سياسية غرامية ورجعها عن الفرنسية نقولاً أفندي رزق الله مدير أعمال جريدتي
 الاهرام العربية والفرنسية وطبعها على نفقته خليل بك صادق صاحب مسامرات
 الشعب فكانت ثلاثة أجزاء . ومن قرأ القصة بإيمان واعتبار يرى فيها فائدتين
 احدهما سياسية وهي ما تمثله القصة للذهن من رياء الملوك وأعوانهم بظهورهم للناس
 بلباس العدل والنفاني في حب الأمة والقيام بمصالح الدولة وهم اذ اخلوا بأنفسهم
 لم يكن لهم هم الا الاتجار بتلك المصالح ومحاربة الأمة بالحيل والانسائس فجميع
 بطانة نابليون كانوا من الأشرار المتونين بجميع المال الحرام وكل السحت المحاذين
 للأحرار والاعيان الذين يتعاونون في إعلاء شأن الأمة الفرنسية . وكانوا في مطاردتهم
 لهم وإيقاعهم بهم يطبقون أعمالهم على القانون بالانسائس والحيل والتزوير والحتل
 وما أنسى لا أنسى ذلك الذي ألف كتابا في مفاصد الفمار فأحسن مكافأته نابليون
 وأظهر للناس أنه يريد بذلك أن تكثر أمثال هذه المؤلفات التي تظلم البلاد من
 هذا الفساد ولو صدق وأخلص لظهر قصره منه فإنه كان أكبر بيوت القمار في الدنيا
 وهكذا شأن الملوك وأعوانهم مادام لهم سلطة شخصية من دون الأمة

والغزوة الثانية حكاية ذلك الرجل الذي كان خادما في الاصطبل فارتقى
 بمجده وكده حتى صار عالما سياسيا وغنيا سخييا وفاضلا وفيما يخارب دسائس حزب العاهل
 العظيم حتى فاز بمراذه، وثار له حسنين الى أهله وأولاده، فسيروا مثل هذا الرجل فتمرك
 همة المستعد للاستقلال ، حتى ينهض بجلائل الأعمال، ويؤمن القصة ثلاثون قرشا صحيحا

بَابُ الْحَبِيبِ وَالْإِذَاءِ

﴿ كلمات في الاستاذ الامام - ذكرنا بعضها في ترجمته ﴾

قال ابراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية ان الناس لا يعرفون قدر الشيخ محمد عبده الا بعد ثمانين سنة (يعني ان كل ماضور من اجلال الامة له حيا ومينا دون قدره) .

وقال المشير أحمد مختار باشا الغازي : انني أعتقد أن دماغ هذا الرجل هو أعظم دماغ عرف ولو وزن لرجيح بكل دماغ من أدمغة الرجال العظام الذين عرفوا الفرنج وزن أدهمتهم . وقال لما قرأت في الجرائد خبر موته (وكان في أوريا) ضاق علي المكان الذي كنت فيه لان الحسارة بفقدته لا عوض عنها

وقال رياض باشا وزير مصر الاكبر للشيخ عبد الرحمن الدمرداش وكان ملازما لفراش المقيسد في مرض موته : اننا كنا شاكرين لك فانك لا تخدع رجلا وانما أنت تخدع الامة في هذا الرجل . وقال في موته : خسارة لا تتوض وقال اللورد كرومر ان هذا الرجل لا ذنب له الا أنه أتور أهل بلاده . وقد قال له بعض وجهاء المصريين مرة ان كل أعمال جنابكم محصورة في إصلاح الحكومة فرغب اليكم ان تعملوا عملا ترقية المسلمين في مصر فانهم لم يتعودوا الأعمال الاجتماعية . فقال اللورد اعملوا انتم وعلي أن أساعدكم فن لا يرقى نفسه لا يرقى غيره . قال المصري أنه ليس عندنا رجال يهمهم أمر الامة ويقعدرون على العمل النافع لها . فقال اللورد بل عندكم رجالان غيران مقتدران وهما الشيخ محمد عبده ورياض باشا فساعدهما بالمال وهما يعملان البلاد ما تحتاج اليه من الترقى : أو ما هذا معناه وبلغنا أنه قال في جواب من قال ان الشيخ محمد عبده متهاون بالدين : انه بالعكس متعصب للدين ولكن بمقل

وقال الشيخ محمد توفيق البكري ان الفراغ الذي تركه الشيخ محمد عبده لا

بعلاه شيء فقد كان كما قال المتنبي (ملء السهل والجبل) وقال عجبت للموت
كيف تجرأ على الشيخ محمد عبده . وقال لو ترك الشيخ محمد عبده منصبه واشتغل
بنفسه للأمة لأحدث انقلابا عظيما

وقال الدكتور يعقوب أفندي صروف بعد ان سمع المؤمنون عند القبر يكررون
كلمة فقيد مصر وفقيد الاسلام اننا لانرضى ان يكون فقيدكم وحدكم بل نقول إنه
أكبر من ذلك أنه فقيد الشرق كله

﴿ دولتنا الاسلام ، تركيا وايران ﴾

يا حسرة على المسلمين ، ماذا يلاقون من البلاء المبين ، وأكثروهم عن مثاره
غافلون ، لم يكده تستمتع منهم الآذان ، بنعمة وضع القوانين لإصلاح حكومة ايران ،
حتى صحتها أخبار اعتداء الدولة التركية ، على حدود شقيقتها الفارسية ، حتى كأنها
تريد أن تشغلها عن إصلاح شأنها ، أو تنتقم منها اذا هي أصرت على عزها ، أو
كأن خذلان المسلمين قضى بأن يكون بأسهم بينهم شديدا وان ينتقم بعضهم من
بعض حتى لا يتعب عدوهم في التنكيل بهم والقضاء عليهم بل تكون بلادهم غنية
باردة له . والا فما لنا الآن ولحشر الجيوش على حدود جارتنا وشقيقتنا
ولا اعتدائنا على جزء من أرضها ونحن مرطمون في فتنة اليمن الذي توالى السنين
ولم نزل من التأثيرين فيها متالا ، بل كانت الحرب بيننا سجالا ، وكان من أثر ظلمنا
لا أنفسنا ان نسفك دماءنا بسيوفنا ، ونحترق بيوتنا بأيدينا

يا حسرة على المسلمين أضعوا دينهم فأضاع الله دنياهم ومزق ملكهم حتى
صاروا شرا على أنفسهم من أعدى أعدائهم ، وسوادهم الاعظم لا يدري من أين
جاءه هذه البلايا ، ونزلت به هذه الرزايا ، فهو يتهم بها البراء ويرى الجناة
الظالمين ، وهل هم غير الرؤساء المستبدين ؟

هؤلاء مسلمو الترك والفرس يناوش بعضهم بعضا والدول الأوروبية تتحد
عليهم فهل يستطيع المسلمون ان يحكموا فيهم قول الله تعالى (٩:٤٩) وإن طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي

تبغي حتى تأتي إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) ؟ كيف وهذا القول الحكيم مبني على أساس حكم الإسلام وهو كون حكم المسلمين شوري بينهم لا يستبد به فرد من الأفراد . ونحمد الله إن القتال لم يمتد ونسأله أن يهب للفرقة بين التوفيق للوافق حتى لا تمتد الفتنة .

❦ الامتحان في الجامع الأزهر ❦

ألفت إدارة الأزهر ثلاث لجان أو أربعة لامتحان الذين أنعموا على الدراسة وهم كثيرون جدا فامتنع كثيرون من كبار الشيوخ إن يكونوا من أعضائها لأن الشيخ شاكر نائب شيخ الأزهر هو المؤلف لها والرقيب عليها فكان أكثر أعضائها من غير المشهورين ومنهم من صاروا مدرسين من عهد قريب ولكن هذه اللجان قامت بالامتحان بنظام وإهتمام وقد رأينا الأزهر بين المنصفين بفضولون نظام هذا الامتحان على ما كان قبله ولم نسمع الآن ما كنا نسمعه في السنة (الدراسية) الماضية من أخبار المحاباة والرشوة والفضل في ذلك لمراقبة الشيخ شاكر ويظن أنه الشكر والثناء الحسن . ولعل ماسمعه من أخبار الساهل وإعطاء الدرجات لأفراد لا يستحقونها مبالغ فيه ولعل الشيخ شاكر يعني بتحقيق الحق في ذلك

❦ أخبار نجد ❦

كان عدد الجنود الذين أرسلتهم الدولة العلية إلى نجد ستة آلاف جندي فكان من شأن فيضي باشا ما ذكرناه في أجزاء السنة الماضية ومن أمر سامي باشا ما ذكرناه في الجزء السابع من هذه السنة ونقول الآن أن الجوع برح بأولئك الجنود حتى كانوا يجمعون الحنظل من القفر ويستخرجون بذره فيقلونه على النار حتى تخف مرارته فيقبلون به ولكن سمه يفعل في أحشائهم فعله وما زال الجوع والعري وسم الحنظل تقتك بهم حتى لم يبق منهم إلا ألف وثمان مئة رجل فأشفق عليهم الأمير ابن سعود فأعطاهم رواحل نقلت سبع مئة منهم إلى البصرة والباقي إلى المدينة المنورة

المسحاة

١٣١٥

فجر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خبراً كبيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و« منارا » كثر الطريق

﴿ مصر في ذي القعدة سنة ١٣٢٤ — أوله الاثنين ١٧ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الاصول والعقائد

﴿ فاتحة كتاب محاورات المصلح والمقلد ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * (سورة الزمر - ٣٩ : ١٨)

الهم اجعلنا من عبادك الهادين المهديين ، واجعلنا من الأئمة الوارثين ، الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، وصل وسلم اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين ، ومن تبعهم بهديهم الى يوم الدين ، وبعد فإن الله تعالى جلت حكمته ، وعلت كلمته ، ووسعت كل شيء رحمته ، قد أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس واصلاح شأنهم في معاشهم ، واعدادهم للسعادة في معادهم ، وقد مضت سنته في البشر ان يرتقي نوعهم بالتدريج كما يرتقي أفرادهم من طفولية الى تمييز الى رشد وعقل . لذلك جعل خطاب الرسل لهم في كل طور على حسب استعدادهم لخطابهم طوراً بما يناسب مدركات الحس ، وطوراً بما يناسب وجدان النفس ، وحملهم أولاً على الطاعة بالقهر والالزام ، وجذبهم اليها ثانياً بالاقناع وضرب الأمثال : حتى اذا ما ارتقت عقولهم بتقلب الزمان ، واستعدوا لتحكيم العقل في مدركات الحس والوجدان ، بعث فيهم خاتم النبيين والمرسلين ، الذي جعل الفكر والنظر أساس الدين ، نبي جاء بالبينات والهدى ، وكتاب نهى عن التقليد واتباع الهوى ، وعظم شأن العقل وجعله

(المجلد التاسع) (١٠٣) (التاريخ ١١)

هو المخاطب بفهم النقل ، فامتاز دينه على سائر الأديان ، بأنه دين الحجة والبرهان ، الناعي على متبعي الاوهام الظنون ، بأنهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ، بل وصفهم بمثل قوله « صَمُّكُمْ عُنِيَ قَهْمٌ لَا يَرْجِعُونَ » وقوله « إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ بِكَ هُمْ الضَّالُّونَ »

كتاب احتج على صحة العقائد بآيات الله في الآثس والآفاق ، وبين فوائد مادعا اليه من العبادة ومكارم الاخلاق ، وأشار الى مصالح الناس فيما شرعه من الأحكام والسنن ، ونبه على مفاسد ما حرمه عليهم من المنكرات والقواش ما ظهر منها وما بطن ، فهدى الناس بذلك وبدعوتهم الى ان يكونوا على بصيرة في دينهم وعلى بينة منه وبجمله دين الفطرة وبني الجرح والاعنات عنهم فيه وبجمله يسراً لآعسراً وبالآكتفاء منهم بما يستطيعون منه وبتقرير غناه سبحانه عن العالمين - هداهم بذلك كله الى انه ينبغي لهم بل يجب عليهم ان يفقهوا حكمة جميع ما خوطبوا به ووجه كونه مصلحة لهم ووسيلة لسعادتهم وتركه مدرجة لتسادم وشقتهم (١٠٨: ١٢) قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ صِدْقٍ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعِي » ووصف من اتبعه بقوله (٧٣: ٢٥) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا)

ان ديناً هذا شأنه يملو عن أن يكون مهياً للأهواء ، أو مثاراً لاختلاف الآراء ، أو مجالا لتحزب العلماء ، أو آلة لسلطان الرؤساء ، فهو الخفية السمحة ليلها كنهارها كما ورد عن جاء به صلى الله عليه وسلم (١٥٣: ٦) وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

يَكُنْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (ثم قال في هذه السورة (١٥٩) إِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (وقال في سورة آل عمران (١٠٣ : ٣) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) الآية ثم قال بعد آية أخرى منها (١٠٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (وقال عز وجل (٣٠ : ٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣١ . يُبَيِّنُ إِلَيْهِ وَاقْفُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٢ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَتَيْتَهُمْ فَرِحُونَ) (وتم آيات أخرى في التفسير عن الفرق والخلاف

ماذا كان من أمر الذين ينتسبون الى هذا الدين ؟ هل ظلوا على البصيرة في دينهم أم تركوها الى التقليد واتباع الآراء وخرأوا عليها صما وعمياناً ؟ هل استقاموا على الصراط المستقيم سبيل الله أم اتبعوا السبل الكثيرة ففترقت بهم عن سبيله ؟ هل ظلوا أمة واحدة محافظة على أخوة الدين أم فرقوا دينهم وصاروا شيعاً كل شيعه تعادي الأخرى لمخالفتها إياها في المذهب ، ومباينتها فيما أحدثت من المشرب ؟

إذا كان الخلاف طبيعياً في البشر ، وكان أقوى سائق لهلاك الأمم إذا تمادت شيع الأمة فيه ولم تعالجه بعلاجه فلماذا لا يرجع المسلمون في كل خلاف يقع الى علاجه الذي بينه الله تعالى في قوله (٥٩ : ٤) فَإِنْ

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ؟

تمزق شغل المسلمين بتنازعهم السياسي الذنبي تبعه التنازع الديني
ففرقوا شيعاً كل شيعة تتحلل مذهباً تتخذ حجة لنفسها على سائر المسلمين
فكان ذلك حجاباً دون رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بتحكيم الكتاب
والسنة فيه اذ جعلوا مذاهبهم أصولاً يرجعون اليها آيات الكتاب وأخبار
السنة بالتأويل وغير التأويل (كدعوى النسخ) . فعلوا ذلك لتقوية
السياسة بالدين فأضاعوا السياسة والدين ، وردوا الأمة أسفل سافلين ،
نفسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ،

أما خسرانهم للدنيا بسوء السياسة فيما أضاعوا من سيادتهم وسلطانهم
فان معظم شعوبهم وبلادهم قد استولى عليها الأجانب وما بقي منها في
أيديهم قد أوغلت السلطة الأجنبية في أحشائه، وهي تهدده بسلب ذمائه،
وأما خسرانهم الآخرة فيما ابتدع جاهيرهم في الدين ، واتبعوا غير سبيل
المؤمنين الأولين ، وهي سبيل الله التي من اتبعها كان على بصيرة من
الله وبرهان ، وما هي الا هداية هذا القرآن ، الذي وصفهم بما لا ينطبق
على جماهير المتأخرين المختلفين ، ووعدهم فآثم بطاعتهم ما سلبه من
الخالفين المخالفين ،

اقرأ في التاريخ حوادث الفتن بين أهل السنة والشيعة والخواارج
بل بين المنتسبين الى السنة بعضهم مع بعض - بين الاشاعرة والحنابلة
بين الحنفية والشافعية بين الشافعية والحنبلية . . . انك ان تقرأ تجد

الجواب عما سألتك عنه ومن أغرب ما تجد أن العدوان بين الشافعية والحنفية كان من أسباب حملة التار على المسلمين وحملهم على تدمير بلادهم تلك الحملة التي كانت أول صدمة صدعت بناء قوة المسلمين صدعاً لم يلتئم من بعده ويعد كما كان ، تلك الحملة التي يتأول بها بعض الناس خروج بأجوج ومأجوج ويقول انهم هم التار

مالك ولمعرفة حال تفرق المسلمين من كتب التاريخ أو من كتب المذاهب ، أدركت في بلادهم اليوم وانظر حال أهل هذه المذاهب على ضعف الدين في نفوس الجماهير تجد بأسهم ينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى كما قال الله تعالى في وصف من لا إيمان لهم ولا أيمان إلا من حفظ الله من أفراد متفرقين يحملون الأذى في سبيل جمع الكلمة وإزالة الخلاف وإعادة الأخوة الدينية إلى ما كانت عليه في أول نشأة الدين أو إلى قريب من ذلك . بل تجد الحنفي في كثير من البلاد لا يصلي مع الشافعي بل تجد من أسباب الخلاف والعداء الشديد كون بعضهم يجهر بآمين وراء الإمام وبعضهم لا يجهر بها أو لا يقولها ، وكون بعضهم يرفع أصبعه عند الاستثناء في شهادة التوحيد وبعضهم لا يرفعه . مثل هذا الخلاف مما يجعل في بعض بلاد الهند فارقا بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال ، ولا غرو فهم عيال على الكتب التي تبحث في كفر من قال أنا مؤمن أن شاء الله كالسلفية والاشاعرة وتقول يجوز تكاح بنت الشافعي قياساً على الذمية !! « ٢٣: ٦٨ أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » ألم يعلم الله بأن يستخلفهم في الأرض كما استخلف

الذين من قبلهم ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وأن يدل خوفهم بالآمن ، وأن لا يحمل للكافرين عليهم سيلاً ؟ بلى ولن يخلف الله وعده وانعام المخلوقين ، « ١١ : ١١٧ وما كَانَ رَبُّكَ لِيُفْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ »

نعم انه لم يزل ولا يزال في هذه الامة قوم ظاهرون على الحق كما ورد الوعد في الحديث ولكن هؤلاء قتلهم أمسوا غرباء كما جاء في حديث آخر وأي غربة أشد من غربة من يوصفون بالكفر والزندقة لانهم يقولون بوجوب اهتداء المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ؟ ألم يكن في بني اسرائيل امة يهدون بالحق وبه يعدلون اذ وصفهم بما وصفهم به من الاعراض عن كتابهم وتحريفه واذا أحل بهم ما أحل من عذاب السبي والاذلال ، وازالة الاستقلال ، ؟ بلى ولكن كان هؤلاء المحقون قليلين فليس لهم أمر يطاع ، ولا هدي يتبع ، فلا أثر لهم في الامة فكانهم ليسوا منها أتى على الامة الاسلامية حين من الدهر لم ينبغ فيها عالم الاوكان في طور كماله أو خاتمة أعماله يأمرها بالاهتداء بالقرآن واتباع سيرة السلف الصالح وناهيك بالامامين الجليلين حجة الاسلام الغزالي وشيخ الاسلام ابن تيمية ومن على شاكلتهما ولكن السلطان كان مؤيداً لعلماء الرسوم وأهل التقليد لانهم آلة السياسة ، وأعوان الرياسة فكان صوت المصلحين بينهم خافتاً ، ومقامهم خافياً ، حتى اذا اشتهر لهم كتاب أحرق كما أحرق كتاب احياء علوم الدين ، أو رفع شجاع صوته بالدعوة ألقى في غيابة السجن كما فعلوا بشيخ الاسلام تقي الدين ،

ثم اشتد ضغط السياسة في هذا القرن على أهل العلم والدين في كل

بلاد يحكمها المسلمون فاستيقظ لشدة وطأتها أهل الاستعداد منهم وشعروا بشدة الحاجة إلى الإصلاح قبل أن تجهز على الأمة السياسة الفاسدة وطفقوا يتنسمون ريح الحرية فوجدوها في مثل مصر والهند فأنشأوا يدعون إلى الإصلاح والموفق إن شاء الله تعالى من بدأ بالدعوة إلى الإصلاح الديني اذ عليه يتوقف كل إصلاح ، وهو مفتاح النجاح والفلاح ، لا إصلاح إلا بدعوة ، ولا دعوة إلا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فإغلاق باب التقليد الأعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل إصلاح . وقد كتبنا في مجلة « المنار » التي أنشأناها بمصر في أواخر سنة ١٣١٥ مقالات كثيرة في بيان بطلان التقليد منها ما هو من أنشائنا ومنها ما نقلناه عن الإمام المسلمة ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى . من ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرناها في المجلد الثالث والمجلد الرابع من المجلة وبيننا فيها طرق الاستدلال الصحيح ، وبطلان التقليد ، ووجوب البصيرة في الدين ، واتباع سبيل السلف الصالحين ، وطريق الوحدة الإسلامية ، في المسائل الدينية والسياسية والقضائية ،

كان لهذه المقالات أثر حسن في نفوس أهل البصيرة والفهم حتى كان بعض أساتذة المدارس يقرأ المقالة منها ست مرات . وقد اقترح علينا غير واحد ، من محبي العلم والدين أن نطبع هذه المحاورات في كتاب مستقل فأجبنا طلبهم وأضفنا إلى المحاورات أسئلة في موضوعها وردت علينا من باريس مع أجوبة المنار عليها زيادة في الفائدة فنسأل الله تعالى أن يجعلها خدمة نافعة للمستعدين ، وعملاً خالصاً لوجهه الكريم

(محمد رشيد رضا الحسيني)

فصل المقال في توسل الجبال

ألف الشيخ أبو بكر خوير السكتي أحد علماء مكة المكرمة كتاباً جديداً سماه (فصل المقال وارشاد الضال في توسل الجبال) واسمه يدل على مسجده وقد أحسن فيه ونصر السنة وخال البدعة وقد طبع في هذه الأيام بمطبعة المنار على نفقة الحاج عبد القادر النحاسي النابلسي وأنا نورد خاتمة على سبيل النموذج وهي:

ولنختم هذه المجالة بكلام صديقنا العلامة الشيخ محمد طيب المكي في رسالته في التوحيد فانه خلاصة ما كتبناه فيها قال حرسه الله ووقته: الأمر انه ينبغي أن يعتقد أنه لا تصرف لغير الله سواء كان ذلك التصرف ابتداء أو متباعاً على تصرف آخر كأن يخلق شيئاً ويخلق بذلك شيئاً آخر وهذا هو القول بالاسباب ولكن مع الاعتراف بأن الله قادر على خلقه مع قطع النظر عن السبب أخذاً بعموم قوله تعالى (انما أمرنا شيء اذا أردناه) الآية وايضا فقد نفى الله معاونة غيره له حيث قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات والارض) لاهية كما تزعمه كفار قريش حيث يقولون لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ولا كما تزعمه المعتزلة من أن العبد أعطي قدرة يخلق بها أفعاله ولا كما تزعمه غلاة المتهميين في الاولياء من أن لهم التصرف وان الله أعطاهم تصرفاً في العالم وأنهم يولون ويمزون ويدلون ... ولا أصالة ولا قائل به (وما لهم فيها من شرك) يخلق شيء من أجزاء العالم وفيه رد أيضاً على المعتزلة إذ العبد لو خلق فعلة لكان له في العالم شرك في الجملة (وما له منهم من ظهير) رد على الفلاسفة القائلين بتوسط العقول وعلى كل من يرى مثل

ذلك الرأي (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذله) رد على الذين يقولون
 ما نعبدهم الا ليقربونا عنده زلفى وعلى القائلين ان الصالحين الذين نذهب
 الى قبورهم ونستجير بهم ونستغيث وان لم يكونوا ملاكا ولا ظهراء ولا
 شركاء فهم أصحاب رتب ومقامات عند الله فهم شفعاء فقال « ولا تنفع
 الشفاعة عنده الا لمن أذله » فكيف لنا معرفة من اذله فان نهاية
 ما ثبت من ذلك هو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء والملائكة
 والصالحين يوم القيامة بعد الاذن وبعد أقوال الانبياء نفسي نفسي
 ماعدا نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يثبت أنهم يشفعون في كل مهم بل
 الخلاف واقع في سماعهم النداء وعدمه. وأيضا من أخبرنا بأنهم احباب
 الله على ان الاستشفاع ليس ممن تشافهه ويحييك باني أشفع لك ومع
 ذلك لو قال أشفع لاندري هل تقبل شفاعته أم لا والدعاء مقبول قطعا
 اما في الدنيا أو تعوض عنه في الآخرة على انه من القواعد الشرعية أن
 من أطاع شيئا أو عظمه بغير أمر الله ذمه الله وغضب عليه كما سنقره
 وأيضا من التوحيد الذي يحتاج فيه الى الرسل تخصيصه بالعبادة والدعاء
 قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا - أمران لا تعبدوا الاياه
 - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم
 شرك في السموات اثنوني بكتاب من قبل هذا أو أنارة من علم - فلا
 تدعوا مع الله أحدا - ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وعن ابن
 عباس رضي الله عنه قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال
 (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله
 واذا استعنت فاستعن بالله) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه

الحافظ ابن كثير بأطول من ذلك فن دعا غير الله مستعيناً به أو طالباً منه كمن قال يا شيخ فلان أغثني على سبيل الاستمداد منه فقد دعا غير الله وهذا الدعاء منع عنه الشارع اذ لا يستعان الا بالله (اياك نستعين).

واعلم ان من أطاع من لم يأمر الله بطاعته أو من أمر بطاعته من وجه دون وجه فأطاعه مطلقاً فان الله - مع ذلك المطيع عابداً لذلك المطاع ومتخذة ربا قال الله تعالى { لا تعبدوا الشيطان - يا أبت لا تعبد الشيطان - اتخذوا أجباهم ورهبانهم أرباباً - أرايت من اتخذ إلهه هواه } فاذن ليس لأحد ان يعبد غير الله ولا أن يدعو له وليس العبادة الا نهاية الخضوع والدعاء مخ العبادة وأما من قال أتوسل أو يحق فالعلماء منهم من يحرم ذلك مطلقاً ومنهم من يحمله مكروهاً كما نص عليه في الهداية ومنهم من يجيز التوسل بالاحياء دون الاموات كما فعله عمر رضي الله عنه ومنهم من يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من يجيزه وعلى كل فهو لم يطلبه الشارع منا وقد وقعت فيه شبهة فتركه أولى من هذه الحثية وسدا للذرائع لان الجملة لا يفرقون بين التوسل والاستشفاع والطلب من المتوسل به مع ان الاستشفاع لا يكون الا في يوم مخصوص والطلب من غير الله لا يجوز ولو تأملت الادلة الواردة بالتجوز مع ضعفها فانها لا تفيد الاجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو الوسيلة المقطوع بقربه من الله تعالى وأما غيره فما يدرينا به ومن العجب أن يترك التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ويتوسل بغيره جعلنا الله واياكم من المتبعين لا من المبتدعين انتهى .

وله رسالة مطبوعة في الهند في قول العامة يا شيخ عبد القادر شيء لله ولكثير من علماء بغداد ومصر والشام واليمن والهند اباحات شريفة

في هذا المقام لا نتدر على ارادها في هذه العجالة أما اهل نجد فلهم في ذلك المؤلفات الكثيرة وهم أول من نبه الناس لذلك في القرن الماضي ولقد قال بعض السادة من أهل حضرموت لولم يقبض الله أو تلك القوم لتلك النهضة لمكف الناس على القبور كافة ولم يحصل من العلماء انكار ولا أخذ ورد ولم تتحرك لذلك الافكار . وأما ما دار بينهم وبين الناس من القتال فقد كان سببه من منعهم الحج وتحرش بهم ووصل الى ديارهم فجرأهم حتى حصل ما حصل فلا حول ولا قوة الا بالله ومن نظر في كتبهم عرف ما يفتره الناس في حقهم وأن مرجعهم في الاحكام والاعتقاد الى كتب السنة والتفسير ومذهب الامام احمد وطريقة الشيخين ابن تيمية ونلميذه ابن القيم فهما الفضل على جميع الناس في هذا الباب كما يعترف بذلك أولو الاباب وهذه كتبها قد نشرها الطبع، فنطقت بالحق وقبلها الطبع، فمن أراد الاحتياط ورام التحري والوقوف على الحقيقة فلينظر فيها وفي كلام من انتقد عليهما من المعاصرين لهما وايضا كم بينهم بما وصل اليه من الدليل المحسوس والبرهان، وما صدقه الضمير والوجدان، فان الزمان قد ارتقى بالانسان كما يقتضيه الرقي الطبيعي فزق عنه حجب الاستبداد، وفك عنه قيود الاستعباد، ورجع به الى الحكم بما في الصدر الاول والطبع العربي ولقد تنازل في المحاكمة من يماكم بين غير الاقران، والمعاصرين في الزمان، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين «فاذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم طالب للدليل محكم له متبع للحق حيث كان وأين كان ومع من كان زالت الوحشة وحصلت الالفة ولو خالفك فانه يخالفك ويتركك والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفر بك أو يبدعك بالاحجة وذنبتك رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته

الذميمة فلا تقترب بكثرة هذا الضرب فان الآلاف المؤاتة منهم لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم والواحد من أهل العلم يعدل بملء الأرض منهم « واعلم ان الاجماع والحجة والسواد الاعظم هو العالم صاحب الحق وان كان وحده وان خالفه أهل الأرض قال عمرو بن ميمون الاودي صحبت معاذ باليمن فما فارقت حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده أئمة الناس عبد الله بن مسعود فسمعتة يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوم امن الايام وهو يقول سيلى عليكم ولالة يؤخرون الصلاة على ووقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة قال قلت لأصحاب محمد ما أدري ما تحدثونه قال وما ذلك قلت تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أئمة أهل هذه القرية تدري ما الجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي لفظ آخر فضرِب على فخذني وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى وقال نعيم ابن حماد اذا فسدت الجماعة فمليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان يفسدوا وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ ذكرهما البيهقي وغيره وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الاعظم فقال أتدري من السواد الاعظم هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه فسخ المتخلفون الذين وجعلوا السواد الاعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوا هم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لئلا أهله وتقردهم في الأعصار والامصار قالوا من شذ شذ الله به في النار ١٠٠

عرف المتخلفون أن الشاذ ما خالف الحق وان كان عليه الناس كلهم الا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل الا فرايسرا فكانوا هم الجماعة وكانت القضاة حينئذ ولفقون والخليفة واتباعه كلهم على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع طامعه لذلك فأخذ بالسياط والمقوبة بعد الجبس الطويل فلأله الا الله ما أشبه الديلة بالبارحة وهي السبيل المهيح لاهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها ساقهم وينتظرها خلفهم من المؤمنين { رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً } انتهى ومثل ذلك في كتب الشافعية منهم أبو شامة قال في كتاب البدع والحوادث وحيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك بالحق قليلا والمخالف كثيراً لان الحق الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم نقل عن عمرو بن ميمون عن البيهقي في كتاب المدخل . ومنهم الشعراي قال في كتاب الميزان قال سفيان الثوري المراد بالسواد الاعظم هو من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحدا وفي رواية عنه لو أن فقيها واحدا على رأس الجبل لكان هو الجماعة اه وحسبنا قوله تعالى { ان ابراهيم كان أمة } أي قام بما قامت به الامة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول ان معاذاً كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين تشبها له براهيم كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

فليجتهد طالب الحق ان يعتصم في كل باب من أبواب العلم بأصل .
أثور عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا اشتبه عليه مما قد اختلف فيه

الناس فليدع بما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قام يصلي من الليل « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني ما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم » اهـ

﴿ باب الثلاث ﴾

الأمل وطلب المجد (*)

إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ هُوَ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنَ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ

تلك آيات الكتاب الحكيم، تنبئ عن سر عظيم، اختص الله به الانسان، ورفع به على سائر الالكوان، لينال به المقام المعهود، ويحوز ما عده له العناية الالهية من الكمال اللائق به. راجع نفسك، واصنع لمناجاة مرك، تجد في وجدانك ميلا قويا وحرضا شديدا يدفعك الى طلب المجد وعلم المنزلة في قلوب أبناء جنسك ثم ارفع بصرك الى سواد أمة بنامها تجد مثل ذلك في كلبتها كما هو في آحادها تبثني رفعة المكانة في نفوس الأمم سواها. ذلك أمر فطري جبل الله عليه طبيعة هذا النوع منفردا ومجتما: ليس من السهل على طالب المجد أن يصل الى ما يطلب ولكنه يلاقي في الوصول اليه وعرا في السبل، وعقبات تصد عن المسير، ومع هذا فلا يضعف حرصه، ولا ينقص ميله. يقطع شعابا، ويثاني صعبا، حتى يرقى ذروة المجد، ويتسنى شاطئ العزة، ولو قام في وجهه مانع عن الاسترسال في مسيره والتجأ للسكون رأته يتامل وينضجر كما يتقلب على

(*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الاستاذ الامام

الرمضاء لوسبر الحكيم الخبير أعمال البشر ونسب كل عمل الى غاية العامل منه رأى أن معظمها في طلب الكرامة وعلو المقام كل على حسبه وما يتعلق منها بتقويم المعيشة ليس شيئاً مذكوراً بالنسبة لما يتعلق بشؤون الشرف . هذه خلة ثابتة في الكافة من كل شعب على اختلاف الطبقات من أرباب المهن الى أصحاب الامر والنهي كل ينافس أهل طبقته في أسباب الكرامة بينهم وبأنف من وضعه فيهم ويحرص على ما يحمله في قلوبهم محل الاعتبار حتى اذا بلغ الغاية مما به الرفعة عندهم تخطى حدود تلك الطبقة ودخل في طبقة أخرى ونافس أهلها في الجاه ولا يزال يتبع سيره مادام حيا يخطر في بسيط الارض . ذلك لان الكمال الانساني ليس له حدود لا تحده نهاية وليس في استطاعة أحد من الناس أن يقتنع نفسه ويعتقد أنه بلغ من الكمال حداً ليست بعده غاية . سبحانه الله ماذا أخذت بحجة الشرف من قاب الانسان وماذا ملكت من أهوائه . بعده ثمرة حياته وغايته وجوده حتى أنه يحترق بالحياة عند فقدده والعجز عن دركه، أو عند مسه والخوف من سلبه . أرأيت أن فقيراً ذا أسمال لا يؤبه له اذا اعتدى عليه من تطول يده اليه بفعله تهيئه أو قذفة تشينه يقلبه الغضب للدفاع عن الميزة التي هو فيها فيرتكب مخاطرة ربما تفضي به الى الموت وان القذف أو الاهانة ما تنقصت من طعامه ولا شرابه ولا خشت مضجعه في ميته . آلاف مؤلفة من الناس في الاجيال المختلفة والاجناس المتنوعة ألقوا بأنفسهم الى المهالك وماتوا دفاعاً عن الشرف أو طلباً للكرامة والمجد . جل شأن الله لا يهتأ للانسان طعام ولا شراب ولا يلبس له مضجع الا أن يلحظ فيه ان ما نال منه أعلى مما نال سواه مع وقوف بعض من الناس على ذلك ليعترفوا له بالاعلوبة فيه كأن لذة التغذية والتوليد انما وضعت لتكون وسيلة لذة المياهاة والمفاخرة فما ظنك بسائر اللذائذ . كم يعاني الانسان من التعب البدني وكم يقاسي من مشاق الاسفار وكم يخاطر بروحه في اقتحام الحروب والكفاحات وكم يحتمل في الانقطاع عن اللذات مع التمكن منها كل ذلك لينال شهرة أو ليكسب فخاراً أو ليحفظ ما آتاه الله منه . ما أجل عناية الله بالانسان لا يعيش الا ليشرف فيشرف به العالم وكل لذة له دون الشرف فهي

وسيلة اليه بل الحياة الدنيا هي السبيل الوعرة يسلكها الحي الى ما يستطيع من المجد وفي نهاية الاجل يفارقها ويراهن بما قارب منه ، آسف الفؤاد علي ما قصر عنه .

ما هو المجد الذي يسعى اليه الانسان بالالهام الآتي ويخوض الاخطار في طلبه ويقارع الخطوب في تحصيله ؟ هو شأن نعرف النفوس لصاحبه بالسودد وتذعن له بالاعتلاء وتلقي اليه قياد الطاعة يكون هذا له ولكل من يدخل في نسبته اليه من ذوي قرابته وشيرته وسائر أمتة فتفسد كلمته وكلمة المتصايين به والمتحدين معه في شؤون من سواهم وهو أعظم مكافأة من العزير الحكيم علي ما ناة الاوصاب لتحصيل ذلك الشأن في هذه الحياة الأولى . فما كان يحسبه طالب المجد عائدا الى نفسه بالمنفعة يبارك فيه مدبر الكون فيفيض خيره علي بني جلدته أجمعين . واهاه تلك حكمة بالغة اذا نال الواحد من الامة مطلبه من المجد نالت الامة حظها من السودد نعم وهل نال ما نال الامة من سائر الآحاد منهاه ذلك تقدير العزيز العليم . ماذا يستطيع الجاهد وحده وماذا يكسبه من سعيه ان لم يكن له أعضاء من بني قبيله فمن كان هم أن يصعد الى عرش العزة ويرقى الى ذروة السيادة فعليه أن يهيئ نفسه والمتبعين اليه لتحصيل كل ما يمد في العالم فضيلة وكالا . ما أصعب القيام بخدمة هذا الميل الفطري والالهام الالهي وما أشد ما تحتمل النفوس في قضاء بعض الواجب مما يتصل به وما أعظم الحامل للأنفس علي تجشم المصاعب لنيل ما تميل اليه من هذا الامر الرفيع . ما هذا الباعث الشريف الذي يسهل علي الارواح كل صعب ويقرب كل بعيد ويصغر كل عظيم ويأين كل خشن ويساهيها عن جميع الاكلام وبرضاها بالعرض للتهلكة ومفارقة الحياة فضلا عن بذل كل نفيس والسماح بكل عزيز ؟ هذا الباعث الجليل وهذا الموجب الفعال هو الامل .

الامل ضياء ساطع في ظلام الخطوب ، ومرشد حاذق في بهاء الكروب ، وعلم هاد في مجاميل المشكلات ، وحاكم قاهر للعزائم اذا اعتوتها فجرة ، ومسلخ للهمم ان عرض لها سكون ، ليس الامل هو الامية والتشهي اللذان يلهجها الذهن تارة بعد أخرى ويمر عنهما بلبت لي كذا من الملك وكذا من الفضل مع الركون الى الراحة والاستلقاء علي الفراش والاهوي بما يبعد عن المرغوب كأن صاحبهما يريد

أن يبذل الله ماله في سبيل الإنسان عناية بنفسه الشريفة أو الخسيسة فيسوق اليه ما يهيج بخاطره بدون أن يصيب نعباً أو يلاقى مشقة . إنما الأمل رجاء يتبعه عمل ويصعبه حمل للنفس على المكروه، وعرك لها في المشاق والمتاعب، وتوطئتها للملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، ونهوين كل ملم يعرض لها في سبيل الغرض من الحياة حتى يرسخ في مداركها أن الحياة لنوا إذا لم تنفذ بنيل الأرب فيكون بذل الروح أول خطوة يخطوها القاصد فضلاً عن المال الذي لا يقصد منه الاوقاية بناء الحياة من صدمات حوادث الكون . وكما كان الميل للرفعة أمراً فطرياً كذلك كان الأمل وثقة النفس بالوصول الى غاية سعيها من ودائع الفطرة . غير أن ثبوتهما في فطرة عموم البشر كان داعياً للمزاحات والممانعات فإن كل واحد بما أودع في جبلته يطلب الكرامة والتمكن في قلب الآخر فكل طالب مطلوب ولم يبلغ سعة العقل الإنساني الى درجة تعين لكل فرد من الأفراد عملاً تكون له به المنزلة العليا في جميع النفوس غير ما يكون به للآخر مثل تلك المنزلة حتى يكون جميعهم انجذاباً شرفاء بما يأتون من أعمالهم ولكنهم تزاوجوا في الأعمال كما تزاوجوا في الآمال والاهواء ومسالكهم ضيقة ومشارعهم ضنكة فنشأت تلك المقاومات والمصادمات بين النوع البشري حكمة من الله ليعلم الذين جاهدوا ويعلم الصابرين . فاذا توالى الصدام على شخص أو قوم حدث في الهم ضعف وأصابها انعطاط وحصل الفساد في هذين الحقلين الشريرين (الرجاء وطلب المجد) كما يحصل الفساد في سائر الاخلاق الفاضلة بسوء التربية وربما يؤل الضعف الى اليأس والقنوط (نموذ بالله منهما)

ماذا يكون حال القانطين المنقطعة آمالهم ويحكمون على أنفسهم بالحطة، ويسجلون عليها العجز عن كل رفعة، فيأتون الدنيا بما يطعون الرذائل ولا ينفرون من الاهانة والتحقير بل يوطنون أنفسهم على قبول ما يورجه الهم من ذلك ايضاً كان قسلب منهم جميع الاحساسات والوجدانات الانسانية التي يمتاز بها الانسان على الانعام فيرضون بما ترضى به البهائم فلا يهتمون الا بحاجات قبيحهم وذئبهم ثم ياليتهم يكونون هملاً وسوانب يرعون النبات ويقبضون مواقع القيث ولكنهم وان تركوا

العمل لأنفسهم قاله تعالى يسلم عليهم من يكلفهم بالعمل لنيرهم فيكونون كالنمل
الحالة لا تستفيد مما تحمل شيئاً وظيفتها ان تسعى وتشقى ليسعد غيرها ويستريح
فيالجون العمل في الفلاحة والصناعة وغيرها من الاعمال الشاقة ويدأبون بأشد
مما يدأب العامل لنفسه ثم لا ينالون مما يعملون شيئاً . ثمرات كسبهم بأسرها
محولة الى الذين سادوا عليهم بهمهم (هذا الذي يتجشبه الدليل في ذلك من مشاق
الاعمال ومعاناة المسكارة لو تحمل بعضاً منه في طلب العزة لاصاب حظها منها)
بل تصير درجة القانطين عند من سادوا عليهم أدنى من درجة الحيوانات العاملة
فإن السائدين يشعرون بحكم البسادة أن هؤلاء أسقطوا انفسهم عن منزلة كانوا
يستحقونها بمقتضى الفطرة الانسانية ورضوا لها بما دون حقها بل بما لا يصح أن
يكون من شأنها وكفروا نعمة الله في تكوينهم على الشكل الانساني وايداعهم ما
اودع في أفراد الانسان فيعاملهم أولئك السادات بما لا ياملون به ما يقتنون
من الحيوانات ولنا على ذلك شاهد العيان في الامم التي أدركها اليأس وسقطت
في أيدي الاجانب

ونظن أن يوجد أقوام آخر سامهم ساداتهم في الزمن السابق ويسومونهم
الآن ما لاسام به السوائم الراحية وهم على القرب منا وليسوا يبعد عنا .

عجبا كيف تبدل أحكام الجبلة وكيف يمحى أثر الفطرة؟ كيف تسفل النفس
حتى لا تطلب رفعة وكيف تقنط حتى لا يكون لها أمل والامل وحب الكرامة
طبعيان في الانسان . بعد إيمان النظر نجد السبب في ذلك خلق الانسان أن
جميع أعماله انما تصدر عن قدرته وإرادته بالاستقلال وان قوته هي سلطان أعماله
وليس فوق يده يده يده بالموعة أو تصده بالقهر فاذا صادفته الموانع مرة بعد أخرى
وقطعت عليه سبيل الوصول رجع الى قدرته فوجدها فائقة وقوته فأراها واهنة،
فيمترف بوهنه، ويسكن الى عجزه، فيأيس ويقنط، ويذل ويسفل، اعتقاداً منه بأنه لا
دافع لتلك الموانع التي تعاصت على قدرته ومتى كانت قوة المانع أعظم من قوته
فلا سبيل الى العمل لاستحالة قهر المانع فيقطع الأمل فيقع في الشقاء الابدی .
أما لو ايقن بان لهذا الكون مدبراً عظيم القدرة تخضع كل قوة لعظمته وتدين كل

سطوة لجبروته الاعلى وأن ذلك القادر العظيم بيده مقاليد ملكه يصرف عباده كيف يشاء لما أمكن مع هذا اليقين أن يتحكم فيه اليأس وتغالب آماله غائلة القنوط فإن صاحب اليقين لو نظر الى ضعف قدرته لا يفوته النظر الى قوة الله التي هي أعلى من كل قوة فيركن اليها في أعماله ولا يجد اليأس الى نفسه طريقا فكلما تعاظمت عليه الشدائد زادت همته انبعاثا في مدافعتها معتمدا على أن قدرة الله أعظم منها وكلما أغلق في وجهه باب فتحت له من الركون الى الله أبواب فلا يمل ولا بكل ولا يندركه السآمة لا عنقاده أن في قدرة مدير السكون أن يقهر الأعزاء ويلقي قباهم الى الازل وان يدك الجبال ويشق البحار ويمكن الضمفاء من نواحي الاقوياء—وكم كانت لقدرة الله من هذه الآثار— فتشتد عزيمته ويدأب فيها كانه الله من السعي لنيل الكمال والفوز بما أعده الله له من السعادة في الاولى والاخرة وما كان لوقن بالله وبقدرته وعزته وجبروته ان يقنط وييأس ولهذا اخبر الله تعالى عن الواقع والحقيقة التي لا ريب فيها بما قال وهو اصدق القائلين « انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون » وباحكي من قول نبيه ابراهيم « ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » فقد جعل الله اليأس والقنوط دليلا على الكفر والضلال ومن اين يطرق اليأس قلبا عقد على الايمان بالله وبقدرته الكاملة . لهذا نقول ان المسلمين لا يسمح لهم يقينهم بالله وبما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام ان يقنطوا من رحمة ربهم في اعادة مجدهم مع كثرة عددهم ولا يسوغ لهم ايمانهم أن يرضخوا للذل ويرضوا بالضميم ويتقاعدوا عن اعلاء كلمتهم وهم الى الآن محفوظون مما ابتلي به كثير من الامم فان لهم ملوكا عظاما ولا يزال في ايديهم ملك عظيم على بساط الارض وان من الحق ان ان ابواب رحمة الله مفتحة لديهم وما عليهم سوى أن يلجوها ، وان روح الله نافحة عليهم وما يلزمهم سوى أن يستشقوها ، وان فرص دائما تمد ايديها اليهم تطلب انماضهم وتبته غافلهم وتوقظ نائمهم وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الاولى والصعود الى مقامهم الاولى الا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من تعزيز ملتهم وذلك أيسر ما يكون عليهم بعد تمكن الجامعة الدينية بينهم فاي

موجب اليأس وأي داع للقنوط وبين أيديهم كتاب الله الخالق بآثاره من
أوصاف الضالين؟ وهل توجد واسطة بين الرشد والي فإذ بعد الحق إلا الضلال؟
هل يكون القاطنين فيهم من عذر؟ يرضون بالعبيدية الإجانب بعد تلك السيادة
العليا؟ ماذا يتفقون من الحياة إن كانت في ذل وهانة وقفر وفاقة وشقاء دائم بيد
عدو وغاشم؟ يطعنون وهم بين اجنبي حاكم وبغيض شامت ومبجح غيبي ومشنع ذني
ومعبر خسيس يزمنهم بضعف العقول ونقص الاستعداد ويحكون بأن محال عليهم
أن يصبروا أمة في عداد الأمم؟ إذا لم ينسخ الإنسان عن كل خاصة إنسانية كيف
يرضى بحياة مكتنفة بكل هذه التعاسات والمكدرات أينسون أنهم كانوا الأعاين
في الأرض وما طال على ذلك الزمان، ولا بحيث التواريخ، ولا عفت الآثار،
ولا اضمحلت بالسكاية شوكة المسلمين من وجه الأرض؟ إن كان للعامة عذر في
الغفلة عما أوجب الله عليهم فأني عذر يكون للعلماء وهم حفظه الشرع والراشعون
في علومه؟ لم لا يسمعون في توحيد منفرد المسلمين؟ لم لا يذبلون الجهد في جمع شملهم؟ لم
لا يفرغون الوسع لإصلاح ما فسد من ذات بينهم؟ لم لا يأتون على ما في الطاقة
لتقوية المسلمين وتذكيرهم بوعود الله التي لا تخلف لمن صدق في طاعته واليقين
به وتبشيرهم بهبوب روح الله على أرواحهم . بلى إن قوما شرح الله صدرهم
للإيمان قاموا بهذا الأمر في مواقع مختلفة من الأرض يجمع التواصل بينها عقدة
واحدة إلا إن أملنا في بقية المسلمين أن يفتقروا معهم ويقوموا بتعصيدهم ليتمكن
الجميع من نصر الله « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

انحطاط المسلمين وسكونهم (٢)

وسبب ذلك

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

إن للمسلمين شدة في دينهم وقوة في إيمانهم وثبات في دينهم بجاهل بها
من عداهم من الملل وإن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم ببعض ومما

(*) من مقالات العروة الوثقى منقولة من ج ٢ من تاريخ الإسلام في الامام

رسخ في نفوسهم ان في الايمان بالله وما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم كفاية لسعادة الدارين ومن حرم الايمان فقد حرم السعادتين ويشفقون على أحدكم أن يمرق من دينه أشد ما يشفقون عليه من الموت والفناء وهذه الحالة كما هي في علمائهم متمكنة في عاينهم حتى لو سمع أي شخص منهم في أي بقعة من بقاع الارض عالما كان أو جاهلا ان واحدا ممن وسم بسمه الاسلام في أي قطر ومن أي جنس صبا عن دينه رأيت من يصل اليه هذا الخبر في تحرق وتأسف يلجج بالحوالة والاسترجاع ويعد التنازلة من أعظم المصائب على من نزلت به بل وعلى جميع من يشاركه في دينه ولو ذكرت مثل هذه الحادثة في تاريخ وقرأها قارئهم بعد مئتين من السنين لا يتألم قلبه من الاضطراب ودمه من الغليان ويستغفره الغضب ويدفعه لحكاية ما رأى كأنه يتحدث عن غريب أو يحكي عن عجيب .

المسلمون يحكم شرعهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبيهم وبعيدهم ولا بين المتعدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عين على كل واحد منهم ان لم يقدروا بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الأثم ومن فروضهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الاموال والارواح واركتاب كل صعب واقتحام كل خطب ولا يباح لهم المسالمة مع من يغال بهم في حال من الاحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم وبالف الشريعة في طلب السيادة منهم على من يخالفهم الى حد لو عجز المسلم عن التملص من سلطة غيره لوجبت عليه الهجرة من دار حربه — وهذه قواعد مثبتة في الشريعة الاسلامية يعرفها أهل الحق ولا يغير منها تأويلات أهل الاهواء وأعوان الشهوات في كل زمان .

المسلمون يحس كل واحد منهم بهاتف يهتف من بين جنتيه يذكركه بما تطالبه به الشريعة وما يفرض عليه الايمان وهو هاتف الحق الذي بقي له من المسامات دينه ومع كل هذا نرى أهل هذا الدين في هذه الايام بعضهم في غفلة عما يعلم بالبعض الآخر ولا يألمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوجستان كانوا يرون حركات الانكليز في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا يجيش لهم جاش ولا تكون

لهم نعمة على اخوانهم والافغانيون كانوا يشهدون لداخل الانكايز في بلاد فارس
ولا يضجرون ولا يتعلمون

تمسك المسلمين بتلك العقائد وإحساسهم بداعية الحق في نفوسهم مع هذه
الحالة التي هم عليها مما يقضي بالمعجب ويدعو الى الحيرة ويسبق الى بيان
السبب فخذ مجملاته: ان الافكار العقلية والعقائد الدينية وسائر المعلومات
والمدرجات والوجدانيات النفسية وان كانت هي الباعثة على الاعمال وعن حكمها
تصدر بتقدير العزيز العليم لكن الاعمال تثبها وتقويها وتطبعها في الانفس وتطبع
الانفس عليها حتى يصير ما يعبر عنه بالملكة والخلق وتترتب عليه الآثار التي تلائمها
نعم ان الانسان انسان بفكره وعقائده الا أن ما ينعكس الي مرآة عقله من
مشاهد نظره ومدركات حواسه يؤثر فيه أشد التأثير فكل شهود يحدث فكرا
وكل فكري يكون له أثر في داعية وعن كل داعية ينشأ عمل ثم يعود من العمل الى
الفكر ولا ينقطع الفعل والافعال بين الاعمال والافكار مادامت الارواح في
الاجساد وكل قبيل هو الآخر عماد .

ان للاخوة وسائر نسب القرابة صورة عند العقل ولا أثر لها في الاعتصاب
والالتحام لولا ما تبعث عليه الضرورات وتلجى اليه الحاجات عن تعاون الانبياء
والمصيبة على نيل المنافع وتضارهم على دفع المضار وبعد كرور الايام على المضافة
والمناصرة تأخذ النسبة من القلب مأخذا يصرفه في آثارها بقية الاجل ويكون
انبساط النفس لمون القريب وغضاضة القلب لما يصيبه من ضميم أو نكبة جاريا
مجرى الوجدانيات الطبيعية كالاحساس بالجوع والعطش والري والشبع بل
اشبه أمره على بعض النظرين فهذه طبيعيا . فلوأهملت صلة النسب بعد ثبوتها
والعلم بها ولم تدع ضرورات الحياة في وقت من الاوقات الى ما يمكن تلك الصلة
ويؤكد كدها أو وجد صاحب النسب من يظاها في غير نسبه أو ألجأته ضرورة
الى ذلك ذهب أثر تلك الرابطة النسبية ولم يبق منها إلا صورة في العقل تجري
مجرى المحفوظات من الروايات والمقولات . وعلى مثال ما ذكرنا في رابطة

النسب وهي أقوى رابطة بين البشر يكون الامر في سائر الاعتقادات التي لها أثر في الاجتماع الانساني من حيث ارتباط بعضه ببعض . اذا لم يصحب العقد الفكري ملجئ الضرورة أو قوة الداعية الي عمل تنطبع عليه الجارحة وتعرن عليه و يعود أثر تكميره على الفكر حتى يكون هيئة للروح وشكلا من اشكلها فلن يكون منشأ لآثاره وانما يمد في الصور العلمية له رسم يلوح في الذاكرة عند الالتفات اليه كما قدمنا .

بعد تدبر هذه الاصول اليقينة والنظر فيها بعين الحكمة يظهر لك السبب في سكون المسلمين الى مام فيه مع شذتهم في دينهم والعلة في نباطوهم عن نصرة اخوانهم وهم أثبت الناس في عقائدهم فانه لم يبق من جامعة بين المسلمين في الأغلب الا العقيدة الدينية مجردة عما يتبعها من الأعمال وانقطع التعارف بينهم وهجر بعضهم بعضا هجرا غير جميل فالعلماء وهم القائمون على حفظ العقائد وهداية الناس اليها لا تواصل بينهم ولا تراسل فالعالم التركي في غيبة عن حال العالم الحجازي فضلا عن يبعد عنهم والعالم الهندي في غفلة عن شؤون العالم الافغاني وهكذا بل العلماء من أهل قطر واحد لا ارتباط بينهم ولا صلة تجمعهم الا ما يكون بين افراد العامة لدواع خاصة من صداقة أو قرابة بين أحدهم وآخر أما في هيتهم الكلية فلا وحدة لهم بل لانساب بينهم وكل ينظر الي نفسه ولا يتجاوزها كأنه كون برأسه .

كما كانت هذه الجفوة وذاك الهجران بين العلماء كانت كذلك بين الملوك والسلاطين من المسلمين . أليس بعجيب أن لا تكون سفارة للعثمانيين في مرا كش ولا مرا كش عند العثمانيين ؟ أليس بغير أن لا تكون للدولة العثمانية صلات صحيحة مع الافغانيين وغيرهم من طوائف المسلمين في المشرق ؟ هذا التساير والتقاطع وارسال الخبال على القوارب عم المسلمين حتى صبح أن يقال لاعلاقة بين قوم منهم وقوم ولا بلد و بلد الاطيف من الاحساس بان بعض الشعوب على دينهم و يعتقدون مثل اعتقادهم وربما يتعرفون مواقع أقطارهم بالصدقة اذا التقى بعض ببعض في موسم الحجيج العام وهذا النوع من الاحساس هو الداعي الى الاسف وانقباض الصدر اذا شعر مسلم بضياح حق مسلم على يد أجنبي عن ملته لكنه

لضعفه لا يبعث على النهوض لمعارضته . كانت الملة كجسم عظيم قوى البنية صحيح المزاج فقول به من العوارض ما أضعف الالتئام بين أجزائه فتداعت للتأثر والانحلال وكاد كل جزء يكون على حدة وتضمحل هيئة الجسم .

بدا هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الاسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقما قنع الخلفاء العباسيون باسم الخلافة دون أن يجوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه كما كان الراشدون رضي الله عنهم . كثرت بذلك المذاهب وتشعب الخلاف من بداية القرن الثالث من الهجرة الى حد لم يسبق له مثيل في دين من الأديان ثم انشلت وحدة الخلافة فانقسمت الى أقسام خلافة عباسية في بغداد وفاطمية في مصر والمغرب وأموية في أطراف الاندلس . تفرقت بهذا كلمة الامة وانشقت عصاها وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة الملك فسقطت هيئتها من النفوس وخرج طلاب الملك والسلطان يدأبون اليه من وسائل القوة والشوكة ولا يراعون جانب الخلافة .

وزاد الاختلاف شدة وتقطعت الوشائج بينهم بظهور جنكركخان وأولاده وتميوزلنك وأحفاده وإيقاعهم بالمسلمين قتلا واذلالا حتى أذهلهم عن أنفسهم فنفرق الشمل بالكلية وانقسمت عرى الالتئام بين الملوك والعلماء جميعا وانفرد كل بشأنه وانصرف الي ما يليه فتبدد الجمع الى آحاد وافترق الناس فرقا كل فرقة تتبع داعيا اما الى ملك أو مذهب فضعت آثار العقائد التي كانت تدعو الى الوحدة ولبعث على اشتباك الوشيجة وصار مائي العقول منها صورا ذهنية تحويها مخازن الخيال وتلحظها الذكورة عند عرض مافي خزائن النفس من المعلومات ولم يبق من آثارها الا أسف وحسرة يأخذان بالقلوب عند ما تنزل المصائب ييمض المسلمين بعد أن يتغذ القضاء ويبلغ الخبر الى السامع على طول من الزمان وما هو الا نوع من الحزن على الفاتت كما يكون على الاموات من الاقارب لا يدعو الى حركة تتدارك النازلة ولا دفع العائلة .

وكان من الواجب على العلماء قياما بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع ان ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك

بشكين الاتفاق الذي يدعو اليه الدين ويجعلوا معاً هذا الاتفاق في مساجد
ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة موطناً لروح حياة الوحدة ويصير
كل واحد منها كحلقة في سلسلة واحدة اذا اهتز أحد أطرافها اضطرب ليرتبه
الطرف الآخر ويرتبط العلماء والخطباء والائمة والوعاظ في جميع انحاء الارض
بعضهم ببعض ويجعلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحدتهم
ويأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدهم التنزيل وصحيح الاثر ويجمعوا
أطراف الوشائج الى معتد واحد يكون مركزه في الاقطار المقدسة واشرفها معهد
بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزور الدين وحفظه من قوارع العدوان
والقيام بحاجات الامة اذا عرض حادث الخلل وتطرق الاجانب للتدخل فيها
بحا يخط من شأنها ويكون كذلك أدعي لنشر العلوم ونوثر الافهام وصيانة الدين
من البدع فان إحكام الربط إنما يكون بتعيين الدرجات العلمية وتحديد الوظائف
فلو أبدع مبدع أمكن بالتواصل بين الطبقات تدارك بدعته ومحوها قبل فشوها
بين العامة وليس بخاف على المستبصرين ما يتبع هذا من قوة الامة وعلو كلمتها
واقترارها على دفع ما ينشأها من التوازل .

الا أنا نأسف غاية الاسف إذ لم تتوجه خواطر العلماء والعقلاء من المسلمين
إلى هذه الوسيلة وهي أقرب الوسائل وإن التفت إليها في هذه الأيام طائفة من
أرباب القسرة ورجاؤنا من ملوك المسلمين وعلمائهم من أهل الحمية والحق أن
يؤيدوا هذه الفئة ولا يتوانوا فيما يروحد جمعهم ويجمع شتيتهم فقد دارسهم التجارب
يبين أن لا مزية عليه وما هو بالمسير عليهم أن ينشوا الدعاة الى من يبعد عنهم ويصافحوا
بالاكف من هو على مقربة منهم ويعرفوا أحوال بعضهم فيما يعود على دينهم
وملتهم بفائدة أو ما ينحش أن يحسبوا بضرر ويكونون بهذا العمل الجليل قد أدوا
فريضة وطلبوا سعادة والرمق باق والآمال مقبلة والى الله المصير

باب المناظرة والمراسلة

— الرد على الشيخ بخيت — تابع لما في الجزء التاسع —

﴿ الاستدلال بحديث جابر ومعناه ﴾

قد علم مما تقدم في الجزء التاسع ان حديث جابر الذي استنبط منه الشيخ بخيت جواز أن يكون امام المسلمين وخليفهم كافراً لم يرو الا من طريق محمد بن عبد الله المدوني التميمي وان هذا الراوي قد طعن فيه أشد الطعن فحكم البخاري بأنه لا يجوز روايته عنه وقال وكيم أنه كان يضع الحديث أي يختلقه وينسبه لي أبي صلي الله عليه وسلم وقالوا انه لا يتابع علي حديثه فثأبته عبد الملك بن حبيب له لا يستدبرها على أن عبد الملك هذا مجروح وكان يعتمد على الاجازة لما كتب فاذا نحن اعتبرنا متابعتها فالتأنيب لا يحكم بأن الحديث يرتقى بها الي درجة الصحة أو الحسن فالحديث لا يحتاج به .

اماماً أكثر الكلام فيه الشيخ بخيت من كون ضعف الراوي أو نكارة أو وضعه للحديث لا يقتضي أن يكون كل ما يرويه ضعيفاً أو منكراً أو موضوعاً في نفسه فهو على ما فيه من التفصيل غير مفيد هنا وإن كان فيما نقله عن المتأخرين - كالناوي والزبيدي بل والقاسي - ما يروى الجاهل بالحديث ما يروى . والحق ان ما ينفرد به الراوي المعروف بالوضع موضوع لا يجوز روايته الا للتنبيه على كونه موضوعاً وما ينفرد به الضعيف ضعيف لا يخرج به في اثبات الأحكام وتقرير الشريعة وما ينفرد به منكراً للحديث في اصطلاح البخاري لا يجوز روايته عنه الا للبيان حتى لا يفتريه أحد وراوي هذا الحديث كذلك وقد علم حكمه عند غيره مما سبق . ثم انه يجوز عقلاً ان يكون الحديث الذي يرويه أشد الناس ضعفاً بل أكثرهم كذباً ووضماً ما له أصل في الواقع وهذا الجواز العقلي لا يبيح لمؤمن أن يقبل رواية من لا يوثق به ويحتاج بها لاحتمال صدقه عقلاً . واذا ظهر أن بعض مارواه قد رواه غيره من الثقات فأنما يكون الاحتجاج بالرواية الأخرى .

فخلاصة القول في استدلال الشيخ بخيت بحديث جابر عند ابن ماجه ان

الشيخ بخيت لا يعرف له سنداً يبيح له الاستدلال به والاستنباط منه ولا حاجة له في احتجاج بعض النقاد به في غير مسائلنا لأنه هو في هذه المسألة مجتهد مستنبط لا مقلد فيجب أن يكون علي بينة في استنباطه والا فليقف عند ما قاله الفقهاء ولم يقل أن أحداً منهم قال أن الحديث يدل على جواز أن يكون امام المسلمين كافراً وأنه قلده في ذلك .

قال الشيخ بخيت (في ص ٤٦) بعد ما نقل عن صاحبه الفاسي الذي جعله من الحفاظ ما نقله أي الفاسي من الاحتجاج بالحديث الذي تلقاه العلماء بالقبول وإن طعن فيه أهل الحديث مانصه : « وقد علمت أن حديث جابر الذي نحن بصددده قد تعددت طرقه ورزقي عن اثنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي سعيد وجابر رضي الله عنهما وذكر في كثير من السنن وكُتب الحديث كما مر ولا شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع الأمة وأصول الشريعة » اه
أقول بعد الاستعانة بالله من مثل هذه الجراءة قد علمت مما ذكرناه في الجزء التاسع أن الحديث لم تعدد طرقه بل هي طريق واحدة - وأنه لم يرو عن أبي سعيد وإنما روي عنه حديث آخر يوافق حديث جابر في غير موضع النزاع فهو لا يمد تقوية له فيه وإنما تقوي الروايات بعضها ببعضاً فيما تشترك فيه وليس في حديث أبي سعيد الذي عن إمامة الفاجر للمؤمن إلا عند الخوف - وأنا لم يرو في كثير من كتب السنن كما قال وإنما ذكر في سنن ابن ماجه والبيهقي أما البيهقي فتد ذكره ليبين أنه لا يحتج به وإذا ابن ماجه فقد قال السندي في حاشيته على كتاب السنن له مانصه :

« وقد اشتمل هذا الكتاب من بين الكتب الستة على شؤون كثيرة انفرد بها عن غيره المشهور أن ما انفرد به يكون ضعيفاً وليس بكلي لكن الغالب كذلك » ثم نقل أن السيوطي قال في حاشية الذمائي قلعاً عن غيره « أن ابن ماجه قد انفرد بإخراج أحاديث عن رجال مترمين بالكذب ووضع الأحاديث وبعض تلك الأحاديث لا تعرف إلا من جهتهم مثل حبيب بن أبي حبيب كاتب مالك والعلاء ابن زيد وداود بن المنجم وعبد الوهاب بن الضحاك وإسماعيل بن زياد السكوني

وغيرهم» ثم قال « وقد حكم أبو زرعة على أحاديث كثيرة منه بكونها باطلة أو ساقطة أو منكرة وذلك محكي في كتاب اللعل لابن حاتم انتهى . قلت وبالجملة فهو دون الكتب الخمسة في المرتبة فلذلك أخرجه كثير من عده في جملة الصحاح السنة لكن غالب المتأخرين على أنه سادس السنة »

أقول وحديث جابر الذي هو موضوع مناظرتنا يندما انفرد به دون سائر الكتب الستة التي هي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي . وأما البيهقي فهو بعده وطريقه عين طريقه فيه فلم بهذا سقوط إيهامه قوة الحديث بإخراج أهل السنن له من طرق متعددة تنتهي إلى اثنين من الصحابة .

وأما قوله أن له شواهد تصحح معناه من الكتاب والسنة الصحيحة والاجماع فقد احتج عليه بأشكاله على ستة أمور مؤيدة بما ذكر (١) الأمر بالنوبة (٢) الدلالة على اشتراط إذن الامام في إقامة الجمعة (٣) وجوب الجمعة وانحصر على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتداد من تركها استخفافاً بها وتهاونا أوجبها لها (٤) النهي عن إمامة المرأة في كل من الإمامة الكبرى والإمامة في الصلاة (٥) النهي عن إمامة الأعرابي كذلك (٦) النهي عن إمامة الفاجر لا وإن كذلك .

أقول إن التدليس أو الإيهام في هذا الكلام لا يقل عن مثله فيما قبله ويأبى أن يعلم مما سبق أن تأمل وهو أن موافقة الكتاب أو السنة الصحيحة أو الاجماع لحديث ضعيف أو موضوع لا تعد تأييداً له فيما انفرد هو به في المعنى كما أنها لا تدل على صحة إسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن من الأحاديث الموضوعة بتوافق المحدثين ما هو صحيح المعنى لموافقة معناه كله للكتاب أو السنة الصحيحة أو الواقع ومع ذلك لا يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا روايته إلا ببيان وضعه . وكذلك الحديث الضعيف . هذا هو الحكم فيهما إذا كان معهما كله صحيحاً مؤيداً بما ذكر وأما إذا كان فيه معنى صحيح مؤيد ومعنى انفرد به لا يؤيده شيء فلا يجوز أن يقال إن هذا الحديث مؤيد بما يقوي المعنى الذي انفرد به بموافقة الكتاب أو السنة أو الاجماع لمعنى آخر فيه .

« والله أن يقول قائل : يا أيها الناس اتقوا الله وإياكم وشرب القهقهة : وادعى

ان هذا حديث فهل يباح لنا أن نقول اذا لم يصح هذا الحديث رواية فهو صحيح معنى لانه مؤيد بالكتاب والسنة والاجماع باشماله على الامر بالتقوى ؟ لا يباح ذلك فان موافقته لما ذكر بالأمر بالتقوى لا تثبت كونه حديثا ولا تؤيده في التحذير من شرب القهوة . المثال ينطبق على دعوى الشيخ بحيث تأيد حديث جابر بما ذكر وكونه صالحا بذلك لأن محتج به على جواز كون السلطان الذي يأذن بالجمعة ويرلي القضاء غير مسلم . وهذا على فرض اشمال حديث جابر على هذا المعنى كما ادعى فاذا لم يكن مشتلا عليه كما هو الواقع فما هي فائدة موافقته للكتاب والسنة في مثل الأمر بالتوبة ووجوب الجمعة .

ولسنا في حاجة الى مناقشته فيما ادعاه من نصحيح كل أمر من تلك الأمور بنأييده بالكتاب والسنة فإنه يخرج بنا الى تطويل لاحاجة اليه في موضع النزاع ولا غرض لنا ببيان كل خطأ وغلط في رسالته وإنما نذكر من ذلك ماله علاقة بموضوعنا . اما قوله (في ص ٤٧) ان الكتاب والآثار الصحيحة تؤيد ما يدل عليه الحديث من اشتراط اذن الامام في اقامة الجمعة - أي ولو كان كافرا على حسب استنباطه - - فزاه الى الخفية وذكر أنهم أخذوا الشرط من قوله تعالى « الى ذكر الله » اذ لا بد في الذكر من ذاكر وهو من له ولاية الاقامة . ونقول اذا كان الشيخ بحيث مقلدا بحتا لهؤلاء الخنفية وان لم يظهر له صحة دليلهم فإله وما للاستنباط وان كان يرى هذا الدليل موصلا الى اثبات اشتراط اذن السلطان وان كان كافرا في اقامة الجمعة فنقول له ان الذكر هنا هو الصلاة والذاكر هو المصلي فمن أين أخذت اشتراط أن يكون المصلي واحدا وان الصلاة لا بد فيها من ولاية ولو لكافر يأذن بها وأنه يجب ان يكون المصلي الذي يسعى اليه هو صاحب هذه الولاية أو من أخذ له صاحب هذه الولاية !!! أليس المتبادر من الآية فاسعوا الى أداء هذه الصلاة التي نوديم لها ؟ هل يقول الشيخ بحيث ان قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يدل على أنه يشترط في قراءة القرآن اذن السلطان اذ لا بد في القراءة من قارئ ولا بد أن يكون القارئ من له ولاية القراءة ؟ والا فما الفرق بين هذا وبين قوله تعالى (اذا نودي للصلاة من

يوم الجمعة فاسمعوا الى ذكر الله) وكل منهما شرط وجزاء؟ فن كان يدعي ان هناك دليلا آخر من غير الكتاب يدل على ان المصلي للجمعة لا بد له من اذن فلماذا يدعي ان الكتاب نفسه هو الذي يدل على ذلك؟ ألا يعرف ما هو وصف من ينسب الى القرآن ما ليس فيه وما هو جزاؤه؟ ونعل الشيخ بخيتا يذكر لنا من سبقه الى هذا الاستنباط من الحنفية لتعلم هل هو من طبقة مجتهديه أم لا وانني أخشى ان يكون عزره ذلك الى الحنفية كعزوه الحديث الى كتب السنن أو...

ثم قال في بيان تأييد هذا الحكم بالأثار الصحيحة مانعه «وأما الآثار فما روى الحسن البصري موقوفا أربع الى السلطان وذكر منها الجمعة والعيدن والموقوف في هذا له حكم المرفوع لكونه مما لا دخل للرأي فيه» اهـ

أقول في فتح التقدير ان هذا الاثر من قول الحسن البصري والشيخ بخيت جعله رواية عنه موقوفة على بعض الصحابة ولم يذكر الصحابي الموقوف عليه فهل جهل صاحب التمهيد وغيره من شراح الهداية ومحشيا هذا الصحابي وعرفه الشيخ بخيت؟ وإذا كان الامر كذلك فلماذا لم يذكر هو الصحابي أليس ذكره أقوى في الحجة من ذكر الحسن البصري؟ أم ظن الشيخ بخيت أن قول التابعي فيما لا دخل للرأي فيه كقول الصحابي يسمى حديثا موقوفا وله حكم المرفوع وإذا ما ذكرا أمرا؟ أم تعد تسمية قول الحسن رواية لحديث موقوف غشا للقارئ رسائله؟ ولماذا لم يذكر من خرج هذا الاثر من المحدثين ليرجع الى سنده فينظر هل هو سند صحيح أم لا؟ أهله يبين لنا حقيقة الامر في ذلك برسالة أخرى ولو «انتقل عن البرق الوميض أو اتلفني عن صاحبه الحافظ الكتاني القاهي أو عن كتبه !!! ولنا أن قول به ذلك اذا صح أن ما ذكر حديث موقوف أو مرفوع يحتاج به فان قصارى ما يدل عليه ان السلطان أولى بإمامة الجمعة من غيره ان وجد لأن صحة صلاة الجمعة وشروطها لا بد من السلطان لا تنعقد ولا يقبلها الله تعالى إلا اذا أذن بها السلطان وإن كان كافرا

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم «وباقه ابن المنذر مضت السنة التي انتهى اليها هو السلطان أو من أمره وقيل في التلويح اذا قل الراوي من السنة

كذا يحمل عند الشافعي وكثير من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى على سنة النبي عليه السلام اهـ

أقول السنة في الاصل الطريقة والمادة والسيرة ولأهل الاصول والمحدث والفقهاء فيها اصطلاحات معروفة . واختلف أهل الاصول في قول الصحابي من السنة كذا هل يحتاج به أم لا قبل يحتاج به لان الظاهر أنه يريد سنة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا لجواز أن يريد سنة الناس وعاداتهم كما في جمع الجوامع وشرحه وأما قول آحاد العلماء مضت السنة بكذا فليس بحجة عند أحد وان كان العالم محدثا وصرح بأنه يريد السنة النبوية لان العبرة بما يرويه لا بما يقوله فكيف اذا قامت القرينة على أنه يريد بالسنة معناها القنوي وهو العادة كقول ابن المنذر مضت السنة بأن الذي يقيم الجمعة هو السلطان أو من أمره . لانه لم يكن في زمن النبي سلاطين

ثم انه لا يخفى على عاقل أن مضي السنة بأن السلطان هو الذي يقيم الجمعة أو كون ذلك للسلطان كما قال الحسن لا يدل على كون اذنه شرطا لصحتها أو لقبوها عند الله لاسما اذا كان كافرا على مذهب الشيخ بحيث بل قصارى ما يدل عليه أنه هو الاولى بالإمامة والخطابة فيها اذا وجد . وقد أقام الجمعة علي عند ما كان عثمان محصورا ولم يرو عن أحد أن عثمان أذن له بذلك ولا سأل أحد من الصحابة الذين صلوا مع علي هل أذن عثمان بالجمعة أم لم يأذن . وقول الحنفية إن هذه واقعة حال يحتمل أنها كانت بإذن وإن لم ينقل لا يفيد الا اذا كان هناك دليل على اشتراط اذن الخليفة أو السلطان فعند ذلك يقال ان الواقعة لا تصلح معارضة للدليل لما يتورها من الاحتمال وحديث ابن ماجه الذي هو موضوع بحثنا لا يحتاج به لما علمت على أنه لا يدل على الاشتراط لأن قيد « وله إمام عادل أو جائر » إنما هو مع سائر القيود لاستحقاق ذلك الوعيد كأنه اذا ترك الجمعة وهو ليس له امام بأن كان تحت سلطة الحريين الذين يمنعون المسلمين من اقامة الشعائر يكون له عذر

وهنا بحث في قوله « فمن تركها في حيائي أو بعد مماتي وله امام عادل أو

جائز استخفافا بها أو جحودا لما فلا جمع الله شمله « الخ وهو هل الوعيد بقوله فلا جمع الله شمله مقيد بوجود الامام مع الاستخفاف أو الجحود أم هو مقيد بكل منهما؟ الظاهر الاول وعليه فمن ترك الجمعة غير مستخف بها ولا جاحد فلا يستحق هذا الوعيد كله وإن كان له امام

ثم استدل بعد ذلك على اشتراط اذن السلطان بالعقل وملخص دليله أن الجمعة تؤدي بجمع عظيم والتقدم على الجمع بعد شره فالذلك يسارع اليه طلاب الجاه فتقع الفتنة بالتنازع عليه فشرط أن يكون التقدم لذي سلطان يعتقدون طاعته أو يخافون عقوبته قطعاً للفتنة وتنبهاً لأمر الجمعة ولنا أن بطل هذه الشبهة التي جعلها دليلاً معقولاً بأمور (منها) أنه يأتي مثل هذا المعنى في صلاة الجماعة لاسيما إذا كان المصلون كثيرين كما يقع كثيراً وكما هو المطلوب شرعاً لاسيما على القول بفرضية صلاة الجماعة فلماذا لم يقولوا باشتراط اذن السلطان في صلاة الجماعة إذا لم يكن هو الذي يقيمها (ومنها) أن دعوى خوف الفتنة التي ذكرها ممنوعة ومند المنع المشاهدة كما نرى في صلاة الجماعة الكثيرة وفي صلاة الجمعة في البلاد التي ليس فيها سلطان ولا أذن بإقامة الجمعة فيها سلطان (ومنها) أن هذا المعنى لو كان صحيحاً لئلا فاه الشارع بالنص الصريح ولو ورد نص بذلك اتواثر أو اشتبه واستفاض ولم تنحصر روايته في رجل لا نحل الرواية عنه (ومنها) أن هذا الشرط الذي جعله رداً دون صلاة الجمعة مانعاً من تركها هو الآن كما كان قبل الآن سبباً في تركها عند من اعتقده أو يتعسر أو يتعذر على كثير من مسلمي روسيا مثلاً الوصول إلى اذن من القيصر بإقامة الجمعة فأبي فتنة تخدوم من اتفاهم على إقامة الجمعة وأن يكون الامام فيها هو الامام في سائر الصلوات . أليس هذا أقرب إلى العقل وأحقق للدين مما ذكره

وأما الأمر الثالث ما اشتمل عليه الحديث وهو وجوب الجمعة والحض على فعلها والمواظبة عليها وعدم تركها وارتياد من تركها استخفافاً بها أو تهاوفاً أو مجحداً لها فلا نبحت فيه وإن كان فيما قاله بحث لأنه ليس من موضوعنا في شيء . وأما الأمر الرابع وهو النهي عن إمامة المرأة فقد ذكر الشيخ بحيث فيه خلاف

أبي ثور والمزني وابن جرير الطبري وحديث أم ورقة التي أذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تؤم أهل دارها وهو أصح . ن حديث جابر الذي هو موضوع كلامنا وقد اعترف بأنه لا دليل في الباب سواء أي على منع إمامة المرأة فنقول له كيف كان إذا ما يدا بالكتاب والسنة والاجماع !!

وأما الامر الخامس وهو النهي عن إمامة الأعرابي فقد قال الشيخ بخيت (في ص ٥٠) فيه « والوارد بالأعرابي الجاهل بدليل مقابلته بالمهاجر والجاهل فاسق بجهله » ثم أورد فيه احتمالين فقال « يجوز أن يراد به الكافر وبالمهاجر المؤمن مطلقاً . . . ويحتمل أن يراد به ما هو أعم ويكون المراد بالمهاجر المؤمن الكامل » واستدل على الأول بحديث « أيما أعرابي حج ثم هاجر فعليه أن يحج حجة أخرى » وعلى الثاني بحديث « لا يؤسكن ذو جرأة في دينه » وحديث « اجعلوا أئمتكم خياركم » وهو استدلال بديهي البطلان فلا تطيل فيه ولا تتكلم من هذه الاحاديث . ثم قال (ص ٥١) « وليس المراد بالأعرابي من يسكن البوادي وإن كان ورعاً زاهداً عادلاً فقيهاً فإن هذا لا يدخل بالضرورة تحت النهي في الحديث » ثم ذكر الآيات الواردة في سورة التوبة في الأعراب ككون كفارهم ومناقضهم أشد كفراً ونفاقاً وكون فهم من يؤمن بالله واليوم الآخر . وتوصل بذلك الى قوله « ولكن المفترض قد أبى إلا أن يكون جميع الأعراب قسماً واحداً وهم المقيمون بالبادية وراء أنعامهم مخالفاً في ذلك كتاب ربهم سبحانه فهي مسألة خلافية بين الله تعالى وبين هذا المفترض ونحن ممن يقول بقول الله ولا نقول بقول هذا المفترض الخائف لكتاب الله » اهـ !!

أقول لينظر علماء تونس وسائر المغرب والهند وسائر أهل المشرق والمجاز وسائر بلاد العرب والترك والهند والعجم وسائر بلاد المسلمين الى مقال هذا الرجل الذي يعد من أذكى علماء الدرجة الأولى في الأزهر كيف يفهم اللغة والدين وكيف يجادل في العلم لعلمهم ينصحون لأهل بلادهم بأن الرحلة الى الأزهر لاجل طلب العلم مضية للمال والوقت لأن منتهى العلم فيه إيراد الاحتمالات في الضروريات والبداهيات ، انفتحت كتب اللغة والتفسير والحديث والفقه على أن الأعراب هم

سكان البادية من العرب ومواليهم منهم والاعرابي منسوب اليهم فجاء الشيخ بخيت المستنبط الأزهرى الجديد يورد احتمالات في تفسير الاعرابي ويدعي أن من يقول إن الاعرابي هو المقيم في البادية يخالف لكتاب الله تعالى . أليس هذا العلم أو الجهل مما يصدق عليه قول الجاحظ أنه لا يصل اليه أحد الا بخذلان من الله ١١

قال في القاموس : « العرب بالضم وبالتحرريك خلاف المعجم مؤنث وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحده ويجمع على أعراب » وقال شارحه عند قوله والاعراب منهم سكان البادية « خاصة والنسبة اليه أعرابي لأنه (لا واحده) كما في الصباح وهو نص كلام سيويه والأعرابي البدوي وهم الاعراب » ثم قال « وحكي الأزهرى رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتا وان لم يكن فصيحاً وان كان عجمي النسب ورجل أعرابي بالالف اذا كان بدوياً صاحب نجعة وانتواء وارتياذ الكلاً وتبع مساقط النيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعراب والأعرابي اذا قيل له يا عرابي فرح بذلك وهش والعربي اذا قيل له يا أعرابي غضب فمن نزل البادية أوجاور البادين فظن بظنهم واتى باتوائهم فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها مما يتنهي الى العرب فهم عرب وان لم يكونوا فصحاء . وقول الله عز وجل « قالت الاعراب آمنا » هؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة طمعا في الصدقات لارغبة في الاسلام فهاجم الله الأعراب فقال « الأعراب أشد كفرا ونفاقا » الآية . قال الأزهرى والذي لا يفرق بين العرب والأعراب والعربي ربما تحامل على العرب بما يتأوله في هذه الآية وهو لا يميز بين العرب والأعراب . ولا يجوز أن يقال للمهاجرين والانصار أعراب إنما هم عرب لانهم استوطنوا القرى العربية وسكنوا المدن سواء منهم الناشئ بالبدو ثم استوطن القرى والناشئ بمكة ثم هاجر الى المدينة . فان لحقت طائفة منهم بأهل البدو بعد هجرتهم واقتنوا نعاما ورعوا مساقط النيث بعد ما كانوا حاضرة أو مهاجرة قيل قد نمرؤا أي صاروا أعرابا بعد ما كانوا عربا في الحديث : تمثل في خطبته مهاجر ليس بأعرابي : جعل المهاجر ضد الأعرابي . قال

والاعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار ولا يدخلونها
 الحاجة » اهـ

أقول وإذ رجعت الى كتب التفسير وشروح كتب الحديث لانهج للاعرابي
 تفسيراً غير مافي القاموس وشرحه وهو عين ما قلناه فقال فينا الشيخ بجيت ما قاله
 لما اخترعه هو في تفسير الاعرابي من الاحتمال ، وأما كون الأعراب أقساماً
 منهم المؤمن والكافر والمتناقض فهو لا يخرجهم عن كونهم سكان البادية ورعاة
 الأنعام . ومن هاجر منهم وأقام في المدينة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
 خرج عن كونه أعرابياً لغة وعرفاً وصار حضرياً مهاجراً وكذلك من ترك البادية
 وأقام في العمران في كل زمان يخرج من صنف الاعراب والبدو ويصير من أهل
 الحضارة . فقول الشيخ بجيت (في ص ٥١) : « ليس المراد بالاعرابي من يسكن
 البوادي وان كان عالماً ورعاً زاهداً عدلاً قتيماً فان هذا لا يدخل بالضرورة
 تحت التهي في الحديث بل ربما يكون أقرأ القوم وأعلمهم فيكون هو الاول في
 الامامة في الصلاة بالقدم علماً بنوم الاحاديث الواردة بتقديم الاقراء ثم الاعلم
 مطلقاً » : لا يقوله الا من يجهل اللغة والتفسير والحديث والسيرة النبوية ويكون
 العلم عنده عبارة عن ايراد الاحتمالات الكثيرة في كل قول كما هو دأب أهل
 الأزهر الا من أنقذه الله تعالى وحفظه وقليل مأم . اما اللغة والتفسير والحديث
 فلما تقدم واما السيرة النبوية فلا يجهل من اطلم عليها ان الاعراب لم يكن منهم علماء
 فقهاء بحيث يكون الواحد أعلم من المهاجر حتى اذا اجتمعا - كأن ألم المهاجر
 بالبادية أوجاً البدوي المدينة لحاجة - يقدم الاعرابي في الامامة على المهاجر
 بعلومه وقرأته وقته لان القراءة والعلم والفقه لم يكن لها مصدر الا النبي صلى الله
 عليه وسلم فكيف يكون البعيد عنه في البادية أعلم من المصاحب له في المدينة ؟
 اهم ان احتمالات أكثر الأزهريين لا يحتملها عقل غيرهم من عبادك وازمن احتمالات
 الشيخ بجيت ما لا يكاد يحتمله عقل أحد من الأزهريين ، حتى واقفه على زعمه
 اننا خالفنا كتاب الله في تفسير الاعراب والمهاجرين ، وانما كان هو المخالف
 لكتاب الله وكتب علماء اللغة والدين ،
 (لرد بقية)

رسالة في تقاليد أهل الطرق

جاءنا من أحد علماء تونس المصلحين ما يأتي

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله

حضرة العلامة الاستاذ المشهور السيد محمد رشيد رضا مفتي مجلة المنار النراء
أمد الله بروح من عنده ، ومنعه من الاعانة على الارشاد ما لا ينبغي لأحد
من بعده ،

سعد حظي أيديكم الله بما أمتنتم به علي من اعتباركم لي مشركا في مجلتكم
التي تقشع بظهورها سحاب الضلال ، والبعد التي أحدثت بالأمة ذات اليمين
و ذات الشمال ، والخرافات التي انصبغت بصبغة الدين ، والأوهام التي لعبت
بعقول أولئك الجاهلين ، فتبارك الذي أيقظ همتك لإرشاد أمتك فأوضح
للساري بتمارك المحجة « ومن يهد الله فما له من مضل » سيما وقد شغقت ذلك
بفتح باب الاسئلة للمسترشد ولعمري إنك قد آتيت بذلك من كنوز السعادة
للأمة ، ما إن مفاصلة لتتو بالمعصية أولى القوة ، وقد حلني فضلكم هذا على
تقديم أسئلة لاعتباكم الكريمة

خرجت في بعض هذه الأيام الاخيرة قصد الأداء صلاة المشاء مع الجماعة
فما برحت مكاني حتى سمعت اصواتا مرتفعة وقد رجت الارض رجاً فحسبت أن
أبخرة احتبست فيها فتشأ عنها زلزال فكثرت لظن القوم على ما أعرفه عنهم عند
حدوث الزلزال ولم يزل علي كذلك حتى دخلت المسجد فوجدت فيه عددا كثيرا
من نوع الانسان ينف على الحسين يذكر الله ويرقص ويصفق بيديه وقد تعصب
جبينه عرقا فطلعت أن رجة الارض من وطأة قدميه فسألني شقيقاي المشهوران
عن ذلك فكان جوابي « الجنون فنون » فأعادا علي السؤال : كيف يسمى في
جنون من عقل ؟ قلت وأن لم بالقل ولو كانت لهم منه منكة لما فكروا في مثل
هذا وتجهزوا على معصية الله في بيته . هلا انفرد كل منهم بنفسه وذكر الله
تعالى كما أمره بقوله (واذا ذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من

القول ﴿ وهذا إن لم يكن لهؤلاء المجانين شغل تعجل منفعتهم والا فليحملوا فوق هذه الأوزار أوزاراً ، وليستعدوا للعذاب المضاعف يوم لا يجدون من دون الله أنصاراً ، ألم تروا أن قضاء الفوائت واجب على الفور إلا في مواضع حسبوا منها الاشتغال بحرفة يحترف المرء بها

ثم ليت شعري أية فائدة ونتيجة في اجتماعهم هذا وترد يدهم كلمة التوحيد؟ إن نطقت بها ألسنتهم فقد جحدتها أفعالهم باتخاذ الوسائط وليتهم أدر كوا حقيقتها وتركوها ونفسها

عجبا لهم اتخذوا رسالة في التوحيد لدين مكناس الشيخ محمد بن عيسى يتلونها بعد صلاة المغرب كل ليلة ولو سئلوا عن برهان الوحدانية لم يكن جوابهم إلا السكوت أو الاستناد إلى أن ذلك اعتقاد الأقدمين من آباؤهم مع أن مذهب المؤلف عدم نجاة المتأخرين ، وهو الحق الذي تقتضيه طبيعة الدين ، وإن خالف في ذلك أقوام ، بنوا مذهبهم على الحرفات والأوهام ، والعمل بمرآتي ليست في الحقيقة إلا أضغاث أحلام ، سألت بعض التالين لهذه الرسالة عن معنى قول المؤلف « نزهة عن المكان » فقال أني أتلو هذه الجملة نحو ثلاثين سنة وسمعنا من قبلك أساندة أكبر علما وسنا فلم يسألنا واحد منهم هذا السؤال ، ولم يكلفنا بمثل هذا المقال ، فإن كلام الأولياء لا تصل إليه الأفكار ، ولا تدورج نحو إدراك حقيقته الأنظار ، اللهم إلا من عميت بصائرهم ، وطست سرارهم ، وقال سبحانه أنك أعوذ بك من هؤلاء الضالين: قلت إذا كان الأمر كذلك أفيحسن بك أن تردد مآلاتهم ثم أعرضت عنه فلا لطف أحد شقيقي حتى أوصله إلى معنى الجملة على بساطتها بأوضح برهان ، وأحسن تبيان ، فكان خلاصة قوله بعد ذلك التقرير أنا نعتقد أن الله عز وجل في السماء مستدلا بمحكمة عن عجوز كانت ترفع بصرها إلى السماء كل صباح وتقول بعم صباحا يا مولانا ورويت بعد موتها وعليها ثياب خضر

والملأ طلعت ذيل المقال ، في الكلام على هؤلاء الجهلة من أرباب الضلال ، حتى خرجت بذلك عن دائرة السؤال ، إلى دائرة التشكي من هذه الأحوال ، فسقم الأستاذ المسترشد ، مع عدم الوقوف على المقصد ،

أقول اني صدعت بما أظنه الحق لما رأيت ذلك المنكر فقلت تالله ما هذا من الدين أيها الناس أين أنتم من صفة السمع «أر بعوا علي أنفسكم فانكم لا تدعون أصم ولا غافيا» وكان جوابهم (اذا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) قلت (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجبثنا بالحق أم أنت من اللاعبين) ثم نادوا بصوت عال: أين أنت يا قطب مكناس والجرس الا كبر بدويان الصالحين والغوث المتصرف في السماوات والارض مرزق هذا المعترض كل حمزق: فقلت أنتم وإيم الله تشركون من حيث لا تشعرون أندعون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم وما القطب والجرس والغوث الا كلمات تدل على معان يعرفها القوي فجعلتموها أعلاما لافراد أكلت الارض اجسادهم . أقول لكم ولا أخشى لومة لائم (إب هي الا أ.ماء سيمتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان)

ترزعون انكم مسلمون وقد دعوتهم غير الله تعالى
ترزعون انكم مسلمون وقد اتخذتم لله وزراء وعمالا سيمتوهم بأهل الديوان .
أهذا الديوان عندكم مجلس نواب الامة ، فرددوا عليّ اللعنة ثم قالوا نجتمع ليلة النصف من شعبان تلك الليلة الفضلى ونذبح بقرة امام زاوية هنا القطب الكامل ندعو عليه فيموت بركة الشيخ ابن عيسى . فقلت وما فضل ليلة النصف من شعبان ان هي الا ليلة كسائر الليالي نرى القمر فيها كاملا كما نراه في غيرها . إن زعمتم أنها الفضلى بما أن الارزاق والآجال تقدر فيها كما تقولون فاعلموا أن أفعال الله تعالى منزعة عن البعث والارزاق والآجال قدرت من قبل ان يخلق السكون فلا معنى لتقديرها تلك الليلة مرة ثانية . وإن زعمتم أنها الفضلى بما ان الله يستجيب دعاء المتضرع فيها ولا بد فنقول لكم أعتدكم على ذلك دليل أم تقولون على الله مالا تعلمون

سيدي هل في كلامي هذه ما يوجب المروق من الدين ، والكفر بالله رب العالمين ، وخاصة القوم على اهراق دمي متفقون ، فأوضح لي سبيل الصواب أيها المرشد الكبير ، والمنصف الذي لن يجد الحق دونه من نصير ، ودونك من الوالد

والشقيقتين سلاما ، ونحية كواهلها اجلالا لقماكم واعظاما ، ومن الحقير مثل ذلك على ما تعلمون من صدق الوداد ، والخلة الثابتة أصولها بسويداء الفؤاد ، وكذب في ٢٠ جمادى الاخرة سنة ١٣٢٤ ح . ي .

(المنار) نشرنا هذا في باب المناظرة والمراسلة لا في باب الفتاوى لانه رسالة مفيدة في التنديد بالبدع والشكوى من الجهل والميل الى الاصلاح ولا نرى السؤال فيه الا من قبيل استغهام التعجب والا فأي شبهة في الكلام يبنى عليها تكفير المشكك ؟ أقوله ان دعاء غير الله شرك بالله ؟ كيف وهذا ليس من الشرك الخفي الذي هو أخفى من ديب النمل وإنما هو أشد الشرك وأظهره وأجلاه ونصوص القرآن في ذلك لا تحمل التأويل ولا التحريف . نعم ان الذين يرون لأنفسهم رئاسة دينية باعتماد العامة عليهم وصلاحيهم يسهل عليهم تكفير كل من خاف أهواءهم وتقاليده العامة التي تنوكت في بدعها عليهم وهم يشحرون رضاها لما لهم من الفائدة في ذلك وان كانوا يقولون اننا لا نكفر أحدا من أهل القبلة الا اذا جحد ما هو مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة من غير تأويل ولازم المذاهب ليس بمذهب

هذا وان كان الكاتب قد يلام على خطاب العامة بما ينفرهم من قبول كلامه ، ويحول دون فهم مرامه ، وكان يجب أن يأتيهم من ناحية الاقتناع ويحتج عليهم بكلام من يمتدنون ولايته على ابطال خرافاتهم الصريحة ثم ينتقل منها الى ما هو دونها بالتدريج ولكل مقام مقال وإنما يخاطب الناس على قدر عقولهم ففسى أن يراعي ذلك بعد ويتحاشى المبالغة في كل شيء . فقد انتقدت عليه قوله « لا ينبغي لاحد من بعده » وقوله « أعتابكم » وقوله « ولن يجد الحق دونه من نصير » والله يؤيدنا ويؤيده ، ويسددنا ويسدده ، وعليه وعلى والده وشقيقه السلام .

وقد جربنا هذه الطريقة في نصيحة العامة فرأينا فائدتها بأعيننا واختبارنا نعم ان مشايخ الطريق الذين يعيشون بأكل السمحت ونخادة العوام قلما يسمعون أو يعقلون فينبغي الاعراض عن مكابرتهم ، والموعظة التي تقع مقلديهم بضاد حالهم

فَتَسَاءَلُونَكَ الْمَلَأَيْنِ

فتعنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، وتشرط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله وظيفته (وله بعد ذلك ان يرسل الي اسمه بالحروف ان شاء) وان تاذكر الاستاذ بالتدريج فالباور عاقد متماثرا لسبب كعاجة الناس الى بيان موضوعه وروايتنا غير مشترك لئلا هذا ولمن يحضر على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا حذر وصحيح لا غفاله

﴿ أول ما نزل من القرآن ﴾

(٣٣٣) من الدكتور علي افندي رياض (بالفنت - فيوم)

حضرة سيدي الفاضل صاحب مجلة المآثر الاسلامية الفراء

أقدم وافر احترامي لجنايتكم ثم اتجاسر بأنه أبدي هذه البارة الآتية وغايتي منها لم تكن الانتقاد لاني لم أكن أهلا لذلك ولكن بقصد الاستفهام عن الحقيقة من حضرتكم

لقد طالعت النسخة التي فيها تفسير سورة العصر طبع مطبعة مجلتيكم الفراء فرأيت في موضوع درس عام فيها لحضرة الامام رحمه الله في صفحة ٥٨ ما نصه بالحرف الواحد « ولا تكن العلم ضوا يهدي الى الخير في الاعتقاد والعمل كان أول ما نزل على النبي الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الخ ويظهر من سياق الحديث ان غرض الاستاذ رحمه الله في قوله هذا الاستشهاد على منافع العلم وان أول نزول الوحي كان بشأن العلم

ولكن سبق لي قراءة تفسير سورة الفاتحة لحضرة الامام وهي أيضا طبع مطبعة مجلتيكم الفراء واذا فيها ان حضرة الامام رحمه الله أثبت بالدليل الكافي ان أول ما نزل به الوحي كان أم الكتاب لا « اقرأ »

فهل كان يثير أفكاره فرجع رحمه الله عن رأيه في تفسير الفاتحة الى ما ذكره في ذلك الدرس وهو ان أول ما نزل الى « اقرأ باسم ربك » كما أجمع عليه حضرات علماء التفسير ، أنس بكل أدب إفاذتنا عند ذلك لاجل اتباع الاصول مع قبول وافر احترامي

(ج) ما من عالم ولا إمام الا ويقول أقوالاً ثم يرجع عنها لأن غير المصنوع لا يمحيط بالصواب في كل قول وكل رأي ابتداءً. وقد نقل عن الامام مالك أنه كان يسيك قبل موته لأن أئمة أخذوا عنه أقوالاً في الدين رجع عنها بعد ذلك. إذاً لا عجب إذا قال الاستاذ الامام قولاً ثم رجع عنه. والعمدة في بيان رأيه مطلقاً أو رأيه الآخر في هذه المسألة ما كتبه بقلمه في تفسير سورة العلق من جزء عم وقد يعد تفصيلاً لما نقل عنه في الدرس الذي طبعناه مع تفسير سورة العصر. ولا يخفى أن كلا من تفسير الفاتحة وهذا الدرس ليسا من كتابته رحمه الله تعالى وإنما تفسير الفاتحة من كتابة منشيء. هذه المحلة وفيه بيان رأيه وقد اطلع عليه قبل الطبع وبعدة. وأما ذلك الدرس فقد كتبه عنه بعض أدباء تونس عندما ألقاه فيها وطبع هناك في رسالة ثم قرأه عليه ونقحته بإشارته وطبعته مع تفسير سورة العصر الذي كتبه بقلمه. وإنما يرجع ما كتبه في تفسير جزء عم إذا كان هناك تعارض لأمرين أحدهما أن الانسان يتحرى فيما يكتب بقلمه ما لا يتحرى في إجازة ما يكتب عنه وثانيها أنه آخر ما يؤثر عنه في المسألة وهو قوله بعدما أورد الحديث الصحيح في أول نزول الوحي: « وفي هذا دلالة على أن (اقرأ باسم ربك الذي خلق) — الى قوله — علم الانسان ما لم يعلم » هو أول خطاب الهي وجه الى النبي صلى الله عليه وسلم أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعاً وما فيه من ذكر أحوال المكذبين يدل على أنه إنما نزل بعد شيوخ خبر البعثة وظهور أمر النبوة وتحرش قريش لا يذانه عليه السلام. ثم هذا لا ينافي أن أول سورة نزلت كاملة بعد ذلك هي أم الكتاب كما بيناه في تفسيرها. اهـ قوله في تفسير سورة العلق

فأنت ترى ان هذا يتفق مع ما جاء في ذلك الدرس ولا يخالف ما علل به كون سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولاً من أن فيها مجمل ما فصله كله من مقاصد الدين حتى كأنه شرح لها. ولكنه مخالف لظاهر قول هذا العاجز في تفسير سورة الفاتحة « ثم رجع الاستاذ الامام أنها أول ما نزل على الاطلاق ولم يسبق قوله تعالى (اقرأ باسم ربك) ونزع في ذلك منزعا غريباً في حكمة القرآن وفقه الدين » الخ وهذا

ما كان منه في الدرس أطلق ولم يستثن ولو قلت : ولم يستثن سورة اقرأ : لا تنفق ذلك مع ما تقدم ذكره تقلا عنه وكتابه منه

هنا وإن هذه الآيات من أول سورة الملق ينحصر معناها في جعل النبي الأمي قارئاً بقدرته من خلق الانسان من علق الدم وفضل الرب الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فإذا كانت الفائدة هي أول ما نزل بعد تبليغ هذا الأمر وبها تحقق أمثاله صح أن يقال أنها هي أول القرآن المقروء بالأمر نزولاً كما أنه في أوله وضما وترتياً ولا ينافي ذلك تبليغ الأمر بالقراءة قبلها وإن كان الأمر تكوين لا تكليف إذاً أمر التكوين هنا يستلزم أمر التكليف . وسن فصل القول بهذه المسألة في تفسير الفائدة عند ما نطبعه مع الجزء الأول من التفسير العام فقد كنا أخرنا طبع هذا الجزء وبدأنا بطبع الجزئين الثاني والثالث معاً لأن في الأول اختصاراً في بعض الآيات وقد زاد الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى فيه بعض الزيادات عما نشر في المنار قبله قبل وفاته بزمان قصير رحمه الله ورضي عنه

المين

(س ٣٤) أمين افندي هاشم التليد بالمدرسة الخديوية (مصر)

جئت بهذا السؤال الى مجلسكم الفراء التي أفادت الناطقين بالضاد قاطبة لاستمدت من نور معارفكم ما خفيت عني حقيقته :

كنت أطالع بعض الكتب الادبية اذ وقع نظري على حديث شريف لقائله النبي (صلم) « المين حق تدخل الرجل القهر والجلل القدر » وآخر « اتقوا سمّ الاعين » فاعتراني وهم لعدم اهتدائي الى الحقيقة ورجوت حضرتكم شرح هل للمين مادة تنفصل منها الى محل النظر فتوثر فيه أم كيف حتى تنقشع عني غياهب الجبل والوم واجتدي الى الحقيقة ولحضرتكم الشكر سلفاً :

(ج) اعلم أولاً ان ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الطب أو الزراعة وسائر أمور الدنيا لا يعد من أمور الدين التي يلفها عن الله تعالى وإنما يعد من الرأعي وعصمة الانبياء لا تشمل رأيهم في أمور الدنيا ولذلك يسمى العلماء أمر

التي صلى الله عليه وسلم بشي من أمر الدنيا أمر ارشاد وهو يقابل أمر التكليف وفي مثل هذه الامور الدنيوية قال « أقم أعلم بأمور دنياكم » كما في حديث البخاري ولذلك كان أصحابه عليهم الرضوان يراجعونه أحياناً فيما يقول من قبيل الرأي كما تعلم مما ورد في وقعي بدر واحد فاذا رأيت حديثاً في أمر الدنيا لم يظهر لك وجهه فلا يرعك ذلك ولا تغفل أن في عدم ظهور الطباقة على الواقع طعن في الدين . على أنه عليه أفضل الصلاة والسلام كان ذا الرأي الرشيد والفكر السديد حتى في أمر الدنيا وإن كان كلامه فيها قليلاً لأنه جاء لما هو أهم وأعظم

وبعد قبوله عليه الصلاة والسلام « العين حق » حق ثابت بالتجارب والملاحظات في جميع الامم والاعمال ولفظ الحديث « العين حق » ورد في الصحيحين وأما حديث « اتقوا سم الاعين » فلا أعرفه ولا أتذكر اني رأيته في شيء من كتب الحديث المعتمدة ومعناه أن تأثير العين كتأثير السم لأن في العين سما ينتقل منها الى من تراه . اما العلة في تأثير العين فهي نفسية لاحية وذلك أن لبعض النفوس تأثيرات مختلفة من أضعفها وأشهرها تأثير الثاؤب فالتأثير كثير من الناس يتأثرون بنحو نفاس فلا يلبث أن يتأثروا من مجانبه . ومنها ما يكون عند النظر فالتأثير ترى بعض الناس ينظر الى آخر فيرتعد المنظور اليه ويأمره بشيء فلا يرى مندوحة من طاعته وهو ليس له عليه أدنى سلطان وراء هذا التأثير الذي يطلقون عليه تأثير الارادة لأنه يكون اذا أراد صاحبه ان يكون ويدخل في هذا النوع من التأثير النفسي ما يعرف الآن بالتنويم المغناطيسي وقد كان معروفاً عند بعض الصوفية والمنوذين بتأثير الهمة أو تصرف الهمة . وإنما نسب التأثير الى العين في عرف الناس الذي ورد به الحديث لأنه يحصل بعد النظر الى الشيء . وفي حديث أخرجه البزار بسند حسن عن جابر نسبه الى النفس . ومن المصائب ان سم الرب في الدين قد سرى في الناس حتى صاروا يعدون من الدلائل عليه كل مالا يتبادر الى أفهامهم معناه الموافق لمثلهم وتقاليدهم فالخريص على دينه يبادر الى أهل العلم الصحيح سائلاً والآخرون يظنون في ربهيم يترددون

أنا علي بن الحسين

تمة نقد كتاب التعليم والارشاد

(كلامه في العلوم)

ان المؤلف تكلم في العلوم السالاية والدينية ووصف من كتبها وعلماها وحالها الماضي والحاضر ما بعضه صواب وبعضه خطأ كبير . واذا ذهبنا لستقصي كل عباراته في هذه المواضع ونبين ما فيها تبعد علينا المسافة وحسب القارئ اننا ذكرنا له نموذجاً من عباراته المملوءة غلطاً فتوجز من بسد في محاسبة المؤلف على كل ما في عباراته ونكتفي بحسابه على خطأ بالجملة .

— الخطأ الخامس عشر —

قد عرفت ان المؤلف ناقض نفسه في علم التوحيد فمده مرة من العلوم الضارة ومرة جملة ثاني المقصودين من كل العلوم وقد أتاه هذا من انه لم يفرق بين علم التوحيد وعلم الكلام وهو يعرف ان الاصطلاح والواقع فرقاً بينهما . فلم التوحيد هو الذي يرشد الى تلقين العقائد من غير فلسفة المتكلمين ولم يجد هذه الطريقة الا الذين نصر هو مذهبهم أعني أهل السنة اتباع السلف لا الاشاعة الذين احتكروا هذا اللقب وقد أصاب هو فيما صنع من التنويه بمذهب السلف وأخطأ في شدة إنجائه على علم الكلام والمتكلمين وهذا ما نحسبه عليه هنا وناقمه فيه .

لأقل هنا عبارة من عبارته في هذا المعنى لا أسلفت من الاعتذار فليعلم القارئ إجمالاً ان الكاتب بالغ في الجملة على علم الكلام والمتكلمين واقضت عليه الخطابة ما أقاضت فصور مسائل هذا العلم بصورة معاول لمدم الدين وصور أهله قوماً نشيطين بالضرب بهذه المعاول والخطابة اذا فاضت على قريحة تكبر وتصغر وتوجد وتقدم وبالجملة قد تطمس على صاحبها وساميه معالم الحقائق ولا بأس بأن يرجع القارئ الى ما كتبه هذا الكاتب ليرى ما وصفنا وخذ رأيتاً في هذا العلم وأهله .

إن الدين كما يعرف العارفون . ولا أقول كل أحد — هو مجموع نصوص

منقولة عن الرسول (ص) بعضها قال الرسول أنها من قول الله وبعضها لم يقل فيها هذا القول أما التي هي من قول الله فالمشهور أنها نقلت كلها نقلاً متواتراً على اختلاف في قراءتها وإن هذه المصاحف المعروفة تجمع بين دقتها كل ما قال الله لرسوله وأما الأقوال الأخرى فهي المعروفة بأنها أقوال الرسول نفسه وهي التي تجمعها كتب الحديث . فأما المصاحف فلا جدال بين المسلمين — والحمد لله — في أن ما فيها هي أقوال الله وأما كتب الحديث ففيها جدال ويصدق بعض العلماء منها ما يكذب البعض وتفرض أن "كل" ما سماه المسيحيّاً صار صحيحاً وأن الرسول (ص) قال ما أسنده إليه المسندون فإنا لا نريد فتح باب المناقشة بالثقل من حيث هو بل نريد أن نقول إن هذه النصوص المنقولة كلها لا يمكن أن يسلم سامعوها من الاختلاف في فهمها لأن في الكلام حقيقة ومجازاً وكناية والكلام أساليب وفنون والذي تكلم لم يبين ما أراد بكل كلمة ولم ينصب رجلاً أو رجلاً لثمين مراده فلا اختلاف وقع لانه لا بد من وقوعه والمنصف إذا زعم أنه ظفر بالحقيقة لا يسوِّغ لنفسه أن يسلب حق النظر من مظاهره .

التاس في زمن النبي (ص) فهموا من النصوص ما فهموا وأكثروا لم يسمعوها أكثراً ولم يكن في وقهم فراغ الاقامة ما أمر وأن يقيموه بل كان النبي (ص) إذا رأى فيهم تشوفاً إلى البحث ينهاهم والذين جاءوا من بعد وجدوا في أنفسهم حاجة لتفهم بعض الأشياء فوق البحث فيها قبل أن تترجم الفلسفة اليونانية والذين لا يعرفون هذا يظنون أنه لم يتدع علم الكلام الا بعد أن ترجمت الفلسفة كلا بل هي أمور لا بد منها لذلك ظهرت من القوم أنفسهم بمقدار ما سمح الوقت بعد النبي (ص) ومن ظن أن البحث في مسائل الاعتقاد لم يكن في عصر النبي نفسه فهو لا يعرف التاريخ بل لا يعرف القرآن . وإذا جاز لنا أن نقول إن أهل هذا العلم أخطأوا في كل مذهبوا إليه من المذاهب لا يجوز لنا أن نقول أنهم أخطأوا بما صنعوه من البحث والنظر والتفاهم لأن الملاحظ على رجل وظيفة عقله وطبيعة فكره كالملاحظ عليه وظيفة سمعه وبصره وطبيعة حسه وإذا كان مثل هذا الحظر يعاقب عليه القانون فمثل ذلك الحظر يعاقب عليه العلم .

١٠. إذا صنع المتكلمون رأوا أن صنات الله التي نقلت إليهم من أقوال الله وأقوال

رسوله تشبه صفات الانسان كلها ورأوا في جملة ما نقل اليهم من الاقوال قول الله في نفسه « ليس كمثل شي » ووجدوا هذا القول يشهد له العقل فقالوا اذا كانت صفات الله وأعضاؤه غير صفات الانسان وأعضائه فلا بد لهذه الكلمات التي وضعت لها من معان غير المعاني التي نفهمها من صفاتها وأعضائها ضرورتها لا تخلو من معنى فالتمسوا لها معاني مما تساعد عليه اللغة . . ربما كانوا مخطئين في تفاسيرهم لانه لا يعرف الله حق المعرفة الا هو ولكن لا أرى في هذا الصنيع هدماً للدين وهم لا يزالون يمتدحون بأن الله صانع العالم ومدبره ومرسل الرسل وشارع الاحكام .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الكائنات كلها بارادته وأعمال العباد من جملة الكائنات فحاروا في هذه المسئلة جملة وقصصيا وخاضوا في بحرها فلم يجدوا سحلا سار هذا مشرقاً وسار ذاك مغرباً وكلهم يلتمسون المخلص من هذه الحارة وهي ان الله هل يريد كفر الكافر وغفور الفاجر أم لا يريد . فاذا أرادوه وجب ان يكون فلا يستطيع الكافر ان لا يكفر فكيف يحاسبه واذا لم يرده فكيف يقع في مذمته ما لا يريد .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان النبي (ص) تكلم بصوت وحرف ثم قال هذا كلام الله فخاروا هل كلام الله هذا الصوت الذي سمع من في الرسول أم شئ غير

يليق بثره الخالق عن الصوت فتناظروا وتنافروا وكان ما كان

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان الله لا تدركه الابصار ثم رأوا ان الوجود اليه ناظرة يوم القيامة فالتمسوا لنظر الوجود اليه معنى يليق بثره عن ان تدركه الابصار .

ماذا صنع المتكلمون ؟ رأوا ان ذرات المادة التي تتركب منها الجسوم تدخل في جسيم أخرى وان لا علاقة لها بعالم النيب كما للروح ورأوا ان المعاد كائن والجزء واقع فاحتلفوا هل تجازى الارواح وحدها أو تتركب الارواح في أجسام تصنع لها وقال قائلون بل تعاد كل تلك الذرات التي كانت الجسوم تتركب منها على تدخلها في جسيم متعددة .

نحن نقننا ان المتكلمين رأوا ما رأوا عما وصفنا والحقيقة ان كثيراً من افراد الامة كانوا يسألون عن مثل هذا ولم يكن المتكلمون الا أهل العلم الذين يرجع اليهم

- الخطأ السادس عشر -

يقول صاحبنا (ص ٥٠) « أنه لم يكن مظارفو الرسل ومكذبوهم يطعنون في نفس الشرائع التي جاء بها الرسل » ونحن لا نحاسبه هنا على خطأه في الايهام بأنه يعرف كل الشرائع وكل المجادلات التي جرت بين الرسل مما قال الرسل لأمهم وما أجابهم الامم به فاتنا اذا حاسبناه على مثل هذا احتجنا ان نكتب كتاباً أكبر من كتابه لان هذا الايهام مع الحكم على الكل من غير استقراء ولو ناقصا يراها القاريء أنى ساح في فساد هذا الكتاب القاصية . كلا فان الحاسبة على هذا في كل موضع قضيع علينا وقتاً هو أتمن من أن يصرف في مثل هذا . ولكننا نحاسبه هنا على الخطأ في هذا المعنى وهو « ان مظارفي الرسل ومكذبيهم لم يكونوا يطعنون في الشرائع التي جاء بها الرسل » فنقول ولا نريد به الا ان يحاسب المؤلف نفسه بعد هذه المرة حيناً يكتب ان القرآن المجيد مملوء بما كانت الامم تعترض به على أشخاص الرسل وعلى ما جاءوا به فاعتراضهم على أشخاص الرسل رد للاصل فيتمه الفرع واعتراضهم على ما جاءوا به صريح في رد الشرائع نفسها وابتعاداً عن التظويل نورد من هنا شيئاً قليلاً ثم نوصي المؤلف ان يقرأ المصحف الشريف

ان اعتراضات الامم على الحشر وكل الرسل جاؤا بالدعوة الى الايمان بما أكثر من أن يستوفى كتاب كبير فمن ذلك ما حكاه القرآن المجيد من قول بعضهم « هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقكم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد » ومن ذلك قول بعضهم « انا متا وكنا تراباً وعظاماً انا لمبعوثون » الخ والكلام في القرآن عن انكارهم البعث وتكذيبهم الرسل فيه كثير جداً

واعترضات الامم على عبادة الخالق وحده وترك عبادة الالهة - ولم يجي الرسل كلهم الا لاله - أشهر من ان تذكر فمنهم قوم نوح « وقالوا لا تذرنا ولا سواعاً ولا يفيث ويعوق ونسراً » ومنهم قوم ابراهيم « قالوا نبيد أصنامنا فقتل لها عاكفين » الخ ومنهم قوم شعيب « قالوا يا شعيب اصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد أبائنا أو ان تفعل في أموالنا ما نشاء » ومقالات قريش في نبينا عليه الصلاة والسلام لا نذكرها لانا لا نظن المؤلف نسيا

واعترضات الامم على ما كلفهم به رسلهم من الاخذ بأعمال البر كاعطاء الاموال

للفقراء وترك أعمال الشر كغصب الاموال واكلها بالباطل معروفة أيضاً كقول قوم شعيب «أو ان تفعل في أموالنا ما نفاه» وقول العرب «إنما البيع مثل الربا»
فإننا بقي من أقسام الشرائع ما لم تسترض الامم به على رسلها وأي رسول لم يقولوا فيه مجنون أو ساحر أو شاعر أو كذاب أليست هذه الصفات التي كانوا يستقدون في الرسل من جملة أزدراءهم بما جاءوا به وتكذيبه من أصله ؟
— كلامه في أصول الفقه —

— الخطأ السابع عشر والثامن عشر —

تكلم المؤلف على أصول الفقه فأسهب وأصاب في مواضع واخطأ في مواضع وإنما نمدله خطأين في النتيجة وهما (١). ان علم أصول الفقه إنما يحتاج اليه المجتهد فقط و(٢) انه غير لازم لهؤلاء المقلدين .

إن قصد ان المجتهد يحتاج الى أصول الفقه على النحو الذي يعرفه الطلبة وهو ما كان بصدده فليس بصحيح وإن قصد أن هؤلاء المقلدين لا يلزم لهم ان يقرأوا علوم العربية وعلوم الحديث وهي التي يتألف منها علم أصول الفقه فقد شهد نفسه أنه غير صحيح بدليل أنه حصر الفائدة كلها في تعلم العربية والفقه ولم ينه عن علم الحديث فإننا يرى من بعد هنا في قراءة كتاب أو كتب تجمع شيئاً من علوم العربية وعلوم الحديث فتمرن هؤلاء المقلدين على ما تعلموه وتساعدهم على ما كلفوا ان يحفظوه من فروع الفقه . . أنا لا أقول ان التقيد بهذه الطرائق فيه الخير كل الخير ولكني أقول ان تعلم هؤلاء المقلدين لاصول الفقه ولوعلى هذه الطرائق يخفف شيئاً من جهلهم الذي يلازمهم بلازمتهم للفروع وحدها .

— الخطأ التاسع عشر —

وبما ذكرناه في الاصول يعرف المطلع عليه ان المؤلف أخطأ في تعظيم شأن علم فروع الفقه حتى قال (ص ١٣٣) اننا في حاجة تامة لقراءة كتب الفقه .
— الخطأ العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون —

يخص المؤلف على قراءة كتب فروع الفقه ثم لا يرى التقيد بمذهب من المذاهب الاوبة صالحاً بل يراه ضاراً وهو يكره — كما نكره — هذه الكتب التي للمتوسطين

والمأخزين - ويجب - كما يجب - تلك الكتب التي للمتقدمين وفي مجموع كلامه في هذا الباب نجد الصواب كثيراً ولكننا رأيناها مخطئة في ثلاثة أشياء (١) في تنويه بكتب القروع وهو يعرف أن الذين سمو بالآئمة كانوا يكتزون من الرجوع عما يفتون به وإن الدين يكره تعظيم الاحبار الى هذه الدرجة وهو ان تكون أقوالهم شرعاً لكل زمان وكل مكان مع ان الربا لعلى ان ينسخ بعض شرائعه ببعض.

و(٢) في ترجيحه التمسك بمراجعة كتب الآئمة كلهم والبحث في المفاضلة بين نصوصها علي التسبب في ورود الشريعة من مواردها و(٣) في ترجيحه التمسك بالاحكام التي كانت للعلم علي فكه واطلافة وهو يعرف ان من محاسن ديننا الشريف رفع الآصار والاعلال

ان المؤلف في هذا الباب كاد يدرك الحقيقة ولكن رآه له ما يخيف فنفركا ينفر الظني في القلة رأى شبحاً مخيفاً . . . رآه المؤلف ان الاجتهاد يوسع دائرة الخلاف بين المسلمين ونحن في حاجة الى الاتفاق فساين له ولغيره هنا ان هذا الحذر ليس في موضعه .

ان الدين فنون كثيرة تجمعها أربعة أقسام (١) العقيدة و(٢) العبادة و(٣) الاحكام القضائية و(٤) الآداب . أما العقيدة فهما أراد المسلمون اليوم ان يختلفوا لا يتوحدوا بشي واحد زائد على ما وقع فيه الاختلاف وقد أسلفنا ان هذا من طبيعة الفكر مع طبيعة النص وانه لا يجوز الخطر فيه وانما لطيفتنا فيه ان نتواصى بتحري الحق بالاخلاص وان تظاهر بالتي هي أحسن وأما العبادة فلا تحتمل الاجتهاد ونظر العقل وانما مبلغ الناس فيها ان يبحثوا فيها صح عن النبي تقريره بقول أو عمل وكذلك لا يبحثن فيهما اختلافوا ان لا يزيدوا على خلاف الآئمة اذا اتفقوا الا بداع زيادة أو نقص والمشهورون من أهل النظر والاجتهاد اليوم لا يجوزون لانفسهم الزيادة أو النقص في العبادة عن نظر واجتهاد لانهم لا يجوزونهما هنا بل يقفون مع ما نقل فقط والعلماء منهم معرفة حسنة بما قل . وأما الاحكام القضائية وهي التي ينظر في مثاها القضاة والحكام فهي محل الاجتهاد والخلاف فيها لا يؤثر اذا اختارت الحكومات جماعات من صالحي العلماء يجمعون هم الاحكام من الكتاب والسنة والقياس والنظر ويصير حكم ما يكتبونه حكم كتب الفقه التي يمارسها الناس اليوم . وأما الآداب فال معروف بين المتكبرين وبينهما أمور مشتهات لا يعلمن كثير من الناس يرجع فيها الى التبحرين في علوم النفس والاجتماع . .

أرايتك من بعد هذا التفصيل تجد في نفسك حرجاً من ترجيع ورود الشريعة من مواردها على ورودها في فتاوى الآئمة التي كانوا يرحمون عنها ؟

— الخطأ الثالث والعشرون —

وقد بالغ صاحبنا في حصر الفائدة في علم الفقه حتى زعم أن كل علوم العربية وسائل له لاثمرة لها قط إلا أن تساعد على تعلمه وقد سبقه في مثل هذا الخطأ كثيرون لا يحصون فوقع فيها وقصوا فيه حين قلدهم والصحيح أن لعلوم العربية ثمرات أخرى يعرفها أقل الناس معرفة وترى مواطننا المسيحيين أكثر نشاطاً منافي تعلم هذه العلوم ولم يقصدوا قط أن يحفظوا بها فقه أبي حنيفة وابن ادریس ومالك وابن خنبل — الخطأ الرابع والعشرون والخامس والعشرون والسادس والعشرون —

— كلامه في العلوم التي أراد الشيخ محمد عبده ادخالها الى الازهر —

ومن أكبر خطأ صاحب هذا الكتاب انكاره على الشيخ محمد عبده ما قصد اليه من ادخال بعض العلوم الضرورية الى الازهر كقليل من الجغرافيا والحساب وحسن الخط والتاريخ وله في هذا الباب جملة من الخطيئات تلخصها في ثلاثة أشياء (١) في أن هذه العلوم تعميق عن تحصيل علوم العربية والدين و(٢) في أن خلوت الازهر من هذه العلوم خير له ولطلبته و(٣) في أن ادخال هذه العلوم كانت من أكبر أغلاط المرحوم الشيخ .

كنت لا أظن أن يقوم شاب من شبان هذا العصر بعيد أقوال بعض الشيوخ التي قيلت في وقت ادخال العلوم فحجبت أشد العجب لما وقت لصاحبنا الذي نحن بصدده على هذا الرأي .

لو أعطيت قلبي ما يعطيه الخطباء والشعراء لاسنتهم وأقلامهم لا بكيت السامعين في رثائي لهذه الامة التي لا يزال فيها شبان هم كالشيوخ يكابرون في مسائل هي والشمس في الظهور سواء .

العلوم العربية وحدها يأبى الاخ لا تهيبه للانسان أفكاراً يستطيع ان يعيش بها في هذا المجتمع أرقى من الخاروف .

. وهي مع علوم الدين لا تحتاج من الزمان اثنتي عشرة سنة وقليل من الجغرافيا والحساب والتاريخ وحسن الخط وكلها ضروريات لا تعميق عن تحصيلها بل تعين ولا تشين صاحبها بل هي تزين وعدمها يشين

كنت أظنك تعرفان مئات من الشبان درسوا في مدارس الاميركان والجزويت يعرفون العربية أحسن مما يعرفها الشيوخ في هذه المدرسة التي يشرفها الناس كما عبروا عنها

ويعرفون مع العربية لغة أو لغتين أو أكثر من لغات أوروبا ويعرفون مع هذه اللغات كل القنون التي تعد مبادئ وهم مع هذا كله لا يقرأون في المدارس الابضع سنين فترى ان تعدد هذه العلوم مع حسن الترتيب في الدروس لم ينفعهم من تحصيلها كلها ومنهم من يتعلم معها علوم الدين المسيحي فلا تصيقه .

لو ناقشت علي ما وراء العبارة لقلت لك ان ما تخفيه من إرادة دفع العيب عن الذين يجهلون هذه العلوم ظاهر لم يحجب عن أحد فلا تخش نفسك التسبب انه لا يعاب أحد من الشيوخ بجعله مثل هذا من العلوم وانما يعاب بإصراره على جهله وبمكابرتة في أوضح الواضحات

اما محامل المؤلف على الشيخ محمد عبده فكان ينبغي ان لا تعدد مع الخطأ لان الخطأ هو الذي يقع من المرء عن ذهول او عدم معرفة ولبس ما كتبه في الشيخ محمد عبده من هذا القبيل بل هو شيء متعمد — نجهده يد من اغلاطه الكبرى ادخاله هذه العلوم وقد صرحت مافي هذا القول من مكابرة الواضحات ثم نجهده ينزل نفسه في منزلة استاذ عظيم في كل القنون المصرية يميز بين من يعرفها وبين من لا يعرفها فيحكم على الشيخ محمد عبده بأنه ما كان يعرف هذه العلوم التي كان قد ادخلها وان عرف شيئاً فدون التقليل واقل من الطفيف ثم نجهده يقول انه كان ذا قريبط وقليل اهتمام بالعلوم الدينية (لا تنس قوله ايضاً قضي حياته باحياها) ثم نجهده يقول فيه انه كان يحابي باعطاء الشهادات لغاية في نفسه لان الغاية عنده تبرر الوساطة

هذا قول المؤلف وهذه احكامه في اعظم تافهة واعظم مصلح من المسلمين في عصرنا فمسي ان يتأمل في ذلك لعله يحاسب نفسه .

— الخطأ السابع والعشرون والثامن والعشرون —

والثاسع والعشرون والثلاثون

ومن بعد هذا كله نجد المؤلف قد عظم من شأن الازهر والحالة هذه تعظيماً مملوماً بالخطأ وهذا دأب من لم ينظر لتواقع قبل الحكم نجهده قال (١) ان الازهر اقدم واعظم مدرسة اسلامية علي وجه الكرة الارضية و(٢) انه لا يذانيه في شيء من اوصافه جامع بني امية في دمشق ولا جامع الزيتونة في تونس ولا جامع السلطان محمد الفاتح في الاستانة ولا مدرسة عليكده في الهند بل هو خير منها كلها . و(٣) انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس ولذلك كان قبلة الآمال ومعط

الرجال وكانت منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية (٤) ان ثنائيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس . وفي كل هذا خطأ .

اما ان الازهر اقدم مدرسة اسلامية فغير صحيح واتما بني الازهر مسجداً وبعد ذلك بقرون كثيرة صار البيض يلقي فيه دروساً وكان هذا دأب اهل العلم في كل المساجد . واما انه لا يدانيه في شيء من اوصافه جامع بني أمية وجامع الزيتونة وجامع السلطان محمد الفاتح ومدرسة عليكده فصحيح ان قصد الاوصاف الرديئة من القذارة وعدم النظام وتعلم الاطفال فيه ونوم الطلبة في حلقة دروس الاساتذة الى آخره . واما ان قصد انه مصلى المسلمين فكل المساجد مصلى لهم وان قصد انه يتلقى فيه العلم كثيرون فالفرق بين ان تحشر الناس على الصورة الموهودة في الازهر وبين ان يتلقوا في مدارس متفرقة يوجب التفضيل لغيره عليه . على ان مسجد الفاتح يفضل هذا المعنى ايضاً مع تفرقه عن القذارة ونوم الناس فيه . واما انه خيرها كلها فلم افهمه !!! واما انه توفر فيه من المزايا ما لم يتوفر في غيره من المدارس فلم افهمه !!! واما ان منزلته في العلوم الشرعية كمنزلة الدولة العثمانية من حيث السياسة الاسلامية فلم ادركه !!! واما انه قبله الآمال ومحط الرجال وان ثنائيه من الآمال ما ليس لنا في غيره من المدارس فلم اعرفه !!!

ابشروا ايها المسلمون في مشارق الارض ومنازلها فان الازهر سوف يخرج لكم جيوشاً من الصيد يعرفون النحو والصرف والبيان وفقه أبي حنيفة وابن ادريس ومالك وابن حنبل على الطريقة الجديدة التي وضعا له مؤلف كتاب التلميم والارشاد .

ابشروا فان هذه الجيوش المتعلمة هذه العلوم وحدها ستزحزح عنكم ما تكرهون وتأتميمكم بكل ما تحبون !!!

وبعد فبقيت مواضع أخرى تركناها لثقة القارئة من ذكرها في جملتها حملانه على المدارس النظامية وعلى اسانئها وتلاميذها مما ولا تعرض للخطأ القليل الذي وقع في الكتاب من حيث اللغة والتعبير فاتنا ترك مثل هذا لغيرنا وقد اتى ما اردنا النظر فيه فنسأل الله ان يأخذ بيدنا عن معائر الفهم ومزالق البيان

عمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنه

كنت ليلا مع أمير المؤمنين عمر الفارق ذي القدر المكين
صاحب الدرة ثاني الراشدين من به الله أعز المسلمين

فقووا حتى أذلوا المشركين

وإذا نار أضاءت سحرا قال يا أسلم قم ماذا أرى
عليهم ركب يريدون القرى فخرجنا وهو كالسهم انبرى

ودنونا من خباء المصطلين

فاذا بامرأة قد نصبت قدرها بين عيال أعولت
ثم حينئذ فردت واستوت قال هل أذنو فقالت ان أردت

فبخير أودع القلب الحزين

قال ما بال العيال تصرخ قالت الجوع واني أتفخ
أوهم الصبيبة اني أطبخ عليهم من بعد ان يفرخوا (١)

ويناموا حول قدري جائه-ين

يالنار أضمرت في الاضلع أحرقت قلبي وأجرت مدممي
بيننا الله وبين الاضلع ها أنا من فرط جوعي لا عي

بين نوح وصياخ وانين

قال يا أماء من أدرسه عمر بك قالت ذاك أدهى وأمر
من تولى أمرنا لا يسه تقر ينبري للناس في قر وحر

يسمع الشاكي ويؤوي البائسين

(١) فرخ الرجل أي زال اضطرابه واطمان

وَيَ لِعَمْرِي كَيْفَ يَرَعَى وَيَنَامُ لَيْسَ هَذَا مِنْ تَوَانِينِ الْإِنَامِ
 مِنْ سَهَاعِنِ نَوْقِهِ جَنَحَ الظَّلَامِ يَتَوَلَّى رَعِيهَا رَاعِي الْحِمَامِ
 إِنَّمَا هَذَا جَزَاءُ الْغَافِلِينَ

وَلَقَدْ أَصْنَى لَهَا مِنْ غَيْرِ ضَيْقٍ وَهُوَ بِالْأَصْنَاءِ لِلشُّكُوى خَلِيقٍ
 فَمَضَى بِذَلِكَ الشَّيْخَ الشَّفِيقِ يَسِيرُ الْخَطْوُ إِلَى دَارِ الدَّقِيقِ
 وَأَتَى مِنْهَا بِدَهْنٍ وَطَحِينٍ

ثُمَّ قَالَ أَحْمَلُ عَلَيَّ قُلْتَ وَيَ بَلْ أَنَا أَحْمَلُ قَالَ أَحْمَلُ عَلَيَّ
 قُلْتَ عَفْوًا قَالَ هَلْ مِنْكُمْ فَتَيَ يَحْمِلُ الْأَوْزَارَ عَنِّي يَا أَخِي
 يَوْمَ يُؤْتَى بِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وَسَرَى النَّارُوقُ خَوْفَ النِّقْمَةِ فِي الدَّجَى يَحْمِلُ قُوتَ الضَّيِّقَةِ
 وَهُوَ مِمَّنْ بَشَرُوا بِالْجَنَّةِ لَا يَرَى فِي حِمْلِهِ مِنْ حِطَّةٍ
 بَلْ قِيَامًا بِمَحْقُوقِ الْمُسْلِمِينَ

فَمَضَى فِي مَسْرَعَانِخِ الصَّفَارِ فَاتَّيْنَاهُمْ وَهُمْ فِي الْإِنْتَظَارِ
 وَلَقَرَطَ الْجُلُوعَ بَيْنَ الْجَنْبِ نَارَ فِي اسْتِمَارِ مَا لَهُمْ مِنْهَا قَرَارَ
 وَرَأَوْنَا فَاشْرَأَبُوا قَائِمِينَ

قَالَتْ الْأُمُّ أَصْبِرْ وَاقْدِ جَاءَنَا ذَلِكَ الشَّيْخُ بِمَا فِيهِ الْمُنَى
 « وَلَقَدْ يَسِرُهُ اللَّهُ لَنَا وَالْأَمِيرُ غَافِلٌ عَنْ حَقَّنَا
 فِي كِتَابِ اللَّهِ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ

فَدَنَا مِنْهَا بِرَفَقٍ وَابْتِسَامِ وَدُمُوعِ الْعَيْنِ مِنْهَا فِي انْسِجَامِ
 قَالَ قُوْنِي هَيْثِي هَذَا الطَّامِ مَعْنَا انِ الْيَتَامَى لَا تَسَامِ
 بِالطَّوَى وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ

رحم الله أبا حفص عمر وسقى بقمته صوب المطر
فلقد أبصرت أسلاك الشرر تلقح اللحية منه بالسحر

وهو مهتم بانضاج العجين

قالت الام وقد رمنا القيام وتركنا عندها فضل الطعام
يارعاك الله ياساري الظلام تحمل الاقوات للفرثي الصيام

أنت أولى من أمير المؤمنين

قال اي يرحمك الله أعد لي واذكري خيرا ولا تستعجلي
فاذا جئت الامير فادخلي مجدني قاعدا في المنزل
وعلي الجد في ما تطلين

وتسحى عنهم مسترا رابضا مريض آساد الشرى
وأنا أطلب تعجيل السرى فاذا هو مقبل مستبشرا

شاكرا لله رب العالمين

قال يا أسلم قد أسهرم فارس الجوع بل استعبرم
ولذا أحبيت ان أبصرم في سرور وكذا غادرم

فلقد ناموا جميعا باسمين

هكذا كانوا عبيد الامة لاغرائيق العلى والعزة
مرجوا شنتهم بالرحمة ولذا شادوا صروح الرفعة

ومضوا شرقا وغربا فاتحين

(محمد نجيب الترابلي)

بمدرسة الحقوق

❦ السمر المفيد . في شرح المواليد ❦

كتاب جديد وضعه ابراهيم أفندي ماجد الصيدلي الكياري لستشفى القصر العيني في علم المواليد أو التاريخ الطبي أو الاشياء كما يقال وهو جزآن الاول في علم الحيوان وقد طبع في العام الماضي والثاني والثالث في النبات والجماد وقد طبعاً معاً في هذا العام وهو أحسن كتاب رأيناه بالعربية لتعليم هذا الفن بسهولة وحسن أسلوبه الذي يشوق القارئ ولا يحمل السامع اذ هو عبارة عن حكايات ومحاورات في استجلاء محاسن الكائنات ومعرفة فوائدها وهو بما فيه من الصور والرسوم يمثل لك لذهن هبثها الحسية فيكون أقرب الى فهم أوصافها وتمييز ما يتشابه من أصنافها . ومن محاسنه أنه لا يخلو من الفوائد الأدبية كميانه عند ذكر البوم خطأ الجاهلين الذين يتشاءمون به . وكنت أودولفت الاذهان عند ذكر ما في هذه الخلوقات من الحكم والاسرار الى أنها من إبداع العليم الحكيم والرب الرحيم كي يربي بذلك وجدان الايمان في القلوب اذا لكان كتابه أرفع من كتب العقائد المتداولة ولجمع بين تربية العقل والروح ولعله يزيد فيه هذه الزيادة النافعة عند طبعه مرة أخرى . ولما تم طبع الجزء الأول في السنة الماضية ابتاعت منه نظارة المعارف كثيراً من نسخه ويتظر ان تُباع منه معظم نسخ الثاني والثالث اذ لا تجد مثل هذا الكتاب في فنه . واننا نحث طلاب الأزهر وغيرهم من القارئين الذين لم يتلفوا هذا العلم على مطالعة هذا الكتاب لانه مما يمكن فهمه لامثالهم بدون أستاذ

❦ التاج المصع بجواهر القرآن والعلوم ❦

للشيخ طنطاوي الجوهري المدرس بالمدرسة الخديوية طريقة حسنة في مزج علوم الكون بعلوم الدين والجمع بين هداية القرآن وما ينفع الناس من شؤون العمران وله في ذلك كتب مختصرة مفيدة كجواهر العلوم وميزان الجواهر من طالها يتفلى عقله وروحه وخياله بقوتها وشجوتها وقد طبع له في هذا العام كتاب جديد سماه بما رأيت وأهداه الى اميراطور اليابان ليعرضه على مؤتمر

الأديان الذي انعقد في عاصمة بلاده وهو مؤلف من ثنتين وخسين جوهرة وفيه أبواب وفصول كلها في محاسن الاسلام وحكمه وفضله وقد بدأ المؤلف بترجمة حال نفسه في النظر والتحصيل وترقيته في ذلك وهذا مما ينكره عليه كثير من الناس ولا بدع فان الطبع البشري ينفر من الدعوى ومظانها وان أخلص صاحبها وصدق ولكن رأينا من هؤلاء الناس من يسرف في الانكار حتى يعمط الحق ويعمى عن جميع المحاسن فمسي أن يحاسب مدعو الانصاف من هذا الصنف أنفسهم

طبع الكتاب الحاج محمد افندي الساسي الكتبي بمصر وهو يطلب منه فمسي أن يقبل الناس على مطالعته فانه من الكتب النافعة ان شاء الله تعالى

﴿ قانون ديوان الرسائل ﴾

ديوان الرسائل هو ديوان الانشاء للدولة الذي يضم كتابها على اختلاف أعمالهم وكان أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من الكتاب في عهد الدولة الفاطمية ألف كتابا وجيزا سماه قانون ديوان الرسائل « لأن يكون دستوراً يتبع في اختيار من يؤهل للتوظيف في ديوان الرسائل رئيساً كان أو مرئوساً وأن يخلد كتابه في الديوان ليقندي به الموظفون ويأخذوا بالقراءة فيه وتدبره لأنه لهم كالمعلم ولأخلاقهم كالمهذب » كذا قال في مقدمته عمر على نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة كمبودج علي بك بهجت وكيل دار الآثار العربية فتنسخها وطبعها وجعل لها مقدمة وهوامش مفيدة لعلها تزيد عن ثلث الكتاب فيها فوائد من تاريخ الفاطميين لا يستغنى عنها فنشكر له عنايته وهمته

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

صدر الجزء الخامس من هذا التاريخ المفيد منذ أشهر وهو « في نظام الاجتماع وطبقات الناس والآداب الاجتماعية والمعيشة العائلية وحضارة المملكة وآثار المدنية وأبهة الدولة ومظاهر المظلة والتمخامة » وهو آخر أجزاء الكتاب وأكثرها فلكاهة . وقد ذكر في آخره أسماء الكتب التي ورد ذكرها فيه وفهرس عام مرتب على حروف المعجم . واننا لا نزال نرجو أن ينبيح لنا القدر

مطالعة الكتاب كله واعطاه حقه من التقريظ والانتقاد ولا يسعنا - والقدر لما يسعدنا على ذلك - إلا أن ننوه بالكتاب ونثني على همة صديقنا مؤلفه واجتهاده في خدمة تاريخنا من حيث قصرنا فيه

﴿ المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي ﴾

أتى على بك أبو الفتوح المفتش بالنيابة العمومية خطاباً في نادي المدارس العليا منذ بضعة أشهر موضوعه المذهب الاجتماعي في التشريع وأهدانا نسخة منه مطبوعة قرأناها فإذا هي مفيدة في بابها

بين فيها أن فلاسفة أوروبا في القرن الثامن عشر قد شنوا الفارة على المذاهب التي كانت متبعة في الجنايات متكئين على ما اعتادوا من الدلائل النظرية فأخطأوا في علوم القضاء كما أخطأوا في علوم السياسة وكان مهمهم أن يقيدوا القضاء ويجهلوا السلطان للقانون وحده لما رأوا من تأثير استبداد الحكم من الحراب والفساد أما فلاسفة القرن التاسع عشر فقد خالفوا من قبلهم في طرق البحث فجعلوا أساسه التجربة والاختبار والمشاهدة وصاروا يرون أن من الضرورة تقييد القضاء بأنفاذ القوانين في كل حال ومن الضرورة أن يكون القاضي أوسع سلطة مما كان بحيث ينافى كثير من الأمور باجتهاده ويوكل إلى رأيه واستقلاله . وهذا الرأي الأخير يوافق الشريعة الإسلامية في أكثر أحكامها الجنائية فعمى أن يعتبر بذلك الذين اتخذوا عبارات الفقهاء من قبيل الأمور التعبدية ، على أن أكثرها مبني على أمور نظرية ، واتباعها ينافي ما قرره الشريعة من اشتراط الاجتهاد في القاضي . وهذا المقام يحتاج إلى بسط وإيضاح يطول شرحه ولا يسع باب التقريظ أقله . وفي الرسالة فوائد أخرى لا يحيط بها إلا من قرأها

﴿ تاريخ أساس الشرائع الانكليزية ﴾

ألف هذا الكتاب « دافد وطسن راني » بلفته الانكليزية وترجمه بالعربية نقولاً أفندي الحداد وطبع الترجمة ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية بمصر وهو يطلب منه ونحن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

الكتاب من أنفع الكتب التي قلت الى لغتنا وأتمنى لو يقرأه أهل الأزهر ومن لي بأن أتمنى لو يقرأه أهل سوريا والعراق بل والحجاز ليعلموا كيف ارتقت هذه الأمة الانكليزية التي تسوس وهي في جزيرتها المنبذة في أقاصي البحار نحو ربيع البشر . عسى أن يعقلوا كيف يحارب الاستبداد العمران ويزيل الدول ويذل الأمم وكيف يسود الناس بالعدل والسلطة المقيدة برأي الامة ويميزوا حتى يكون أدنى الأمة فيهم أعز من أعظم الأمراء من غيرهم . ولعلي أعود الى الكلام عن هذا الكتاب والنقل عنه

❦ أنساب العرب القدماء ❦

رسالة في الرد على القائلين بالأمومة والطومية عند العرب الجاهلية لجرجي افندي زيدان . والأمومة أو الطومية مذهب جديد لبعض الافرنج زعموا ان العرب ليس لها أنساب متصلة الى الآباء وإنما ينسبون الى الطوم والطونم كلمة أخذوها عن هنود أمريكا وهي تطلق عندهم على ما نعيمده أو تقدسه القبيلة أو الشخص من أنواع الخلوقات حيوانا كان أو نباتا أو مجادا لاعتقادها انه يحميها أو يكف أذى عنها ويعد في عرف أهلها أبالها باتسابهم اليه اذ لا يعرف لهم أب وإنما يعرفون أهماتهم فقط . وقالوا انه ثبت لهم هذا المذهب مما عليه بعض القبائل المتوحشة من هنود أمريكا وأستراليا وزنوج أفريقية وألقوا العرب بهم بطريق القياس الذي استدلوا عليه بنأيت لفظ الامة وباشتقاقها من مادة الام ونسبة بعض القبائل الى حيوانات معروفة كبنى أسد . وقد ردت عليهم جرجي افندي زيدان رداً داحضا لزامهم مغندا لطريقتهم في جعل الجزئي قاعدة كلية والشبهة برهانا قاطعا واعتماد على الاستقراء الناقص . وهذا شأن الافرنج لا يكاد يوثق بعلمهم النظري والعقلي لانهم لم يتقنوا الا العلوم العملية المبنية على التجربة والحس . ومن أراد ان يعرف تفصيل أقوالهم في هذا المذهب فعليه بكتاب الأمومة عند العرب وهو يطلب من مكتبة المنسار ومن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد نصف قرش وحسبه سيفي الرد على المذهب رسالة أنساب العرب القدماء وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمنها كثنين الأمومة عند العرب

﴿ ديوان تذكار راغب وصبري ﴾

هو الديوان الثاني للشاب الذي رشيد أفندي مصويع وقد قدمه الى ادريس بك راغب رئيس الماسون في مصر واسماعيل باشا صبري وكيل نظارة الحفانية باقتاحه بقصيدتين في مدحهما . ومن أحسن ما رأيناه له في هذا الديوان قوله في استنكار سلوك بعض نساء الأغنياء

عار على النيدان تزهو وتغشوا ولبيدي التي في الاعطاف والاشرا
بأي عطف تميل الخود تأهية ويغفر العطف إله اصين واسترا
قدر الفواني بتحصين الجبال وإن تهتكت زال ذلك القدر واندثرا
لو ترك العاشق المسكين ملتبها شوقاً لها ظل ذلك الحسن معتبرا
ثم أطال في بيان سوء عاقبة هذا السلوك وما ذكرناه كاف لبيان أسلوبه

﴿ العباسية أخت الرشيد ﴾

قصة تاريخية غرامية لجرجي أفندي زيدان صاحب الملل وهي من القصص التي لها أصل مروى في التاريخ والمسائل التاريخية فيها أكثر من المسائل الاختراعية وفيها وصف الترف والافتاق في عهد العباسيين وفي ذلك من الفكاهة ما فيه وهي تطلب من مكتبة الملل وعن النسخة منها عشرة قروش

﴿ الطفل المفقود ﴾

إسم قصة من قصص مسامرات الشعب الشهيرة التي يصدرها خليل بك صادق صاحب مكتبة الشعب وهذه القصة من أحسن هذه القصص وضماً وفائدة لأن ما فيها من الكلام عن الحب الفاسد قليل . يورد مقروناً بالقلم وما ينظر من سوء العاقبة . وأما ما تشرحه عن الحب الصالح والعفة والبروة والوفاء والسخاء والصبر فهو الكثير العليل . وقد صدر من هذه القصة أربعة أجزاء لا يكاد الانسان يبدأ بقراءة جزء منها ويستطيع ان يتركه قبل أن يتمه فأصبح لصاحب المسامرات ان يختار أمثال هذه القصة بعد الآن للنشر وإذا استطاع ان ينشر قصصاً ليس فيها ذكر لذائل مطاقاً فليفعل فان الرذيلة وإن ذكرت مقرونة بالقلم تؤثر في نفوس المستعدين لها حتى يزداد ميلهم اليها وجبراتهم

عليها فما بالك اذا كانت تشرح الرذائل وتبين طرقها وغبطة أهلها بها وتفتنهم في تحصيلها !! ويظهر ان لترحم القصة وهو نقولا أفندي رزق الله ذوقا في حسن الاختيار كما انه من أحسن مشرحي هذه القصص عبارة ففسى ان يراعي في الاختيار ما ذكرنا لتكون هذه المسامرات من وسائل التهذيب كما انها من وسائل التسلية

❦ صحف جديدة ❦

﴿ فتاة الشرق ﴾ « مجلة أدبية تاريخية روائية لصاحبها ليبي هاشم » وليبي هاشم من أشهر الفتيان السوريات المتعلقات في الأدب ولها آثار في بعض الصحف وعبارتها رشيقة منسجمة قريبة من أفهام القارئات بله القارئ ورأينا فكرها قويا فيما كتبت عن « واجبات الزوجة » في الجزء الأول وعن « نساء الشرق والاقتصاد » وهذه الموضوعات أنفع ما يكتب في مثل هذه المجلة . تصدر فتاة الشرق مرة في الشهر وستنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا ففسى أن نجد من مساعدة الفضلاء ، ما يضمن لها طول البقاء ،

﴿ تونس ﴾ « مجلة عربية تصدر مرتين في كل شهر بتصاوير ورسوم تحتوي على مباحث علمية أدبية فنية . لصاحبها صالح بن محمود وجبرائيل انكيري — ثمن الاشتراك في المملكة التونسية ١٠ (فرنكا) في السنة وفي الخارج ١٢ ف في السنة » صدر العدد الأول من هذه المجلة في ١٥ أكتوبر وفيه أن أهم موضوع تبحث فيه هو المباحث العلمية التي لها علاقة بالعلوم الطبيعية وما يتفرع عنها . وأنه ليسرنا أن تتكرر المجالات في تونس كما كثرت الجرائد ونتمنى أن توفق هذه المجلة لخدمة العلم ونشره في ذلك القطر وغيره

﴿ ترويح النفس ﴾ المرشد جريدتان أسبوعيتان صدرتا في تونس صاحب الأولى عزور بن أحمد الحيايري ، وصاحب الثانية (سليمان الجادوي) فترحب بالجريدتين ، وتنتي على فضل الحريصين الجديدين ، ونسأله تعالى أن يوفقنا وإياها للخدمة النافعة ﴿ التلهيد ﴾ جريدة أسبوعية عربية يصدرها في بطرسبرج عبد الرشيد أفندي ابراهيم صاحب جريدة (المفتح) المفيدة وقد سررنا بها جدا لما نرجو لها من النفع للطلاب العلم من مسلمي روسيا عامة ورجاؤنا في هؤلاء الطلاب عظيم

بَابُ الْحُجُبِ وَالْإِثَاءِ

— تعليم الدين في مدارس الحكومة —

اقترح مجلس شورى القرائين على الحكومة التوسع في تعليم الدين في مدارسها وزيادة العناية به فقامت جريدة الاجبت التي يصدرها في القاهرة ادريس بك راغب من مشروعات المصريين تعترض على هذا الاقتراح وتطقت جريدة المؤيد والإهرام تردان عليها ونقل عنها أنه تنكر تعليم الدين في المدارس وتقول ان الدين لا ينبغي ان يعلم الا في البيوت بل تقل عنها الطعن في الدين مطلقاً وإدريس بك يرى ان ما في المدارس كاف لا يحتاج الى مزيد ولا ينكر التعليم الديني ولا هو من دعاة الاتحاد فمما نعلم . وبذلك افتتح باب الكلام في مسألة التعليم الديني في مدارس الحكومة وغيرها وخيف أن يتجرأ محبو الاتحاد الى الدعوة اليه واقترح علينا غير واحد أن نكتب في ذلك قائلين ان المنار أجدر بهذا الموضوع من غيره وقد صدقوا وانا لكاتبون في ذلك ان شاء الله تعالى

— الدكتور ضياء الدين أحمد —

زار مصر في أواخر الصيف الماضي الدكتور ضياء الدين أحمد عائداً من أوروبا الى عليكره ليتولى التعليم العالي في مدرستها الكلية الشهيرة وهو قد تخرج في هذه المدرسة ونال شهادتها ثم ذهب الى أوروبا لإتمام دروسه الدالية في بعض العلوم فدخل جامعة كبردرج فكان أعظم فابغ في العلوم الرياضية حتى إنه نال جائزة اسمعق نيوتن الفلكي وهي ممتازة تعطى للناخب الاول في الهيئة الفلكية بعد امتحان ثلاث سنين ثم ذهب الى ألمانيا وتلقى فن التعليم في كلية (جوتجن) حتى نال (شهادة الدكتورية) وبعد ان أتم دروسه زار فرنسا وأقام فيها شهوداً اطلع فيها على نظام التعليم وسيره هناك ثم زار مصر وأقام فيها شهرين وأياماً كان جل همه فيها الاطلاع على شؤون التعليم

لقينا منه شابا متوقدا الذكاء شديد الصيرة على أمته بعيداً من الهزل والغبو معتمداً بالادب وهو يتكلم بالعربية مع حصر ما يفهم من يكلمه بعبارة فصيحة بل علمنا منه أنه عربي النسب . وقد أعجب بفضل وأدبه كل من عرفه هنا واحتفل بعض معارفه بتوديعه في فندق الكونتنتال احتفالاً دعوا اليه كثيراً من ذوي المعارف وأصحاب الصحف ولما انتظم عقد الاجتماع قام الدكتور ضياء الدين فينا خطيباً باللغة الانكليزية فثلا خطبة بدأها بالشكر لأصدقائه الذين أكرموا وفادته ثم تكلم عن مدرسة عليكره وما يراود من ترقيتها والزيادة فيها حتى تكون جامعة كبرى وعن حظ الجامعة من الدين والبرية الدينية وسنورد ترجمة قوله في جزء آخر . وبعد ان أتم خطابه وقف حافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنير فثلا ترجمة خطبته بالعربية . ثم قام الشيخ على يوسف شيخ المؤيد وثلا خطاباً وجيزاً تكلم فيه عن مدرسة عليكره وأثنى على الدكتور ضياء الدين وعليها فأحسن وقد صدق في قوله « إن مصر لورزقت مدرسة جامعة ذات مبادئ قوية مثل التي عليها كلية عليكره وناسب في عظمتها حالة مصر الحاضرة لكانت مصدر حياة أقوى وأعم نفعاً لا للمصريين فقط ولكن لمسلمي العالم كله الذين هم في حاجة كبرى للترقي الصحيح المبني على دعائم العلم والفلسفة » فعسى أن يسعي مع الذين يطمنون ان تكون الجامعة المصرية التي يدعى اليها الآن مشتملة على هذه المبادئ التي ذكر منها العلم والفلسفة ولم يذكر دعامة الدين ولكنه لا ينكرها وهي من دعائم كلية عليكره ولولاها لكانت تلك الكلية وبالاعلى المسلمين وبعد ذلك كشف الستار عن مائدة الشاي وما يتبعه من اللب وأرواح الأكل اللطيفة فاقبل عليها المدعوون وهم يتהלلون بشرا وطلاقة بهذا الاجتماع الأدبي ثم انصرفوا مودعين شاكرين

﴿ الشورى في فارس وسفير تركيا ﴾

ترجمت جريدة (تريبت) التي تصدر في طهران ما كتبناه في الجزء السابع عن الشورى في بلاد فارس وقلده عنها بعض الجرائد الأخرى فكان له تأثير عظيم وقد اعترض سفير تركيا على نشر هذه الترجمة رسمياً فأجابه ناظر الخارجية بأن

مولاه الشاه قد أطلق الحرية للصحف فلا يمكن تقييدها ولما علم الناس بهذا الاعتراض اشتد استيائهم وقالوا ان تركيا تريد أن تقيدها في بلادنا وتمنع عنا النور كما منعتهم عن اخواننا العرب في بلادها وسننكلم عن هذه المسألة بالتفصيل في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى

الشيخ أحمد أبوخطوة - وفاته

فجع العلم والقضاء في الشهر الماضي بوفاة الشيخ أحمد أبي خطوة أحد قضاة محكمة مصر الشرعية وأنها لفاجعة ليست كالفواجع فالشيخ أحمد أبوخطوة ليس بالعالم الذي يتعزى عنه بوجود كثير من أمثاله في الأزهر أو غير الأزهر بل هو العالم الذي لا أعرف له خلفا في علوم الكلام والحكمة النظرية والمنطق والفقه وفنون العربية كلها لا في الفهم الدقيق ولا في الاداء والتعليم ولذلك انضوى الى دروسه أذكىاء تلاميذ الاستاذ الامام من بعده وكان منهم من يحضر بعض دروسه في حياته كالمنطق والكلام والفقه اذ لم يكن الاستاذ الامام يقرأ بعد رسالة التوحيد الا التفسير والبلاغة فلما مات الشيخ أبوخطوة صار هؤلاء الاذكىاء كاليتيم من الابوين . كان رحمه الله تعالى وقورا مهيبا على تواضعه ورقته حسن السمات حلما لا تخشى بوادره حسن التصرف في الامور لا يدخل في شيء الا ويعرف كيف يخرج منه بصيرا بأحوال زمانه خبيرا بشؤون بلاده قادرا على الإصلاح في المحاكم الشرعية لو فوض اليه القيام به لاسيما بعد وضع الاستاذ الامام لذلك التقرير الذي أحصى طرق الإصلاح ووجوهه ولكن الحكومة أو أولياء الامر في مصر جعلوا قدره فلم يستفيدوا من استعداده وكثيرا ما يحجبهم عن معرفة الرجال قول بعض من يتقون بقوله وان قال كلمته عن جهل بالحقيقة أو سوء ظن أو هوى . وجسلة القول إن مصر قد خسرت بموت هذا الرجل خسارة عظيمة وقد التمسنا من بعض أصدقائه بان يترجمه للمنار ولعله يفعل متفضلا

الى الاديب محمد الهادي السبيعي وكيل المنار السابق: قد أعذر من أنذر، ومن صبر عدة سنين يشكر ولا يكفر، والشرف خير من المال، والعبرة بالخاتمة والمآل، « وقل وب ادخلي مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا »

المسحاة

١٣١٥

فيهم عبادي الذين يستمعون القول فيتبينون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

فيها الحكمة من يشاء ومن فيها الحكمة فقد أوتيها
غيا كبيرا وما يدركه إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و«منارا» كنثار الطريق

﴿ مصرفي ذي الحجة سنة ١٣٣٤ — آخره الاربعاء ١٣٤٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٧ ﴾

لائحة التعليم الديني للمملكة العثمانية

هي إحدى اللوائح الإصلاحية الدينية منقولة من فصل (لوائح الإصلاح والتعليم الديني) من الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الامام الذي يطبع الآن وهي بحروفها
اللائحة الأولى

كتبها في مناه بيروت ووقع عليها مع بعض وجهاء المسلمين وأرسلها إلى سماحة شيخ الاسلام بالاستانة وذلك في ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٠٤ ومنها يعلم أنه لم يأل جهداً في النصيح للدولة وأنها عملت بإرشاده وصدقت أملة ورجاءه الحسن فيها لأحييت الاسلام وجددت مجده وكانت بذلك ذات سيادة اسلامية حقيقية . وهذا نص ما كتبه رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله وحده لا شريك له وبه الحول والقوة وصلى الله وسلم على نبيه وآله وصحبه * وبعد فقد رأينا وسررنا كاسر المسلبون كافة بما نشر في جريدة الطريق من انه صدرت الارادة السنية الى حضرة صاحب السماحة مولانا شيخ الاسلام بأن تولى تحت رئاسته العلمية لجنة أعضاؤها حضرات صاحبي السماحة توري أفندي أمين الفتوى وحسني أفندي رئيس مجلس المعارف وصاحب المطوعة عبد النافع أفندي وصاحب الفضيلة خوجه اسحاق أفندي وان يناط بهذه اللجنة اصلاح جداول الدروس في المكاتب الاسلامية (١) وتوقيهما حتى تكون كافة بجميع الوسائل الصحيحة لتعليم أولاد المسلمين وتلقينهم ضروريات الدين الاسلامي وتربيتهم بالآداب والاخلاق الاسلامية على وفق الحق المطلوب . وان حضرة مولانا شيخ الاسلام وحضرات أعضاء اللجنة الكرام وان كانوا في غنى بآرائهم القويمة ومعارفهم الواسعة عن أن يتقدم اليهم أمثالنا بالمشورة ولكنها التحية للدين تبشئنا على بسط ما يلوح بخواطرنا الى أولياء أمورنا مع الاعتراف بالعجز والاقرار

(١) لفظ المكتب يطلق في البلاد العثمانية على المدرسة وان كانت عالية

٨٩٠ لوائح الإصلاح والتعليم الديني - الأولى للمملكة العثمانية (المنار ١٢: ٩)

بالقصور عملاً بقول سيدنا على كرم الله وجهه : « من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزله ، وتقدمت في الدين فضيلته ، يفوق أن يمان على ما حمله الله من حقه ، ولا امرؤ وان صغرت النفوس ، واقتحمته العيون ، بدون أن يبين على ذلك أو يمان عليه »

إن من له قلب من أهل الدين الاسلامي يرى ان المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثلاثة المقائد بعد الايمان بالله ورسوله فانها وحدها المحافظة لسلطان الدين ، الكفالة ببقاء حوزته ، وليس للدين سلطان في سواها ، وانا والحمد لله على هذه العقيدة عليها نحيا وعليها نموت

إن للخلافة الاسلامية حصوناً وأسواراً وان أحكم أسوارها ما استحکم في قلوب المؤمنين من الثقة بها ، والحجبة للدفاع عنها ، ولا معقد للثقة ولا موقد للحمية في قلوب المسلمين الا ما أتاهم من قبل الدين ومن ظن ان اسم الوطن ومصلحة البلاد وما شاكل ذلك من الألفاظ الطنانة يقوم مقام الدين في إنهاض الحمم وسوقها الى الغايات المطلوبة منها ففضل سواء السبيل

المسلمون قد نحيف الدهر نفوسهم ، وأنحت الأيام على معاهد إيمانهم ، ووهت عرى يقينهم ، بما غشيه من ظلمات الجهل بأصول دينهم ، وقد تبع الضعف فساد في الاخلاق ، وانتكس في الطباع ، وانحطاط في الانفس ، حتى أصبح الجمهور الأغلب منهم أشبه بالحيوانات الرعغ غاية مهم أن يعيشوا الى منقطع أجيالهم يأكلون ويشربون ويتناسلون وينتفسون في الذات البهيمية وسواء عليهم بعد ذلك أكانت العزة لله ورسوله وخليفته أو كانت العزة لساندهم من غيرهم . وهؤلاء المندوبون وسكان ماروا والنهر وقبائل التركان واشباههم يثبون هذه الرزية أظهر تمثيل ولم تكن هذه المحنة خاصة بقوم من المسلمين دون قوم ولكن حمت بها البلية حتى خشي على قلوب كثير من العثمانيين أن يمسها هذا المرض الخبيث لولا أن تدركها قوة مولانا أمير المؤمنين خلد الله غلله .

هذا الضعف الديني قد نهج لشياطين الأجانب سبيل الدخول الى قلوب كثير من المسلمين واسمالة أهوائهم الى الاخذ بدنسائهم والاصاغة الى مساوسهم

فخلبوا عقول عدد غير قليل ثم انبثت دعائهم في أطراف البلاد الاسلامية حتى
 العثمانية لتضليل المسلمين فلا يرى بقعة من البقاع الا فيها مدرسة للامريكانيين
 أو اليسوعيين أو العزارية أو الفرير أو لجمعية أخرى من الجمعيات الدينية الاوربية
 والمسلمون لا يستنكفون من اوسال أولادهم الى تلك المدارس طمعا في تعليمهم
 بعض العلوم المظنون نفعا في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الاوربية التي
 يحسبونها ضرورة لسعادتهم في مستقبل حياتهم . ولم يختص هذا التساهل المحزن
 بالعامية والجهال بل تمدى الى المعروفين بالتمصب في دينهم بل لبعض ذوي
 المناصب الدينية الاسلامية . وأولئك الضمءاء أولاد المسلمين يدخلون الى تلك
 المدارس الاجنبية في سن السذاجة وغرارة الصبا والحدائة ولا يسمعون الا ما
 يناقض عقائد الدين الاسلامي ولا يرون الا ما يخالف أحكام الشرع المحمدي
 بل لا يطرأ اسماعهم الا ما يزي على دينهم وعقائد آبائهم ويسب عليهم القسك
 بمرى الطاعة لأوليائهم ويقع ذلك من نفوسهم موقع القبول لانه من أسانذتهم
 القوام على تربيتهم يأذن آبائهم ولا فطيل القول فيما يثقلونه من العقائد الفاسدة
 والآراء الباطلة ، فذلك أمر أعرف من أن يبين . فلا تنقضي سنو تعليمهم الا
 وقد خوت قلوبهم من كل عقد اسلامي وأصبحوا كفارا تحت حجاب اسم
 الاسلام ولا يقف الامر عند ذلك بل تمعد قلوبهم على محبة الاجانب وتجنذب
 أهواؤهم الى مجاراتهم ويكونون طوعا لهم فيما يريدونه منهم ثم ينفضون ما تدنس
 به نفوسهم بين العامة بالقول والعمل فيصبرون بذلك ويلا على الامة ، ورزية على
 الدولة ، نفوذ بالله . ولو فقه المسلمون لبذلوا من أموالهم ما يجيدون به تربية أبنائهم
 مع استبقائهم مسلمين في العقيدة ، عثمانيين في النزعة ، هذا ما جلبه الجهل على
 الامة الاسلامية وان غائلته لمن أشد القوائل وقد كنا نحاف أن نحل بواقها لو لم
 تدفعها عزيمة مولانا أمير المؤمنين

أما المكاتب والمدارس الاسلامية فقد كانت إما خالية من التعليم الديني
 جملة واما مشتتة على شئ قليل منه لا يتجاوز أحكام العبادات على وجه مختصر
 وطريق صوري لا يمدو حفظ العبارات مع الجهل بالمدلولات ولهذا رأينا كثيرا

من قروا العلوم في المدارس العسكرية. وغيرها خلوا من الدين وجهالا بمقائده منكيين على الشبهات وسفاس المذات لا يحشون الله في سر ولا جهر ولا براعون له حكما في خير ولا شر وانحط بهم ذلك الى الكلب في الكسب والانصباب على طلب التوسعة في العيش لا يلاحظون فيه حلالا أو حراما ولا طيبا أو خبيثا فاذا دعوا الى الدفاع عن الملة والدولة ركنوا الى الراحة ومالوا الى الحياة وطلبوا لأنفسهم الخلاص بأية وسيلة

وبالجملة فان ضعف العقيدة والجهل بالدين قد شمل المسلمين على اختلاف طبقاتهم الا من عصم الله وهم قليلون ولهذا تراهم يفرقون من الخدمة العسكرية ويطلبون لتخلص منها أية حيلة وهي من أهم الفروض الدينية المطلوبة منهم ونرى غيرهم من الامم يتساقطون الى الانتظام في سلك جندتهم مع أنها غير معروفة في دينهم بل مضادة نصريح نصوصه ونرى المسلمين ييخون بأموالهم اذا دعت الاحوال الى مساعدة الدولة والاتفاق على مصالح الامة ولا ييخون بذلك على شهوراتهم بعكس ما نرى في سائر الامم. هكذا انطفأ من المسلمين مصباح العقل فلا يرفون لهم رابطلة تربطون بها ولا يهتدون الى جامعة بلجأون اليها وتقطع ما بينهم (نحسبهم جميعا) وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (ولا حول ولا قوة الا بالله هذه أحوال نذكر منها القليل والله يعلم أن الواقع منها أكثر من الكثير نذكرها مقرونة بأنفاس الاسف وصعداء الحزن لما نعلم أن الاجانب قد أرسلوا ذلهم يتخطفون شاذتهم وأغلبهم شاذة ويقترون نادتهم وجمهورهم نادة ومسارعة الفساد فيهم مشهورة بحسب بازديادها كل سنة عما قبلها وان عواقب ذلك لتخشى ولا حول ولا قوة الا بالله

واذا استقر بنا أحوال المسلمين للبحث عن أسباب هذا الخذلان لانجد الا سببا واحدا وهو القصور في التعليم الديني إما بإهماله جملة كما هو في بعض البلاد وإما بالسلوك اليه من غير طريقة القويمة كما في بعض آخر أما الذين أهل فيهم التعليم الديني فجمهور العامة في كل ناحية لم يبق عندهم من الدين الا أسماء بذكرونها ولا يسنبرونها فان كانت لهم عقائد فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة من

نحو أنه لا اختيار للعبد في ما يفعله وإنما هو مجبور في ما يصدر منه جبراً محضاً
 فلذلك لا يؤخذ على ترك الفرائض ولا اجترام السيئات ومثل أن رحمة الله لا تدع
 ذنباً حتى تشمله بالفقران قطعاً لا احتمال معه للعقاب فليفضل الانسان ما يفضل
 من الموبات وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه وما شاكل ذلك
 مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل الحية من قلوبهم ولا منشأ
 له الا عدم تعليمهم عقائد دينهم وغفلتهم عما أودع في كتاب الله وسنة رسوله
 وأما الذين أصابو شيئا من العلم الديني فمنهم من كان همهم علم أحكام الطهارة
 والنجاسة وفرائض الصلاة والصيام وظنوا أن الدين منحصر في ذلك ومتى أدوا
 هاتين العبادتين على ما نص في كتب الفقه قد أقاموا الدين وإن هدموا كل ركن
 سواهما وبشتر كون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة . ومنهم من زاد على ذلك
 علم الفروع في أبواب من المعاملات متخذاً ذلك آلة للكسب وصنعة من الصنائع
 المادية وأولئك الاغلب من طلاب الإفتاء والقضاء ووظائف التدريس وماشا كل
 ذلك لا ينظرون من الدين الا من وجه ما يجلب اليهم الميعة فان مال بهم طلب
 العيش الى مخالفتهم لم يبالوا بذلك معتقدين على مثل عقائد الجاهلة مما قدمنا وهو لا
 لا تختص مفاسد أعمالهم بذواتهم ولكنها تمتدى الى أخلاق العامة وأطوارهم
 فهنا القسم أعظم الاقسام خطراً وأشدّها ضرراً في العامة والخاصة وما أفراداً بقليل
 نعم لا ينكر أن الخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه يوجد في هذه الطبقة
 رجال وقفوا عند ما حد الكتاب واستمسكوا في الدين بالعروة الوثقى وأصرم الدين
 في قلوبهم نارا للحية واستنزل اليقين همهم لنصرة الملية، الا أنهم قليل والموجود منهم
 قد يكون خامل الذكر، أو قاصر الاقتدار عما تطالب به الشريعة في ارشاد الأمة،
 وبالجملة فوجود أمثالهم لم يكن كافياً في دفع الشرور الوافدة من غيرهم ولولا
 ما لطف الله بهذه الأمة بسر توجه مولانا الخليفة الأعظم لمجمل لها من الوبال
 ما استحقته لسوء أعمالها ونبذها أحكام الله وراء ظهرها وانحراف قلوبها عن مقاصد
 ولاية أمورها الصادقين . وقد نظر مولانا أعزه الله ونصره الى عظم هذا الأمر
 وهول عواقبه فأصدر ارادته السامية بالنظر في وجوه تداركه . فيا لثمنه العظيم

وبالمرحلة الكبرى، هشت لها قلوب المؤمنين، وبشت لورود بشرها وجوه الصادقين،
وارفعت أصوات التضرع الى الله بتأييد شوكة مولانا أمير المؤمنين، وتأيد
دولته، وإعلاء كلمته،

وإنه بعد التأمل في الأحوال المتقدمة وهي ظاهرة مشهورة والوقوف على
سببها الذي أشرنا اليه وهو غير خفي على مدارك مولانا شيخ الأسلام وأعضاء
اللجنة الكرام نعلم أن أمير المؤمنين لم يرد من اصلاح الجداول أن يدرج في فنون
المدارس الاسلامية بعضها الكتب الفقهية مع بقاء التعليم على طرقة المهودة في المساجد
وفي دروس بعض العلماء فان العلوم العملية اذا لم تبين على عقائد صحيحة وإيمان
صادق لا تلبث أن تضل وتلث وتثبت فأنما تسوق الى أفعال خالية عن النيات
وغاوية من سر الإخلاص فتكون أشبه شيء بالباطلة في عدم ترتب الأثر المطلوب
عليها كما قدمناه فلا بد أن يكون مولانا الخليفة أعز الله نصره قد أراد أن يوجه
النظر الى فن تقوى العقيدة ويستحكم سلطانها على العقول ثم الى تربية تذكريها
ثالث النفس من ذلك الفن فيكون التذكير مستحفظا لما يصل إليها منه ثم الى فن
الفقه الباطني وهو ما نعرف به أحوال النفس وأخلاقها والمهلك منها كالكذب والحياة
والنسيمة والحدود والجن وسائر الرذائل والمنجي كالصدق والأمانة والرضى والشجاعة
وسائر الفضائل ويضم الى ذلك باقي علم الحلال والحرام على ما هو مذكور في الكتاب
والسنة ومتفق عليه بين أئمة الملة الاسلامية . ثم الى تربية تحفظ ذلك وتروض النفس
على العمل بما تعلم منه . ثم يكون التعليم في هذه الفنون المذكورة والفريضة على وفق
قواعدها مستنديين الى الشرع الشريف بحيث تذكريها مأخذها من القرآن والسنة
الصحيحة وما صح أثره من أقوال الصالحين وعلماء السلف الأول ومن هذا حذوم
كعبة الاسلام الغزالي وأمثاله فالتصديق بالذات علان وهما أصلان ومجموعهما ركن
من الإصلاح والركن الآخر التربية بما يهديان اليه حتى تصير العلوم ملكة تراسخة
تصدر عنها الأفعال بلا تعمل ثم يتبعها فن آخر يقوى على التفرغ منها وهو فن
التاريخ الديني خصوصا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والخلفاء
الراشدين ومن تأثرهم من الخلفاء العثمانيين

هذا اجمال مالىة الحاجة منه العلوم الدينية الا أن كل واحد منها مقول على المبدأ والتوسط والنهاية وكل منها غذاء لطبقة من الناس لا قوام لحياتها الدينية والسياسية الا به

فلهذا تقسم طبقات الناس الى ثلاث وفصن لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الأولى العامة من أهل الصناعة والتجارة والزراعة ومن يقبهم . والثانية طبقة الساسة ممن يتماطى العمل للدولة في تدبير أمر الرعية وحمايتها من ضباط العسكرية وأعضاء المحاكم وروسائها ومن يتعلق بهم ومأموري الادارة على اختلاف مراتبهم . والطبقة الثالثة طبقة العلماء من أهل الارشاد والتربية ولا نريد بهذا التقسيم منع الآحاد من كل طبقة أن يطلبوا الكمال الذي خص به من فوقهم ولكن الفرض تحديد ما يلزم لكل واحدة ثم ان الله لا يضيع أجر العاملين

— التعليم الديني الابتدائي لطبقة العامة المسلمين —

(الطبقة الأولى) هم أولاد المسلمين الذين يوقف بهم عند مبادئ الكتابة والقراءة وشي من الحساب يعلمون ذلك الى درجة محدودة يتتفنون بها في معاملاتهم ثم ينصرفون الى أعمالهم الصناعية والتجارية والزراعية وما يشبهها وأولئك كتلامذة المكاتب الرشدية والعسكرية والملكية والمكاتب الخيرية الاهلية فحولاء بهم الدولة منهم أن يكونوا في قياد الطاعة ان جاذبتهم أرواحهم سلموها وان استقرضتهم أموالهم بذلوها محسبين ذلك في سبيل الله غير شاغلين ولا متكرهين ثم لا يكون لوسوسة أجنبي منفذ الى قلوبهم فيجب أن يودع في أفئدتهم لبدائيات تعليمهم موافق الحمية ومعاصم الافقة المالية كما كان ذلك في نشأة الاسلام وبداءة الخلافة العمانية وكما هو معروف الآن عند الامم الاورباوية مما نلموه من أسلافنا ولا تدرك هذه الناية من أبنائنا الا بقيدة صادقة واستقامة ثابتة ومحبة خالصة ولهذا ينبغي أن نوضع لهم كتب التعليم الديني على الوجه الآتي

أولا كتاب مختصر في العقائد الاسلامية المنفق عليها عند أهل السنة بلا تعرض للخلاف بين الطوائف الاسلامية مطلقاً مع الاستدلال عليها بالأدلة الاقناعية القرية النال والاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة ومع

الإمام بشي من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم لتكون الحواطر في استعداد لدفع ما يورد عليهما من وساوس دعاة الإنجيل المبشرين في كل قطر ثانيا - كتاب مختصر في الحلال والحرام من الأعمال وبيان الأخلاق الحثيثة والصفات الطيبة والتحذير على البدع المستحدثة التي لم يرد في الكتاب فوضها ولا في السنة أثرها وظهر في العامة ضررها مستدلا فيه بآيات الكتاب وأحاديث السنة مؤبداً بأعمال الصديقين من سلف الأمة ولا بد أن يكون مدار الكتاب تقرير أن الإنسان إنما خلق ليكون عبد الله فكل شيء دون الله ورسوله مبذول ثالثاً - كتاب في التاريخ مختصر يحتوي على مجمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه من وجه ما يتعلق بالأخلاق الكريمة والأعمال العظيمة وفداء الدين بالارواح والاموال مع الإلمام بالسبب في تسلط الاسلام على الامم في وقت قصير مع قلة أهله وكثرة معارضة وقوتهم وإثبات أن ذلك يسر الصدق في المكافأة والاتحاد في المجاهدة ثم ينبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين كل ذلك على وجه مختصر سهل التناول

ثم هذه الكتب تكون لعثمانيين من العرب عربية ومن اترك تركية ومن غيرهم بلسانهم ان وجدوا وما يذكر فيها من آية وحديث يفسر بالغة الموضوعات فيها

✽ التعليم الديني الوسط للطبقة المرشحة للوظائف ✽

(الطبقة الثانية) هم أبناء المسلمين الذين ينتظمون في المدارس السلطانية والشرعية والمملكة والمسكرية والطبية وما ينلونها والذي يهم الدولة منهم أن يكونوا أمناء لها حفاظاً لما استخفظوا عليه من شؤونها - الجندي منهم حامل لنفسه على ذباب سيفه حتى ينتصر أو يموت ، والمحكم منهم بفصل الخصامات قابض على ميزان العدالة ناظر الى كلف النظام يرجع مارجع فيه ويسقط ماسقط منه فهو يتحرى الحق ويحكم به أو يموت ، والمولى منهم أمراً في إدارة أمور الرعية آخذ لنظارات الخلق والدراية ليستين ما يخفى من مصالح وما يدق من مساكأ أهوائها لضبط الأعمال ويلزم الحدود ويوفر وسائل الصرمان فهو يقيم للدولة ما قامت به مصالح رعاياها الا أن يحول دون ذلك الموت قيموت . هذه الطبقة بعد أن تشارك الطبقة السابقة

في مبدأ التعليم الديني يزاد لما بعد ما تقدم كتب أعلى من تلك الفنون نفسها فوضع لهم في المدارس العالية والاعدادية على الوجه الآتي
أولاً - كتاب يكون مقدمة للعلوم يحتوي على المهم في فن المنطق وأصول النظر وشيء من آداب الجدل

ثانياً - كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلي والدليل القطعي مع التزام الوسط وإتيان الطريق الأقرب ومجانبة الخلاف بين المذاهب الإسلامية أيضاً إلا أن يتوسع فيها بيننا وبين النصارى لايضاح ما تستلزمه عقائدهم بوجه أبجل وأوضح وتفصيل شيء من فوائد العقائد الإسلامية في تقويم المعيشة المدنية فضلاً عن غاية السعادة الأخروية

ثالثاً - كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وأبواب الفضائل والردائل ببيان أكل مما في البداية وتوضيح لاسباب الاخلاق وعلاها وآثارها على وجه يقع به العقل وتطمين به النفس ثم بيان الحكم لبعض الاحكام الدينية وفوائدها في الحياة البشرية مع الاستناد في هذا وفي سابقه الى نصوص الدين وسير السلف الصالح كما تقدم ويكون مدار الكلام في الكنايين على ما يضرهم الحية في القلوب ويرفع النفوس الى مقام لا تطلب فيه الا معالي الأمور

رابعاً - كتاب تاريخ ديني يحتوي على تفصيل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه والفنوخات الإسلامية العظيمة في القرون المختلفة وما جاء به الخلفاء الثمانية من ذلك والاتيان على كل هذا من وجه ديني محض فان ذكرت فيه الوجوه السياسية كانت تابعة لفرض الديني ويبين في هذا الكتاب ما كانت تنبسط اليه سيادة الاسلام من أقطار الارض ويودع فيه من العبارات ما يحرك القلوب الى طلب المقود فضلاً عن حفظ الموجود ثم تبسط فيه أسباب التقدم الاسلامي بأدق مما كان في السابق

وأبناء هذه الطبقة كالسابقين من اخوانهم يكفهم أن يتعلموا هذه الكتب بألسنة آبائهم وما يذكر من النصوص العربية يفسر لتغير العرب كما سبق ولا يلزم لتوهم الدينية أن يتعلموا اللسان العربي الا ما يفرض عليهم في العبادات وما

يتلونه من ذلك فلا بد من إيقافهم على حقيقة معناه بالتفسير حتى يكون كل قائل عارفاً بمدلول ما ينطق به ليترك الذكر أثره في الفكر كما هو مطلوب الشارع. وقد يتدرج في هذه الطبقة بعض من يناط بهم أمر التعليم في المدارس والمآئب الابتدائية إذا وجدت فيهم الأوصاف التي تؤهلهم لذلك من الحمية والعفة ومحبة الدولة والوقوف عند أحكام الشرع الشريف مع التبصر في المنوعات والمطلوبات وتمييز ما هو من الدين عما ليس منه وإن خالف أوهاهم العامة

﴿ الطبقة الدينية العالي لطبقة المعلمين والمرشدين ﴾

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ هم أبناء المسلمين الذين عقلوا ما تقدم من كتب الطبقتين السابقتين وكشف الامتحان امتيازهم في فهمها وتخلقهم بالصفات المقصودة بوضعها فأتوا بذلك على أن يرقى بهم الدرجة العليا من العلم والعمل حتى يكونوا عرءاء الأمة وهداة الأمة فيناط بهم التعليم الديني في المدارس العالية والاعدادية بل والابتدائية إذا كثر عددهم وبهم يناط التعليم لأهل طبقتهم فهو لاء لا يكفي لأبلاغهم الغاية المطلوبة للدولة فهم دراسة ثلاثة أو أربعة من الكتب الدينية بل يجب أن يزداد لهم على ما تقدم كتب كثيرة يزدادون بدراستها بصيرة في دينهم ويستوسعون بها القدرة في البيان لإفادة غيرهم فمن المعلم أنه لا يكفي المرشد ما يكفي المسترشد ولأجل هذا تقتصر في بيان ما يحتاجون إليه على ذكر الفنون دون العرض لأعيان الكتب الا قليلا فلتكن الفنون على الوجه الآتي ان شاء الله

أولاً - فن تفسير القرآن وهو أهم ما يحتاج إليه ليقرأ القرآن تفهما وتطلبا لما أودع الله فيه من الأسرار والحكمة فالقرآن سر بهاج المسلمين ولا حيلة في تلافي أسرارهم الا إرجاعهم إليه والم تقرر صيحته أحماق قلوبهم ونزول هزته رواسي طباعهم فالأمل مقطوع من هبوبهم من نومهم ولا بد أن يؤخذ القرآن من أقرب وجوهه على ما ترشد إليه أساليب اللغة العربية ليستجاب لدعوته كما استجاب لها رعاة الغنم وساقاة الإبل ممن آزل القرآن بلغتهم والقرآن قريب لطالبه متى كان عارفاً باللغة العربية ومذاهب العرب في الكلام وتاريخهم وعوائدهم أيام الوحي فلم ذلك من أجود الوسائل لفهمه فإن احتجج الى وسيلة أخرى فأولاهها مطالعة كتب التفسير

الذهابة مذهب تطبيق مفاهيم الكتاب على المعروف عند العرب ك تفسير الكشاف
وتفسير القمي النيسابوري ومن أخذ طريقهما

ثانياً - فنون اللغة العربية من نحو وصرف وبيان و تاريخ جاهلي وما
يتبع ذلك ليتمكن بها من فهم القرآن والحديث

ثالثاً - فن الحديث على شرط أن يؤخذ مفسراً للقرآن مينا له مع اطراح
ما يخالف نفيه من الأحاديث الضعيفة والاجتهاد لإرجاع الأحاديث الصحيحة
إليه ان كان ظاهرها يؤم المخالفة

رابعاً - فن الأخلاق والآداب الدينية بتفصيل تام وإحاطة كاملة على نحو
ماسلك الإمام الغزالي في الإحياء مع تطبيق تلك القواعد الأدبية الشرعية على
الأصول المشهورة

خامساً - فن أصول الفقه من وجه ما يمكن من صحة الاستدلال بالنصوص
الشرعية ويوقف على كليات الشريعة ليستأنس بها في فهم الأحكام ونرى أفضل
كتاب يفيد لهذا المقصد كتاب المواقفات للشيخ الشاطبي المطبوع في تونس
سادساً - فن التاريخ القديم والحديث ويدخل في ذلك سيرة النبي صلى الله
عليه وسلم بالتفصيل وسير أصحابه وتاريخ الانقلابات التي عرضت في الممالك
الإسلامية الأولى وتاريخ الدولة العثمانية وما كان منها في نهاض الإسلام من
كيوته التي كباها في القرون الوسطى بعد الحروب الصليبية مع التوفيق في أسباب
ما وصلت إليه الملة في هذه الأيام ليتبين أنه لا سبب لذلك إلا الجهل بالدين والانحراف
عن أحكامه وانشقاق عصا الأمة بالخلاف الذي لا طائل له

سابعاً - فن الاقناع والخطابة وأصول الجدل لغرض التمكن من تقرير المعاني في
الأذهان وثبيت العقائد في النفوس والزامها الأخذ بكلام الأخلاق وفضائل
الأعمال والارتفاع بها عن دنيا الصفات وسفساف الأمور

ثامناً - فن الكلام والنظر في العقائد واختلاف المذاهب والبحث في أدلة كل
لا انحصار العقيدة ولكن لزيادة البسطة في الفكر والسعة في الرأي ولا بأس بقراءة
بعض الكتب الحكيمة الإسلامية لتكميل الاحاطة بوجوه المسائل العقلية

فهذا جملة ما يلزم لتحلية نفوس هذه الطبقة بفضيلتي العلم والعمل ولم تعرض لفن القنفي العبادات والمعاملات لأن في العبادات سهل التناول من أفواه الطلبة وفي المعاملات يشترك في طلبه المسلم والذمي والأجنبي إذ يضطر إليه كل ساكن في الممالك العثمانية ليعرف كيف يطالب بمحقه أو يدافع عنه أما سائر العلوم من اللغات والرياضيات والطبيعات والنظامات وكل ما حددته نظارة المعارف العثمانية فهي على رسمها كل مدرسة تتبع قانونها لا يضرب شيء منها بالدين بل الدين يقويها كما أنها تقويه

هذه الطبقة الأخيرة ينبغي أن تكون تحت نظر ولا نا شيخ الاسلام خاصة وتكون ادارتها تحت عنايته في سلك مخصوص . ويدعى لها بالمدرسين المتبحرين من أي أرض يوجدون بها وينتخب طلبة العلوم لها من أقوى الناس ادراكا وأذكا من أخلاقا ويراعى في الانتخاب كمال الدقة في الامتحان . ثم لا يعطى الطالب منها شهادة ببلوغه الغاية من علومها وتأهله للتدريس الا بعد الامتحان الشديد في العلوم المتقدمة والبحث الكامل عن سيرته في أحواله وأعماله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل

التدريس في جميع تلك الدرجات إنما يقصد منه اشراق القلوب حب الدين وتوقيره وجعله الغاية المطلوبة من كل عمل حتى تكون للملة وجهة واحدة يقصدونها بأعمالهم فتلتزم قواها الروحية والمالية لخدمة الدين وتأيد حافظه الاعظم المدافع عن بيضته حضرة مولانا أمير المؤمنين فتكون الملة ملة مهيبة يخشئ بأسها وتخاف بوائق غضبها ويؤول بالدولة الى علو الكلمة في سياستها الخارجية بعدما عادت بركابه على المسلمين في راحتهم الدخلية وبالجملة فالقصد من اصلاح الجدول إنما هو الى إحياء الملة وقد كانت كادت تموت والعاذ بالله

ولهذا يجب أن يكون التدريس في أغلب العلوم المتقدمة خصوصاً في الاخلاق والآداب أشبه شيء بالخطابة ترسل في المعاني الى القلوب لتزهرها وتستغزها من مقار الحول والغفلة الى مقامات التنبيه والبصيرة ثم يتبع الدرس رعاية لأحوال المعلمين وأعمالهم ومواخذة لهم اذا خالفوا حكماً من أحكام ما تعلموه ، أو قصرُوا

في عمل من لوازم ما اعتقدوه ، وتذكيرهم في ذلك يؤثر في قلوبهم ويحرك الساكن من خواطرهم . ومن ثمة يجب أن يكون القائمون بالتعليم على أكل الصفات العقلية وأفضل الاعمال النفسية يراعى فيهم ذلك بقدر الامكان

وإن ثقتنا بوعده الله في قوله (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقوله (ان الله مع الذين اتقوا) وقوله (ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) واعتبارنا بقوله (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يرضوا ما بأنفسهم) ونصيرتنا بأحوال الامم الاوربية والاسباب التي وصلت بهم الى ما نراهم عليه في القوة والدراسة كل ذلك يوجب لنا اليقين القطعي بأن اصلاح التعليم الديني على الوجه المتقدم يكون نشأة حياة جديدة تسري في جميع ارواح المسلمين العثمانيين بل هو الذي سيفضي في أسرع وقت الى توحيد كلمة الاسلام وجمع أطرافه تحت كنف الدولة العلية العثمانية رغما عن أنف كل مخاصم ومنه رأي هؤلاء العاجزين ان لا حافظ للدولة ولا وافي لعملة سواء وأن جميع ما صرف في سبيله من المتاعب والتفقات فهو أعود بالفائدة مما يصرف لأي عمل سياسي خارجي أو داخلي فإنه لا سياسة الا بالقوة ولا قوة الا بالنجدة ولا نجدة الا بالوحدة ولا وحدة الا بالطاعة ولا حقيقة للطاعة الا بالعقيدة الحسنة ولا عقيدة الا بحياة الدين ولا حياة للدين الا بالتعليم حتى يجري على أحكام التجربة وليس ذلك الا ما عرضناه وان جمهور المسلمين ممن يعرف أفكارهم في الافطار العثمانية بل وفي غيرها لا يرون دواء لدائهم الا رجوعهم لأصول دينهم في أخلاقهم وأعمالهم وان يكونوا يجهلون الوسائل الى ذلك فالله الذي وفق الدولة حرسها الله لتقريب مرغوبهم وتحقيق أمانهم هذا ما نرفعه الى مقام شيخ الاسلام فان صادف قبولا فذلك ما تؤمل ويؤمل المسلمون وان كانت الأخرى فقد أدبنا ما حضر لنا على حسب عجزنا ونسال الله ان يوفق مولانا أمير المؤمنين وأركان دولته الى تقرير ما هو أعلى من أفكارنا وأنصح منها في اصلاحنا ولنا في جميع الاحوال نوالي الدعوات الصالحات بنصر مولانا الخليفة الاعظم وتأييده وبقائه خلافا لله ورحمة لعبيده آمين

كلام في الدعاة والمرشدين

وبقي في موضوع الإصلاح الديني كلام هو كالتشبه فتقدم لعرضه وهو أن المسكن والمدارس المنشأة في الممالك العثمانية إن لم تكن قليلة بالنسبة للرعايا العثمانيين فالداخل إليها قليل بالنسبة إلى عدد الأهالي فإن الجمهور الأعظم من سكان القرى والأعراب المتنقلين في أكناف المملكة وأشباههم لا يرون ضرورة لتعليم أولادهم ولا يقدرون التربية الحسنة حتى قدرها فإصلاح جداول التعليم في المدارس لا نصيبهم فائدته بل يحرمون منها كما يحرم الكبار من العامة الذين جاؤوا من التعليم وهو لا وأولئك من جسم الدولة ولهم وظائف من الأعمال يطالبون بأدائها والحال فيهم من الجبل ما وصفنا والمضرة اللاحقة بالدولة من جهلهم هي كما ينافي الواجب الالتفات إليهم بإصلاح أرواحهم لتستفيد الدولة منهم فائدتها من سوام

وذلك لا يكون إلا بترتيب دعوة تليهم إلى الواجب عليهم من تعليم أبنائهم وتعليمهم على السعي في تربيتهم وتهذيبهم ثم نخدعهم عن أطباعهم وتلين من قساوة قلوبهم ثم أنهم لورغبوا في التعليم وكلفت الدولة بإنشاء مكاتب لتربية أبنائهم والاتفاق عليها زادت عليها النفقات مع كثرة ما يلزمها من المصاريف في إدارة شؤون المملكة فلا بد أن يكون من وظائف الدعاة تحريض المومنين والاعتناء أن يبذلوا من فضلات أموالهم ما ينفق على إنشاء المسكنات وعمل التعليم فيها ويؤلفوا لذلك لجانا وجاعات في كل بلد وبقعة لتدبيره والقيام عليه تحت مراقبة من يقوم بالدعوة فيهم ثم يكون من وظائف الدعاة إلقاء الوعظ العام في المساجد والمجامع ليذكروا الناس ما نسوا من دينهم ويعرفهم ما جهلوا منه ويشربوا قلوبهم حب الدولة ويقرروا في نفوسهم بلطف البيان أن أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين أولى بهم من أنفسهم وعلى ذلك يجب أن يكون لأهل الدين دعاة مرشدون ينشئون بين العامة ليقفهم على أمور دينهم ويبادروهم بالدواء قبل استفحال الداء

وهؤلاء المرشدون يجب أن يكونوا على الأوصاف التي شرطناها في أهل الطبقة الثالثة علما وعملا وبالجملة فلا بد أن يكونوا من أطول الناس باعاً في الفنون لادوية الشرعية وأوسعهم علماً بصل الأخلاق وأمراض النفوس وأقدرهم على

الناس منافذ القلوب للدخول إليها بما يصلحها ثم يكونوا أقوم الناس سيرة لا يخالف علمهم قولهم فيكونون مثالا للناس يحتذونه وقدوة لهم يتبعونها ثم لا بد أن يكون في كل قوم بفتنهم بل يجب أن يكونوا ممتازين بصراحة اللسان وجودة المنطق بين القوم الذين يرشدونهم ليقبلوا عليهم بالاستماع

ومن هذا نلزم المبادرة إلى إصلاح الخطبة في مساجد الجمعة وتوليها قوما يحسنونها ويدرجون فيها ما يمس أحوال العامة في تصرفاتهم المشهودة ويبين لهم مضار الفساد ويهدوهم إلى سبل الرشاد كما هو مقصود الشارع من فرض الخطبة في الجمعة وهذا باب عظيم من الإصلاح إذا وجهت العناية إليه رجونا منه النفع الكثير والخير الغزير .

فإن سأل سائل أين الكتب التي توضع للطبقة الأولى والثانية من المتعلمين ؟ وأين الرجال الذين يصلحون للتعليم والتربية وأين الذين يقومون بتربية الطبقة الثالثة وتهذيبها ؟ وأين الذين يمكن للدولة أن تعتمد عليهم في إرشاد العامة وتبنيهم دعاء ؟ ثم من أين توجد مصاريف هذه الأعمال ثم كيف شرطت في أهل الطبقة الثالثة أن يحصلوا تلك العلوم مع الإقبال فيها والوصول إلى حقائقها وذلك يستدعي زمنا طويلا فالجواب: أما وضع الكتب للطبقتين فسهل جدا لو كلف أحدنا وضعها لتيسر له ذلك بمعونة الله عز وجل في أقرب وقت يمكن منه صدر الأمر بذلك نعت نظر مولانا شيخ الاسلام . وأما الرجال الذين يعلمون في الطبقتين الأوليين وفي الثالثة أيضا والذين يليقون لوظيفة الإرشاد فهم أن تعسر وجودهم في بلد واحد أو مدينة واحدة فالبحت عنهم في أطراف بلاد المسلمين يهدي إلى الكفاية منهم لبداية المشروع متى صدقت النية وخلصت الوجهة لله وللحق في البحث والاختيار وأمثال أولئك الرجال أهل الدين والاستقامة قلما يقفون بأبواب الأمراء أو يطلبون المناصب الا اذا رأوا في ذلك مصلحة لدينهم فهو لا يعرفون الا بعد التفتيش عليهم ثم اذا حسنت البداية وتبعها الاجتهاد مع الاخلاص في العمل وصل الامر بتوفيق الله إلى الكمال المطلوب وأما طول الزمان في التعليم على أهل الطبقة الثالثة فقد علمنا أن الرؤساء

الروحانيين من الطائفة النصرانية يقيمون في تعلم لاهوتهم خاصة خمس عشرة سنة بل وعشرين زيادة على الزمن الذي صرفوه في سائر العلوم ومن المقرر عندنا أن ما يشتغلون به هو الباطل فليس من المنكر ولا الغريب أن يطول على طلاب الحق زمن البحث للاحاطة بأطرافه حتى يتمكنوا من نصره وتأييده

وأما المصاريف فانه متى وجد ولو قليل من الرجال العارفين الصادقين (وهم موجودون في زوايا الخفاء يظهرهم البحث الصحيح والطلب الدقيق) وقاموا في الناس بالنصيحة من قبل الدولة وظهر من حسن تصرفهم واستقامتهم ما كدثقة الناس بهم فلا تقصر أيديهم عن تخلص الأموال الوافرة من أيدي المرففين من أهالي المملكة العثمانية لتصرف في هذا السبيل وأقل تجربة تحقق هذا الذي نقوله متى فوض الأمر لأهله فإنا لم نأت بشيء من الكلام في هذا الباب الا عن خبرة بأحوال اخواننا المسلمين وطول ممارسة لأخلاقتهم والصادقون في خدمة الدين لا يدركهم اليأس من اصلاحه فانه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون . هذا مجمل ما حضر لخواطر العاجزين وفي التفاصيل ما يطول به القول أضعافا مضاعفة فان دعينا اليه لم تتأخر عن بثه والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسينا ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

جمادى الثانية سنة ١٣٠٤

يقول جامع الكتاب : هذه نصيحة الرجل الذي كان يشي به أهل الفساد في مصر للسلطان بأنه ينقض الدولة فليأتنا أحد يمثل نصحه للدولة في هذه الالتمحة وفي الالتمحة التالية لها .

وازيد في المتار أن ما حمل المرحوم على هذه الكتابة يحدث مثله كثيرا فإزلنا منذ عقلنا قرأ في الجرائد العثمانية أنباء صدور الارادات السلطانية بالعناية بتعليم الدين ، وبث الارشاد في نفوس المسلمين ، فيستبشر المغرورون ثم يمضي الزمان ولا تزيد الدولة الا اهمالا للدين في مدارسها فيعلم العاقل السر في الاخبار بذلك الارادات السنية واذا أراد الله أمرا هيا أسبابه فافهم

الامة وسلطة الحاكم المستبد (١)

وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

ان الامة التي ليس لها في شؤونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا أثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتتوردها السعادة والشقاء، ويتداولها العلم والجهل، ويتبادل عليها الفنى والفقر، ويتناوبها العز والذل، وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خبرها وشرها فهو نابع لحال الحاكم. فان كان حاكما عالما حازما اصيل الرأي عليّ الهمة رفيع المقصد قويم الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها مناوالعلم ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابوابا للتفتن في الصنائع والحذق في جميع لوازم الحياة وبعث في افراد المحكومين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمازيا الشريفة من الشهامة والشجاعة والشهامة وإيلاء الضيم والافتة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير.

وان كان حاكما جاهلا سيّ الطبع سافل الهمة شرها مغفلا جباناً ضعيف الرأي أحق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة أسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسران وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجارفي سلطته عن جادة العدل وفتح أبوابا للعدوان فيتعلب القوي على حقوق الضعيف ويحتل النظام وتفسد الاخلاق وتخفّض الكرامة ويغلب اليأس فتمتد اليها أنظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في أحشاء الامة عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها وأراد الله بها خيرا اجتمع أهل الرأي وأرباب الهمة من أفرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الخبيثة واستئصال جذورها قبل أن تنشر الرياح بذورها وأجزاءها السامة

(١) نشرت في العدد الرابع عشر من جريدة العروة الوثقى بالعنوان الآتي

لقاتلة بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج وبادروا الى قطع هذا العضو المجهنم قبل أن يسري فسادُه الى جميع البدن فيمزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وجددوا لهم بنية صحيحة سالمة من الآفات (استبدلوا الخبيث بالطيب) وان انحطت الامة عن هذه الفرجة وترك شؤنها بيد الحاكم الاله الغاشم يصرفها كيف يشاء فانذرنا بمحض العبودية وعناء الذلة ووصمة العار بين الأمم جزاء على ما فرطوا في أمورهم وما ربك بظلام للعبيد

باب المناظرة والمراسلة

الاسلام هو القرآن وحده

﴿ رَدُّ لِرَدِّ (١) ﴾

نحمدك اللهم يا هادي المسترشدين إلى الحق والصواب * ونسألك أن تؤثينا الحكمة وفصل الخطاب * وأن تؤيدنا بروح منك * فإنا لا نعتمد إلا عليك * ونسلي ونسلم على نبيك المبعوث رحمة للعالمين * بكتاب مبین * لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزيل من عليم حكيم (وبعد) قد اطلمت على ما كتبه الاحتاذ الفاضل الشيخ طه البشري رداً عليّ فيما ذهب إليه، فسررت جداً لغيرته، وشكرته على أدبه ونزاهته، ولكن لما كنت أخالفه في أكثر آرائه اضطرت إلى مناقشته ليظهر لي الحق ان كنت مخطئاً، راجياً من أهل الانصاف والعقل أن يكونوا حكام بيننا، والله ولي الهداية، المتخذ من القواية

قال حفظه الله « وأما السنة فلاننا ثبتنا بالكتاب نفسه فهي منه تستمد وعليه تعتمد » ثم استشهد على ذلك بمدة آيات من القرآن الشريف لم تكن لتخفي علينا من قبل فلماذا نبدي له رأينا فيها واحدة بعد أخرى. الآية الأولى قوله تعالى (وأرسلنا إليك الذكريتين فلنامس ما نزل إليهم) « ليس هناك معنى لتبين الكتاب غير تفصيل مجمله وتفسير مشكله » الخ وقول لو كان جميع ما ورد في كتب السنة من

(١) لقد كتور محمد توفيق أفندي صدقي

الأحاديث المعتمدة تبيننا للقرآن لكان في غاية الاجمال ولما وصفه الله تعالى بكونه
 بينا ومفصلا في قوله (باسان عربي مبين) وقوله - وكذلك أنزلناه آيات بينات -
 وقوله - وهو الذي أنزل اليك الكتاب مفصلا - وقوله - كتاب فصات آياته قرآنا
 عربيا لقوم يعلمون - وقوله - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)
 الى غير ذلك من الآيات فكيف وصفه الله تعالى بهذه الأوصاف وهو محتاج الى
 كل هذه المجلدات الضخمة (كتب السنة) لتوضيحه وتفسيره وتفصيله؛ وكيف يكون
 القرآن آية في البلاغة وفيه ما لا يفهم الا اذا فسره الرسول بنفسه؟ ألا يستكشف
 أحدنا أن يكتب لخاص كتابا لا يفهمونه الا اذا فسرهم هو لمهم!! فمالك بالقرآن المبين
 نعم قد أطلق القرآن الكلام في مسائل قليلة لتكون عبارته منطقية على أحوال
 جميع البشر في كل زمان ومكان ولكن هذا شيء والاجمال شيء آخر. ولتوضيح
 المقام نضرب مثلا لكل.

فمثال الاجمال قولك: حرم الله الحباث: وإذا أردت تفصيله تقول: حرم
 الله الخنزير والخمر والميتة والدم وغيرها. ومثال الاطلاق أن تقول: جاء محمد:
 وتقيده يكون بنحو قولك (جاء محمد راجبا فرسا في يوم الجمعة) فالجمل مادخل
 تحته جميع أفراد المفصل. والمطلق لا تدخل فيه أفراد المقيّد. ولكنه يحتملها أي
 ان الأول كل جراب الحاوي للمفصل والثاني كجراب غير حاو له ولكنه يسهه.
 فالقرآن ليس فيه جمل يحتاج إلى تفصيله الا وفصله بقدر ما تقتضيه حاجة البشر.
 ولكنه فيه مطلق لم يقيّد لقيده أولياء الأمر حسب الحال والزمان والمكان.
 فان قيل لم لا نهى السنة تقييدا لمطلقه بالنسبة للعالمين. قلت لأن النبي لا يعلم
 حالة البشر في جميع الأزمنة والأمكنة. وان كان الله تعالى أعلم بها فلم لم
 يقيّد جميع مطلق القرآن بالقرآن كما قيد بعض مطلقه فيه؟ والخلاصة أن القرآن
 بين ومفصل تفصيلا في بحاجة جميع البشر بدون احتياج الى شيء سواه. ولذلك
 لم يصفه الله تعالى بالاجمال في موضع واحد ووصفه بضده في مواضع كثيرة كما
 بينا ذلك فيما سبق. اذ لا يمكن أن يكون معنى التبيين المذكور في الآية ما ذكر
 الاستاذ وانما معناه الاظهار والتبليغ وعدم كتمان شيء من الكتاب أو اخفائه

عن العالمين كما ورد مثل ذلك المعنى في قوله تعالى (واخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير) وقوله (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والعدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . الا الذين تابوا وأصلحو وينوا فإُولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) الى غير ذلك من الآيات . ثم على فرض أن التبيين هنا معناه التفصيل والتفسير للمجمل والمشكل كما يقول فهل نسبي مازاد في السنة عن الكتاب مما ليس له أثر فيه تفصيلا وتفسيرا أم ماذا ؟ وذلك مثل كثير من 'واقض الوضوء' وقتل المرتد لمجرد الارتداد ومحريم الحرير والذهب وغير ذلك مما لم يشر اليه الكتاب

الآية الثانية (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) أي يظهر لهم جميع ما أوحاه الله اليه من الدين ويبلغهم اياه مفصلا وموضعا بلغتهم التي يفهمونها وإيان النبي بهذا القرآن هو كذلك وليس في الآية ما يدل على أنه يأتي أولا بالكتاب غير مفهوم ثم يأخذ في تفسيره وشرحه لهم بمبارات أخرى . وهب أن ما يدعونه صحيح فالآية صريحة في أن هذا التفسير والتفصيل هو لقومه الذين نشأ بينهم وبث فيهم وهو ماندعيه وليست نصا في أنه كان عاما لجميع البشر كما هو ظاهر .

الآية الثالثة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) فعلم الكتاب هو تحفيظه للناس وتفهمه لمن لم يفهمه منهم وتدريبهم على التدبر والتفكير فيه والاستفادة منه وتوجيه أنظارهم إلى ما فيه من الآيات والدلائل والعبر والحكم وحثهم على ادراكها وتصورها وغير ذلك مما قد يفوت بعضهم . وقوله (والحكمة) عطف تفسير كقوله تعالى (واذا آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) والمعنى أن القرآن ذو حكمة كما وصفه بقوله (والقرآن الحكيم) . وعلى تسليم أن العطف هنا للمقابلة فليس المراد بالحكمة الشرائع والعبادات ونحوها وإنما المراد الحكم والمواعظ والآداب والنهضة مثل

وأنواع التهذيب والتأديب والتثقيف التي قام بها النبي صلى الله عليه وسلم نحو الأمة العربية حتى أخرجها من ظلمات الجهلية الى نور العلم والمدينة . ونحن لا نرفض شيئاً من ذلك بل نقبله على العين والرأس كما قلنا في المقالة السابقة والذي ندعيه أن القرآن مشتمل على أمهاتها ولا أظن أن حضرة الأستاذ تخالفنا في ذلك .

الآية الرابعة (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) ونحن لم نعارض في ذلك بل نقول ان اطاعة الرسول فرض محتم على كل من أمره بشيء . وأما موضوع البحث هو هل أوامر الرسول القولية (السنة) خاصة بزمانه أم عامة ؟ وبعبارة أخرى هل فرض علينا نحن فرضاً غير ما في كتاب الله تعالى ؟ وهل للرسول أن يفرض على من ليس في عصره وبعد تمام القرآن شيئاً زيادة عما فيه ؟ أما من كانوا في عصره فله أن يأمرهم بأي شيء يرى فيه مصلحة لهم في دينهم أو دنياهم لأنه رئيسهم وأعظم أولياء أمورهم وأعلمهم بما فيه الفائدة وأرجحهم عقلاً وهو أولى الناس بتطبيق القرآن على حالهم وتقييد مطلقه بما يوافقهم . وطاعتهم له واجبة . ولو وجه البناء خطابه لوجب علينا نحن أيضاً ولعلنا أن الله أمره بذلك . ولكن دعوانا أنه لم يفعل . فهذه الآية التي نحن بصدد الكلام عليها تشبه من وجه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) فلو وجد عليه السلام في زماننا الحق علينا امتثال هذا الأمر .

الآية الخامسة (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحمل لهم غيبتات) فليس في هذه الآية ما يدل على أن الرسول يأمر أو ينهى أو يحمل أو يحرم بغير ما في القرآن فمن اتبع القرآن فقد اتبعه في كل ذلك . ولعل ماسقط من هذه الآية في مقالة الشيخ من الطابع لأمته

الآية السادسة (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) هذه الآية وردت في النبي . ونصها هكذا (ما آفاه الله على رسوله من أهل القرى قلله وللرسول ولأهل القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ومعناها ما أعطاكم الرسول من الشيء فخذوه وما نهاكم عنه فامتنعوا. يقولون ان العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أي . باب النزول ولكننا نقول ان الكلام هنا في السياق لا في السبب ولو لم يعتبر للسياق لوجب على كل مسلم مثلاً أن يكون دائماً متجنباً نحو الكعبة في أي عمل يعمل له لقوله تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ولكن السياق يدل على أن ذلك في قبلة الصلاة فكيف يعتبر السياق هنا ولا يعتبر هناك

سلمنا أن آية (وما آتاكم الرسول) عامة في كل شيء وأمر ولكن هذا لا يفيد مناظرنا الفاضل شيئاً لأننا نقول إن السنة أعطاهها الرسول للعرب لأننا كما سبق ولو أعطاها لنا لوجب علينا أخذها وبعبارة أخرى إن السنة هي خطاب الرسول الخاص والقرآن خطاب الله العام . أما ما أورده بعد ذلك من الآيات فليس فيه شيء جديد ويعرف الجواب عنه مما بيناه هنا . ثم اني أسأل حضرته سؤالاً وهو ما الحكمة في جعل بعض الدين قرآنًا والبعض الآخر سنة ؟ مثلاً اذا كان الله تعالى يريد أن كل من كان عنده من المسلمين عشرون ديناراً من الذهب أو مثلاً درهم من النضة وجب عليه أن يخرج زكاتها ربع عشرها في جميع الاوقات وفي جميع البلدان فلماذا لم يذكر ذلك تفصيلاً في الكتاب كما ذكر المواريث وغيرها ؟؟ وما حكمة الاجمال في بعض المواضع والتفصيل في الاخرى ؟

قال حفظه الله « ان كل ما يجري على لسان الرسول أو يبدو من عمله إنما هو بالوحي السماوي أو الالهام الالهي الصادق » وهذه العبارة على إطلاقها غلط لا توافقها عليها . لان بعض أعمال الرسول وأقواله كانت باجتهاد منه عليه السلام ولم تكن وحياً مطلقاً وقد عوتب في بعضها لأن الله تعالى لم يقره على غير الصواب والكمال وما كنا نظن أن حضرة الاستاذ تنسى ذلك أو تداساه مع أن القرآن الشريف شهد به وكذلك الاحاديث الصحيحة المعتبرة عنده فلذا نلفت نظره الى ما ذكره المفسرون في مثل قوله تعالى (ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تر يدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) وقوله (عما الله عنك لم أذنت

لهم حتى يثبته لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) وقوله (عيسى وتولى أن جاءه
الاعشى) وإلى غير ذلك من الآيات . حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم يكي
بكاء شديدا من بعض هذه المتأيات . وقد ورد في الحديث أيضا أن النبي نهى
عن تأيير النخل ولما علم بضرر ذلك رجع عنه وقال ، (أنتم أعلم بأمور دنياكم) .
فالعصمة لله ولكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وأما
قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى)
فذلك في شأن القرآن خاصة وهو الذي لا يجوز أن يخطئ فيه مطلقا

ثم قال الاستاذ ما معناه ان السنة اجمالا متواترة وانها مقطوع بها كالكتاب
وتقول ان أفراد السنة لم يتواتر منها شيء الا ما كان يمد على أصابع اليد . واذالم
نكن أفرادها متواترة الا القليل فلا فائدة في القول بأنها متواترة اجمالا بل ولا معنى له
ولا يفني ذلك من الحق شيئا . ولم نسمع أحدا غيره يقول انها بالجملة مقطوع بها
كالكتاب . وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون) هو في شأن القرآن كما
يدل عليه ما قبله ولم تسم السنة بالدكر مطلقا . وكيف تقول ان هذه الآية تتناولها مع
أن الاعتبار الوجودي يكذبنا لا يؤيدنا . فانه مع عناية المسلمين بها قد تطرق اليها
جميع أنواع التحريف بازياة والنقص والتبديل ولا يمكننا معها بمحضنا في تاريخ الرواة
وغيره أن نجزم بشيء منها الا ما تواتر وقيل هو . لان الكذاب أو الضعيف أو المطعون
فيه بوجه ما قد يروي أحيانا ما هو حق وصدق فلا نقبله منه فيحصل النقص في السنة .
وكذلك الثقة قد يخطئ أو يكون ممن نفاها بالصالح والاستقامة حتى غرنا فنأخذ
الحديث عنه والرسول يري . منه . فيحصل بسبب ذلك التبديل والزياة في السنة .
فهي أشبه شيء . بكتب أهل الكتاب . وما نشأ ذلك الا من عدم كتابتها في عهد
النبي عليه السلام وعدم حصر الصحابة لها في كتاب وعدم تبليغها للناس بالتواتر وعدم
حفظهم لها جيدا في صدورهم حتى أباحوا قلمها بالمنى واختلفت الرواية عنهم لفظا
ومعنى . فلو كانت السنة واجبة في الدين لأمرنا أن يمالوها معاملة القرآن . حتى
نأمن عليها من التبديل والزياة والنقصان . والذي نراه أن ما أجاب به الاستاذ
عن هذه المسائل ليس الا من قبيل المراوغة في البحث فخلصنا من شدة وقصا على

النفس كما يتضح ذلك لمن طالع ما كتبه وكتبناه من العقلاء المنصفين . وهنا نريد أن نسأل حضرته سؤالاً وهو لماذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة أقواله في صحف على حديثها ولأجل التمييز بينها وبين القرآن يكتب عليها ما يفيد أنها أقوال الرسول ويأمر أصحابه بحفظها وتبليغها للناس بالتواتر كما بلغوا القرآن حتى يصل إلينا كتابان لا نزاع فيهما ولا اختلاف ؟ وهب أنه مع العناية التامة بتمييزهما عن بعضهما وبلغت بعض عبارات الرسول درجة الإعجاز فدخلت في القرآن أو دخل شيء من القرآن فيها وحفظ الاثنان بدون أن يختلط بهما شيء أجنبي عنها حتى وصل إلينا بالتواتر وبدون أن ينقص منهما شيء - ولو أنها اختلطا ببعضهما شيئاً قليلاً - أليس ذلك أخف ضرراً من ضياع بعض السنة وعدم الجزم بأكثر ما بقي منها مع العلم بأنها شطر الدين الثاني كما يزعمون ؟ وبذلك كان المسلمون يستريحون في القرون الأولى من العناية والتعب في لمها وتمحيصها وهم لم يصلوا إلى النتيجة المرغوبة ولن يصلوها وكانوا يصرفون همهم هذه إلى شيء آخر . واعلم أن زبدة ما اجاب به الاستاذ عما ذكرناه من الفروق بين الكتاب والسنة بعد طول المناقشة هي قوله « ان المدار في القطع بالقرآن هو التواتر اللفظي لا غيره مما ذكرت » . ونقول ان القرآن لا شك أنه متواتر لفظاً ومعنى وكتابة وهب أن المدار على التواتر اللفظي فقط فأي شيء من السنة وصلنا بمثل ذلك إلا ما شذ وندر ؟ وهل يفيدنا ذلك السير من السنة المتواترة في شيء من ديننا أو دنيانا .

الكلام هنا لا يشمل التواتر العملي ككيفية الصلاة وعدد ركعاتها لان الاستاذ ينكر علينا قيمة ما عدا التواتر اللفظي كما يفهم من كلامه . وإذا سلم قيمة التواتر العملي فالقرآن أيضاً متواتر عملاً في كيفية كتابته ولذلك حافظ المسلمون على رسم المسحاة له إلى اليوم وإذا كان ينكر فائدة التواتر العملي فبم يعرف عدد ركعات الصلاة مثلاً ؟ وهل وصله حديث واحد في ذلك متواتر لفظه ؟ الحق أقول : لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ النبي عليها هو وأصحابه حتى تصل إلينا كما وصل إلينا القرآن بدون نزاع ولا خلاف ولا لكان الله تعالى يريد أن يبعدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله قال تعالى (وان تطلع أكثر من في الأرض يضلوا

عن سبيل الله ان يبعثوا الا الذين وانهم الا يفرسون) وما أجل قوله هنا (اكثر من في الارض) فسبحان ربك رب العزة عما يقولون . ولنجمع هنا أعظم الدلائل التي نعتمد عليها في اثبات دعوانا أن السنة كانت خاصة بمن كان في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . وهي : —

(١) لم تكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فتكون أقرب الى التحريف منها الى الضبط لو كانت كتبت في عهده

(٢) نهى صلى الله عليه وسلم عن كتابة شيء عنه سوى القرآن الشريف ولا يمكن تفسير ذلك تفسيراً مقنعاً بغير ما ذهبنا اليه

(٣) لم تجمعها الصحابة بعد عصره في كتاب لينشر في الآفاق ولم يحصرها أحد منهم حفظاً في صدره ولو كانت الشطر الثاني للدين لا عني بها بذلك أو نحوه

(٤) لم تنقلها الصحابة الى الناس بالتواتر الغفلي . وما تواتر لفظه يكاد يكون لا وجود له وهو غير هام في الدين وتواتره حصل اتفاقاً لا قصداً منهم

(٥) ما كانوا يجيدون حفظها في صدورهم كحفظ القرآن ولذلك اختلفت ألفاظ ما تعددت رواته منهم

(٦) كان بعضهم ينهى عن التحديث ولو كانت السنة عامة لجميع البشر لبذلوا الوسع في ضبطها ولتسابقوا في نشرها بين العالمين ولما وجد بينهم متوان أو متكاسل أو مشط لهم .

(٧) أباحوا للناس أن يرووها عنهم بالمعنى على حسب ما فهموا

(٨) لم يتكفل الله تعالى بحفظها فوق فيها جميع أنواع التحريف . ولا يمكننا القطع بشيء منها مما رواه الآحاد وهو جاهل مجرد عدم معرفتنا شيئاً يجرح الرواة

(٩) يوجد فيها كثير مما لا ينطبق الاعلى العرب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يوافق الاعادتهم وأحوالهم كسألة زكاة الأموال وزكاة الفطر وغير ذلك

(١٠) يشم من بعض ما وصل إلينا من آثاره ما ذهبنا اليه كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يجب الوضوء من القي «لو كان واجبا لوجدته في كتاب الله تعالى» وإن حصل الطعن في سند مثل هذا الحديث فلا يمكن اتعليل عن سبب وجوده

بين المسلمين مع أنه يخالف روح مذهبهم وكيف روي عن واضعه؟ وهل الواضع له كان يقصد أن يقول بمثل رأينا الحالي؟ إذا سلم ذلك دل على أنه لا إجماع بين المسلمين على وجوب الأخذ بالسنة وإن كان الواضع من غير المسلمين فإذا همه إذا أخذ المسلمون بالقرآن وحده أوبه مع السنة وخصوصها في مثل هذه المسألة (مسألة نواقض الوضوء). وهل ذلك يشكك المسلمين في دينهم أو يضعفهم مع أنه يعززم ويقويه؟ وكيف أخذ بعض الفقهاء بهذا الحديث وقال إن الوضوء لا ينتقض بالقي مستشهدا به على مذهبه فالقول بأن هذا الحديث صحيح أو موضوع لا يكفي لشفاء الأمة وارواء الفتنة بل لابد من البحث والتنقيب

فهذه أدلي أوردتها سردا بالإنجاز ليلدبرها المتدبرون وليتفكر فيها المتفكرون وأرجو ممن يرد علي أن يترك المراوغة ويجيبني بما يقتضي ويقنعهم ولا أضنع الوقت سدى ، ولم نصل الى هدى

﴿ الاستنباط من الكتاب وحده ﴾

قد أنزل الله تعالى القرآن الشريف بلسان العرب وخطبهم فيه بما يعرفون وبما يفهمون . فهو وحي الله إليهم مباشرة وإلى العالمين بواسطتهم . وجميع ما فيه مفهوم لهم بدون احتياج إلى تفسير مفسر أو تأويل مؤول . أما الأمم الأخرى التي تأخذ القرآن عن العرب فلا بد لهم من معرفة اللغة العربية معرفة تامة وكذا معرفة أحوال العرب وعاداتهم وتاريخهم واصطلاحاتهم حتى ينسبر لهم فهم القرآن على حقيقته . وهم غير محتاجين لمعرفة شيء آخر من أحاديث أو ناسخ أو منسوخ أو قصص أو غير ذلك مما لم أذكره هنا . وبالاختصار إن العرب لا تحتاج إلى شيء مطلقاً لفهم القرآن . وغيرهم لابد له أن يقدر على فهمه . أعني أن يصير مثل العرب يتعلم ما ذكرته . ولذا وصفه الله تعالى بكونه لساناً عربياً مبيناً . فلا يرد فيه لفظ لا تعرفه العرب أو اصطلاح لم يهدوه إلا إذا ذكر ما يفسره . إذا عرفت هذا فاعلم أن اصطلاحات القرآن قسمان : اصطلاحات كانت مستعملة بين العرب قبل نزوله مثل لفظ الحج والاحرام والبحيرة والسائبة وغيرها . واصطلاحات جديدة لم تكن تعرفها من قبل كلفظ الصلاة والزكاة وغيرها .

أما القسم الأول فاذا ذكر الله تعالى منه شيئاً فلا يفسره لأنه معروف ولذلك لم يبين القرآن معنى الاحرام مثلاً ولا كيفيته وإنما ذكر ما يدل على وجوبه . قال تعالى (وآموا بالحج والعمرة لله فان أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) فاذا سمع العربي هذا الكلام فهم أن المراد بقوله (ولا تحلقوا رؤوسكم) في هذا المقام النهي عن التحلل قبل بلوغ الهدي إلى المكان الذي يحل فيه ذبحه . وهذا يدلنا على أن الاحرام واجب . ولذلك نهى عن قتل الصيد فيه وشدد العقوبة على من فعل ذلك وتوعده . ولو لم يكن واجباً لما كانت كل هذه العناية به . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً لذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام) وكذلك ذكر تعالى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ورد على أهل الجاهلية فيها فقال (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرم لا يعقلون) ولم يبين لنا تعالى معاني هذه الألفاظ اعتماداً على أن العرب تعرفها . ولا يجوز لنا أن نفسر مثل هذه الألفاظ الاصطلاحية بمعانيها القولية بل يجب فهمها كما كانت تفهمها العرب .

وأما القسم الثاني من الاصطلاحات فاذا ورد في القرآن شيء منه ذكر ما يبين المراد به . فمثلاً الصلاة وإن كان معناها لغة الدعاء إلا أنها في الاصطلاح صورة مخصوصة تستفاد من مجموع آيات القرآن المتعلقة بها ومقارنتها ببعضها مثل قوله تعالى (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك - وقوله - بحمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود * وقوله - وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وقوله - يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وقوله - ولا تبهروا

بصلواتك ولا تخافت بها واجتنب بين ذلك سيلا * وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً
ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً * وقوله - أقم
الصلاة للربك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً *
وقوله - أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل - مع قوله - وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها - فأمثال هذه الآيات يكل ويفسر بعضها بعضها
والذي يفهم من مجموعها أن الصلاة المطالبين بها في القرآن هي ما اشتملت على
قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح وتحميد وتكبير وقراءة قرآن . وأما الزكاة
وإن كانت في اللغة النمو أو الطهارة فهي في اصطلاح القرآن ما يعطي من مال
الأغنياء للفقراء وغيرهم على سبيل الوجوب وقد أشار الى ذلك بقوله (قَاتَ ذَا
الْقَرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لِّذِينَ يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ
هُمْ الْمَقْلُوحُونَ * وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَّبٍّ لَّيْزٍ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيهِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ
مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْمِفُونَ) وقوله (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً
تَطَهِّرُهم وَزَكِّيهم بها - وقوله - وسيجنبها الآتق الذي يؤتي ماله يتزكى) . واعلم
أنه كما تستفاد العقائد والشرائع والأخلاق من مجموع القرآن فكذلك العبادات
لا بد من أخذها من مجموعه لا من بعضه .

بقي عليّ مسألة واحدة مما ذكره الشيخ البشري في هذا الباب وهي قوله
ما معناه أنه قد برد في الكتاب لفظ مشترك بين معنيين متناقضين ولا يمكن
ترجيح أحدهما على الآخر إلا بالسنة . وأقول أنه من المستحيل أن برد في الكتاب
لفظ لا يتعين المراد منه إلا إذا كان معناه يؤيدان الى الفائدة المطلوبة بعينها كلفظ
القرء الذي استشهدت به حضرته في قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن
ثلاثة قروء » فسواء أريد به الحيض أو الطهر فالنتيجة واحدة . على أهم قالوا
إن الأصل فيه الانتقال من الطهر الى الحيض . والرجح بالسنة لم يؤد الى النتيجة
المرغوبة لأن أبا حنيفة وإن كان أخذ بحديث « طلاق الامة ثنتان وعدتها حيضتان »
إلا أن غيره لم يبال بذلك وأخذ بأدلة أخرى فقالت الشافعية والمالكية إن المراد
بالقرء الطهر . وهذا هو الذي اشتكينا ونشتكي منه . فإياها الفاضل المناظر

أتدعونا الى شيء لم يندكم أتمتم التمسكين به ولا زلت مختلفين فيه ؟ هذا واتعلم أن ماقلته في هذا الباب يعد طعنًا منك في بيان القرآن المبين وبلاغته فلتستغفر الله تعالى منه ولتتب اليه

﴿ مراتب السنة الصحيحة ﴾

أقر الاستاذ في هذا الباب بأن ماعدا المتواتر لا يفيد اليقين . وأن العمل به عمل بالظن . وقال : إن التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق أو موجب للجرح على الأقل وهو مدفوع بقوله تعالى (ما جعل عليكم في الدين من حرج) : وتقول ان الله تعالى لا يتعبنا بالظن والا لما ذمه في كتابه كثيرا . قال تعالى (وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) وقال أيضا (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أتمم الا تخرصون) والسياق يدل على أن الآية الأولى خصوصاً واردة في الأحكام لا في العقائد . فكيف يذمه الله تعالى ثم يوجب علينا العمل به ؟ وقول الشيخ « ان التكليف باليقين تكليف بما لا يطاق الخ » غلط لان التكليف بالقرآن في غاية السهولة وليس فيه من حرج . اللهم الا أن يكون مراده التكليف بالعمل بالسنة على وجه اليقين فيكون كلامه حجة عليه لا له .

وقد أقر أيضاً في هذا الباب بأن أصحاب كتب الحديث اذا اختلف في نفس أحدهم أقل شبهة من أحد رواه نفى يديه منه واقلب الى أهله خاويامن ذلك الحديث وقاضه . وهذا القول يؤيد ماقلناه من أن السنة تحصل فيها نقص كل التأيد . فان الحديث اذا كان يرفض لأقل شبهة في أحد الرواة فلا بد أنهم رفضوا أحاديث كثيرة ولا بد أن بعضها كان صحيحاً في الواقع ونفس الأمر اذا الاشتباه في الراوي لا يمنع من ذلك .

أما دفاعه عن المجتهدين ومحاولته أن يقول أنهم جميعاً على الحق وان اختلفوا فما لا يقبله العقل فان الحق واحد واذا كان مع أحدهم فلا يمكن أن يكون مع مخالفه . واذا كان مراده أنهم كلهم مثابون على اجتهادهم فانما أعارض في ذلك ولم يكن هذا موضوع بحثي في مقالتي السابقة .

﴿الاجماع﴾

استدل عليه بآية وأخطأ في إيرادها ونصها كما قال المنار (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي كما ترى في غير هذا المقام ولا تناسب ما نحن فيه. وعلى فرض المناسبة نقول: أنه لم يرد في القرآن أن المؤمنين لا يخطئون. أو أن طريقهم واحد ولا يسرون في طريق الباطل. ولو أورد لنا آية هذا المعنى لكأن حجة لحضرته. والذي تعلمه أن المؤمنين يجوز عليهم جميعا الخطأ ويجوز أن يسروا في طريق الباطل فمن خالفهم فيه أثابه الله ومن لم يتبع سبيلهم الحق عذبه الله. فغنى الآية هكذا (ومن يشاقق الرسول) أي يعصيه ويخالفه (من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين) أي طريقهم الحق عذبه الله بما ذكر. وإذا سار المؤمنون في طريق الباطل فلا يسمى هذا طريقهم. لأنه أمر عارض يخالف طبيعتهم. ولا يزال طريق الحق يسمى طريقهم لأنه هو الذي يحنون إليه بمقتضى فطرتهم ويتطلبونه إذا ضلوا. وهم لم يجدوا عنه الاغلا أو جهلا. ورجعهم إليه سهل إذا أرشدوا

هذا وإني قد تركت بعض مسائل لم أبدأ بحظي عليها في مقالة الاستاذ الأولى خوفا من التطويل والسآمة. ولأن البحث فيها لا يؤدي إلى نتيجة هامة في الموضوع ولا يغير جوهر الكلام

﴿مبحث الصلاة﴾

نبدأ الكلام في هذا البحث بذكر بعض مسائل يحتاج إليها القارئ كل الاحتياج ليفهم حقيقة ما نرمي إليه فنقول:

- (١) أن عدد ركعات الصلاة كما وصلنا متواتر عملا عن النبي صلى الله عليه وسلم
- (٢) لو سلمنا أن أصحاب الرسول عليه السلام كانت تعتقد أن الفرض منها ما هو معروف لما ضارنا ذلك شيئا لأننا نقول لعل ذلك كان لأن النبي جمعهم على هذه الأعداد المخصوصة وحثها برغبة منه في كمال النظام وتمام الاتحاد ورفع أي اختلاف بينهم إذ كانوا حديثي العهد بالوفاق والوئام. وليس من خلف بعدهم

مضطرا لا التزام ما أمرواهم بالتزامه . فليس حديث ذي اليمين ولا حديث عائشة اللذان أوردهما الاستاذ بمفيدين لنا في هذا البحث شيئا . على أنها ليسا بمتواترين . ونحن وان احتجنا بمثلها على غيرنا لقبوله ذلك لا تقبل الاحتجاج بها على أنفسنا لأنها لا يفيدان الا الظن كما تقدم . ثم ان الاستاذ لم يجنبنا عن السبب في صلاة النبي ركعتين ركعتين مدة إقامته بمكة وجزأ من إقامته بالمدينة أي أكثر من نصف زمن الدعوة وأراد التخلص من ذلك بمناقشتنا في بعض ألفاظ حديث عائشة وهو لم يرو كما نقله في البخاري أن عائشة رضي الله عنها قالت : الصلاة أول ما فرضت ركعتان فأقوت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر : هذا الحديث أقرب إلى رأينا في عدم تسمية صلاة السفر قصرا منه إلى رأيهم وأظهر منه حديث عمر رضي الله عنه حيث قال : صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم : ولذلك اضطر كثير من المفسرين إلى تأويلها بما والاسناد يظن أننا أول من أنكر تسمية صلاة السفر قصرا وتفاضى عن أقوال الصحابة أنفسهم

(٣) لم يرد حديث واحد متواتر لفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا بشئ فيه بهذه الأعداد المحدودة . أما حديث « صلوا كما رأيتموني أصلي » فهو غير متواتر . وليس صريحا في أمر الركعات . وهب أنه يشمل ذلك فهو خاص بمن في عصره النبي بدليل قوله (كما رأيتموني)

عجبا منك أيها الاستاذ البشري . كيف نتحجج على بهذا الحديث وهو غير صريح في المسألة . ولا نتحجج به على أبي حنيفة الذي نقلت قوله ويظهر أنك أقررت في أنه يكفي قراءة آية من القرآن في الصلاة ولو كانت غير الفاتحة ؟ مع أن النبي وأصحابه أجمعوا على المحافظة على قراءة الفاتحة في كل ركعة وتواتر عنهم ذلك ولم ينقل عن النبي عليه السلام أنه تركها مرة واحدة في أول الدعوة أو في آخرها في سفر أو حضر . فهل المصلي بدون الفاتحة يكون عندك مصليا كما صلى النبي ولا يكون كذلك من صلى ركعتين بدل الأربع . ولماذا نرى أننا نحن المناطريق المؤمنين ولا نرى أن أباحنيفة فعل ذلك أيضا ؟ وما السبب في ذهابه هذا المذهب ؟ أليس ذلك لأنه يرى أن التواتر العملي وحده لا يكفي إذا لم يصحب بأمر لفظي ينهم منه وجوب الشيء من عدمه ويكون غير قابل

للتأويل ولا للطن فيه

(٤) لو كان وصلنا أصل الأمر بركات الصلاة متواترا فلفظه قلربما كنا نجد أنه يدل على أنه خاص بمن في عصر النبي عليه السلام أو أنه على الأقل لا يدل على العموم . والاجماع على فهم مخصوص غير حجة علينا . فكلم من أشياء فهمناها على غير ما فهمها الصحابة والتابعون . أنظر مثلا الى قوله تعالى (و ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء . انه خير بما تفعلون) فلو سألت عنه جميع الصحابة والتابعين لقالوا لك هذا يحصل يوم القيامة . مع أن كثير من علمائنا الآن صاروا يقولون أنه حاصل في الدنيا . ولو قال واحد في الزمن الأول إن النبي أخبر الصحابة بدوران الأرض لا تنفقوا جميعا على انكار ذلك وتكذيبه . ولو كانوا رواد القرآن بالمعنى لرووا هذه الآية على حسب فهمهم . ولو لم يصلنا أصل النص لما علمنا أنه يحتمل ما قاله ذلك الخالف للاجماع

(٥) غير المتواتر يفيد الظن ولا يفيد اليقين كما أقر بذلك الاستاذ البشري فيما سبق . والله لا يتعبدنا بالظن فلو كان الله يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر . وحيث أنه ما وصلنا دل ذلك على أن الله لا يريد منا الا المحافظة على ما في كتابه صريحا أو ما استفيد منه لأن المتواتر غيره قليل وليس في مسائل هامة في الدين كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فإنه متواتر في رأي الأكثرين

إذا علمت كل هذه المسائل فاسمع ملخص البرهان . الأمر بركات الصلاة إما أن يكون تحريريا أو قوليا . هو ليس بتحريري . ولم يصلنا أمر قولي متواتر بذلك إذا لم يصل إلينا أمر مقطوع به مطلقا من الطريق الأول أو الطريق الثاني . فإن قيل إن التواتر العملي دال عليه وعلى ما هو مفروض قلت يحتمل أننا إذا نظرنا في أمر الرسول الأصلي وجدناه اما خاصا بمن في عصره أو أنه على الأقل لا يدل على أنه عام لجميع الناس في جميع الأزمنة والأمكنة . وإذا فليس عندنا دليل قطعي على وجوب هذه الأعداد . والله لا يتعبدنا بالظن كما قلنا مرارا فلو كان يريد منا المحافظة على هذه الأعداد المخصوصة لوصل إلينا أصل الأمر بالتواتر حتى لا يبقى عندنا

أذن ريب . وحيث ان هذا الأمر لم يصل إلينا بالتواتر دل ذلك على أن الله لا يريد منا المحافظة على هذه الأعداد والاستانة عليها وهو المطلوب .

ولنعد الآن الى أتمام البحث في هذه المسألة فنقول :- نازعنا الاستاذ الفاضل فيما استنتجناه من قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناه واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) الى آخر الآية . فاعلم أن الخطاب بالجمع في قوله تعالى (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح الخ) لا يستلزم أن النبي صلى الله عليه وسلم أو من يقوم مقامه داخل فيه اذ كثيراً ماورد الخطاب بالجمع ولم يرد به الا أكثرين كما في قوله تعالى (وان خفتم شقاق بينه فاجتنبوا حكما من أهله وحكما من أهلها) فالخطاب هنا وان كان لجماعة المؤمنين الا أنه لا يشمل الزوجين ولا الحكيمين الا اذا حاولنا التأويل . وهب أن الخطاب يشمل كل فرد ففي الجناح لا يستلزم أن القصر واجب على كل فرد في كل صلاة . اذا علمت ذلك تبين لك أن صلاة النبي ركعتين عند الخوف في السفر وهو امام ان قلنا انها لم تكن قصر لما خلفنا مضمون قوله تعالى « فليس عليكم جناح أن تقصروا » حتي يتم علينا الزام حضرة الاستاذ المناظر أما قوله ان القيد « ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا » لا مفهوم له وأنه لبيان الواقع فما لا نواقه عليه لان الأصل عدم ذلك ومنى أمكن حمل الكلام على وجه يجعل لكل قيد مفهوماً وجب المصير اليه . أما اذا لم يمكن ذلك لدليل قام عندنا اضطررنا الى القول به . وهنا لا دليل بمنعنا من القول بأن هذا القيد معتبر في هذه الآية وأحاديث الاتحاد التي تنافي ذلك هي معارضة بمثله كقول عائشة وقول عمر الذين ذكرناهما فيما سبق فانها يدلان على أن صلاة السفر ليست قصرأ فكان القصر هو في صلاة الخوف فقط . وعلى ذلك فاقارنا بأن القيد في قوله تعالى « واذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة » النسخ لا مفهوم له لا يستلزم أن قول بذلك في كل قيد نراه والخطاب هنا وان كان للنبي الا أنه قد

جرت عادة القرآن في كثير من المواقع أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ويربده هو وأمنه كقول المثل (إياك أعني وأسمعي بإجارة) ولو قلنا إن كل خطاب للنبي هو خاص به لأخرجنا الأمة من جزء عظيم من تكاليف القرآن كقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها» وقوله «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین» وقوله «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» وقوله «ولا تجبر بصلاتك ولا تخافت بها» الآية وقوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله (وأمر أهلك بالصلاة) إلى غير ذلك من الآيات . ولهذا قال علماء الأصول إن كل خطاب للنبي هو أيضاً خطاب لأمة إلا إذا دل دليل على التخصيص . وما يشير إلى هذا المعنى قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لمدتهن) . لذلك نقول إن القيد (وإذا كنت فيهم) لا مفهوم له لأن الدلائل قامت على ذلك بخلاف القيد (إن خضتم أن يقتنك الذين كفروا) فإنه معتبر مفهوم لعدم الدلائل انقاطة . ولو كان الحكم في هذه المسألة بحسب اختيار الإنسان وإرادته لحصل التلاعب في فهم أوامر الدين

أما استشهاده بآية (وربأنكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) فلا حق له فيه لأن هذه الآية ليست مما يتعين أن يكون القيد فيها لا مفهوم له بل قال بعض الصحابة وغيرهم بمكس ذلك . قال علي كرم الله وجهه الربيبة إذا لم تكن في حجر الزوج وكانت في بلد آخر ثم فارق الأم بعد الخول فإنه يجوز له أن يتزوج الربيبة وكذلك قال داود من الفقهاء . وصفوة الكلام في هذا الموضوع أن كل قيد ورد في القرآن يجب أن نعتبر مفهومه إلا إذا منع من ذلك مانع قوي كما في قوله تعالى (ولا تكثرها فتياتكم على البهائم أن أردن تحصناً) وكل خطاب للنبي خطاب لأمة إلا إذا قام دليل على التخصيص وكل قيد لم يعتبر مفهوم له فلا بد أن يكون هنا من فائدة أخرى لوروده في الكلام . وبذلك نزه كتاب الله تعالى عن الغلو والعبث والابهام وعدم البيان .

أما دعواه أن صلاة الخوف لم يقل أحد بأنها ركعة واحدة فيكتفي بالرد عليه أن نعيه إلى تفسير مثل تفسير غير الدين الرازي وهناك مذهب أن ابن عباس وجاهر

ابن عبد الله ومجاهد وغيرهم قالوا انها ركعة واحدة فقط كما قلنا وهو المنبأ من قوله تعالى « فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا » أي أول سجود لأنه لم يذكر غيره وبه تنهي الركعة الأولى . ثم تأتي طائفة أخرى لم تصل فتصل الركعة الثانية خلف الامام . وتكون كل طائفة صلت ركعة واحدة فقط

قال الاستاذ المناظر اني استدلت على أن ما بعد الركعتين في الثلاثية والرابعة زيادة عن القدر الواجب بعدم الجهر بالقراءة فيه وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة ونبي على ذلك ما نبى ولكن عبارتي لم تكن كذلك ونصها هكذا : كان عليه السلام لا يجهر بالقراءة في الركعتين الأخيرتين وان جهر في الأولىين ولا يقرأ فيها بعد الفاتحة شيئاً من القرآن أفلا يدل ذلك على أن منزليها أقل من الركعتين الأولىين : وشتان ما بين هذا المعنى وذلك . ثم انه لم يجب بشيء عن السبب في عدم الجهر وعدم قراءة شيء بعد الفاتحة مع فعل أحد هذين الأمرين أو فعلهما معاً في الركعتين الأولىين كما جرت به عادة المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا شأن حضرته في أكثر رده علينا فانه يترك الاجابة عن السؤال نفسه ويشغلنا بغيرها

اتقدم علينا تسمية صلاة السفر « اكتفاء بالواجب » ونرى أن انتقاده هذا الحق فيه اذا أثبت لنا أن النبي كان يلزم في غضون أسفاره التوافل وعندئذ يمكننا أن نستبدل هذه التسمية بغيرها كقولنا (تقليلاً للتوافل) ولما كانت ركعات الصبح والمغرب قليلة بالنسبة لغيرها كان يصلحها عليه السلام في السفر كما اعتاد في الحضر بدون تقليل منها .

هذا ولم يبق بعد ذلك في مقال الاستاذ شيء يحفل به وفيما ذكرناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وقتنا الله لما يحبه ويرضاه وألهمنا الفهم لكتابه المجيد . انه مالم الأنام هادي العبيد . رب العرش الفعّال لما يريد

تذييل

لفت نظر القارئ الى المسائل الآتية فان فيها زبدة هذه المقالة والمهور التي تدور عليه : -

(المسألة الأولى) الفروق بين القرآن والسنة القولية هي :

(١) القرآن هو قول الله . والسنة هي قول الرسول

(٢) القرآن معجز والسنة غير معجزة

(٣) القرآن متواتر كل جزء منه . والسنة ليست كذلك

(٤) القرآن أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه في زمنه ولذلك نسبه «التعاليم التحريرية أو الكتاب» والسنة نهي عن كتابتها ونسبه «التعاليم اللفظية»

(٥) القرآن خطاب الله العام . والسنة خطاب الرسول الخاص

(المسألة الثانية) التواتر العملي لا يدل على الوجوب مالم يكن مصحوباً بدليل قولي قاطع ولذلك قال أبو حنيفة إن قراءة الفاتحة ليست بواجبة في الصلاة مع أن ذلك متواتر عملاً عن النبي عليه السلام

(المسألة الثالثة) القرآن بين العرب لا يحتاج لتبيينه إلى كلام آخر لأنه في متهى البلاغة ولا يكون كذلك إلا إذا كان إيضاحه فوق إيضاح كل كلام سواه . فلا فلا معنى عندنا لقول بأن الرسول مبين له بسنته القولية

(المسألة الرابعة) الإيضاح العملي أبلغ من الإيضاح القولي معها كانت درجته . فالقرآن وإن كان لا يمكن إيضاحه بقول أوضح منه إلا أنه يمكن توضيحه بالعمل فإن العمل أبلغ من كل قول . وهذا الأمر يدركه من درس بعض العلوم التي تحتاج إلى العلم والعمل كالعطب مثلاً . ويدخل تحت ذلك تصوير الأفرنج للمعاني بصور وأشكال يضعونها في كتبهم لتعين القارئ على الفهم

(المسألة الخامسة) لا ننكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مبين للقرآن بعمله . ولا ننكر أن قوله تعالى (وأنزّلنا إليك الذّكر لتبين للناس ما نزل إلّهم) قد يشمل هذا التبيين العملي أيضاً . والقبي أنكرناه هو التبيين القولي فقط لما أوضحناه آنفاً فلا يمكن أن يكون هو المراد بهذه الآية .

(المسألة السادسة) التبيين العملي عندنا قاصر على إيضاح مافي الكتاب وتصويره بالفعل . ولا يشمل ذلك الأعمال التي تزيد عن معنى مافي الكتاب . فكل عمل مبين لمافي الكتاب يكون واجباً إذا دل الكتاب على وجوبه . والذي

لم يدل الكتاب على وجوبه أولم يذكره بكون غير واجب علينا . و بعبارة أخرى (الواجب على البشر لا يخرج عما في كتاب الله تعالى)

(المسألة السابعة) جل ماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وما ورد عن أصحابه مفسرا لآي القرآن لم يصبح سند . ولذلك قال الامام أحمد ثلاثة لأصل لها التفسير والملاحم والمغازي . ولم يرد عنه عليه السلام حديث واحد يعتمد عليه في بيان الناسخ والمنسوخ مع شدة الحاجة الى ذلك اذا صح مايقولون (راجع مقالنا في الناسخ والمنسوخ)

فارجو من يطالع هذه المقالة أن يحسن النظر في هذه المسائل ولا يعميه التقليد عن إدراكها وبمد ذلك ان شاء أن يرد علينا فليفعل . والسلام على من أتبع الهدى ما ٢٠ يناير سنة ٩٠٧ هـ صدق

﴿ المنار ﴾

نشرنا هذه الرسالة بطولها في هذا الجزء رغبة في تقصير مدة هذه المناظرة ونقول الآن في المسألة كلمة مختصرة وربما عدنا إليها في بعض أجزاء السنة الآتية كثر الكلام ونشبت المباحث ودخل في طول الجدل أو كاد وتحرير محل النزاع هل الاسلام الدين العام لجميع البشر هو القرآن وحده أم هو جميع ما جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على أنه دين ؟ قال الدكتور محمد توفيق افندي في المقالة الاولى (كما في ص ٥١٧ من الجزء السابق) بمد مسألة عدد ركعات الصلاة ومسألة مقادير الزكاة ما نفسه ولا شك عندي أن هاتين المسألتين متواترتان عن النبي صلى الله عليه وسلم فليس ذلك محلا للنزاع ولكن محل النزاع هو هل كل ما نواتر عن النبي أنه فعله وأمر به يكون واجبا على الامة الاسلامية في جميع الأزمنة والامكنة وان لم يرد ذكره في القرآن ؟ رأيي أنه لا يجب . وذ كر في المقالة الثانية ما رأيت آتفا من الدلائل العشرة على أن السنة النبوية كانت خاصة بمن في عصر الرسول (ص) وتارات يقول أنها خاصة بالعرب . وهذه الدلائل كلها تتعلق برواية الحديث الثامن فانه امر سلمي والتاسع فانه دعوى ممنوعة والمأثر فانه رائحة دليل لا دليل

من البديهي الذي لا يحاري فيه عاقل منصف ان الاعتقاد بأن فلانا رسول الله يستلزم أن يقبل منه كل ما دعا اليه من أمر الدين جميع من أرسل اليهم فإن كان مرسلنا الى قوم محصورين وجب ذلك عليهم وان كان مرسلنا الى غير محصورين وجب عليهم متى بلضهم . ومن المعلوم عندنا بالضرورة بحيث لا يتنازع فيه أحد من المتناظرين ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل الى الناس كافة من كان منهم في زمنه من العرب وغيرهم ومن يأتي بعده الى قيام الساعة . فوجب أن يكون كل ما جاء به من أمر الدين موجها الى جميع من أرسل اليهم في كل زمان ومكان الا اذا دل الدليل على التخصيص فهذا أصل بديهي لا تطيل في بيانه ولا في تحرير برهانه

نضم الى هذا الاصل أصلا آخر أظن أن الدكتور لا يعترض فيه وهو أنه لا يعقل أن يفهم جميع من تلقوا الدين عن الرسول (ص) مباشرة أن عمل كذا من الدين وأنه عام لجميع المكلفين ويكون ذلك العمل في نفسه خاصا بهم وحدهم أو مع من يشاركون في وصف خاص كاللغة والوطن لأن هذا لا يتصور وقوعه الا اذا جاز أن يقتصر الرسول في التبليغ والبيان الذي بهت لاجله وهذا مما لا يجبره مسلم فاذا جعلنا هذين الاصلين مقدمتين اتجتنا لنا أن كل ما علم من الدين بالضرورة وأجمع عليه أهل الصدر الاول فهو من الاسلام لا يعتد باسلام من تركه ومنه القرآن برمته وهذه الصلوات الخمس وان ما عدا ذلك محل اجتهاد فمن بلغه عن الرسول (ص) شيء غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة وثبت عنده وجب عليه أن يعتد به من الدين ومن وثق بجته وعلم منه أنه ثبت عنده شيء عن الرسول وجب عليه أن يعتد به من الدين فان كان ثبوته على أنه حتم عمل به حتما وان كان مخيرا فيه تغير . فاذا سلم الدكتور صدقي بهذه النتيجة سلم من الشذوذ في أصل الاسلام وانحصرت إشكالاته فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن وما تلقاه عنه المسلمون من العمل الذي لم يصل الى درجة الجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة وكل ما يصل اليه الاجتهاد بعد ذلك فهو مما ينسحب له صلته بالاسلام ولنا فيه تفصيل نرجعه الى وقت آخر

هذا مجمل ما يقال في أصل المسألة أما فروعها فأظهرها مسألة الصلاة وهذه الكيفية المعروفة عند جميع المسلمين — ويدخل فيها عدد الركعات كعدد الصلوات وهي خمس — مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة لا ريب في أن جميع الصحابة فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها مفروضة بهذه الكيفية والعدد على جميع من يدخل في الاسلام الى يوم القيامة هذا ما تلقاه عنهم التابعون وجرى عليه الناس فاذا أمكن الريب فيه بعد ثلاثة عشر قرناً كانت جميع معارف البشر عن الماضي أولى بأن يرتاب فيها بل أجدر بالناس حينئذ أن يكونوا سوفسطائية يشكون حتى في المحسوسات

ليس قصر الصلاة في الخوف ولا في غير الخوف مما يصلح شبهة على كون الصلاة المفروضة هي ما يعرف جميع المسلمين فإن حال الخوف لها حكم خاص بها لمكان الضرورة فنه ما ذكر في سورة النساء وهو ما يحتاج به الدكتور صدقي على ما تقدم عنه ومنها ما ذكر في سورة البقرة (فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا) وهذه كيفية لأركوع فيها ولا سجود. فاذا كان ما في سورة النساء يدل على أن أقل صلاة الخوف ركعة للمؤمنين وركعتان للإمام وأقل صلاة الأيمن ركعتان لكل مسلم كما قال الدكتور صدقي فلماذا لا يستدل بما في سورة البقرة على أن الواجب في كفيتهما يحصل بشير ركوع ولا سجود لأنه أقل ما اكتفى به القرآن ويجعل الأمر بالركوع والسجود في آيات أخرى غير فيه أو مندوباً إليه أو أمراً كالياً ولا يعدم لذلك نظائر في أوامر القرآن

القواعد العامة في الأديان والشرائع والقوانين توضع للحال التي يكون عليها الناس في الأكثر والأغلب لا للأحوال النادرة والضرورات التي قد يوضع لها أحكام خاصة تسمى رخصاً في عرف أهل الشرع واستثناء في عرف أصحاب القوانين وهي لا تبطل معياراً على القواعد والأحكام العامة التي هي الأصل ومن هذا القليل صلاة الخوف لا يمكن أن يؤخذ منها حكم الواجب في حال الأمن وهي العامة الغالبة على أن قوله تعالى (فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم) لا يدل على أنهم يفعلون ركعة واحدة لاسيما على القول بأن معنى سجدوا هنا صلوا وهو المتبادر

والتعبير عن الصلاة ببعض أعمالها معهود في القرآن والحديث والآثار ومنه قوله تعالى (وقرآن الفجر) معناه صلاته بل ورد التعبير عن الصلاة بالتسبيح وهو من أذكراها الخفية لامن أركانها الجليلة . وان قلنا ان المراد بالسجود العمل المعروف يكون المعنى فاذا سجد المصلون فليكن الآخرون من وراءهم لثلاثي يفتهم العدو وم ساجدون لا ينظرون اليه . وفصل الشرط لا يقتضي الوحدة بل يصدق بالتكرار وهو المتبادر فيه . فالقرآن لا يدل على عدد الركعات المفروضة في حال الأمن ولا في حال الخوف أيضاً . والأحاديث لا يصح الاستدلال بها عند الدكتور لعدم الثقة بها فاذا احتج بالسنة العملية وجب عليه ان يتبع سائر المسلمين في الكيفية والعدد . وم قد اتبعوا في ذلك رسول الله كما أمرهم تعالى باتباعه في قوله (١٥٨:٧) قل يا أيها الناس اتبعوا رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تفلحون) فهذا الأمر العام الذي الله به الناس جميعاً لا للعرب خاصة يحتم على الناس اتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أمر مطلق حكاه ان يجري على إطلاقه

يقول الدكتور صديقي نعم ان اتباعه واجب ولكن على كل قوم ان يتبعوه فيما دعاهم اليه وقد دعا العرب الى الكتاب والسنة ودعا سائر الناس الى الكتاب فقط ونقول لادليل على هذه التفرقة في الدعوة وأما السنة سيرته صلى الله عليه وسلم في الهدي والاهتداء بالقرآن وهو أعلم الناس به وأحسنهم هدياً وإطلافاً على ما يشمل الأحاديث اصطلاحاً حادث . فلم بما قرر على اختصاره أن أصل دين الاسلام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فامضت السنة على أنه حتم في الدين فهو حتم وما مضت فيه على أنه مستحسن بخير فيه فهو كذلك في الدين .

أما سؤال الدكتور لم كان بعض الدين قرآناً وبعضه سنة فجوابه أن الدين تعليم وتربية كما قال تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم (١٥١:٢) يتلو عليكم آياتنا وهزيمكم ويعلمكم الكتاب والحكمة) والتعليم كان للآيات والكتاب والحكمة التي هي اسرار التنزيل وفلسفته والنزكية أي التربية كانت بالسنة وهي طريقته في الاهتداء والعمل بالقرآن على الوجه الذي تتحق به الحكمة

منه ولذلك قل تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) والاسوة به القدوة به في سيرته وأعماله .

وقول الدكتور : « الحق أقول لو كانت السنة واجبة وكانت الشطر الثاني للدين لحافظ عليها النبي وأصحابه حتى تصل إلينا كما وصل القرآن بدون نزاع ولا خلاف والا لكان الله تعالى يريد أن يتعبدنا بالظن والظن لا قيمة له عند الله » فيه أن السنة لا معنى لها في عرف السلف وعرفنا الاما واظب عليه النبي (ص) وأصحابه ككيفية الصلاة وكيفية الحج وقد وصل إلينا هذا بدون نزاع ولا خلاف يجعل السنة في جلئها مظلونة . ذلك أن اختلاف الفقهاء في أذكار الركوع والسجود هل هي واجبة أو مندوبة ليس مبنيا على اختلافهم في أصلها هل جرى عليه عمل النبي وأصحابه أم لا بل هذا متفق عليه ومثله اختلاف الحنفية مع غيرهم في الفاتحة وما يقرأ بعدها هل يسمى بعضه فرضا وبعضه واجبا أو مندوبا فإن هذا اختلاف في الاصطلاحات وهم متفقون على السنة المتبعة وهي ان النبي وأصحابه كانوا يقرأون الفاتحة في كل ركعة ويقرأون بعدها سورة أو بعض آيات في الصبح والركعتين الأولىين من سائر الفرائض ومن النواقل وما فعله بعضهم وتركه الآخرون سببه ان النبي فعله تارة وتركه أخرى فهو غير فيه الا اذا ثبت أنه تركه في آخر حياته رغبة عنه . وما اختلفت فيه السنة وهو ثابت يشبه الاختلاف في القراءات ما تواتر من كل منها فهو قرآن وسنة قطعا وما لم يتواتر فلا حجة فيه على أنه أصل في الدين . وليس في السنة شيء لأصل له في القرآن بل كان خلق صاحب السنة القرآن ولكن لاستغنى بالقرآن عن السنة الا اذا استغنيا عن كون الرسول قدوة واسوة لنا وذلك فسوق عن هدي القرآن وإهمال لنصه

بقي في الموضوع بحث آخر هو محل النظر وهو هل الاحاديث ويسمونها بسنن الاقوال دين وشرعية عامة وان لم تكن سننا متبعة بالعمل بلا نزاع ولا خلاف لاسيا في الصدر الاول ؟ ان قلنا نعم فأكبر شبهة ترد علينا هي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابته شيء عنه غير القرآن وعدم كتابة انصحابه للحديث وعدم حناية علمائهم وانهم كالحلفاء بالحديث بل تقل عنهم الرغبة عنه كما قلنا للدكتور صديقي

في هذا كراته لتأجيل أن يكتب شيئاً في الموضوع . وقد سألتنا غير واحد من أهل العلم عن رأيه في حديث النهي فما أجاب أحد الا ببعض ما أجاب به النووي في شرحه لمصحيح مسلم وهو غير مقنع لاهل هذا العصر الذين نبذوا التقليد ظهرياً . فالمنار يقترح على علماء الدين ان يوافقوه بما يملكون وما يفتح عليهم في هذه المسألة والاكتأوا من كثرة العلم وقد علموا ما ورد في الكتابين

هذا وقد سبق لنا سبج طويل في بحث ما نتحقق به الوحدة الاسلامية من الاخذ بالكتاب والسنة فليراجع ذلك من شاء في مقالات ومحاورات المصالح والمفاد في المجلدين الثالث والرابع من المنار وقد طبعت هذه المحاورات في كتاب مستقل ثمنه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة المنار

﴿ رسالة من طهران بحروفها ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة رشيدنا ومرشدنا حكيم الاسلام وفيلسوفه مربي الأمة المحمدية والدنا وأستاذنا السيد محمد رشيد رضا منشي مجلة المنار الاسلامي أطال الله بقاءه ورزقنا يره ولفاه آمين يارب العالمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فالعجب لتحرير هذه السطريات هو الاخبار بما اعترض به سفير الدولة العثمانية الامير شمس الدين بك علي الجرائد الفارسية عند ترجمتها لمقالتكم (الشورى في بلاد ايران) المذكورة في العدد السابع من المجلد التاسع من مجلتيكم الفراء . أول من ترجم ذلك ذكره الملك في جريدته (ترييت) الفراء فنبه المترجم علماء الفرس وسواسهم وذكر لهم بعد الترجمة ان منزلة ومقام حضرة حكيم الاسلام وفيلسوفه السيد محمد رشيد رضا عند جميع أهل الأقطار من المسلمين وخصوصاً العرب الكرام بمنزلة مئة عالم مجتهد من أهل التشيع فاضنوا الفرصة وفكروا أيها السواس في مقالة هذا الخبر واقروها على المنابر وفي المعابر . ثم نقل ما ترجم وما قال سي في جريدة (مجلس) وهي جريدة الطلوع بقراها في طهران الصغير والكبير والدكر والاثني بل وفي جميع ايران

كتب الأمير شمس الدين بك الى وزير خارجية (علاء السلطنة) كتاباً وأغظ فيه وذكر أن ما ترجمته وزنائه (ترييت) وقتلته عنها جريدة مجلس من المنار أسباب يلقيها أعداء الدولة ليوثقوا اتفاق بين الدولتين ، ويحدثوا الشقاق بين الفريقين ، فالأولى أن تحتدوا على جرائدكم اذا رأوا مثل هذه المقالات ان لا يترجموها : فأجابه وزير الخارجية بأن صاحب المقالة ليس من رعيئنا حتى نؤاخذه وبأن سلطاننا قد أطلق الحرية للجرائد والأقلام فلا يمكننا معارضتهم بشئ . هذا معنى ما كتبه السفير ، وما أجابه به الوزير ، رأيت الكتاب والجواب بعينى في يد سيد محمد صادق نجل حضرة السيد محمد الطباطبائي المجتهد مدير جريدة مجلس

وقد كنت يوماً في مجلس مشحون من طلاب العلوم الدينية فتذاكروا ماجرى بين السفير والوزير فقام أحدهم خطيباً فحذر الله وأثني عليه ثم قال : ان دولة الترك تريد أن تضغط على عقولنا وأفكارنا كما فعلت بإخواننا من العرب المسلمين ، تطلب منا أن لا نكتب في جرائدنا ما ينور عقولنا وينبه أفكار أهل ملتنا من الفرس بأن مجلس الشورى اذا دار في إيران فأحكامه وقوانينه هي أحكام الشريعة وقوانينها فيجب على كل مسلم أن يتبع أحكام الشريعة المحمدية حيث كانت . ماذا رأيانا من الدولة التركية ؟ رأيانا منها التمدي على حدود مملكتنا من طرف تبريز ، رأيانا منها التمدي والظلم لإخواننا وأهل ملتنا في العراق ، رأيانا منها دجهم وجزرم في الشهر الماضي ، مهلاً مهلاً أيها الترك أفيقوا من غفلتكم ، وتيقظوا من نومكم ، فليس اليوم كالأمس ، ولا غد كالיום ، انفتحت علينا أوروبا وأتانا أهلها من كل حذب يذبلون ، هذا ناجر وهذا سائح وهذا حكيم والآخر دافع لدينه ، واتصد من الكل ابتلاعنا معاشر أهل الاسلام ، فان تيقظتم وإلا فأنتم صوبوهم ونحن غبوقهم لا سحر الله بذلك ، أيها الترك تأملوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا نتخذ المستبدين أرباباً من دون الله طاعتهم كطاعته ومعصيتهم كمعصيته ، بل نجالدهم بالسيف والسنان ، والقلب والاسان ، فان توليتم قسدهم بأننا مسلمون ، ونبرأ الى الله من المستبدين

الحائنين ، ومستمكنون بقوله عز من قائل في وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) وهم الذين قال الله فيهم (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور)

هذا معنى ماخطب به خطيب الطلاب الدينية أحييت أن أطلعكم عليه فإنه بعد ما ترجم قولكم صار بين الناس ذكركم وأنتاهم أشهر من نار على علم اهـ (المنار) ذكر الكاتب اسمه ولم يأمر بكتمه ولكننا لم نذكره لاجل قوله أنه اطلع على ما كتب السفير والوزير . ولعله بين عنوانه الذي تصل اليه به الرسائل لتكتب اليه

وقدر أى القراء أن خطيب طلاب العلوم بطهران أعقل من سفير دولتنا الذى يدعي أن بيان الحق و اظهار حكم الله في أمر المسلمين وقاعدة حكومتهم لا يأتي الا من عدو لدولته ولا يكون له من الأثر اذا هو ظهر في بلاد الفرس الا تأريث العدوان بينهم وبين قومه الترك ومعنى هذا — ولا ندري أفهمه أم لا — ان دولته عدوة للحكم الاسلامي الذى وضع القرآن له أساس الشورى وأنها تعادي كل من يقول به أو يحاول العمل به . ونحن ننزه الدولة في مجموعها والأمة العثمانية عن هذه الضلالة ونقول ان الأمة والدولة يتنان من حكم الاستبداد ويحنان الى حكم الشورى ولكنهما غلبنا عليه ولولم يجد المايين عمالا مثل حضرة السفير لما تمكن من القضاء على القانون الاساسي ومجلس المبعوثان بالاعدام . لماذا يكون المطالب بالشورى والعدل أو المادح لها عدوا للدولة ولا يكون المساعد على الاستبداد والظلم لاجل المال والجاه هو العدو المبين للدولة والملة ؟ أي الامر ينضمن لسلطتهما ؟ أليس من العار علينا ان نجد الجواب الصحيح عند أحد طلاب الفرس والجواب الباطل عند أحد وزراء الترك . ان ما نذر المسلمين به الخطيب الفارسي لواقع ان لم يتداركوا أمرهم وأن الخطر على العثمانيين أقرب فنسأل الله تعالى أن يغير ما بنا الى خير منه قبل أن تقع الواقعة فنكون خافضة راضية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الدكتور ضياء الدين أحمد

قال بعد مقدمة في الشكر لاصدقائه الذين احتفوا به ولا محاب الجرائد ما ترجمته
أيها السادة : - لم تعد كلية عليكرة شيئاً غير معلوم في مصر . فأكتفى بأن
أقول إنها الآن تألف من ثلاثة أقسام - المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية
والمدرسة العالية والمقارنة بمدارس مصر الابتدائية والثانوية يصح أن تعد مدارس
مصر الابتدائية والثانوية كالمدرسة الابتدائية عدداً بقسميها الابتدائي والراقي . لأن
المدارس الثانوية للتعليم العام لا وجود لها في الحقيقة بمصر . والتي يسمونها هنا للمدارس
العالية كمدرسة الطب والحقوق تسمى في أوروبا مدارس ثانوية فنية . فدرستنا
العالية في الكلية لا يصح أن تقاس بها مدارسكم العالية هنا وإن كانت المدرسة العالية
في عليكرة لا تزال في طفوليتها أو كأنها مدرسة ثانوية راقية . ولا تنكر أن مدرستنا
الكلية لم تخرج إلى الآن رجالاً من عظماء العلماء الذين يكتشفون الاكتشافات
المهمة في العلوم والفنون يسدونها قد خرجت رجالاً ذوي كرامة ونفوس عالية
وإخلاص لبلادهم وملتهم

يوجد في بلاد الهند أكثر من مئة مدرسة مثل كلية عليكرة لكن الذي يجعل لكليتنا
امتيازاً حقيقياً على غيرها أنها الشرقية الوحيدة التي يوجد فيها نظام خاص بإقامة الطلبة فيها
على الطريقة الانكليزية وأول ما يعلم الطلبة فيها حب الكلية والعمل المستمر لترقيتها
وإعلاء شأنها بكل ما في إمكانهم ويتدرج من ذلك إلى ترقية شعورهم في مبادئ الاخلاص
والوطنية حتى إذا ظهر أن طالباً ما يشتري بمصلحة المدرسة مصاحبة شخصية له يحفره
الطلبة كافة فاما أن يكفر عن ذنبه بخدمة عامة وإما أن يبرحها غير مأسوف عليه ويوجد
في المدرسة مجتمعات عديدة وأندية كثيرة للطلبة وللبدا الذي تدير عليه هذه المجتمعات
والأندية هو المبدأ الذي وضعه المستر بك رئيس المدرسة السابق في خطبة ألقاها عند
تأسيس النادي المسمى (يونيون كلوب) إذ قال « أيها الطلبة هذا البناء بناؤكم وهذا
النادي ناديكم وهو جزء من أجزاء المدرسة الكلية وهو المكان الذي تكونون فيه
رأيكم العام وتقدنون آراءكم وتربون أخلاقكم وتعدون أنفسكم لإدارة الاعمال »
أما نظام المدرسة العام فهو على الطريقة الانكليزية حيث يتولى الطلبة شؤونهم بأنفسهم

في السير والادارة . ومن حسن حظنا في عليكرة أننا لانعرف ولا تتبع الطريقة الفرنسية في ضبط الطلبة ونظامهم بواسطة ضباط فلها طريقة عقيمة ولها مضار كثيرة ظاهرة في مصر . ومن أسرار نجاحنا أننا نتمسك كثيرا بالتربية الهندية والتربية الوطنية اذ يحير الطلبة على تأدية الواجبات الدينية كلها وينشطون على الاهتمام والاشتغال بأحوال المسلمين في أنحاء العالم كافة . أما المسائل السياسية فلا يمكن الاستغناء عنها ولا منعها من الكلية اذ لابد للشباب الطالب من أن يفكر ومن الجنون ان يصد سبال الفكر بجواجز صناعية لابد أن تهدم وتسقط في يوم من الايام وينساب التيار في جهات عديدة والذي نملله في الحقيقة هو أن نعدّ لذلك السيل طرقا ومسالك يجري فيها والكلية الآن تتبع روجرام التعليم في الحكومة وتمد الطلبة لامتحان المدارس الجامعة الكبرى على أن الغاية من مبدأ الامر أن تكون مدرسة عليكرة جامعة اسلامية مستقلة . وقد قال للمرحوم السيد احمد خان منذ زمن طويل في خطبة ألقاها « إن نجاتنا لا تكون الا في الوقت الذي يصبح فيه أمر تعليمنا يدينا ولا تسترقنا مدارس الحكومة الجامعة . وحينئذ نأخذ العلوم بيننا والفلسفة بشمالنا ونحمل نابع لا إله الا الله محمد رسول الله » فوق رؤسنا »

وقال منذ اثني عشر عاما أحد حكام الولايات الهندية وهو السيد أنفي مكدونل في خطبة ألقاها : « ليس من البعيد أن تمو هذه الكلية قصير مدرسة كبرى وتكون قرطبة الشرق الحديث وينتج الفكر الاسلامي من بين جدران هذه المدرسة الرقي السياسي والديني الذي لا يؤمل الآن من الاستانة أو مكة قسما »

وقد أخذ المسلمون بعد وفاة المغفور له السيد احمد خان يفكرون بساعي الثواب بحسن الملك في انشاء جامعة اسلامية وجامعة للمسلمين . وثبت فرق بين التمييز كما ظهر في جامعة ايرلندا الكاثوليكية حتى لقد كان البحث في جعل كلية عليكرة مدرسة جامعة كبرى موضوع المناقشة والاخذ والرد في مؤتمر التربية الاسلامي وقد قال سمو آغاخان في ختام خطبة له بعد الكلام في أسباب انحطاط المسلمين ما يأتي :

« ان كنا حقيقة كما ندعي أسفين على انحطاط ملتنا وأمتنا فواجب أن نتحد في نهضة واحدة لاصلاح هذه الحال وفي مقدمة كل عمل يجب أن نبذل الجهد لتكوين مدرسة جامعة يتعلم فيها المسلم زيادة عن العلوم الحديثة تاريخ الاسلام والمسلمين . إن لمسلمي الهند حقا طبعيا رقي وقد قدام خوانهم في مصر وقارس وأفغانستان وغيرها

يجعل عليكم (اكتسوف رداً إسلامية) يرد اليها أبناء المسلمين لا لتعلم العلوم الحديثة فقط بل لتربية أخلاقهم وتسمية صفات الاخلاص والمروءة والاثار على النفس وغير ذلك من الصفات التي نهضت بالمسلمين في عصورهم الاولى ولا ريب مطلقا في أن مدرسة جامعة كبرى كهذه تعيد لنا مجدنا الزاهب أفلا يتحد المسلمون ويجهدون أنفسهم في انشاء مدرسة جامعة كهذه . فهل فقدوا الشعور والشرف ومكارم الاخلاق التي كانت سببا في نهضتهم الاولى حتى أصبحنا غير قادرين على جمع شئ من المال لهذا العمل المجيد ؟؟؟
وقد كان المستر موريس ناظرنا السابق وضع مشروعا لنظام المدرسة الجامعة المطلوبة واقترح أن تكون فيها مدرسة كلية خاصة بالعلوم العربية

إتنا اذا تكلمنا أيها السادة عن مدرسة جامعة اسلامية فلا نريد مدرسة عالية تلقى فيها العلوم التي يمكن تلقينها في مدارس ثانوية وانما نريد أن نضع أساس مصدر فكري تنمويه الارواح وتربي الرجال وتسمو الاخلاق . نريد مكانا يكون مهبطا للعلم ودارا يلتئم بين جذرائها أرقى ما يكون من الفكر الاسلامي حتى تتشعب من تلك الشمس أشعة العلم والرفان في كل أرجاء العالم

واني أؤكد لكم ان انشاء هذه المدرسة الجامعة لم يعد من قبيل الآمال لاننا قد ابتدأنا وخطونا خطوات في هذه السبيل اذ تم الاتفاق على تأسيس كلية عربية لا يقصد منها أن يتعلم الطلبة فيها اللغة العربية لتأدية امتحان مخصوص ولكن الغرض منها أن يتلقى الطلبة تاريخ الاسلام بخصص وتدقيق للبحث في أسباب رقيه وانحطاطه .
واتا نؤمل أن تظهر هذه المدرسة الجواهر الخفية في آداب اللغة العربية وتنتشر الكتب العديدة المثال بتفسير وإيضاحات . وفي عزمنا أن نخصص بعض الطلبة بهذه الكلية العربية ويجعل لهم مراتب لكي يستريح بهم من جهة الحياة ولتفرغوا للدرس والبحث ونحن الآن أيضاً ننشئ في معازاة تلك الكلية أخرى للعلوم الطبيعية وغير خاف أن تعلم العلوم الطبيعية عمل كبير يحتاج الى اتفاق مال وفير ، ولكن والحمد لله لدينا من المال والوسائل ما يكفي للبدء والشروع واذا ساعدنا التوفيق انضم الى هاتين المدرستين مدرسة أخرى للعلمي الاقتصاد والتاريخ السياسيين والعلوم السياسية كلها وهكذا نستمر في انشاء مدرسة بعد أخرى حتى لا يكون ثمة علم من العلوم لا يتعلم في عليكم . ولهذا نؤمل أن يؤم الطلاب المسلمون من جميع أنحاء العالم عليكم لتلقي العلوم فيها

وقد طالما سألتنا بعض الناس — لما ذا يضيق بنا الفكر وحب الذات فننشئ مدرسة جامعة اسلامية ولا يكون سمو النفس ومكارم الاخلاق والتسامح في الدين باعثاً على جعل جامعتنا عامة مشتركة — ونحن نقول اتنا لا نقصد منع المسلمين من جامعتنا الاسلامية فان أبوابها مفتوحة كما هي الحال الآن في عليكركه لغير المسلمين وكل محب للعلم بلا تمييز بين المختلفين في الجنس والدين . فيوجد الان طلبة وأساتذة من اليهود والمسيحيين والوثنيين ، ولن نسي مطلقاً في اخراجهم منها ولا نسميها «جامعة اسلامية» الا بالمعنى الذي تنسب اليه كسفورد وكبريدج الى كنيسته انكلترا الرسمية . وأني أورد لكم بعض الحجج التي قيمها في هذا الصدد

أولها — من المعترف به أن التربية الدينية جزء أساسي في التربية العمومية وفي جميع مدارس انكلترا وألمانيا يعلم الدين اجبارياً ولا بد في كل جامعة كبرى من وجود مدرسة أو اثنتين للدين واللاهوت . أما المدارس الجامعة في الهند التي هي تابعة للحكومة فلا أثر للدين فيها . وقد قلت اللورد كرزون حاكم الهند العام السابق : ان الرأى العام الى هذه النقطة وعندها نقصاً في نظام التعليم الهندي . ولست أدري الى أي حد من الحكمة يصح اتباع طريقة كهذه في مثل هذه البلاد على حين اتنا تتألم الآن من نتائجها

ثانيها — قد أصبح من المقرر أن أفيد لنظام التعليم هو نظام مبدئية الطلبة في المدرسة كما هو المتبع في انكلترا وفي عليكركه . وإنني لا أخشى معارضة اننا قلت صراحة ان ذلك النظام لا يصلح مع اعمال الدين

ثالثها — أشك كثيراً في امكان جمع المال لانشاء مدرسة جامعة لادين لما الهام الا اننا قامت الحكومة بالشأنها واذكر ان السير ميخائيل هيكس يتش وزير مالية انكلترا اخيراً قد اتى علينا في خطبة له ما يأتي

« قد دلت التجارب أنه لا توجد وسيلة لحل الناس على دفع المال بسخاء لمشروع من الاعمال احسن من صبغه بصبغة دينية »

رابعا — إن المدرسة الجامعة ليست معملاً (فاورقة) لصناعة طلبية ينجحون في امتحانات مخصوصة ويأخذون شهادات عالية ولكن المدرسة الجامعة يراد منها ان تخرج رجالاً كباراً ورجالا ينقطعون للعلم والدراسة والبحث . ولا يمكن لمدرسة جامعة لا دين لها ان يدوس الانسان على القوائد المادية وينقطع للعلم والتعليم وبالعكس قد دلت

التجارب على أنه يوجد في المدارس التي لها دين من يقطع العلم والتعليم
ولست الآن أريد الخوض في مشروع الجامعة في مصر فأنتم أدرى بدلائكم
ودوائكم أكثر مني ولكني أريد بالثبابة عن رؤساء كلية عليكره أن ادعوكم إلى الهند
لتنظروا بأعينكم تفاصيل العمل قبل أن تبدؤا في مصر وقد يوجد خلاف بشأن
المدرسة الجامعة ونوعها ولكني أعتقد أن كل ذي ذمة يتفق معي في الحاجة إلى مدرسة
ثانوية للقراء ومدارسكم التجهيزية الأربع لا يكفي لتربية الأمة كلها ولوجود
من يتبرع بالمال لتربية أبناء الفقراء فيها ليس من القريب أن المسلمين الذين يكونون
هنا خمسة وتسعين في المائة من مجموع الأمة من الجموع والتشاط على ما يؤهلهم لإنشاء
مدرسة ثانوية واحدة في حين أنه يوجد في مصر ست مدارس ثانوية أهلية ليست منها
واحدة للذين يتألف منهم خمسة وتسعون في المائة من مجموع الأمة ؟؟

يوجد هنا اعتقاد فاسد وهو أنه يلزم أن يكون المعلمون في المدارس الثانوية أوروبيين .
ويعامض الناس أن يفتحوا مدارس ثانوية الخوف من كثرة النفقات ومن أسباب أخرى .
وأنني موقن بأنه إذا وجد أساندة مصريون للمدارس الثانوية فإن عدد المدارس الأهلية
الثانوية يزداد وأنا كل الهندو يعلمون في مدارس أرقى كثيراً في مدارسكم الثانوية أخوانهم
الهندو باللغة الانكليزية فلماذا لا يقدروا للمصريين على تعليم أخوانهم كذلك ؟؟ فلماذا أرى أن
أول واجب على قادة الافكار هنا أن يسعوا في تربية معلمين . هذا عمل سهل لا يقتضي
نفقات كثيرة ويمكن تنفيذها في الزمن القريب . واني أنصح بتخصيص مبلغ لتربية وتعليم
أبناء الفقراء في مدارس الحكومة الثانوية ويلزم في مقدمة كل شيء أن يتلقى المعلمون
علومهم في مدارس أرقى منها حتى صار من اللازم أن يكون ذلك في أوروبا .

وإذا كانت الحالة المالية لا تسمح بارسال الطلبة إلى أوروبا فهناك طريقة أخرى
لتعليمهم في كلية عليكره فإن نفقات التعليم فيها مع الإقامة والسكنى وكل ما يلزم
للطالب لا تزيد عن ثلاثة عشر جنياً في السنة ولهذا أرى أن عشرين جنياً تكفي
الطالب في السنة من كل الوجوه وبإلتكم نجسبون مبلغاً قدر مئتين وخمسين جنياً
يعطى منه عشرين جنياً في السنة لطالب فقير ويرسل ستة من هؤلاء إلى عليكره
ليقيموا أربع سنين أو أكثر إذا أراد الطالب . ولا أقصد أن أقول أن التعليم في
عليكرة أرقى منه في أوربا ولكني أفضله لسببين أحدهما أن الطالب يتلقى تربية دينية
مع تلقي العلوم والمعارف في جو إسلامي ويجتمع بالمسلمين من بلاد العجم وأفغانستان

وأفريقيا الجنوبية وجميع اجزاء الممالك الهندية وإجماعهم وأحاديثهم معهم تسع دائرة فكره وتزداد موارفه وثانيها ان الطالب فيها يتلقى تربية وطنية ولا يعود معيشة السرف كما يفعل المتعلمون في أوروبا . واثني في موقعي هذا انظر الى كل شيء من الوجهة التي تهتم عليكه وترقيتها كما سبقت لي الإشارة لاني أعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن وجود المصريين في عليكه يكون خطوة كبرى في طريق جعلها جامعة لمسلمي الشرق كافة وقد اشار المسز أرسيلد مدير الكلية في تقريره الاخير الى هذه النقطة ايضاً وقال ان وجود الطلبة المصريين في عليكه يساعد على توسيع فكر الطلبة الهنود .

والآن استسمحكم في الكلام على بعض المصاعب التي نَجدها والتي آسَل ان اخواتنا المصريين يساعدونا على تخطيها . علمت ان التعليم الديني اجباري عندنا في عليكه ولكن لسوء الحظ ليست لدينا الكتب الموافقة وطالما اجتهدنا في دعوة الناس الى مجتمعات وحفلات لتحملهم على وضع كتب سهلة لتعليم العلوم الدينية لان الكتب الموجودة الآن هي التي كانت موجودة من قرون عديدة ماضية . وقد تقضي علينا صروف الزمان والمكان ان نغير برورجرام التعليم في عليكه فانه يتعلم عندنا طلبة من مذاهب شتى ومنهم كثيرون من الشيعة ولذلك يلزمنا ان نضع كتباً للتعليم الديني لا ارتباط لها بمذهب من المذاهب ولكنها قائمة على أصول الدين الاسلامي

ومصر الآن بلاشك لها الزعامة في المسائل الدينية وكنا نقضر لوجود كثيرين فيها من العلماء الاكفاء الذين يستمدون على آرائهم بل وتمتدحجة في المسائل الدينية فاذ أمكن أن يؤلف مؤتمر لاصلاح الكتب الدينية اللازمة لتعليم الناشئة الحديثة فلا بد ان تكون مصر موضع اجتماع هذا المؤتمر لان مصر الآن مركز ديني وجغرافي عظيم ونحن في الهند مستعدون بلاشك لقد مثل هذا المؤتمر وان كان يوجد عندنا الآن في الهند جمعية من المشايخ تأسست لاصلاح الكتب الدينية في المدارس ولكنها لمسلم وجود رجال ممن يعدون حجة وثقة في المسائل الدينية لم يعمل فيها عمل مفيد وقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ليحتذى حذوها ولكنها لم تضع برجراماً صالحاً ولا كتباً وافية بالقرض أيها السادة: العلاقات بين مصر وعليكه تزداد يوماً بعد يوم وسيكون عندنا معلمون مصريون ونود أن نبعث بعض الطلبة التاجحين المتقدمين لاكمال علومهم الدينية في الازهر . وفي امكانكم أن تبشوا بعضاً من أبنائكم لتلقي العلوم عندنا . وقد رأيت ان الناس هنا يهتمون بتقديم مدرستا سيرها ويسألون عما فعله نحن الهنود المسلمين

لاصلاح التربية والتعليم ولهذا أرى أنه يحسن تأليف جمعية مصرية لها ارتباط بكلية
عليكرة وتساعد على نشر مايعلم عنها بين المصريين وتساعدنا مثلاً في اختيار معلم اللغة
العربية عندنا . وإذا تأسست جمعية على هذا النمط فتكون وظيفتها

(١) طبع ونشر الخطب والرسائل الخاصة بكلية عليكرة ومؤتمر التربية الاسلامي

(٢) اعطاء المعلومات الضرورية عن الكلية لمن يطلبها من المصريين

(٣) مراقبة تعليم الطلبة المصريين في عليكرة وضبط حسابات المبلغ الذي يعد

لهم كما ذكرنا

(٤) اعطاء النصائح والارشادات والمساعدات اللازمة اذا احتسج اليها فتلاذوا

احتجنا لاختيار معلم من مصر فأنتم بالطبع أدري بكفاءته أكثر من نواب محسن الملك
أو سواء من الرؤساء وأظن أنهم سيشتغلون بوضع نماذج لسير المدارس الاسلامية في
الهند وبالطبع يرسلون اليكم تلك النماذج لاخذ آرائكم فيها وكذلك تعليم البنات عندنا لا بد
أن نتخذ في المدارس المصرية لان الهنود لا يحبون ان يقتلوا الأوربيين في ذلك .

وفي الحسام ايا السادة اشكر لكم تعطفاتكم ووداعكم اياي وأؤكد لكم اني
سأكون معكم على الدوام بوجداني وعواطفي وسأندكر ما حيت بزيد الشرف والفخار
اصداقائي الكثيرين الذين كان من حسن حظي ان ألتقي واتعرف بهم اه

﴿ فوائد هذه الخطبة والعبر فيها ﴾

هذه الخطبة تنبئ عن فهم ناقب، ورأي صائب، وتهدي الى طريق لاجب،
لعمل واجب، وفيها عبر لطلاب الاصلاح من المسلمين، وإن أولام بها لعقلاء
المصريين، الذي خطب الخطيب ودم، وطلب وصل جبل مدرسة عليكرة بحبايهم،
وأعظم هذه العبر عندي أربع

(١) تفكر زعماء مسلمي الهند وأصحاب العقول الراقية منهم في وجوب العمل
لاصلاح المسلمين كافة ودعوتهم الى السعي في إنشاء مدرسة جامعة إسلامية تكفل
ذلك ولم أر أحداً في مصر يفكر في مثل ذلك أو يدعو اليه الا ما كان من الاستاذ
الامام رضي الله تعالى عنه قلنا أن نقول بعبده ان عقلاء مسلمي الهند أرقى من عقلائنا
وأعلى همة

(٢) ووحيد التعليم الديني والشرعية الدينية في مدرسة عليكره وهو أنظم أركان الإصلاح التي لا يرجى للمسلمين فلاح بدونه ولم نعلم قبل أن أعلمنا ضياء الدين أن مدرسة عليكره تقيم هذا الركن العظيم فيها فينشأ السنيون على اختلاف مذاهبهم مع الشيعة تنشئة واحدة روحها الأخوة الإسلامية النافية للتفرق والخلاف. وهذا دليل آخر على سبق مسلمي الهند لمسلمي مصر وكونهم أكبرهم وأقدمهم وقد كنا دعونا إلى مثل هذا التوحيد منذ بضع سنين وناهيك بمقالات ومحاورات المصلح والمقلد) ولكن لم نر أحدا اهتم بتنفيذه بل عادانا وأذانا كثير من الناس زاعمين أن مادعونا إليه ضار مضيع للإسلام وهو جعل القرآن والمجمع عليه من السنة هو الذي يلقي لجميع المسلمين ليكونوا أمة واحدة كما يحب الله وجعل المسائل غير المجمع عليها في الإسلام متروكة إلى اجتهد الأفراد لا تدخل في التعليم العام ولا يمنع أحدا من النظر فيها والعمل بما شاء منها ولا تركه ولا يعادى لذلك. وما شرع الله لنا إلا أن نقيم الدين ولا نفرق فيه وهل من سبيل إلى إقامة بدور تفرق إلا مادعونا إليه نعم قد استحسن ما كتبناه كثير من العقلاء والأذكياء ولكن لم ينصروه ولم يدعوا إليه بالقول ولا بالكتابة في الجرائد. ومسلمو الهند قد سبقوا إلى العمل الذي كان الأساذ الإمام عازما على جعله أساسا للمدرسة الكلية التي توجه إلى تأسيسها. ومن علم أن التعصب للمذاهب في الهند أشد منه في مصر وأن الحرية في مصر أقوى منها في الهند تحلي له أن الفرق بيننا وبينهم في الرجال العاملين فقط والافان استعداد الشعب هنا للإصلاح أقوى منه هناك فها متاخير من عامتهم وخاصتهم خير من خاصتنا فيما نعتقد

(٢) اعتقاد الدكتور ضياء الدين التابع لاعتقاد قومه أن مصر أرقى من الهند في العلوم الدينية ولو كان في مصر زعماء من رجال الدين يقدرون هذا الاعتقاد من مسلمي الهند وغيرهم حق قدره لحققوه أن لم يكن متحققا وعرفوا كيف يستفيدون منه ويفيدون به. أما السبب في هذا الاعتقاد فهو عند عامة شعوب المسلمين صيت الأزهر القديم وقد عرف الكثيرون من خواصهم وعقلائهم في هذه الأيام حقيقة الأزهر وأما كانت آمال مثل زعيم مسلمي الهند ورئيسهم في كلية عليكره

(النبأ محسن الملك) معلقة بما كان يحاول الاستاذ الامام من اصلاحه فلما حلت المشاغبات والدسائس المرحوم على تركه صرح محسن الملك بانقطاع رجائه ورجاء عقلاء المسلمين من الأزهر في مقالة نشرها في جريدة الرياض الهندية وناهيك بما كتبه يومئذ الى المنار وما العهد بمقالاته الاخيرة في المنار يميند . وكان الدكتور ضياء الدين عند ما وقع هذا اليأس من الأزهر في نفوس زعماء قومه ومدرسته في مدارس أوربا حاملا لأملهم الأول الذي باج به في خطبته هذه .

علماء الهند أكثر اعتناء بالتفسير والحديث من مسلمي مصر وفيهم كثيرون من السافيين الذين يعملون بالكتاب والسنة لا يقلدون مذهبا من المذاهب ولا يعرف أحدا من علماء الأزهر ارتقى الى هذا فان كان فهو مستخف لا يرجى منه شيء . . . وكذلك العلوم العقلية أرقى في الهند منها في مصر وأعني بها الكلام والأصول والمنطق والفلسفة النظرية . وأما مدرسة دار العلوم فالعلوم الدينية فيها رسمية لاعتناء فيها لاسيا التوحيد والتفسير والحديث وهي هي الدين كله . نعم يوجد افراد من المتخرجين فيها يرجى خيرهم اذا وجدت الدواعي الى العمل وهؤلاء هم الذين اقتبسوا شيئا من النور الذي كان يفيضه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وأدركوا قبله الشيخ حسنا الطويل رحمه الله تعالى وهو لم يكن مقلدا ولكن لا يعرف أحد منهم في قطر من أقطار المسلمين فيقال انهم محل الرجاء لأنهم لم يعملوا ولم يكتبوا شيئا في الإصلاح يعرف

(٤) ان موقع مصر وصيتها ولسانها العربي وما أوتيته من الحرية من ايا يمكن أن تكون بها قبلة العلم والنور لجميع المسلمين ويا أسنى وحزني على الزعيم الذي يسعى في تحقيق هذه الامامة لما ائنه لم يترك خلفا يتم ما بدأ به . وقد كان أقرب الناس اليه في أفكاره ومقاصده شرعوا في الاستعداد لإنشاء المدرسة التي كان يريد إنشائها بد ترك الأزهر فجاء دعاء الجامعة المصرية يسابقونهم الى ما هم أهض به فاستألوا بعضهم وسكت الآخرون لثلا يكونوا معارضين لمن بدأ بالعمل قبل أن يعدوا له ما كانوا هم يحاولون أن يعدوا له

سار الداعون الى (الجامعة المصرية) بمشور الحوزي ويرى الكثيرون

أنهم لودعوا الى جامعة إسلامية لكانوا أسرع في السير وأقرب الى النجاح على قاعدة الحاكم الانكليزي الذي نقل اليها ضياء الدين قوله . ولكن كثيرا من أذكائنا المتفرجين قد شغل خيالهم ووطنية غريبة لا يعرفون كنه استعداد المسلمين لها أو عدمه ولم يحيطوا علما بما يترتب على تقلهم عن الجنسية الدينية اليها من المفساد التي تكون بانتقال الأمم من طور الى آخر فيعدوا لذلك هذه المفساد عدتها . فهو لا هم الذين اقترحوا أن لا يكون في الجامعة التي يدعون اليها تعليم للدين من الأديان مخالفين في ذلك لقوانين جميع الأمم الراقية في فن التربية والتعليم والعمل به . ويظهر لنا ان الله تعالى قد عافى المهند من هذه العزعة

لا نريد بهذا تثبيط الهمم وترغيب المسلمين عن تعضيد الجامعة المصرية وبذلك المال لما اذلسنا نرى من خدمة الدين مجافاة العلم بل ندعو الاغنياء الى البذل لهذه الجامعة سرا وجهرا ونرى ان الخذلان فيها لا قدر الله (عار على الامة كلها وأن ما يريده الداعون الى الجامعة من التعليم العالي وحده لا بد منه ولا مندوحة عنه لا مة تطلب الارتقاء ونقول مع ذلك ان هذه الجامعة لا تنفي مصر عن مدرسة أخرى جامعة يربي فيها الناشئون تربة دينية من أول النشأة الى أن يصيروا رجالا ناضجين في علوم العصر كلها واذا عظم الا كتاب يمكن ان ينشأ في الجامعة تعليم ابتدائي وثانوي مع تربية دينية لاسيما اذا طلب أكثر المكتتبين ذلك . وسنعود الى بيان ذلك بالتفصيل فيما سنكتبه عن التعليم الديني وفاء بما وعدنا في الجزء الماضي والله الموفق

أنا في كل ليلة

﴿ من حرم الحر على نفسه في الجاهلية ﴾

اذا سلحت الفطرة وكرمت النشأة قد يبلغ المرء من مراتب التفضيلة مع فقد الاخذ بالتعليم والقيام بالتأديب ما لا يلفه مع وجدها وقد ثلثت فطرته ، وخبثت نشأته ، لذلك تجد في سيرة أبناء الجاهلية من الفضائل الاختيارية ما يهز مثله على قوم يرون ان لهم في العلوم الجواد المصل ، وانهم قالوا من اتربة القندح

المعلى ، وإنما هم عبيد الشهوة ، وأسرى اللذة : يعاقرون الخمر جهرا وهم يستعدون
أنها محرمة في الدين الذي ينتسبون إليه ، وضارة في حكم الطب التي يعملون
عليه ، وقد كان يوجد في الجاهلية من حرّمها على نفسه وهو لا يرى فيها أثما في
حكم الدين ، ولذا ما من المعاصرين ، وإنما هو العقل أراد حقيقة خبئها فأبى أن
يحكم لذته في عقله . قال أبو علي القالي في أماليه

حدثنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد والعباس
ابن هشام قال لا حرم رجال الخمر في الجاهلية تكرا وصيانة لانفسهم منهم عامر
ابن الظرب بن عمر بن عباد بن يشكر بن بكر بن عدوان بن عمر بن قيس بن
غيلان وقال في ذلك

سئالة للفتى ما ليس في يده ذهابة بقول القوم والمسال
أقسمت بالله أمقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر أو صالي (١)
مورثة القوم أضغانا بلا إحن مزرية بالفتى ذي النجدة الحالي
وحرّم قيس بن عاصم الخمر وقال في ذلك

لمعرك أن الخمر مادت شاربا لسالبة مالي ومذهبة عقلي
وتاركني من الضعاف قواهم ومورثي حرب الصديق بلا نبل
(قال) وحرّم صفوان بن أمية بن محث الكناني الخمر في الجاهلية وقال في ذلك
رأيت الخمر صالحة وفيها مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله اشربها حياي ولا أشرب بها أبداً سقيما
(قال) وحرّم عفيف بن معديكرب عم الأشعث بن قيس الخمر وقال
وقائلة هلم إلى اتصاي فقلت عفت عما تعلمينا
وودعت القداح وقداراني بها في الدهر مشعوفارهي (٢)
وحرمت الخمر علي حتى أكون بقمر ملحود دفيناً
وقال عفيف بن معديكرب أيضا
فلا والله لا أنقى وشرباً أنازعهم شراباً ما حيت

(١) أي لا اسقيها ولا اشربها وحذف (لا) في القسم معروف عنهم (٢) مشعوف فاعجنونا

أبى لي ذك آباء كرام وأخوال بمزهم ريت
(قال) وحرم سويد بن علي بن عمر بن سلسلة الطائي ثم المعني الخمر
وأدرك الاسلام فقال

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعي منادي الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والتداعي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدا وان كانت حراما
أقول وبالله لسلسلة هذا الشعر وكم في الامالي من مثله وما هو أرق منه
﴿ رقة أشعار العرب ﴾

قال أبو علي (ص ٢٩) : وحدثننا أبو بكر بن دريد رحمه الله قال سألت عبد
الرحمن يوما فقلت له ان رأيت أن تنشدني من أرق ما سمعت من عكم من أشعار العرب
فضحك وقال والله لقد سألت عمي عن ذلك فقال يا بني وما تصنع برقبتي أشعارهم
فوالله انه ليقرح القلوب ويحث على الصباة ثم أنشدني للعلاء بن حذيفة الغنوي
يقولون من هذا الغريب بأرضنا أما والهدايا انني لغريب
غريب دعاه الشوق واقتاده الهوى كما قيد عودًا بالزمام أديب
وماذا عليكم إن أطاف بأرضكم مطالب دين أوفنته حروب
أمشي بأعطاف المياه وأبتني قلانص منها صعبة وركوب
فقلت أريد أحسن من هذا فأنشدني :

لمعري لن كنتم على النأي والقلا بكم مثل ما بي انكم لصديق
فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساغ لي بين الجوانح ريق
اذا زفرت الحب صمعدن في الحشا كرن فلم يعلم لمن طريق
(ثم قال أبو علي) وأنشدنا أبو بكر رحمه الله قال أنشدني عبد الرحمن عن عمه
قال أنشدني عشرين الحاربية وهي عجوز حيزون زولة

جريت مع العشاق في حلبة الهوى ففقتهم سبًا وجثت على رسلي
فما لبس العشاق من حلل الهوى ولا خلعوا الا الثياب التي أبلي
ولا شربوا كأسا من الحب مرة ولا حلوة الا شراهم فضلي

قال أبو بكر: الحيزبون التي فيها بقية من الشباب والزولة الظرفية والزول
الظريف وقوم ازوال والزول أيضاً الداهية والزول العجب. وقال لي غير أبي بكر
الحيزبون المعجوز ولم يحدد لها وقتاً. ثم أنشد في مكن آخر لابن أبي مرة المكي

ان وصفوني فباحل الجسد أو قشوني فأبيض السكبد
أضعف وجددي وزاد في سقمي أن لست أشكو الهوى إلى أحد
آه من الحب آه من كدي ان لم أمت في غد فبعد غد
جلت كفي على فؤادي من حر الهوى وانطويت فوق يدي
كأن قلبي اذا ذكرتمكم فريسة بين ساعدي أسد
يدي بحبل الهوى معلقة فان قطعت الهوى قطعت يدي

وأنشد لابي بكر بن الانباري عن المظفر

هل من جوى الفرقة من واق أم هل لداء الحب من راق
أم من يداوي زفرات الهوى اذ جلن في مهجة مشتاق
يا كبدا أفتي الهوى جلها من بعد تلذيع واحراق
حتى اذا فتسها ساعة كرت يد الين على الباقي

(المنار) القاري: يرى في هذه المقاطيع ارق الشعر وألطفه مسلكا في

الروح وأشدّه جذبا لقلوب

التعريض

(كتاب الأمالي والنوادر لأبي علي القالي)

أرأيت هذا الذي قرأت من مختار الشعر العربي في تحريم الخمر وفي النسب
هو منقول من كتاب الأمالي والنوادر، وما كتاب الأمالي والنوادر هو الذي عده
ابن خلدون من أركان كتب الأدب اذ قال في فصل الكلام على علم الأدب: وسمنا
من شيوينا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي أدب
الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للبهرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب
النوادر لأبي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الأربعة فنبع لها وفروع عنها: اهـ

كان في هذا الكتاب من النوادر التي قل ان تكتحل برويتها عين فصارت والله الحمد مسرح كل عين تمشق الأدب اذ شرع في طبعها الشيخ اسماعيل وسف بن صالح بن دياب التونسي فتم منها طبع الجزء الأول وجزء الذيل والثاني لا يلبث ان يتم . طبع في هذه الأيام كثير من كتب الأدب ولكن لم يطبع كتاب بالاقان والضبط والتصحيح الذي طبع به كتاب الأملاني . طبع في المطبعة الأميرية على ورق جيد مضبوطاً ما فيه من الشعر ومن الكلم الغريب والأعلام التي يشتهر فيها وما قد يشتهر من التركيب في التثر بالشكل وأظن أنه لم يمتن بطبع كتاب بعد (المختص) كما اعتني بطبعه . وقد علم القاري ان هذا الكتاب على ما فيه من الفسكاه مما يطبع في نفس قارائه ملكة البلاغة العربية . وقيمة الاشتراك فيه خمسون قرشاً

مفردات الراغب في غريب القرآن

كتاب المفردات للراغب أشهر من نار على علم وهو مازال منذ وجد معوان المفسرين ذلك أنه رتب الألفاظ على حسب أوائل الحروف كالصباح وفسرها تفسيراً قلماً فجد مثله في كتب اللغة التي قد تفسر الشيء بالأعم والأخص وبالتعريف الدوري وهو كثيراً ما يجد المعاني حتى يكون تفسيره اللفظ كالتعريف المنطقي وقد طبعه في هذه الأيام الحاج مصطفى الباني الحلبي في مطبعته طبعاً واضحاً مضبوطاً بالشكل وقد راجعت منه عدة مواد فلم أر فيها غلطاً فيجب أن يشكر له أحياء هذا الكتاب النفيس والشكر كل الشكر أقبال أهل العلم على اقتناء الكتاب والاستفادة منه

خمس رسائل نادرة

الأولى في شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه لشيخ الاسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني . والثانية في الرواة الثقات المتكلم فيهم بمالاً يوجب ردم لحافظ الذهبي الدمشقي . والثالثة رسالة قاضي الامام أبي نصر محمد ابن عبد الرحيم الخفام . والرابعة فتوى شيخ الاسلام ابن تيمية في قول النبي صلى الله عليه وسلم « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وما المراد بهذه السبعة . والخامسة رسالة الادب الصغير وهي من حكم عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور

طبع هذه الرسائل الشيخ عبد المجيد زكريا في مجموعة بلغت صفحاتها نحو ١٦٠ فنحت أهل العلم على مطالعتها

﴿ قانون الصين ﴾

يقول الشيخ سعيد السلي الرحالة السوري انه ظفري كشر بنسخة من قانون الصين الذي يسمونه (لي) وهو من وضع عاهل الصين السابق (تونجى خانكدي) وانه هداه اليه بعض أهالي كشر ونقله هو الى العربية بمساعدة بعض العارفين باللغة التركية والصينية معا في مدينة (خوم يوزه) من تلك الولاية ثم تصرف في الترجمة بالتقديم والتأخير والحذف والاختصار والتوضيح . وقد طبع ما ترجمه في مصر . ومن مزايا هذا القانون مزج المواعظ والنصائح بالاحكام القانونية . وباليات المترجم لم يتصرف فيه ولم يفصل بين الحكم والاحكام . اما طبعه فحسن والورق الذي طبع عليه جيد ولكنه لم يجعل كل مادة في أول السطر كما هي العادة المسهلة للمراجعة والرغبة في المطالعة . هذا وان مثل هذا القانون مما يرغب في الاطلاع عليه الحكام لاسيما رجال القضاء ، ومحبو التاريخ والوقوف على طرائف العلوم والآداب فهو مما يرجي رواجه من غير ترغيب فيه ، ويحمد مترجمه على انحاف العربية به ،

﴿ فصول الحكماء ﴾

رسالة جديدة من تأليف الشيخ أبي الهدى أفندي الشهير ذكر فيها تعريف الحكمة وأسماء طائفة من قدماء الحكماء وطائفة من حكماء المسلمين العقلين يتكلم عن الواحد منهم بجملة وجيزة ثم ذكر طائفة من حكماء المسلمين الدينين وتكلم عنهم بكلام أوسع . والرسالة نحو مئة صفحة مثل صفحات كتاب الاسلام والنصرانية وتطلب من طابعها أمين أفندي هندية

﴿ بلزار ﴾

أهدنا مطبعة المناظر منذ ثلاث سنين قصة بلزار فوضعناها بين الكتب المعدة للمراجعة في أوقات الفراغ ان وجدت ولم نر من حاجة للمبادرة الى الكتابة عنها والاعلام بها لأن الغرض من مثل هذه الكتابة تنبيه الراغبين الى ابتغاء

ما يكتب عنه ترويحاً له وقلياً يقرأ النار حيث تباع قصة بليرار الا عند طابعها وبائعها . وعكنا في الشهر الماضي أباما فرأينا من القسيلة أن ننظر في بعض مالم ننظر فيه من القصص المهداة الينا وبدأنا بقصة بليرار فبدلنا مالم نكن نختسب ، بدلنا ان هذه القصة كتاب من أحسن الكتب في الأخلاق والسياسة تتمثل فيه الفضيلة في أبهى صورها ، وتتجلى فيه السياسة القويمة في اسنى مجالها ، لا يقرأ الفصول الأولى منها ذوقاً وبمعك عينيه أن تهمل . وما كان لصاحب المناظر وهو من نعرف في تحري النافع والتجاني عن اللغو أن يختار طبع قصة لا تقيد لعله يرسل الى مصر طائفة من هذه القصة لئلا نكون قد ظلمنا القراء في تشويقهم اليها مع امتناعها عليهم

﴿ لحن كيوتزر - مكسيم غوركي ﴾

قصتان من مطبوعات مطبعة المناظر أولاها للفيلسوف لاون تولستوي الروسي في بيان ما أحدثته المدنية الحديثة من الفساد في البيوت باعطاء النساء من الحقوق فوق من أعطتهن الطبيعة حتى صارن المرأة في التمتع بمعنى الزوجة صافها لما عن القيام بشؤون الأمومة وناهيك بمفاسد غرامهن بالموسيقى . والثانية مجموعة فيها ثلاث قصص وجيزة أو حكايات وضعية عنوان الأولى العجائون والثانية الشيطان والثالثة الكذب . وأطلق على المجموع اسم كاتبها وهم من كتاب روسيا الاجتماعيين المشهورين وترجمها ابراهيم أفندي شحاده فرح من أدباء السوريين في البوازيل لما فيها من الفائدة وحسن الاسلوب

﴿ المعارف ﴾

« جريدة إسلامية عمومية أسبوعية لمدير سياستها محمد صادق المحمودي » ظهرت في تونس في أواخر ذي القعدة الماضي في شكل الجرائد اليومية الكبرى . وذكر صاحبها الفاضل في خطبة العدد الأول أنه أنشأها لخدمة العلوم والمعارف ونشر فضائل الآداب الإسلامية ولخدمة اللغة العربية وتحري أساليبها البليغة البعيدة عن السجبة . وجعل أمر السياسة فيها ثانوياً فأصاب . وفي العدد الأول منها مقالة في تاريخ الجرائد تكلم فيها عن الجرائد التونسية باعتدال ولكننا انتقدنا عليه فيما قاله

عن الجرائد المصرية ما لا يكاد يسلم من مثله من يكتب عن غير بلاده كقوله عن جريدة الاهرام ان سياستها لا تنطبق مع سياسة الجرائد الاسلامية والواقع ان سياستها في هذه السنين اقرب الى سياسة اللواء والمؤيد من كل جرائد النصارى، وقوله أن موسسي المقطم «من أقباط مصر» والصواب انهم سوريون كأصحاب الاهرام وكما لفته في الكلام عن جريدة اللواء وجعلها خادمة للاسلام... ولم نقرأ فيها شيئاً قط فيه خدمة لدين الاسلام نفسه بل كثيراً ما نرى فيها مسائل تخالفه عن غير صدق الغالب كقولها ان قتل القاتل من بقايا الحمجية وليس لقب زعيم الحزب الوطني الذي ذكر في بعض الجرائد في هذا العام مما كافأ المسلمون به صاحب جريدة اللواء على خدمتهم وخدمة دينهم كما ظن وإنا نحيي كلمة كتبها صديق له من نصارى السوريين في جريدة أوربية فلا كتبها بعض جرائد تلك البلاد وأنكرتها الجرائد المصرية. ومن مبالغته ما ذكره عن انتشار اللواء في الهند والممالك العثمانية والصواب أنه ليس لجريدة مصرية انتشار في البلاد العثمانية الا الاهرام الاسبوعية وأما الهند فقلما يوجد فيها من يقرأ العربية غير علماء الدين وهو لا يقرأون الجرائد بل يقرأون السياسة وأما يقرأ بعضهم المجلات. وأما الاصناف فكل من أرسل اليها شيئاً يصل ولكن الى الحكومة فلا خصوصية لجريدة على أخرى هناك الا بزيادة المقت. والحكومة العثمانية لم تمنح صاحب جريدة اللواء رتبة ميرميران ولا صاحب المؤيد الرتبة الأولى من الصنف الأول وهي أعلى من رتبة صاحب جريدة اللواء الا بالتماس الخديو. وكقوله ان جريدة الصحافة تمتاز على سائر الجرائد الاسبوعية «بكونها تطبع بثمان صفحات» والصواب أن هنا عدة جرائد اسبوعية ذات ثمان صفحات

مضت عادة المنار بان يعرف بالصحف الجديدة تعريفاً مجزئاً لا يشوبه مدح ولا نقد وقد خلفنا العادة في التعريف بهذه الجريدة لثمانية بها ولتنبه على ما يقع كثيراً من غلط البعيد عن الشيء في الكلام عنه فالتنا كثيراً ما نرى جرائد الهند وتونس (مثلاً) تفضل ببعض ما ينشر في صحيفة مصرية لم يشربه أهل مصر لان الجريدة لا شأن لها ولا انتشار أولم يحفلوا به لعلمهم بالهوت الباعث للكاتب على ما كتب - ولغيرة على التاريخ اذ مقالة المعارف تاريخية لا شعرية

ولاسياسية فيقال ان هذا من النخيل أو الفرض الذي لا يؤخذ على ظاهره بالقبول
﴿ المذهب ﴾

« جريدة يومية ادبية علمية صناعية تصدر موقتا يوم السبت من كل اسبوع »
أنشأها في رحلة من لبنان الخوري بولس الكفوري رئيس الكلية الشرقية فيها وعهد
الى عيسى افندي اسكندر الملوغ بنحريها . ومن عرف ما للخوري بولس
صاحبها من المكانة والفضل وما لعيسى افندي محورها من الشهرة والبراعة يرجو
كما نرجو أن يكون لهذه الجريدة من اسمها افضل نصيب ، فتكون من خير ذرائع
التهذيب ، ولنا في هذا المقام أن نفخر بهمة السوريين وخصوصا اللبنانيين الذين ينشئون
الجرائد اليومية وغير اليومية في قلل الاجيال ، وفي مهاجرهم وراء البحار ، ولا تسمو
الى مثل ذلك همة غيرهم من الناطقين بالاضاد ، في مثل تونس وحلب وبغداد ،

بَابُ الْحَبْلِ وَالْأَلْأَلِ

﴿ جمعية الشورى العثمانية ﴾

ليس في الدنيا مملكة كالمملكة العثمانية في اختلاف الاجناس والافات والملل
والنحل وقد سادت دولة الترك هذه الشعوب المتفرقة بالقوة العسكرية بضعة قرون
ولكنها لم تحوهم عن لغاتهم ولا عن اديانهم ولم توحد بينهم بجنسية قانونية يتحدون
فيها بالعدل والمساواة في الحقوق - لم تفعل كما فعلت دول العرب في تحويل
الشعوب عن دينها ولغتها مما أو عن أحدها بالقوة الادبية ولا كما فعلت دول أوربا
في تحويل الوثنيين الاصلاء واليهود والعرب الدخلاء عن دينهم بالقوة القاهرة
وإبادة من تأبى وإجلاله فبقيت هذه الشعوب التي لم تتحد مع الدولة برابطة لغة
ولادين ولا حكومة مساواة تفرص النهز لخروج عليها والانفصال منها فمنهم من
قضى مأربه ومنهم من ينتظر
كان ضعف هذه الشعوب وجهلها وعدم التصير لها هو المون للدولة على

اخضاعها وسيادتها بالقوة ولكن صروف الزمان قد افاضت على هذه الشعوب شعاعاً من نور العلم بشؤون الاجتماع البشري وأوجدت لهم أمصاراً من دول أوربا التي اربت قواها على قوة الدولة . واتفق ان اشد من أول هذا القرن (المهجري) ظلم الدولة واستبداد السلطة المطلقة فيها حتى كان نفور المتحدين معها في الدين والفتنة والجنس منها (اي الترك) أشد من نفور المتحدين معها في الدين فقط كالعرب والا كراد لان سهم الترك من شعاع العلم كان اوفر وشعورهم بالمزوال السلطة اقوى . فانبرى بعض اهل النيرة من الترك الى تأليف جمعية سرية تسعى في تلافي الخطر الذي يشذر دولتهم بازالة الحكم المطلق الاستبدادي المدمر للممالك والممالك للامم واعادة مجلس المبعوثان والعمل بالقانون الاساسي ولكن السلطان تتبع بأعوانه أثر هذه الجمعية فزق شملها قبل ان تبدأ بعمل ما وظهر من فساد اخلاق بعض اعضائها الذين صاروا اعواناً للاستبداد بما نالوا من الرواتب والزتب ما ذهب بثقة الناس حتى من الصادقين من سائرهم

هذا وان هذه الجمعية لما لم تكن مؤلفة من جميع الشعوب العثمانية كانت جديدة بان لاتندراً الخطر ، ولاتتال الظفر ، لهذا فكر كثير من عقلاء العثمانيين بوجود السعي في تأليف جمعية من الشعوب العثمانية كلها وما زال هذا الفكر يتقلب في الاطوار حتى تمخض فولد (جمعية الشورى العثمانية)

تألفت هذه الجمعية في القاهرة من افراد من الترك والعرب والارمن والروم والكرد والنرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف اجناسها ومللها في السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وهذه هي الطريقة المثلى لصيانة الدولة من التمزيق بالاخلاف الذي هو ظهير الاستبداد ، والتفرق الذي هو نصير الاستعباد ، ولو ان مؤسسي جمعية تركيا الفتاة اهندوا الى هذا التأليف بين الشعوب والملل في ابتداء العمل ، لما نزل ببلاد الارمن وكريت ومكدونية منازل ، ولما تقام أمر الاستبداد واستفحل ، فمسي ان يسرع العثمانيون الى الدخول في هذه الجمعية أفواجاً يعضدوها بأرائهم وأمورهم وهذه صورة نشرة منها جاءتنا في البريد مطبوعة بالتركية والعربية والفرنسية والارمنية

اللائحة الأساسية لجمعية الشورى العثمانية

تألف جمعية لجميع سكان المملكة العثمانية باسم جمعية الشورى العثمانية وهذه لائحتها الأساسية

مادة ١ القصد من تأسيس هذه الجمعية هو جعل الحكومة العثمانية دستورية شوروية بالفعل.

مادة ٢ ان الجمعية ستبذل ما في وسعها للوصول الى غرضها هذا بكل الوسائل المشروعة.

مادة ٣ ان جمعية الشورى العثمانية تؤلف من العثمانيين من غير التقات الى الدين والجنسية

مادة ٤ يكون للجمعية لجنة مركزية أصلية تقوم بوضع نظمات الجمعية وقوانينها.

مادة ٥ ان قاعدة أعمال اللجنة المركزية هي الآن بمصر القاهرة.

مادة ٦ ان فروع الجمعية تكون كلها تابعة في أعمالها للجنة الكبرى المعروفة باسم اللجنة المركزية الأصلية

مادة ٧ ان سير أعمال الجمعية يعين من قبل اللجنة المركزية.

مادة ٨ ان مقصد الجمعية الساعية للحصول عليه ليس خفياً لذلك يجوز من الآن اعلان وجودها.

مادة ٩ ان اللجنة المركزية تقوم بوضع القوانين وطبعا وتسمية الاشخاص اللازمين وظائف التي ترد بالقوانين وتعين وظائف كل فرد من الجمعية ومراقبة أعمال الموظفين.

مادة ١٠ تطبع هذه اللائحة الأساسية باللغات التركية والعربية والارمنية والفرنسية.

هذا وان الذين وضعوا هذه اللائحة الأساسية يرجون من جميع اخوانهم العثمانيين الذين يهتم خير وطنهم وشرفه ومجده أن ينضموا اليهم ويساعدوهم للوصول الى هذه الغاية الشريفة التي تسمى اليها جميعتهم والله الموفق

جمع المحاطيات ترسل الآن موقفا الى صندوق البوستة نمرة ١١٧٤

جمعية الشورى العثمانية

— أمير بل ملك أفغانستان في الهند —

طلما تمنى الانكليز أن يزور أمير الافغان بلاد الهند وقد نالوا في هذه الايام ما تمنوا فسروا بذلك . ولما وصل حبيب الله خان الى الهند خاطبه ملك الانكليز على لسان البرق بلقب « جلالة الملك » وكان يقال ان انكلترا لاتمد افغانستان مستقلة تمام الاستقلال بل تحت حماية حكومة الهند الانكليزية فهذا اعتراف من ملك الانكليز بأنها مملكة لامارة وهذا هو أثر الحزم وحسن السياسة من الامير عبد الرحمن خان رحمه الله والملك حبيب الله خان وفقه الله

ليس من موضوع المنازع أن يذكر أخبار احتفال حكومة الهند بضيفها الجليل ولكن اذا ترك خبر زيارته لمدرسة العلوم في عليكرة يكون قد قصر فيما هو من أهم موضوعاته . زار الملك المدرسة ويبحث فيها بحث مفتش خبير فكانت محبة وكلامه من آيات علمه وعقله . قابله أعضاء مجلس ادارة المدرسة وآلوا ٣٢ فكان جل هذا كونه معهم في المباحث الدينية حتي قيل انهم عجزوا عن مجاراته والاجابة عن جميع أسئلته . ولما أطلعوه في مكتبة المدرسة على بعض اصاحف والكتب الدينية قال انني عالم بما في هذه الكتب وأريد أن أقف على نافي عقول الذين يتدارسونها . وبعد ان صلى الظهر في جامع المدرسة طلب أن يرى الدروس فرتبت الفرق في حجراتها واطلع على عدة منها وظهر اهتمامه واصفاؤه في درس الاقتصاد السياسي ودرس التاريخ ودرس تعليم اللغات ودرس أصول الدين وقد استأذن أستاذ هذا الدرس في سؤال بعض الطلبة وبعد الاذن طوى يسأل مدة ساعة كاملة ثم أمر بعض الطلاب بقراءة آيات من القرآن وأنت عينا الملك نفيضان من الدمع عند سماع التلاوة

وطالب أن يقف على درس طلبة الشيعة وقد قال لهؤلاء الطلاب : أصبحوا لما أقوله لكم أيها الطلاب أنتم في شرح الشباب وستدكرون ما أقوله لكم مني تقدمتم في السن ، تسمعون الناس يقولون ان أمير افغانستان سني متعصب أيازم أن أكون متعصبا لانني سني ؟ أنفضلون أنتم الهندوس على أهل السنة لا لكم من الشيعة ؟ كلا وانني - وأنا سني - لا أفضل الهندوس على الشيعة . قرأتم في الجرائد

انني نهيت في دلهي عن تفضية البقروم البعيد وأنا هناك بحالة الهندوس ونعمانيا
لجرح عاطفتهم الدينية فإذا كان هذا شعوري في بحالة الهندوس فكيف يكون شعوري
وميلي الى الشيعة؟ اذا لا تصدقوا انني متمصب ان في رعتي السني والشيعة والهندوس
واليهود وقد أطلقت للجميع الحرية في الدين والمذهب . نعم لا أسمح للشيعة أن يهين
الحلفاء الثلاثة وتزدرهم فإن كان هذا يعد تمصبا فأنا متمصب .

كانت المدرسة قد أعدت خطبة للترحيب به واطلع عليها كما هي العادة في مثل
ذلك فلم يسمح بقراءتها حرصا على الوقت وخطب هو بالفارسية خطابا
افتتحه بالشكر للحكومة الهند على مساعدة المدرسة وذكر أنه سمع عن المدرسة
الحسن والسبي . وكان السبي هو الغالب على ذهنه قال « فبحثت لأعرف الحقيقة
بنفسي لا تني لأتق في شيء من الاعمال بالروايات » ثم صرح بأنه بعد الاختبار
الذي علم أن الطاعنين في المدرسة كانوا كاذبين وأكد ذلك ثلاثا قال « وجدت
مجلس الادارة يبذل العناية التامة لجعل الطلبة على يقين في ايمانهم وان الطلبة
يتقدمون وينمون ليكونوا من المسلمين الصالحين واتي سألتهم أسئلة يحسر على
بعض المسلمين الصالحين حلها فأجابوا عن كل سؤال ولم تكن أجوبتهم سطحية
لا تتجاوز حناجرهم بل كانت علما فائضا عن قلوبهم فأحمد الله ان وجدتهم على
ثبات في دينهم واستقامة في آدابهم وسيكون حبيب الله خان بعد اليوم أحرص
الناس على قطع أسنة من يذمون هذه الكلية (وهنا صفق الحاضرون فأشار بيده
أن أمسكوا وقال)

« من كان لا يزال يظن ان الدين والعلم لا يتفقان وان الدين يضعف حيث
ينمو العلم فليأت الى هذه الكلية وابر كما رأيت ما يفعل العلم لفائدة الدين ومصلحة
الناية الجديدة . بلغني أن بعض المسلمين في الهند يسيئون الظن في بعض فروع
التعليم فبالذات من جهل فاحش . أصبحوا لما أقول انني أدافع عن التعليم
الغربي وقد استبدلت بحسبانه طريقا للشر إنشاء كلية دعوتها (الكلية الحبيبية)
إضافة الى اسمي تدرس فيها العلوم الأوربية على الطريقة الأوربية الا انني
أصر على القول بأنه لا بد من جعل التعليم الديني أساسا تقوم عليه جميع أركان

التعليم فإذا هدمتم الأساس هدم ما بني عليه . لذلك أقول لكم اجعلوا تمرين الطلبة في علوم الدين غاية الغايات وقد وضعت هذا الشرط في كتابي وأرجو أن يراعى هنا بالدقة التامة ولكن مع مراعاة هذا الشرط أكرر القول بأنني صديق مخلص للتعليم الغربي وأحب له النجاح التام »
ثم آذن القوم بأنه قد وهب المدرسة عشرين ألف روية هبة معجزة ومرتباً سنوياً قدره ستة آلاف روية

❖ خاتمة السنة التاسعة ❖

باسم الله نبدى القول ونميدده ، وبجوله وفضله نودع عاماً ونستقبل آخره ، الحمد على ما وفق فيما مضى ، وإياه نسأل التوفيق لخير منه فيما يأتي ، فإن يده ملكوت كل شيء ، وهو بغير ولا يحار عليه ، هو ربي إليه أدعو وإلىه أئيب ،
كانت السنة التاسعة للمنار كالسنتين الأربع قبلها في كثرة الاقبال على المنار فيها وطلب المثين من الناس للاشتراك ولكننا رددنا كل طلب لم نعرف صاحبه ولم يعرفنا به صديق ثق بوثوقه به لأن التجارب علمتنا أن أكثر المجهولين الذين يطلبون الاشتراك ولا يرسلون القيمة عند الطالب يطلبون بعد ذلك ويسوفون ، أو يهضمون الحق وهم منعمدون ، وإن سوء حال الأكثرين ، ينجعل على سوء الظن بالأقليات من الصالحين ، وستكون هذه طريقتنا في السنة العاشرة إن شاء الله تعالى لانرسل المنار الى أحد من طلاب الاشتراك الا اذا أرسل إلينا القيمة مع الطلب الا أن يكون معروفاً لدينا أو يطلب له ذلك من ثق بضمانه من أصحابنا بحسبنا ما قاسينا من معال الماطلين

قيمة الاشتراك في السنة العاشرة

قد جعلنا قيمة الاشتراك في المنار سنتين قرشاً لأهل القطر المصري والسودان فزدنا فيها عشرة قروش وهي سدس مجموع القيمة الآن والسبب في ذلك أن النفقة زادت علينا ضعف ذلك أو أكثر فقد زادت اجرة المسكن عما استأجرناه به أول

مرة متين وخمسة وعشرين قرشاً في الشهر بعد ما فصل منه عدة حجرات جمعت
دكا كين توجر بما هو أكثر من هذه الزيادة وزادت أجور العمال في المطبعة زيادة
تذكر قستكثر وزاد معطى المشتريين مع ذلك

حال المشتريين

في كل سنة نزايد علما بصحة ما بيناه في المجلد السادس من أحوال « قراء
الصحف المنشورة » في الاقطار الاسلامية وأصنافهم في مصر (راجع ص ٣١٤م)
وهي أشد البلاد مطالاً حتى ان بعض المديرين (كالمفتي) لم يرسل البنا قيمة
الاشتراك منها في هذه السنة الا نحو ستة من المئة . نعم ان أكثر المشتريين في المديرين
لم يطالبهم بقيمة الاشتراك مطالب ولم يذكروهم بها مذكر والصحف نفسها لا تعد
مذكورة في عرف البلاد فهم يقرؤونها ولا يخطر لهم ببال أن لها حقاً وأنها ما وصلت
اليهم الا بعد نفقة كبيرة لأنهم اعتادوا أن لا يؤدوا حقاً الى مستحقه الا بعد إلحاح
في الطلب وكثرة مراجعة في السوءال ومنهم من يمز عليه أن يؤدى حقاً بدون حكم
قضائي ومنهم من لا يؤدى الحق بعد الحكم به الا اذا حجز على شيء مما يملك
وباعته الحكومة عليه أو حاولت بيعه . ألا ان شأن هؤلاء الناس في القي والمطل للغير
وقد كنت اذا ذكر ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية في هذا الخلق المتسكن من
نفوس الاكثريين فأخبرني أنه ما يمكن الا بالورثة . قال إن الحكومة لم تكن تحصل
الاموال المضروبة على الاهالي الا بالضرب والسبب في هذا ان الناس كانوا يدعون
العدم وهم واجدون ، وينكرون ما بأيديهم فاذا هم ضرروا يتوفون ، كان أحدهم يضع
ما يطلب منه من النقد في فيه ويحلف للعامل التحصيل الابيان المغالطة لا يملك
الآن شيئاً حتى اذا ما برح الكرواج بجلده ، وشر بتسايط من دمه ، أخرج
النقد من فيه ، ورعى به الى العامل ثم انه يعود الى مثل ذلك الكرة بعد الكرة ،
لا يعتبر وان لدغ من البحر الواحد سبعين مرة ،

وأقول الآن كما قلت من قبل ان أشد الناس مطالاً كتاب المصالح والمفاد والواوين
وصغار المستخدمين ، ثمة من جهة الشهادات الابتدائية ، وقليل من أصحاب الشهادات

النهائية ، وأظن أن التعليم الناقص مع عدم الريسة الصالحة هو أشد تأثيرا في نفوس هؤلاء من الوراثة التي حدثني بأصلها ابراهيم باشا . طلب مني أحد هذه الثابتة الجديدة أن أجعله مشتركا في المنار منذ أربع سنين فأجبتة الى ذلك اذ رأيت من يرون لانفسهم مكانة في الادب يمتاز بها بين الجالسين على كراسي الدبوان وانه دخل في زمرة أهل التأليف . وبعد ان تمت السنة الاولى من اشتراكه كان كلما رأي يمدني بان سيرمسل الى قيمة الاشتراك على رأس « الشهر الآتي » فلما كرت الشهور على هذا الوعد المكرر (وهو أمر على خلاف المثل القائل « المكرر أحلى ») صرت اذا رأيته أتلبس تسجيا فيادر بالاعتذار وأني عذرا قرب الى الازهان من النسيان . ثم قال لي غير مرة لعلك تذكرني في أول الشهر بكتاب يرسل أو وكيل يسأل فجارينه بهذا وذاك وأني تنفع مثله الذي كرى أمثال هؤلاء . يعجب منهم ولا يعجب عليهم ومن المشتركين من يعجب عليهم ويعجب منهم كـ بعض الاغنياء الذين يؤخرون قيمة الاشتراك عدة سنين لمحض الكسل وهم من محبي المنار وعارفي صاحبه الذين يعتقد أنهم راضون عن عمله مغبوطون به ويتمنون دوام نجاحه ، ألا يفكر هؤلاء في كونهم أجدر الناس بالسبق الى اداء حق المنار في أول كل سنة وان الاجدر اذا أخر كان غيره أولى بالتأخير أو الظلم بالجحد وكيف يقوم حينئذ عمل ينفق عليه في كل شهر بضعة آلاف أما حال المشتركين في سائر الاقطار فهي على ما شرحنا من قبل الا أن مسلمي روسيا قد قصر بعضهم تقصيرا معظم سببه تأثير الحرب في بلادهم فقد تعطل البريد في بعضها فلم يصل اليها المنار مطردا ولم يتيسر لاهلها ارسال النقود . وما زلنا نقول انهم احسن المسلمين وفاء في العالم بعد عرب نجد وحضرموت اينما كانوا وحيثا أقاموا . وأما أهل تونس فما زال الوكيل الذي أقبل منذ سنة يرجي حسابهم وانا يمكن الحكم عليه الآن من دونهم وسيكون ذلك في جزء آخر ونختم الكلام بالثناء الحسن على السابقين بالخيرات من أهل هذه البلاد وغيرها وهم الذين يؤتون الحق في أول وقته أو قبله وعلى المتصدين الذين يؤتونه متى طولبوا ، ولا يؤجلونه ان لم يستعجلوا فيه ولا تقوم الاعمال ، ولولا لمفسد العمران ،

طلب الاجزاء المفقودة وحال البريد

ومما يفيد ذكره في هذا البحث أو الدرس ان أكثر المشتركين مطالماً أكثرهم مطالبة بأجزاء يدعون انها لم تصل اليهم وان الرسائل التي ترد علينا ربما كان ستون منها في المئة خاصة بطلب الاجزاء المفقودة . وقد بحثنا في هذه المسألة فحين لنا بعد التحري والتدقيق ما يأتي (١) ان بعض الاجزاء يفقد بتقصير من ادارة المجلة والسبب الغالب في ذلك أن يسقط بعض العنوانات أو يذهل عنه عند إلصاقها على الغلاف ومن غير الطالب أن يسقط بعض الاعداد من العربة التي تنقل الاجزاء الى البريد . وكل من الطالب وغير الطالب نادر (٢) ان عمال البريد يخطئون من كل جزء عدة نسخ لكنهم يترأخون فيها فلا يلتزمون نسخ مشترك معين وقد يخطئون في التوزيع فيعطون المرء ما ليس له (٣) ان كثيراً من المشتركين لهم أقارب أو أصدقاء يحبون قراءة المجلة فهم يأخذونها عند مجيئها قبل أن يراها صاحبها . ومن هؤلاء الذين يأخذ الاقربون والاصدقاء نسخهم من يبادر الى طلب بدلها من ادارة المجلة . ومنهم من لا يطلبها الا بعد العلم بصدوره ما بعدها ومنهم من لا يطلب الا في آخر السنة أو عند المطالبة بقيمة الاشتراك ، ومنهم من يطلب بعد سنين أجزاء فقدت منها (٤) ان من الناس من يدعي أن الاجزاء لم تصل اليه منذ كذا شهراً وهو يعلم انه لم ينقطع عنه منها شيء . وهؤلاء هم الذين يعتمدون هضم الحق ويستبيحون الكذب في ذلك . وقد اتفق أن واحداً منهم طواب بقيمة الاشتراك فقال له طالب اني لم أر المنار منذ كذا . واذكر سنة أو أكثر أو أقل فالتفت الطالب الى نافذة بجانب الرجل فيها أوراق فرأى فيها عدة أجزاء من المنار هي آخر ما صدر منه فقال له وأي شيء هذا وأشار الى الاجزاء ١١ فرده رداً آخر ونحمد الله ان كان هذا الصنف من مشترك المنار قليلاً كثر الله في أمة من أفرادهم

لكثرة طلب المفقود نصرح في كل سنة بأن من طلب جزءاً لم يصل اليه في مدة لا تتجاوز شهراً واحداً من موعد صدوره كأن حقاً على الإدارة أن ترسله اليه ومن

طلبه بعد ذلك وجب أن يرسل ثمنه (وهي الآن ستة قروش صريحة) فإن وجد أرسل اليه والادارة لانضمن وجوده ولكنها تضمن ما يصل اليها من الدراهم

تقصير ادارة المنار

قد كان تقصير الادارة في اصدار المنار في مواعيده (أوائل الشهور) أشد في هذه السنة منه فيما سبقها والسبب في ذلك انكسار آلة الطبع وطول الامد على إصلاحها ثم ماعرانا من التوكل غير مرة . وقد قصرنا أيضا في مكتابة من كاتبونا من المشتركين والحيين ومعظم السبب في ذلك كثرة الاعمال مع فقد المساعد وعسى أن لا تقصر من بعد

الاتقاد على مباحث المنار

ليس عندنا انتقاد على المنار في هذه السنة لم ينشر الا ما كتبه بعض القراء في افكارنا نشر رسالة الدكتور صدقي (الاسلام هو القرآن وحده) وعندنا أن الحق يعلم ولا يعلل لا تلبسه شبهة ، ولا تقوم للباطل عليه حجة ، وأما يخاف على دين من ليس على يقين من دينه ومن كان كذلك لا يمتد بدينه ولا يترك بحث الباحثين لأجله أما الانتقاد بالقول فقد بلغنا منه مسألتان جديرتان بالذكر قالها أحد فضلاء الاوربيين (احدهما) ما ورد في الجزء الماضي من وجوب الهجرة على المسلم الذي يقع تحت سلطة غير المسلم . ورد ذلك في مقالة من مقالات العروة الوثقى نشرت في الجزء الماضي . ونقول اننا لم ندع في المنار الى الهجرة التي تنافي مصلحة الاوربيين المستعمرين ومصلحة رعاياهم المسلمين في هذا العصر وأما هو أثر تاريخي لغيرنا كتب لفرض سياسي فات وقته ومضى زمنه فلم يخطر في بالنا أن نحذف كلمة الهجرة منه ولأنه يكون لها تأثير يذكر . بل نقول إن الاستناذ الامام لم يكن يرى في آخر أيامه أن الهجرة واجبة على المسلمين من رعايا الاجانب الذين لهم من الحرية في الدين ما لا يكادون يجدون مثلاً في البلاد التي يحكمها المسلمون . وقد جرب بعض أهل الجزائر فهاجروا الى البلاد العثمانية وبلغنا أنهم لم يلبثوا أن تدموا (الثانية) قولنا في الجزء الماضي أيضا ان الافرنج لا يكاد يوثق

بعلمهم النظري. والعقلي لانهم لم يتقنوا العلوم العملية المبنية على التجربة والحس .
واقول اني تنبئت بعد طبع الكراسة التي فيها هذه الكلمة الى ما فيها من المبالغة
في الجرح الذي لا ينكر أصله منصف لاسيما مع المقابلة بين العلوم النظرية وغيرها
ولولا أنها الكراسة العاشرة لاستدركت على العبارة في ذلك الجزء قبل
ان ينتقد أحد . ومن غريب انتقاد المكابرين زعمهم أن المنار مجلة دينية فكيف
تنشر بعض الآراء السياسية وهو لا يلتفت الى قولهم ويكفي في اظهار أفتياتهم
قراءة عنوان المجلة ولو انتقدوا كثرة المسائل الدينية لكان انتقادهم أقرب

التناء على المنار

أما ما يرد علينا من التناء على المنار من الغرب والشرق فهو عظيم وإتنا
لنخجل من نشره لاسيما اذا كان محضاً ونسأله تعالى أن يوفقنا الى ما يحقق ظن
من يحسون الظن بنا وان يقينا شر القروء بالنفس، والفظة عمالاً نخلوعه من تقصير ونقص،
الدعوة الى الانتقاد والتأييد

وإننا ندعو أهل التبعة على الملة والأمة من العلماء والفضلاء الى الانتقاد
بالكتابة على ما يرونه خطأ أو باطلا ما ينشر في المنار ونقدم بنشره مقروناً بالتناء
والإقرار بالقبول اذا أقنعنا أو ببيان ما عندنا من إيضاح مقصدنا وتأيد به بالدليل
والحق بعد ذلك لا يخفى على الجماهير اذ هو الذي يعلم ولا يعلم . كما ندعوم الى
تأييدنا فيما ننشره من بيان الحق والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم
ومن الارشاد العام لكل من يصل اليه صوتنا وتبلغه مجلتنا من البشر فان الدعوة
اذا أيدها المعنفون بحقيقتها ونفعها لا تلبث أن تنتشر انتشار الشاع وترسخ رسوخ
الاطواد . وانما يجيب دعوتنا الى الامرين من جعلهم الله أهلاً للدعوة الى الخير
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، وحزب الله القالبون ،
اما حزب الشيطان الخاسرون فانهم يهززون ويلمرون ، ويتقانون ولا ينصحبون ،
ويحسبون انهم على شيء . ألا انهم هم الكاذبون ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ،

Bibliotheca Alexandrina



0551733